الاستيعاب

في تاريخ الدولة السعودية الأولى
ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

دراسة تاريخية نقدية استقصائية موثقة

تأليف

د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين

رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات

دار إيلاف الدولية
للنشر والتوزيع

منشورات مركز الفرقدين
للدراسات والنشر

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

مَنْشُورَاتُ مَرْكَزِ الفَرْقَدَيْنِ
لِلدِّرَاسَاتِ وَالنَّشْرِ

دَارُ إِيلَافِ الدَّوْلِيَّةِ
لِلنَّشْرِ وَالتَّوْزِيعِ

(دار وقفية دعوية)

الإدارة (الكويت): الجهراء - مجمع المخيال - هاتف: - ٢٤٥٧٠٠٨٢ - ٩٦٩٩٩١٨٢ (٩٦٥+).
الفرع الأول: حولي -شارع المثنى - بجوار مجمع البدر - تلفكس: ٢٢٦٤١٧٩٧ (٩٦٥+).
الفرع الثاني: الجهراء - مجمع الخير - الدور الأول - مكتب ١٠ - تلفكس: ٢٤٥٥٧٥٥٩ (٩٦٥+).

مُقَدِّمَة الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلَّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وبعد:

لطالما استهواني التاريخ السعودي بأدواره الثلاثة، وشَدَّني تاريخ دوره الأول ـ المعروف بالدولة السعودية الأولى ـ شَدّاً قوياً إلى قراءته وتتبّع ما كُتِبَ عنه شرقاً وغرباً.

وقد كنتُ منذ أكثر من خمسٍ وعشرين سنة وأنا مغرمٌ بتاريخ الدولة السعودية الأولى وتاريخ دعوة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ فقد لَفَتَني ذلك التحوُّل الكبير الذي جرى في جزيرة العرب مع قيام الدولة السعودية الأولى، وذلك التبدُّل الهائل الذي حدث في الحال الديني في جزيرة العرب بعد انتصار آل سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما بهرتني قوَّة هذه الدولة والظفر الذي وُفِّقَت إليه واتِّساعها الكبير في جزيرة العرب من اليمن وأجزاءٍ من إقليم عمان جنوباً حتى حدود العراق وبلاد الشام شمالاً، وبهرتني أيضاً دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكيف انتشرت بهذا الشكل الكبير في جزيرة العرب ـ ذاك الوقت ـ، وكيف كان النصر حليفها على من اعتدى أو افترى الكذب عليها.

وسعيتُ جهدي باحثاً عن كتابٍ شاملٍ يستوعب ذلك التاريخ الزاهر وتلك الحِقَب الباهرة، فلم أجد ما يروي غليلي ويشفي عليلي(١).

(١) صحيحٌ أنَّ هناك كتابات تناولت الدولة السعودية الأولى؛ ككتاب فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى»؛ على أنَّ كتابه هذا خصَّصه (في الأصل) لتاريخ مصر، وجاء تاريخ الدولة السعودية بحسب حوادث حملات محمد علي باشا على السعودية، فكان أن انْصَبَّ تركيزه على تلك الحوادث حتَّى انتهت، وما جاء من تواريخ قبلها وبعدها إنَّما هو من قبيل الاختصار ليس أكثر.

أمَّا الدراسة التي كتبها عبدالرحيم عبدالرحمٰن وسمَّاها «الدولة السعودية الأولى»، فإنَّها أغفلت كثير من الحوادث وتجنَّبت تحليل عِدَّة وقائع، إلى جانب أن عبدالرحيم ارتضى ما كتبه عثمان بن سند (وهو مؤرّخ حاقد على الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب)، كما ارتضى بعض ما ذهب إليه أحمد زيني دحلان (وحال دحلان كحال عثمان بن سند)، وتجنَّب عبدالرحيم في مواضع من كتابه ما شهد به (صدقاً وحَقّاً) ابن بشر وبوركهارت وبريدجز بالرغم مِنْ أنَّه جعلهم ضمن مصادره، فكان هذا الأمر مريب من عبدالرحيم. ثمَّ إنَّني تلمَّستُ في بعض سطور كتابه تعاطفاً (وإن حاول إخفاءه جهد طاقته) مع جيش طوسون وإبراهيم باشا، فهو لا يرصد جرائمهم، وإن كان أحياناً يذكرها لَمَماً، وأشياء أخرى ظهرت في كتابه جعلتني أتوقف بالنقد وعدم الرضا بما دوَّنه فيه، وسيأتي نقاشها في ثنايا الكتاب.

وأمَّا كتاب العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية»، فقد كان يركّز أكثر ما يركّز على النقل من بعض وثائق جمعها (ويشكر على ذلك)، لكنَّه لا يعطي القارئ وطالب الحقيقة صورةً واضحةً عن تاريخ الدولة السعودية، خصوصاً عندما يستغرق العجلاني في مناقشة بعض المصادر؛ فيذهب حديثه مطوّلاً عن ذلك مِمَّا يصيب القارئ بالتَّشتُّتِ وعدم ربط الوقائع بعضها ببعض.

أمَّا كتاب أمين سعيد عن الدولة السعودية الأولى فقد جاء مختصراً اختصاراً =

ولمَّا رأيتُ ـ إلى جانب ما سبق ـ أنَّ كثيراً من الحملات البشعة تُشَنُّ على الدولة السعودية الأولى على وجه التخصيص، بغرض تشويهها واستغلال بعض الحوادث التي يتم تحوير أسباب وقوعها لتُتَّخَذ سُلَّماً للطعن في التاريخ السعودي على وجه العموم، ثم ما رأيته من حملات شنيعة على دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مِن قِبَلِ من يستغلون بعض الوقائع التاريخية ويبترونها عن سياق حدوثها لينفذوا خلالها للطعن في الدولة والدعوة عموماً.

لمَّا رأيتُ كلّ ذلك، ولم أجد ـ في الوقت ذاته ـ كتاباً يستوعب تاريخ تلك الدولة وهذه الدعوة ويردّ عنها العاديات المغرضة؛ شمَّرتُ عن ساعد الجِدِّ للكتابة عن هذا الموضوع والبحث في تاريخه وتَتَبُّع

= مخلّاً لا يفيد طالب الحق الذي يبحث عن حوادث تاريخ تلك الدولة وهذه الدعوة.

وأمَّا كتاب صلاح الدين مختار في جزئه الأول الذي خصَّصه للدولة السعودية الأولى، فقد جاء نقلاً مطبقاً عن تاريخ ابن غنَّام وابن بشر مع صياغته بالأسلوب الحديث، وقد فات المختار تحليل كثير من الوقائع التاريخية حتَّى أتى كتابه جامداً.

وكتاب عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» في النصف الأول من جزئه الأول؛ فإنَّه كتابٌ أقرب ما يكون للكتب المدرسية المقرَّرة في الجامعات، ومثل تلك الكتب جيّدة في تسهيل قراءة تاريخ الدولة السعودية الأولى، ولكنَّه يفوته كثير من الحوادث التي يستدعيها اختصار الكتب المدرسية.

ثمَّ تأتي رسائل الماجستير والدكتوراه التي تأخذ جزءاً من تاريخ هذه الدولة ولا تطلب استيفاء تاريخها، وهذا أمر مفهوم بسبب طبيعة الرسائل العلمية التي توافق عليها المحافل الأكاديمية.

حوادثه وأسباب وقوعها، ونقض الافتراءات المثارة عليه، وتبيان الكذب فيما كتبه بعض من لهم أغراض في الماضي والحاضر، وإيضاح الصدق فيما وقع وقتها على الحقيقة.

وقد كنتُ ـ حتَّى قبل العزم على كتابة هذا الكتاب ـ في سنيَّات مَضَت أقيد الفوائد التي أقرأها في كتب التواريخ ورسائل العلماء ومصنَّفات الأدباء عن تلك الدولة وهذه الدعوة، حتى اجتمعت لدي ورقات كثيرة فيها فوائد جمَّة، فكانت مُعِيناً لي على اختطاط كتاب بنسقٍ متقنٍ بحول الله وقوّته، «**ومن صَدَقَت حاجتُهُ إلى شيءٍ؛ كَثُرَت مسألته عنه، ودام طلبه له؛ حتَّى يُدرِكَهُ ويُحكِمَهُ**»[1].

وما صنعتُ ذلك إلَّا لمعرفتي بأنَّ للتاريخ أثره في كلّ الأمم قديماً وحديثاً؛ ترى فيه صورتها على ما كانت عليه في كل أطوار حياتها، وَأيــُّما أُمَّة لا تُولِي تاريخها الاهتمام ولا تحيطه بالمحافظة والالتئام فتــُوَرِّثه لأبنائها عاماً بعد عام؛ تضطرب خطاها وتختلط عليها معالم طريقها وتنقطعُ الصلة بين واقعها وماضيها العابر.

والتاريخ ضربٌ من ضروب الدفاع عن الوطن؛ فكما أنَّ الإنسان يدافع عن وطنه بالقتال والمال، فإنَّه ـ أيضاً ـ يدافع عنه بتقييد وقائعه وبيان ما حدث فيه من الحوادث التي تُعلي من شأنِهِ، وتُظهره أمام العالم بمظهر العَظَمَة والكمال.

أقول: إنَّ حادث قيام الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من الأحداث الكبرى التي غيَّرَت أوضاع الجزيرة العربية كُلّها، وهزَّت الدول المجاورة لجزيرة العرب هزَّةً عنيفةً

---

(١) أبو سليمان حَمَد بن محمد الخطابي البستي «معالم السنن» (٢٨٨/٤ ـ ٢٨٩).

أزعجت رجالات حكوماتها، وزلزلت القوى الأجنبية العظمى التي كانت تحيط بجزيرة العرب، فاضطرَّت ـ تلك الدولة الناشئة وهذه الدعوة الإصلاحية ـ الناسَ شرقاً وغرباً أن يتَتَبَّعوا تحركاتها وتقلّباتها.

وقد كتب العثمانيون وأتباعهم في ولاياتهم في البلاد العربية ـ التي كانت تحت هيمنتهم ـ عن الدولة السعودية ودعوة الشيخ، فجاروا على الحقائق وشوّهوا صورة وسمعة الدولة والدعوة وأتباعها بكلِّ لسانٍ قادرٍ على الإثارة والتبشيع؛ فكان أن ظهرت كتابات تاريخية ملؤها الكذب والافتراء(١).

وفي المقابل لم يكن أبناء الدولة السعودية الأولى نشطين في الكتابة عن تاريخها وحوادثها، إلَّا إذا استثنينا تاريخ ابن غنَّام ـ وهو شاهد عيان على حوادث تلك الفترة ـ، ومثله ابن بشر الذي شهد الحوادث المتأخِّرَة للدولة السعودية الأولى، وإن كانت كتابتهم على قدر كبير من الأهمية؛ لاعتبارها سِجِلاً حافلاً بحوادث ووقائع الدولة السعودية الأولى، إلَّا أنَّ طريقة السجع التي جاء عليها تاريخ ابن غنَّام على وجه التخصيص، وهيئة الحوليات التي سار عليها تاريخ ابن غنَّام وابن بشر، كلّ هذا مِمَّا يصعِّب الفهم والاستيعاب على مريد معرفة تاريخ تلك الفترة، كما أنَّ الحوليات تغفل ـ غالباً ـ أسباب وقوع الحوادث وتترك ربط وقائعها.

---

(١) تجد ذلك في وثائق العثمانيين التي سيشار لها في ثنايا الكتاب، كما تجده في تاريخ عثمان بن سند المعنون بـ«مطالع السعود»، وياسين بن خير الله العُمري في تاريخه الموسوم بـ«غرائب الأثر»، ورسول الكركوكلي في تاريخه المعنون بـ«دوحة الوزراء»، وخليل الرجبي في كتابه «تاريخ الوزير محمد علي باشا»، وكل هؤلاء معاصرين لعهد الدولة السعودية الأولى، ثم من جاء بعدهم كأحمد زيني دحلان في تاريخه المعروف بـ«خلاصة الكلام».

وهذا ينسحب على مصادر أخرى لتاريخ تلك الفترة من شهود العيان والمعاصرين لها كابن لعبون والفاخري، فإنَّه يعيبها الاختصار الشديد القائم على الحوليات التاريخية التي تذكر الحادثة ومكان ووقت وقوعها فقط.

من هنا؛ أصبحت تلك الفترة التاريخية تعاني شُحّاً بَيِّناً في المصادر المحلية، **على أنَّني حاولت معالجة ذلك الشُّحّ باللجوء إلى مصادر التاريخ المكتوبة خارج محيط إقليم نجد،** فكان أن رَجعتُ إلى مصادر التاريخ في الحجاز واليمن وبلاد الجنوب (عسير وجازان)، ومصر والعراق والشام، **المكتوبة في تلك الفترة، بل حتَّى المكتوبة في فترات سبقتها.**

وما عمدتُ إلى ذلك؛ إلَّا لعلمي أنَّ حوادث التاريخ تبلغ من الانتظام ما يوجب الرجوع معه إلى مَدًى بعيد جداً أحياناً؛ لإدراك تعاقب الأسباب التي أدَّت إليها، ذلك أنَّ حاضرنا الذي يكتنفنا ونحسُّه جيِّداً، إنَّما هو ناجمٌ عن ماضٍ بعيدٍ لا نُحسُّه، فيقتضي حُسْنُ فهم الحوادث التاريخية أنْ يُرجَع إلى سلسلةٍ طويلةٍ من العلل السابقة.

وبالجملةِ؛ فقد عالجتُ شُحّ المصادر بما سبق، ثم عالجتُه أيضاً بالرجوع إلى رسائل وفتاوى علماء نجد، سواء العلماء الذين شهدوا الوقائع أو العلماء الذين عاصروا الدولة وأدركوا من شهد حوادثها.

والحقُّ أنَّني وَجدتُ رسائل العلماء وفتاواهم قد سدَّت كثيراً من النقص في مصادر التاريخ المعروفة، كما وجدتُ في تلك الرسائل والفتاوى ذِكْراً لحوادث تاريخية وتحليلاً لبعض الوقائع وفوائد لم أجدها في المصادر التاريخية المعتبرة.

مِن بعد ذلك؛ حاولت استكمال الحوادث التاريخية الناقصة في

فهم أسباب وقوعها من خلال الوثائق المنشورة وغير المنشورة.

ثمَّ استعنت ـ بعد ذلك ـ بكتب التراجم وكتب الشعر وكتب الأمثال والمعاجم الجغرافية، وقد أفادني ذلك فائدة جمَّة في فهم الحوادث حين اتضَّحت صورتها الزمانية والمكانية.

وبعدَ توافر المادة التاريخية من تلك المصادر الأوليَّة والثانوية؛ اخْتَطَطتُ منهجاً أسير عليه في كلّ صفحةٍ من صفحات هذا الكتاب؛ **إذ التَزَمْتُ في كلِّ ما أذكره ـ مِن خَبَرٍ أو معلومةٍ ـ التوثيقَ والإحالة إلى مصدره الأصل.**

ثمَّ عرَّفتُ بكل شخصٍ وبكلِّ مصطلح مُبهَم يأتي في ثنايا صفحات الكتاب أو بين النصوص التي أنقلها ضمن فقراته. كما عرَّفتُ بكلِّ موضعٍ جغرافيّ، إلَّا المواضع المشتهرة كمكَّة والمدينة والرياض والقاهرة. . . وهلمَّ جَرَّاً.

وقد جعلتُ الكتاب مقسَّماً إلى: مقدِّمة، يليها عشرة فصول تتناول تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منذ قيام الدولة حتى سقوطها على يد إبراهيم باشا. ثمَّ يتبع ذلك ملحقٌ بالفصل العاشر، يليه خاتمة الكتاب، ثم فهرس لمواضيع الكتاب. ولقد زوَّدتُ الكتاب بعددٍ من الخرائط الإيضاحيَّة والصور الفوتوغرافية القديمة ذات العلاقة.

أقول: **إنَّنِي لا أجد مندوحةً عن ذكر ما لاقيته خلال سنواتٍ خمس قضيتها في صناعةِ هذا الكتاب، وما نابني فيه من عَنَتٍ وتَعَبٍ ليخرج على هذه الهيئة وهذا الشكل، ولست أرمي من ذلك استدرار عطف من يقرأ صفحاته، أو أعطيه صورة مبالغاً فيها عن الجهد المبذول فيه، فهذا أمرٌ متروكٌ لأفق قارئها وتقدير متصفحها؛ إنما**

رميتُ من ذلك أن يعلم القارئ ما لاقيت في سبيل إخراج كتاب علمي يحمل الجِدَّ في البحث، والجِدَّةَ في معلوماته ونتائجه التي وصل إليها.

راجياً أن يكون هذا العمل باكورة لأعمالٍ أخرى تستكمل تاريخ المملكة العربية السعودية بدورها الثاني ثم دورها في عهد الملك عبدالعزيز وبنيه، على ذات النَّسَق الذي سار عليه هذا الكتاب.

فيا أيُّها القارئ؛ «لك [من هذا الكتاب] **غُنْمه وعلى** [كاتبه] **غُرْمُهُ، ولَكَ صَفْوُهُ وعليه كَدَرُه، وهذه بضاعته تُعرَضُ عليك وبَنَاتُ أفكارِهِ تُزَفُّ إليك، فإنْ صادفت كفؤًا كريمًا لن تعدم منه إمساكاً بمعروفٍ أو تسريحاً بإحسانٍ، وإن كان غيره فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنَّانِ، وما كان من خطأٍ فمنِّي ومن الشيطان»**(١).

فما وَجدتَ فيه من حقٍّ وصواب فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، وما وَجَدتَ فيه من خطأ، فاعلم أنَّ كاتبه لم يَألُ جهد الإصابة، ولكن يأبى الله الكمال إلَّا لكتابه.

وفي النهاية؛ لا يسعني إلَّا أنْ أَتَقَدَّم بجزيل الشكر والعرفان ووافر الامتنان إلى أخي وصديقي الصدوق: **الشاعر الأديب الأستاذ فالح بن بدَّاح العجمي**؛ الذي قرأ هذا الكتاب وأبدى ملاحظاته القيِّمَة عليه. **فإليك يا أبا بدَّاح أقول: «هذا غرسك الذي غرستَ».**

كما أَتَقَدَّم بالشكر إلى كل من ساندني وساعدني في إظهار هذا العمل، وأَخُصُّ الشيخ سليمان بن صالح الخراشي،

---

(١) شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «حادي الأرواح» (١٦ ـ ١٧).

والدكتور عبدالله المنيف، والشيخ محمد النّمَيْ، والشيخ بدر الزايد، والشيخ سعيد بن محمد القاضي، والدكتور عبدالله أبا حسين، والدكتور سامر فوزي قنبس، والشيخ بدر محمد العصفور، وفهد فرج الهتيل.

أسأل الله جلَّ في علاه أنْ يجعل عملي هذا ـ وسائر أعمالي كلّها ـ خالصةً لوجهه الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

كتبه:
د. سلطان فالح الأصقه آل حثلين
رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات
الكويت ـ ابو حليفة.
الاثنين ٣ ربيع الآخر ١٤٤٣هـ/٨ نوفمبر ٢٠٢١م.



الفصل الأول

الأحوال السياسية في نجد ومحيطها
قبل قيام الدولة السعودية الأولى
وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

ظهور دعوة الشيخ وقيام الدولة السعودية الأولى هو مبتدأ التاريخ الحديث للجزيرة العربية

إنَّ قيام الدولة السعودية الأولى ونصرتها لدعوة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب يُعتَبَر فاتحة التاريخ الحديث لنجد وجزيرة العرب[(١)]؛ لأنَّ تاريخ الجزيرة العربية الحديث، وليس تاريخ نجد وحدها، يبدأ بقيام تلك الدولة الفتيَّة وظهور هذه الدعوة الإصلاحية.

جاء ذلك باعتبار التغيُّر الأساسي الذي شهدته جزيرة العرب بقيام تلك الدولة وهذه الدعوة؛ إذ بقيامهما «قام قائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحُدِّدَت الحدود الشرعية وعزِّرَت التعازير الدينية وانْتَصَب عَلَم الجهاد وقاتَل لإعلاء كلمة الله، فَجَمَعَ الله بها القلوب بعد شتاتها وتألَّفَت بعد عدوانها وصاروا بنعمة الله إخوانا[(٢)]؛ فأعطاهم الله بذلك النصر وذاك العز وهذا الظهور ما لا يُعرف مثله لسكان تلك الفيافي والصخور، وفَتَحَ عليهم الأحساء والقطيف، وجَعَلَ الله لهم مهابة وقوة وتمكيناً من عمان إلى عقبة مصر ومن اليمن

---

(١) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٤١/١).

(٢) سيأتيك بُعيدَ قليل تصوير للحالة القاتمة البائسة التي كانت عليها نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى.

إلى العراق والشام، ودانَت لهم عربها وأعطوا الزكاة، فأصبحت نجد تُضرب لها أكباد الإبل في طلب الدين والدنيا وتفتخر بما نالَها من العزِّ والنصر والإقبال والسَّنا»(١).

كما قال عالم الأحساء الشاعر أحمد بن علي بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م)(٢):

فكم ملكوا ما بين يَنْبُع بالقنا … وما بين جعلان إلى جنب مزيد(٣)
ومن عدن حتَّى تنيخ بإيليا … قلوصك من مبدأ سهيل إلى الجَدِي(٤)

فحادث مثل حادث قيام الدولة السعودية الأولى «والدعوة النجدية السلفية التي اشْتُهِرَ عند الناس تسميتها بالوهابية، من الأحداث الكبرى التي اهتزَّ لها التاريخ في الشرق الأدنى والأوسط، وقلبت أوضاع الحكم في الجزيرة كلها، وزلزلت الدول التي تصاقب الجزيرة زلزلةً أزعجت رجال حكوماتها، ولفتتهم إليها بعنف وروعة لفتةَ الذعر والإكبار والإعجاب، واضطرّت الناس في المشرق والمغرب ـ من لهم مصالح في الجزيرة ومن لا مصالح لهم فيها ـ أن يتجهوا إليها وأنْ

(١) سليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد في ردّ شبهات علوي الحداد» (١٤ ـ ١٥) بتصرّفٍ يسير.

(٢) الشيخ والشاعر أحمد بن علي بن حسين، من آل مشرَّف، وُلِدَ في (الزبارة)، ونشأ وتعلَّمَ في (الأحساء). كان كفيف البصر منذ طفولته. ولَّاه الإمام فيصل بن تركي قضاء الأحساء، وأقرَّه على الولاية الإمام عبدالله الفيصل بعد أبيه. انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥٠٢/١ ـ ٥٠٣).

(٣) سيأتي التعريف بتلك المواضع الجغرافية حين ورودها في مكانٍ آخر من هذا الكتاب، لمناسبتها هناك أكثر من هنا.

(٤) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

يَتَنَطَّسُوا تَقَلُّبَاتها وحركاتها ويتتبعوا ما يقع فيها من أحداث وشؤون بعين العناية والاهتمام، وأن يتنبَّؤوا لها مختلف النُّبُوءات ويكتبوا عنها مختلف الكتب والمقالات، وأن يُشْغَلوا بدرسها من جميع نواحيها»[١].

لذلك كان لوريمر Lorimer (ت: ١٣٣٢هـ/١٩١٤م)[٢] محقاً لمَّا قرَّر تلك الحقيقة قائلاً: «**يبدأ التاريخ الحديث لوسط الجزيرة العربية بقيام الوهابيين، الذين أصبحوا هم الذين يحددون سَيْرَ الحوادث فيها إلى حدٍّ كبير**»[٣].

ومثله قال فيليب حتّي (ت: ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م)[٤]: «**لا يبدأ تاريخ الجزيرة العربية الحديث، حتى ظهور الموحدين في منتصف القرن الثامن عشر**، وكانت حركتهم[٥] حركة إحياء للدين وتمسّك شديد بنصوصه، بدأها نجديٌّ من العيينة[٦] اسمه محمد بن عبدالوهاب»[٧].

مِن هنا تعلم الصواب الذي وُفِّقَ إليه المؤرخ النجدي **عثمان بن**

---

(١) عبدالله القصيمي «الثورة الوهابية» (٢١).

(٢) ج. ج. لوريمر Lorimer: من كبار الموظفين البريطانيين في حكومة الهند البريطانية. انظر عنه: جون كيلي «بريطانيا والخليج» (٣/١ ـ ٤).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٧١/٣).

(٤) فيليب حَتّي: مستشرق أمريكي، لبنانيّ الأصل. انظر ترجمته عند: نزار أباظة «إتمام الأعلام» (٣١٧ ـ ٣١٨).

(٥) سيأتي التنبيه في ثنايا الكتاب على أنَّها ليست حركة، بل دعوةٌ سلفيةٌ مباركة.

(٦) العُيَيْنَة: تقع في ملتقى شعاب (وادي حنيفة) الرئيسية. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٩٨/٢).

(٧) فيليب حَتّي «تاريخ العرب» (١ ٨٧٠).

بشر (ت١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م)[(١)] **حين بدأ كتابه «عنوان المجد في تاريخ نجد»** ، بالسنة التي هاجر فيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية[(٢)]، وقيام الدولة السعودية الأولى التي ناصرت دعوة الشيخ وآزرتها، جاعلاً من هذا الحدث مبتدأً لتاريخه؛ التاريخ الحديث والمعاصر لجزيرة العرب[(٣)].

كلّ هؤلاء انطلقوا من تلك البَدَاهَة التاريخية وساروا على ضوئها فيما كتبوه عن الدولة السعودية الأولى والدعوة السلفية؛ **لأنَّه بقيام هذه الدولة حصلت الحركة الكبيرة التي صاحبت الدعوة النجدية؛ مِن إعداد الجيوش والغزوات الكبيرة وفتح البلدان،** وما صاحب ذلك من موالاة أصحاب الدعوة ومعاداة من آخرين قبل دخول الجزيرة العربية تحت لواء واحد.

وبجانب حركة الحرب والسلم صارت حركة الجدال بالقلم واللسان، فصُنِّفَت الكتب والرسائل والردود من الطرفين؛ وثارت حرب كلامية راجت فيها سوق التأليف والكتابة. كما قام الشعر بدورٍ كبير في هذا المضمار؛ سواء منه الفصيح أو العامي، فصار للدولة والدعوة أعوان ولخصومها أنصار، فخَلَّدَت بذلك أحداث المعركة، كما وَعَت صدور الناس الكثير من أخبار هذه الحقبة؛ لأهميتها لديهم

---

(١) هو عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر الحرقوصي. مؤرِّخ نجد المشهور. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧١٠/٣). وعبدالله البسام «علماء نجد» (١١٥/٥ ـ ١٢٦).

(٢) الدرعية: تقع اليوم شمال غرب (الرياض) بـ ٢٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١٦/١) (٤٢٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣/١).

ولضخامة حوادثها وتَفَتُّح الوعي فيهم. وكتب بعض مؤرخي نجد عنها، وكذلك كتب عنها الأجانب بغير اللغة العربية وبالعربية أيضا[١].

وعليه كان لِزاماً سبر تلك الفترة التاريخية وما سبقها من فتراتٍ وحقبٍ قريبة منها؛ **ذلك لأنَّ الولوج مباشرةً إلى تاريخ الدولة السعودية الأولى دون الرجوع إلى جذور تاريخ نجد ما قبل قيام تلك الدولة وحادثة انتصارها لدعوة الشيخ، قد لا يُظهِر التبدُّل الهائل والتغيُّر الكبير الذي شهدته نجد وجزيرة العرب.**

وهذا منهاج معتبر في البحث العلمي التاريخي الذي يستقصي جذور الحوادث ليصل إلى تحليلٍ يتوافق والمنطق السليم لتسلسل الوقائع وما آلت إليه.

من هنا سيكون البحث في أقاليم نجد على هيئةِ مسح واستقراءٍ تاريخي موجز منذ عصر صدر الإسلام وما تلاه من عصور كالأموي والعباسي وصولاً إلى نشأة دويلات المدن النجدية أو عصر الإمارات النجدية المستقلة فَيُفَصِّلها، **ثم يأتي البحث على مسألة استقلال نجد مِن قَبْل قيام الدولة السعودية وحتَّى في أثناء قيام الدولة في الدرعية،** ثمَّ يسير البحث إلى سبر الحال السياسي لمحيط نجد في الأحساء والحجاز واليمن والعراق والشام وغيرها بعبارةٍ موجزةٍ تقتصر على المفيد من القول.

فإليك تاريخ نجد قبل ظهور دعوة الشيخ وقيام الدولة السعودية الأولى.

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/١٢ ـ ١٣).

نجد منذ أيام الخلافة الراشدة إلى أوّل قيام دويلات المدن النجدية

سكن بنو حنيفة[١] اليمامة[٢]، وكان أوّل ساكنيها منهم هو عبيد بن ثعلبة بن الدُّؤل بن حنيفة في القرن الخامس الميلادي، ثمَّ

(١) وحنيفة هو ابن لُجَيْم بن صَعب بن عليّ بن بكر بن وايل بن قاسط بن هِنْبِ بن أقصا بن دُعْميَّ بن جَديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن مَعَد ابن عدنان. وقد استقرَّ بنوه في (اليمامة) بعد انتقال بطون ربيعة إلى شرق الجزيرة، ثمَّ إلى خارجها عند ظهور الإسلام، واستطاعوا أن يحافظوا على بقائهم في واديهم المعروف باسم (العِرْض/ باطن الرياض الآن) بين قبيلتين من أعظم القبائل وأقواها وأكثرها عدداً؛ وهما بنو تميم من الشرق والشمال والغرب، وقيس عَيْلان في الغرب وفي الجنوب الغربي. وكانت قاعدة بلاد نجد مدينة (حَجْرٍ) في وسط بلادهم (التي قامت مدينة الرياض مكانها). انظر: ابن سعيد الأندلسي «نشوة الطرب» (٦٢٩). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (١٤٢/٤ ـ ١٤٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١٧٧ ـ ١٧٨). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٤٨/١ ـ ٣٤٩).

(٢) اليمامة: هي التي تضمّ إقليم (الرياض) وهي قاعدة اليمامة، وتضمّ أيضاً (الشعيب/ شعيب حريملاء) و(المحمل) و(الخرج) و(الفُرَع) وملحقاتها و(ضرما) و(الدرعية) وملحقاتها، ويشقّ هذا الإقليم (وادي حنيفة). كما تضمّ اليمامة إقليم (سدير) و(الزلفي) و(الوشم) و(الأفلاج) و(وادي الدواسر). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٧٣/٢ ـ ٤٧٤).

ترادفت أفخاذهم للسكن في بلدات اليمامة حين سادت بنو حنيفة عليها، ولسوف يظهر لكَ المدى الذي أسهم فيه سكن هذه القبيلة في تلك المنطقة من حيث رقيِّها وزيادة تحضّرِها وكثرة العمران فيها، وسيستبين لك ذلك حين تعلم أنَّ استقرار بني حنيفة انبسط على جزءٍ مهم وكبير من منطقة اليمامة يمتدّ من مَلْهَم[١] إلى الخَرْج[٢]. وبالرغم من النفوذ البارز لهذه القبيلة إلَّا أنَّه قد جاورها قبائل قريبة النسب منها من بني بكر بن وائل[٣] ومن تميم[٤] ومن باهلة[٥] ، لكنَّ الغلبة والوجود السكاني الأكثر كان لبني حنيفة[٦].

---

(١) مَلْهَم: بلدة تقع في أسفل (وادي قران) عند مُنْفَسخة من الجبل. انظر: عبدالله الخميس «معجم اليمامة» (٣٩١/٢).

(٢) الخَرْج: بلدة تبعد عن مدينة (الرياض) حوالي ٨٠ كلم جنوباً. انظر: عبدالله الخميس «معجم اليمامة» (٣٧١/١ ـ ٣٧٢).

(٣) بنو بكر بن وائل: عليٌّ ويَشكُر وبَدَن، ودخل بنوه في بني يشكر. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٣٠٧).

(٤) بنو تميم: ولدُ تميم بن مرُّ بن أُدّ بن طابخة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٠٧).

(٥) باهلة: هم بنو مالك بن أَعصُر بن سعد بن قيس عَيْلان. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٤٥).

(٦) انظر: الحسن الهمداني «صفة جزيرة العرب» (٢٥٢ ـ ٢٥٥) (٢٦١ ـ ٢٦٣) (٢٧٤ ـ ٢٧٥). وابن سعيد الأندلسي «نشوة الطرب» (٦٣٠). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٩/١) (٢٩٦ ـ ٢٩٧) (٣٨٨). وعبدالرحمٰن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٦). وفهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة منذ سقوط دولة الأخيضريين حتَّى قيام الدرعية» بحثٌ منشور في «مجلة الدرعية»، المجلد ٨، العدد ٣٢، يناير ٢٠٠٦م، (ص: ٤١).

على أنَّه مع معارك حروب الردَّة ثم العصر الذي تلا عهد الخلافة الراشدة أخذ شأن نجد يتضاءل مع انتقال مركز الخلافة خارج جزيرة العرب، ثمَّ زاد حال التضاؤل هذا باشتراك عديد من قبائل المنطقة في عملية الفتوحات الإسلامية وما نجم عنه من ارتحال بعض فئات تلك القبائل لاستيطان البلاد المفتوحة، ثمَّ جدَّت عوامل القحط والجدب داعيةً بعض فروع القبائل ومنها بنو حنيفة إلى الارتحال عن المنطقة إلى شرقي جزيرة العرب، ثمَّ ما جَدَّ بتولّي بعض القبائل ولاية المنطقة، كما حصل حين تولَّت بنو تميم ولاية اليمامة، وبنو تميم في تلك الفترة كانت تمثل بادية اليمامة(١).

على أنَّ الظروف أتاحت لبني حنيفة استعادة ولاية اليمامة في الفترة التي ضعفت فيها الدولة الأموية أواخر عهدها، فانفصلت اليمامة عن الدولة الأموية بعدما هزموا واليها على اليمامة. وتعمَّق انفصال اليمامة في العهد العبَّاسي حين برزت ظاهرة الدويلات المستقلة، وحين أصبحت الخلافة بعيدة عن العرب وعن بلادهم، فأصبح امر هذه البلاد مهملاً، وبقيت مغمورة(٢)، حتَّى صار تعيين ولاة اليمامة في هذا العهد وما تلاه أمراً شكلياً قد يتبع اسمياً الولايات المهمة القريبة من اليمامة كالبصرة والبحرين واليمن والمدينة النبوية(٣).

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٧). وعبدالله العسكر «تاريخ اليمامة في صدر الإسلام محاولةٌ للفهم» (٦٧ ـ ٦٨) (٧٠). وعويضة بن متيريك الجهني «نجد قبل الوهابية» (٧٤).

(٢) انظر: حمد الجاسر «مدينة الرياض» (٤٧).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٧ ـ ١٨). وفهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٥٤).

ونتيجةً للفراغ القيادي السياسي الناجم عن شكلية تبعية اليمامة للدولة العباسية، ونتيجةً أيضاً للخلاف العباسي العلوي؛ استغلَّ العلويون من بني الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه ذلك الوضع **فقامت دولتهم الأخيضرية في اليمامة سنة ٢٥٣هـ/٨٦٧م** وقيل سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م على يد **محمَّد الملقَّب بالأخيضر**[١]، **وكان استيلاؤه عليها أيام المستعين الخليفة العبَّاسي، فجعل محمد الأخيضر من الخِضرمة**[٢] **عاصمةً لمُلْكِهِ بعد أن كان المُلك فيها لبني حنيفة**[٣].

والأخيضريون هؤلاء عَلَويَّةٌ كانوا على مذهب الزيدية، ويقولون في الإقامة للصلاة: «محمد وعلي خير البشر وحيَّ على خير

---

(١) هو محمد الأخيضر بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. انظر: علي بن محمد بن حزم «جمهرة أنساب العرب» (٤٦). وجمال الدين أحمد ابن عنبة «عمدة الطالب في أنساب أبي طالب» (١١٣ ـ ١١٦).

(٢) الخِضرمة: تقع في جوِّ أسفل (وادي الخرج)؛ في الموضع الذي تقوم فيه بلدة (اليمامة) في العهد الحاضر، أو قريبٌ من ذلك الموضع. انظر: الحسن الهمداني «صفة جزيرة العرب» (٢٥٢). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٨٨/١).

(٣) انظر: الحسن الهمداني «صفة جزيرة العرب» (٢٥٢) (٢٧٦). وأبو القاسم بن حوقل «صورة الأرض» (٣٨). وعزّ الدين علي بن الأثير «الكامل في التاريخ» (١٦٤/٧ ـ ١٦٥) (١٧٧). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٩/١ ـ ٤١) (٣٠٣). وعبدالرحمن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٨). وعبدالله الشبل «من تاريخ اليمامة: الدولة الأخيضرية» بحثٌ منشورٌ في «مجلة كليَّة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية/ جامعة الإمام محمد بن سعود» العدد: ٦، السنة: ١٩٧٦م، (ص: ٤٦٠).

العمل»[١]. **وكُتُب التاريخ تكاد تُجمع على أنَّ الأخيضريين قومٌ ظَلَمَة سيِّئو السياسة عنصريون مفسدون، عَملوا على إضعاف القبائل العربية في نجد وغيرها**، مِمَّا اضطرَّها إلى الهجرة إلى مصر والمغرب العربي وجوانب من أفريقيا وسواد العراق وأطراف الشام[٢].

واستمرَّ الأخيضريون يحكمون المنطقة بمذهبهم الزيدي إلى ما بعد منتصف القرن الخامس الهجري/بعد منتصف القرن الحادي عشر الميلادي[٣].

على أنَّه وقع خلافٌ بين المؤرّخين عن الكيفية التي انتهى بها نفوذ بني الأخيضر في اليمامة وعلى يد من؟. فالمرجَّح ـ بالنسبة للمدَّة التي ذكرنا، وبالنسبة لمن أدال دولتهم ـ **أنَّ نفوذ الأخيضريين** انتهى على يدِ **القرامطة** الذين استولوا على الأحساء سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٥م، وجَرَت وَقْعَة بينهم وبين الأخيضريين في اليمامة من أعنف الوقعات؛ فقد ضربهم **القرامطة** ضربةً مؤلمةً عاش الأخيضريون بعدها زمناً، ولكنَّها خَضَدَت شوكتهم، وظلّوا بعدها في ضعفٍ حتى دالت دولتهم وذابوا في قبائل المنطقة[٤]،

---

(١) ناصر خسرو علوي «سفرنامة» (١٥٨) وهو معاصرٌ للدولة الأخيضرية وقد زار بلادهم في اليمامة.

(٢) أبو القاسم بن حوقل «صورة الأرض» (٣٨). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٢٨/٤). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١/١) (٣٠٢) (٤٤٧) (٢٧٢/٢).

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١/١) (٣٠٣) (٣٧٥). وعبدالرحمٰن العريني «الإمام محمد بن سعود» (١٧ ـ ١٨).

(٤) انظر: جمال الدين أحمد ابن عنبة «عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب» (١١٥ ـ ١١٦). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبر» (٢٩٨/٧). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١/١) (٣٠٣).

على أنَّه بقيت منهم بقايا[١].

ويبدو أنَّه بعد زوال حكم بني الأخيضر في اليمامة ودمار عاصمتهم الخضرمة، ساعد ما تحمل النفوس عليهم من حقدٍ وضغينةٍ لقاء ظلم الأخيضريين وعسفهم على إبادة الخضرمة وإخفاء معالمها[٢].

ومنذ تضعضع حكم الأخيضريين لم تقم بعدهم في اليمامة ولايةٌ قويَّة نافذة، ولم تظهر فيها أيَّة دولة ذات شأنٍ ليهتمَّ المؤرّخون بأمرها، وأصبحت بلدات نجد مجزَّأة إلى إمارات متفرِّقة، كلّ بلدة من بلدات نجد لها زعامتها المستقلَّة المعادية في كثير من الأحيان لجارتها، وكلّ قبيلة تسيطر بقدر استطاعتها على منطقةٍ رعوية خاصّة بها[٣]؛ وكانت بنو كلاب[٤] هي المهيمنة في وقتٍ من أوقات ذاك الزمن على اليمامة بُعَيْدَ سقوط دولة الأخيضريين[٥]، حتى استلب بنو عصفور أصحاب

---

(١) قال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٣٨٣/٢): أنَّ جُلّ سكان قرية (المفيجر) في (وادي نعام) هم من آل حسين من الأشراف من بقايا بني الأخيضر. وكرَّر ابن خميس ذلك في (٣٩/١) من «معجم اليمامة». وقال حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (١٤١): آل حسين في (المُفَيْجِر) بمنطقة (الحريق)، وهم من الأشراف.

(٢) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣١/١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٠٣/١) (٣٧٥). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٣٦/١).

(٤) بنو كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٨٠).

(٥) انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (١٤٩/٣). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (١٦٥/٤).

الأحساء[١] مُلْكَهُم من اليمامة في سنة ٦٥٠هـ/١٢٥٢م[٢].

والواقع أنَّه منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بدأت تتشكَّلُ في نجد قوَّة محليَّة أخرى متحالفة، ما لَبِثَت أنْ أصبح لها مكانة وسيطرة على أجزاء واسعة في بلاد اليمامة، فبنو حنيفة سكَّان قلب اليمامة الأصليون الذين تأثَّروا أكثر من غيرهم بسياسة الأخيضريين، وفقدوا مكانتهم بسببها، أخذوا يستأنفون شيئاً من نفوذهم في المنطقة، على ضعفٍ في أوَّل الأمر، متحالفين مع قوًى أخرى[٣].

ويذكر **ياقوت الحموي** (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٩م)[٤]: بأنَّ بدوياً من أهل تلك البلاد أخبره «أنَّ الوشم[٥] خمس قرى عليها سورٌ

---

(١) بنو عصفور من بني عُقَيْل من عامر بن صعصعة، وهم أصحاب الأحساء آنذاك وهي دار ملكهم. انظر: أبو العباس أحمد القلقشندي «قلائد الجمان» (١١٩ ـ ١٢٠). وعبداللطيف الحميدان «إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة»، نشره في «مجلة العرب» ج١، السنة٢، رجب وشعبان ١٤٠٠هـ/ مايو ويونيو ١٩٨٠م (ص: ٦٥ ـ ١١٥).

(٢) انظر: ابن سعيد الأندلسي في كتابه «نشوة الطرب» (٦٣٠). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (١٦٨/٤).

(٣) انظر: فهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٢٧).

(٤) ياقوت الحموي: المؤرِّخ البلداني المشهور. انظر ترجمته عِندَ: شمس الدين ابن خلِّكان «وفيات الأعيان» (١٢٧/٦ ـ ١٣).

(٥) الوشم: أحد أقاليم نجد، واقعٌ بين (رمل الرَّغام/ عُرَيْق البلدان الآن) من الشرق و(صفراء الوشم) من الغرب، وما بين (قَرقَرَى) من الجنوب وما بين (الهوابج) ومستقرات سيول (المستوى) من الشمال. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٤١/٢ ـ ٤٤٢).

واحد من لبن[١]، وفيها نخلٌ وزرعٌ لبني عائذ[٢] لأهل مزيد[٣]، وقد يتفرّع منهم، والقرية الجامعة فيها ثرمداء[٤] وبعدها شقراء[٥] وأشيقر[٦] وأبو الريش والمحمدية[٧]، وهي بين العارض[٨]

---

(١) علَّق حمد الجاسر في كتابه «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (ص: ٤٨٨) على تلك العبارة فقال: «الصواب: على كلّ قرية سور». وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٤٤٢/٢): «أنَّه لا يمكن أنْ يضمّ قرى الوشم سور واحد كما نقل ياقوت عن الأعرابي».

(٢) انظر ما سيأتي في التعريف بنسب عائذ بني سعيد.

(٣) انظر التعريف بالمزايدة في هامشة لاحقة هنا في هذا الفصل.

(٤) ثرمداء: تقع في جنوب منطقة (الوشم)، بين بلدة (أثيفية) شماليها وغربيها، وبين بلدة (مراة/ مرات) من جنوبيها. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٣٢/١).

(٥) شقراء: بلدة قائمة على (هضبة شقراء)، يقابلها من الشرق (جبل كُميت). انظر: عبدالله بن خميس، المصدر السابق (٥٧/٢).

(٦) أشيقر: تبعد (شقراء) عنها حوالي ١٧ كلم شماليها. انظر: عبدالله بن خميس، المصدر السابق (٨٢/١).

(٧) لم أقف على موضع (أبو الريش) و(المحمَّدية)، على أنَّ عبدالله بن خميس في كتابه «معجم اليمامة» (١٩٠/١) ذكر موضعاً يقال له (الرِّيش) فقال: إنَّه في (البياض) جنوب (الخرج) في بلاد الدواسر. أمَّا (المحمَّدية) فلربما هي التي ذكرها ابن خميس في (٣٤٤/٢) حين تكلَّم عن موضع (المحمَّدي) فقال: إنَّها قرية من قرى (الخرج) تقع بين (الدِّلَم) و(نعجان).

(٨) العارض: هو عارض اليمامة، ويسمَّى (طويقاً). و(العارض) اسمٌ للجبل المعترض، ومنه سُمِّيَ (عارض اليمامة)، وهو جبلها. واصْطُلِحَ أخيراً (قبل قرنين من الزمان تقريباً) على إطلاق اسم (العارض) على جزء من (جبل اليمامة/ طويق). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٢٩/٢ ـ ١٣٠).

والدهناء[١] . . .»[٢].

مع أنَّ الوشم ليس كما قال ياقوت، بل هو واقعٌ غرب العارض لا شرقه، ولا بينه وبين الدهناء[٣]، فالعارض هو الذي بينها وبين الدهناء، وما آفة الأخبار إلَّا رواتها[٤].

كما ذكر ابن فضل الله العُمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م)[٥] العرب الموجودين في زمنه في عارض نجد، فقال: «عرب العارض: والعارض وراء الوشم، والوشمُ هو الذي ينتهي إليه آل فضل[٦] إذا

---

(١) الدّهناء: رمالٌ كثيفة منبتَّة غزيرة، تمتدّ برقعة رحبة بعد (الربع الخالي). انظر: عبدالله بن خميس، المصدر السابق (٤٣٦/١).

(٢) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤٥٨/٤).

(٣) من تعليقات حمد الجاسر على كلام ياقوت، ذكرها في كتابه «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (ص: ٤٨٨).

(٤) عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٤٤٢/٢).

(٥) هو القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله العمري. قال عنه ابن الوردي: منزلته في الإنشاء معروفة وفضيلته في النثر موصوفة. مات بطاعون مدينة دمشق سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. انظر: عمر ابن الورديّ «تاريخ ابن الوردي» (٣٤٢/٢).

(٦) آل فَضْل: هم سادة بادية الشام، وهم قبيلة طائية؛ فهم آل فضل بن ربيعة من عَقِب إياس بن قبيصة بن أبي فعر. انظر: علي بن أحمد بن حزم «جمهرة أنساب العرب» (٤٠٠). وعبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (٤٦/٤ ـ ٤٧). ومنهم آل فضل بن مهنَّا في (الجولان). انظر: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٩٦ ـ ٩٧). ويقول المؤرّخ إسماعيل بن كثير في «البداية والنهاية» (٣٨٠/١٨ ـ ٣٨١) في حوادث ٧٣٥هـ: «وفيها مات حسام الدين بن مهنَّا أمير العرب بالشام. وقد كان مهنَّا يُحبّ الشيخ تقي الدين بن تيمية حبّاً زائداً هو وذريَّته وعَرَبُه، وله عندهم منزلة وكرامة، يسمعون قوله ويمتثلونه، وهو الذي نهاهم أن يُغير بعضهم على بعض وعرَّفهم أنَّ ذلك حرام».

توسَّعوا في البرِّ، وهم بنو زياد[١] والجميلة[٢] . . .».

ثمَّ ذكر العمري عرب الخرج الموجودين في زمنه، فقال: «وعرب الخرج: وهم العقفان والبرحان[٣]، ومن بلادهم البريك[٤] والنعام[٥]، وهما قريتان في وادٍ منيع إذا حُصِّنَ مدخلُهُ بسورٍ كان أمنع بلاد الله».

---

(١) بنو زياد: قال الحسن الهمداني في «صفة جزيرة العرب» (٢٧٧) وهو يتحدَّث عن (شقراء) و(أشيقر): «ومِمَّا يعد في حوزها سواد باهلة، وأوَّله مِن مُشرقه بلد يقال له القويع يُعرف ببني زياد من باهلة». وقال جبر بن سيَّار في «نبذة في أنساب أهل نجد» (١٠١): «بنو زياد من بني تميم». وقال فهد الدامغ في بحثه «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٢٩): «ويوجد في منطقة حوطة بني تميم قرية تسمَّى زياد، يُرجَّح أنها قامت على أنقاض مستوطنة قديمة كان يسكنها بنو زياد بن العلا بن زياد من بني هزَّان مِن عنزة. ولا يستبعد أيضاً أنَّ بني زياد الذين أشار إليهم ابن فضل الله العُمري هم من بني زياد بن العلا من هزَّان».

(٢) الجميلة: من بني وايل، وهم من سكَّان (الهدَّار) في (الأفلاج) قديماً، وإليها يُنسَب آل صباح أمراء الكويت، من الأسر التي تنتسب إلى عنزة. انظر: جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد» (١٠١). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (١١٢).

(٣) رسمها ابن فضل الله العُمري بالعقفان والبرحان. بينما رسمها جبر بن سيَّار في «نبذة في أنساب أهل نجد» (ص: ١١٨): بالعطيان والرجبان، وقال: إنَّهم من بني حنظلة بن تميم. أمَّا عبدالله بن خميس فقد رسمها في كتابه «معجم اليمامة» (١/١٦٠): بالعنصان والسرحان.

(٤) بريك: تصغير (بِرْك)، قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣١٧/١) (٣٩٣/٤): أنَّ (بِركٌ) ماء لبني عقيل. وذكر ابن خميس في «معجم اليمامة» (١٥٠ ـ ١٥١) (١٦٠): أنَّ بُرَيْك وادٍ من أشهر الأودية التي تخترق (جبل العارض/ عارض اليمامة/ جبل طويق الآن).

(٥) نعام: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣٩٣/٤): أنَّ (نعام) وادٍ=

ثمَّ ذكر العُمري عرب عائذ، فقال: «عائذ بني سعيد[١]؛ دارهم من حَرْمَة[٢] إلى جلاجل[٣] والتويم[٤] ووادي القُرى[٥] الذي يُعرف

= باليمامة لبني هزَّان في أعلى (المجازة) من أرض (اليمامة). وذكر ابن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٤١٦ ـ ٤١٧): أنَّ (نعام) وادٍ من أكبر أودية (اليمامة)، يسيل مُشرِّقاً من أعلى قِمَم (العارض) غرباً.

(١) قال حمد بن لعبون في «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (ص: ٤١): «ورأيتُ نسبة لعائذ تقول فيها: عائذ بن سعيد بن زيد بن جندب بن جابر بن زيد بن الحارث بن بغيض بن شكيم». وقال حمد الجاسر في جمهرته (ص: ٤٩٣) بعد بحث طويل له: وأرجَح الأقوال وأصحها في نسب هذه القبيلة أنَّها من عَبيدة من جَنْب من قحطان على ما هو معروف بين الأسر التي تنتسب إليها. وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (١/٤٣٢): «وعائذ قبيلة ربعية كان لها شأنٌ وسلطةٌ وذِكْرٌ امتدَّ إلى زمنٍ قريب، ولا تزال باقي أسرهم في (الخرج) ذات شهرة ومكانة».

(٢) حَرْمَه: بلدٌ من بلدان (سدير)، وهي ملاصقة لبلد (المجمعة).عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٠٩).

(٣) جلاجل: بلدٌ مشهور من بلدان (سدير) يسمّونه أيضاً (وادي المياه)، كان قديماً لبني عوف بن مالك بن جندب من بني العنبر من تميم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٧٣) (٢٧٥).

(٤) التويم: من بلدان (سدير)، غُمِرَ ثمَّ عُمِرَ على يد آل أبي ربَّاع. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢١١ ـ ٢١٢).

(٥) وادي القرى: قال فهد الدامغ في بحثه «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ٣٠) في أثناء تعليقه على كلام ابن فضل الله العُمري: «لعلَّ المراد وادي الفقي (سدير) فهو من أكبر أودية المنطقة، ولكن اشتبه الأمر على الراوي لعدم معرفته بالمنطقة». وقد قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/٤٥٨): أنَّ (الفُقَيّ) منبر (الوشم). وقال أيضاً في (٣/٤٤٠ ـ ٤٤١): الفَوْءُ قرية باليمامة بها منبرٌ من أكبر منابر اليمامة، وأهلها بنو ضَبَّة بن أدّ وبنو العنبر بن عمرو بن تميم، وأنَّ بني العنبر نزلوها بعد مقتل مسيلمة. وقال عبدالله بن خميس في =

بالعارض ورُماح[١] والحَفْر[٢] . . .»[٣].

ثمَّ قال العُمري: «بنو يزيد[٤]: ودارهم مَلْهَم وبنيان[٥] وحَجْر[٦] ومنفوحة[٧] وصيَّاح[٨] ....

= «معجم اليمامة» (٢٥٦/٢): أنَّ (وادي الفُقَيّ) ينحدر من قمَّة (طويق) مِمَّا يلي (الحريق) وما حوله. وهم الآن يقولون عن هذا الوادي: (وادي سدير)، ولا يكاد (وادي الفُقَيّ) يذكر في هذا الوقت.

(١) رُمَاح: تقع على حافة (وادي الطوقي) الجنوبية، وهي ملتقى كثير من أودية (العرمة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٧٧/١).

(٢) الحفر: كان يسمَّى (حفر سعد) كما عند ياقوت الحموي في معجمه (١٦١/٢) الذي قال عنه: أنَّه بحذاء (العرمة) ووراء (الدهناء). وهو الآن يُسمَّى (حفر العتك) كما عند عبدالله الخميس في «معجم اليمامة» (٣٣٣/١ ـ ٣٣٤) الذي قال فيه: إنَّه يبعد عن (الرياض) ١٥٠ كلم شمالاً.

(٣) أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥٠) باختصار.

(٤) بنو يزيد/ آل يزيد: من بني حنيفة. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضرة» (٩٠٩).

(٥) بنيان: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣٩٥/١): هي قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد مناة بن تميم. وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (١٧٩/١): أنها اليوم قرية بها جمعة وجماعة، تبعد عن (الرياض) بحوالي ٥٠ كلم شمالاً، وتقع على ضِفَّةِ وادٍ يسمَّى باسمها.

(٦) حَجْر اليمامة: هي (الرياض) اليوم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٩٢/١ ـ ٣٠٥).

(٧) منفوحة: قرية مجاورة لـ (حَجْر اليمامة/ الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٩٧/٢ ـ ٤٠٠).

(٨) صِيَاح: في (وادي حنيفة)، واقعةٌ بين (باطن الرياض) وبين (منفوحة)، وهي من منازل بني يزيد من بني حنيفة في القرون المتأخِّرة بعد دولة بني الأخيضر.=

والبَرَّة[١] والعويند[٢] وجوّ[٣] . . .».

ثم قال: «المزايدة[٤]: دارُهم البَخراء[٥] وحَرْمة، وهي حَرْمَةٌ أخرى غير الذي تقدَّمَ ذكرها، وسِيحَة الدَبيل[٦] والحُلوة[٧] والهُزَيْم[٨]

= انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٨٣ ـ ٨٤).

(١) البَرَّة: قريةٌ بـ (قَرقَرى) قديمةٌ كانت ليحيى بن طالب الحنفي. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٥٩).

(٢) العُوَيْنِد: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٣/٣٦٤): قرية باليمامة لبني خُديج إخوة بني منقر. وقال: من مياه بني نمير. وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/١٩٣): يسكنها اليوم آل وُنَيَّان أسرة من الكُتَمَة من بني علي من حرب. وواديها ينحدر من (الصَّفْراء) التي تلب بجبل (طويق).

(٣) جوّ: قال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (١/٤٣٢): «وجوّ هنا هو جوّ السيباني بضرما، لا جوّ الخرج، فقد تقدَّم أنَّه لآل مزيد».

(٤) المزايدة من بني حنيفة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٨) (٣٧٦) (٤٣٢) (٢/١٧٩).

(٥) البَخْراء: في (اليمامة) تقع في (فَرْشَة نَسَاح) من (العَارِض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٧ ـ ١٣٨).

(٦) سيحة الدُّبَيْل/ سيح الدُّبُول: هي رملة ممتدَّة تبدأ من (عقيق عقيل) وتذهب مشملة إلى مقابلة (فوهة بِرْك)، وهناك تلتقي أودية (عِرض شِمام/ هو منطقة القويعية اليوم) الشرقية والجنوبية، وقد تلاشى (سيح الدُّبُول) واضمحلَّ ولم يبق إلَّا اسمه ومعالمه. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٦) (١/٣٥٠).

(٧) الحُلوة: هي البلدة الثانية في (حوطة بني تميم) بعد (الحِلَّة)، وأعلى بلدة في (وادي بُرَيْك). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٣٨).

(٨) الهَزيم: قال ياقوت الحموي في «معجم البلدان» (٤/٤٧٨ ـ ٤٧٩) بعد أن فتح هاءها ثمَّ ضمَّها: «الهُزَيْم: تصغير هزم؛ وهو المنخفض من الأرض: نخيل=

والبُريْك والنَّعام والخرْج»[١].

ومن خلال النصوص السابقة يتضِّح لنا **أنَّ حكم اليمامة أصبح مترنِّحاً بعد الأخيضريين، وأَضْحَت كثير من حلقات تاريخ اليمامة مفقودة قروناً متعاقبة لا نُحسّ لها بأثرٍ ولا نعثر على حقيقة؛ قروناً مظلمةً مجهولة التاريخ عمياء الأثر**[٢]، حتَّى نبلغ القرن الثامن الهجري **لمَّا زارها سنة ٧٣٢هـ الرحَّالة ابن بطوطة (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)**[٣] فقال: «سافرنا منها [من الأحساء] إلى مدينة اليمامة، وتُسمَّى أيضاً حَجْراً؛ مدينة حَسَنَة خصبة ذات أنهار وأشجار، يسكنها طوائف من العرب، أكثرهم من بني حنيفة، وهي بلدهم قديماً، وأميرهم طفيل بن غانم»[٤]. هكذا جاء ذكرها عند ابن بطُّوطَة بإيجاز ولم يخبرنا بأيِّ تفصيل.

= وقرى بأرض اليمامة لبني امرئ القيس التميميّين». وقال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٤٦١/٢): «نحن لا نعرف باليمامة الهزَيْم مفتوحاً أو مضموماً، وإذا كان من ديار امرئ القيس بن تميم، فهو من جنوب الوشم وما حوله».

(١) أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥١).

(٢) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٠٣/١). وفهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (ص: ١٩).

(٣) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي أبو عبدالله بن بطّوطة. مؤرّخ بلداني، رحَّالة اشتُهِر برحلته المعروفة بـ «تحفة النظَّار». انظر ترجمته عند: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة» (٤٨٠/٣ ـ ٤٨١).

(٤) محمد بن عبدالله المعروف بابن بطُّوطة «تحفة النُظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» (٢٨٧).

المقصود؛ **أنَّه بعد سقوط الدولة الأخيضرية في أواخر القرن الخامس الهجري لم يقم كيان إقليميّ منظَّم** ـ فيما نعلم ـ **يحكم بلاد اليمامة**، كما أنَّ حكم الدولة العباسيَّة لم يَعُد إلى اليمامة؛ لضعف الدولة ولانعزال اليمامة، ولعدم أهميَّتها لدى الدولة العباسيَّة في تلك الحقبة، وبهذا **أصبحت بلاد نجد كلَّها تعيش حالة من الاضطراب والفوضى السياسية والأمنية، وأصبحت الحال قريبة الشبه بما كان سائداً في العصر الجاهلي؛ فالصراع بين القوى القبلية المحلية دائم والنهب والسلب والقتل شائع، والجهل والفقر والخوف ضاربٌ أطنابه فيها**.

هذه صورةٌ عامَّة لحالةٍ ظلَّت سائدة في هذه المنطقة خلال هذه الحِقَبُ التي امتدَّت أكثر من ثلاثمئة وخمسين سنة؛ من أواخر القرن الخامس حتى منتصف القرن التاسع الهجري[(١)].

فانبثق من كلّ هذه الأحداث التي مرَّت على نجد ما يمكن تسميته **بعصر دويلات المدن النجدية**، أو **عصر الإمارات المستقلَّة في نجد**، وهو ما سيأتي عليه حديثنا في المبحث الآتي.



(١) انظر: فهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة» (٢٣ ـ ٢٤).

دويلات المدن النجدية
عصر الإمارات المستقلّة في نجد

إنَّ من يقرأ التواريخ النجدية التي أرَّخت للمنطقة في الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية الأولى وانتصارها لدعوة الشيخ سوف تَجبَهه قتامة الصورة للحياة البائسة هناك؛ **فقد كانت حياة يملؤها شَظَف العيش وشُحُّ مصادر الرزق والغلاء والموت جوعاً ومرضاً وتسودها الفوضى الأمنية والقتل والسلب والنهب والرعب والخوف والاستهانة بالدماء والتعدِّي على الأموال وتسلّط القوي على الضعيف،** حتى أصبح الفرد مستهدفاً في حياته وماله، **فليست هناك حكومة تحميه أو سلطة تردع المعتدي؛ لأن الحاضرة أضحت مُجَزَّأة إلى إمارات صغيرة، تحكم الإمارة قريةً أو أكثر، وكل إمارة غَدَت تتربص بأختها وتتحيَّن الفرصة للانقضاض عليها.**

ولسوف تَجْبَه قارئ تلك التواريخ النجدية حقيقة أخرى مرعبة؛ وهي أنَّ أهل تلك القرى أمسوا في عراك طويل الأمد وباتوا في مُرابَطَة دائمة وثأر لا ينقطع[١]، فقد ذهب في هذه المعارك والغارات أعدادٌ كبيرةٌ، حتَّى صار من غير المستغرب أَنْ تجد أنَّ الجدّ قد قُتِلَ

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك بعيد قليل.

في صراع، ويُقتَل في نفس هذا الصراع ابنه بعد عشرين عاماً، ثمَّ يُقتل حفيده بعد عشرين أخرى، وهكذا.

كما أنَّ الحاضرة النجدية معرَّضة لهجمات البدو وغاراتهم التي لا تقف عند حدّ السلب والنهب، بل يقتلون كل من يقف في طريق وصولهم إلى أهدافهم. والصراع بين القبائل على أشُدّه والغَلَبَة للأقوى، ومَن يُرِد الانتقال مِن بلد إلى آخر فإنّ حياته مهددة مِن قطّاع الطرق ومِن القبائل التي لها سلطة على المناطق التي يمرّ بها، وحتى حجاج بيت الله لم يسلموا من غائلة اعتداء القبائل[١].

وقد ذكر المؤرِّخ حسن بن جمال الرِّيكي[٢] عن نجد في تلك الحِقَب: بأنَّ «التعدي فيها معروفاً، وقد زاغت قلوب أهلها عن الوفاق»[٣]. ثمَّ قال: «**بلادُ نجد وقبائلها إذا فَلَت**[٤] لا ضابط لها محتوياً على الكلّ، ولا هناك رئيس قاهر يردع الظالم وينصر المظلوم، بل كان كلّ من الحكَّام حاكم بلده؛ مدينةً كانت أو قرية.

---

(١) انظر: مقدمة عبدالله الشبل على «تاريخ بن عبَّاد» (٨) (٤٢). ومقدمته على «تاريخ ابن ربيعة» (٣٩). ومقدمة عبد العزيز الخويطر على «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٢٢).

(٢) حسن بن جمال بن أحمد الرِّيكي: مؤلّف كتاب «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب»، من أهل (بندر ريق)، وهو من معاصري مؤرخي نجد: ابن لعبون وابن بشر والفاخري. انظر: عبدالله العثيمين في تقديمه لكتاب الرّيكي «لمع الشهاب» (٢٥)

(٣) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٦٧).

(٤) فَلَت: كلمة عاميَّة معناها: فوضى. من تعليق عبدالله العثيمين على المصدر السابق (٧٦).

وفي البدو كذلك طائفة منهم لها شيخ كبير يرجع أمرهم إليه»[١].

لذلك قال مؤرِّخ نجد الشيخ عثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) إنَّ أهل نجد قبل الدعوة وقبل قيام الدولة السعودية الأولى، قد «**كثر فيهم الجهل والضلال والظلم والجور والقتال**»[٢].

ويذكر ابن بشر أنَّ القتل والنهب والعداون انتشر بين أهل القرى والبلدان النجدية، ونخوة الجاهلية فاشية بين قبائل العربان، وأنَّ الناس يتقاتلون في وسط البيوت والأسواق، والحرب بينهم قائمةٌ على ساق، والأسفار متعذِّرةٌ بين بلد وبلد، حتَّى قامت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بمساعدةٍ من آل سعود في الدرعية[٣].

فإليك توصيف الحال السياسي في أشهر بلدات نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى وقبل ظهور دعوة الشيخ.

أوَلاً: إقليم العارض وبلداته المشهورة[٤]:

١ ـ الدرعية:

نسبةً إلى **الدروع**؛ وهم بطنٌ من بني حنيفة من وايل من

---

(١) المصدر نفسه (٧٦ ـ ٧٧).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧).

(٣) المصدر السابق (٢/٨).

(٤) أشهر بلدان (العارض) ما يلي: (الخرج) و(الحائر) و(الرياض) و(عَرقَة) و(الدرعية) و(العَودَة) و(العِلْب) و(المَلْقا) و(أبو الكِبَاش) و(العَمَّارية) و(الجُبَيْلَة) و(العُيَيْنَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٤٨ ـ ٣٤٩).

ربيعة[١] إمَّا نسبةً إليها ابتداءً وإمَّا منقولةً عن قريةٍ في الخَطِّ[٢] اسمها الدرعية[٣] قد بادَت، وكان يسكنها قومٌ من الدروع هناك فنُسِبَت إليهم، ولمَّا استوبؤوها وأنهكتهم حُمَّاها جاؤوا إلى بني عمّهم في وادي حنيفة[٤]: حَجْر والجِزْعَة[٥] وما فوق الرياض، وكان يرأسهم رئيس يقال له ابن درع، وكان يرأس الوافدين مانع بن ربيعة المريدي جدّ الأسرة السعودية[٦]. وكانت هذه الوفادة

(١) قاله حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٢٣١) (٨٠٣).

(٢) الخَطّ: اسمٌ يُطلَق على جميع القرى المجاورة لسِيف البحر مثل (القطيف) وما جاورها. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٦١٦/٢).

(٣) الدرعية المقصودة هنا هي التي في (الأحساء): وهي آبارٌ تقع في الشمال الشرقيّ من (بقيق) غرب (مطار الظهران). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٦٩٣/٢).

(٤) وادي حنيفة: في (اليمامة) في نجد، ينحدر من شبه هضبةٍ مُنداحَة هي قلب (العارض)، وذروته تتسامى فيها ذرا (طُوَيق) وقِمَمه، وتنطلق من خلالها روافد (وادي حنيفة). وينتظم على عدوتيه من البلدان (الخرج) و(الحائر) و(الرياض) و(عَرقَة) و(الدرعية) و(العَودَة) و(العِلْب) و(المَلْقا) و(أبو الكِبَاش) و(العَمَّارية) و(الجُبَيْلَة) و(العُيَيْنَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٤٨/١ ـ ٣٤٩).

(٥) الجِزْعَة: من جِزع الوادي؛ وهو جانبه وعدوته. وهذه شبه جزيرة ينقسم عنها (وادي حنيفة) قسمين: تحت (الرياض) جنوبه أسفل (المصانع)، وفوق (المنصورية). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٧١/١ ـ ٢٧٢).

(٦) فجدّهم الذي قامت في وقته الدولة السعودية الأولى هو: محمد بن سعود بن محمّد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع بن ربيعة المريدي. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٧٤٦) (٧٩٨).

فيما يُقدِّر المؤرّخون سنة ٨٥٠هـ/١٤٤٦م[١].

فأقطَعَهُ ابنُ عمِّهِ ابن درع منطقة المليبيد[٢] وغصيبة[٣] وما بينهما، أمَّا آل يزيد من بني حنيفة[٤] فكان لهم ما فوق هذه المنطقة من سَمْحَة[٥] إلى الوصيل[٦] والنَّعميَّة[٧] والجُبيلَة[٨] وما حول ذلك.

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١ ـ ٨٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٢٩٦).

(٢) المليبيد: منطقةٌ أسفل (الدرعية) مقابلة لمصبّ (وداي صَفَار) في (وادي حنيفة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٩٤).

(٣) غصيبة: حيٌّ معروف في (الدرعية) كانت سكناً خاصاً لآل مقرن دون بطون ذرية مانع المريدي الأخرى. ثمَّ أصبحت فيما بعد حيّاً لآل دغيثر الذين هم من آل يزيد من بني حنيفة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥).

(٤) آل يزيد: منهم آل دغيثر اليوم. انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١).

(٥) سَمْحَه: نخلٌ من أعلى (الدرعية) في (العَودَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٧).

(٦) الوَصيل: منطقة من (وادي حنيفة) تشمل (الدرعية) وملحقاتها، وله الآن مفهوم عند أهل هذه المنطقة خاص؛ وهو ما بين (الملقا) جنوباً، إلى (الجبيلة) شمالاً من هذا الوادي. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٤٤ ـ ٤٤٥).

(٧) النَّعَميَّة: بلدة في أعلى (الدرعية) كان يسكنها آل يزيد من بني حنيفة. يقول عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٤٢١).: «ولا أرى النَّعَميَّة إلَّا ما يسمَّى الآن بالعِلْب».

(٨) الجبيلة: بلدة تشرف على (وادي حنيفة) من الناحية الجنوبية، وعلى (عقرباء) من الناحية الشرقية الجنوبية. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٦٤).

أمَّا ما فوقه من الجبيلة إلى الأبَكَّيْن[١] إلى الشِعيب/حريملاء[٢] وما حولها فهو لابن طوق جدّ آل معمر[٣] من تميم[٤].

ولم يَزَلْ أبناء مانع المريدي وحَفَدَته يَنْمون ويزدادون قوةً ومَنَعةً وعدداً حتى سيطروا على هذه المنطقة وأصبحوا حكَّامها، ومن يومئذٍ قويتْ شوكتهم وامتدَّ نفوذهم وكان لهم شأن، وأصبحت الدرعية منافساً قويّاً في هذا الوادي[٥].

وبعد وفاة مانع المريدي استقلَّ بالحكم بعده ابنه ربيعة، وفي عهده وقعت حروبٌ ومناوشات نجم عنها ضمّ الوصيل إلى إمارته. ولم تَزَل هذه السلسلة تتوارث الإمارة في الدرعية إلى أن استقلَّ بإمارتها **محمد بن سعود بن محمد بن مقرن**، وكان الحكم قبلُ في ذريَّة وطبان[٦]، فَقَتَلَ محمد بن سعود عَمَّهُ مقرن الملقَّب (**فهَّاد**) ابن

---

(١) **الأبَكَّين: جبلان يمرُّ بينهما طريق (سدوس) و(العيينة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٥/١).**

(٢) **حُرَيمِلاء: من بلدان العارض. وهي شعيب تأخذ من (وادي قران) بلهزمته/ نسبة لهضبة لهزوم في قلب العارض، وتتصرف فيه سيلاً وفلاة وحمى. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٦/١ ـ ٣٢٢).**

(٣) **آل معمّر: من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥١/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٥). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٧٧٦).**

(٤) **انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١ ـ ٨٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩٦/٢ ـ ٢٩٧).**

(٥) **عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١٧/١).**

(٦) **آل وطبان: هم الذين أُجْلوا إلى (الكويت) ثمَّ رحلوا إلى (الزبير)، وهم: بنو=**

محمد بن مقرن[١] واستقلَّ بالحكم وأجلى آل وطبان من الدرعية[٢].

٢ ـ العُيَيْنَة:

وهي من بلدات العارض المهمَّة؛ كانت تُسمَّى **عيُيْن بني عامر** من بني حنيفة، قاله الحسن الهمداني[٣]، وكان سكَّانها من قبل القرن

= وطبان بن ربيعة بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، من المُرَدة، من وايل. انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٠). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٣). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٨٦٠). وأخبرني بذلك وليد بن عيسى بن يوسف الثاقب؛ مؤرِّخ أنساب أسرة آل ثاقب في الكويت، وقد وثَّق وليد الثاقب ذلك في شجرته التي رسمها لأسرته.

(١) قيام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بقتل عمِّه مقرن بن محمد له سبب: وهو أنَّ مقرن (الملقَّب بفهَّاد) لم يكن راضياً بما أقرَّه أخوه سعود من تعيين زيد بن مرخان بن وطبان على إمارة الدرعية وإعادتها إلى آل وطبان، فنشب خلاف بين الاثنين انتهى سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م بعقد صلح بين الطرفين، ثمَّ طلب مقرن بن محمد من زيد بن مرخان أن يزوره وهو ينوي الغدر بزيد، وكان زيدٌ خائفاً من هذه الزيارة، فطلب ضمان محمد بن سعود بن محمد بن مقرن وضمان مقرن بن عبدالله بن مقرن فوافقا على ذلك، وتمَّت الزيارة، وعندما استبانت بوادر الغدر من مقرن بن محمد بن مقرن بزيد بن مرخان، حمل على مقرن بن محمد الضامنان، فهرب مقرن بن محمد وألقى نفسه مع فرجة واختفى في بيت الخلاء، فأدركه محمد بن سعود ومقرن بن عبدالله وقتلاه، وردّوا زيداً مكانه. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٨/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٨). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣١) (١٨٤). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٣٩). ورواية من وليد بن عيسى بن يوسف الثاقب.

(٢) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٨).

(٣) في كتابه «صفة جزيرة العرب» (٢٥٤ ـ ٢٥٥).

التاسع الهجري وحتى منتصفه هم آل يزيد من بني حنيفة، ثمَّ باعوها بعد سنة ٨٥٠ هـ/١٤٤٦م لحسن بن طوق جدّ آل معمَّر[١] الذي انتقل إليها مع أولاده فحرثوها وعمروها، ولم يزل مالهم ينمو وأسرتهم تزداد حتَّى كان لهم شأنٌ كبيرٌ ومالٌ كثير[٢].

وناب العيينة ما ناب المنطقة من العداء بين إماراتها وأسرها **لانفراط حبل الأمن وانعدام القائد العام الرادع**؛ ففي سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م سار أحمد بن معمَّر رئيس العيينة وغزا روضة سدير[٣][٤].

ثمَّ تعرَّضت العيينة لغزوٍ من شريف مكة الشريف زيد بن محسن حين غزا العارض سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م وأخذ من أهل العيينة أموالاً كثيرة وثلاثمئة حمل طعام[٥].

وفي نفس السنة حصل التنافس على رياسة العيينة في بيت الحكم من أسرة آل معمَّر[٦]، واستمرَّ التنافس سنوات عديدات.

---

(١) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٢٩٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٩٩).

(٣) الروضة/ روضة سدير: وهي أعلى بلدة في (وادي الفُقَي). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٨٥).

(٤) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٠). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٢٢).

(٥) انظر: محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٥٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٢).

(٦) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٢). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٥٨).

وفي سنة ١٠٧٢هـ/١٦٦٢م سار عبدالله بن أحمد بن معمَّر رئيس العيينة وغزا أهل البير[١]، فسقط جدارٌ في بلد البير على جنود بن معمّر كانوا نائمين تحته فأهلك عدداً كثيراً منهم، فصالحهم ابن معمَّر وعاد إلى بلاده[٢].

وفي سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م غزا ابن معمَّر حريملاء ومعه سعود بن محمد بن مقرن رئيس الدرعية، فقتلوا من أهل حريملاء كثير عند الباب، وهي **سنة المحيرس**[٣]؛ **تصغير محرس: وهو مكان الحراسة**[٤].

وفي سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م وقع قتال بين أهل الدرعية وبين ابن معمَّر رئيس العيينة بسبب أخذه العمارية[٥][٦].

---

(١) البير: من بلدان (المِحْمَل) بين (ثادق) وبين (الصُّفُرَّات). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٩٢).

(٢) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٣). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٠ ـ ٦١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠ ـ ١٣١)..

(٣) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٩). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٨). ومحمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٦٥ ـ ٦٦). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠١).

(٤) من تعليق عبدالله الشبل على «تاريخ الفاخري» لمحمد الفاخري (ص: ١٠١).

(٥) العَمَّارِيَّة: هي أكبر روافد (وادي حنيفة) وأوسعها وأكثرها شِعاباً. وقرية (العَمَّارِيَّة) في (وادي العمارية) تبعد عن (الرياض) حوالي ٤٠ كلم إلى الشمال الغربي. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٨٠ ـ ١٨١).

(٦) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٠).

وفي سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م أغار سعدون بن محمد بن حميد آل عريعر هو وعبدالله بن معمَّر رئيس العيينة، أغاروا على اليمامة من منطقة الخرج[١] ونهبوا ما نهبوا، فصادفهم البجادي[٢] بخيله ورجله وأبعدهم عنها[٣].

وفي ١١٢٨هـ/١٧١٦م أغار ابن معمَّر على حريملاء وقتل منهم قتلى[٤].

وما حدث في العيينة يُبَيِّنُ لكَ حالها وحال بلدات نجد وما وقعت به من تنافرٍ وتشرذمٍ، وما قاسته من ضعفٍ أطمع بها أشراف مكّة في تلك الأزمان.

٣ ـ الرياض:

هي البلدة التي تقوم الآن على مكان مدينة حَجْر قاعدة اليمامة قروناً وأحقاباً، فبعد أنْ تقلَّصَ ظلّ النفوذ عن مدينة حَجْر حلَّ محلّها

---

(١) هذه (اليمامة) التي في (الخرج)، وهي غير (اليمامة) التي كانت تمثّل الإقليم قديماً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٧٤).

(٢) البجادي: من البَجَادا، من عائذ. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٣٣ ـ ٣٤).

(٣) محمد بن عباد «تاريخ ابن عباد» (٧٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١١٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٦١).

(٤) محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٧٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٦٢).

سلطة مُقْرِن ومعكال[١]، فتفرَّقَ أهل البلاد وذهب ريحهم فقام في هذين الحيَّين سلطتان متناحرتان قامت بينهما الحروب، وهي التي وصفها أحد الشعراء الشعبيين قائلاً:

يا ما حلا والشمس بادٍ شَعَقْها ضرب الهنادي بين مقرن ومعكال[٢]

وقد عانت معكال في تلك الأزمان من تسلّط القوى المحيطة بها؛ مثلما حصل في سنة ٩٨٦هـ/١٥٧٨م حينما سار من مكَّة الشريف حسن بن أبي نمي قاصداً نجد، فحاصر معكال ومعه من الجنود نحو خمسين ألفاً، وطال مقام الشريف فيها وقتل فيها رجالاً ونهب أموالاً وأسر منهم أناساً من رؤسائهم وأقاموا في حبسه سنة، ثمَّ أطلقهم على أنَّهم يعطونه كلّ سنةٍ ما يرضيه، وأمَّرَ فيهم محمد بن فضل[٣]، وعاد راجعاً إلى مكَّة[٤].

وهذا يوضِّح لك حال الضعف والفُرْقَة الذي كانت عليه بلدات نجد آنذاك، مِمَّا أطمع بهم أشراف مكَّة وغيرهم.

والحاصل؛ تغلَّبت مُقرِن على معكال في النهاية، وحكَّام مقرن

---

١) (مقرن) و(معكال) حَيَّان قديمان تابعان لـ (حَجْر/ الرياض اليوم). عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٩٤/١ ـ ٤٩٥).

٢) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٨٠/٢).

٣) بحسب تعليقات إبراهيم الخالدي على كتاب «تحفة المشتاق» لعبدالله البسام (ص: ٩١): أنَّ محمد بن فضل هذا هو من آل مغامس من آل غزي، أصله من آل فضل حكَّام البصرة.

٤) انظر: عبدالملك العصامي «سمط النجوم العوالي» (٣٧٧/٤ ـ ٣٧٨). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (ص: ٨٤) وقد جعلها الفاخري في سنة ٩٨٨هـ.

آنذاك آل زرعة[١]، وكان آخرهم زيد بن موسى آل زرعة[٢]، توفِّيَ مقتولاً سنة ١١٤٦هـ/١٧٣٣م[٣] وخلَّف طفلاً لا يقوى على تحمّل أعباء الإمارة، فكان بجانبه مولى لهم يدعى خميس أشرف على الإمارة ثلاث سنوات، وبعدها قُتِلَ واستقلَّ بالأمر دهام بن دوَّاس[٤] آل شعلان[٥] من أهل منفوحة، وكان خالاً للحاكم الصغير، مع أنَّ دهام جلوي عند زيد آل زرعة مطروداً من منفوحة[٦]، ثمَّ بعد ذلك طمع في الملك وطرد ولد زيد سنة ١١٥١هـ/١٧٣٨م وانفرد بالأمر

(١) آل زَرعة: من آل يزيد من حنيفة من وايل. انظر: جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد» (٩٩). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٣٠٨).

(٢) انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٩/١) (٣٣٦/٢).

(٣) قيل: إنَّ الذي قتله ابن عمٍّ له معتوه العقل، قاله: حسين بن غنَّام في تاريخه (٦٧٣/٢). وعثمان بن بشر في تاريخه (٤٩/١). بينما قال محمد الفاخري في تاريخه (ص١٢٨): أنَّ الذي قتلته قبيلة عنزة في مناخٍ بينهم.

(٤) دهام بن دوَّاس آل شعلان: حاكم الرياض. انظر أخباره عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٦٧٢/٢ ـ ٦٧٥). وحسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٨/١ ـ ٥٢).

(٥) آل شعلان: من الجلاليل من وايل. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرة في نجد» (٤١٢).

(٦) كان أبوه دوَّاس بن عبدالله بن شعلان رئيساً لـ (منفوحة) بالقهر منذ ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٢م، ولمَّا مات في سنة ١١٣٩هـ/ ١٧٢٧م تولَّى الإمارة ابنه محمد فقُتِلَ وأبعد أهل (منفوحة) إخوانه وكان منهم أخوه دهام، فنزلوا (الرياض) جْلُوِيَّة. انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٠) (١٢٥). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٩٧). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٩٨/٢).

ثلاثين سنة[١].

ودهام بن دوَّاس هذا ذا مِرَّةٍ وعَزم؛ نقل الإمارة من مقرن ومعكال وأعادها إلى مقرّها الأول في الرياض، وبنى بها قصره المعروف بقصر دهام[٢]، وأحاط المدينة بسورٍ قويٍّ منيعٍ عُرِفَ بسور دهام، وقد هدمه ابن رشيد سنة ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م[٣].

٤ ـ ضرما[٤]:

وهي من بلدات العارض المهمَّة، كانت تسمَّى قرما[٥]؛ وكانت من قرى امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم في اليمامة[٦]، ثمَّ إنَّه سكنها طائفةٌ من أبناء إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي جدّ الأسرة السعودية. وهذه الطائفة التي سكنت ضرما هم المعروفون بالشيوخ أبناء عبدالرحمٰن بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة[٧].

---

(١) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٢٨ ـ ١٢٩).

(٢) قام على أنقاض قصر دهام بن دوَّاس قصر المصمك اليوم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٩٣).

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٩٥).

(٤) ضرما: يحدّها من الشمال حدود (البَرَّة) وجال (طويق)، ومن الغرب رمل (قنيفذة/ الوَرِكَة سابقاً)، ومن الجنوب (المزاحميات) وتوابعها، ومن الشرق (جبل طويق). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٩٧).

(٥) قاله: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٩٢).

(٦) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤/٣٦).

(٧) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٦). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٠). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٩٣). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٤٢٨).

ثانياً: إقليم الشعيب[١]:

وقاعدة إقليم الشعيب هي بلدة حريملاء[٢]، نزلها آل أبي رباع[٣] سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م بعد أن اشتروها من حمد بن عبدالله بن معمر فعمروها واستوطنوها[٤]، وما ذكره المؤرّخون عن بدء عمران حريملاء لا يعدو إمَّا أن تكون قد قامت على أطلال عمران قبلها، وإمَّا أن يكون مكانها ذا شهرة لدى أهل وادي قُرَّان[٥] مِمَّا جعلهم يدوّنونه وينقل عنهم؛ فموضعها دمثٌ ليّن سهل

---

(١) الشعيب: وادٍ في منطقة (العارض) ينحدر من قمَّة (جبل طويق) مشرقاً. ومن بلدانه: (حريملاء) وهي قاعدته، و(القَرينَة) و(ملهم) و(سدوس) و(صلبوخ) و(غِيانة) و(البرَّة) و(الثرمانية) (والركبة) و(القرينة) و(العُوَيْنِد) و(حزوى). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٦/٢).

(٢) قد تُجعل (حريملاء) إقليماً قائماً بحدِّ ذاته يُطلق عليه أحياناً (شعيب حريملاء)، وأحياناً تُضاف إلى (العارض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٦/٢). وتعليقات عبدالله الشبل على «تاريخ الفاخري» (٢٦) (٨٩). وتعليقات الشبل أيضاً على «تاريخ ابن ربيعة» (٦٦).

(٣) آل أبو رَبَّاع: من آل حسني (الحسنة) من آل بشر من وايل. منهم: آل حمد وآل راشد وآل عدوان وآل مبارك وغيرهم. انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٩٣). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٥). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٢٦٧) (٨٥٦).

(٤) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٠/٢ ـ ٣٢١).

(٥) قُرَّان: هي (القَرِينَة) الآن، تتوسَّط (وادي الشعيب) أسفل من (حريملاء) وأعلى من (مَلْهَم)، يُسَمَّى هذا الوادي بعدَّة أسماء، فهو (وادي الشعيب) و(وادي قرَّان) و(أبو قتادة) و(وادي حريملاء) و(وادي مَلْهَم)، وبأيِّها سمَّيْته عُرِفَ. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٦٨/٢).

يكثر فيه شجر الحرمل فسمِّيَت به[١].

ومنذ عَمَرَت حريملاء عَدَا إليها العداء الذي يسود مناطق نجد وقبائلها وأسرها؛ ففي سنة ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م أغار العناقر[٢] على حريملاء ووقع بينهم قتال[٣].

وفي سنة ١٠٩٥هـ/١٦٨٤م أغار أهل حريملاء على ثرمداء ثأراً للغارة التي قام بها أهل ثرمداء عليهم وقتلهم حَشَّاشة أهل حريملاء[٤].

وفي سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م اتفق عبدالله بن معمَّر رئيس العيينة وسعود بن محمد بن مقرن رئيس الدرعية على مهاجمة حريملاء، فهاجموها وقتلوا من أهلها عدداً كبيراً، وهي سنة المحيرس[٥].

وفي سنة ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م أغار أهل حريملاء ومحمد بن مقرن رئيس الدرعية وزامل بن عثمان رئيس الخرج؛ أغاروا على سدوس[٦]

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٧/١).

(٢) العناقر: واحدهم عنقري، وهم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» (٥٨٣).

(٣) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٤/٢).

(٤) محمد الفاخري، المصدر السابق (١٠٠). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٥٦).

(٥) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٩). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٨). ومحمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٦٥ ـ ٦٦). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠١).

(٦) سَدُوس: قرية في أعلى (وادي وِتْر). وجُلّ سكّان (سدوس) هم آل معمر وهم أهله، وإمارته فيهم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٥/٢) (١٨).

وهدموا قصرها وخرَّبوا مساكنها[١].

وفي سنة ١١٢٣هـ/١٧١١م أخذ أهل حريملاء بلد ملهم[٢].

ثالثاً: إقليم الوشم وبلداته المشهورة[٣]:

١ ـ شقراء:

وهي قاعدة الوشم، ذكر ياقوت أنَّها لِعَدِيّ[٤]، ثمَّ صارت لآل مغيرة[٥] فاشتراها منهم علي بن عطية من بني زيد[٦]، فعمر علي بن عطية وأولاده بلد شقراء[٧].

---

(١) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٠). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٥ ـ ١٣٦).

(٢) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٦).

(٣) بلدات الوشم المشهورة أربع هي: (شقراء) و(أشيقر) و(ثرمداء) و(مراة). وهناك بلدات وقرى أخرى مثل: (أثيفية) و(القرائن) و(القرعة) و(القصب) و(الحُرَيِّق/ وهي غير حريق نعام) و(المَشاش) و(الصُّوح) و(الداهنة) و(الجُرَيفة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٤٢/٢).

(٤) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (١٤٩/٣). و(عدي): من الرِّباب، أبناء عبد مناة بن أدّ بن طابخة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٠٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٣٠).

(٥) آل مغيرة: من بني لام من طيِّء. انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٤٠). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٧٩١).

(٦) بنو زيد: قال حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٣١٤): بنو زيد أسر كثيرة في (شقراء) وفي (الشعرا) و(الدوادمي) و(القويعية) وقراها، وفي (السِّر). وهم ينتسبون إلى زيد بن نهد بن سويد، من قضاعة، من قحطان.

(٧) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٧/٢). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضّرة» (٣١٤ ـ ٣١٥).

٢ ـ ثرمداء:

من بلدات الوشم المشهورة، وسكانها قديماً هم من بني امرئ القيس بن زيد مناة من تميم[١]، وقالوا في وصفها بأنَّها من ديار بني نمير[٢] أو بني ظالم[٣]، وقد سادها في سنة ١٠٨٣هـ عبدالله بن إبراهيم العنقري الذي شاخ في ثرمداء سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م وتوفِّيَ سنة ١١٠٠هـ/١٦٨٩م فخلفه أخوه ريمان بن إبراهيم[٤].

٣ ـ أشيقر:

من البلدات المشهورة أيضاً في الوشم، التي كان يسكنها على رأس القرن السابع الهجري تقريباً قبيلتان: **وائليون وتميميون**، ثمَّ جلا **الوائليون** عنها وعمروا بلدة التويم، ولا يزال **التميميون** وهم **الوهبة**[٥] **يسكنون بلدة أشيقر**[٦].

---

(١) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٧٣).

(٢) بنو نمير بن عامر بن صَعصَعة. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٧٩).

(٣) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٩/٣). أمَّا بنو ظالم: فهم ولد أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن جندب بن يعمر بن حِلْس بن نفاثة بن عدي بن الدُّئِل. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (١٨٥).

(٤) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٣). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٢/٢) (٣٤٣).

(٥) الوهبة: هم بنو وُهيب بن قاسم بن مسعود، وهم من أكثر الأسر في نجد. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضرة» (٨٦٧).

(٦) انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضرة في نجد» (٨٥٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٨٢/١).

وشأن سائر بلدات نجد؛ تعرَّضت أشيقر قبل قيام الدولة السعودية الأولى إلى الكثير من الفتن والمنازعات بين أهلها أنفسهم، وبينهم وبين أهالي البلدات النجدية الأخرى، فكانت هذه البلدة الصغيرة من نجد مثال حي لما كان يقع من الحوادث المؤلمة بسبب اضطراب الأمن وعدم الولاية القوية الرادعة(١).

كما تعرَّضَت أشيقر لحملة من قِبَلِ مكَّة يقودها الشريف سعد بن زيد، حيث نزل أشيقر يوم ٢١ رمضان سنة ١١٠٧هـ/٢٤ أبريل ١٦٩٦م وحاصر أهلها، وطلب أن يخرج إليه الشيخ حسن أبا حسين والشيخ محمد القصيِّر(٢) فخرجا إليه فربطهم وحبسهم، وطلب الشريف من أهل البلد مطالب، وكان ذلك في رمضان والزروع قد استوت، فخاف أهل أشيقر أن يُتلِف الشريف زروعهم، فأفتى الشيخ أحمد بن محمد بن حسن القصيِّر(٣) **فَتْوَاه المشهورة لأهل أشيقر في الفطر في نهار رمضان، فأفطروا**، وصاروا يحصدون زرعهم بالنهار خشية أن يُتلِفه الشريف المحاصر لبلدهم، وأخذوا يماطلون الشريف حتى أحرزوا ثمرة زروعهم قبل أن يتمكَّن منه عدوّهم المحاصر لبلدتهم(٤).

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٨٣/١ ـ ٨٥).

(٢) ترجمة أبا حسين عند البسَّام في «علماء نجد» (٤٦/٢ ـ ٤٩). وترجمة القصيِّر عند البسَّام أيضاً في (٣٧٩/٦).

(٣) ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥١١/١ ـ ٥١٦).

(٤) انظر: محمد بن يوسف «تاريخ ابن يوسف» (١٠٦ ـ ١٠٨). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٦/٢). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (١٥٦). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٦٣).

٤ ـ مراة[١]:

وهي من أشهر قرى الوشم[٢]، وهي من قديم مسكنٌ لبني امرئ القيس بن زيد مناة من تميم[٣] وليس امرئ القيس بن حجر[٤]، وكان يتولَّاها في سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م راشد بن إبراهيم من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم[٥]، وفي سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م قُتِلَ راشد وتولَّى مكانه عبيكة بن جار الله من العناقر أيضاً[٦]، وفي سنة ١٠٩٦هـ/١٦٨٥م قُتِلَ عبيكة[٧]. وقد حدثت في مراة حوادث تجلّي لك ما كان سائداً في تلك الأوقات من المنازعات والمنافسات بين سادة

---

(١) مراة: والمتأخرون يكتبونها (مرات) وابن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٣٥٠) يرى فتح تائها خطأً. وقد قال ابن خميس في (٢/٣٥١ ـ ٣٥٢) عن موضعها: بأنَّها تحتلّ وملحقاتها جزءاً كبيراً من (الوشم). وهي واقعةٌ في فجٍّ من (صفراء الوشم)، غربيها (رمل الوَرِكَة/ قنيفذة الآن)، وشرقيها (رمل الرّغَام/ عريق البلدان الآن).

(٢) قاله: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» في تعليقه بهامش (ص: ٤٨٨).

(٣) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٧٣). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤/٢٤١).

(٤) نبَّه على ذلك: عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٣٥١).

(٥) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٣٢). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٥٢).

(٦) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٢٨). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٣٦).

(٧) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٨ ـ ٦٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠١). وعثمان بن بشر (٢/٣٣٩).

البلد الواحد وبين غيرهم من سادات البلدات المجاورة الأخرى في نجد[١].

رابعاً: إقليم سدير[٢] وبلداته المشهورة:

١ ـ المجمعة[٣].

وبلدة المجمعة هذه بُنِيَت سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م[٤]، وقيل بُنِيَت سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٧م[٥] على يد عبدالله الشمري[٦] فغرسها وحرثها وعَمَرَها[٧]. **وقد جرى على المجمعة ما جرى على سائر بلدان نجد في تلك الأزمان؛** منها ما حصل في سنة ١١٢٨هـ/١٧١٦م، عندما

---

(١) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٥٢).

(٢) سدير: من أكبر أقاليم (اليمامة) شماليها. ومن بلدان إقليم سدير: (المجمعة) و(الحُوطة) و(الروضة) و(جُلاجِل) و(التُّوَيْم) و(العَودَة) و(حَرْمَة) و(الغاط) و(عُشيرة) و(العَطَّار) و(الحصون) و(الحاير/ حاير سدير) و(تُمَير) و(المَعَشْبَة) و(الرويضة) و(الجنيفي) و(جُوَى) و(الجنوبية) و(الداخلة) و(الخِيس) و(معاوية) و(ظَلْماء) و(أُشَيْ). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٨ ـ ١٩).

(٣) المَجْمَعَة: هي قاعدة (سدير) كلّه. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٤٠).

(٤) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٩٩).

(٥) قال عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٢/٣٣٤): «حدَّثني أحد ثقات المجمعة أنَّه بُنِيَ سنة ٨٣٠هـ».

(٦) من بني آل ميبار من عَبْدَة من شمَّر. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣١٠) (٢/٣٣٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة في نجد» (٨٢٤).

(٧) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٣٤).

أغار أهل المجمعة على الفراهيد[١] في الزلفي[٢]. وغيرها من الحوادث.

٢ ـ التويم:

وهي من بلدان سدير؛ وقد سكنها من رحل من بلدة أشيقر مثل بني وائل ومدلج بن حسين وبنيه وعشيرته[٣] وآل أبو ربَّاع أهل حريملاء، فاستوطن أولئك بلد التويم، وكانت بلد التويم قبل ذلك قد استوطنها أناسٌ من عايذ بني سعيد بادية وحاضرة قبل نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ثمَّ إنَّهم جلوا عنها ودَمَرَت. ثمَّ عَمَرَه مدلج وبنوه وعشيرته، وذلك سنة ٧٠٠هـ/١٣٠١م تقريباً، ونزل آل حمد آل أبو ربَّاع في حلَّة، وآل مدلج في حلَّة من البلد[٤].

وليست التويم بمعزلٍ عما ناب بلدات نجد من المنازعات والمنافسات وتسلّط القوى المحيطة بنجد نتيجة انفراط عقد الأمن وانتفاء وجود القوة العامة التي تردع الفوضى والفُرْقَة؛ ومن ذلك ما جرى في سنة ١٠٤٥هـ/١٦٣٥م حين حصلت التنازعات في بلد التويم

(١) الفراهيد: من الأساعدة من الروقة من عتيبة. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٦٤٢).

(٢) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٨).

(٣) آل مدلج: أبناء مدلج بن حسين من الحسنة من المنابهة من بني وهب من بني وايل. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة» (٧٣٢).

(٤) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٩٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢١٢/١) (٣٠٩).

نفسها؛ التي أدَّت إلى خروج آل حمد وآل راشد منها واستيطانهم حريملاء[١].

وما جرى في سنة ١٠٦٣هـ/١٦٥٣م في الوَقْعَة بين أهل التويم وبين الشبول[٢] التي قُتِلَ فيها من أهل التويم عدد[٣].

وما حصل في ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م حين خرج من مكة الشريف زيد بن محسن إلى نجد ونزل بين التويم وجلاجل استعراضاً لسلطته وقوَّته[٤].

وما حدث في ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م من وقعة بين أهل جلاجل وأهل التويم قُتِل فيها رئيسا البلدين وغيرهم من القتلى من الطرفين[٥].

وما صار في ١١١١هـ/١٦٩٩م حين احتل أهل التويم بلد الحصون[٦]

---

(١) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٩).

(٢) راجع ما قاله حمد الجاسر عن الشبول في «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (ص: ٣٨٣). ولست أدري إن كانوا هم المعنيين بتلك الوقعة بينهم وبين أهل التويم.

(٣) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠).

(٤) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٣). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠).

(٥) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٢ ـ ١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٢/٢).

(٦) الحُصون: من بلدان (سدير) في (وادي الفقّي). عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٢٦/١ ـ ٣٢٧).

وطردوا سكّانه[١].

ثمَّ ما جرى من بعد سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م حين تنازع على بلد التويم أربعة أمراء كلٌّ منهم تأمَّر في ناحية، ومِنْ ثَمَّ **سُمِّيَت التويم بإمارة المربوعة**، وظلَّت الحال كذلك أكثر من سنة[٢].

وفي ذلك يقول **المؤرّخ عثمان بن بشر**: «قسَّموا البلد أربعاً؛ كلّ واحد شاخ في ربعها فسمّوا **المربوعة** أكثر من سنة، **وإنَّما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة، ولا تُعرَف الأشياء إلَّا بأضدادها**، فإنَّ هذه قرية ضعيفة الرجال والمال وصار فيها أربعة رجال كلّ منهم يدَّعي الولاية على ما هو فيه»[٣].

٣ ـ جلاجل:

كانت قديماً لبني عوف بن مالك بن جُندب من بني العنبر من تميم[٤][٥]، وقد أعيدت عمارتها في مكانها الآن وبوضعها عام

---

١) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٨). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤١ ـ ١٤٢).

٢) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٦٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١١٦).

٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٥٦ ـ ٣٥٧).

٤) بنو العَنبَر بن عمرو بن تميم. انظر: علي بن حزم «جمهرة الأنساب» (٢٠٨). ويقول حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (ص: ٥٨٦): أنَّ منهم اليوم آل عبهول وآل شقير والقعاسي وآل حسين وآل أبو حسين في (حوطة سدير)، ومنهم آل نحيط في (الحصون) وآل جمَّاز في (الجنوبية)، ومن هم في شرقيّ القصيم وشماله.

٥) انظر: الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٥١) (٢٦٢).

٧٠٠هـ/١٣٠١م[١].

وقد تعرَّضت جلاجل لزحفٍ عليها مِن قِبَلِ شريف مكة زيد بن محسن سنة ١٠٦٩هـ/١٦٥٩م[٢].

وفي سنة ١٠٨٤هـ/١٦٧٣م وقع قتال بين أهل جلاجل وأهل التويم قُتِلَ فيه رئيس بلد التويم ورئيس بلد جلاجل[٣].

وفي سنة ١١١٧هـ/١٧٠٥م حدثت مناوشات بين أهل جلاجل وبعض أهل سدير من جهة، وأهل روضة سدير من جهة أخرى، قُتِلَ فيها رئيس جلاجل وأخوه[٤].

وفي سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٣م احتلَّ رئيس بلد جلاجل روضة سدير ودمَّر أحياءها الثلاثة[٥].

وفي سنة ١١٤٢هـ/١٧٣٠م حارب أهل جلاجل رئيس بلد التويم

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٧٣).

(٢) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٣). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٠). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٠).

(٣) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٣٢ ـ ١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٣٢).

(٤) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٦١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٤).

(٥) انظر: محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨٤). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٩ ـ ١٥٠).

فهرب منها[١].

٤ ـ حَرْمَة:

كانت ماءةً من مياه بني الرِّبَاب[٢]، ثمَّ استوطنتها عائذ بنو سعيد[٣] وهجروها فيما بعد، ثمَّ إنَّها عُمِرَت سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٩م[٤]، والذي عَمرَها إبراهيم بن حسين بن مدلج الوائلي بعد أن انتقل إليها من بلدة التويم، وكان بها طلولٌ وحصونٌ معطَّلة بعد بني عائذ من بني سعيد، فأعاد بناءَها وغَرَسَها بالنخيل والأشجار، وتبعه بنوه وبعض بني عمّه فتكاثروا فيها[٥].

٥ ـ الروضة/ روضة سدير:

بلدة من أكبر وأشهر بلدان سدير وأقدمها، عَمَرَ منزلتها آل أبو

محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٨٨). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٤).

(٢) الرِّبَاب: فهم تيمٌ وعديٌّ وعوفٌ والأشيب وثورُ أطحل؛ بنو عبد مناة بن أُدّ بن طابخة، سُمُّوا بالرِّباب لأنَّ تيماً وعَديّاً وثوراً وعوفاً وأشيبَ وضبَّة بن أُدّ غَمسوا أيديهم في رُبٍّ فتحالفوا على بني عمّهم تميم بن مرّ. انظر: علي بن أحمد بن حزم «جمهرة أنساب العرب» (١٩٨). والحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٥٤) (٢٥٦).

(٣) أحمد بن فضل الله العُمري «مسلك الأبصار» (١٥٠).

(٤) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٩٩).

(٥) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٩٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٠ ـ ٣١). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٠٩/١) (٣٣٤).

راجح سنة ١٠٧٦هـ/١٦٦٥م[١]، وأمراؤها منذ زمن بعيد حتى الآن هم **آل ماضي؛ أسرةٌ تميمية كريمة**[٢]**، وقد جاء جدّهم واشترى روضة سدير وسكنها وذريّته**[٣].

وقد ناب الروضة ما ناب باقي بلدات نجد من التنافس والتنازع وطمع القوى المحيطة بنجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى؛ ففي سنة ١٠٥٢هـ/١٦٤٢م أغار حمد بن عبدالله بن معمَّر رئيس بلد العيينة على سدير وأخرج رميزان بن غشام التميمي[٤] رئيس روضة سدير[٥].

وفي سنة ١٠٥٧هـ/١٦٤٧م خرج الشريف زيد بن محسن من مكة إلى نجد ونزل روضة سدير وقتل أميرها ماضي بن محمد بن ثاري وأجلى آل أبي راجح منها، **وفعل الشريف بأهل الروضة أفعالاً استنكرها المؤرخون**[٦].

---

(١) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٨/٢).

(٢) آل ماضي: من آل أبو راجح من المزاريع من بني عمرو بن تميم. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٧٠٧ ـ ٧٠٨).

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٨٦/١).

(٤) من آل أبو سعيد من المزاريع من آل حماد من بني عمرو من تميم. انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرة» (٣٥٤).

(٥) أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٤٠). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٥٦). ومحمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٥٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٢/٢).

(٦) انظر: إبراهيم بن عيسى وعبدالله بن محمد البسَّام «مجموع في التاريخ النجدي» (٤٥).

ثمَّ في سنة ١١٠٧هـ/١٦٩٦م خرج من مكة الشريف سعد بن زيد قاصداً نجد ونزل روضة سدير وسجن ماضي بن جاسر رئيس الروضة[١]، وقيل إنَّ تلك الحادثة وقعت سنة ١١٠٩هـ/١٦٩٧م[٢] وقيل في سنة ١١١٠هـ/١٦٩٨م[٣].

ثم حصلت أحداث وحروب ومقاتلات بين أهل الروضة وبلدات أخرى في نجد[٤].

خامساً: إقليم المِحْمَل[٥]:

وقاعدته بلدة ثادق[٦] التي عُمِرَت سنة ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م، عَمَرَها

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٦٢).

(٢) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥٧). ومحمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٨/٢). وهذا التوقيت هو الأرجح.

(٣) محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٧١).

(٤) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٨٦/١ ـ ٤٨٧).

(٥) المِحْمَل: إقليم في نجد عند (العارض)، قاعدته (ثادق)، ومن بلدانه: (البير) و(الصُفُرَّات) و(رَغْبَة) و(مَشاش المراطيب) و(الحِسي) و(دقلة) و(حُلَيْفَة) و(البويردة) و(سُرَيْويل). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٤٤/٢).

(٦) ثادق: قاعدة إقليم (المحمل)، تقع في حضن (طويق) في (اللهزوم) منه، وغربيها هضبة (الغُرَابَة) و(البكرات)، وشماليها (العتك) الأعلى، وجنوبيها (وادي عُبيْثِران). عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٢٣/١ ـ ٢٢٤).

آل عوسجة[١] من الدواسر[٢] وغرسوها[٣].

وقد حصل فيها ما حصل في بلدات نجد الأخرى بسبب انفراط حبل الأمن وانعدام القيادة العامة الرادعة؛ ففي سنة ١١٠٤هـ/١٦٩٣م وقعت الحرب بين أهل ثادق وأهل رغبة[٤] بالرغم من أنَّهما بلدتان متجاورتان[٥].

وفي السنة التي تليها وقعت الحرب بين أهل ثادق وأهل البير قُتِلَ فيها أناس[٦].

---

(١) آل عوسجة: العواشز من البدارين من الدواسر. انظر: جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد» (٨٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٥٩٣ ـ ٥٩٤).

(٢) الدواسر: واحدهم دوسري، من قبائل الجزيرة المشهورة. قال حمد الجاسر في «معجم قبائل المملكة» (٢٣٧): وهم فرعان: ١ ـ آل دوسر بن تغلب. ٢ ـ آل زايد. ثمَّ فصَّل الجاسر كثيراً في بيان نسبهم وأسرهم وما تفرَّع عنهم في كتابه هذا، وفي كتابه الآخر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (ص: ٢٣٧ ـ ٢٤٢).

(٣) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٩/٢).

(٤) رغبة: إحدى بلدان (المحمل) مِمَّا يلي (الوشم). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٧١/١ ـ ٤٧٢).

(٥) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٥/٢). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (١٥٣). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٢٢/١).

(٦) محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٥/٢).

سادساً: إقليم الزُّلْفي[١]:

وبلدته المشهورة هي الزلفي، وكانت تسمى زُلْفَة، وهي من ديار عدي الرِّبَاب من تميم[٢]، وكان أمير الزُّلُفي تلك الأوقات هو محدث العَمْري التميمي من بني عمرو بن تميم[٣].

وقد وقعت في الزلفي أحداثٌ نجمت عن انعدام الأمن وخلوّ الساحة النجدية من قيادة عامّة رادعة؛ ففي ١٠٩٨هـ/١٦٨٧م سطا آل مُحَدَث[٤] على الفراهيد في الزلفي وقُتِلَ منهم فوزان بن زامل الذي يظهر أنَّه من آل مدلج، إذ الفراهيد هم الذين أخرجوا آل مُدلِج من الزلفي وملكوه سنة ١١١٣هـ/١٧٠١م، وكان آل مدلج قد أخذوا الزلفي بالقوة من الفراهيد، فاستعاده الفراهيد هذه السنة وأخرجوهم منه واستولوا عليه[٥].

---

(١) الزلفي: إقليم في جنوب (رمل الثويرات)، شمال (الغاط). ومن بلدان هذا الإقليم: (سمنان) و(الحيطان) و(عريعرة) و(السيح) و(الروضة) و(اللغف) و(الجردة) و(أميهة الذيب) و(العقدة) و(البلاد) و(علقة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٥٣١/١).

(٢) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٦٢).

(٣) حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرة» (٧٢٣).

(٤) آل مُحَدَث: من بني العنبر من بني عمرو من تميم، وهم ذرية أمير الزلفي محدث العَمْري التميمي. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٧٢٣).

(٥) انظر: أحمد المنقور «تاريخ الشيخ أحمد المنقور» (٥١). محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧٧). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٠٣) (١١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥١/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٥٨) (٦٥ ـ ٦٦). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/ ٥٣٠).

سابعاً: إقليم وادي نعام/أو: حريق نعام[١]:

في وادي نعام، وأشهر بلدانه بلدة الحريق[٢]، بناها وغرسها **رشيد بن مسعود بن سعيد بن سعيدان بن فاضل الهزاني الجلاسي الوائلي**[٣]، وتداوله ذريَّتُه من بَعدِهِ، ويُعرفون بآل حمد بن رشيد، وكثروا وقويت شوكتهم وكبُرَ شأنهم. وكان هذا الوادي قبلُ للقَوَاوِدَة[٤]، فأخذه الهزازنة منهم سنة ١٠٤٠هـ/١٦٣٠م، فتركوا بلدة نعام تحت نفوذهم واختاروا السكنى في الحريق فبعثوه وسكنوه[٥].

ولا ننسَى أنَّ عمارة الهزازنة للحريق وأخذهم أيَّاها، أنَّ هذا لم يكن أوَّل نزولهم في هذه المنطقة، بل كانوا أهلها من قبل، ومنذ العهد الجاهلي، ولكنَّ الدنيا دول وإقبالٌ وإدبارٌ، ويوماً لقوم وغداً لآخرين، فهم قد استعادوا نفوذهم وسكناهم بها لأنَّهم نزلوها ابتداءً

---

(١) من أشهر بلدان هذا الإقليم: (الحريق) وهي قاعدته، و(الحلوة) و(نعام البلد) و(الحوطة/ حوطة بني تميم) و(المُفَيْجِر). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١٦/٢ ـ ٤١٩).

(٢) الحريق: بلدةٌ في أعلى (وادي نعام). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٢/١).

(٣) الهزازنة: نسبةٌ إلى هزان بن صُباح ابن عَتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٨٨٩).

(٤) القَوَاوِدَةُ: من سُبَيْع، في (نعام) و(الحريق) قديماً. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٦٨٠).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣١٩/٢ ـ ٣٢٠). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٥).

من هذه السنين المتأخرة[١].

ثامناً: إقليم الخرج[٢]:

وقاعدة إقليم الخرج قديماً هي الدّلَم[٣]، وهي كبرى مدنها، ويبدو أنَّه بعد زوال حكم بني الأخيضر في اليمامة ودمار عاصمتهم الخضرمة ساعَدَ ما تحمل النفوس عليهم من حقدٍ وضغينةٍ - لقاءَ ظلمهم وعسفهم - على إبادة الخضرمة وإخفاء معالمها، فتحوَّلت سلطةُ الحكم في الخرج إلى الدّلَم[٤]، ودليل ذلك أنَّ ابن فضل الله العُمري (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٩م) أهمل ذكر الخضرمة وذكر الخرج[٥]، وهو فيما يبدو يقصد الخرج القاعدة التي هي الدّلَم لا الخرج المنطقة[٦].

---

(١) انظر: الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٢٨). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣٩٣/٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٨٩١). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٥/١) (٤٢٠/٢).

(٢) من أشهر مدن هذا الإقليم: (السَّيْح) وهو قاعدة الخرج كما يقول ابن خميس، و(الدُّلَمْ). ومن أشهر قراه: (السُّلَمِيَّة) و(اليمامة) و(نعجان) و(الهياثم) و(المُحَمَّدي) و(الضُّبَيْعَة) و(السَّهْباء) و(العِذار) و(العَيْن) و(الخَفْس) و(الخُرَيْدي) و(البِدع) و(الإرتوازات) و(الوسيطي) و(الهواشله) و(زُمَيْقَة) و(فرزان) و(المصارير) و(ماوان) و(المحطة) و(الفَرْشَة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٧٣/١).

(٣) الدّلَم: هي اليوم مدينة كبيرة عامرة، تبعد عن (الرياض) ١٠٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣٦/١).

(٤) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣١/١).

(٥) انظر: أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥١).

(٦) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣٢/١).

وتفيدنا المصادر أنَّ بني حنيفة استطاعوا أن يستأنفوا شيئاً من نفوذهم في المنطقة بعد زوال حكم بني الأخيضر على يد القرامطة، وهو ما أخبرنا به ابن فضل الله العُمري الذي عاش في القرن الثامن الهجري: من أنَّ بني يزيد وبني مزيد من بني حنيفة كانوا يسيطرون على أجزاءٍ من منطقة اليمامة، وذكر العُمري من مناطق نفوذهم منطقة الخرج[١]، وهو ما أشار إليه الشاعر الشعبي جعيثن اليزيدي[٢] الذي عاش في القرن العاشر الهجري بقوله:

ونجد رعى ربعي زاهي فلاتها ... على الرغم من سادات لام وخالد
وسادات حَجْر من يزيد ومزيد ... قد اقتادهم قود الفلا بالقلايد[٣].

وليس لدينا حقيقةٌ عن الفترة التي انتهى فيها نفوذ بني حنيفة في الخرج، إلَّا أنَّه في أواخر القرن الحادي عشر بدأت تفيدنا المصادر عن نفوذٍ جديدٍ بدأ في الخرج لقبيلة عائذ، فكان لها شأنٌ وسلطة امتدَّ إلى زمنٍ قريب، فقد خلفوا بني حنيفة على حكم الخرج[٤].

وقد تعرَضت الخرج في تلك الأزمان لتسلّط أصحاب القوى المحيطة بنجد؛ ومن ذلك ما حدث في سنة ٩٨٩هـ/١٥٨١م يوم سار من مكَّة الشريف حسن بن أبي نمي إلى نجد في جيش كثيف ومدافع

(١) انظر: أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٥١).

(٢) جعيثن اليزيدي من بني حنيفة وهو من سكَّان (الجزعة) في (وادي حنيفة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٧٢/١) (٣٧٦).

(٣) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٤٠). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٧٢/١) (٣٧٦) (٤٣٢).

(٤) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٣٢/١ ـ ٤٣٣).

نجد، فأخذ مدناً وحصوناً في الخرج والسلمية[١] واليمامة[٢] والبَدِيع[٣] ومواضع في شوامخ الجبال، وقويت شوكته هناك، فعيَّنَ من رؤسائه من ضبطها على أمورٍ اقترحها وعاد راجعاً[٤].

وفي سنة ١٠٩٩هـ/١٦٨٨م خرج محمد بن غرير آل حميد الخالدي رئيس الأحساء والقطيف ونزل الخرج وحصل بينه وبين آل عثمان رؤساء الخرج[٥] قتالٌ شديد، ثمَّ صالحوه ورجع عنهم[٦].

كما أنَّه في سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م أغار سعدون بن محمد بن حميد من آل غرير رئيس الأحساء والقطيف وعبدالله بن معمَّر رئيس بلد العيينة، أغارا على اليمامة من بلد الخرج، ونهبوا منازلهم، فظهر عليهم البجادي بالخيل[٧].

---

(١) السلمية: إحدى بلدان (الخرج) الشرقية، على مقربةٍ من مدينة (الخضرمة) قاعدة (الخرج) قديماً، ويعتبر آل عفيصان من قبيلة عائذ رؤساء لبلدة (السلمية) منذ القِدَم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٩).

(٢) (اليمامة) المقصودة هنا هي التي في (الخرج). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٧٥).

(٣) البَدِيع: في (الأفلاج)، وقديماً تسمى (المَذارِع). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٩).

(٤) عبدالملك العصامي «سمط النجوم العوالي» (٤/٣٧٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٥).

(٥) آل عثمان: من عائذ من عَبيدَة من قحطان. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٥١٥).

(٦) محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٧١). وحمد بن لعبون «تاريخ بن لعبون» (١٣٧).

(٧) محمد بن عبَّاد «تاريخ ابن عبَّاد» (٧٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٤٧).

تاسعاً: إقليم الأفلاج[١]:

وهو في الجزء الجنوبي من اليمامة، مشهورٌ بعيونه الجارية وبحيراته وخصبه، وقاعدة الإقليم بلدة لَيْلَى[٢].

ذكر ياقوت الحموي أنَّ الأفلاج قديماً كان يسكنه قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وكان أكثر نخيله لبني جعدة بن كعب وبني قشير وبني الحُريش بنو كعب[٣].

وذكر الأصفهاني بأنَّ الأفلاج بلاد بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وفي ذلك قال شاعرهم أبو الأزهر الجعدي من بني كعب:

نحن بنو جعدةَ أصحابُ الفَلَجْ نحن مَنعنا بَطنَه حيثُ انعرَجْ
نضرب بالسيف ونرجو بالفَرَجْ[٤].

وفي أزمان الفوضى وانفراط عقد الأمن مرَّ أحد الرحَّالة على الأفلاج فوصفها ووصف أهلها قائلاً: «**وهي مقسَّمةٌ بين حزبين بينهما خصومةٌ وعداوةٌ دائمةٌ. والسكَّان هناك فقراء جداً وبؤساء، ومع فقرهم**

---

(١) الأفلاج: أحد أقاليم نجد، من بلدانها: (البَدِيعان) الجنوبي والشمالي، و(الحَمَر) و(الخَرْفَة) و(الروضة) و(الستارة) و(السيحان) الجنوبي والشمالي، و(الصغو) و(الهدَّار) و(مُشرِفة)، وغيرها. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٩٥ ـ ٩٦).

(٢) لَيْلَى: تبعد عن (الرياض) نحواً من ٣٦٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣١٨ ـ ٣٢٠).

(٣) ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣/٤٤٢).

(٤) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٢٢١ ـ ٢٢٢).

بينهم كلّ يوم في حربٍ واعتداءٍ وسفكِ دماء. والناس جياعٌ عراةٌ وجهلاء، ويلتزمون حمل الترس والسيف إذا ذهبوا للصلاة، ولا يشترون الكتب»[١].

هكذا كانت حالة الأفلاج في تلك الأزمان، واستمرَّت هذه الفوضى وهذا الانفلات الأمني قروناً حتَّى تفيَّأت في ظلال حكم الدولة السعودية الأولى كما سيأتي بيانه في الفصل الخامس.

عاشراً: إقليم القصيم وبلداته المشهورة.

١ ـ بريدة[٢].

وهي قاعدة القصيم ومن بلداته المشهورة، وقد عُمِرَت سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م[٣] وقيل ٩٥٨هـ/١٥٥١م[٤]، على يد أمرائها آل أبى عليان من العناقر[٥] الذين هجروا بلد ثرمداء في الحروب التي وقعت

---

١) ناصر خسرو «سفر نامة» (١٥٦ ـ ١٥٧) باختصار.

٢) بريدة: في الطرف الشمالي من القصيم العليا. انظر: حافظ وهبة «جزيرة العرب في القرن العشرين» (٦١).

٣) انظر تعليق حمد الجاسر على كتاب «تاريخ بعض الحوادث الواقعة» لابن عيسى (ص: ٤١).

٤) إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٩٥). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٣٠).

٥) آل أبى العليَّان: يرجعون إلى الحسن منهم من العناقر من بني سعد بن زيد مناة بن تميم. انظر: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٣١) (٩٥). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٥٦٨ ـ ٥٦٩). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤٨٢/٢).

بين العناقر في ثرمداء وبلد مراة لطلب الرئاسة[١]، أو ربَّما كانت الهجرة تخلُّصاً مِمَّا كان يصيب بلدان الوشم ومنها ثرمداء التي يقلّ ماؤها إذا ما تأخَّر المطر، بخلاف بلاد القصيم التي مياهها أعدَادٌ لا تتأثَّر بتأخُّرِ السَّيْل[٢].

وكان رئيس آل أبى عليَّان إذ ذاك راشد الدريبي، وكانت بريدة يومها ـ على قول المؤرّخ ابن عيسى ـ ماءً **لآل هذَّال** المعروفين من شيوخ عنزة، فاشتراها منه راشد المذكور وعَمَرَها وسكنها ومن معه من عشيرته، وذلك في سنة ٩٥٨هـ/١٥٥١م[٣].

في حين يرى محمد بن ناصر العبودي[٤]: «أنَّ بريدة لم تكن مجرَّد ماءٍ لابن هذال باعه على راشد الدريبي في آخر القرن العاشر الهجري، وإنَّما كان مكانها وما حوله معموراً مأهولاً قبل ذلك التاريخ، وأنَّ الدريبي وجماعته جاؤوا إليها وسكنوها مع من كانوا يسكنونها، كما كان يأتي إليها غيرهم ويسكنونها، ولكنَّ الجهل الذي كان غالباً على الناس في العصور المظلمة التي امتدَّت من القرن الرابع حتى القرن العاشر هو الذي عمَّى على الناس أمرها، وجعلهم يجهلون ابتداء العمارة فيها كما جهلوا أشياء أخرى هامَّة من نواحي تاريخهم»[٥].

---

(١) إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٩٥).

(٢) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤٧٩/٢).

(٣) إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٩٥).

(٤) محمد بن ناصر العبودي المؤرّخ البلداني والرحالة الشهير. من أهل القصيم.

(٥) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤٨١/٢).

واستدلَّ العبودي على ذلك قائلاً: «إنَّ قبيلة عنزة لم يكن لها كبير النفوذ في تلك الفترة في القصيم، أيّ في القرن العاشر الهجري، وإنَّما النفوذ العظيم كان لقبيلة بني لام». ثمَّ قال العبودي في نفس الموضع: «وهذا شيءٌ معروفٌ ومقرَّرٌ عند المؤرِّخين»[١].

٢ ـ عنيزة[٢]:

هي المدينة الثانية من حيث الأهمية في القصيم[٣]، وقد تأسَّسَت في أواخر القرن السابع الهجري، وأوَّل ما أُسِّسَ منها قسمها الشمالي المعروف باسم الجناح[٤] وهو اسم لقبيلة نزلته وتنتهي إلى الجبور من بني خالد[٥] القبيلة المعروفة[٦].

وفي ذلك يقول صاحب قصيدة العنيزية:

ولمَّا أتى القرن الذي هو سابع   لهجرة خير الخلق والنظراءِ

---

(١) المصدر السابق (٤٧٦/٢).

(٢) عنيزة: تبعد عن (بريدة) نحو ١٢ ميلاً. حافظ وهبة «جزيرة العرب» (٦٢).

(٣) انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٣٨/٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٦٤٦/٤).

(٥) الجبور: واحدهم جبري؛ في (الأحساء) ونواحيه، ثمَّ في (نجد) وفي (القصيم) وفي (العِرْض) وفي (الوشم). ويُعَدُّ من فروع الجبور: آل مقدام وبنو نهد والبيوتات (آل بيوت) والعماير وآل صبيح والدعم وآل جناح، وكلّ هؤلاء يشملهم اسم بني خالد. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٩٢ ـ ٩٣).

(٦) عبدالعزيز القاضي «العنيزية» (١٧١).

تأسّس مبناها وكان شمالها لآل جناح أوّل المترائي[١].

ويقول الشيخ محمد بن ناصر العبودي: أنَّ إمارة عنيزة لم تخرج عن أولاد مؤسّسها الأول: زهري بن جراح من العتايقة أحد فخوذ بني ثور من قبيلة سبيع[٢].

وكبقية بلدان نجد انقسمت عنيزة إلى أقسام أربعة من حيث النفوذ؛ وهي: الجناح والعقيلية[٣] والمليحة[٤] والجادّة[٥]، فكان ذلك الانقسام سبباً في التنافس والتنازع فيما بينهم[٦]، ثم كان سبباً في تسلّط القوى المحيطة بإقليم نجد؛ ففي سنة ١٠٩٧هـ/١٦٨٦م خرج

---

(١) المصدر السابق (١٧٧).

(٢) محمد بن ناصر العبودي «معج بلاد القصيم» (١٦٥١/٤).

(٣) العقيلية: هي محلَّة لم تزل معروفة في البلد، وأهلها آل أبو غنَّام الذين من ذرِّيَّتهم آل يحيى الصالح وآل بكر. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٤٧/٤).

(٤) المليحة: هي محلَّةٌ لم تزل معروفة بهذا الاسم، وأهلها آل معمر من الفضل الجراح وآل زامل وكلّهم من سبيع. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٤٧/٤).

(٥) الجادة: محلة لم تزل معروفة بهذا الاسم، وأهلها الشختة المعروفون بالمشاعيب وهم أبناء عم آل معمر. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٤٧/٤).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٤/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٦٣) (٦٧) (٧٢). ومقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود» (٦٥) (٧١) (٧٣). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٦٥٣/٤).

شريف مكة مع جنود عددها خمسمئة رجل، ونزل عنيزة وأوقع في أهل العقيلية وأعمل القسوة ونكَّل بهم[١]، وكما يقول المؤرِّخ إبراهيم بن عيسى (ت: ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)[٢]: «ظهر الشريف أحمد بن زيد بن محسن إلى نجد ونزل بلد عنيزة وفضّى العقيلية وهدمها، **وفعل بهم من القُبحِ والفساد ما لا يعلمه إلَّا الله**»[٣].

٣ ـ الرس[٤]:

وهي من بلدان القصيم الشهيرة، وهي المدينة الثالثة في القصيم مكانة بعد بريدة وعنيزة[٥]، **كانت ماءً لبني منقذ بن أعيا من بني أسد قديماً**[٦]، وخرب الرَّسّ برحيلهم إلى العراق، وبعد ذلك كان أوَّل من سكنه **آل صقيه من بني تميم**[٧] **في جلوتهم من أشيقر في حدود المِئة**

---

(١) أحمد المنقور «تاريخ أحمد المنقور» (٥٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٩/٢) وهو يجعلها في سنة ١٠٩٦هـ. وانظر: عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (١٤١). وعبدالعزيز القاضي «العنيزية» (١٧١).

(٢) انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣١٨/١ ـ ٣٣١).

(٣) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٥٦).

(٤) الرَّسّ: على بعد ٥٠ ميلاً من (بريدة) في الجنوب الغربي منها. انظر: حافظ وهبة «جزيرة العرب» (٦٢).

(٥) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٠٢٣/٣).

(٦) الحسن الأصفهاني «بلاد العرب» (٣٧). وياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤٠٢/٢).

(٧) آل صقيه: من آل بسَّام بن عساكر بن بسَّام، من الوُهَبَةِ، من بني تميم. انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٦١). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٤٤٤).

التاسعة/القرن الخامس عشر الميلادي[١]، ثمَّ باعوه على ذرِّيَّة محمد بن علي بن حدجة العجمي[٢]، الذي كان قد أقام في عنيزة أوَّل الأمر، وبعد أن وُلِدَ له عِدَّة أولاد وكبروا، خرجوا من عنيزة واشترى أبناؤه الرَّسّ من آل صقيه كما تقدَّم، وأصبحوا أهل الرَّسّ وأمراءَهُ حتى الآن، وكان انتقالهم للرَّسّ وعمارتهم له في القرن العاشر للهجرة[٣].



المقصود؛ أنَّ هذه التواريخ النجدية المدونة تعطيك صورة صادقة للحالة التي كانت عليها نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى ومناصرتها لدعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أنَّها تمنحك فكرة عن مدى تفكُّك المجتمع؛ الذي وَجَدَ في الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد فيما بعد مُنقذاً له من دوَّامةٍ كان يجري في فلكها، دونما معرفة منه بطريق الخلاص منها؛ دوامةٌ كانت تطحنه عسكرياً وخُلقياً ونفسياً وفكرياً، فتردَّى إلى مستوى يضاهي مستوى الجاهلية[٤].

---

(١) حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (٤٤٥).

(٢) هو من قبيلة العجمان، من فخذ آل محفوظ، وذريَّته آل محمَّد وآل شارخ. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (١٤٨ ـ ١٤٩) (٤٤٥).

(٣) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٠٢٦/٣). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة» (١٤٩) (٤٤٥).

(٤) انظر: مقدمة عبدالله الشبل لـ «تاريخ بن عبَّاد» (٨) (٤٢). ومقدمته أيضاً لـ «تاريخ ابن ربيعة» (٣٩). وانظر مقدمة عبد العزيز الخويطر لـ «تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور» (٢٢).

لذلك قال أحد المؤرخين البلدانيين: هذا هو «**الحال في البلدان الصغيرة في نجد التي كان يغلب على سكّانها الجهل، شأن أكثر البلدان النجدية قبل دعوة الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب** رَحِمَهُ اللهُ»[١].

ويصف لنا ناصر خسرو[٢] في رحلته حال بقاع نجد ومحيطها قائلاً: «**ظَلَلْتُ أتحول مِن قومٍ إلى قوم، وأجد في كلّ مكانٍ خطراً وخوفاً**»[٣].

ويصف أحد الكتَّاب تلك الأحوال فيقول: «**وكان العرب في ذلك العصر الذي وُلِدَت فيه هذه الحركة[٤] في حالةٍ من التأخّر والبؤس والجهل والضعف ليس وراءها مزيد لمستزيد، متفرقين متحاربين جاهلين مغلوبين، رجعوا إلى حالة الفوضى والجهل والفقر، إن لم يكن شرّاً من الجاهلية الأولى قبل بعثة الرسول ﷺ، فليست دونها، وقد استطابوا هم تلك الحالة المزرية وقنعوا بها واستمرؤوا ما يجدونه فيها من الفوضى والهمجية، ولعلَّهم أصبحوا لا يدرون أنَّ**

(١) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤٦٩/٢) باختصار.

(٢) ناصر خسرو علوي: عاصر الدولة الأخيضرية، وقد زار بلادهم في اليمامة ما بين سنة ٤٤٢هـ/١٠٥٠م ـ ٤٤٤هـ/١٠٥٢م. انظر: مقدمة محقق كتابه «سفر نامة».

(٣) ناصر خسرو «سفر نامة» (١٥٥).

(٤) ليست حركة، بل دعوة مباركة قائمةٌ على عقيدة ومنهاجِ السلف الصالح منذ عهد النبوة والخلفاء الراشدين والقرون المفضَّلة. وَلِيَ تَحَفُّظ على إطلاق مفردة «حركة» على الدعوة؛ فالحركة يتبعها السكون كما في قوانين الحركة، والدعوة لا تقف ولا تسكن، قد تهدأ أحياناً ولكنها لا تقف ولا تنتهي.

هناك ما هو خير ممَّا هم فيه»[(١)].

وللمؤرخ العراقي عباس العزَّاوي (ت: ١٣٩١هـ/١٩٧١م)[(٢)] وصفٌ جيد لحال نجد قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقيام الدولة السعودية الأولى، يقول فيه: «**كانت نجد قبائل متفرّقة وإمارات صغيرة، نستطيع أن نقول: كلّ بلدةٍ مستقلة بإدارتها وإمارتها كما أنَّ كلّ عشيرة منفصلة عن غيرها، ولا تكاد توجد إمارة عشائرية متكوّنة من قبائل عديدة تستطيع أن تؤسس إمارة ذات شأن وسيادة على جزيرة العرب، ومن ثَمَّ نرى الفوضى ضاربة أطنابها؛ فالأمن مفقود، والسلب والنهب من أعظم وسائل ارتزاق الآهلين ومدار عيشتهم، حتَّى قيَّض الله لنجد دعوةً قويةً وفاضل حريص على التمسك بالشرع، هو محمد بن عبدالوهاب، ومناصرة من حاكم قرية** [هو ابن سعود]»[(٣)].

وما أدقّ وَصف المؤرِّخ البلداني محمد بن ناصر العبودي لأزمان النزاعات بين أهالي البلدان والقرى النجدية قبل أن تأتلف في ظلِّ الدولة السعودية الأولى، حيث يقول: «**أزمان الفوضى والانحطاط قبل قيام حكم آل سعود الأماجد**»[(٤)].

لذلك يذكِّرنا **المؤرِّخ النجدي عثمان بن بشر** بنعمة الله في قيام دولة آل سعود وإنهائهم لتلك الفوضى العارمة في نجد، فقال ما نصّه:

---

(١) عبدالله القصيمي «الثورة الوهابية» (٢١).

(٢) عباس محمد العزَّاوي: مؤرّخٌ ومحامٍ وأديب عراقي. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/٢٦٦).

(٣) عباس العزَّاوي «عشائر العراق» (١/٢٨٤ ـ ٢٨٥) بتصرّف يسير.

(٤) محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢/٥٠٢).

«وبالجملة فمحاسن هؤلاء [آل سعود] الأمجاد وفضائلهم ومحامدهم التي ملأت أقطار البلاد وأزال الله بأولهم[1] الجهل عن الناس وبآخرهم[2] الظلم والجور والبغي والفتن؛ لو جُمِعَت لبلغت أسفاراً من الكتب ولرأيت العجب العجاب، وكفى لفضلهم ما تقدَّمَ قبل زمنهم وآخرهم من المنكرات وترك الجمع والجماعات، فبذلوا جهدهم وجِدَّهُم في زوالها حتى انطمست معالمها»[3].

وينبِّهنا ابن بشر أيضاً عن حجم الانقلاب الكبير الذي حصل في جزيرة العرب من فوضى عارمة امتدَّت قروناً طويلة، إلى أمنٍ مستتب الأطراف؛ بفضل الله الذي هيَّأ قيام مملكة ابن سعود؛ فَأَرِخْ سَمْعَكَ لتنبيه ابن بشر الذي قال فيه: «وهذا الأمر [يعني الأمن] في هذه المملكة [مملكة ابن سعود] شيءٌ وَضَعَهُ الله تعالى في قلوب العباد من البادي والحاضر في كلِّ ما احتوت عليه هذه المملكة، مع الرعب العظيم في قلوب من عادى أهلها، ولم يُوجَد هذا الأمن إلَّا في زمن عمر بن الخطَّاب ﷺ»[4].

ويخبرنا ابن بشر أنَّ العِلَّة في ذلك؛ هو الحزم الذي هيَّأه الله على يدِ الأئمة من آل سعود، فإنَّه بعد قيام دولتهم زالت الفوضى الأمنية، فأصبح «الحُجَّاج والقوافل وجُباة الزكاة والأخماس وجميع

---

(١) يقصد بأولهم الإمام محمد بن سعود وابنه الإمام عبدالعزيز وحفيده الإمام سعود.

(٢) يقصد بآخرهم الإمام تركي وابنه الإمام فيصل.

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦١/١) باختصار.

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٠/١) باختصار.

أهل الأسفار يأتون من البصرة وعُمان وبلدان العَجَم والعراق وغير ذلك إلى الدرعية، ويَحُجُّونَ ويَرجِعونَ إلى أوطانهم لا يخشون أحداً من البوادي لا بحربٍ ولا سَرْقٍ، وليس يُؤخَذُ منهم شيءٌ من الإخوَات [الإتاوات] والقوانين. يَخرُجُ الراكب وَحده من اليمن وتهامة الحجاز والبصرة والبحرين وعُمان ونُقرَة الشام لا يحمل سلاحاً، بل سلاحه عصاه، لا يخشى كيد عدوّ ولا أحداً يريده بسوء.

وأخبرني(١) أنَّه ظَهَرَ مع عُمَّال من حلب الشام قاصدين الدرعية، وهم أهل سِتّ نجائب مُحمَّلات ريالات زَكَوَات بوادي أهل الشام، فإذا جَنَّهُم الليل وأرادوا النوم نَبَذوا رواحلهم ودراهمهم يميناً وشمالاً إلَّا ما يجعلونه وسائد تحت رؤوسِهِم.

وكان بعض العمَّال إذا جاء بالأخماس والزَّكَوَات من أقاصي البلاد يجعلون مزاود الدراهم أطناباً لخيمتهم بالليل لا يخشونَ سارقاً ولا غيره.

وكان في الدرعية راعية إبل كثيرة؛ وهي ضَوَالُّ الإبل التي توجد ضائعة في البَرِّ والمفازات جَمْعاً وفُرادى، فمن وجدها من بادٍ أو حاضرٍ في جميع أقطار الجزيرة أتى بها إلى الدرعية خوفاً أنْ تُعرَف عندهم، ثمَّ تُجعل مع تلك الإبل تُسقى وتُطعَم، فكانت تتوالد وتتناسل وهي محفوظة، فكلُّ من ضاعَ له شيءٌ من الإبل من جميع البادي والحاضر أتى إلى تلك الإبل، فإذا عَرَفَ ما لَهُ؛ أتى بشاهدين أو شاهدٍ ويَمِينه، ثمَّ يأخذه»(٢).

---

(١) الكلام لابن بشر.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦٩/١ ـ ٣٧٠) باختصار.

هذه حقائق تاريخية لا ينكرها أحد؛ وما عليك إلا مراجعة تلك التواريخ النجدية وغيرها من تواريخ تلك الفترة السابقة واللاحقة لقيام الدولة وظهور الدعوة، لتتأكد من صدق ما أوردناه من أخبار.

وَبَعْدُ. أصبح لزاماً الآن البحث في حال الدول والكيانات السياسية التي أحاطت بنجد في تلك الأزمان، والتي قبعت فيه أكثر سداتها ومناطقها تحت هيمنة حكم **الاحتلال التركي العثماني**، الذي ما استطاع أن يُخضِعَ نجد وأهلها تحت حكمه وهيمنته، وهو ما تسبره المباحث الآتية.



الاحتلال التركي للبلاد والمناطق العربية المحيطة بإقليم نجد

*** تنبيهٌ تاريخيٌّ مُهم حول مصطلح «الاحتلال التركي العثماني»:**

قد يتمعّر البعض من استخدام مُسَمَّى **«الاحتلال»** ولا يرتضيه اصطلاحاً يصف به وقوع البلاد العربية تحت هيمنة الأتراك العثمانيين؛ وما ذلك إلَّا لأنَّ بحثهم قَصرَ عن إدامة النظر في المصادر المعاصرة لبدايات حوادث اقتحام العساكر العثمانية للبلاد العربية، ولِغَضِّ المُتَمَعِّرينَ طَرفَهُم عن روايات شهود العيان الذين عاينوا وقائع تلك الأزمان، يُضاف إليه أنَّ بعض الدراسات التاريخية في العقود الأخيرة وقعت أسيرةً لتأثير سموم الأقلام الحزبية التي تطفَّلت على التاريخ لِتُجَيِّرَه لصالح ما يُرَوِّجه **«العثمانيون الجُدُد»**(١) من أباطيل كَثُرَت في الآونة الأخيرة أكثر من أيِّ فترةٍ سابقة.

---

(١) حول «العثمانيون الجُدُد» انظر: بسمة عبداللطيف «العثمانية الجديدة في ضوء التطورات الإقليمية الراهنة»، مجلة شؤون تركية، العدد١ ، صيف ٢٠١٥م، (ص: ١٢٨ ـ ١٢٩) (ص: ١٣٢ ـ ١٣٥).

والحقّ أنَّ تواجد الترك العثمانيين في البلاد العربية ما هو إلا احتلال من الناحية التاريخية والسياسية والإنسانية؛ ففعلهم بالبلاد العربية يوم اقتحموها هو عينُهُ فعل المحتل الغازي الذي لم يَكُنْ له من الهَمِّ سوى التوسع السياسي في تلك البلاد، ثم استباحتهم لها بسلب ثروات أهلها ونهب خيراتهم واحتلال بيوتهم وأراضيهم وطرد ساكنيها منها لتحتلها العساكر التركية/**التتارية**[١] **ومن أتى معهم من بني جنسهم من المغول**[٢] **وأعاجم آخرين من أهل الأناضول.**

وقد كتب **العلامة حمد الجاسر** (ت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)[٣] كلمة نفيسة فيها بُعد نظر لقراءة التاريخ وفهمه، قال فيها: «**إنَّ قيام الدولة العثمانية بإرسال الحملات لإخضاع الجزيرة لحكمها يعتبر أول غزو خارجي منظّم، وبصرف النظر عن غاياته وأهدافه، إلا أنه أولى**

---

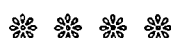
(١) قال قطب الدين النهروالي في كتابه «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام» (٢٦٤): «أنَّ الترك العثمانيين أصلهم من التركمان الرحَّالة النزَّالة من طائفة التتار». ونقل ذلك عن النهروالي المؤرخ محمد أمين المُحبّي في «خلاصة الأثر» (٢٤/١). وللمؤرّخ والأديب محمد كرد علي في كتابه «المذكرات» (١٥٩/١) نَظَرٌ معتبر قال فيه: «الترك فرعٌ من التتار، معروفٌ أصلهم معرفةً أكيدة لا تقبل المجادلة».

(٢) حول توثيق أنَّهم من المغول، انظر: تعليقات شكيب أرسلان على «حاضر العالم الإسلامي» للوثورب ستودارد الأمريكي (١٥٨/١ ـ ١٥٩) (١٦٤)، (١١٠/٤ ـ ١١١) (١١٤) (١١٦ ـ ١١٧). وانظر: هـ. آرمسترونج «الذئب الأغبر مصطفى كمال» (ص٧).

(٣) حمد الجاسر: مؤرِّخٌ جغرافي سعودي. انظر ترجمته عند: نزار أباظة وزميله «إتمام الأعلام» (١٣١ ـ ١٣٢).

المحاولات للسيطرة الخارجية على تلك البلاد والقضاء على استقلالها»[(١)].

ويقول البحّاثة المُحقِّق محمد حامد الفقي (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)[(٢)]: «**وما كانت الدولة العثمانية إلا نكبة على الإسلام والمسلمين**؛ لأنها لم تكن في وقتٍ من أوقاتها تعمل على تدعيم بناء الصرح الإسلامي ولا على تقوية الوشيجة بين المسلمين، بل ما كانت تعمل إلا لإرضاء نعرات سلاطينها وزعمائها وقضاء مآربهم من الرياسة والشهوات، **وما كانت توسّعاتها لأجل نشر الإسلام وتعميم نوره في البلاد التي تمدّدوا فيها**، وإلا لبَقِيَ لذلك آثارٌ خالدةٌ كبقية آثارِ الفتوح الإسلامية الأخرى؛ **إنما كانت حروبها في أغلب الأحوال للملك والرياسة فقط**»[(٣)].



* البحث في الاحتلال التركي لبعض أقاليم الجزيرة العربية ومحيطها:

معلومٌ أنَّ احتلال الأتراك العثمانيين للبلاد العربية بدأ أوّل ما

---

(١) مقدمة الشيخ حمد الجاسر لكتاب «البرق اليماني في الفتح العثماني» (ص٧) من تأليف: قطب الدين النهروالي.

(٢) محمد حامد الفقي: مصريٌّ من أهل الإصلاح. انظر ترجمته في: «مجلة الهدي النبوي» رجب وشعبان ١٣٧٨هـ، عدد (٧ ـ ٨)، مجلد: ٢٣. وشهر رمضان ١٣٧٨هـ.

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمران في جزيرة العرب وغيرها» (٢٢).

بدأ مع اقتحام السلطان العثماني سليم الأول (ت: ٩٢٦هـ/١٥٢٠م)(١) وعساكره العثمانية التركية لبلاد سورية في شعبان ٩٢٢هـ/سبتمبر ١٥١٦م، حيث جاست خلال الديار السورية تلك الجنود المرتزقة المُكَوَّنةُ من أخلاط الناس.

وبعد أن انبثَّت تلك العساكر في دمشق «**ظنَّ أهلها أن السماء انطبقت على الأرض**»(٢) لمَّا فعل الأتراك بأهل دمشق الأفاعيل، وهو ما ذكره شاهد عيان؛ يقول: «وهجمت العساكر عليها [على دمشق] وعلى ضواحيها للسكنى بها، فأُخرِجَت أناس كثيرة من بيوتها ورُمِيَت حوائجهم ومؤنهم وطرح جمع من النساء الحبالى، وبعضهم سكن الجوامع والمدارس بحريمهم، وأُخرِجتُ من بيتي ورُمِيَت كتبي، ولم يوقّروا أحداً، لا صغيراً ولا كبيراً ولا أهل القرآن ولا أهل العلم»(٣).

كما هجمت عساكر الترك على الصالحية(٤) وجميع الحارات خارج دمشق، «**فكسروا أبواب بيوتها وحواصلها ودكاكينها وغير ذلك، وذهبت أموال الناس وأسبابهم ولم يسلم منهم إلَّا من أعماه الله عنهم، وعرّوا النساء فضلاً عن الرجال، وكانت النساء قد اجتمعت بجامع الحنابلة ومدرسة أبي عمرو والصوَّابية ونحو ذلك فهجموا**

(١) السلطان العثماني سليم خان الأول: انظر ترجمته عند: عبدالحيّ العكري الشهير بابن العماد «شذرات الذهب» (١٠/١٩٨ ـ ٢٠٠). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) محمد بن طولون «مفاكهة الخلان» (٣٣٩).

(٣) المصدر السابق (٣٤٢) باختصار.

(٤) الصالحية: شمال غربي (دمشق). انظر: يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٢/٨١٢).

عليهم وعرُّوهم، وأخذوا بعض نساءٍ وجوارٍ وعبيد وبعض صبيان، وارتجف الناس رجفةً عظيمة، وعُدَّت هذه الكائنة على دمشق مثل كائنة [تيمور] لنك، بل كيوم القيامة»(١).

ولا غرابة في ذلك فإنَّ هذا السلطان العثماني سليم الأول «**كان شديد البطش سفَّاكاً للدماء طائش السيف**»(٢)، «**كثير السفك عظيم الفتك**»(٣)؛ **فإنَّه يوم تسلطن قتلَ أخوه أحمد خنقاً، ثمَّ قتل أخوه قرقود خنقاً، ثم قتل أخوه محمود وأولاده خنقاً، ثمَّ قَتَلَ من أهل بيته سبعة عشر نفراً**(٤).

ولمَّا احتلَّ سليم دمشق حصل على الناس شدّة لم تقع لأهل دمشق وضواحيها قطّ، حتَّى أنَّ بعض العلماء هناك تَمَنَّوا الموت لِمَا رأوه من قبيح فعلات الترك وفسادهم ومفاسدهم، فهذا أبو الفضل عليّ بن محمد المقدسي الشافعي (ت: ٩٣٤هـ/١٥٢٧م)(٥)، تمنَّى الموت لفتنةٍ حصلت في الدين يوم احتلَّت الدولة العثمانية دمشق **وفرضت الضرائب على فروج البغايا والمومسات**، وكان يقول: «أيّ

---

(١) محمد بن طولون «مفاكهة الخلّان» الجزء الثاني المسمَّى «تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني» (١٢٤ ـ ١٢٦). وقريب من شهادة ابن طولون جاءت شهادة شاهد عيان آخر وهو: أحمد ابن الحمصي في كتابه «حوادث الزمان» (٥٤٤).

(٢) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٥).

(٣) محمد الشلّي «السناء الباهر» (١٨٣).

(٤) انظر: مرعي الكرمي الحنبلي «نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين» (١٧٣ ـ ١٧٤).

(٥) ترجمته عند: نجم الدين محمد الغزّي «الكواكب السائرة» (٢/١٩٠ ـ ١٩١).

فتنةٍ أعظم من ذلك»[١].

ومن بعد احتلال السلطان سليم وعساكره لسوريا، ساروا إلى غزَّة فأعملوا بأهلها القتل والنهب وسبي النساء وقتل الأطفال[٢].

ثمَّ سار بعساكره إلى مصر واحتلَّها وفعل بأهلها الأفاعيل الشنيعة، كان ذلك في ذي الحجة ٩٢٢هـ/يناير ١٥١٧م[٣]، فإنَّه يوم اقترب من القاهرة وتجهَّز لمحاربة السلطان المملوكي المصري الأشرف طومان باي[٤] في الريدانية[٥]، دبّ الخوف بأهل القاهرة، وصار تجَّارها ينقلون أمتعتهم وأموالهم من بعض الدكاكين التي في الأسواق ويدخلون بها في الأماكن المنسيَّة حتى يسلم، وما سلِمَ فيما بعد، ثمَّ صار غالب الناس يتحوَّلون من أطراف المدينة ويدخلون القاهرة ليعتصموا بها، ونَقَلَ أعيان الناس قماشهم إلى التُّرَب وإلى المدارس والزوايا والمزارات وإلى بيوت العوام التي في الأرباع لعله يسلم، وما سَلِمَ فيما بعد[٦].

وبعد أن هُزِمَ طومان باي على يد السلطان العثماني سليم،

---

(١) المصدر السابق (٢/١٩١).

(٢) محمد بن إياس «بدائع الزهور في وقائع الدهور» (٥/١٣٣ ـ ١٣٤).

(٣) المصدر السابق (٥/١٤٦ ـ ١٤٧).

(٤) السلطان الأشرف طومان باي: آخر سلاطين المماليك الجراكسة على مصر. انظر ترجمته عند: محمد الشلّي «السناء الباهر» (١٦٩ ـ ١٧٠).

(٥) الريدانية: قرب (القاهرة)، يقال لها اليوم (العباسية) نسبةٌ إلى الخديوي عبَّاس باشا. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/٦٤).

(٦) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (٥/١٣٩).

اقتحم سليم بعساكره التركية مدينة القاهرة في منصرم ذي الحجة ٩٢٢هـ/يناير ١٥١٧م، **فصارت العساكر العثمانية تنهب بيوت الناس بحجَّة أنَّهم يفتّشون على المماليك الجراكسة، فاستمرَّ النهب والهجم عمَّالاً على البيوت ثلاثة أيَّام متوالية وهم ينهبون القماش والخيول والبغال والجمال والحمير، فمَا أبقوا من ذلك مُمكناً. وكان السلطان العثماني ينادي بالأمان في القاهرة كلّ يوم، والنهب والقتل عمَّال من جماعته**[١].

ثمَّ توجهت عساكر الترك إلى مشهد السيدة نفيسة فدخلوا إلى ضريحها وداسوا قبرها وأخذوا قناديلها الفضَّة والشمع وبُسط الزاوية وقتلوا من في المشهد[٢].

ثمَّ تحوَّلوا إلى جامع شيخو وأحرقوه وقتلوا من فيه وأحرقوا ما حوله من البيوت. وبعدها توجَّهوا إلى جامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع ابن طولون يقتلون من التجأ إليها، **وصارت الجثث مرمية في شوارع القاهرة تنهشها الكلاب**[٣].

ولم يكتفوا بذلك؛ بل ذهبوا **إلى مزارع الفلاحين وطفقوا يسرقون دَجَاجَهُم وَإِوَزَّهُم وأَغنَامَهُم ومحاصيلَهُم، ثم انبثُوا يقتلعون أبواب بيوتهم وخشب السقوف، ثمَّ صاروا يخطفون العمائم ويعرّون الناس في الأماكن المفردة من بَعدِ العِشاء**[٤].

(١) انظر: المصدر السابق (١٤٧/٥ ـ ١٥٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه (١٥٤/٥).

(٣) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (١٥٥/٥ ـ ١٥٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٦٤/٥).

ثمَّ «قاموا بخطف النساء والأولاد الأحرار وباعوهم كما تباع الرقيق، فصارت الناس مِمَّن كان في قلبه رحمة يشترونهم ويعتقونهم»(١).

ثمَّ هجموا على القلعة وفكّوا عواميدها وسرقوها وأرسلوها إلى إسطنبول ليبنوا بها مدرسة!!!، ومن بَعدُ هجموا على قصور الأمراء ودورهم وبيوت الناس وبعض البيوت الموقوفة فيقتلعون رخام قاعاتها، ثمَّ تسلَّطوا على المدرسة المحمودية والمؤيَّديَّة والصرغتمشية فنهبوا ما فيها من الكتب والأثاث(٢).

ثمَّ أمر السلطان العثماني سليم بأن يُرحِّل مَنْ بالقاهرة مِن البنَّائين والنجَّارين والمرخّمين والمبلّطين والحدَّادين وتجار الورَّاقين وتجار الشرب والباسطية والمتسبّبين في البضائع، كلُّهم يرحَّلون إلى إسطنبول بأمر السلطان سليم العثماني(٣) ليعمروا بلاده التركية.

ثمَّ سَنَّ الأتراك العثمانيون ضرائب يجبونها من العاهرات اللاتي كُنَّ يمارسن الرذيلة بإذنٍ من حكومة الوالي التركي العثماني(٤).

وقد نجم عن احتلال الترك لمصر أن وقعت الحجاز رسمياً تحت هيمنتهم في السنة التي بعدها(٥).

---

(١) أحمد بن زنبل الرمَّال «واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم» (١٣٤) بتصرُّفٍ يسير.

(٢) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (١٧٩/٥).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٧٨/٥ ـ ١٧٩).

(٤) انظر: كلوت بيك «لمحة عن مصر» (٣٢٧).

(٥) انظر: محمد بن إياس «بدائع الزهور» (١٩٠/٥). ومرعي بن يوسف الكرمي «نزهة الناظرين» (١٧٧).

ثمَّ اتَّجَهَت أنظار الترك بعد الشام ومصر والحجاز إلى إتمام احتلال شرقي جزيرة العرب وغربيها وجنوبيها دون وسطها ـ أعني نجد وما يتاخمها من شمالها وعاليتها ـ رغبة في التوسع من ناحية، وتَحَجُّجاً بدفع الخطر البرتغالي عن منطقة تضم الأماكن الإسلامية المقدَّسَة من ناحية ثانية[١].

ولقد تهيَّأ الطريق للعثمانيين إلى احتلال أطراف جزيرة العرب بعد أن وطأ احتلالهم بغداد وما يليها سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م[٢]، **ولم يكن يدفعهم إلى العراق ما أعلنوه وروَّجوه من أنَّهم جاؤوا دفعاً للخطر الصفوي وإنقاذاً لأهل السنة، أبداً؛ بل إنَّ احتلالهم العراق كان رغبةً في التوسُّع لا دفعاً للصفوي؛ ودليل ذلك أنَّ السلطان سليمان القانوني (ت: ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)[٣] يوم احتلَّ العراق اتَّجَهَت عنايته ـ أكثر ما اتَّجهت ـ إلى زيارة العتبات المقدَّسة لدى الشيعة في الفرات الأوسط، وبعد أن زارها حسَّنَ مدينة كربلاء والنجف وأعاد ما تهدَّم من مبانيها وبنى حولها الحدائق والبساتين وأجرى عليها المياه، حتى أنَّه أحيا فيها ما يجذب الزوار إليها، ثمَّ زار قبة موسى الكاظم ومحمد الجواد وقبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه[٤].**

---

(١) انظر الإشارة إلى ذلك عند: محمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(٢) انظر: علي بن لالي بالي المعروف بِمِنق «العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم» (٥٣٠). ومحمد الشلي «السناء الباهر» (٣٠٨).

(٣) سليمان القانوني: حكم في الفترة (٩٢٦ ـ ٩٧٤/ ١٥٢٠ت١٥٦٦م). انظر ترجمته عند: عبدالحي العكري الشهير بابن العماد «شذرات الذهب» (١٠/٥٤٩ ـ ٥٥١).

(٤) انظر: محمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٠٨). ويوسف الملواني «تحفة الأحباب» (١١٦). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين الإحتلالين» (٤/٣٠ ـ ٣٧). وعبدالعزيز الشناوي «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» (١/٢٥).

وبعد أن فَرَضَ الأتراك العثمانيون احتلالهم على العراق، نجحوا فيما بعد في الحصول على شيءٍ من الهيمنة في اليمن سنة ٩٤٥هـ/١٥٣٨م[١]، وقد تعلَّلوا بأنَّهم يريدون اليمن دفعاً لخطر هجوم الإفرنج البرتغاليين، والواقع التاريخي يشهد أنَّه لم يعنِهم هذا الأمر، فإنَّ الذي قاوم الإفرنج البرتغاليين على سواحل اليمن ومحيط الهند هم مماليك مصر؛ حين أرسل سلطان مصر آنذاك قانصوة الغوري (ت: ٩٢٢هـ/١٥١٦م)[٢] سفنه لمجاهدة البرتغاليين، إلَّا أنَّه تفاجأ بالعثمانيين يهجمون على بلاده وممالكه (بلاد العرب) فشاغلوا أهلها (العرب) بدلاً مِنْ أن يذهب العثمانيون لمحاربة نصارى البرتغال[٣].

وأنتَ لو سبرت تواريخ تلك الفترة لوجدتَ أنَّ أهل عدن والشَّحر[٤] هم من جاهدوا أعداءهم البرتغاليين لَمَّا هجموا عليهم[٥]، ولم يكن ثَمَّةَ أتراك عثمانيون في تلك الحوادث.

---

(١) انظر: محمد با فقيه «تاريخ الشَّحَر» (٢٥٣ ـ ٢٥٤). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٣٨).

(٢) قانصوة الغوري، الأمير المملوكي المصري الذي قاوم غزو الترك العثمانيين، وقتلوه في (مرج دابق)، وبعد مقتله انتهت دولة المماليك الجراكسة في البلاد العربية. انظر ترجمته عند: محمد الشلّي «السناء الباهر» (١٤٦ ـ ١٤٨).

(٣) محمد بن إياس «بدائع الزهور» (٤/٤٣٥ ـ ٤٣٦) (٤٥٣) (٤٧١). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (١٠).

(٤) الشَّحر: إحدى كبريات مدن ساحل حضرموت. انظر: إبراهيم أحمد المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١/٨٥٢).

(٥) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٤٤) (٢٨٠). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٠٩).

ثمَّ إنَّ الترك العثمانيون لمَّا جاءت سفائنهم إلى عدن بحجَّة محاربة البرتغاليين؛ ما راح الترك يحاربون البرتغال، بل انبَّثوا في عدن بعد أن خدعوا حاكمها ففتح لهم بوَّاباتها، فطفقوا ينهبون البلد نهباً عظيماً ويسرقون ما في أسواق البلد وبيوتها، ومن بعد ذلك غدروا بأمير عدن بعد أن أمَّنوه بدعوتهم له في سفينة قائد الترك الذي شنقه في السفينة وصلبه فيها[١]. ثمَّ قام هذا القائد التركي بالقبض على عددٍ من وجهاء العرب اليمنيين كرهائن تضمن له ولاء العشائر وتسديد الضرائب[٢].

وفي الحجاز حصل مثلما حصل في اليمن، فإنَّ الاحتلال التركي وإن كان جاء بطلبٍ من شريف مكَّة، إلَّا أن الهيمنة الفعلية للترك العثمانيين هناك لم تَأتِ إلَّا بعد نجاح جهاد عرب مكَّة ضدَّ البرتغاليين، وذلك لمَّا قام بالجهاد أهل مكة وجُدَّة وشريفها أبي نِمِي (ت: ٩٩٠هـ/١٥٨٠م)[٣]، حين نزل البرتغاليين في مرسى أبي الدوائر[٤] على ساحل جُدَّة سنة ٩٤٨هـ/١٥٤١م، فنادى منادي أبي نمي في أسواق مكة وبين القبائل بالجهاد العام ضد نصارى

---

(١) انظر: محمد با فقيه «تاريخ الشحر» ٢٥٣ ـ ٢٥٤). ومحمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٣٨ ـ ٣٣٩).

(٢) انظر: جاكلين بيرين «اكتشاف جزيرة العرب خمسة قرون من المغامرة والعلم» (٦١).

(٣) ترجمته عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام» (١٢٧ ـ ١٣١).

(٤) أبو الدوائر: ميناء قرب (جُدَّة) من جنوبها. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٦٢٦).

البرتغاليين، فتطوّع الآهلون، كما تطوَّعت البادية، فأعطاهم أبو نمى من السلاح ما يكفيهم وخرجوا في جيشٍ جرّار إلى جُدَّة، إذ قابلوا البرتغاليين وصدّوهم بقوة السلاح عن مينائهم، وكان أبو نمي في الصفوف الأولى للمدافعين وقد رُؤي لابساً درعه شاكي السلاح يتقدّم المجاهدين[١].

كلّ هذا ولم يكن للأتراك العثمانيين أي وجود أو دور فعلي قبلها في دفع البرتغاليين عن الحجاز.

كما استغلَّ الأتراك العثمانيون بعض النجاح الذي أتى نتيجة جهاد شعوب الخليج العربي ضد البرتغاليين، وبعض فرص نجاح تحقَّقَت لعددٍ من مغامري البحار في تلك المجاهدة؛ عندها استغلَّ الأتراك العثمانيون كلّ ذلك ليجدوا موطئ قدم للهيمنة التركية في الخليج العربي[٢]. وعليه احتلَّ الترك الأحساء حوالي سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م[٣] ولم تكن مهمَّتهم صعبة في ذلك[٤].

---

١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (١٢٧ ـ ١٢٨).

٢) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٤٤). ومحمد الشلّي اليمني «السناء الباهر» (١٠)، (٣٠٩)، (٣٣٨ ـ ٣٣٩). ومحمد بن عمر بافقيه «تاريخ الشحر» (٢٥٣ ـ ٢٥٤). و: ج. لوريمر، «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٣/١ ـ ١٥).

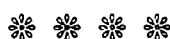
٣) انظر: محمد أل عبد القادر: «تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء القديم والجديد» (٢١٢/١).

٤) من بعد ذلك جاء احتلال الترك لتونس ثمَّ ليبيا والجزائر ولم يتمكَّنوا من احتلال المغرب الأقصى إطلاقاً. وقد اكتفيت بإيراد ذلك هنا في تلك الهامشة لأنَّ البحث في تلك الحوادث في الشمال الأفريقي بعيدٌ عن نطاق هذا البحث، وهي ليست من محيط إقليم نجد.

وبعد هذه الهيمنة العثمانية التركية على بقاع العرب المذكورة، لا بدَّ لنا من التساؤل عن مدى التطوّر والتبدّل الذي حَدَثَ وجَدَّ؟.

فأقول: إنَّ مَنْ يُمعِن النظر في حوادث ذاك الزمن بعد احتلال الترك لبلاد العرب سيتقرَّر لديه لا محالة أنَّ الفوضى ظلَّت ضاربةً أطنابها في كل رَجًى من أرجاءِ البلاد العربية وإنْ سَكَنَت حيناً قصيراً، والركود الذي كانت ملامحه بادية الظهور قبيل قدوم الترك العثمانيين استحال خمولاً في بلاد العرب يوم وقعت تحت وطأة احتلال الترك العثمانيين، وزادت الهمم العربية هبوطاً والعقول جهلاً، وتضاءلت في نواحي العرب أيّ بارقة من بوارق النهوض التي كنتَ تتلمَّس بعضاً من وميضها في الشام ومصر، **فمنذ هيمن الترك العثمانيين سَكَنَ كلُّ شيءٍ ورَكَدَ في بلاد العرب، وصارت تلك الهيمنة شرّاً عليهم، فأصبح العرب تحت حكمهم كقطعان الماشية قريباً من قريب**[(١)].

حتَّى أنَّ العلامة عبدالقادر بن بدران (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)[(٢)] كتب كتابه «منادمة الأطلال» حزناً وأسفاً على تخريب الترك العثمانيين للمدارس التي كانت تعجُّ بها دمشق قبل مجيئهم.



---

(١) حسين مؤنس «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» (٣٢ ـ ٣٣).

(٢) ترجمته عند: «مجلة الفتح» المصرية، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ (ص٧). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٣٧/٤ ـ ٣٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٨١/٣ ـ ١٧٨٤).

* مسألة عدم تبعية نجد للدولة العثمانية قبل قيام الدولة السعودية الأولى:

نتيجة لما تقدَّم؛ أصبحت منطقة نجد مُحاطة من أكثر جهاتها بمناطق يحتلها الترك العثمانيون، على أنَّها لم تقع تحت وطأة الاحتلال التركي إطلاقاً[١]، وفي ذلك يقول مؤرِّخ أمريكي: «في كل **تلك المدَّة لم يكن للأتراك وجودٌ في وسط الجزيرة مطلقاً**، [...] نلحظ أنَّ العثمانيين في مطلع القرن التاسع عشر لم يكترثوا كثيراً للتوسّع السعودي في نجد أو في الشرق، بَيْدَ أنَّ الرعب بدأ يدبّ في قلب الباب العالي[٢] بعد أن طرد السعوديون الأتراكَ العثمانيين من المُدن المقدَّسة وبعد أن غزوا حدود سوريا والعراق»[٣].

وعليه؛ فإنَّ البحث يصل بنا من خلال دراسة أشكال ونوعيات الاحتلال العثماني آنذاك إلى **أنَّ نجداً لم تشهد على العموم نفوذاً عليها من قِبَلِ الدولة العثمانية يوماً من الأيام؛ فما امتد إليها سلطانها ولا أتى إليها ولاة عثمانيون ولا جاست خلال الديار النجدية عساكر الاحتلال التركية في ذاك الزمان الذي سبق قيام الدولة السعودية**

---

(١) لم تقع تحت وطأة الاحتلال التركي العثماني حتَّى سقوط الدولة السعودية الأولى عام ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.

(٢) الباب العالي: المقرّ الرسميّ لرئاسة الوزارة «الصدارة العظمى» في (إسطنبول) ابتداءً من عام ١١٣٠هـ/ ١٧١٨م. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٦٢).

(٣) ريتشارد بايلي وايندر «المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي» (ص٣٨).

الأولى وظهور دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١].

وهذه حقيقةٌ دليلها التاريخي يظهر باستقراء تقسيمات الدولة العثمانية الإدارية آنذاك، فبالرجوع إلى رسالة تركية عنوانها: «**قوانين آل عثمان** در مضامين دفتر ديوان»؛ بالعربية: «قوانين آل عثمان فيما يتضمنه دفتر الديوان» ألَّفَها يمين علي أفندي[٢]، ونشرها ساطع الحصري (ت: ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)[٣] في ملحقٍ من ملاحق كتاب له[٤]، فمن خلال هذه الرسالة يَتَبَيَّن أنَّهُ منذ أوائل القرن الحادي عشر الهجري/العقد الأخير من القرن السادس عشر الميلادي، كانت الدولة العثمانية تنقسم إلى (٣٢) إيالة[٥] منها ١٤ إيالة عربية؛ وبلاد نجد ليست منها.

وعليه؛ أطبق كثير من المؤرخين المعاصرين على أنَّ إقليم نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية لم يكن تابعاً لحكم الاحتلال العثماني[٦]، ويثبت إطباقهم هذا أنَّ الحكم في البلد الواحد

(١) انظر: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ٢٦٠). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/ ٩٨).

(٢) يمين علي أفندي: أمين الدفتر الخاقاني سنة ١٠١٨هـ/ ١٦٠٩م.

(٣) ساطع محمد الحصري: كاتبٌ وباحثٌ، حلبي الأصل. ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/ ٧٠).

(٤) نشرها في أول ملاحق كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية» (١٢٨ ـ ١٣٧).

(٥) إيالة: .Eyalet أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٥٧ ـ ٥٨).

(٦) وممن أطبق على ذلك من المؤرخين المعاصرين: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١). والسيِّد رجب حرَّاز «الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب» (١٢٨). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (١/ ٢٩). وصلاح العقاد «التيارات السياسية» (٥٧ ـ ٥٨).

من بلدات نجد لا ينتظر أمراً من السلطان العثماني ولا مِن نائبه في أيّ جهة؛ إنما الحكم فيها مستندٌ إلى نفوذ الأقوى، وشواهد ذلك كثيرة[١]، وقد مرَّ مَعكَ كثيرٌ منها في مبحث عصر الإمارات المستقلّة في نجد/عصر دويلات المدن النجدية في هذا الفصل من هذا الكتاب الذي بين يديك.

ثمَّ تظهر للبحث دلائل أخرى تثبت أنْ لا تَبَعِيَّة لنجد تحت حكم الدولة العثمانية؛ ومن تلكم الدلائل: خريطة توضّح حكم الدولة التركية ونفوذها في الأقاليم والبلدان، إذ توجد تلك الخريطة في متحف طوب كابي[٢]، وأوَّل نظرٍ يَلفِتُ من يُطالعها أنها تُثبت امتداد حكم الدولة إلى هنغاريا ويوغوسلافيا ورومانيا شمالاً والحجاز ومصر جنوباً وليبيا وتونس غرباً والعراق وبعض من سواحل الخليج العربي شرقاً، ووجود فراغ وسط جزيرة العرب والذي يشمل البلاد النجدية، كما يُلاحظ وجود فراغ في شمال جزيرة العرب والتي يشملها الأردن[٣]، فوجود الفراغات عند باحثي التاريخ يَدُلّ على كَوْنِ تلك الجهات ليست تحت حكم احتلال الدولة التركية العثمانية[٤].

---

(١) عبدالله أبا حسين «تعدد الخلفاء في الزمن الواحد» (٢٨٥).

(٢) طوب قابي/ طوب كابي: هو في الأصل قصر قابي «طوب قابي سراي» في تركيا. انظر: محمد شكري نعمة «دليل الأستانة» (٣١). وحسين مجيب المصري «معجم الدولة العثمانية» (١٦٥).

(٣) انظر الخريطة التي أوردتها «جمعية التاريخ التركية»، نقلها عنها ساطع الحصري في ملحق خرائط كتابه: «البلاد العربية والدولة العثمانية». وانظر صورتها في ملاحق الكتاب الذي بين يديك.

(٤) انظر: عبد الله أبا حسين، «تعدد الخلفاء» (٢٨٨). وانظر توثيقاً مهماً لتلك الحقائق في: «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/٩٨ ـ ٩٩).

* مزيد بَسْطٍ لنقاط التَّماس بين الأحساء ونجد قبيل قيام الدولة وظهور الدعوة:

إقليم الأحساء هو الإقليم المجاور لإقليم نجد، والدولة العثمانية استولت عليه سنة ٩٦٣هـ/١٥٥٦م، كما مرَّ معك قبل قليل، فانقرضت من الأحساء مع هذا الاحتلال التركي دولة أجْوَد الجبري العامري[١] وذويه[٢].

وتوالى على الأحساء نُوَّاب الدولة العثمانية، وأوّلهم فاتح باشا ثمّ علي باشا ثم محمد باشا ثمّ عمر باشا؛ وهو الذي سلب آل حميد (بني خالد) منه الأحساء وأخذوها من يده؛ حيث قام برّاك بن غرير الخالدي عام ١٠٨٠هـ/١٦٧٠م بالهجوم على حامية الاحتلال العثماني التركي في الأحساء وقتلوا عسكر الباشا، فاضطرَّهم إلى تسليم البلاد ونودي به ملكاً عليها سنة ١٠٨١هـ/١٦٧١م[٣].

ثم توفي سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م بعد أن صار له بعض الكلمة والتأثير على بعض أجزاء من نجد غرباً، ثم اشتمل ملكه على الخليج العربي شرقاً ومن عمان جنوباً إلى البصرة شمالاً، وتتابع بعده حكام حتى سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م وهي السنة التي سار فيها سعود بن عبد

---

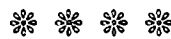
(١) انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (١/١٩٠).

(٢) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٤٠). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٨٤ ـ ٨٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٥) (٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٣) انظر: محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة» (٦٣). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (٣٨ ـ ٣٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (٩٤ ـ ٩٦).

العزيز بن محمد بن سعود[١] إلى الأحساء، وتفيَّأت ظلال حكم الدولة السعودية الأولى[٢]، وانتهت بذلك دولة آل حميد.

المقصود أنَّ آل حميد استطاعوا أن يشكِّلوا في شرقي نجد إمارة مستطيلة من قطر إلى الكويت طولاً، ومن الخليج العربي إلى الدهناء عرضاً، وكانت لديهم قوة لا يستهان بها، ولكنها ليست بالتي تُخْضِع أمراء نجد وأهلها لسلطتهم، وإن كانت لهم بعض من مظاهر السيطرة في نجد وهيمنة على بعض شؤونه، فأصلها يرجع إلى المخصصات التي يدفعها آل حميد لأمراء البلدان في نجد كآل مُعَمَّر وغيرهم؛ فقد كانوا ينالون طاعة أهل نجد بالمال متى عجزوا عنهم بالقوة[٣]؛ ومن ذلك أنَّه كان لأمير العيينة عثمان بن معمَّر نخيل ومزارع في الأحساء ورثها عن آبائه وأجداده يبلغ محصولها كل عام ستين ألف ريال وذهب[٤]، وقيل إنَّه اثنا عشر مئة أحمر وما يتبعها من كسوةٍ وطعام[٥].



* مزيد بَسْطٍ لمظاهر الاحتلال التركي العثماني في الحجاز:

كان الأشراف يحكمون الحجاز تحت راية سلطان الدولة

---

١) ستأتي أخباره في ثنايا الكتاب الذي بين يديك.

٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨٣ ـ ٨٨٥).

٣) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٦). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٧٦). وعبدالكريم الوهبي «بنو خالد وعلاقتهم بنجد» (١٩٢) (٢١٩)، (٢٢٢) (٢٣١) (٢٤٢).

٤) بحسب ما ذكره حسن الريكي في كتابه «لمع الشهاب» (٧٨ ـ ٧٩).

٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠).

العثمانية سنة ٩٢٢هـ ١٥١٧م، وكان السلطان التركي هو المتحكّم في تعيين من يشاء وعزل من يشاء، بل وقتل من شاء من حكّامهم على مكّة(١).

وفي مطلع القرن الثاني عشر الهجري/السابع عشر الميلادي **كان هؤلاء الأشراف في منازعات بينهم وحروب تقوم بين الأخ وأخيه والعم وابن أخيه وتُسفك فيها الدماء وتُستحل فيها الحرمات، ويصل نزاعهم أحياناً إلى حدّ التقاتل في قلب الأماكن المقدسة** مخالفين بذلك نصوص القرآن والسنة، فأُهملت بسبب ذلك أمور الدين وتعطَّلت الشعائر في البقعة المقدَّسة، حتى لم يعد الشريف محل ثقة بأمور الإسلام في نظر المسلمين(٢).

كان معدل ولاية الأمير على مكة سنة أو سنتين لكثرة الاغتيال والغدر والخلاف، فلا غرابة أن يتعاقب على إمارة مكة خلال القرن الثاني عشر الهجري/السابع عشر الميلادي وحده نحو ثلاثين شريفاً لم ينعم واحد منهم بالاستقرار، إذ صارت السلطة هناك مثار نزاع لا نهاية له، يُؤجِّج بعض أسبابها تَدَخُّل السلطان التركي أحيانا في النزاع يُجلس على كرسي الحكم أحد الخصوم من الأشراف(٣).

---

(١) انظر على سبيل التمثيل: محمد أمين المحبّي «خلاصة الأثر» (١/١٥٧) (٢٢٠ ـ ٢٢١) (٢٧٢ ـ ٢٧٣). وعبدالرحمٰن الأنصاري «تحفة المحبين» (٥٨). ولويس ألكسندر دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم» (٢١٤ ـ ٢١٥).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الأنصاري، «تحفة المحبين» (٤١) (٧٥) (١١١) (١٢٣) (٢١٠) (٢١٢) (٢٦٤) (٣١٢). وأيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب» (٩٠ ـ ٩٢). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٤١٢) (٤١٤) (٤٣٠) (٤٥٠) (٤٨١).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣١٤ ـ ٣١٥) (٣٢٠) (٣٢٨). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٣٠ ـ ٢٣١). وأيوب صبري باشا «مرآة جزيرة=

ومن يُمعن البحث ويطيل النظر في تاريخ الحجاز في تلك الأزمنة سيأخذه العجب من الحال التي وصل إليها أشراف مكة بتدخُّل من هم برتبةٍ أقلّ من السلطان العثماني؛ وهم أمراء الحج الشامي والمصري الذين صاروا يعزلون الأشراف ويعينون من يشاؤون، «ولستُ أدري أيّ نظام ذلك الذي يبيح لأمراء الحج أن يعزلوا أميراً منصوباً بتأييد من [سلطان الدولة التركية العثمانية] ليقيموا غيره، إنَّنا إذا افترضنا وجاهة الشكاوى التي اتصلت بأمراء الحج فإننا لا نستطيع أن نفهم أن يكون لهم صلاحية العزل والتنصيب»[١].

وكان قد بلغ من هوان أشراف الحجاز على السلطان العثماني أنه يوكل أمرهم أحياناً إلى واليه على مصر، وكان والي مصر يولي من يشاء ويعزل من يشاء باسم السلطان[٢].



* نقاط التَّمَاس بين نجد والحجاز قبل قيام الدولة السعودية الأولى:

لقد حاول أشراف الحجاز غير مرَّة الاستيلاء على نجد ففشلوا

= العرب» (٨٩ ـ ٩٢). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٤٠٨/٢) (٤١٠) (٤١٤ ـ ٤١٦) (٤٢٢) (٤٤٣ ـ ٤٤٤) (٤٤٨) (٤٥٠) (٤٧٨).

(١) ما بين الهلالين من كلام لأحمد السباعي في كتابه «تاريخ مكة» (٤٩٢/٢ ـ ٤٩٣).

(٢) انظر: يوسف الملواني «تحفة الأحباب» (٣٠٣). وعبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (١١٣/١). وأيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب» (٨٩). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٤١١/٢) (٤٢٨) (٤٣٢) (٤٤٧) (٤٥١).

فشلاً مريعا[١]، وكثيراً ما تتراجع جيوشهم الجرارة أمام حصن صغير وليس فيه من الحامية إلا عشرون أو ثلاثون رجلا، وقوتهم ليست معنوية برغم ضخامة المظهر[٢].

على أنَّ مؤرخي نجد يذكرون أنَّه لمَّا قويَ أمر أشراف مكة بسطوا نفوذهم وسلطانهم على كلّ ما يستطيعون الوصول إليه من أراضي نجد، وكان نفوذهم وسلطانهم يتمثَّل في جباية الأموال وأخذ الهدايا من أمراء المناطق التي يُخضعونها، ومن الثابت أن هذا النفوذ بلغ قمَّته في عهد الشريف أبي نمي (ت: ٩٩٠هـ/١٥٨٠م)، وهذا الشريف هو الذي جاء سنة٩٨٦هـ/١٥٧٦م، وتكرر مجيئه سنة ٩٨٩هـ/١٥٧٩م إلى نجد بجيش كثيف واستولى على بعض مدنها وحصونها ومواضع أخرى[٣].

استمرَّ هذا العمل الهجومي من جانب الأشراف على المدن والقرى النجدية طوال القرن الحادي عشر والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجريين[٤]، **واتسمت عمليات الأشراف الحربية**

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٤/٢ ـ ٣٠٧)، (٣٢٥). أحمد السباعي «تاريخ مكة» (٤٠٥/٢). وانظر أيضا: سانت جون فيلبي «تاريخ نجد» (٢٤). وعبدالله العثيمين «نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (ص١٢)، مجلة الدارة، عدد ١، سنة ٢.

(٢) خالد الفرج «الخبر والعيان في تاريخ نجد» (١٤٩).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٤/٢ ـ ٣٠٥). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٣).

(٤) راجع تفصيل ذلك فيما أوردناه سابقاً في هذا الفصل في مبحث: دويلات المدن النجدية.

ضد أهل نجد بالقسوة والعنف، ولم تكن سيرة الأشراف مع أهل نجد حسنة[١].

على أنَّه منذ النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بدأ تدخّل الأشراف في أمور نجد يضعف وانقطعت غزواتهم أو كادت تنقطع، لا تعفّفاً منهم كما تثبت الأحداث، ولكن لانشغالهم بالمنازعات فيما بينهم على منصب الإمارة وانقسامهم إلى بيوت متصارعة[٢]، بالإضافة إلى أنَّه في هذا الوقت بدأت قوة آل سعود تظهر على مسرح الأحداث في شبه الجزيرة العربية[٣].

كانت هذه هي حالة أشراف مكة في أول قيام الدولة السعودية الأولى وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فما كانوا في أغلب أحوالهم قادرين على غزو أهل نجد ولا غير أهل نجد كما كانوا من قبل منذ القرن العاشر الهجري؛ فقد تبدَّلَت حال أشراف مكَّة واستحالت إلى الضعف والتخاذل والخوف من بعضهم البعض[٤].



(١) راجع: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٨/٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٤٧ ـ ٤٨).

(٢) انظر على سبيل التمثيل: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥٢/٢ ـ ٣٥٤ ـ ٣٥٩).

(٣) عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٣٣ ـ ١٣٤).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣٠/١ ـ ٣١).

*** تقرير مبنيٌّ على ما سبق، بعدم تبعية نجد للدولة العثمانية من قبل قيام الدولة السعودية الأولى حتى سقوطها:**

بناءً على ما سبق تبيانه؛ فإن واقع الحس في تلك الفترة يخبرنا أنَّه «ليس من حاكم أو سلطان [عثماني] غرَّرَ بنفسه يوماً لاختراق تلك الصحاري الرملية المُحرقة والتوغّل في فيافيها المهلكة، حيث الموت الكريه كامنٌ على الدوام لكل طامع غريب دخيل، فالعرب هناك لم يعرفوا قط حاكماً عليهم، بل دأبهم دوماً الحِلّ والترحال وارتياد المنتجعات في مختلف الواحات في قلب الصحراء.

لقد استطاع أولئك العرب منذ القديم الاحتفاظ من خلال هذا الحصن المنيع برابطتهم السياسية لا تنفخ في نيانها ريح»[١].

وهو الأمر الذي أيَّده المؤرخ أمين سعيد (ت: ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)[٢] حين قال: «ولقد حاولنا كثيراً من خلال دراستنا لتاريخ العثمانيين أن نعثر على اسم والٍ أو حاكم أرسله هؤلاء إلى نجد أو إحدى مقاطعاتها الوسطى أو الشمالية أو الغربية أو الجنوبية، فلم نقع على شيء»[٣].

وتخبرنا وثيقة بريطانية أنَّ قيام الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد ظهرا في وقتٍ لم يكن للأتراك العثمانيين أيّ نفوذٍ على نجد إطلاقاً. كما تخبرنا تلك الوثيقة أنَّ

---

(١) لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/٢٦٠ ـ ٢٦١) باختصار يسير.

(٢) أمين محمد سعيد: صُحُفيٌّ مؤرِّخٌ من (اللاذقية). انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/٢٠ ـ ٢١).

الأتراك حاولوا مراراً أن يبسطوا هيمنتهم على نجد؛ إلَّا أنهم لم ينجحوا. ثمَّ تُنَبِّه تلك الوثيقة قائلةً عن إمارات نجد ـ قبل قيام الدولة السعودية في تلك المناطق الصحراوية ـ لم تخضع قطّ لحكوماتٍ خارج نجد[١].

يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان[٢]: «فإنَّ الدولة السعودية [الأولى] دولة مستقلَّة ليس للترك عليها سلطان من قبل كسائر بلاد نجد التي يحكمها أهلها»[٣].

ويقول المؤرِّخ عبدالله العثيمين (ت: ١٤٣٦هـ/٢٠١٦م)[٤]: «ومهما يكن من أمر؛ فإنَّ نجداً لم تشهد نفوذاً مباشراً للعثمانيين عليها قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما أنَّها لم تشهد نفوذاً قوياً يفرض وجوده على سير الحوادث داخلها لأيَّةِ جِهةٍ كانت؛ فلا نفوذ بني جبر أو بني خالد في بعض جهاتها، ولا نفوذ الأشراف في بعض جهاتها الأخرى أحدث نوعاً من الاستقرار السياسي، فالحروب بين البلدان النجدية ظلَّت قائمة والصراع بين قبائلها استمرَّ حادَّاً عنيفاً»[٥].

والدليل بأنَّ نجد مستقلَّة لا تتبع الدولة العثمانية؛ أنَّ الشيخ

---

(١) Records of Saudi Arabia; L/PS/10/389,. من وثائق دارة الملك عبدالعزيز.

(٢) الشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان: عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في المملكة العربية السعودية.

(٣) صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل» (١٦).

(٤) عبدالله الصالح العثيمين: مؤرِّخ سعودي.

(٥) عبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (١١).

محمد بن عبدالوهاب دعا بدعوته فيها تحت ولاية آل سعود، وهم أمراء مستقلون ناصروه ودعوته، فاستطاع الشيخ أنْ يُظهر دعوته في ظلّ حاكمه المستقل.

وتبيان ذلك رسالة للشيخ أرسلها إلى أحد رؤساء بادية الشام[١]، يخبره فيها: «أنَّ هذا الأمر[٢] الذي أنكروا عليَّ وأبغضوني وَعادُوني من أجله، إذا سألوا عنه كلّ غالم في الشام أو غيرهم، يقولون: هذا هو الحقّ وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أُظْهِره في مكاني لأجل أنَّ الدولة ما يرضون[٣]، وابن عبدالوهاب أظهره لأنَّ الحاكم في بلده[٤] ما أنكره»[٥].

ويستبين الأمر أكثر حينما نقرأ رسالة من عالم يمني اسمه إسماعيل الجراعي، ظهرت هذه الرسالة في الوقت الذي كانت اليمن تقبع تحت وطأة احتلال الترك العثمانيين، وقد أرسل هذا العالم اليمني وقتها إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب يسأله عن حقيقة دعوته، فيقول: «والناس اقتسموا فيكم بين مادح وقادح، فالذي سرَّني عنك: الإقامة على الشريعة في آخر هذا الزمان وفي غربة الإسلام: انَّكَ تدعو به وتقوّم أركانه، فوالله الذي لا إله إلَّا غيره، مع ما نحن فيه

(١) والشام في ذاك الوقت (كما هو معلوم) كانت تحت وطأة احتلال الترك العثمانيين.

(٢) يقصد دعوته السلفية في نجد.

(٣) يقصد الدولة العثمانية التي كانت تحكم الشام.

(٤) يقصد محمد بن سعود وأبنائه.

عند قومنا، ما نَقدِرُ على ما تقدر عليه من بيان الحقِّ والإعلان والدعوة»[١].

وكلتا الرسالتين السابقتين تدلُّكَ على أنَّ الشيخ ظهر بدعوته تحت حاكم مستقل ـ وهو ابن سعود ـ لا يتبع حكمه السلطان العثماني، ولا تتبع إمارته حكومة الترك العثمانيين، بالرغم من أنَّ الترك يهيمنون على محيط نجد جهة الشمال في العراق والشام وجهة الجنوب في اليمن، ومع ذلك كانت نجد بمدنها وقراها ووديانها وشعابها وصحاريها وفيافيها ورؤسائها وشيوخها لم يكونوا في يومٍ من الأيام تبعاً لسلطة الترك العثمانيين بأيِّ حالٍ من الأحوال، كما بُيِّنَ هنا في تلك الرسالتين وفي الوثيقة البريطانية المذكورة سابقاً، وكما بُيِّنَ من قبل في مبحث الإمارات المستقلة في نجد في هذا الفصل.

بل أقول زيادةً في التبيان: **أنَّه حتى قبل قيام الدولة السعودية الأولى، يخبرنا التاريخ أنَّ إقليم نجد لا يتبع الدولة العثمانية ولا غيرها بأيّ شكلٍ من الأشكال، حيث كانت نجد قبائل متفرّقة وإمارات صغيرة، نستطيع أن نقول: كلّ بلدةٍ مستقلة بإدارتها وإمارتها[٢]؛ لقد كانت على وجه التقريب مدناً وبلداتٍ أشبه بممالك المدن، كلّ مدينة لها حاكم لديه من النفوذ عليها.** كما وثقناه في مبحث دويلات المدن النجدية في هذا الفصل.

وعندما صنَّفَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب في بلدة حريملاء

---

(١) رسالة من إسماعيل الجراعي إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (٩٩/١).

(٢) عباس العزَّاوي «عشائر العراق» (٢٨٤/١).

كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد»، شَهِدَ الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[١] **بأنَّ هذا الكتاب قد حُرِّرَ وأُمِرَّ عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم مشايخ شاميون، «وكلُّهُم قد أقرُّوه وحرَّروه وأجازوه، ولكن عذرهم عدم المساعدة لهم في قيام ما تضمَّنه من إقامة الدين وإخلاصه لربِّ العالمين، وإلا هو الذي يدينون الله به في أنفسهم وأهليهم وأصحابهم من عشائرهم، لكن لا يقدرون على نهي الناس عما اعتقدوه وقالوه؛ لأنَّ ذلك يحتاز إلى سيفٍ قائمٍ وإمامٍ عادلٍ وذلك متعذِّر الآن إلا بتوفيق الله وإيجاده»**[٢].

فهذا من الدلائل على أنَّ حكومة الدولة العثمانية المهيمنة على الشام لا ترضى بانتشار العقيدة السلفية، وهو دليلٌ على أنَّ ذلك تيسَّر للشيخ محمد لمَّا انتقل من حريملاء إلى العيينة يوم آزره حاكم تلك البلدة، ثمَّ بعد انتقاله إلى الدرعية ومناصرة آل سعود له، وهي لفتةٌ

---

(١) الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: الشيخ والفقيه والمحدِّث. وُلِدَ في الدرعية عام ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٦م. قتله إبراهيم باشا لما احتلَّ الدرعية بعد أن أرغمه على رؤية آلات اللهو والربابة تعزف أمامه، ثم أمر عساكره أن تقتله في المقبرة رمياً بالرصاص والقرابين فَقُطِّعَت جسده أشلاءً متناثرة. انظر أخباره لدى: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٤/١ ـ ٤٢٥). انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣ ـ ١٦٦٣). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٣٤١/٢ ـ ٣٤٩).

(٢) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «التوضيح عن توحيد الخلَّاق في جواب أهل العراق» (٢٩). ويقول الشيخ عبدالله البسام في «علماء نجد» (٣١٣/٦): أنَّ كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق» هو للشيخ محمد بن علي بن غريب.

تاريخية تميط لك لثام بعض ما غَمض من تاريخ تلك الفترة المُنبِئَة عن أنَّ بلدات ومدن نجد في ذلك الوقت ليست تحت هيمنة الحكم التركي العثماني، لذلك استطاع الشيخ بمعاونة أمير العيينة بدايةً ثمَّ معاونة آل سعود في الدرعية بعد ذلك، أن ينشر عقيدته ودعوته السلفية في ظلّ حكَّامٍ مستقلين عن الحكومة التركية العثمانية.

المقصود؛ أنَّه من بعد طول الدرب الذي سار به البحث في هذا الفصل، ظهر لكَ جليّاً أنَّ جُلّ ما استطاع التُّرْك إخضاعه من بلاد العرب هو أنهم بسطوا شيئاً من سلطانهم على الأماكن المقدسة الحجازية وساحل البحر الأحمر والأحساء دون غيرها وأطراف اليمن الساحلية، أما منطقة نَجْد فقد ظلَّت حرة مستقلة ولم تفكّر تركيا باحتلالها حتَّى سقطت الدولة السعودية الأولى.

هكذا كانت الحالة السياسية في نجد ومحيطها لمَّا قامت الدولة السعودية الأولى وناصرت دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. أما الحالة الدينية فهي أسوأ من ذلك بكثير؛ فقد هَوَت إلى دركاتٍ سحيقة من التخلّف وهيمنة الخرافة عليها، وتفَشَّى فيها الشرك كبيره وصغيره. كما سيأتي بيانه في الفصل الثاني من هذا الكتاب.



الفصل الثاني

الأحوال الدينية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة.

أولاً: أحوال نجد الدينية قبل قيام الدولة وظهور الدعوة (على هيئةٍ مُجمَلَة)(١)

عمَّت في نجد «البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراك بالله والتوجُّه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسمٰوات، وكذلك التقرب إليهم بالنذور وذبح القربان والاستغاثة بهم

(١) تكمن أهمية البحث في حال نجد ورصد ما كانت عليه في واقعها المحسوس آنذاك قبل ظهور الدعوة وقيام الدولة؛ في الاستدلال بذاك الواقع في الردّ على من أنكر واستنكر ما رَصَدَهُ مؤرخو نجد المتقدمون: ابن غنام وابن بشر، فوَصَمَهُما المنكر والمستنكر بالمبالغة وَوَسَمَهُما بالتحمّس لدعوة الشيخ، ثمَّ اتَّهمهما بأنَّهما صَوَّروا ما صوَّروه من انحراف وانحطاط ديني سبق ظهور الدعوة؛ لكي تبدو دعوة الشيخ ممثلة لانقلاب فكري وثقافي للمجتمع والدولة (هكذا)، ولتكون في إطار صورةٍ مزهرة باهرة (هكذا). ولا يزال مثل هذا الإنكار وذاك الاستنكار يُطرَح حتى يوم الناس هذا، فيُرَدّ عليه بواقع تلك الفترة التاريخية التي تصدّقها كتابات معاصريها وشهادات المعاينين لحوادثها، مما سيرد في الصفحات الآتية إن شاء الله.

وللمزيد انظر الردود الجيدة على تلك الشُّبَه عند: سليمان الخراشي وخالد الزهراني في «دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حقائق علمية وشهادات منصفة» (١٨٦ ـ ١٩٧). ونادر العبدالكريم في «نجد والشرك وعبث الأسئلة».

في كشف الشدائد وجلب الفوائد، إلى غير ذلك من أنواع العبادات التي لا تصلح إلا لله»[(١)].

«فاشتدَّت غربة الإسلام بينهم وعَفَت آثار الدين لديهم وتَهَدَّمت قواعد المِلَّة الحَنيفية وغَلَبَ على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية، وانْطَمَسَت أعلام الشريعة في ذلك الزمان وغَلَبَ الجهل والتقليد والإعراض عن القرآن والسنَّة، فشَبَّ الصغير وهو لا يعرف من الدين إلا ما كان عليه أهل تلك البلدان، وهَرِمَ الكبير على ما تلقَّاه عن الآباء والأجداد، وأحاديث الكُهَّان والطواغيت مقبولة غير مردودة ولا مدفوعة، قد خلعوا ربقة التوحيد والدين، وجَدّوا واجتهدوا في الاستغاثة والتعلق على غير الله من الأولياء والصالحين والأوثان والأصنام[(٢)] والشياطين»[(٣)].

والسواد الأعظم من علماء تلك الفترة ورؤسائها على ذلك الانحراف «مقبلون ومن بحره الأُجاج شاربون وبه راضون وإليه مدى

(١) هذه شهادة الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ضمن رسالته للركب المغربي في ٢٩ صفر ١٢١٨هـ ٢٠ يونيو ١٨٠٣م. أوردها: عبد الرحمٰن الجبرتي في «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» (٦/ ٤٠٢). ووردت في «الدرر السنيَّة» (١/ ٢٦٦).

(٢) قال محمد بن إسماعيل الصنعاني في «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (ص: ١١٨): «وكذلك تسمية القبر: مشهداً، ومن يعتقدون فيه وَلِيّاً، لا يُخرجه عن اسم الصنم والوثن، إذ هُم مُعامِلونَ لها مُعامَلَةَ المُشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحُجّاج ببيت الله الحرام، ويستلمونها استلامهم لأركان البيت».

(٣) جواب الشيخ عبد اللطيف بن عبدالرحمٰن عن عقيدة الشيخ ودعوته، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٣٧٨).

الزمان داعون، قد أَعْشَتْهُم العوائد والمألوفات وحبستهم الشهوات والإرادات عن الارتفاع إلى طلب الهدى من النصوص المُحْكمات والآيات البيِّنات، يحتجّون بما رأوه من الآثار الموضوعات والحكايات المختلقة والمنامات، كما يفعله أهل الجاهلية وغُبَّر الفترات، وكثير منهم يعتقد النفع والضُّرَّ في الأحجار والجمادات ويتبركون بالآثار والقبور في جميع الأوقات»(١).

«وساعدهم على ذلك من قلَّ حظّه ونصيبه من الرؤساء والحُكَّام والمنتسبين من الجُهَّال إلى معرفة الحلال والحرام، فاتَّبَعتهُم العامَّة والجمهور من الأنام، ولم يشعروا بما هم عليه من المخالفة والمباينة لدين الله الذي اصطفاه لخاصَّتِهِ وأوليائه وصفوتِهِ الكرام. ومع عدم العلم والإعراض عن النظر في آيات الله والفهم، لا مندوحةَ للعامَّةِ عن تقليد الرؤساء والسَّادَة ولا يمكن الانتقال عن المألوف والعادة»(٢).

على هذه الصورة كانت الحال في نجد «في ذلك الحين؛ مباءة للأوثان والطواغيت التي لا يحصيها العَدّ، كغيرها من الأمصار الإسلامية، وكان للقلب تعلّق شديد بهذه الطواغيت لطول الأمد عليها، وليس في الناس من يقوم بالإنكار على هذه المبتدعات ولا من يردّ الناس عنها إلى الدين الصحيح»(٣).

وإليك شهادات من عاين الحدث أو عاصره أو أدرك معاصريه.



---

(١) الرسالة السابقة، ضمن «الدرر السنية» (٣٧٨/١ ـ ٣٧٩).

(٢) الرسالة السابقة، ضمن «الدرر السنية» (٣٨٧/١).

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح» (٣٨) باختصار.

* شهادة المؤرخين الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة:

سوف تجد أهم شهادة في وصف الحال الديني في نجد تبدو أظهر ما تكون في وصف مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غَنَّام (ت١٢٢٥هـ/١٨١١م)[١]؛ وهو من هو في مكانته العلمية ومقامه الذي تسنَّمه في تأريخه الذي أرَّخَه لدعوة الشيخ والدولة السعودية الأولى، إذ جاء تأريخه عن معاينةٍ للحوادث وشهادة الواقف على الوقائع، فلا عَجَبَ أن يأتي تلميذه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م)[٢] ليصفه بالعلّامة و «فريد وقته بعلم المعقول

---

(١) هو الشيخ حسين بن أبي بكر آل غنَّام، من بني تميم، نجديّ الأصل، من سكّان الأحساء، وُلِدَ في (المُبَرَّز) من ضواحي (الهفوف) وطلب العلم هناك، ثمَّ انتقل إلى (الدرعية) بعد قيام الدولة السعودية الأولى ومناصرتها لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣١٠ ـ ٣١١). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٢/٥٦ ـ ٥٨).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: حفيد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. كان قاضياً من قضاة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. حمل لواء الدعوة، وحمل لواء الجهاد أيضاً يوم غزا الترك الدولة السعودية الأولى. وقد كان من ضمن الذين رحَّلهم إبراهيم باشا من (الدرعية) إلى (القاهرة)، ثم عاد إلى (الرياض). انظر أخباره عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٩٦) (٢٢٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٩١ ـ ١٩٣) (٣٦٣) (٢/٤٢ ـ ٤٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد» (١١٤) (١٢٩). وكتاب ابن عيسى الآخر «عقد الدرر» (٦٤ ـ ٧٠). وانظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٧٠٤ ـ ١٧٠٦). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١/١٨٠ ـ ٢٠١). وستأتي أخبار حرب إبراهيم باشا لأهل الدعوة وترحيله لأهل الدرعية في الفصل العاشر من هذا الكتاب.

والمنقول والشعر والإنشاء في صدر القرن الثالث عشر»(١).

ولا عجب أيضاً أن تجد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)(٢) يوصي بقراءة تاريخ ابن غنَّام وتكرار النظر فيه(٣). وكثير من أهل العلم يثنون عليه(٤) ويوصون بقراءته لمعرفة حال ذاك الوقت(٥).

يقول ابن غنَّام في تأريخه «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» : إنَّ أهل نجد قد «عَدَلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد والدين، فجدُّوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث والخطوب المعضلة والكوارث،

---

(١) رسالة للشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٤٨٧/١١). وله ثناء على تاريخه في «الدرر السنية» (٣٢٤/١ ـ ٣٢٥).

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، أحد كبار العلماء في نجد. تلقى تعليمه الأوّليّ في مصر يوم رُحِّلَ إليها بعد سقوط (الدرعية)، فبرع وبزّ كثير من أقرانه، ثم عاد إلى (نجد) زمن الدولة السعودية الثانية. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣/٢). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧١٣/٣ ـ ١٧١٤). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٢٠٢/١ ـ ٢١٤).

(٣) انظر: «الدرر السنيَّة» (٣٨٠/٨). وكتاب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن المعنون بـ«منهاج التأسيس» (٢٦ ـ ٢٧).

(٤) أثنى عليه عالم الجنوب ومؤرخُهُ: الحسن بن أحمد عاكش في «تكملة نفح العود في سيرة الشريف حمود» (٢٨٠ ـ ٢٨١).

(٥) أوصى بذلك الشيخ عبدالله آل محمود في رسالته «تحذير أهل الإيمان عمَّا تضمَّنته رسالة ابن فيروز من البهتان» (٥٧) (٦١ ـ ٦٢). ومثله الشيخ صالح الفوزان في «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدرّ النضيد» (١٤٣).

وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات، وكثيرٌ يعتقد النفع والإضرار في الجمادات كالأحجار والأشجار، ويتنابون ذلك في أغلب الأزمان والأوقات، وقد مضوا قبل بُدُوِّ نور الصواب يأتون من الشرك بالعجاب وينسلون إليه من كل باب»(١).

ولا مبالغة فيما ساقه ابن غنَّام من وصفٍ لحال نجد قبل الدعوة وقيام الدولة، فإنَّك مُلاقٍ ما يُعزِّز شهادة ابن غنَّام عند **«مؤرِّخ نجدٍ وعالمها»**(٢) **المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) في** كتابه الموسوم بـ**«عنوان المجد في تاريخ نجد»**؛ وهو **«كتابٌ مفيدٌ من جُزْأَيْنِ»**(٣)، وهو أيضاً **«من أنفس وأجمع وأوثق وأعدل ما صُنِّفَ من تواريخ نجد»**(٤)، ومصنِّف الكتاب **«عُمْدَةٌ لتاريخ نجد ودولة آل سعود في دوريها الأول والثاني من حيث شمول مادّته وتحقيقه وأمانةِ نقلِه ومعاصرته لجلّ ما حدث تلك الفترة»**(٥).

فقد أكَّدَ ابن بشر في تأريخه أنَّ الشرك «إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكَثُرَ بها الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور والبناء

---

(١) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٧١ ـ ١٧٣) باختصار.

(٢) قاله: بكر أبو زيد في كتابه «طبقات النسَّابين» (٢٧١).

(٣) كلمةٌ لصالح آل عثيمين في كتابه «تسهيل السابلة» (١٧١١/٣).

(٤) كلمة لعبدالله البسام في كتابه «علماء نجد» (١١٧/٥).

(٥) كلمةٌ لعبدالله بن خميس قالها في بحثٍ له بعنوان «التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر» نشره في «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م (ص٢٩٩).

عليها والتبرُّك بها والنذر لها والاستعاذة بالجن والذبح لهم ووضع الطعام لهم لشفاء مرضاهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر، حتى كثر في أهلها الجهل والضلال»[١].

وستجد ما يؤكِّد شهادة ابن غنَّام وابن بشر عند مؤرّخ من خارج نجد، وهو الإمام الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)[٢] **الذي شهد على بلاد نجد ومحيطها بما يتفق مع سياق ابن غنَّام وابن بشر؛ فقد ذكر الشوكاني أنَّ نَجْداً قبل الدعوة ونُصرة الدولة لها «قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريباً»**[٣]. **ونقل كلام الشوكاني بنصِّهِ المؤرخ الدمشقي الشيخ عبدالرزاق البيطار (ت: ١٣٣٥هـ/١٩١٧م)**[٤] في حليته[٥].

لذلك ذكر المؤرِّخ حسن بن جمال الرِّيكي ـ وهو معاصرٌ للدولة السعودية الأولى ـ واصفاً حال أهل نجد عند ظهور الدعوة، فقال: **«أمَّا أكابر ومشايخ سائر نجد لم يرضوا بشيوع هذا الدين وإذاعته لأنَّه**

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣/١)، (٢٦ ـ ٢٧).

(٢) هو الإمام العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني، المولود في (هجرة شوكان) باليمن سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، والمتوفي في (صنعاء) ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م. انظر: ترجمته لنفسه في كتابه: «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» (١٠٦/٢ ـ ١١٣). وله ترجمة عند: محمد بن محمد بن يحيى زبارة «نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر» (٢٩٧/٢ ـ ٣٠٢).

(٣) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٢/١).

(٤) ترجم له حفيده الشيخ محمد بهجة البيطار في مقدمة «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» (٩/١ ـ ٢٠).

(٥) انظر كتابه «حلية البشر» (٦٦٥/٢).

يُفسِدُ عليهم قوانين كليَّةً وقواعد أصليَّةً وضعت عليها حكوماتهم»[١]. ثمَّ قال عن بدو نجد: «وكان البدو يتحاكمون في قصصهم وحوادثهم إلى العُرفِ لا إلى الشرع، وقد يأخذ العُرف منهم الرشوة؛ وهي حقيقة ما يُعطى لإبطال الحق. وأولئك الحكَّام طواغيت لكونهم يصدُّونَ الناس عن اتِّباع حكم الشريعة»[٢]. وقال أيضاً: «والبدو كانوا قبل خروج هذا المذهب [٣] يتحاشون عن متابعة الشرع الشريف»[٤].

وهذه شهادةٌ أخرى من الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ[٥]، التي دوَّنها في «المقامات»؛ حيث يقول: إنَّ جاسر الحسيني[٦] لمَّا حضر عند شريف مكة[٧] مجاوراً، سمع الشريف يسبّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، فقال له الحسيني: «يا شريف، لك عليَّ معروف ما يوجب أن أنصح لك؛ لا تقل هذا في الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنَّه قام بنجد وهم في أسوأ حال من الفساد

---

(١) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٧٦).

(٢) المصدر السابق (٧٧).

(٣) ليست مذهباً؛ بل دعوة سلفية عقيدةً ومنهجاً. وانظر في الفصل الثامن من هذا الكتاب ردودٌ على شُبَهِ من سمَّاها مذهبا أو ديناً جديداً.

(٤) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٠٢).

(٥) والشيخ عبدالرحمٰن بن حسن وإن لم يكن مؤرِّخاً بالمعنى الاصطلاحي الدقيق، إلَّا أنَّه يُعدّ من مُمَوِّلي التاريخ بشهاداته التي جاء بها في كتابه «المقامات»، ولذلك أوردناه هنا مع شهادات المؤرِّخين.

(٦) عرَّف به الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن: بأنَّه جَلا عَن (حَرْمة) بسبب عداوته لدعوة الشيخ، فَسَكَنَ (بغداد)، ثم جاوَرَ في (مكة).

(٧) شريف مكَّة وقتها هو الشريف غالب، وستأتي أخباره في الفصل السادس.

والظلم والضلال، فجمعهم الله تعالى به بعد التفرّق والاختلاف وعلَّمَهم مكارم الأخلاق حتى ما ينبغي أن يقولوه في مخاطباتهم وما لا ينبغي أن يقولوه من الألفاظ المستكرهة، فاحذر أن تذكره بسوء»(١).

وهذا يثبت لك كيف كان الحال في نجد قبل ظهور الدعوة وقبل قيام الدولة. فتأمَّل.

ولدينا **مؤرِّخ من العراق** يأتينا بذكر كثير من صور الانحراف العقدي الذي دها نجد إبَّان تلك الفترة؛ ومن تلكم الصور: «محبتهم مع الله لأصحاب القبور محبة تألّه وخضوع ورجاء، ودعاؤهم مع الله في المهمّات والملمّات والحوادث التي لا يكشفها ولا يجيب الدعاء فيها إلا فاطر الأرض والسمٰوات، والعكوف حول أجداثهم وتقبيل أعتابهم والتمسُّح بآثارهم طلباً للغوث واستجابة الدعوات، وإظهار الفاقة وإبداء الفقر والضراعة واستنزال الغيوث والأمطار وطلب السلامة من شدائد البراري والبحار وسؤالهم تزويجهم الأرامل والأيامى واللطف بالضعفاء واليتامى والاعتماد عليهم في المطالب العالية وتأهيلهم لمغفرة الذنوب والنجاة من الهاوية وإعطائهم تلك المراتب السامية.

وجماهيرهم، لمَّا أَلِفَت ذلك طباعهم وفسدت به فِطَرهم وعزَّ عنه امتناعهم، لا يكاد يخطر ببال أحدهم ما يخطر ببال آحاد المسلمين مِن قصد الله تعالى والإنابة إليه، بل ليس ذلك عندهم إلَّا للولي الفلاني ومشهد الشيخ فلان»(٢).

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٢٤).

(٢) محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٧٦ ـ ٧٧).

*** شهادة العلماء الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة.**

يشهد **الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن**: بأنَّه غدا «من المعلوم عند كل عاقل خَبَرَ الناس وعَرَفَ أحوالهم وسَمِعَ شيئاً من أخبارهم وتواريخهم أنَّ أهل نجد وغيرهم، ممن تَبعَ دعوة الشيخ واستجاب لها من سكان جزيرة العرب، كانوا [قبل الدعوة الإصلاحية] على غاية من الجهالة والضلالة والفقر والعالة، لا يستريب في ذلك عاقل ولا يجادل فيه عارف، كانوا من أمر دينهم في جاهلية؛ يدعون الصالحين ويعتقدون في الأشجار والأحجار والغيران ويطوفون بقبور الأولياء ويرجون الخير والنصر من جهتها، وفيهم من كفر الاتحادية والحلولية[١] وجهالة الصوفية ما يرون أنه من شعب الإيمان والطريقة المحمدية، وفيهم من إضاعة الصلوات ومنع الزكاة وشرب المسكرات ما هو مشهور»[٢].

وأضاف قائلاً: بأنَّ أهل نجد باديتهم وحاضرتهم، قبل قيام الدولة وظهور الدعوة، قد «عَفَت آثار الدين لديهم وانهدمت قواعد الملَّة الحنيفية»[٣].

ويزيد **الشيخ محمد بن عبداللطيف** (ت: ١٣٦٧هـ/١٩٤٨م)[٤]:

---

(١) سيأتي إثبات ذلك في الفصل الخامس من هذ الكتاب.

(٢) الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «مصباح الظلام» (٤٤ ـ ٤٥).

(٣) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (٣٧٨/١).

(٤) هو محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. عيَّنَهُ الملك عبدالعزيز قاضياً في (القويعية) ثمَّ في (الوشم)، ثمَّ بعثه إلى عسير=

بأنَّهم أصبحوا «في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء قد اشتدت غربة الإسلام فيما بينهم واستحكمت، وعَمَّ الشرُّ وطمَّ وفشا الشِّرك وشاع الكفر في القرى والأمصار والبادية والحُضَّار، وصارت عبادة الطواغيت والأوثان دينا يدينون به، ويعتقدون في الأولياء أنهم ينفعون ويضرون وأنهم يعلمون الغيب، مع تضييع الصلاة وترك الزكاة وارتكاب المحرمات، ولم يوجد من ينكر ذلك؛ فنشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير»[١].

وذكر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن أنَّه لم يسلم مِمَّا سبق ذكره «إلَّا بقايا متمسكين بالدين يعلمهم الله ﷻ، وأما الأكثرون؛ فعاد المعروف بينهم منكرا، والمنكر معروفا، والسنة بدعة، والبدعة سنة»[٢].

من هنا قَرَّرَ الشيخ محمد رشيد رضا (ت: ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[٣] بأنَّ «السواد الأعظم من أهل نجد، سيَّما بدوُها، كأكثر أعراب سوريا والعراق والحجاز؛ كانوا في جاهلية شرٌّ من الجاهلية الأولى؛ يؤمنون

= وبلاد الحجاز مرشداً وداعياً إلى الله. عُرِفَ بأنَّ عنده مكتبة كبيرة؛ كانت هي النواة للمكتبة السعودية بالرياض. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٨٢٣/٣). وعبدالله البسام «علماء نجد» (١٣٤/٦ ـ ١٣٩).

(١) أحد أجوبة الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، ضمن: «الدرر السنية» (٤٤٩/١٠).

(٢) جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن على أسئلة وردت إليه من الساحل الشرقي، ضمن: «الدرر السنية» (٤٤٢/١ ـ ٤٤٣).

(٣) محمد رشيد رضا: صاحب مجلة المنار. وُلِدَ في (القلمون) من اعمال (طرابلس الشام) وبها نشأ وتعلَّم، ثمَّ رحل إلى مصر وأنشأ مجلته المنار. توفِّي في حادث سيَّارة وهو عائدٌ من (السويس) إلى (القاهرة). انظر: خير الدين لزركلي «الأعلام» (١٢٦/٦).

بالجِبْتِ ويعبدون الطاغوت: من حجرٍ وشجرٍ وحيوان وإنسان حيّ أو ميِّت، ولا يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ويستحلّون قتل النفس لمجرد الكَسْبِ وأكل أموال الناس بالباطل من سلبٍ ونهب، فسخَّرَ الله لهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأولاده وأحفاده فجدَّدَ فيهم الإسلام»[(١)].

ومن قبل كلّ أولئك شهد **الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب** قائلاً: «وأنا أخبركم عن نفسي، والله الذي لا إله إلّا هو، لقد طلبت العلم، واعتَقَدَ مَن عَرَفَني أنَّ لي معرفة، وأنا ذلك الوقت لا أعرف معنى (لا إله إلّا الله) ولا أعرف دين الإسلام قبل هذا الخير الذي مَنَّ الله به، وكذلك مشايخي ما مِنهم رجل عَرَفَ ذلك، فمن زَعَم مِن علماء العارض أنَّه عَرَف معنى (لا إله إلّا الله) فقد كَذَّب وافترى ولَبَّس على الناس ومَدَحَ نفسه بما ليس فيه»[(٢)].

وهذا الشيخ عبدالله بن عيسى[(٣)] الذي وُصِفَ بأنَّه لا يُعرف في نجد ولا علماء العارض أجلَّ مِنْه، يقول: «فالله الله عباد الله؛ لا تغترُّوا بمن لا يعرف شهادة ألَّا إله إلَّا الله وتلطَّخ بالشرك وهو لا يشعر، فقد مضى أكثر حياتي ولم أعرف من أنواعه ما أعرفه اليوم،

(١) نقلاً عن: سليمان بن سحمان في «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية» (١٠٠) باختصار.

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/ ٤٠٢). وفي «الدرر السنيَّة» (١٠/ ٥١).

(٣) عبدالله بن عيسى: قاضي الدرعية أيَّام كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما يزال في العيينة. انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/ ٤٠١). وانظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠)، ولم يقف ابن بسَّام على ترجمته ولم يعرف نسبه.

فلله الحمد على ما علمنا من دينه، ولا يُهَوِّلَنَّكم اليوم أنَّ هذا غريب، فإنَّ نبيكم قال: (بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ). فإن قال جاهلٌ: أرى عبدالله [بن عيسى] تَوَّهْ[١] يتكلّم في هذا الأمر؟ فيعلم أنَّه إنَّما تبيَّن لي الآن وجوب الجهاد في ذلك عليَّ وعلى غيري»[٢].

وهاهنا نقلٌ لأحد النصوص، فيه لَفْتَة تاريخية مهمّة قلَّ من ينبّه عليه، فاقرأه وتأمّله، **فإنَّه يحلّ كثيراً من إشكالات من شكَّك في ابن غنَّام وابن بشر وتأريخهما حول انتشار الشرك في نجد قبل الدعوة،** وفيه بيان لأسباب معارضة كثير من أهل العلم لتلك الدعوة؛ فإنَّه لما ضجَّ العامة على من يترشّح للعلم في نجد وسألوهم عن التوحيد الذي يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال العامَّة لأدعياء العلم هؤلاء: «إذا كان هذا هو الحقُّ، فلأيِّ شيءٍ لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله[٣] ؟. فتعذَّروا: أنكم ما سألتمونا!!. قالوا: وإن لم نسألكم!، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا؟!»[٤].

هكذا كان حال من يترشَّح للعلم في نجد قبل ظهور دعوة الشيخ وقبل قيام الدولة السعودية بمؤازرتها وحمايتها والانتصار لها؛ كان المترشّحون للعلم يصمتون عن وقوع الناس بالشرك ولا ينهون عنه، ويسايرون السواد الأعظم فيما وقعوا فيه بسكوتهم وعدم نهيهم عنه.

---

(١) تَوَّهْ: أي لِتَوِّهِ.

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/ ٤٠٨ ـ ٤٠٩).

(٣) ستأتي بعد قليل أخبار شمسان.

(٤) من رسالة الشيخ إلى عبدالله بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (١/ ٣٤٨).

من هنا ستعلم صدق شهادة الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ ومدى واقعيتها التاريخية؛ حين قال: «**وفي حدود القرن العاشر** [الهجري/السادس عشر الميلادي] **وما بعده لا يُعرَف أحد من العلماء تكلم بالتوحيد ودعا إليه وعرف هذا الشرك ونهى عنه، حتى أظهر الله هذا الشيخ محمد بن عبد الوهاب** رَحِمَهُ اللَّهُ [في أول القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي]، وهي نعمة عظيمة؛ فبيَّنَ حقيقة وأنواع التوحيد الذي اندرس وعفت آثاره، وبيَّنَه رَحِمَهُ اللَّهُ على ما كان عليه سلف الأمة وأئمتها لا يعدل عن طريقتهم»[١].

المقصود؛ لدينا شهادة أخرى للشيخ محمد بن عبدالوهاب على فشوّ الشرك في نجد ذكر فيها غلوّ أهل تلك الأوقات بالأشخاص؛ كاتخاذهم قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد[٢]، واتخاذهم السُّرُجَ على القبور[٣] وهو من وسائل الشرك[٤]، ومثل عكوف أهل تلك الفترات عند القبور واتخاذهم القبور أعياداً[٥]، إلى جانب تقربهم إلى الله بالذبح عند القبور[٦] والذبح لدفع شرّ الجنّ.

---

(١) ردّ الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن على عثمان بن منصور، ضمن «الدرر السنية» (٥٧٢/١١).

(٢) محمد بن عبدالوهاب «مسائل الجاهلية» (٢٢٧).

(٣) المصدر السابق (٢٣٠).

(٤) وقد نهى عنه النبيّ ﷺ حين قال: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج». أخرجه أبو داوود (٣٦٢/٣ رقم ٣٢٣٦) والترمذي (١٣٦/٢ رقم ٣٢٠) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٥١٠٩).

(٥) محمد بن عبدالوهاب «مسائل الجاهلية» (٢٣٣).

(٦) المصدر السابق (٢٣٦).

وهذا له شاهد؛ **فالشيخ أحمد المنقور** (ت: ١١٢٥هـ/١٧١٣م) من علماء نجد المشهورين قبل ظهور دعوة الشيخ[١]، يفتي قائلاً: «الذبح لدفع أذى الجن، وسمَّى؛ أبيحت»[٢]. وقد عدَّ العلماء أن الذبح لقصد دفع شرّ الجن عبادة لهم، وهي شركٌ بالله ﷻ[٣].

وكان الشيخ أحمد المنقور يندُب زيارة البيت الذي وُلِد فيه النبي ﷺ والغار الذي بجبل حراء وبيت خديجة ودار الأرقم والغار الذي بجبل ثور[٤]. كما ذكر المنقور المواضع التي يستجاب عندها الدعاء، ومنها «عند صخرة بيت المقدس»[٥]. هكذا.

أقول: قد بيَّنَ **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** حال نجد قبيل أن يصدح في دعوته، في رسالة منه إلى أحد علماء العراق، قال فيها: «بيَّنتُ للناس إخلاص الدين لله ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات

---

(١) انظر ترجمة ابن منقور عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٢٥٢ ـ ٢٥٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٥٩٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٥١٧ ـ ٥٢٢).

(٢) أحمد المنقور «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة» (٢/٨٧).

(٣) من فتاوى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وردت في هامش (ص: ٨٨) تعليقاً على فتوى الشيخ أحمد المنقور في كتابه «الفواكه العديدة».

(٤) أحمد المنقور «جامع المناسك الثلاثة الحنبلية» (٧٠ ـ ٧١). وعلَّق محمد بن عبدالعزيز المانع في (ص: ٧٠) على كلام المنقور قائلاً: «ليس على الندب لزيارة المواضع المشهورة دليل». وسيأتيك في الفصل الثالث من هذه الدراسة بيان مفصَّل عن تلك الأماكن في الحجاز التي خصَّها اهل البدع بالزيارة والدعاء.

(٥) أحمد المنقور «الفواكه العديدة» (١/١٧٨). وانظر: عبدالله أبا حسين «تعدد الخلفاء» (٢٨٠).

من الصالحين وغيرهم وعن إشراكهم فيما يُعبَد الله به من الذبح والنذر والتوكّل والسجود، وغير ذلك مما هو حقّ الله الذي لا يشركه فيه أحد؛ لا ملكٌ مقرَّب ولا نبيٌّ مرسل، فأنكر هذا بعض الرؤساء لكونه خالف عادات نشؤوا عليها»[١].

وللعالم **الأمير الصنعاني** (ت: ١١٨٢هـ/١٧٦٨م)[٢] **كلمة عن الشرك في نجد ذكرها يوم بيَّن سبب تأليفه لكتابه «تطهير الاعتقاد»** فقال: «وجب عليَّ تأليفه وتعيَّن عليَّ ترصيفه لِما رأيتُهُ وعَلِمتُهُ يقيناً من اتخاذ العباد الأنداد في الأمصار والقرى وجميع البلاد من اليمن والشام ومصر ونجدٍ وتهامة وجميع ديار الإسلام؛ وهو الاعتقاد في القبور وفي الأحياء مِمَّن يدَّعي العِلمَ بالمُغيَّبات والمُكاشفات وهو مِن أهلِ الفجور»[٣].

ثمَّ تظهر لنا رسالة مهمَّة من رسائل العلماء في نجد تُقِرّ بانتشار الشرك في نجد وتشهد بِتَفَشِّيهِ قبل دعوة الشيخ وقيام الدولة السعودية الأولى؛ وهي رسالةٌ كَتَبَها **الشيخ محمد بن غيهب**[٤] **والشيخ محمد بن**

---

(١) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى ابن السويدي، ضمن «الدرر السنية» (٧٩/١ ـ ٨٠) باختصار.

(٢) هو الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني. الفقيه الأديب الشاعر المؤرّخ. وُلِدَ في (كحلان) قريبة من (صنعاء)، ثمَّ انتقل إلى (صنعاء) وتوفي فيها. انظر ترجمته عند: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٥٢/٢ ـ ٥٦).

(٣) محمد بن إسماعيل الصنعاني «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد» (٢٣).

(٤) لست متيقناً إن كان محمد بن غيهب هو نفسه محمد بن عبدالله بن حمد بن غيهب صاحب شقراء، الذي أورده عثمان بن بشر في «عنوان المجد» (٣٠٢/١). على أنَّ عبدالله البسام في «علماء نجد» (٣٦٧/٤) يذكر أنَّ ابن=

عيدان[١]، وَأرسلاها إلى عبدالله المويس (ت: ١١٧٥هـ/١٧٦١م)[٢]، وهي بمثابة وثيقة تاريخية تصف الحال في نجد آنذاك، وهذا نصّها:

«من محمد بن غيهب ومحمد بن عيدان إلى عبدالله المويسي: الباعث للكتاب إخبارك عن ديننا قبل أن يجعل الله هذا الشيخ لهذا القرن يدعوهم إلى الله وينصح لهم ويأمرهم وينهاهم، حتى أطلع الله به شموس الوحي وأظهر به الدين وفَرَقَ به أهل الباطل من السادة والكُهَّان والمرتشين، فهو غريب في علماء هذا الزمان؛ هو في شأن وهم في شأن آخر، رَفَع الله به عَلَم الجهاد فشمَّرَ إليه فأمر ونهى، ودعا إلى الله تعالى ونصح ووفَّى بالعهد لمَّا نقضوه، وشمَّر عن ساعد الجِدِّ لمَّا تركوه، وتمسَّك بالكتاب المنزَّل لمَّا نبذوه، فبدَّعوه وكفَّروه.

فديننا[٣] قبل هذا الشيخ المجدّد لم يَبقَ منه إلا الدعوى

= غيهب من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ الذين تتلمذوا عليه بعد أن أظهره الله بدعوته السلفية في نجد ومناصرة آل سعود لها.

(١) لم أقف على ترجمة لمحمد بن عيدان، وقد وصفه ابن بسام بأنهم من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ الذين تتلمذوا عليه بعد أن أظهره الله بدعوته السلفية في نجد. انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٦٧/٤).

(٢) عبدالله بن عيسى المويس، ويقال (المويسي): من بلد (حريملاء) في نجد. وكان المويس هذا من أعاظم من عادى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما سيأتي في الفصل الخامس. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمن البسام «علماء نجد» (٣٦٤/٤ ـ ٣٦٩).

(٣) من هنا إلى آخر الرسالة، اقرأها بتأمل ومزيد تدقيق؛ لتبرز لك الأهمية التاريخية لهذا النص، التي هي بمثابة توثيق تاريخي لحال نجد قبل ظهور الدعوة وقيام الدولة السعودية. فهذه الرسالة ردٌّ على من وجّهوا التهم إلى تاريخ ابن غنَّام وتاريخ ابن بشر: بأنَّ ابن غنَّام وابن بشر في تاريخيهما روَّجا =

والاسم، فوقعنا في الشرك؛ فقد ذبحنا للشياطين ودعونا الصالحين. ونأتي الكُهَّان ولا نُفَرِّق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقرَّ به مشركو العرب وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنَّة والبدعة؛ فنجتمع لليلة النصف من شعبان لصلاتها الباطلة التي لم يُنزَّل بها من سلطان، ونضيِّع الفريضة ونُقَدِّم قبل الصلاة الوسطى (صلاة العصر) من الهذيان ما يفوّتها عن وقت الاختيار إلى وقت الضرورة، هذا وأضعافه مِنْ البدع لم ينهنا عنه علماؤنا بل أقرُّونا عليه وفعلوه معنا؛ فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا ينصحون جاهلاً ولا يهدون ضالاً.

ويكفيك عن التطويل أن الشرك بالله يخطب به على منابرهم. ومن ذلك قولهم: اللهم صلِّ على سيدنا ولينا وملجئنا ومنجانا ومعاذنا وملاذنا.

فقبل هذا الشيخ لا تُؤدَّى أركان الإسلام كالصلاة والزكاة، فلم يكن في بلدنا من يُزكّي الخارج من الأرض، حتى جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقا»[١].

وهذه حقيقة تاريخية؛ فلقد ظهر الشيخ المجدّد في وقتٍ كان أهله شرٌّ من حال المشركين وأهل الكتاب في زمن البعثة، من شركٍ وخرافاتٍ وبدعٍ وضلالاتٍ وجهالةٍ غالبة[٢].

= انتشار الشرك في نجد؛ ليظهرا دعوة الشيخ محمد في مظهر كبير بهيّ، وعلى أنَّ ابن غنَّام وابن بشر كانا مخطئين في كلامهما!!!.

(١) أورد الرسالة كاملة: عبدالله البسام، في «علماء نجد» (٣٦٧/٤ ـ ٣٦٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن بن قاسم في مقدِّمته لكتاب «الدرر السنيّة» (١٨/١).

والاسم، فوقعنا في الشرك؛ فقد ذبحنا للشياطين ودعونا الصالحين. ونأتي الكُهّان ولا نُفَرِّق بين أولياء الرحمٰن وأولياء الشيطان، ولا بين توحيد الربوبية الذي أقرَّ به مشركو العرب وتوحيد الألوهية الذي دعت إليه الرسل، ولا نفرق بين السنَّة والبدعة؛ فنجتمع لليلة النصف من شعبان لصلاتها الباطلة التي لم يُنزِّل بها من سلطان، ونضيِّع الفريضة ونُقَدِّم قبل الصلاة الوسطى (صلاة العصر) من الهذيان ما يفوِّتها عن وقت الاختيار إلى وقت الضرورة، هذا وأضعافه مِنْ البدع لم ينهه عنه علماؤنا بل أقرُّونا عليه وفعلوه معنا؛ فلا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر ولا ينصحون جاهلاً ولا يهدون ضالاً.

ويكفيك عن التطويل أن الشرك بالله يخطب به على منابرهم. ومن ذلك قولهم: اللهم صلِّ على سيدنا ولينا وملجئنا ومنجانا ومعاذنا وملاذنا.

فقبل هذا الشيخ لا تُؤدَّى أركان الإسلام كالصلاة والزكاة، فلم يكن في بلدنا من يُزكِّي الخارج من الأرض، حتى جاء الحقّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقا»[١].

وهذه حقيقة تاريخية؛ فلقد ظهر الشيخ المجدّد في وقتٍ كان أهله شرٌّ من حال المشركين وأهل الكتاب في زمن البعثة، من شركٍ وخرافاتٍ وبدعٍ وضلالاتٍ وجهالةٍ غالبة[٢].

= انتشار الشرك في نجد؛ ليظهرا دعوة الشيخ محمد في مظهر كبير بهيّ، وعلى أنَّ ابن غنَّام وابن بشر كانا مخطئين في كلامهما!!!.

(١) أورد الرسالة كاملة: عبدالله البسام، في «علماء نجد» (٣٦٧/٤ ـ ٣٦٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن بن قاسم في مقدِّمته لكتاب «الدرر السنيّة» (١٨/١).

وتلك الحقيقة شَهِد بها عالم من علماء نجد عاصر من أدرك تلك الفترة؛ وهو **سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب** (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذي ذكر: أنَّ الإمام المجدّد لمَّا «رجع إلى نجد؛ وَجَدَ أهلها ضالّين وعلى أصنامٍ يعبدونها من دون الله عاكفين ما بين أشجار وأحجارٍ وغيران وطواغيت من الأنس والجان فاتنين مفتونين»[(١)]، لذلك «عاداه أهل الباطل وأقاموا بأنواع العداوة عليه؛ ليُرجعوه هو أتباعه عن إقامة التوحيد والدعاية إليه وإخلاص الوحدانية والعبادة كلها بأنواعها لله وحده، إلى ما كانوا عليه من الطغيان وعبادة الشيطان من الإنس والجان»[(٢)].

وهذا صحيح من الناحية التاريخية؛ فإنَّ كثيراً من أهل نجد استغرب دعوة الشيخ إلى التوحيد ورأوا فيها مناقضةً لِما ألفوه فحسبوها دعوة إلى بدعةٍ أو دينٍ جديد، فقال أولئك المحتجون المشغِّبون: «**هذه دعوةٌ عوجاء**»[(٣)].

من هنا جاء تصريح أعداء الدعوة بأنَّ من أقرَّ بالتوحيد الذي دعا إليه محمد بن عبدالوهاب فقد كَفَر وحلَّ ماله وقُتِلَ في الحلِّ والحرم[(٤)].

---

(١) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٦)، وقيل إنَّ الكتاب من تأليف ابن غريِّب.

(٢) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٧).

(٣) عبدالله بن خميس في كتابه «معجم اليمامة» (٤٢٤/١) و(١٨٨/٢). وانظر الفصل الخامس وبحث مسألة نخوة آل سعود حينما ينتخون ويقولون: «جِنَّا أهل العوجا».

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤٢٤/١).

ومن أصرح النصوص على ذلك؛ ما أعلنه **عدوّ التوحيد محمد بن فيروز** (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م)(١) يوم قال بالنصِّ: «والحاصل: أنَّ أمر طغاة نجد لا يُشكِل على من تُشكل عليه الشمس، ولا يتوقف في تكفيرهم وحِلِّ دمائهم وأموالهم من له مَسْكَة من الدين، ولا يتوقَّف في كون من قتلوه شهيداً ومن قتلهم مثاباً»(٢). هكذا!!!.

وهذا يذهب بنا إلى تسليط الضوء على أعداء الدعوة الذين رفضوها وناوأوها ولم يطيقوا البقاء في نجد فرحلوا عنها وتركوها بعد أنَّ بدأت أرضها تَتَشَمَّم طيب التوحيد ويتنسَّم أهلها عبيره الذي انتشر، فهجَّ الكارهون للتوحيد راحلين عن نجدٍ إلى بلدان تتوافق مع مشربهم العقدي، ومن أولئك: سليمان بن سحيم مفتي الرياض(٣)، فإنَّه لمَّا اتَّسعت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وقويت بدولة آل سعود لم

---

(١) محمد بن عبدالله بن محمد بن فيروز الوهيبي التميمي نسباً النجديّ أصلاً الأحسائيّ مولداً ومنشأً ثم البصريّ وفاةً الزبيريّ مدفناً. قال عبدالله آل محمود في «تحذير أهل الإيمان» (٦٢ ـ ٦٣): إنَّ ابن غنَّام الأحسائي وصف ابن فيروز الأحسائي في كتابٍ سمَّاه «الرد المركوز على مخازي ابن فيروز» بأنَّه من أفجر علماء الأحساء، وأنَّ من سجيَّتِهِ أكل الرشاء وإجراء المظالم فيها، ولمَّا ظفر المسلمون بالأحساء خرج هارباً في وقت الظهيرة وتوجَّه إلى (الزبارة) في قطر. وانظر ترجمة ابن فيروز عند: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (٩٣ ـ ٩٤). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (٣/٩٦٩ ـ ٩٨٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٥٢ ـ ١٦٥٤). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٦/٢٣٦ ـ ٢٤٥).

(٢) عبدالله آل محمود «تحذير أهل الإيمان» (٣٦).

(٣) انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦١٦).

يَبقَ لابن سحيم قرار في مجاورتها، فسافر إلى الزبير؛ لأنَّ هذا هو الوقت الذي احتدم فيه النزاع والقتال بين الدرعية والرياض[١].

ومنهم حميدان بن تركي[٢] الذي ترك القصيم بعد أن تفيَّأت في ظلال التوحيد ورحل عنها إلى المدينة النبوية وأقام فيها حتَّى توفي[٣].

ومنهم صالح[٤] ووالده سيف بن أحمد العتيقي[٥] الذي هاجر من حَرْمَة إلى الأحساء ثمَّ إلى العراق[٦].

على هذا الحال كانت شهادة أهل العلم بما كان شائعاً وذائعاً من الشرك في إقليم نجد، وعلى هذا الحال أيضاً جاءت شهادات وتصرّفات أعداء الدعوة ومعارضيها لِتقَرِّر حقيقة وجود الشرك في نجد قبل الدعوة وقبل قيام الدولة.



(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨٢/٢).

(٢) انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٣٨٠/١ ـ ٣٨١).

(٣) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٣٨١/١). وعبدالله البسام «علماء نجد» (١٤٩/٢).

(٤) هو صالح بن سيف بن أحمد العتيقي النجدي ثمَّ الأحسائي ثمَّ الزبيري، من أهل (حَرْمَة) من بلدان (سدير). انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٧٤/٢).

(٥) انظر: ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٤١٧/٢ ـ ٤١٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٢٢/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤١٥/٢ ـ ٤١٦).

(٦) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٧٥/٢).

* شهادة الأمراء الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة.

تأتي شهادة الأمراء كرافدٍ تاريخي مهم لمعرفة حال نجد قبل الدعوة؛ فهذا **الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود** (ت: ١٢١٨هـ/١٨٠٣م) ثاني حكّام الدولة السعودية الأولى، يشهد بأنّه هو نفسه «والناس فيما مضى على دين واحد؛ يدعون الله ويدعون غيره، وينذرون لله وينذرون لغيره، ويذبحون له ويذبحون لغيره، ويتوكلون عليه ويتوكلون على غيره، ويخافون منه ويخافون من غيره، ويُقِرُّون الشرائع من صلاة وزكاة وصوم وحج، والذي يعمل بهذا عندهم القليل، مع الإقرار، ويُقِرُّون بالمحرمات من أنواع الربا والزنا وشرب الخمر وما يشبه هذا من أنواع المحرمات، ولا ينكرها خاص على عام»[(١)].

نعم؛ كان هذا هو شأن الناس «في تلك الأوقات والأزمان، وقد أُشْرِبَت منهم القلوب بمحبة المعاصي والذنوب، وتولّعوا بما كانوا عليه من العصيان وقبائح الأهواء الغالبة على كل إنسان»[(٢)].

لذلك وصف الإمام عبد العزيز نفسه ذاك الحال في رسالة منه

---

(١) من رسالةٍ للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن: «الدرر السنية» (٢٧٩/١)، بتصرفٍ يسير.

(٢) كلمةٌ لمحمد بشير السهسواني في وصف حال أهل نجد آنذاك، أوردها في كتابه: «صيانة الإنسان» (٤١١) أثناء ردِّهِ على أباطيل أحمد زيني دحلان المفتري على الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ السلفية.

لأهل المخلاف السليماني[١]، قائلاً: «من عبد العزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من أهل المخلاف السليماني وكافة أهل تهامة[٢] وفَّقنا الله وإيَّاهم إلى سبيل الحق والهداية وجَنَّبَنا وإيَّاهم طريق الشرك والغواية، فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله؛ من عبادة القبور والاستعانة بهم والتقرُّبِ بالذبْحِ لهم وطلبِ الحاجات منهم، مع ما يَنْضَمّ إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب المحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الدين، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله له المآب»[٣]، «**فلمَّا أنكر عليهم الشيخ ـ عفا الله عنه ـ الشرك، بَدَّعوه وخرّجوه ورموه بالعظائم**»[٤].

ويشهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بأنَّه لولا ما كان موجوداً من الشرك عندَ كثيرٍ من أهل نجد لَما حاربوا الدولة والدعوة حينما دعوا إلى إخلاص التوحيد وتجريده لله ﷻ، حيث قال الإمام عبدالعزيز:

---

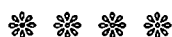
(١) المخلاف السليماني: هو الاسم القديم لبلاد (جازان). انظر: محمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١/ ١٤).

(٢) تهامة: المقصود بها تهامة الجنوب. وهي السهل الساحلي العظيم المتاخم للبحر الأحمر ناحية (جازان). انظر: محمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١/ ٢٤).

(٣) جزءٌ من رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، أوردها: عبدالرحمٰن البهكلي في كتابه «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» (٦٨ ـ ٨٦) باختصار يسير.

(٤) رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى رجل يقال له ياقوت، ضمن «الدرر السنية» (١/ ٢٧٦).

«سبب عداوة الناس لنا وبغضهم إيَّانا لمَّا أخلصنا العبادة لله وحده ونهينا عن دعوة غير الله ولوازمها من البدع المضلَّة والمنكرات المغويَّة؛ فلأجل ذلك رمونا بالعظائم وحاربونا، ونقلونا عند السلاطين والحكام، وأجلبوا علينا بخيل الشيطان ورَجِلَه»(١).



* شهادة الشعراء الذين شهدوا وعاصروا تفشّي الشرك في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة.

يأتي الشعراء ليموّلوا بيان حال نجد قبل الدعوة، فلدينا شاهدٌ على شيوع التصوف في نجد قبل دعوة الشيخ، وهي أبيات قالها أحد مشايخ الخرج وهو راشد بن خنين (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)(٢) عن زيارة قبر الرسول ﷺ وفيها من الغُلُوِّ واللجوء لغير الله ما سوف تراه، إذ يقول ابن خنين:

فزُر قبره إنَّ الزيارة سنَّةٌ ... على كلّ مشتاقٍ وشائق
توجَّه إلى وجه الوجيه مقابلاً ... وشاهد لأنوار الحبيب البوارق
وسلِّم بلا صوت رفيع على الذي ... تلوذ به من كلّ خطب مضايق
محمد الجالي عن القلب رَيْنَه ... ومَن فاق حقّاً في العلى كل فائق(٣).

---

(١) رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى أهل بلدان العجم والروم، ضمن «الدرر السنية» (١/ ٢٦٢).

(٢) ترجمته عند: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (٢٦ ـ ٢٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٩).

(٣) انظرها عند: علوي الحدَّاد في كتابه «مصباح الأنام في الردِّ على شبه النجديّ التي أضلَّ بها العوام» (٧٢).

إنَّ هذه الأبيات تحمل في ثناياها غلوًّا واضحاً في شخص الرسول ﷺ، وإذا علمنا مكانة ابن خنين في الخرج أدركنا مدى ما وصل إليه اعتقاد بعض أهالي المنطقة في مثل ذلك[١].

وهذا الشاعر **راشد الخلاوي** (من أهل المنطقة؛ عاش قبل ظهور الدعوة) وهو يمدح النبي ﷺ على طريقة البوصيري الصوفي الغالي ومن على شاكلته، فيقول الخلاوي:

وَاصَلِّي صلاةٍ تملأ الأرض والسّمَا … صلاةٍ وتسليم من الله واجبِه
على المصطفى (سِرّ الوُجودِ) الذي سرى … إلى حضرةٍ ما نالها كُود جانبِه

إلى أن يقول:

هو الشافع المقبول في كلّ ما جرى … وإنْ شبَّتْ النِّيران عنها (يلاذ به)!

ويعلّق جامع الديوان عبدالله بن خميس (ت: ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م)[٢] على قصيدة الخلاوي قائلاً: «**والخلاوي في هذا الباب تَبِعَ هؤلاء المفرطين وغلا غلوّاً تجاوز فيه الحدود الشرعية وأتى بمثل ما أتى به البوصيري ومن على شاكلته، أو تجاوز وراءهم**»[٣].

إلى جانب ما سبق؛ فلدينا من الشعراء الذين بيَّنوا حال نجد

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٥٦) رسالة دكتوراه (غير منشورة).

(٢) عبدالله بن محمد بن خميس، المؤرخ البلداني السعودي، من مشاهير أدباء السعودية المعاصرين.

(٣) عبدالله بن خميس «راشد الخلاوي» (١٠٩ ـ ١١٢).

قبل الدعوة وقبل قيام الدولة، مثل الشيخ محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي (ت: ١٢٣٧هـ/١٨٢١م)[١] الذي وصف الحال هناك قائلاً:

فقام[٢] والشرك الصريح قد سرى … بين الورى وقد طغى واعتكرا
لا يعرفون الدين والتهليلا … وطرق الإسلام والسبيلا
إلا أساميها وباقي الرسم … والأرض لا تخلو من أهل العلم
وكل حزب فلهم وليجة … يدعونه في الضيق للتفريجة
وملّة الإسلام والأحكام … في غربة وأهلها أيتام[٣]

وفي بيت من قصيدةٍ لحسين ابن غنَّام (ت١٢٢٥هـ/١٨١١م) وصف بها من استنكر دعوة الشيخ بسبب ما شاع في نجد من الشرك، فيقول ابن غنام في بيته هذا:

وقام بأمر الحق في جاهلية … وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا[٤].

ومثله وصف الشيخ عمران بن علي بن رضوان (ت:

(١) مؤرِّخ أديب من عسير. انظر ترجمته عند: خير الدين الزِرِكْلي، «الأعلام» (١٧/٦ ـ ١٨). وبحث عبدالله أبو داهش «الشيخ محمد بن أحمد الحفظي من أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية»، في «مجلة العرب»، (ص: ١٩٠ ـ ٢٠١)، ج١ ـ ٢، رجب/ شعبان ١٤٠٧هـ ـ مارس/ أبريل ١٩٨٧م.

(٢) يقصد الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٣) أوردها سليمان بن سحمان في رَدِّهِ على رجل يسمى (شرف) نزيل البحرين، ضمن «الدرر السنية» (٥٤٩/١٢).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٣/٢ ـ ٩٥٤).

١٢٨٠هـ/١٨٦٣م)[١]، حال نجد وقت بداية ظهور دعوة الشيخ وقبلها؛ قائلاً:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة يدعون أصحاب القبور الهُمَّدِ
تاجاً وشمساناً[٢] ومن ضاهاهما من قُبَّةٍ أو تربةٍ أو مشهدِ
يرجون منهم قربة وشفاعة ويؤمّلون كذاك أخذاً باليد
ورأى لعُبَّادِ القبور تقرّباً بالنذر والذبح الشنيع المفسدِ
ما أنكر القرَّاء والأشياخ ما شهدوا من الفعل الذي لم يُحْمَدِ
بل جَوَّزوه وشاركوا في أكله من كان يذبح للقبور ويفتدي[٣]

وقال الشاعر أحمد بن علي بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) مادحاً دعوة الشيخ ومبيِّناً الحال قبل قيامها:

لقد أوضَح الإسلام بعد اغترابه وقد جَدَّ في إخفائه كلّ ملحدِ
وجَدَّدَ منهاج الشريعة إذ عَفَتْ فَأكرِم بِهِ مِنْ عالمٍ ومُجَدِّدِ
وأحيا بدرس العلم دارس رسمها كما قد أمات الشرك بالقولِ واليَدِ
وكم شبهةٍ للمشركين أزاحها بكلّ دليل كاشف للتردّدِ[٤].

---

(١) عمران بن علي بن رضوان: صاحب لنجة (على ساحل الخليج العربي لبرّ فارس). سلفيّ العقيدة، شافعي المذهب، أسند إليه قضاء لنجة وكان مفتيها.
انظر: سليمان بن سحمان «الهدية السنية» (١١٠).
والموقع الإليكتروني: www.al-tawhed.net/shekh/showCat.aspx.

(٢) تاج وشمسان: اثنان من كبار الطواغيت اللذان غلا فيهما أهل نجد. وسيأتي ـ حين البحث عن الحال الديني في نجد على هيئة مفصلة ـ مزيد تعريف بهما.

(٣) أوردها: سليمان بن سحمان في كتابه «كشف غياهب الظلام» (١٣٨ ـ ١٤٣).

(٤) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

فابن مشرّف يخبرك بأنَّ الإسلام كان غريباً قبل ظهور هذ الإمام، وأنَّ الشريعة قد عَفَت مناهجها واندرست، وأنَّ الشرك موجودُ فجاءت تلك الدعوة وأماتته بكشف شبه المشركين وإزاحتها بالدلائل الكاشفة.

ثمَّ قال ابن مشرّف مبيّناً ما كان واقعاً قبيل قيام آل سعود بنصرة الدعوة، مادحاً نصرتهم وجهادهم:

وقد طهّروا تلك الديار وطردوا ... ذوي الشرك والإفساد كلّ مطرد
بأمر بمعروف ونهيٍ عن الرَّدَى ... وبالصلوات الخمس للمُتَعَبّدِ
وقد هدموا الأوثان في كلّ قرية ... كما عمَّرَت أَيْدِيهُمُ كلّ مسجدِ
فكن ذاكراً فوق المنابر فخرهم ... ونادِ به في كلّ نادٍ ومشهد[١].

فهذه شهادةٌ من ابن مشرّف بأنّ نجداً قبيل قيام دولة آل سعود لم يكن يُأمر بها بالمعروف، وأنَّ التهاون بَيِّنٌ بالصلوات الخمس جماعة، وأنَّ الأوثان قد ملأت البلدات والقرى.

ولدينا شاهد على ما كان منتشراً من بدعٍ وشرك قيَّض الله له أئمَّة آل سعود في تلك الدولة أن يهدّوا بنيانه وينقضوا أركانه، فهذا سلطان المغرب المولى سليمان بن محمد (ت: ١٢٣٨هـ/١٨٢٢م)[٢] يكلّف شاعره **الأديب أبا الفيض حمدون بن الحاج (ت: ١٢٣٢هـ/١٨١٧م)**[٣] أن يرسل رسالة على هيئة قصيدة للإمام سعود بن

---

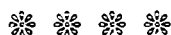
(١) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

(٢) ترجمته عند: أحمد الناصري السلاوي «الاستقصا» (٨/٨٦ ـ ٩٠).

(٣) ترجمته وأخباره عند: أحمد الناصري السلاوي «الاستقصا» (٨/١٢٠) (١٢٧) (١٣٣).

عبدالعزيز بن محمد بن سعود؛ يثني فيها على ما قام به من محاربة البدع وهدم بنيان الشرك، إذ يقول شاعره:

وقد حَيِيْنا بما أَمَتَّ من بِدعٍ   كانت قَذى بعيون الدين لم يَرُمِ
وكانت السنَّة البيضاء مظلمةً   بها، وكان بها الإسلام لم يَقُمِ
فأصبحت وهي شمسٌ غير آفلةٍ   نوراً، وقد قام إسلامٌ على قَدَمِ[(١)].



* البحث في جذور الانحراف العقدي الذي حلّ في نجد قبل قيام الدولة وظهور الدعوة:

إنَّ شهادة الحس لواقع تلك الفترة السابقة لظهور دعوة الإمام المجدِّد تُنبِئ أن العرب كانوا في نجد، بل في الشطر الشرقي من شبه الجزيرة، منغمسين في عقائد وعبادات جاءتهم من النجف ومن الأهواز، أو بالأحرى من بلاد فارس؛ فكان لا يزال للقرامطة أثر في الأحساء، وكانت للقبور شفاعةٌ لا شفاعةَ فوقها؛ فحلَّها الناس المحلّ الأعلى في العبادة والتوسّل[(٢)].

ولئن أصبح تسرب تلك العقائد الوثنية والعادات المجوسية بمثابة معول هدَّام في صرح الدين الحنيف في الهند وإيران والعراق، بل وسائر البلدان القابعة تحت هيمنة العثمانيين، خصوصاً البلاد المأهولة

---

(١) التليلي العجيلي «صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز» (١٧١).

(٢) انظر: أمين الريحاني «تاريخ نجد الحديث» (٣٥). وأحمد بن حجر آل أبو طامي «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» (١٦).

بالأعاجم الذين اعتنقوا الدين الإسلامي؛ فقد أضحى لهم في نجد كبير أثر في إحداث البدع والخرافات التي تخالف بساطة الدين وروحه وهدفه، بل وركنه الركين؛ وهو التوحيد[١].

ودليل ذلك أنَّ الشيخ عبد الوهاب بن سليمان (ت: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)[٢] **والد الإمام المجدِّد رأى في بلدة حرمة بعض الأفاعيل المنكرة من قِبَلِ بعض أهل التصوّف الذين يمارسون الشعبذة والمنكرات والأحوال الشيطانية، فقال الشيخ عبدالوهاب: «فاعلم أنَّ منشأ هذه البدعة من المجوس والصابئين الكافرين بالله ورسوله»**[٣].

وهنا تحقيقٌ تأريخي مهم أتى به أحد الكتَّاب، يقول فيه: «وأظن أن من أسباب انتشار تلك الأماكن المقدسة في المنطقة هي سيطرة الدولة الأخيضرية على منطقة اليمامة نحو أربعة قرون خلال الفترة التي امتدت من منتصف القرن الثالث الهجري إلى منتصف القرن السابع الهجري، وبسط نفوذها ومحاولة نشر عقيدتها العلوية الزيدية[٤]، التي من بعض سماتها الظاهرة التبرك بالأولياء والصالحين وتعظيم الأماكن والأشجار وغيرها.

وهذه أمور غريبة على المنطقة لم توجد من قبل، وقد استمرت

---

(١) انظر: خالد الفرج «الخبر والعيان في تاريخ نجد» (١٥٦).

(٢) ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥/٤٠ ـ ٤٣).

(٣) رسالة الشيخ عبدالوهاب بن سليمان بن علي، ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/٥٢٤).

(٤) انظر: ما فصَّلناه في الفصل الأول عن الدولة الأخيضرية وعقيدتها الزيدية وبسط نفوذها في نجد آنذاك.

تلك المظاهر الشركية بعد سقوط دولة الأخيضريين على يد [القرامطة][(١)]، وتطورت إلى العصر الذي ظهر فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ الذي حارب بدوره تلك الأمور الشركية»[(٢)].

لذلك قرَّر بعض أهل العلم والنظر أنَّ «**أكثر هذه العقائد الزائفة والأعمال الضالة كان وافداً على نجد وغير نجد من بلاد العَجَم**: كربلاء والأهواز وغيرها؛ التي هي معقل عبادة القبور ومنبع العقائد الشركية في المقبورين وآثار الصالحين. ولقد كان سَلَفُ هؤلاء الأَوَّلِينَ يُضمِرون في نفوسهم نَزَعَات وثنية مجوسية ونَزَعَات سياسية فارسية، يَحرِصون على تحقيق كلّ منهما ويعملون عليه ويبذلون ما يستطيعون فيه، ويسلكون إلى أغراضهم من ذلك كل طريق»[(٣)]؛ «وذلك لِما رسخ فيهم من عقائد ديانتهم الأولى وعاداتهم الأعجمية؛ كالنظريات الحلولية وتعظيم الأماكن وتقديسها، مما أدى إلى تشييد القباب والقبور والمزارات والحج إليها والاطِّراح على أعتابها لطلب الغفران وقضاء الحوائج، والنظر إلى بعض المخلوقين كشبهِ آلهة، تمليها عقولهم الباطلة المتأثرة بالعقائد الوثنية.

---

(١) قال الكاتب في مقاله: أنَّ الدولة الأخيضرية سقطت على يد بني عصفور، والحقّ أنَّها سقطت على يد القرامطة. راجع ما بحثناه في الفصل الأول من هذه الدراسة.

(٢) عبدالحكيم العواد «أماكن يُتَبَرَّك بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السلفية»، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٢٥٨٢، الأحد ٢١ صفر ١٤٢٨هـ/ ١١ مارس ٢٠٠٧م. وهو مقال طيّب، مع التحفّظ على ما أورده العواد حول التشكيك في شيوع البدع والشرك في نجد قبل الدعوة.

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٣٧) باختصارٍ يسير.

ومنهم من تعمَّد إدخال هذه العقائد لغايات سياسية يقصد منها هدم الدين الإسلامي بتضليل العامة بشتى الدعايات والبدع، وَلَإِنْ قام في تلك الأصقاع علماء موحدّون أجلَّاء دافعوا عن التوحيد وفنَّدوا تلك الضلالات والشبهات ونَعوا على أهلها ما هم فيه، فإن جزيرة العرب، وبالخاصة نجد، مُنِيَت بالجهل المطبق والانقياد للخيالات والأوهام التي تسلَّطَت على عقول حاضرتها وباديتها، حتى أنَّ بعض الحكايات لتُروى فتصوّرهم في حياة الجاهلية الأولى، وقد تسرَّبَت إليها من دول الجوار»[١].

هكذا كان الحال في نجد على هيئةٍ مجملة. أمَّا حالها على هيئةٍ مفصَّلَة، فإنَّه يُظهر سوء ما وصل إليه حال الناس هناك في انحرافاتهم العقدية آنذاك؛ وتفصيله في المبحث التالي:

(١) خالد الفرج «الخبر والعيان» (١٥٦ ـ ١٥٧) باختصار يسير.

ثانياً: أحوال نجد الدينية قبل قيام الدولة وظهور الدعوة (على هيئة مفصَّلة)(١)

* باب: ما جاء في التغليظ فيمن عَبَدَ الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عَبَدَهُ:

فمن هذا الباب؛ كان الناس في نجد يزعمون أن في **قريوة**(٢) **في الدرعية** قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة، فتقرَّبوا إليهم وهم يظنون

---

(١) سترى أنني جعلت الحالة التفصيلية لنجد قبل الدعوة على بعض عناوين أبواب «كتاب التوحيد» للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كما ستراه في هذا المبحث؛ لعلمي أنَّ الشيخ في «كتاب التوحيد» جعل عناوينه واصفةً الحال العقدي المنحرف في نجد قبل دعوته المباركة، وأن ما في الكتاب من النصوص والأحكام جاءت لعلاج ذلكم الانحراف الذي شاع وذاع في نجد وغيرها في تلك الأوقات. وذكرت عنواناً واحداً فقط من كتاب «مسائل الجاهلية».

(٢) قريوة: هي المقبرة الرئيسية لأهل (الدرعية)، يرقد فيها الأئمة من آل سعود والأمراء والأعيان، وبها قبر الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأعلام من أسرة آل الشيخ. انظر: عبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال»، مقالة نشرت في «مجلة الدارة» (ص٢٠)، العددا، ربيع أول ١٣٩٥هـ/ مارس ١٩٧٥م. وانظر أيضا كتابه الآخر «معجم اليمامة» (٤٢٥/١).

أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله؛ فكأنما عناهم الله تعالى بقوله ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ۝٨٦﴾ [الصافات: ٨٦]، وكأنما كان جوابهم دائماً ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وكانوا يأتون في شعيب غبيرا[١] من المنكر ما لا يُعْهَد مثله: **يزعمون أنَّ فيه قبر ضرار بن الأزور ﷺ، وذلك كذب محضٌ وبهتان مَثَّلَهُ لهم إبليس وصوَّرهُ ودلَّسَهُ عليهم من غير أن يشعروا**[٢].

والصحيح أنه لم يثبت استشهاد الصحابي الجليل ضرار بن الأزور ﷺ في حروب اليمامة، بل ذكر أئمة التاريخ أنه اشترك بعدها في معركة اليرموك سنة ١٣هـ/٦٣٤م بالشام، كما شارك في معركة فِحْل، واستشهد في معركة أجنادين في ذات السنة[٣]. إذن؛ فلا علاقة لضرار بن الأزور ﷺ بالقبر الذي دلَّسه الشيطان على الناس في شعيب غبيرا في نجد.

أيضاً؛ كانوا في نجد يذهبون إلى الجُبَيْلَة؛ ففيها جُبانةٌ تقع بها قبور الصحابة الذين استشهدوا في (الحديقة) وما حولها، ومن بين

---

(١) شعيب غبيراء: أحد الشعاب التي تشكل أكبر الروافد للدرعية. انظر: عبدالله بن خميس، المقالة السابقة. وانظر كتابه «معجم اليمامة» (٤٢٤/١).

(٢) انظر: رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٣٧٩/١). وانظر أيضاً مبحث حول تدليس شياطين الإنس على الناس بقبور مكذوبة، في: رسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (٢٠٩/١٠ ـ ٢١٠).

(٣) انظر: إسماعيل بن كثير «البداية والنهاية» (٥٥٧/٩)، (٥٦١)، (٥٦٥)، (٥٨٩)، (٦٠٣).

تلك القبور قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه[١] الذي يقصدونه ويدعونه رَغَباً ورَهَباً بفصيح الخطاب[٢] ويزعمون أنه يقضي لهم الحوائج، ويرونه من أكبر الوسائل والولائج[٣].

ومعلومٌ أن «قبر زيد بن الخطاب رضي الله عنه لا يُعرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله ﷺ قُتِلُوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي [وادي حنيفة] ولا يُعرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعرف قبر زيد من قبر غيره، وإنَّما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد، فافتتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد للزيارة، ويجتمع عنده جمعٌ كثير ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات»[٤].

يقول المؤرخ البلداني عبدالله بن خميس: «حدَّثني والدي وقد ذهبتُ معه في زيارةٍ للجبيلة وأنا تقريباً في الثانية عشرة، فقال: إنَّ الناس يخطئون حينما يقولون: أنَّ هذه القبور هي قبور الصحابة، تعال أريكَ قبور الصحابة.

فأخذني إلى تلعةٍ[٥] شمال الجبيلة، فقال: إنَّ هذه القبور هي

(١) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٦٤/١).

(٢) انظر: الشيخ عبدالرحمٰن بن قاسم، ضمن «الدرر السنية» (٣١٨/١٦).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (١٧٣/١).

(٤) كلمة لحسين بن غنام أثناء تعليقه على ردّ الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب على ابن سحيم: «تاريخ ابن غنام» (٣٦٢/١ ـ ٣٦٣).

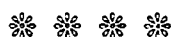
(٥) تلعة: جمعها تلاع؛ وهي الشعب الصغير ينحدر من الجبل. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٦٤٧/١).

قبور الصحابة، وهي قبور دارسة. إلّا أنَّني أستبعد أن تكون مضت عليها هذه الأحقاب ولا تزال محتفظة ببعض معالمها رغم أنها مكشوفةٌ وتلحّ عليها عوامل التعرية وهي أيضاً في مسيل تلعة؟!.

وهذا البحث يجرّنا إلى بحث موضوع قبر زيد بن الخطاب ﷺ، فلقد استشهد من بين هذا العدد الكبير من الصحابة وانشغل المسلمون بتجميع قتلاهم ودَفْنِهم، فما نُقِلَ بأنَّهم خصّوا زيداً أو غيره من مشاهير الصحابة بقبورٍ متميِّزة، لا سيَّما وعصرُهم عصرُ صفاءٍ وخُلُوّ من البدع، عصرُ تَمَسُّك بما أمر به النبي ﷺ من تسوية القبور وعدم تسنيمها أو البناء عليها، [يعرفون] تحذيره ﷺ من ذلك: (لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد) يُحذّر ﷺ ما صنعوا.

فعلى هذا لا إفراد لقبر زيد بن الخطاب ولا تمييز له، فمن أين جاء الخَلَف بوضع قبَّةٍ على قبر زيد حتى صارت فتنة كبرى وضلالة ضلّ بها أجيال وأجيال كلّها بسبب فكرة خبيثةٍ من أطماعٍ تريد سدانة القبر والارتزاق من سواد السُذَّج ومغفليهم.

لقد لعبت فتنة قبر زيد بن الخطَّاب دوراً خطيراً في سواد الناس بذلك الزمن، واهتمَّ لها إمام الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ، اهتمَّ لها جداً، وكانت في مقدِّمَة ما دعا إلى هدمه أميرَ العيينة ابن معمَّر آنذاك»[١].



* باب: من تبرَّك بشجرة أو حجر ونحوهما.

ومن ذلك؛ تقديس الناس في نجد للأشجار والأنصاب وما شابهها، فقد كان النساء والرجال يأتون بليدة الفدا[١]؛ حيث يكثر ذَكَر النخل المعروف بالفحَّال، ويفعلون عنده أقبح الأفعال ويتبرَّكون به ويعتقدون فيه؛ فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج فتضمّهُ بيديها ترجو أن يفرَّج عنها كربها، وتقول: فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحول!!.

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية[٢] يتبركون بها ويعلقون الخرق عليها إذا ولدت المرأة ذكرا لعله يسلم من السوء[٣].

كما اعتقد بعض أهالي نجد بشجرة تسمى شجرة الذيب بالقرب من العيينة؛ فكانوا يتبركون بها، وتأتيها بعض النساء، خصوصاً العوانس منهن، فيفعلون عندها مثلما فعلوا بنخل الفحال السابق ذكره[٤]. وسبب تقديسهم لشجرة الذيب؛ هو اعتقادهم الناشئ عن

(١) بليدة الفِدا: (البُلَيْدَة) شِعَبٌ يسيل على أعلى وغرب (الدرعية)، وهي ذات الفحال التي أورد ذكرها ابن غنَّام في تاريخه. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٧٩/١، و١٨٦). ومقالة ابن خميس السابقة في «مجلة الدارة» (ص١٩).

(٢) الطرفية: أحد أحياء (الدرعية) شمالي (ظهرة سمحان). قاله: عبدالله بن خميس في مقالته السابقة في «مجلة الدارة» (ص١٩).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٧٥/١). ورسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٣٧٩/١).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١).

حكاية يتداولونها حول حماية تلك الشجرة لأحد أهالي المنطقة من سطوة أحد الذئاب[١].

وينسحب على شجرة أبي دجانة في العيينة ما انسحب على شجرة الذيب من التقديس والتبرك والتعظيم[٢].

وكان يوجد في أسفل الدرعية غار بنت الأمير[٣]، له قصة تاريخية؛ وهو غار كبير يزعمون أن امرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت ودعت الله، فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا؛ وقد نسوا قوله تعالى ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات، الأية: ٩٤ ـ ٩٥][٤] .ويقال: إن أحد المشعوذين كان يختبئ في هذا الغار، وعندما يأتيه طالب الحاجة ويبدأ في ذكر حاجته يقوم هذا المشعوذ بإصدار همهمة من داخل الغار، فيظن الجهلة أن الغار يجيبهم، ويضعون له الطعام والهدايا، فيخرج المشعوذ بعد

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٣٣).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٦). وانظر إشارة عثمان بن بشر إلى تلك الأشجار في العيينة وتقديس الناس لها، في كتابه: «عنوان المجد» (١/٣٩). وأمين الريحاني «تاريخ نجد الحديث» (٣٥).

(٣) غار بنت الأمير: في أسفل (الدرعية)، بين (المُفَيجر) و(المُغتَرَّة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٣٠).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٧٣ ـ ١٧٥). ورسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (١٠/١٩٣).

تأكده من ذهابهم، وبعد أن يرخي الليل سدوله، فيلقف ما صنعوا له![1].



* باب: قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

ومن ذلك؛ تقديس كثير من أهل نجد للأولياء؛ فقد اشتهر عندهم رجل يزعمون أنَّه من الأولياء اسمه تاج[2]، سلكوا فيه سبيل الطواغيت فصرفوا إليه النذر وتوجهوا إليه بالدعاء واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجاً، وكان هو يأتي إليهم من بلدة الخرج إلى الدرعية لتحصيل ما تجمَّع من النذور والخراج، وكان أهل البلاد وما جاورها يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً حتى خافه الحكام، ويهاب أعوانه وحاشيته كل الناس هناك، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدَّعون فيه دعاوى فظيعة وينسبون إليه حكايات قبيحة، وكانوا ـ لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها ـ يصدقون ما فيها من مَيْنٍ وزُور؛ فزعموا أنه أعمى وأنه يأتي من بلده الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات التي هي مَحَطُّ رحال المشركين والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم وأعرضوا عن إخلاص الدعاء لله وحده رب العالمين الذي ﴿يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ

(١) انظر: عبدالحكيم العواد، المقال السابق في «صحيفة الجزيرة».

(٢) تجد في بعض رسائل أئمة الدعوة من يسميه تاج بن شمسان؛ فيجعله شخص واحد، وبعضهم يفرق بين الاسمين دلالة على أنهما شخصان اثنان. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٣٦)، (٢/٢٦٥). وعبدالرحمٰن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٣٥).

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢][(١)].

وظهر أيضاً عندهم رجل اسمه «شمسان» ، وكان الناس في نجد يقدسونه ويعظّمونه حتى أضحى طاغوتاً، ففعلوا معه مثلما فعلوا مع ذاك الولي المسمى «تاجاً»[(٢)].

والعجب أنَّ الناس في نجد يقدسون شمسان هذا مع شهادتهم عليه بالفجور، لكن يزعمون أنه وليٌّ لا تضرّه الذنوب، ويهابونه أعظم مما يهابون الله، فينخونه ويندبونه وينذرون له، ويرون ذلك من الدين والاعتقاد الصحيح؛ مثلما فعل ادهام بن دواس حين نَذَرَ أن يذبح جزور لتاج وشمسان إن قَطَعَ ابن سعود عليه الفوارة[(٣)(٤)].

وكان من أهل نجد من «يدعو شمسان وأمثاله في الشدائد،

---

(١) انظر: رسالة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى سليمان بن سحيم، ضمن «الدرر السنية» (٤٨/١٠). وحسين بن غنام «تاريخ ابن غنّام» (١٧٥/١ ـ ١٧٦)..

(٢) له قبة تسمى (قبة تاج بن شمسان) كانت معروفة في (الرياض)، وهي اليوم (حيّ القبة) حيٌّ من أحياء (الرياض القديمة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٣٦/١) (٢٦٥/٢).

(٣) الفوارة: ضاحية قديمة من ضواحي شمالي (الرياض)، يحدّها من الجنوب (ظهر الوشام) ومن الشمال (المَعْذَر) ومن الغرب (وادي أَلْيَسْنَ) ومن الشرق (الظهر) الذي يسيل منه (أبو رُفَيْع). بنى فيها الملك سعود قصراً سمَّاه (الناصرية) ثمَّ أصبح حيّاً كبيراً حافلاً بشوارعه وإدارته ومساجده. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٥٩/٢).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٦/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٥١/١).

وينذر له ليبرئوا المريض ويفرِّجوا عنه المكروه»[١].

لذلك أفتى الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسمَّاهم طواغيت لأنهم يدعون الناس إلى عبادتهم من دون الله عبادةً أعظم من عبادة اللات والعزَّى بأضعاف[٢].

كما اشتُهِرَ عندهم شخص يُدعى «السائح الأعرج» يُظهر الخوارق الصوفية؛ كالطيران في الهواء والمشي على الماء، وكان الناس يعتقدون ولايته وصلاحه[٣].



* مسألة اعتقادهم في مخاريق السَّحرة وأمثالهم أنَّها من كرامات الصالحين[٤]:

ومن ذلك ما كان يقع في بلدة حرمة في إقليم سدير في نجد، فقد أرسل عبدالله بن أحمد بن سحيم

(١) انظر: المسائل التي سئل عنها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أوردها: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٥٢١).

(٢) حسين بن غنَّام، المصدر السابق (١/٣٦١). و«الدرر السنية» (١٠/٢٩).

(٣) انظر: رسالة من الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن سحيم، عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٢٠). وفي «الدرر السنية» (١٠/٢٩).

(٤) هذه هي المسألة العشرون من كتاب «مسائل الجاهلية» للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(ت: ١١٧٥هـ/١٧٦٢م)[(١)] رسالةً إلى الشيخ عبدالوهاب بن سليمان بن علي (ت: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)[(٢)] (والد الإمام المجدد الشيخ محمد)، يخبره ابن سحيم بأنَّه عندهم في حرمة أحوال المتصوفة الفقراء المنكرة؛ مِنْ أخذهم النار وضربهم أنفسهم بالحديد ونطيطهم من السطوح، ولعبهم بذكر الله حتَّى أنَّهم يفعلونه كالنَّبح.

فأجاب الشيخ عبدالوهاب بن سليمان قائلاً: «ما ذَكَرتَ من أمرِ هؤلاء الشياطين الفَسَقَة الذين يسمُّون أنفسهم الفقراء[(٣)]، فاعلم يا أخي أنَّ هؤلاء شياطين، وأنَّ أفعالهم منكرة، بل والعياذ بالله بعض أفعالهم كفر، ولا شكَّ ولا ريب عند من له أدنى عقل ومَسْكَة في الدين أنَّهم منافقون أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من أفعالهم.

وأمَّا دخولهم في النار ونطيطهم من السطوح وضربهم أنفسهم بالحديد؛ فاعلم أنَّ منشأ هذه البدعة من المجوس والصابئين الكافرين بالله ورسوله»[(٤)].



---

(١) عبدالله بن أحمد بن سحيم: عالم بلد (المجمعة). انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨/٤ ـ ٤٠).

(٢) ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٤٠/٥ ـ ٤٣).

(٣) يُلَقِّب المتصوِّفَة أنفسهم بالفقراء. انظر: عبدالرزاق الكاشاني «اصطلاحات الصوفية» (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٤) رسالة للشيخ عبدالوهاب بن سليمان، ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٥٢٣/١ ـ ٥٢٤).

* باب ما جاء في الذبح والنذر والاستعاذة بغير الله.

توجَّهَ كثير من الناس في نجد إلى عبادة الجن؛ بدعائهم والذبح لهم والنذر لهم والخوف منهم وطلب رضائهم عليهم[١]؛ وقد وُجِدَت فتوى للشيخ أحمد المنقور (ت: ١١٢٥هـ/١٧١٣م) قال فيها: «الذبح لدفع أذى الجنّ، وسمّى؛ أبيحت»[٢]. وقد عدَّ العلماء أن الذبح لقصد دفع شرّ الجن عبادة لهم، وهي شركٌ بالله ﷻ[٣].

وكان متطَبِّبَة البادية الذين يقطنون قرب البلدان النجدية وقت صرام النخيل وحصاد الزروع يعرضون خدمات طبيَّة يعتقد بجدواها بعض النجدين، ويشترطون عليهم ذبح تيس أصمع أو خروف أسود دون تسمية لله عليه، ويُحدِّدون له مكاناً لذلك ليلاً[٤].

وفي حريملاء كان الناس يتوجهون للجنِّ بالذبائح، وحين أنكر عليهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب ذلك، كرهوا ذلك منه وطردوه من حريملاء[٥].

وكان الذبح للجن «يُفعل في بلدان العارض وغيرها، ولا ينكر أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجُهَّال بذلك ويقول: اذبحوا على هذا الصبي أو هذا المريض ذبيحة سوداء للجن

(١) انظر: «الدرر السنية» (٢/٢٢٠) (١٠/١٩٤) (١٢/٩) (١٢/٣١٢).

(٢) أحمد المنقور «الفواكه العديدة» (٢/٨٧).

(٣) من فتاوى الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري وردت في هامش (ص: ٨٨) تعليقاً على فتوى الشيخ أحمد المنقور في كتابه «الفواكه العديدة».

(٤) انظر: عبدالرحمٰن العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد» (٤٩).

(٥) انظر: رسالة للشيخ عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٢/٢١٩).

ولا تُسَمُّوا عليها. وقَصدُه بذلك أنَّ الجنَّ يزيلون ذلك المرض إذا ذُبِحَت لهم تلك الذبيحة، فلما أظهر الله الشيخ [محمد بن عبدالوهاب] ونهى عن ذلك وبلَّغَ الناس كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم؛ أنَّ ذلك كفر وردَّة، [فظهر مَن] يُنكر عليه مَن يزعم أنه مِن العلماء»[١].

وهذا ما قرَّره الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) ، وهو معاصر لمن شهد تلك الحِقَب، فقد ذكر واصفاً حال تلك الأوقات، وقال ما نصّه: «وأنت تجد أكثر من يقول: لا إلٰه إلا الله ويدّعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته؛ بدعوته من لا يضرّ ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجنّ وغيرهم، ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم، ويُنكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، ويزعم أنَّ ذلك بدعة وضلالة»[٢].



*** باب: ما جاء في الرُّقي والتمائم و بدعة المولد.**

ثم تأتي مع ما سبق بدعة إحياء الموالد البدعية؛ فقد ظهر في نجد من يُحيي بدعة الموالد؛ مولد النبي ﷺ[٣] أو موالد الأولياء.

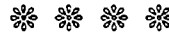
---

(١) من تعليق للشيخ حسين بن غنَّام على ردّ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب على عبدالله بن سحيم؛ تجدها في «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٨٨).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «قرَّة عيون الموحدين» (١/٢٣٣)، بتعليقات الشيخ صالح الفوزان.

(٣) من جياد الكتب والبحوث التي تناولت بدعة الاحتفال بالمولد النبوي ونشوئها =

وشهد أهل نجد بذهاب بعض من يدعي العلم للمولد، فيقرأ للحاضرين أحزاباً وأوراداً بدعية مخصوصة لمولد المحتفى به، والحضور يندبون ويدعون مشايخهم وأولياءهم ويطلبون منهم الغوث والمَدَد، ومن حضر ممن يدعي العلم يأكل من طعامهم الذي أعدّوه لذاك الاحتفال البدعي. وفي تلك الموالد يقوم بعض أدعياء العلم بتعليق التمائم الشركية لمن حضر، ويكتب لهم الحُجُب، وبعضهم يأخذ على الناس أجراً مقابل كتابة الحجب للمرأة التي تطلب الحمل، وفي حُجُبهم تلك من الطلاسم وأمور السحر الكثير[(١)].



* باب: من جحد شيئاً من الأسماء والصفات، ومن أنكر البعث.

وظهر في نجد بعض من المتصوفة؛ كمتصوفة معكال وغيرهم ممن «يتَّبعون مذهب ابن عربي [ت: ٦٣٨هـ/١٢٤٠م][(٢)] وابن الفارض

= من جهة تاريخية؛ ما صنَّفه حسين السندوبي في كتابه: «تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي من عصر الإسلام الأوَّل إلى عصر فاروق الأوَّل».

(١) انظر: رسالة للإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى سليمان بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٨٩/١ ـ ٣٩٠). وضمن «الدرر السنية» (٣٢/١٠).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد ابن عَرَبيّ الطائي الحاتميّ الأندلسي الشهير بمحيي الدين ابن عربي. الصوفيّ الحلولي الشهير، صاحب كتاب «الفتوحات المكيَّة»، الذي قال عنه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢٥٣/١٧): «فيه ما يُعقَل وما لا يُعقل، وما يُنكَر وما لا يُنكر». وله كتاب «فصوص الحِكَم»، الذي قال عنه ابن كثير في المصدر نفسه: «فيه أشياء كثيرة ظاهرها كُفر صريح». انظر ترجمته عند: شمس الدين الذهبي «سير أعلام النبلاء» (٤٨/٢٣). وإسماعيل بن كثير «البداية والنهاية» (٢٥٢/١٧ ـ ٢٥٣).

[ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٥م][١]، وقد ذكر أهل العلم أن ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى»[٢].

وكثر في نجد من ينكر البعث، وقليلٌ من يُقِرّ به خصوصاً في البوادي؛ وسبب ذلك قلَّة من يعرف الدين فيهم، فكثر فيهم من يُضيّع الصلاة وقلّ من يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة فيهم أكثر ممن يؤديها[٣]، بل ظهر في البوادي من ترك الصلاة رأساً وظهر فيها من ينكر الشرائع[٤]، إلى جانب ارتكاب المحرمات وانعدام من ينكر على ذلك كلّه قبل الدعوة الإصلاحية[٥].

---

(١) هو أبو حفص شرف الدين عمر بن علي بن مرشد الحموي. من شعراء المتصوفة، وقيل إنَّه أشعر المتصوِّفَة. يُلقَّب بسلطان العاشقين. قال الذهبي: إنَّه كان ينعق بالاتحاد الصريح في شعره. وذكر المناوي: أنَّه كان للفارض جوارٍ بـ(البهنسا) بمصر، يذهب إليهنَّ فيُغَنِّينَ له بالدفّ والشبابة وهو يرقص ويتواجد. انظر ترجمته عند: ابن خَلّكان «وفيات الأعيان» (٣/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦). وشمس الدين الذهبي «ميزان الاعتدال» (٣/٢١٤ ـ ٢١٥). ومحمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدريَّة» (٢/٤٩٥ ـ ٥٠٤).

(٢) رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤٠٥). وضمن «الدرر السنية» (١٠/٥٤). وانظر ما سيأتي في الفصل الخامس من كلام العلماء على ابن الفارض وابن عربي.

(٣) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى سليمان بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٩٩). وضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٣).

(٤) انظر: رسالة للشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٣٣٠).

(٥) انظر: جواب الشيخ محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٤٩). وانظر مقامات الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٢).

هكذا كانت الحالة الدينية في نجد، أما الحالة الدينية في محيط نجد في جزيرة العرب ومحيطها من البلدان العربية فهي أشدّ وأنكى من حالتها في نجد بمراحل كبيرة، مِمَّا يُظهر لكَ أنَّ نجداً لم تكن استثناءً عن سائر بلاد العرب التي وقعت في الشرك والانحراف العقدي، وهو ما سنأتي عليه في الفصل الآتي.



الفصل الثالث

رصد تاريخي لشيوع الشرك والانحرافات العقدية في جزيرة العرب ومحيطها قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة

مُقدّمَة مهمّة

مَنْ أَجَالَ النَّظَر في كتب الرحلات وكتب التراجم من القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي حتى ظهور دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن الثاني عشر الهجري/الثامن عشر الميلادي، فَكَأَنَّما طافَ البلاد وخَبرَ أحوال الناس من أزمان متطاولة؛ فَيَعرف حينها مدى انحرافهم وبُعدهم عمَّا جاءت به الرسل من توحيد الله، فكُلّ بلد وكَلّ قُطر وكلّ جِهَة تجد فيها الآلهة التي عُبِدَت من دون الله بخالص العبادات وقُصِدَت من دونه بالرغبات والرهبات، على ما هو معروف مشهور في تلك المصادر وهاتيك الكتابات مِمَّا لا يمكن جَحده ولا إنكاره.

فأكثر المنتسبين إلى الإسلام في تلك الأزمان يعتقدون أنه من الإسلام الاعتقاد في الصالحين ودعوتهم والاستغاثة بهم والتقرب إليهم بأنواع العبادات: كالذبح والنذر والحلف وغير ذلك من أنواع الطاعات، وتجد أكثرهم قد تجاوز القنطرة فادَّعى للأولياء والصالحين شِركة في التأثير وشِركة في تدبير ما جاءت به المقادير، وأوحى إليهم إبليس اللعين أنَّ هذا من أحسن الاعتقاد في الصالحين وأنَّ هذا من كرامة أولياء الله المقربين[1].

(١) انظر: رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١١/٥٤٣ ـ ٥٤٤).

ولو تأمَّلتَ أحوالهم في تلك الأزمان؛ سوف:

ترى كل موتور ينادي وليجه ويسأل ما لا يُستطاع من الأمر
يرون صوابا من سفاهة رأيهم مناشدة الأموات من ساكني القبر[١].

حتى ساد أهل البدع وأصحاب الخرافات، وقوي بأسهم واشتد أزرهم يوم عاونهم كثيرٌ من ذوي السلطان والقوَّة الذين أقاموا القباب على القبور وزخرفوها بالبناء وكسوها كما يُكْسَى البيت الحرام، وفعلوا عندها ما يفعله عباد الأصنام، حتى صارت لهم مواسم معلومة يحضرونها فأصبحت لهم عيداً يعيدونه في موعد معيّن يضربونه لحضورها وإحياء البدع عندها؛ ومن ذلك: الصلاة إليها والطواف عليها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على ترابها والاستغاثة بأصحابها وسؤالهم الرزق والنصر والعافية وقضاء الديون وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات[٢]، وغير ذلك من أنواع الطلبات التي كان عباد الأصنام يسألونها أوثانهم[٣].

لهذا تجد في ذاك الوقت وتلك الفترات أقواماً كثيرين يتضرعون ويتخشعون عند مشاهد القبور، ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يعبدونها في المسجد، بل ولا وقت السحر، ومنهم من يسجد لها، وأكثرهم

---

(١) انظر: رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (٣٣٤/١٢).

(٢) انظر: جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، ضمن: «الدرر السنية» (٩٦/١١ ـ ٩٧).

(٣) سيأتي في هذا الفصل تفصيل ذلك بالشواهد التاريخية.

يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجون في المساجد[١].
«فترى أحدهم يقول للميت في القبر: إني أستغيث بك أو أستجير بك أو أنا في حسبك أو اسأل لي الله، ونحو ذلك؛ فيحدث أنَّ من الناس الذين يستغيثون بغائبٍ أو ميّت من تتمثل لهم الشياطين، وربما كانت على صورة الغائب، وربما كلّمته، وربما قضت له أحياناً بعض حوائجه، كما تفعل شياطين الأصنام؛ فإنَّه قد وقع عند كثير من المتأخرين وأتباعهم إذا استغاث بالميت أو بالشيخ رأى صورته، وربما قضى حاجته فيظنّ أنّه الشيخ نفسه أو أنَّه ملك تصوّر على صورته، وأنَّ هذا من كراماته، ولا يَعلَم أنَّ هذا من جنس ما يفعله الشياطين بُعبّاد الأوثان؛ حيث تتراءى أحياناً لمن يعبدونها، تخاطبهم ببعض الأمور الغائبة وتقضي لهم بعض الطلبات»[٢].

وبالبحث وإدامة النظر ستعلم «بلا شك أن السبب الأعظم الذي نشأ معه هذا الاعتقاد في الأموات: هو ما زَيَّنَهُ الشيطان للناس من رفع القبور ووضع الستور عليها وتجصيصها وتزيينها بأبلغ زينة وتحسينها بأكمل تحسين، فإنَّ الجاهل إذا وقعت عينه على قبر من القبور قد بُنِيَت عليه قُبَّة فَدَخَلَها ونَظَرَ على القبور والستور الرائعة والسرج المتلألئة وقد صَدَعَت حوله مجامر الطيب، فلا ريب أنه يمتلئ قلبه تعظيماً لذلك القبر، ويضيق ذهنه عن تَصَوُّرِ ما لهذا المَيِّت من المنزلة، ويَدخله من الروعة والمهابة ما يَزرع في قلبه من العقائد الشيطانية التي هي من أعظم مكائد الشيطان للمسلمين وأشد وسائله إلى إضلال العباد، ما يَزلزله عن الإسلام قليلاً قليلا، حتى يَطلب من

(١) انظر: أحمد بن تيمية «اقتضاء الصراط المستقيم» (٣٦٩).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٧٣ ـ ٢٧٥).

صاحب ذلك القبر ما لا يَقدر عليه إلا الله سبحانه، فَيَصِير في عِداد المشركين.

وقد يحصل له هذا الشرك بأول رؤية لذلك القبر الذي صار على تلك الصفة، إذ لابد أن يخطر بباله أن هذه العناية البالغة من الأحياء بمثل هذا الميت لا تكون إلا لفائدة يرجونها منه، إما دنيوية أو أخروية، فيستصغر نفسه بالنسبة إلى من يراه من أشباه العلماء زائراً لذلك القبر وعاكفاً عليه متمسحاً بأركانه»(١).

«فلما وقع التساهل في هذه الأمور؛ وقع المحذور وعظمت الفتنة بأصحاب القبور وصارت محطاً لرحال العابدين المعظمين لها، فصرفوا لها جُلّ العبادة من الدعاء والاستعانة والاستغاثة والتضرع لها والذبح لها والنذور، وغير ذلك من كل شرك محظور»(٢).

أعادوا بها معنى سُواعٍ ومِثْلَهُ يَـغُوثُ وَوَدٌّ بِئْسَ ذلِكَ مِنْ وَدِّ
وَقَدْ هَتَفوا عِندَ الشدائدِ باسمِها كما يهتُفُ المضطَرُّ بالصَّمَدِ الفَرْدِ
وكَمْ عَقَروا في سُوحِها من عَقِيرَةٍ أُهِلَّتْ لغيرِ الله جهلاً على عَمْدِ
وكمْ طائفٍ حَوْلَ القبور مُقبِّلٍ ومُسْتَلِمِ الأركانِ مِنْهُنَّ باليَدِّ(٣)

واستمر الحال على هذا المسير حتَّى «آل الأمر بهؤلاء الضلّال المشركين إلى أن شرعوا للقبور حجّاً ووضعوا له مناسك؛ حتى صنَّف

(١) محمد الشوكاني «شرح الصدور» (٣٣ ـ ٣٤) باختصار.

(٢) سليمان بن عبدالله «تيسير العزيز الحميد» (٧٠٢).

(٣) محمد بن إسماعيل الصنعاني «ديوان الأمير الصنعاني» (١٢٩).

بعض غلاتهم كتاباً سمَّاه: (**مناسك حج المشاهد**)[١]. ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في عُبّاد الأصنام»[٢]؛ إذ جعل صاحب هذا الكتاب «قبور المخلوقين تُحجّ كما تُحجّ الكعبة البيت الحرام الذي جعله الله قياماً للناس»[٣].

هكذا كان الحال في العالم العربي الإسلامي؛ بصورةٍ مجملة حيث انتشر الشرك والانحرافات العقدية، وسنأتي بشيءٍ من التفصيل على ذكر هذه الشركيات والبدع والانحرافات التي تَدُلُّكَ على ما وصل إليه الناس من حال سيِّء.



(١) صنَّفه أحد الشيعة من كبار الإمامية عندهم واسمه ابن النعمان المعروف عندهم بـ(المفيد)، كذا يُعرَف بـ(المُعلِّم)، توفي سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م. كان ذا حظوةٍ عند أصحاب السلطان في الدولة البويهية. انظر: شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية «منهاج السنَّة» (٤٧٦/١). وانظر ترجمة المفيد ابن النعمان عند: شمس الدين الذهبي «العبر» (٢٢٥/٢).

(٢) شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «إغاثة اللهفان» (٣٦٨/١).

(٣) تقي الدين ابن تيمية «منهاج السنَّة» (٤٧٦/١).

أوَّلاً: الحال الديني في جزيرة العرب قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة.

١ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في الحجاز قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة:

من العجب أن هذه الاعتقادات الباطلة والمذاهب الضالة والعوائد الجائرة والطرائق الخاسرة التي مرَّ عليك شيء من ذكرها قبل قليل، قد فشت وظهرت وعَمَّت وطَمَّت حتى بلاد الحرمين الشريفين؛ ومن ذلك ما يصنعه أهل الضلالة أحلاس القبور آنذاك.

وهذا بيانه:

ـ قبر أبي طالب أبي نمي(١):

زار الرحالة المغربي المتصوِّف أبو سالم العياشي

(١) هو الشريف أبو طالب بن حسن أبي نمي؛ تولى منصب شريف مكة بعد وفاة أبيه ١٠١٠هـ/ ١٦٠١م، وتوفِّيَ سنة ١٠١٢هـ/ ١٦٠٣م. ترجمته عند: محمد أمين المحبي «خلاصة الأثر» (١/١٥٧ ـ ١٦٠).

(ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)[١] **قبر الشريف أبي طالب أبي نمَي وأثنى على صاحب القبر؛ لأنَّ العيَّاشي طول رحلته من المغرب الأقصى إلى الحجاز ـ ذهاباً وإياباً ـ كان يزور القبور ويتمسَّح بمقاماتها ويتبرك بقبابها ويدعوها من دون الله ﷻ ويثني على أصحابها، ومن هذا الباب قال العيَّاشي عن الشريف أبي طالب أبي نمي**: «ظهرت له بعد وفاته كرامات كثيرة [هكذا] وصار قبره من أعظم المزارات»[٢].

مع أنَّهم يعلمون أن أبا طالب أبي نمي حاكم متعدٍّ غاصب كان يخرج إلى بلدان نجد ويضع عليهم خراجاً من المال فإن أُعطِيَ ما أراد انصرف وإلا عاداهم وحاربهم[٣].

يقول مؤرّخ مكّة القبوري أحمد زيني دحلان (١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)[٤]

---

(١) **عبدالله بن محمد العياشي: رحالة وفقيه مغربي؛ على عقيدة القوم في تقديس القبور. انظر ترجمته عند: محمد بن الحاج الصغير الإفراني «صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر» (٢٧٩ ـ ٢٨٠).**

(٢) **عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢/٣٧٨).**

(٣) **انظر إشارة إلى ذلك عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٣٠٥). والحسين الورثيلاني «الرحلة الورثيلانية» (٤٣٧).**

(٤) **أحمد زيني دحلان: الحنفيُّ الصوفيُّ. ذَكَرَ محبّوه: أنَّه كان يكره التنباك والشيشة، لكنَّهُ لمَّا كثر عليه توارد الواردات وحصول الأنوار والمكاشفات صار يدخن التنباك والشيشة تستّراً. انظر: أبو بكر شطا الدمياطي الشافعي (ت: ١٣١٠هـ/ ١٨٩٣م) في كتابه «نفحة الرحمٰن في بعض مناقب سيِّدنا ومولانا وشيخنا المرحوم السيد أحمد ابن المرحوم السيد زيني دحلان» (ص: ٣٣). وانظر ترجمة دحلان عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (١/١٨١ ـ ١٨٣).**

عن أبي طالب: «دُفِن في المعلاة[١] وبني عليه قبة، وقبره يُزار، ويحمي ساداتنا بنو حسن من استجار بقبره، ولا ينال من استجار به مكروه»[٢].

ـ قبر عمر عرابي.

كان أهل مكة وأعرابها في تلك الأوقات يواظبون على زيارة قبر من يسمَّى عندهم بالقطب[٣] الولي سيدي عمر العرابي[٤]، وغالب السائلين بمكة والمستصرخين إنما يهتفون باسمه، وتسمع رجال البادية ونساءهم يقولون: «شيء لله يا عرابي». وهو عندهم عظيم القدر شهير الذكر ومن أئمة طرائقهم الصوفية[٥].

ـ ما يصنعونه عند قبر عبدالله ميرغني المحجوب.

أمَّا عند قبر المحجوب (ت: ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)[٦]، فإنَّهم

---

(١) المعلاة: في مكَّة، على يسارها (زقاق البقر) و(سويقة). انظر: عبدالله بن خميس «المجاز بين اليمامة والحجاز» (٣٢٠).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (١٤٣ ـ ١٤٤).

(٣) القطب: وجمعها أقطاب. سمّيَ القطب قطباً عند المتصوفة: لاعتقادهم أنَّه الغوث الذي يغيث الملهوف اللاجئ إليه، وأنَّه لا يصل إلى الخلق جليل أو دقيق إلا بحكمه. انظر: الشريف علي الجرجاني «التعريفات» (١٤٢) (١٥٥ ـ ١٥٦). ومحمد الخضر الجكني الشنقيطي «مشتهى الخارف الجاني في ردّ زلقات التجاني الجاني» (٥٠٥).

(٤) ضريحه في (المعلاة) بالقرب من (تربة الشولي). انظر: أحمد الحضراوي «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر» (١/١٦٥) (٢/٦١).

(٥) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢/٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٦) هو عبدالله بن إبراهيم بن حسن ميرغني الطائفي المعروف بالمحجوب. انظر =

يلهجون باسمه ويحلفون به، يُعَظِّمونَ أمره ويحذرون سرَّه ويلتمسون عنده الشفاعة لتُغْفَر ذنوبهم، فلو دخل سارق أو غاصب أو ظالم قبر المحجوب لم يتعرض له أحد؛ لِمَا يرون له من وجوب التعظيم والاحترام والمكارم(١).

ـ ما يصنعونه عند قبَّة النبي ﷺ.

سترى في كتب تواريخ البيت الحرام وكتب الرحلات ذكرٌ كثيرٌ لِمَا يفعله أهل البدع عند الدار التي يزعمون أنَّ النبي ﷺ وُلِدَ فيها؛ تلك الدار التي أمر السلطان العثماني محمد بن مراد بن سليم(٢) سنة ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م أن يُبنى عليها عمارة، فأنفق عليها جملة من المال فرفع جدران المحلّ وبنى بأعلاه قبَّة عظيمة ومنارة وأوقف عليه وقفاً في تركيا ورتَّبَ له مؤذِّناً وخادماً وإماماً(٣) ليؤمَّهُ أهل البدع

يقول الوزير الشرفيّ الإسحافيّ (ت: بعد ١١٥٠هـ/١٧٣٧م)(٤) عن تلك **القبَّة والدار**: «ومن مشاهد مكة الكريمة: مولد النبي ﷺ

= ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦٤/٢ ـ ٣٦٥)، وعبدالله الغازي في «نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر» (٢٩٠ ـ ٢٩١).

(١) انظر: رسالة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، ضمن «الدرر السنية» (٢٨٦/١٠).

(٢) السلطان العثماني محمد بن مراد الثالث بن سليم الثاني: حكم في سنة ١٠٠٣هـ/١٥٩٥م. ترجمته وأخباره عند: محمد أمين المُحبِّي «خلاصة الأثر» (٣٣٣/٤ ـ ٣٤٤).

(٣) علي السنجاري «منائح الكرم» (٥٠٦/٣).

(٤) الوزير المغربي أبي محمد الشرفي بن محمد الإسحافي، له ترجمة في مقدمة رحلته «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٤٣/١ ـ ٨٦).

والتربة الطاهرة التي هي أول تربة مسَّت جسمه الطاهر، بُنِيَ عليها مسجد، يُفتح للحجاج في يومٍ مشهور بمكة فيتبركون به وينعمون بمشاهدته»(١).

ويذكر عبدالله العياشي (ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) : أنَّ «تلك الدار اتُّخِذَت مسجداً ومزاراً عظيماً يجتمع إليه الوفود من كلّ جانب أيام المولد النبوي»(٢).

وعلى الرغم من أنَّ العيَّاشي على جادَّة القوم في تقديس الأضرحة والتبرك بالقبور، إلَّا أنَّه نفي صِحَّة أن يكون هذا الموضع هو المكان الذي وُلِدَ فيه النبي ﷺ، يقول العيَّاشي عن ذلك مستنكراً(٣): «وقد عُلِمَ من كتب السِّيَر ما وقع من الاختلاف في مولده ﷺ هل هو في مكة أو بالأبواء(٤)، وعلى أنه بمكة فقيل بالشِّعَبِ، وقيل بالمحصّب إلى غير ذلك من الأقوال. **ولا أدري من أين أخذ الناس تعيين هذا المحلّ بالخصوص... والعجب أنهم عيّنوا محلاً من الدار مقدار مضجع، وقالوا له: موضع ولادته ﷺ! ويبعد عندي كلّ البعد تعيين ذلك من طريق صحيح أو ضعيف، لما تقدّم من الخلاف في كونه في مكة أو غيرها، وعلى القول بأنه فيها ففي أيّ شعابها؟. وعلى القول بتعيين هذا الشِّعَب ففي أيِّ الدور؟. وعلى**

(١) الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٢/٥٤٥ ـ ٥٤٦) باختصار.

(٢) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١/٣٥٨ ـ ٣٥٩).

(٣) تنبيه: العياشي يستنكر هنا تعيين المكان وتحديده فقط.

(٤) الأبواء: قرية من أعمال (الفرع) من (المدينة النبوية). عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٤).

القول بتعيين الدار فيبعد كل البعد تعيين الموضع من الدار، بعد مرور الأزمان والأعصار وانقطاع الآثار. والولادة وقعت في زمن الجاهلية، وليس هناك من يعتني بحفظ الأمكنة؛ سيَّما مع عدم تعلّق غرض لهم بذلك، وبعد مجيء الإسلام فقد عُلِمَ من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقيّد بالأماكن التي لم يتعلّق بها عمل شرعي؛ لصرفهم اعتناءهم ـ ﷺ ـ لما هو أهم؛ من حفظ الشريعة والذبّ عنها بالسنان واللسان»[١].

ـ ما يصنعونه عند قبر خديجة الذي زعموه.

ثمَّ تجد في كتب الرحلات الحجازية أيضاً، ذكرٌ لما يفعله أهل البدع وما يقع منهم من المنكر عند قبر خديجة رضي الله عنها في المِعْلاة، إذ يفعلون عند قبرها ما لا يسوغ السكوت عليه من مسلم يرجو الله والدار الآخرة، وفيه وقتذاك من اختلاط النساء بالرجال وفعل الفواحش والمنكرات وسوء الأفعال وارتفاع الأصوات عندها بالدعاء والاستغاثة وتقديم الفدية، مما لا يسوغ لمسلم أن يبيحه فضلاً عن أن يرى فيه قُرْبَة يدرك بها أجراً وفضلا.

وكان قبر خديجة رضي الله عنها قد بُنِيَت عليه قبَّة من حجر في سنة ٩٥٠هـ/١٥٤٣م، بناها الأمير محمد بن سليمان الجركسي[٢]، وكان

---

(١) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٣٥٨/١ ـ ٣٥٩). وللمؤرّخ الكويتي الشيخ عبدالعزيز الرشيد تنبيه جيِّد حول وهم العامَّة بموضع مولد النبي ﷺ؛ انظر: عبدالعزيز الرشيد في مقال له بعنوان «الافتراء على أهل نجد»، نُشِرَ في جريدة «التوحيد» لعبدالعزيز الرشيد، تصدر في جاوة ـ أندونيسيا، ٥ ذي القعدة ١٣٥١هـ/ ١ مارس ١٩٣٣م، (ص: ٤).

(٢) محمد سليمان الجركسي: كان دفتر دار عند داوود باشا والي مصر من قبل=

الضريح قبل هذا البناء عليه تابوت خشب، وجعل الأمير المذكور لخادم القبَّة مرتَّب ـ معاش ـ من صدقات السلطان العثماني سليمان القانوني (ت: ٩٧٤هـ/١٥٦٦م)[١].

وفي دار خديجة ﵂ في مكة قبَّة يسمونها قبة الوحي، يقدسها الناس[٢] ويتبرَّكون بها، وفي القبة موضع يقال له مولد فاطمة ﵂، وفيه موضع يقال له المختبأ، وهو ملاصق لقبة الوحي، زعموا أن النبي ﷺ كان يختبئ فيه من الحجارة التي يرميه بها المشركون. وكلُّ هذه المواضع يقول عنها الإسحافي بأنَّها مواضع مقدسة مصونة بُنِيَت بناءً يليق بمثلها[٣] (هكذا).

والحقُّ؛ أنَّ قبر السيدة خديجة (أم المؤمنين) ﵂ كان مجهولاً لدى مؤرخي مكة حتى القرن الثامن الهجري، ثم أصبح معروفاً في القرون السبعة الماضية، ذلك أنَّ أحد (من يسمونهم) بالعارفين رأى في منامه كأنَّ نوراً ينبعث من مقبرة المعلاة، ولمَّا علم بذلك الخبر أحد الأشراف (قيل إنه أمير مكة) قاسم بن محمد بن إدريس الحسيني، أمر ببناء قبة فوق المكان الذي رآه ذلك العارف أن النور انبعث منه، جازماً هذا الشريف (أمير مكة) أنَّ ذلك المكان ما هو إلا قبر خديجة ﵂.

= السلطان العثماني سليمان القانوني. انظر: قطب الدين النهراوالي «البرق اليماني» (٧٨).

(١) انظر: علي السنجاري «منائح الكرم» (٣/٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٢) قبل حكم الدولة السعودية الأولى للحجاز.

(٣) انظر: الشرفيّ الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٢/٥٤٥).

ويعلّق عفيف الدين المرجاني (ت: ٧٧٠هـ/١٣٦٩م)(١) على ذلك الخبر قائلاً: «ولا كان ينبغي تعيينه على الأمر المجهول»(٢).

كما علَّق تقي الدين الفاسي (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م)(٣) قائلاً: «ولا يُعرف فيها [أي في مقبرة المعلاة بمكة] تحقيقاً قبر أحدٍ من الصحابة، وليس في القبر الذي يقال له: قبر خديجة بنت خويلد ﵂ أثرٌ يُعتمد»(٤).

المقصود؛ أنَّ الدولة السعودية الأولى لمَّا أظلَّت مكَّة بحكمها، هَدَمَت تلك الدولة كلّ بنيان شركي وكلّ مظهر بدعي، ومن ضِمن ما هدمته قبَّة قبر خديجة الذي يزعمه المتصوِّفَة، إلَّا أنَّ أهل البدع أعادوا بناء القبَّة على القبر المزعوم بعد سقوط الدولة السعودية الأولى، وفعلوا عند القبَّة كما كانوا يفعلون من قبل.

وعندنا شاهدٌ على ذلك؛ فهذا الشيخ محمد بن عثمان الشاوي

---

(١) هو عبدالله بن عبدالملك البكري التونسي الأصل، الإسكندري المولد، المكّي الدار، المعروف بالمرجاني. وكان توجَّه إلى بلاد المغرب وانقطع خبره. له ترجمة عند: تقي الدين الفاسي «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين» (٢٠٣/٥ ـ ٢٠٤).

(٢) عفيف الدين عبدالله المرجاني «بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار» (١٠١٦/٢ ـ ١٠١٧).

(٣) هو محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي المكي المالكي، شيخ الحرم. يُعرف بالتقي الفاسي. وُلِدَ سنة ٧٧٥هـ/ ١٣٧٣م في (المدينة النبوية). وَلِيَ قضاة المالكية في (مكَّة) سنة ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م. توفِّيَ ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م. له ترجمة عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (١٨/٧ ـ ٢٠).

(٤) تقي الدين الفاسي «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام» (٤٧٠/١).

(ت: ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)[١] - **وهو أحد الداخلين مع الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن آل سعود يوم ضمِّ الحجاز** - واصفاً ما رآه عند قبر خديجة ﵂، فيقول: «ليلة دخولنا مكة المشرفة بعد فراغنا من أعمال العمرة ومبادرتنا إلى هدِّ القباب، **وجدنا في القبة المبنية على قبر أم المؤمنين خديجة ﵂ ما لا يستطاع حكايته**؛ من ذلك أنَّا وجدنا رقاعاً مكتوباً فيها ما لفظه: (**يا خديجة يا أم المؤمنين، جئناك زائرين وعلى بابك واقفين فلا تردينا خائبين، فاشفعي لنا إلى محمد يشفع لنا إلى جبريل، يشفع لنا إلى الله**). ووجدنا عندها كبشاً قد جاء به صاحبه ليقربه إليها فعاجلته الجيوش، فتركه حياً، **ووجدنا عند باب القبة عجوزاً شوهاء من سدنتها، ولقد حدثني غير واحد أنهم سألوها ما حالك؟، فقالت: هي خادمة لسيدتها المتصرفة في الكون منذ عدة سنين، ولا تصوم ولا تصلي، ومع ذلك يتمسح بها الزوار!**. وعند القبة من الشمع والسُّرج ما لا يحصى، وعندها من أنواع الطيب ما لم نجد مثله عند البيت الحرام والحجر الأسود، وأمثال ذلك كثير معلوم، فلهذا حمدنا الله تعالى على إزالة تلك القباب»[٢].

---

(١) محمد بن عثمان بن محمد بن عبدالله بن سليمان الشاوي من عشيرة آل عثمان من فخذ الموهبة. وهم من قبيلة البقوم بني عمرو بن حوالة. وُلِدَ في (البكيرية) من بلدان القصيم، وكان قد أصيب أوَّل عُمره بالجُدَريّ ففقد بصره، طلب العلم في (البكيرية) و(بريدة) و(الرياض). عمل قاضياً في قرية (سنام) عند العصمة؛ بطنٌ من قبيلة عتيبة، ثمَّ قاضياً في (الغطغط) عند سلطان بن بجاد بن حميد. وحضر معركة (تربة) سنة ١٣٣٧هـ/ ١٩١٩م، وحضر فتح (الطائف) سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م، وكان هو إمام الإخوان (إخوان من طاع الله) في هذا الفتح. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٨٠٥/٣ - ١٨٠٦). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢٧٥/٦ - ٢٨٦).

(٢) محمد بن عثمان الشاوي «القول الأسدُّ في الردِّ على الخصم الألدّ» (١١٨).

ـ مواضع شركية أخرى في مكَّة.

كما كان أهل البدع والضلالات في تلك الأوقات يزورون داراً قالوا إنها دار أبي بكر الصديق، وبقرب الدار حجرٌ في جدار، فيه كأثرِ المِرْفَق، يقال إنَّ مرفق النبي ﷺ غاصت فيه لَمَّا استند إليه، والناس يتمسَّحون به ويتبرَّكون[١].

ويقول العياشي أنَّه تبرّك بهذا الحجر الموجود في الجدار وأنَّه تمسّحَ به بالنية المتقدِّمة[٢].

ويذكر الوزير الشرفيّ الإسحافيّ في رحلته الحجازية عن مسجد الخيف[٣] قائلاً: «وهو من المساجد الشهيرة بركة وشرف بقعة، وبمقربة منه عن يمين المارّ في الطريق حجر كبير مسند إلى سفح الجبل مرتفع عن الأرض يُظِلّ ما تحته، ذكروا أن النبي ﷺ قعد تحته مستظلاً ومَسَّ رأسه المُكَرَّم فيه، فَلَانَ له حتى أثَّرَ فيه تأثيراً بقدر دَوْرِ الرأس، فيبادر الناس بوضع رؤوسهم في ذلك الموضع تبرّكاً واستجارة بموضع الرأس المُكَرَّم ألّا يَمَسّها النار»[٤].

ويذكر الوزير الإسحافيّ أيضاً: أنَّه من عند باب الزاهر[٥] غرباً

---

(١) انظر: الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٥٤٦/٢). ومحمد بن عبدالسلام الناصري «الرحلة الناصرية الكبرى» (٥٥٧/٢ ـ ٥٥٩).

(٢) انظر: عبدالله بن محمد العياشي «الرحلة العياشية» (٣٥٩/١).

(٣) الخيف: هو خيف منى، الذي يُنسب إليه مسجد الخَيْف، وهو في سفح جبل منى الجنوبي. انظر: عاتق البلادي «معالم مكة التاريخ والأثرية» (٩٩).

(٤) الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٥١٥/٢) باختصار.

(٥) الزاهر: أحد أحياء مكة الغربية. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٧٥٢ ـ ٧٥٣).

يوجد مسجد بإزائه حجر موضوع على الطريق كالمصطبة يعلوه حجر آخر مسند فيه نقش دائر الرسم يُقال: أنَّه الموضع الذي قَعَدَ فيه النبي ﷺ مستريحاً عند مجيئه من العمرة، فيتبرّك الناس بتقبيلِهِ ومسحِ الخدود ويستندون إليه لتنال أجسامهم بركة لمسه. وعَلَّقَ الإسحافي على هذه الأفاعيل قائلاً: «وحُقّ ذلك»[١]!!!.

والناس في الحرم المكي يتبركون (آنذاك) بالصلاة على قبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وقبر أمه هاجر عليها السلام، ويُعَلِّقُ الإسحاقي: «وحُقَّ لهم التبرك بهما لأنَّهما من البيت العتيق وقد انطبق على جسدين مُقَدَّسين مُكَرَّمين»[٢].

كما يَتَبَرَّكُ الناس[٣] بقبرٍ يقولون إنَّه قبر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في جبل أبي قبيس[٤]، ويقولون أنَّ فيه موضع موقف النبي ﷺ عند انشقاق القمر له بقدرة الله عز وجل، والناس تتمسّح بهذه المواضع وتتبرّك بها وتصلي لها وتأتي بأنواع البدع عندها[٥]. ويرون أنَّ الوقوف على هذه القبور خيرٌ من الطواف ببيت الله الحرام.

---

(١) الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٥٢٩/٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥٣٦/٢).

(٣) قبل حكم الدولة السعودية الأولى للحجاز.

(٤) أبو قبيس: جبلٌ بين شعب عليّ وبين أجياد. انظر: محمد المالكي الشهير بابن الصبَّاغ «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام» (١٧٧/١ ـ ١٧٨).

(٥) انظر: الشرفي الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية» (٥٤٤/٢). ومحمد بن عبدالسلام الناصري «الرحلة الناصرية الكبرى» (٥٦١/٢ ـ ٥٦٢).

كلّ ما مرَّ معك من بدعٍ ومظاهر شركية كانت مهيمنة على الحجاز إبَّان هيمنة الحكم العثماني التركي عليها، فأصبحت راسخة في عقائد السواد الأعظم من أناسها، حتَّى أنَّ من أدرك ذاك الوقت ليذكرون أموراً يعجب منها مَنْ وَقَرَ في قلبه تعظيم الله وتوحيده، فقد رُوِيَ: أنَّ رجلاً كان بمكة عند بعض المشاهد الشركية فقال لِمَن عِندَهُ: أريد الذهاب لأطوف ببيت الله الحرام، فقال بعض غُلاة مكَّة: مقامك هنا أكْرَم!!![١].

ـ مظاهر الشرك في الطائف:

اقرأ في التواريخ ما يأتيه أهل تلك الأزمان عند قبر عبد الله بن عباس ﷺ في المسجد الذي في الطائف[٢]، من الأمور الشركية التي تشمئز منها نفوس الموحدين وتنكرها قلوب عباد الله المخلصين وتردّها الآيات القرآنية وما ثبت من النصوص عن سيد المرسلين؛ منها: وقوف السائل عند القبر متضرعاً مستغيثاً، وَصَرْف خالص المحبة التي هي محبة العبودية والنذر والذبح لمن تحت ذاك المشهد وتلك البَنِيَّة[٣].

وقد كان الفقيه المغربي المتصوّف عبدالله العياشي (ت: ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م) والفقيه الجزائري المتصوّف الحسين الورثيلاني

(١) انظر: عبداللطيف بن عبدالرحمٰن آل الشيخ «منهاج التأسيس» (٥١).

(٢) عمَّره المستضيء العباسي مع ضريح ابن عباس ﷺ، واسمه كان مكتوباً في المنبر الذي في المسجد، ثمَّ زاد الملك المظفر صاحب اليمن في عمارة قبَّة الضريح فيما بعد. انظر: تقي الدين الفاسي «شفاء الغرام» (١٤٨/١).

(٣) انظر: رسالة للشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، ضمن «الدرر السنية» (٢٨٦/١٠).

(ت: ١١٩٣هـ/١٧٧٩م)[١] يُؤَكِّدَانِ على من يَزُور الحجاز للحجِّ أو العمرةِ بضرورةِ زيارة قبر ابن عبّاس تبرّكاً وقربى إلى الله بالدعاء عنده والتَّمَسُّحِ بِهِ[٢].

فلا عجب أن ترى أهل البدع ذاك الوقت يلهجون بابن عباس كما يلهج الصبي بذكر أُمِّه، ولا يذكرون إلَّا اسمه، فإذا تَعِسَ أحدهم قال: «يا ابن عباس»، ومنهم من يحلف بالله ويكذب، ويحلف بابن عبَّاس فيصدق ولا يكذب، فيكون المخلوق في صدره أعظم من الخالق[٣].

وأكثر سِوْقَتهم وعامَّتهم يلهجون بالأسواق: «اليوم على الله وعليك يا ابن عباس»، فيستمدون منه الرزق والغوث وكشف الضر والبأس[٤]؟

لذلك لمَّا رأى أحد الرجال ما يفعله أهل الطائف من الشُّعَبِ الشركية، قال: أهل الطائف لا يعرفون الله، إنما يعرفون ابن عباس. فردَّ عليه بعض من يترشح للعلم قائلاً: معرفتهم لابن عباس كافية؛ لأنَّه يعرف الله[٥].

(١) الحسين الورثيلاني: مؤرخ جزائري من فقهاء المالكية، قبوريٌّ بَيِّن. انظر ترجمته عند: محمد مخلوف «شجرة النور الزكية» (٥١٣/١ ـ ٥١٤). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢٥٧/٢).

(٢) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١٧٥/٢). والحسين الورثيلاني «الرحلة الورثيلانية» (٤٤٢).

(٣) نظر: رسالة للشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر، ضمن «الدرر السنية» (٢٨٦/١٠).

(٤) انظر: محمد بن إسماعيل الصنعاني «تطهير الاعتقاد» (١١٨).

(٥) انظر: حسين النعمي «معارج الألباب» (١٧٧).

فانظر إلى هذا الشرك الوخيم والغلو الذميم المجانب للصراط المستقيم، ووازن بينه وبين قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦][(١)].

وفي الطائف أيضا كان هناك المسجد المسمى المسجد الأعظم، يرون أنَّه محلّ نزول عسكر النبي ﷺ عند محاصرة ثقيف بعد غزوة حنين، وفي صحن المسجد مسجد صغير يقال أنه منزل النبي ﷺ في الحصار المذكور، وفيه محلّ يقال إنه محلّ قبة أم المؤمنين أم سلمة وقبة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنهما، والناس يزورونها ويتبركون بها[(٢)].

ـ قبر آمنة.

وفي الحجاز أيضاً يزور الناس، قبل الدعوة الإصلاحية، قبر آمنة بنت وهب؛ وهو مكان في الحجاز بطرف الأبواء[(٣)]، من الشمال الغربي فيه بناية بالحجر الجاف مسقفة بخشب الأشجار، ومتعارف في هذه الديار من مسافات بعيدة بأنه قبر أمه ﷺ، وكان يُزار ويُفعل عنده من الأمور البدعية والشركية؛ كالتبرك والتمسح والدعاء والذبح والنذر[(٤)].

---

(١) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن: «الدرر السنية» (٣٨١/١).

(٢) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١٧٥/٢). والحسين الورثيلاني «الرحلة الورثيلانية» (٤٤٢).

(٣) محمد بن عبدالسلام الناصري «الرحلة الناصرية الكبرى» (٥٦١/٢).

(٤) انظر: عاتق بن غيث البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٣٤٩).

وظَلَّ قبر أمنة أم النبي ﷺ يزار ويفعل عنده من البدع وأمور الشرك، حتى ضمَّت الدولة السعودية الحجاز إلى حكومتها (في عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن آل سعود)، فأزيلت تلك الزيارات البدعية إلى ذلك القبر، ثم اختلس من بناه بناء كالرضم وهي حالته اليوم[١].

ـ مظاهر الشرك في جُدَّة؟.

إن انتقلت بنظرِكَ إلى مدينة جُدَّة سترى أنَّ الضلال والفحش بلغ فيها غاية ما بعدها غاية؛ ففيها قبر طوله ستون ذراعاً عليه قبَّة يزعمون أنه قبر حواء، يَجبي عنده السدنة من الأموال كل سنة ما لا يكاد أن يخطر على البال، ولا يدخل إنسان ليسلِّم على أمِّه إلا عجل بتقديم الدراهم، وقد خصَّصَ العياشي زيارة في رحلته لهذا القبر تبرُّكاً ورجاء تحقيق مطلوبٍ يطلبه من حوَّاء[٢].

يقول تقي الدين الفاسي (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٩م): بعدما ذكر «أنه كان في جدة موضع قبة مشيدة عتيقة يُذكر أنها منزل حوَّاء أم البشر»، فعلَّق الفاسي قائلاً: «وأستبعد أن يكون قبر حوَّاء بالموضع المشار إليه»[٣].

وفي جُدَّة أيضاً مشهد العلوي[٤] الذي بالغوا في تعظيمه وتوقيره

---

(١) المرجع نفسه.

(٢) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١٥٣/١ ـ ١٥٥).

(٣) تقي الدين الفاسي «شفاء الغرام» (١٤٤/١).

(٤) هو أبو بكر بن أحمد الشهير بالعلوي؛ من آل أحمد بن السكران السقاف بن أبي بكر بن علوي. وُلِدَ في (الشَّحر) باليمن وتربى فيها، ثم توجه إلى الحج=

وخوفه ورجائه، وقد جرى لبعض التجار أنه انكسر بمال عظيم لأهل الهند وغيرهم، وذلك سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م، فهرب إلى مشهد العلوي مستجيراً ولائذاً به مستغيثاً، فتركه أرباب الأموال، ولم يتجاسر أحد من الرؤساء والحكام على هتك ذاك المشهد والمقام، واجتمع طائفة من المعروفين واتفقوا على تنجيمه في مدة سنين[1].

ـ مظاهر الشرك في المدينة النبوية:

إنْ طوَّفتَ نظرك ناحية المدينة النبوية سترى ما كان يصنعه أهل البدع من التقديس والتمسُّحِ والتبرُّكِ بقبر النبي ﷺ، إذ كانوا يدعونه من دون الله ويطلبون منه ﷺ ما يطلبونه من الله تعالى، فساووا النبي ﷺ برب العزة والجلالة سبحانه عما يصنعون.

ومن ذلك ما وجده أهل الدعوة الإصلاحية «لما فتحوا الحجرة الشريفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عام ١٢٢٢هـ [١٨٠٧م]؛ فرأوا رسالة للسلطان العثماني سليم، أرسلها ابن عمِّهِ إلى رسول الله ﷺ يستغيث به ويدعوه ويسأله النصر على الأعداء من النصارى وغيرهم؛ وفيها من الذل والخضوع والعبادة والخشوع.

ومكتوبٌ في أوّل الرسالة: من عُبَيْدِكَ السلطان سليم، وبعد. يا رسول الله؛ قد نالنا الضرّ ونزل بنا من المكروه ما لا نقدر على دفعه، واستولى عُبَّاد الصلبان على عِباد الرحمٰن، نسألك النصر عليهم

= وهو ابن خمس عشرة أو ست عشرة سنة. توفي في جدة سنة ١١٢٨هـ. انظر: أحمد الحضراوي «نزهة الفكر» (٨٧ ـ ٨٨).

(١) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٨٢ ـ ٣٨٣).

والعون عليهم وأن تكسرهم عنا. وذكر كلاماً كثيرا هذا معناه وحاصله.

فانظر إلى هذا؛ فما سأله هنا قد سأله المشركون آلهتهم: العزى واللات.

فإذا كان هذا حال خاصة الأتراك [وهم المهيمنون على الحجاز وقتها] فما الظنُّ بفعل عامتهم، وقد وُجِدَ من جنس كلام سلطانهم كتباً كثيرة في الحجرة للعامة والخاصة فيها سؤال الحاجات وتفريج الكربات ما لا يُقدر على ضبطه»[1].



(١) من رسالة الإمام سعود إلى الوالي العثماني ببغداد سليمان باشا، موجودة ضمن: «الدرر السنية» (٣٠٤/١) باختصار.

٢ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في بلدان جنوب جزيرة العرب: بلاد عسير[١] وجازان[٢] ونجران[٣] قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة.

لم تسلم مناطق الجنوب من تفشِّي الشرك وشيوع مظاهر الانحرافات العقدية، فهذا أحد المؤرخين يذكر أنَّ «منطقة جازان وعسير ونجران كانت مثل غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، بل الأقطار العربية والإسلامية كافة؛ فقد تفشَّى فيها منذ زمنٍ بعيد

---

(١) عسير: منطقة واسعة في جنوب المملكة العربية السعودية، قاعدتها (أبها). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٩٦٦/٢).

(٢) جازان: جنوب غربي المملكة العربية السعودية، وهي من ضمن ما كان يسمى بالمخلاف السليماني قبلا. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٣٤٣/١).

(٣) نجران: منطقة واسعة ذات قرى وموارد كثيرة في جنوب غربي المملكة العربية السعودية. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية معجم مختصر» (١٤٦٢/٣).

الانحراف عن مبادئ الدين القويم وانتشار البدع والخرافات بين عامة الناس وخاصَّتهم، ودخل الانحراف إلى العقيدة الإسلامية من أوسع أبوابه؛ عن طريق الصوفية وغيرها»[١].

ـ مظاهر الشرك في جازان ورجال ألْمَع وعسير وبيشة[٢].

ذكر أحد المؤرِّخين من جازان عن بلدة رجال ألمع[٣] قائلاً: ولَمْ يَزَل الحال فيها «تحت قُدرة ذي الجلال في مُلْكٍ عضوض ونزولٍ ونهوض، وحصلت بعد ذلك غلطات شنيعة وعادات فظيعة وأعمال كفرية وأقوال شركية ورِدَّة صريحة وأفعال قبيحة، حتى بَزَغَ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أسكنه الله جنَّة المآب، فنوَّر [رَحِمَهُ اللَّهُ] الظلام وجلَّى القتام وبيَّنَ سبل السلام إلى بلوغ المرام»[٤].

---

(١) عبدالواحد محمد راغب في كتابه «البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران» (٨/٢).

(٢) بيشة: مدينة معروفة في إمارة بلاد عسير. وهناك أيضاً: (بيشة)؛ من قرى (خميس مشيط) في منطقة (أبها) وتدعى (بيشة ابن مشيط) من قرى (شهران)، في إمارة بلاد عسير. وهناك أيضاً (بيشة) من قرى (رجال ألمع) بمنطقة إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية معجم مختصر» (٣٠٥/١).

(٣) رجال ألْمَع: بلدة قديمة تقع أعلى (وادي كسان)، يفصل بينها وبين (الشعبين) (عقبة رز). وهي اليوم تبع لإمارة عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٩٤/١)، (٦٢٢/٢). وانظر أيضاً: علي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٧٠٨/٢ ـ ٧٠٩).

(٤) إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «رسالة في تاريخ عسير» (٣٢ ـ ٥٤).

فلم تسلم، إذن، تلك الأجزاء من جزيرة العرب آنذاك من شيوع البدع والمعتقدات الباطلة؛ فقد وُجِدَت القباب والقبور ذات القداسة عند أهل المخلاف السليماني، وكان أبرزها قباب الأشراف بأبي عريش[١]، وقبر أبي سَبْعة لدى السادة الجعافرة[٢]، «ولأهل هذه البلاد اعتقاد كبير بقبر أبي سبعة، وكل أهل تلك الجهة لهم اعتقاد فيه؛ يطلبون منه ما يَطلب العبد من الربّ من الاستغاثة والتوكل»[٣].

يقول المؤرِّخ البلداني محمد أحمد العقيلي (ت: ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)[٤] عن (أبي سبعة): «لا نعرف عنه إلا ما ورد في (نفح العود)، ويظهر أنَّه من صالحي جهتنا، فَتَنَ الناس حَيّاً كما زادت الفتنة به بعد موته، وهو من قبيلة الجعافرة من أهل قرية الرجيع[٥]، وقد اتُّخِذَ من قبره وثناً يُعبد حتى وصلت الدعوة السلفية [بقيادة الدولة السعودية الأولى]، فَهُدِم بناءه على يد الداعية أحمد الفلقي[٦] [من أهل

(١) أبو عريش: هي اليوم تابعة لإمارة (جازان). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/١٦٤).

(٢) السادة الجعافرة: تقع بلادهم في تهامة شمال (جازان)، وتُدعى (قوز الجعافرة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١/٩٩).

(٣) عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩٤ ـ ٩٥).

(٤) محمد أحمد العقيلي: مؤرِّخ بلداني سعودي، وأديب وشاعر من جازان.

(٥) الرَّجِيع: من قرى قبيلة الجعافرة، بين قريتي (البطيح) و(الحقاوية). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المخلاف السليماني/ جازان» (١٩٦).

(٦) الشريف أحمد بن حسن الفلقي: وُلِدَ في (الحارة الشامية) في (صبيا). اشتغل في شبابه الباكر بالبيع والشراء، ثم رحل لطلب العلم في الدرعية. كان من=

صبيا[١]]. أما عشيرته [عشيرة أبي سبعة] فهم بيت علم»[٢].

المقصود؛ أنَّه إضافة إلى جهل الناس حينذاك بوحدانية الله وتفرده وانصرافهم نحو البدع الضالة؛ فقد كان في رجال ألمع قبيل الدعوة السلفية قبر لأحد الأولياء يُعرف بقبر الولي في منطقة لِقْع[٣]، كان الناس يعتقدون به ويقدّسونه[٤].

وعليه فإن مناطق رجال ألمع لم تسلم حينذاك مما أصيبت به معظم بلدان الجزيرة العربية من رزءٍ في دينها[٥].

ومما يُؤكِّدُ هذه الأمور ما شهد به محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي (ت: ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)، حين قال عن أهل البلدان المحيطة بجازان ورجال ألمع ما يلي: «ومن ذلك تتابعهم على بناء القباب

= قادة الدولة السعودية الأولى في (المخلاف السليماني). توفِّيَ سنة ١٢١٨هـ. انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٦١ ـ ٣٦٢) (٤٧٥ ـ ٤٧٧) (٤٨٥ ـ ٤٨٧) (٤٨٩). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٨٣ ـ ٨٥) في الهامش من تعليقات محمد أحمد الفلقي على الكتاب.

(١) صبيا: مدينة في جازان، فيها إمارة يتبعها قرى كثيرة. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢/٨٢٩).

(٢) محمد أحمد العقيلي في تعليقه على كتاب «نفح العود» (٩٤ ـ ٩٥) لعبدالرحمٰن البهكلي.

(٣) لِقْع: من مناطق (رجال أَلْمَع) في إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجمٌ مختصر» (٣/١٢٣٩).

(٤) انظر: عبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (١/٤٥) (٥٣).

(٥) انظر: محمد بن إبراهيم الحفظي في كتابه «نفحات من عسير» حين ترجمته للشيخ أحمد الحفظي في (ص٢٣).

والقبور في كل بلدة وعلى اتخاذها أعياداً في الغالب؛ فلكلّ شيخٍ يومٌ معروف في شهرٍ معلوم يؤتى إليه من النواحي وقد يحضر معهم بعض العلماء ولا ينكر»[١].

ويؤكِّد هذا ما أرسله الشيخ محمد بن أحمد الحفظي نفسه إلى الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)[٢]، **وسؤاله عن القباب الموجودة على القبور التي لديهم في بلادهم: جازان ورجال ألمع، والتي كانت مبنية قبيل وصول الدعوة السلفية إليها، وأنهم ظهروا على هذه الدنيا وهي مبنية من قِبَلِ من سبقوهم من الآباء والأجداد**[٣].

ويدلّك على انتشار الشركيات والانحرافات العقدية في رجال ألمع وجازان وعسير قبل مجيء حكم الدولة السعودية الأولى، ما ذكره المؤرخ الشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[٤]، **حيث يقول واصفاً حال الناس آنذاك: «وخفي على الناس معنى توحيد الألوهية واندرست معالم النبوة، وصار الناس**

---

(١) محمد بن أحمد الحفظي «اللجام المكين والزمام المتين» (٦٤ ـ ٦٥).

(٢) عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كان المُقدَّم بعد وفاة والده، وكانت له المكانة الدينية العالية في الدولة السعودية الأولى. توفِّيَ في (القاهرة) بعيداً عن (الدرعية) التي رُحِّلَ عنها قسراً. انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٦٩ ـ ١٧٩).

(٣) انظر: «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (١/٢٤٥).

(٤) هو من منطقة (رجال ألمع) ومن علماء تلك الجهات. انظر ترجمته في: مقدمة «الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين» (ص٩ وما بعدها) لمحقق الكتاب: عبدالله أبو داهش.

يخبطون خبط عشواء ويمتطون متن عمياء»[١].

كما وصف الشيخ محمد هادي البكري حال أهل أبو عريش قبل وصول دعوة الإمام المجدد لها، وحال أهل وادي خلب[٢] ووادي تعشر[٣] وأهل حَرَض[٤] وأهل خبت المسارحة[٥] ومن يحاذيهم من الجبال والأحواز وأهل جزيرة فرسان[٦] قائلاً عنهم: إنَّهم كانوا «مقيمين على الشرك الأكبر، عاكفين على عبادة القبور يدعون أهلها ويستغيثون بهم في الشدائد والرخاء وينذرون لهم ويذبحون لهم

(١) محمد هادي البكري العجيلي «الظل الممدود» (٢١).

(٢) وادي خُلَب: وادٍ ذو روافد عديدة، فيه قرىً كثيرة، من أعمال منطقة جازان. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٥٣٨/١). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٨).

(٣) وادي تعشر: وادٍ من أشهر أودية منطقة جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٧).

(٤) حَرَض: يقال لها (مهد حَرَض)؛ من قرى (واهب) بمنطقة (بيشة) في إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٤٤٤/٣).

(٥) خبت المسارحة: قرية في بلاد المسارحة بمنطقة جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٣).

(٦) فرسان: جزائر في البحر الأحمر تابعة لمنطقة جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٢٧ ـ ١٣١).

ويحلفون بهم، منهمكين في عبادتهم، وكلّ من وَفَدَ منهم اعترف بذلك وأقرّ به، وهم مع ذلك لا يعرفون قواعد الإسلام ولا أصول الإيمان ولا يميِّزون بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ولا يعرفون إلا توحيد الربوبية، أمَّا توحيد الألوهية فهو منبوذ وراء ظهورهم لا يدينون ولا يتمسكون بعروته»(١).

وكذا الحال في ضَمَد(٢) قبل الدعوة السلفية، كانت كغيرها من مدن المخلاف السليماني تعيش حالة من الفوضى الدينية؛ فكان أغلب علمائها على مذهب الزيدية لاتصالهم بعلماء اليمن، بالإضافة إلى ما كان شائع في تلك الفترة من معتقدات باطلة كالتوسّل بالأحجار والأشجار والاعتقاد بالأولياء والصالحين وما إلى ذلك من أنواع الشرك، وظلَّت الحال على ما هي عليه حتى ظهرت الدعوة السلفية في المخلاف السليماني عام ١٢١٧هـ/١٨٠٢م، والتي أعادت إحياء السنَّة النبوية في بلدانه وقراه وأزالت ما كان عالق في أذهان الناس من بدع ومعتقدات باطلة(٣).

لذلك قال أحد مؤرّخي المخلاف: «فإنَّ بدعوتهم [دعوة الدولة السعودية الأولى وأتباعها السلفيين] زالت بدع كثيرات وارتدع الناس

(١) محمد هادي البكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٨) باختصار.

(٢) ضَمَد: من أودية تهامة في المخلاف السليماني، وفيها بلدة باسم (ضَمَد). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٦٧ ـ ٢٦٩).

(٣) انظر: عبير بنت أحمد القرني «الحياة العلمية في مدينة ضَمَد وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها خلال القرن ١٣هـ/ ١٩م» (ص٣١)، رسالة ماجستير غير منشورة.

عن المنكرات، فجزاهم الله خيراً»[١].

وبرز في عسير من المعتقدات الباطلة قبيل ظهور الدعوة السلفية؛ كتقديس الناس بزهران[٢] وما حولها لصنم ذي الخلصة[٣]، إذ كان الناس يتمسَّحون بهما وينحرون عنده ويطوفون به ويُهدون له أنفس المتاع، إلى أن قيَّضَ الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته، فكان من نتائج ذلك أن هُدِمَ ذو الخَلَصَة؛ هدمه أهل الدعوة السلفية في الدولة السعودية الأولى زمن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٤]، كما ذَكَرَه المؤرخ عثمان بن بشر حين قال: «وهدموا القباب والمواضع الشركية في تلك الأقطار، وعمّروا المساجد بالصلوات والأذكار، وكسروا الصنم ذا الخَلَصَة في تُباله[٥]، فهدموه وأعدموه، وقرَّروا التوحيد في تباله وبيَّنوه»[٦].

---

(١) الحسن بن أحمد عاكش الضَمَدي «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني/ المسمَّى: الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك» (٨٨).

(٢) زهران: بلادٌ واسعة، تُعرف اليوم باسم بلاد زهران سراة وتهامة. انظر: علي صالح السلوك الزهراني «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (١٢٠).

(٣) ذو الخَلَصة: الخَلَصَة وادٍ في (بلاد دوس) بسراة زهران أسفل (وادي ثروق) من جهته الشمالية. انظر: علي صالح السلوك الزهراني «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (٩٢).

(٤) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٦٨ ـ ٦٩).

(٥) تَبَالَه: وادٍ بمنطقة (بيشة) في إمارة بلاد عسير. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجمٌ مختصر» (٣١٣/١).

(٦) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨/١ ـ ٢٩) (٣٧٢ ـ ٣٧٣) باختصار.

يذكر الشيخ سليمان بن سحمان (ت: ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م)(١) **قائلاً**: «وقد حدَّثني رجلٌ من أعراب بيشة، وقد أدرك زمن الدرعية، ووفد مع من وفد إليها من قومه، فذكر أنهم كانوا في طريقتهم إذا اجتمعوا بمن قدم من الدرعية من وفود الأعراب يسألونهم عمَّا أفادهم به الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الفوائد وما علَّمهم من توحيد الله وما أمرهم به من ذلك وما نهاهم عنه مما يخالف دين الإسلام مما كانوا عليه [يعني أهل بيشة] في الجاهلية، ويتذاكرون ويحمدون الله على ما مَنَّ الله به عليهم من الإسلام»(٢).

ـ في نجران.

بانتقال النظر إلى ما جرى في أرض نجران وما يليها من البلاد وما حولها من الأعراب؛ فقد ظهر عندهم تقديس الأشخاص وتعظيم السادة هناك والغلوّ في ذلك غلوّاً كبيرا مِمَّا هو مدوّن في كتب أهل العلم والتاريخ(٣).

ولقد شهد الشوكاني على بلاد عسير وجازان ونجران ومحيطها بأنَّ أهلها «كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا ولا يقومون بشيءٍ من واجباته إلا مجرّد التكلّم بلفظ الشهادتين، على ما في لفظهم بهما من

---

(١) الشيخ سليمان بن سحمان: من علماء نجد، وأصله من (تبالة). انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١٢٦/٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٨٨/٣ ـ ١٧٩١). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٣٩٩/٢ ـ ٤١٢).

(٢) سليمان بن سحمان «منهاج أهل الحق والاتباع» (١٧ ـ ١٨).

(٣) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، ضمن «الدرر السنية» (٣٨٤/١). وحسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٦/١).

عِوَجٍ. وبالجملة: كانوا [في] جاهلية جهلاء، كما تواترت بذلك الأخبار»[١].

والشوكاني يذكر بعد ذلك أن هذه البلاد بعد أن وصلتها دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب واستظلَّت بحكم الدولة السعودية الأولى، صار أهلها يصلون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها[٢].



---

(١) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١).

(٢) انظر: المصدر نفسه.

٣ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في اليمن قبل قيام الدولة وظهور الدعوة:

أمَّا الحال «في بلدان اليمن فهو جارٍ على تلك الطريق والسنن، ما يتنَزه العاقل عن ذكره ووصفه ولا يمكن الوقوف على غايته وكشفه، ناهيك بقوم استخفهم الشيطان وعدلوا عن عبادة الرحمٰن إلى عبادة القبور والشيطان»(١).

ـ قبر الهادي والبرعي.

فمن ذلك: ما يفعله أهل شرقي صنعاء بقبر الهادي (ت: ٢٩٨هـ/ ٩١١م)(٢)؛ **فالكل على دعوته والاستغاثة به رائح غادي؛ فتأتيه المرأة إذا تعسَّر عليها الحمل أو كانت عقيمة، فتقول كلمة قبيحة**

(١) الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (١/٣٨٤).

(٢) الهادي هو: يحيى بن الحسين بن القاسم الملقَّب بالهادي؛ جاء من المدينة النبوية إلى جبال اليمن بين (صنعاء) و(صعدة) وأسس دولته الزيدية فيها، وتلقَّب بالهادي، وحارب القرمطي. وقبر الهادي (حتى يوم الناس هذا) في مدينة (صعدة) مشهور ويزار من قِبَلِ أحلاس القبور الذين يتبركون به. انظر: محمد بن سالم البيحاني «أشعة الأنوار» (٢/٢٧). وإبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٧٨٧).

عظيمة[(١)].

وأما أهل بلد برع[(٢)] فعندهم البرعي (ت: ٨٠٣هـ/١٤٠١م)[(٣)]، **وهو رجل يرحل إلى دعوته كل دانٍ وقاصٍ ويؤتى إليه من مسيرة أيام وليال لطلب الإغاثة وشكاية الحال، ويقيمون عند قبره للزيارة ويتقربون إليه بالذبائح، كما حقق أخباره من شاهدها عياناً**[(٤)].

ـ قبر ابن علوان.

أما أهل الهجرية[(٥)] ومن جاورهم وحذا حذوهم، فعندهم قبر يسمى ابن علوان[(٦)]، وقد أقبل عليه العامة يستغيثون به من نوائب الأيام ويلجؤون إليه كُلَّما حَزَبَهُم أمر.

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٢/١ ـ ١٨٣).

(٢) بُرع: جبل شرقي مدينة (الحديدة) على بُعد ٦٠ كلم، وهو اليوم مديرية من أعمال (محافظة الحديدة). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٥٦/١ ـ ١٥٧).

(٣) هو الأديب المشهور عفيف الدين عبدالرحيم (المهاجري) البرعي. شاعر، وأغلب شعره في التصوف الذي يسمّيه المتصوفة (المدائح النبوية). انظر ترجمته لدى: عبدالوهاب البريهي السكسكي «طبقات صلحاء اليمن» (٤٣ ـ ٤٤).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٣/١).

(٥) يقول إبراهيم المقحفي في كتابه «البلدان والقبائل اليمنية» (١٧٩٩/٢ ـ ١٨٠١): إن القرى والمناطق التي تحمل اسم «الهجر» قد تعددت، ولعل أشهرها على الإطلاق هي الموجودة في وديان (محافظة شَبوة).

(٦) هو أبو العباس أحمد بن علوان الصوفي اليمني (ت: ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م). انظر ترجمته لدى: أحمد الشرجي الزبيدي «طبقات الخواص» (٦٩ ـ ٧١). وقبره=

ويُسَمِّيه بعضهم (مُنجي الغارقين)، وأغلب أهل البر والبحر منهم يطربون عند سماع ذكره ويستغيثون به وإن كانوا بعيدين عنه، ويُنذَر له في البر والبحر، وتعظيمه عند أهل بلده يفوق الوصف، ويفعلون عند قبره السماعات والموالد ويجتمع عنده أنواع من المعاصي والفساد.

قال أحمد الشرجي الزبيدي (ت: ٨٩٣هـ/١٤٨٨م)[١] عن قبر ابن علوان ما نَصُّهُ: «وقبره في مدينة تعز[٢] ظاهر معروف مقصود للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة لا سيما في آخر جمعة من شهر رجب، فإن أهل تلك النواحي يقصدونه من كل موضع ـ أهل تعز وغيرهم ـ ويخرجون بالنساء والأولاد، وقرية الشيخ [يفرس[٣]] محترمة، ومن استجار بها لا يقدر أحد أن يناله بمكروه»[٤].

فليس في أقطار اليمن من يساوي قبر ابن علوان في الشهرة، بل ولا سائر الأقطار، ولهم في حضرته أمور يفعلونها تديُّناً ويكررونها

= مشهور جداً في (قرية يفرس) اليمنية، ولابن علوان أتباعٌ في (يفرس) وغيرها لا يزالون إلى الآن. قاله: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٩١٩/٢).

(١) أحمد بن أحمد بن عبداللطيف بن أبي بكر السراج الشرجي الزبيدي اليماني الحنفي. أحد أعيان الحنفية في اليمن. أديب وشاعر ومؤرّخ. انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (٢١٤/١ ـ ٢١٥).

(٢) تَعِز: تبعد عن (صنعاء) جنوباً بمسافة ٢٤٥كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢٣١/١).

(٣) يَفْرُس: مدينة بالغرب الجنوبي من (تعز). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٩١٩/٢).

(٤) أحمد الشرجي الزبيدي «طبقات الخواص» (٧١).

بين حين وحين، وقد جعلها الشيطان لهم عبادة: إذ يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس، ويقولون وهم يغنون ويرقصون وقد ملأ الوجد ألبابهم: «يا سادتي قلبي بكم مُعَنّى»[(١)].

ـ قبر العيدروس.

أما حال حضرموت والشحر ويافع[(٢)] وعدن، فقد ثوى فيها اَلْغَيّ وطَما الفساد، فعندهم العيدروس (ت: ٩١٤هـ/١٥٠٨م)[(٣)]؛ **الذي قِيلَ أَنَّه مُبْتَكِر القهوة المتَّخَذَة من البُنِّ المجلوب من اليمن**[(٤)].

قال عنه أحد مؤرّخي اليمن: إنَّ «قبره في عدن يزار ويتبرك به، وبنى عليه الشيخ عامر بن عبدالوهاب قبة معظمة عجيبة، وبنى الأمير مرجان الظافري المقبور في أحواز الشيخ رباطاً كبيراً وداراً كبيرة لسكنى الشيخ القائم بالتربة، وبنى الشيخ عبدالملك بن محمد ثلاثة أروقة محيطة بالقبة، وفي مكانه من الأنوار والأنس ما يعرفه الخاص

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٣ ـ ١٨٤).

(٢) يافع: منطقة بين (الضالع) و(لحج). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٨٩٤).

(٣) هو أبو بكر بن عبدالله الشاذلي العيدروس با علوي. متصوِّفٌ يمني على الطريقة الشاذلية. وُلِدَ سنة ٨٥١هـ/ ١٤٤٧م في (تريم) بـ(حضرموت)، وتوفِّيَ في (عدن) سنة ٩١٤هـ/ ١٥٠٩م. انظر ترجمته عند: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٤ ـ ١٢٨).

(٤) يقال: إنَّه رَأَى البُنّ في اليمن، فاقْتَاتَ بِهِ فأعجبَهُ، فاتَّخَذَهُ قُوتاً وشراباً وأَرشَدَ أَتباعَه إليه، فانتشر في اليمن ثمَّ في الحجاز والشام ومصر ثمَّ في العالم كُلِّه. انظر: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٥٧) «٩٣».

والعام وفيه من الجلالة والاحترام ما يليق بذلك المقام»[١].

ويذكر المؤرِّخ عبدالقادر العيدروس (ت: ١٠٣٨هـ/١٦٢٩م)[٢] بأن قبر أبو بكر العيدروس في عدن «أشهر من الشمس الضاحية، يُقصد للزيارة والتبرك من الأماكن البعيدة»[٣].

ولهم في العيدروس هذا اعتقاد عظيم؛ وسبب ذلك أنَّ العيدروس لمَّا دخل زيلع[٤] اتفق أنّ زوجة حاكم زيلع ماتت، فكاد عقل الحاكم أن يطيش، ولما رأى العيدروس جاءه معزيّاً، رجاه أن يحييها وإلا فإنه سيموت من وَجدِهِ عليها، فكشف العيدروس عن وجهها وناداها باسمها، فأجابته: لبَّيك، ورُدَّت لها روحها، ولم يخرج العيدروس حتى أكلت مع زوجها الهريسة وعاشت مدة طويلة[٥]. هكذا!.

---

(١) محمد بافقيه «تاريخ الشحر» (٨٦).

(٢) هو عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس الحسيني الحضرمي الهندي. من مشاهير متصوِّفَة الهند. وُلِدَ سنة ٩٧٨هـ/ ١٥٧٠م في (أحمد آباد) من أرض الهند، وفيها توفِّيَ سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م. انظر ترجمته عند: محمد الشلِّي «عقد الجواهر والدرر» (٢/٥٢٢ ـ ٥٣٠). وعبدالحيّ الحسيني «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (٦/٧٥٣).

(٣) عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٤).

(٤) زيلع Saylac: مدينة صومالية. شمال غربي الصومال على ساحل (خليج عدن). انظر: محمد صبري «مصر في أفريقيا الشرقية/ هرر وزيلع وبربرة» (١٨ ـ ٢٠) (٤٢) (٥٤).

(٥) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٧).

لذلك يقول قائلهم: «شيء لله يا عيدروسِ...! شيء لله يا محيي النفوسِ»[١].

ـ قبر الشاذلي وصدِّيق والزيلعي.

أمَّا بلدان الساحل فعندهم من ذلك شيء كثير؛ فعند أهل المخا[٢]: علي بن عمر الشاذلي (ت: ٨٢٨هـ/١٤٢٥م)[٣]، **انصرف أكثرهم إلى دعائه والاستغاثة به، يقصدون قبره زرافات ووحدانا، لا تفتر ألسنتهم عن ذكره قعوداً وقياماً**[٤].

وإذا تحوَّلتَ إلى أهل الحديدة[٥] فعندهم الشيخ صِدِّيق[٦]، أقبل الناس جميعاً على تعظيمه والغلوِّ فيه، لا يركبون البحر ولا ينزلون

---

(١) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (٣٨٤/١).

(٢) المخا: مدينة في (حضرموت) على ساحل البحر الأحمر. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٤٤٥/٢).

(٣) هو شمس الدين علي بن عمر القرشي الشاذلي، من القبيلة المشهورة بأهل القرشية، وهم بنو دعسين في (زبيد) باليمن. ونسبته شاذلياً لأنَّه أخذ عن ناصر الدين بن الميلق فنسبوه شاذلياً. تولَّى القضاء الأكبر بمصر ثُمَّ عُزِلَ. انظر ترجمته عند: عبدالوهاب البريهي السكسكي «طبقات صلحاء اليمن» (٢٦٤ ـ ٢٧٠). وشمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (٢٦٣/٥).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٤/١).

(٥) الحُدَيدَة: مدينة وميناء على ساحل البحر الأحمر، تبعد عن (صنعاء) ٢٥٠ كلم غرباً. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٤٣٦/١).

(٦) قيل إنه صديق بن علي بن أبي الفتح الصوفي الشاذلي (ت: ١٠٣١هـ). انظر: تحقيق سليمان الخراشي لـ «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٥/١).

ـبر حتى يجيئوا إليه ويُسلِّموا عليه ويطلبوا منه العون والمدد فيما يقصدون(١).

وإذا انتقلت إلى أهل اللحية(٢) فعندهم الزيعلي(٣)، وهم يسمُّونه (الشمس)؛ لأن قبره مكشوف ليست عليه قبة. وكانوا يصرفون إليه النذور جميعها، وقد بلغوا أقصى الجهل والضلال والبغي في تعظيمه ودعائه. وأهل البادية منهم يروون حكاية عنه وهي: أنَّه كان رسولاً في حاجة فأراد أن يدخل بلده والشمس توشك أن تغيب، وكان يريد أن يدخل البلد قبل غيابها، فقال لها: قفي. فوقفت وأطاعته امتثالاً لقوله(٤).

ـ قبر أحمد بن الحسين.

رُوِيَ أنَّ بعض أهل جهات القبلة في اليمن، وصل إلى القبة الموضوعة على قبر الإمام أحمد بن الحسين(٥) صاحب ذي

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٥).

(٢) الُلحَيَّة: فَرَضَةٌ على البحر الأحمر، شمال (الحديدة) بمسافة ١٢٠ كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١٣٧٠).

(٣) هو أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي (ت: ٧٠٤هـ/ ١٣٠٥م). من كبار متصوِّفَة اليمن. اعتقدوا به (بحسب اعتقادهم المنحرف) القدرة على التصرّف بالكون. صنَّفَ كتاب «ثمرة الحقيقة ومرشد السالك إلى أوضح طريقة». انظر ترجمته عند: أحمد الشرجي الزبيدي «طبقات الخواص» (٧٤ ـ ٧٧). ومحمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدريَّة» (٣/١٠ ـ ١١).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٥).

(٥) المُلَقَّب المهدي، والمعروف بأبي طير، من أئمة الزيدية المتأخرين (ت: ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م). انظر أخباره عند: محمد الجَنَدي السكسكي الكندي=

بين[١]، فرآها مسرَّجة بالشَّمع والبخور، ينفخ في جوانبها وعلى القبر الستور الفائقة، فقال عند وصوله إلى الباب: **أمسيت بالخير يا أرحم الراحمين**[٢].

وهذه رَزِيَّة وبليَّة «مما صار يعتقده كثير من العوام [من أهل اليمن] وبعض الخواص [منهم] في أهل القبور وفي المعروفين بالصلاح من الأحياء؛ من أنَّهم يَقْدِرونَ على ما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ ويفعلون ما لا يفعله إلا الله ﷻ، حتى نَطَقَت ألسنتهم بما انطوت عليه قلوبهم فصاروا يدعونهم تارةً مع الله وتارةً استقلالاً، ويَصْرخون بأسمائهم ويُعَظِّمونَهم تعظيمَ من يملك الضرَّ والنَّفع، ويَخضعون لهم خضوعاً زائداً على خضوعهم عند وقوفهم بين يدي ربِّهم في الصلاة والدعاء، وهذا إذا لم يكن شركاً فلا تدري ما هو الشِّرك، وإذا لم يكن كفراً فليس في الدنيا كفر»[٣].

فها أنت تسمعهم في «الأقطار اليمنية يقولون يا ابن العجيل[٤] يا

= «السلوك في طبقات العلماء والملوك» (١/٣٣٣ ـ ٣٣٤) (٢/٥٤٢ ـ ٥٤٣) (٥٤٧ ـ ٥٤٨).

(١) ذي بين: إحدى مديريات محافظة (عمران). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٢/١١١٩).

(٢) انظر: محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٤٨).

(٣) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٢٨).

(٤) هو أبي العباس أحمد بن موسى بن علي بن عمر بن عُجَيْل. من أكابر الصوفية في تلك الأنحاء وفي عسير. ذكره عبدالله بن أسعد اليافعي في «مرآة الجنان» (٤/١٥٨) في وفيات سنة ٦٩٠هـ/ ١٢٩١م، وذكره محمد عبدالرؤوف المناوي في «الكواكب الدرية» (٢/٣٨٠ ـ ٣٨١)، (٣/١٧٦) في وفيات سنة ٦٨٤هـ/ ١٢٨٥م.

زيلعي، يا ابن علوان، يا فلان، وما عدا ديار اليمن فالأمر فيها أطم وأعم؛ ففي كل قرية ميت يعتقده أهلها وينادونه، وفي كل مدينة جماعة منهم»[١]، «**بل لا يستريحون ولا يستقرّون إلّا إذا صار في بلدهم ضريح، فالبلد الذي ليس فيها ضريح أكثرهم لا يطمئنّ فيه**»[٢].

ـ الجبرتي وأتباعه.

مما يُروى عن أحدهم آنذاك أنَّه «**كان نازلاً بمدينة زبيد**[٣] **في سابق الأيام، وأن بها قوماً يَقْرَؤُونَ صحيح البخاري، فإذا فَرَغوا ـ إمَّا أحياناً أو مطلقا ـ ذهبوا إلى مشهد الجبرتي، فيظلّون عاكفين هناك ما شاء الله وعليهم السكينة والوقار وضروب من الخضوع والتأدّب لنازل الحفرة**»[٤].

والجبرتي هذا، هو: إسماعيل بن إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي العقيلي ثم الزبيدي الشافعي. وُلِدَ سنة **٧٢٢هـ/١٣٢٢م**[٥]، وكان له أحوال ومقامات ولأهل زبيد فيه اعتقاد كبير. كان أول ظهور أمره أنه بشَّرَ السلطان الأشرف بانهزام جند قصدوه وكان الأمر

---

(١) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٧٣).

(٢) صالح الفوزان «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدر النضيد» (١٤٢).

(٣) زبيد: وادٍ مشهور يصبّ في تهامة اليمن ثم البحر الأحمر. ومدينة (زبيد) واقعة في منتصفه ما بين (بيت الفقيه) ومدينة (حَيْس). انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (٧٣٢/١ ـ ٧٣٣).

(٤) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٨).

(٥) انظر ترجمته عند: محمد بن عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (١٧٢/٣ ـ ١٧٤).

كذلك، وصارت له بذلك عنده منزلة وكلمة لا ترد، وكان منزله ملجأً لأهل العبادة ولأهل البطالة وأهل الحاجات؛ فأهل العبادة يحضرون للذكر والصلاة وأهل البطالة للسماع واللهو وأهل الحاجات لوجاهته.

وكان الزبيدي الجبرتيّ هذا قد تتلمذ على يد شيخ من دعاة نحلة ابن عربي، حتى صار من لا يحصل على نسخة من **فصوص ابن عربي**[(١)] **تنقص منزلته عنده، واشتدَّ بسببه وبسبب رهطه بلاء العلماء الصادعين بالحق. وفيهم يقول بعض الأدباء:**

رهطُ إسماعيل قطاع الطريق ... إلى الله وأربابُ الرِّيَبْ
سُفَلٌ حمقى رعاعٌ غاغةٌ ... أكلُبٌ فيهم على الدنيا كَلَبْ[(٢)].

وقد قال حسين بن عبدالرحمٰن الأهدل اليمني (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)[(٣)] عن أتباع الشيخ إسماعيل الجبرتي الدائنين بدين

---

(١) هو كتاب «فصوص الحِكَم» لمحيي الدين ابن عربي. قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «جامع الفتاوى» (٣٦٤/٢): «ما تضمَّنَه كتاب الفصوص وما شاكله من الكلام فإنَّه كفرٌ باطناً وظاهراً، وباطنه أقبحُ مِن ظاهره، وهذا يُسمَّى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول وأهل الاتحاد». وقال عنه الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٨/٢٣): «ومن أردأ تواليفه كتاب الفصوص؛ فإنْ كانَ لا كُفْرَ فيهِ، فما في الدنيا كُفْرٌ، نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله».

(٢) انظر: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٩٤/١).

(٣) هو حسين بن عبدالرحمٰن بن محمد بن أبي بكر ابن علي الأهدل الحسني نسباً. فقيه يمني أصولي مؤرِّخ. وُلِدَ سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م في (القحزية) غربي (الحقة) من بلاد اليمن. له عِدَّة كتب منها: «مفتاح القاري لجامع البخاري»، واختصر «تاريخ اليمن» للجندي في مجلَّدين وسمَّاه «تحفة الزمن في تاريخ سادات اليمن». انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (١٤٥/٣ - ١٤٧).

ابن عربي: «إنَّ بعض فقهاء زبيد سمع من بعضهم أنه فسَّر آية الكرسي بالشيخ إسماعيل الجبرتي ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، فقال: هو الشيخ إسماعيل الجبرتي ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾»[١].

وحكى الأهدل عن أتباع الجبرتي قائلاً: «أنَّهم يتعاطون كأس الخمر، وأنَّ الجماعة منهم يقعون على امرأة أحدهم، ويقولون: كلنا واحد بحكم الاتحاد»[٢].

ـ السبعة المقبورين في زبيد:

وفي زبيد أيضاً كان أهلها يعتقدون أنَّ من زار السبعة المقبورين فيها سبعة أيام متوالية قضيت حاجته، وقد نظم أحد شعراء اليمن في أولئك السبعة قائلاً:

ببابِ سهام سبعةٌ مِنْ مشايخ ... لقاصدهم ذُخْرٌ وكنزٌ لمقللِ
فيونس إبراهيم مرزوق جبرتي ... وأفلح صياد كذا ابن الرَّضي الولي
زيارتهم نَجْحٌ لكلّ حوائجٍ ... وفي الخلد سُكنى للذي زارَ مُقبلِ
زيارةُ كلّ منهم صحّ أنها ... لما شئت من جلبٍ ودفعِ مُحَصّلِ[٣].

ـ غُلُوّهم بابن العجيل.

«هذا باب واسع؛ [يبين لك] تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام [هناك] حتى ترقُّوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا

(١) حسين بن عبدالرحمٰن الأهدل اليمني «كشف الغطاء عن حقيقة التوحيد وعقائد الموحدين» (٢١٤) باختصار.

(٢) المصدر السابق (٢١٤).

(٣) عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (١٢٣).

الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب؛ ومن ذلك قول من يقول مخاطباً ابن العجيل:

هات لي منك يا ابن موسى[(١)] إغاثة عاجلاً في سيرها حثَّاثة

فهذا محض الاستغاثة ـ التي لا تصلح إلا لله ـ لِمَيِّتٍ مِن الأموات قد صار تحت أطباق الثرى منذ مئين من السِّنين»[(٢)]؛ «يعني: ابن عجيل الذي يناديه ويستغيث به، فبينه وبينه مئات السنين، فهو ميِّت، رميم، ومع هذا يستغيث به»[(٣)].

ـ صورٌ أخرى من عبادتهم لأهل القبور.

«ومن عجيب ما أتته العامة [هناك] **ما شوهد بالمعاينة مكتوباً على راية مشهد من المشاهد: هذه راية البحر التيَّار؛ فلان بن فلان، به أستغيث وأستجير وبه أعوذ من النار»[(٤)].**

وفي اليمن اشتهر «عن جماعة من أهل البادية المتصلة بصنعاء أنَّ كثيراً منهم إذا حَدَثَ له وَلَد جَعَل قِسْطاً من مالِهِ لبعض الأموات المُعتَقَدين ويقول: إنَّه قد اشترى ولده من ذلك الميت بكذا، فإذا عاش حتى يبلغ سنّ الاستقلال دَفَعَ ذلك الجُعْل لمن يعتكف على قبر ذلك الميت من المحتالين لكسب الأموال»[(٥)].

---

(١) هو أحمد بن موسى بن عُجَيْل؛: الذي مرَّت ترجمته قبل قليل.

(٢) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (٩٣).

(٣) صالح الفوزان «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدر النضيد» (١٨٣).

(٤) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٢).

(٥) محمد الشوكاني «الدر النضيد» (١١١ ـ ١١٣).

ويدخل في هذا الباب «وهو من أشهر عجائبهم المعلومة في نواحي من البلدان؛ شراؤهم الأولاد، بزعمهم، من الوليّ بشيء معين، فيبقى ثمنه رَسْماً جارياً يؤدَّى كل عام لصندوق الوليّ، وإن كانت امرأة فمهرها له، أو نصف مهرها؛ إذ هي مشتراة منه»(١).

«ومن عجيب [حالهم] في هذا الباب [أيضاً]، قول بعضهم في قصيدة؛ وهي شيءٌ يقشعرّ منه الجلد:

يا سيدي يا صفِيّ الدين يا سندي ... يا عُمدتي، بل ويا ذخري ومفتخري

أنت الملاذ لما أخشى ضرورته ... وأنت لي ملجأ من حادث الدهر

امدد بمواد اللطف منك، وكُنْ ... لي الكفيل بكشف الضرّ ونيل الظفر

وامنن عليَّ بتوفيق وعافية ... وخير خاتمة مهما انقضى عمري

وكفّ عنّا أَكُفّ الظالمين إذا ... امتدَّت بسوء وأمر مؤلم نُكرِ

فإني عُبَيْدُكَ الراجي لِوُدِّكَ ما ... آمله يا صفيّ السادة الغرَرِ

وقد مَدَدْتُ يَد الرَجْوى على ثقةٍ ... مني لنيل الذي أَمَّلْتُ من وَطَري.

فلا تدري أيّ معنى اختصّ به الخالق بعد هذه المنزلة من كيفية مطلب وتحصيل مأرب؟. وماذا أبقى هذا المشرك لخالقه من الأمر؟»(٢).

ـ قبر هود والبئر المعطَّلة والقصر المشيد في اليمن.

إضافةً لما سبق؛ فقد ظهر في اليمن آنذاك من يأتي قبر نبي الله

---

(١) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٦).

(٢) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٧٢ ـ ١٧٣).

هود عليه السلام[١] في كل حَوْلٍ لزيارته والتبرُّكِ به والاغتسال في موضع تجتمع فيه المياه هنالك؛ إذ يعتقدون أن الذي يتمكن من الغسل فيه يكون مغفورا له من جميع الذنوب.

وهناك بئر يذهبون إليها، ويقولون ـ بزعمهم ـ إنها البئر المعطلة[٢] التي ذُكِرَت في سورة الحج، وينادي أكبرهم، فيقول: السلام عليك يا نبي الله آدم، ويعدد الأنبياء عليهم السلام إلى آخرهم، والذين في معيته يُؤَمِّنُونَ على دعائِهِ ويعتقدون أن أرواح الأنبياء موجودة في هذه البئر؟

«مع أنه لا يُعلم على وجه الأرض قبر معروف من قبور الأنبياء، لا هود ولا غيره، ومن زعم ذلك فهو مفتر ضال، ولا يُعرف إلا قبر محمد ﷺ».

وهذه المغارات والقبور التي تُنسَب إلى الأنبياء كلّها كذب وافتراء، والماء الذي يزعمون حول قبر هود وأن من اغتسل منه فهو مغفور له، من أعظم الكذب والزور الذي يُرَوِّجُون به على خفافيش البصائر.

أما «البئر المعطلة» فالله سبحانه أخبر أنَّها هي و «القصر

(١) قبر نبي الله هود: منطقة شرقي (وادي حضرموت)، تبعد عن مدينة (تريم) ٣٠ كلم، يُعتقد أن بها قبر نبي الله هود عليه السلام، وله قبة قديمة. انظر: إبراهيم المقحفي «البلدان والقبائل اليمنية» (١٨٣٢/٢ ـ ١٨٣٣).

(٢) قيل: إنَّ البئر المعطَّلة على سفح قمَّة جبلٍ في اليمن بقيت خاليةً بعد هلاك أهلها يوم كفروا بنعمة الله. انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن. ضمن «الدرر السنية» (٤٤٤/١٠).

مشيد»[١] آثار من مضى ذَكَرَها الله للاعتبار وأنَّ الله أفناهم وأبقى آثارهم عبرة. أما وقوف أحدهم على البئر ينادي: يا آدم حتى يعدد الأنبياء والرسل، فهذا من الكذب البحت، فإنما تخاطبهم في القليب الشياطين تُضلّهم عن سواء السبيل، ويروّجون بذلك على خفافيش البصائر الذين خَلِيَت قلوبهم من الإيمان، ولا شعور لهم بما جاءت به الرسل وأُنزِلَت به الكتب، بل هم في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء»[٢].



(١) قيل: إنَّ القصر المشيد باليمن على قمة جبل، وكان عليها قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله، فبقي القصر خالياً. انظر: المصدر السابق، (١٠/٤٤٤).

(٢) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٤٣ ـ ٤٤٦).

٤ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في الإمارات والأحساء والكويت قبل قيام الدولة السعودية الأولى وظهور الدعوة

ـ الإمارات.

في الإمارات[١]، وتحديداً في رأس الخيمة[٢]، في مكان يقال له شعم[٣] يوجد ضريح الشيخ زهير أحد أولياء المسلمين، وكان بعض الناس يقدمون له النذور والذبائح وإيقاد السرج للصلاة والدعاء عند هذا القبر[٤].

---

(١) كانت تسمى قديماً: «إمارات الساحل الشمالي».

(٢) رأس الخيمة: تقع في أقصى الشمال لإمارة (الشارقة)، كان زعيم القواسم (الشيخ قاسم) هو الذي نصب خيمته في منطقة على الساحل مقابل (جلفار)، فكانت تراها جميع السفن المارة في الخليج، ومن ثم أطلقت البحارة على هذا المكان (رأس الخيمة). انظر: لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٢٤٤/٣).

(٣) شعم: في الساحل الغربي لساحل الإمارات، على بعد ١٢ ميلاً من (رَمس). ويمتد منها خليجاً يصل إلى (دبي). انظر: ج.ج. لوريمر «دليل الخليج الجغرافي» (١٧٩٩/٦) (١٢٤٧/٣).

(٤) Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.445-446.

وفي منطقة الصير[١] في رأس الخيمة كان هناك قبر السيد حسن؛ وهو مقام معروف يعظّمه القواسم[٢] غاية التعظيم وكان السيد حسن هذا هو المرشد الديني للشيخ راشد بن مطر القاسمي[٣]، فلما توفي جعلوا له مقاماً وبنوا عليه قبّة[٤]. كما كان يوجد قبرين في الشارقة لوليين هما: حمّودي وعبّود[٥].

ـ الأحساء.

أما في الأحساء؛ فقد قرَّر بعض أهل العلم: «أنَّ العلماء في الأحساء وغيرها لا يعرفون التوحيد من الشرك، بل قد اتخذوا الشرك

---

(١) الصير: تقع على ساحل (رأس الخيمة)، وكانت المصادر القديمة تسمي منطقة (رأس الخيمة) كلها باسم (صير) أو (جلفار). انظر: حميد بن رزيق بن بخيت «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» (ص: ٣٢٤). أيضاً: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ الجغرافي» (٧/ ٢٣٨٠ ـ ٢٣٨١).

(٢) القواسم: قال الشيخ محمد بن سعيد بن غبّاش (وهو من روّاد المتعلمين في رأس الخيمة. توفي سنة ١٩٦٩م): أنَّ القواسم «من بقايا العمالقة من ولد جاسم بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح، من الذين تفرقوا في عمان والحجاز أبله». وهم حكام إمارات الساحل الشمالي من نسل سلطان بن صقر بن راشد بن رحمة بن مطر بن رحمة بن كايد بن عدوان. انظر: عبدالله بن صالح المطوع «الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي» (٥١ ـ ٥٥).

(٣) انظر أخباره عند: عبدالله بن صالح المطوع «الجواهر واللآلئ» (٦٠ ـ ٦١) (٦٥).

(٤) انظر: حسن بن جمال الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٤٣ ـ ١٤٤).

(٥) وقد قام أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية بهدمهما. انظر: عبد العزيز البداح «حركة التصوف في الخليج العربي» (٤٣).

في العبادة ديناً، فأنكروا [دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب] لجهلهم بالتوحيد ومعنى لا إلٰه إلا الله»(١).

فلا غرابة أن انتشرت عندهم «عبادة الأصنام من بشرٍ وحجر؛ هذا يُذبح له وهذا يُنذر له وهذا يُطلب مِنْهُ إجابة الدعوات وإغاثة اللهفات وهذا يَدعوه المضطر في البر والبحر وهذا يَزعمون أنَّ من التجأ إليه ينفعه في الدنيا والآخرة ولو عَصَى الله»(٢).

وكانت الأحساء قبل أن تتفيَّأ ظلال حكم الدولة السعودية الأولى، يكثر فيها مُدَّعُو الخوارق والمنجّمون والسَّحَرة والكُهَّان، وهو ما ذكره محتجَّاً عليهم الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي قال: «ومنها ما يفعله كثيرٌ من أتباع إبليس وأتباع المنجّمين والسحرة والكُهَّان مِمَّن ينتسب إلى الفقر(٣) وينتسب إلى العلم من هذه الخوارق التي يوهمون بها الناس، ويُشَبِّهون بمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء، ومرادهم أكل أموال الناس بالباطل والصدّ عن سبيل الله، حتَّى إنَّ بعض أنواعها يَعتَقِدَ فيه من يدَّعي العلم أنَّه من العلم الموروث عن الأنبياء من علم الأسماء، وهو من الجِبتِ والطاغوت»(٤).

---

(١) من رسالة من الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن إلى الإخوان والأعيان من أهل الأحسا، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/ ٣٢٤).

(٢) رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي، ضمن «الدرر السنية» (١/ ٥٣ ـ ٥٤).

(٣) يُلَقِّب المتصوِّفَة أنفسهم بالفقراء. انظر: عبدالرزاق الكاشاني «اصطلاحات الصوفية» (٢٧٩ ـ ٢٨٠).

(٤) رسالة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي، ضمن «الدرر السنية» (١/ ٥٤).

وفي الأحساء أيضاً كانت هناك عينٌ تسمى عين الحارَّة[١] أو عين نجم[٢]، والعوام كانوا يعتقدون أنَّ مَنْ بِهِ عاهة يبرأ منها إذا غتسل في تلك العين[٣]، حتى أضحت العين مزاراً مشهورا.

ولما جاء عهد الدولة السعودية الأولى طُمِرَت تلك البئر درءاً لاعتقاد الناس فيها. وحين حصل احتلال الترك للأحساء بعيد سقوط الدولة السعودية الأولى أعادوها كما كانت، ثم لمَّا قامت الدولة السعودية الثانية خشي بعض أهل العلم السلفيين الفتنة على الناس واختلال عقائدهم فدفنوها سنة ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م سدّاً للذريعة، وبعد سقوط الأحساء تحت نير الاحتلال التركي وسقوط الدولة السعودية الثانية، أعادتها حكومة السلطان التركي/العثماني كما كانت وبنوا عليها قبة ومباني، فعاد الناس ينتابونها[٤].

---

(١) هكذا سمَّتها بعض مصادر التاريخ ووصفتها: بأنَّ «ماؤها أحرّ من ماء الحمَّام الذي توقد عليه النار»، وهي نفسها (عين نجم) الآتي ذكرها. انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٢).

(٢) عين نجم: في الأحساء غربي (المبرَّز) بالقرب من (جبل أبو غنيمة)، وهي في موضع سقط فيه نَيْزَك، فهي في هوَّةٍ منخفضةٍ من الأرض، ماؤها يجري تحت سطح الأرض، وهو شديد الحرارة بحيث يهابه المرءُ حتى ينغمر فيه شيئاً فشيئاً. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٢٣٦/٣ ـ ١٢٣٧).

(٣) انظر: محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٣٧). وسليمان بن صالح آل دخيّل «تحفة الألبا في تاريخ الأحساء» (ص٤٥٧) ضمن «مجلة العرب» ج٥ ـ ٦، السنة ١٠، ذو القعدة والحجَّة ١٣٩٥هـ/ نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥م.

(٤) انظر: أيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب» (٢٤١). ومحمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٣٧).

* إمارة الكويت.

أما في الكويت فإنَّه كان ينتشر في جزيرة فيلكا[(١)] حوالي ٦٠ أو ٧٠ ضريحاً من أضرحة الأولياء، ومن أشهر الأضرحة هناك: ضريح الأخوين سعد وسعيد وأختهما سعيدة؛ يقال أنهم قُتِلُوا في الجزيرة، فكثر تقاطر الزوّار على تلك الأضرحة قادمين لها من اليمن والهند وأفغانستان وبلوشستان[(٢)].

وكان في الجزيرة أيضاً قبرٌ آخر يقصده حجَّاج القبور وهو قبر محمد البدوي الذي يقدسونه؛ فقط لأنَّ إصبعه قاومت انتزاع الخاتم منها بعد مماته[(٣)].

وفي الجزيرة أيضاً قبر يزعمون أنَّه قبر الخضر الذي يراه أهل المراكب في البحر من مسافة بعيدة وهو كائنٌ في برج لا سقف له[(٤)]، وكان أهل البدع والذين استشرى فيهم الجهل يعتقدون بأنَّه ينتقل من مقرِّه قرب البصرة إلى مكة كل يوم أربعاء ويقضي يوم الخميس في جزيرة فيلكا ويعود يوم الجمعة في الطريق نفسه، لذلك كان على المرأة التي تريد أطفالاً أن تحضر إلى مقام الخضر في اليوم المناسب

---

(١) جزيرة فيلكا: تقع في الجانب الشمالي من مدخل جون الكويت (خليج الكويت) وتبعد حوالي عشرة أميال شرق الشمال الشرقي عن الرأس المعروف باسم (رأس الأرض). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٠/٢).

(٢) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٣/٢).

(٣) انظر: هارولد ديكسون «الكويت وجاراتها» (٤٨/١).

(٤) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٠/٢).

فتُحَقِّق أمنيتها، وغالباً ما تذهب فِرَقٌ من النساء في نزهةٍ من مدينة الكويت عبر البحر إلى جزيرة فيلكا لهذا الغرض(١).

إلى جانب ذلك كان كثير من البحارة يبجّلون مقام الخضر في فيلكا، فيعاودون الزيارة مراراً للوفاء بنذورهم التي نذروها في حالات المرض والخطر في البحر، فيذبحون رأساً من الغنم أو الماعز أو يحرقون البخور عند تلك الأضرحة في تلكم الجزيرة(٢).

ويقال أنّ في الجزيرة بقايا حصن للبرتغاليين الذين كانوا احتلوها في وقتٍ من الأوقات وأخذوا يتاجرون من هناك مع برِّ مدينة الكويت، ويعتقد أهل الجزيرة بأنَّ أولياء الجزيرة المقبورين فيها أرسلوا طاعوناً من الجرذان على البرتغاليين فطردوهم منها(٣).



---

(١) انظر: هارولد ديكسون «الكويت وجاراتها» (٤٨/١ ـ ٤٩). وسيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» (٩٥).

(٢) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٠/٢).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦٦٤/٢). وهارولد ديكسون «الكويت وجاراتها» (٥٠/١).

ثانياً: الحال الديني في الأقاليم والبلدان المحيطة بجزيرة العرب في تلك الفترات.

١ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في بلاد الشام:

يذكر من عاين الحدث وعاصر وقائع سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م أنَّ السلطان العثماني سليم الأول (ت: ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) لما احتلَّ دمشق بعساكره التركية العثمانية، جَدَّ في البحث عن قبر الصوفي الاتحادي الحلولي محيي الدين بن عربي (ت: ٦٣٨هـ/١٢٤٠م)، وقد حرص هذا السلطان غاية الحرص على تعمير قبره وتزيينه وإقامة الأوقاف له وإجراء المياه عليه وبناء البساتين حوله، وجعل له تكية[١] يُطبَخ فيها الطعام؛ لأنّ هذا السلطان العثماني على عقيدة محيي الدين بن عربي وطريقته الاتحادية، لذلك جعل من قبره مزاراً يزوره أهل البدع حتى يوم الناس هذا[٢].

(١) تكية: لفظٌ تركيٌّ أُطلِقَ على رباط الصوفية. انظر: إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٨٦).

(٢) انظر: جار الله بن فهد «الجواهر الحسان» (٢٢٥). ومحمد بن طولون «مفاكهة الخلان» (٣٤٧)، (٣٧١). ومرعي الكرمي «نزهة الناظرين» (١٧٦). ومحمد كرد علي «خطط الشام» (١٣٨/٦).

يذكر الرحالة التركي أوليا جلبي (ت: ١٠٩٤هـ/١٦٨٢م)[(١)]؛ أنَّ السلطان سليم وصلته طلاسم لابن عربي كان قد وجدها ابن كمال باشا التركي (ت: ٩٤٠هـ/١٥٣٤م)[(٢)] في أثناء تنقيب الأخير في كتب ورسائل ابن عربي بعد احتلال الترك لدمشق، وفي هذه الطلاسم ـ كما يزعمون ـ قول ابن عربي: «إذا جاء حرف السين ودخل الشين ظهر مرقد الميم»، فاستخرج كمال باشا أنَّ السين إشارة للسلطان سليم الأول العثماني، و«دخل الشين» يدل على أن سليم يدخل الشام، و«ظهر مرقد الميم» يدلّ على أن قبر محيي الدين بن عربي هو الذي سيظهر على يدي هذا السلطان.

فجدَّ السلطان سليم في البحث عن قبر ابن عربي؛ لأنَّه لم يُعرف مكانه وقت احتلاله للشام، فلم يجده، وقيل: إنَّ ابن عربي جاء للسلطان في المنام ودلَّه على مكان قبره، ثم لما وجده حشد المهندسين والبنائين وسائر العمّال ليعمّروه، فبنوا له تربة وتكية وضريحاً وجامعاً عظيماً في صالحية دمشق[(٣)].

وهذا من خرافات وترّهات الترك العثمانيين القائمة عقائدهم على المنامات.

---

(١) هو أوليا جلبي بن محمد ظلّي، المولود في (إسطنبول) سنة ١٠٢٠هـ/ ١٦١١م. كان أبوه يعمل رئيساً للصيَّاغ في قصور سلاطين بني عثمان. شُغِفَ بقراءة كتاب «المثنوي» لجلال الدين الرومي. انظر ترجمة أوليا جلبي عند مقدّم كتابه «سياحتنامة مصر» (١٠ ـ ١٢).

(٢) هو شمس الدين أحمد بن سليمان الحنفي الشهير بابن كمال باشا، صاحب التفاسير، أحد الموالي الروميَّة. كان جدُّهُ أحد أمراء الدولة العثمانية. له ترجمة عند: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٣) انظر: أوليا جلبي «سياحتنامه مصر» (١٦٥).

ويُظهر بعض الرحالة الأتراك أن غزو السلطان سليم لمصر ما هو إلا من إيمانه بمنامات يراها ذاك السلطان لابن عربي الذي يعتقد بعقيدته الاتحادية، وأنه بِنَاءً عليها احتلّ مصر[١].

وإذا انتقل النظر إلى الرقَّة[٢] السورية شمالاً على الحدود التركية السورية فسيجد قلعة تسمى قلعة جابر شرقي الفرات، وكامل المنطقة يسكنها التركمان ولا يسمحون للغريب أن يقترب من القلعة إذ تضمّ قبر سليمان شاه الذي يقدسه التركمان الأتراك، ويطلق عليه «تورك مزاري» أي القبر التركي[٣].

أمَّا في حلب فيذكر أهل التواريخ أنَّه يوجد فيها مسجد نبي الله كالب بن لوقا، وأنه كان مزاراً مشهوراً لكثير من العامة[٤]. وانتشرت أبيات تحاول التدليل على أن من في هذا القبر هو نبي من الأنبياء، فتقول:

مقام عليه هيبة وجلالة — تدل على التحقيق ما شاع واشتهر
بأنَّ الذي هذا الضريح يضمه — نبي له في الذكر شأن وفي الأثر

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٦٥).

(٢) الرقة: في سوريا، تقع في صحراء في الساحل الشمالي للفرات. انظر: يلماز أوزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٧٦٧/٢).

(٣) انظر: يلماز أوزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٧٦٧/٢).

(٤) علَّق كامل البالي الغزّي في كتابه «نهر الذهب في تاريخ حلب» (١٠١/٢) قائلاً: «وعلى كل حال لا بأس بزيارته على توهم من وجوده». لأنَّ البالي الغزّي على جادة القوم في زيارة القبور والتبرّك بها والدعاء عندها.

وسل عنده الحاجات تظفر بنيلها فما خاب عبدٌ بالنبيين انتصر[(١)].

ولقد أورد محمد كُرد علي (ت: ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م)[(٢)] عدداً كبيراً من مراقد العظماء في الشام من الصحابة ﷺ، وما أحاطها به المتصوفة من ربط[(٣)] وخوانق[(٤)]، ثم قال: «أكثر مراقد العظماء من الصحابة والتابعين والعلماء العاملين والزهاد أشبه بزوايا[(٥)] وتكايا

---

(١) كامل البالي الغزّي «نهر الذهب في تاريخ حلب» (٢/١٠١).

(٢) محمد كُرد علي: رئيس المجمع العلمي في (دمشق)، ومؤسّسه، وصاحب مجلة المقتبس. له ترجمة عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٦/٢٠٢ - ٢٠٣).

(٣) ربط: مفردها رِبَاط. والرباط في اللغة: ملازمة ثغر العدو، لكنها تحولت أثناء السلم واستقرار الأوضاع السياسية إلى أماكن للعبادة والدرس من قبل المتصوفة؛ على غرار الصوامع والأديرة التي كانت للرهبان عند النصارى في العصور الوسطى. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٤/٧٩٣ - ٧٩٤). وإبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٣٢٣).

(٤) خوانق: مفرده (خانقاه): لفظٌ فارسيٌّ، معناه: بيت. أطلق في فترة ما بعد القرن الخامس الهجري على الأماكن المعدّة للزهاد وأتباع الطرق الصوفية ومن في حكمهم. وقد حُبِسَت من أجلها أموال كثيرة من خيرات البساتين والمحلات التجارية لإكساء وإطعام وتعليم المقيمين بها. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٤/٧٢٤). وإبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٢٦٠).

(٥) زوايا: مفردها (زاوية)، وهي في الاصطلاح: مكان يُتَّخَذ من قبل المتصوفة للاعتكاف والعبادة والمطالعة، وهو على شكل خلوة أو رواق في المسجد إذا كان مشتملاً على مصلى مستور، ولكل زاوية شيخ يكون منقطعاً لها تعرف به. انظر: إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٤٠٨).

يقصدها الناس للزيارة والتبرُّكِ، وإن كان منها ما لم يثبت أن فلاناً بعينه دُفِنَت تجاليده في البقعة التي يعنونها»[١].

ومن تلك المقامات والقباب التي بُنيَت على قبور الأعلام عندهم في الشام وكان الناس هناك يتناوبون زيارتها تبرّكاً: قبر يحيى بن زكريا، وقد ذكر عبدالغني بن إسماعيل النابلسي (ت: ١١٤٣هـ/١٧٣١م)[٢] أنه زار تبرّكاً رأس السيد يحيى الحصور بالجامع الأموي، وشرع في قراءة الفاتحة عليه والدعاء عند مقامه المشهور[٣].

وهناك قبر الحسين بن علي الذي يزعمونه في الجامع الأموي في دمشق[٤]، وقبر صلاح الدين بن يوسف الأيوبي شمالي هذا الجامع[٥]، ومقام ذي الكفل وهود في سفح جبل قاسيون

---

(١) انظر: محمد كُرد علي «خطط الشام» (١٥٣/٦). وقبله قال بمثل ذلك الشكّ في صحة تلك القبور: محمد السنوسي في «الرحلة الحجازية» (٣١١/٢). ومحمد عبدالجواد القاياتي، في «نفحة البشام في رحلة الشام» (١١١).

(٢) صاحب الرحلة الشهيرة «الحقيقة والمجاز». وهي رحلة حُشِيَت بطوام من الشركيات والخرافات الصوفيّة، وهو فوق ذلك على عقيدة ابن عربي الذي أدمن مطالعة كتبه. اتُّهِمَ النابلسي أنَّه يترك الصلوات الخمس، قاله محمد خليل المرادي لمَّا ترجم له في «سلك الدرر» (٣٦/٣ ـ ٤٤). ولكمال الدين محمد الغزّي رسالة في ترجمته سمَّاها «الورد الإنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله عبدالغني النابلسي» منشورة في «مجلة التراث العربي» سنة ١٩٨٣م.

(٣) انظر عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز» (٦) (١٠٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (٥٣).

(٥) انظر: محمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام» (١٢١).

بدمشق[١]، ومقام زين العابدين وبلال الحبشي[٢] وخديجة ورقية وأم كلثوم وغيرهم في مقبرة باب الصغير في دمشق[٣]، ومقام أبي الدرداء في قلعة دمشق[٤]، ومقام حجر بن عدي في مسجد الأقصاب بدمشق[٥]. ومقام شريح بن حسنة وخولة وأُبَيّ وضرار بن الأزور[٦] في باب توماء وباب شرقي بدمشق[٧]، وأصحاب الكهف بصالحية دمشق[٨].

وإذ تحوَّلت إلى جبل لبنان وفلسطين ستجد فيها مقام الإمام الأوزاعي في بيروت[٩]، ومقام يوشع وشمعون في صور[١٠]، وقبر مريم العذراء في جبل لبنان[١١]. وفي صفد أيضاً يقصد الناس في تلك

(١) انظر: المصدر السابق (١٣٤).

(٢) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٦).

(٣) انظر: محمد السنوسي «الرحلة الحجازية» (٢/٣١١).

(٤) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٧) (٦٢).

(٥) انظر: محمد كُرد علي «خطط الشام» (٦/١٥٣).

(٦) راجع ما أوردناه في الفصل الثاني؛ حول زعم أهل البدع أنَّ لضرار بن الأزور قبر يزار في نجد قبل الدعوة.

(٧) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٤٣). ومحمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام» (١٢١).

(٨) انظر: محمد كُرد علي «خطط الشام» (٦/١٥٤).

(٩) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٨٤) (١٥٤).

(١٠) انظر: المصدر السابق (٦٥).

(١١) انظر: المصدر السابق (٧٠).

الفترات زيارة غار بيت الحزن، يقال: إنَّه الغار الذي مكث فيه يعقوب عليه السلام سنوات عديدة وابيضَّت عيناه من الحزن تحسّراً على يوسف عليه السلام[١].

وفي فلسطين أيضاً مقام الخضر وإلياس في حيفا، ومقامات شعيب والسيدة سكينة ومعاذ بن جبل ونصر الدين الطيار في طبرية. ومقامات العزير ولوط ويونس في الناصرة بفلسطين[٢].

هكذا كان تقديس القبور وبناء المقامات عليها في بلاد الشام على العموم، وهكذا جَرَّهُم ذلك التقديس إلى رجاء المقبورين وطلب الحاجات منهم والتوجّه بالدعاء لهم من دون الله.



(١) انظر: يلماز أوزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٨٠٤/٢).

(٢) انظر: محمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام» (٦١) (١٠٠) (١٢٤).

٢ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في العراق.

قال المؤرخ العراقي محمود الآلوسي (ت: ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)[١]: «والعراق فيه من ذلك الحظ الأكبر والنصيب الأوفى، بل فيه البحر الذي لا ساحل له والمهامه التي لا ينجو سالكها ولا يكاد، ومِنْ نَحوِهِ عُرِف الكفر وظهر الشرك والفساد، كما يَعرف ذلك من له إلمام بالتواريخ ومبدأ الحوادث في الدين. ومن شاهد ما يقع منهم عند مشاهد القبور هناك من العبادات وطلب العطايا والمواهب والتصرفات وأنواع الموبقات، عَلِمَ أنهم من أجهل الخلق وأضلّهم وأنهم في غاية من الكفر والشرك ما وصل إليها من قبلهم ممن ينتسب إلى الإسلام»[٢].

إنَّ العراق مُذ رزحت أرضه تحت وطأة الاحتلال العثماني التركي في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، والعثمانيون الأتراك يشجعون أصحاب الطرق الصوفية هناك؛ إذ شيَّدوا لهم التكايا وعيَّنوا شيوخها ورصدوا الأوقاف التي تصرف على إدامة التكية والنفقة

(١) محمود شكري الآلوسي: مؤرخ وعالم بالإدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. وُلِدَ في بغداد وفيها توفِّيَ. انظر: خير الدين الزرّكلي «الأعلام» (١٧٢/٧ ـ ١٧٧).

(٢) محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد» (٨٠) بتصرف يسير.

على من فيها، فشطَّت الطرق الصوفية وعظم شأنها في البلد، واشتَّ الناس على اختلاف طبقاتهم لحضور حلقات ذكرهم البدعية التي تعقد كل يوم(١).

ومعلوم أنَّه لما سقطت بغداد تحت هيمنة الأتراك العثمانيين. ووصل إليها في سنة ٩٤١هـ/١٥٣٤م السلطان العثماني سليمان القانوني (ت: ٩٧٤هـ/١٥٦٦م) ، فدخلها بعسكره محتلاً لها، لم يكن يشغل هذا السلطان العثماني أمر أكثر من انشغاله في البحث عن موقع قبر أبي حنيفة النعمان في بغداد وإعادة بناء ضريحه، فلما عُيِّنَ له مكانه بنى عليه قبة فخمة لا يستطيع الإنسان وصفها، حتى أصبحت مزاراً عظيماً على مدى العصور(٢)، ثم بنى للمزار سور لحراسته وعمّر في أطراف المزار قلعة، وعيَّنَ للقلعة جنداً لحراستها يبلغون مئة وخمسين ووضع فيها معدَّات حربية كافية ومدافع.

ثمَّ زار قبة موسى الكاظم ومحمد الجواد وقبر علي بن أبي طالبﷺ، ومن بعدها زار بإجلالٍ كبير ضريح عبدالقادر الجيلاني الذي هو من أشهر الأضرحة ببغداد، حتى أصبح الناس في العراق مفتونين بقبر الجيلاني(٣).

---

(١) انظر مقدمة سعيد الديوه جي لكتاب «ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء» لأحمد الخياط الموصلي (١١).

(٢) انظر: يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٢/٧٩٠).

(٣) انظر: السيد محمد الشلّي «السناء الباهر» (٣٠٨). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين الإحتلالين» (٤/٣٠ ـ ٣٥). وعبدالعزيز الشناوي «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» (١/٢٥).

فأضحوا يعتقدون في الجيلاني القدرة على فكّ الأسير إذا دعاه وهو في أيدي الكفار، وغدوا مستيقنين بقدرته على إنقاذ من أشفى على الغرق في البحار، حتى أمسوا ينادونه من مكانٍ بعيد[١].

ثم الْتَفَتَ السلطان العثماني القانوني إلى العتبات المقدَّسة لدى الشيعة في الفرات الأوسط، فزارها وحسَّنَ مدينة كربلاء والنجف وأعاد ما تهدَّم من مبانيها وبنى حولها الحدائق والبساتين وأجرى عليها المياه، حتى أحيا فيها ما يجذب الزوار إليها[٢].

أما مشهد علي بن أبي طالب ﷺ فقد صُيِّرَ هناك وثناً يُعْبَد من دون الله خالق الخلق، فيتوجهون إليه بخالص الدعاء ويصلُّونَ له في قبته المذهَّبَة التي زخرفوها على قبره، وهؤلاء يستشعرون في صدورهم من الهيبة والإجلال لعليٍّ ﷺ ما لا يستشعرون معشاره بين يدي الله، فتراهم يحلفون الأيمان الكاذبة بالله لا يخشونه ولا يراقبونه سراً ولا جهراً، ولكنهم لا يحلفون بعليٍّ كذبا أبداً، ويقدِّسون مشهده فلا ينتهكونه، ويزعمون أنَّ عنده مفاتح الغيب، ولهذا يقولون إن زيارته أفضل من سبعين حجة[٣].

ومثل ذلك يُفعل عند مشهد الحسين والكاظم، فشبَّ عليه

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩).

(٢) انظر: يوسف الملواني «تحفة الأحباب» (١١٦). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين الإحتلالين» (٣٦/٤ ـ ٣٧). وعبدالعزيز الشناوي «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها» (٢٥/١).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٨٦/١ ـ ١٨٧). وجواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٨٥/١ ـ ٣٨٦).

الأطفال وشاب عليه الرجال منهم حتى لا يكاد يسمع بين هؤلاء ذكرٌ لله، وإنما ديدنهم ذكر عليّ والحسين وبقية الآل(١).

وقريبٌ من ذلك ما يُفعَل في جميع قرى الشط(٢) والمجرَّة(٣) وما توسط فيها من قباب ومشاهد؛ لا سِيَّمَا قبر الحسن البصري والزبير ﷺ في مدينة الزبير(٤)، فترى الناس يقصدون هذه القبور فيصرفون لها العبادة والدعاء والاستغاثة، وليس لهذا منكِرٌ ولا جاحد(٥).

وإذا سِرتَ بالبحثِ شطر الموصل، ستجد خارج سورها من جهة القبلة مرقد عندهم يسمونه مرقد نبي الله شيث، يقول عنه ياسين العمري (ت: بعد سنة ١٢٣٢هـ/١٨١٧م)(٦): **أنَّ هذا القبر ظهر سنة ١٠٧٥هـ/١٦٦٥م على يد الوالي الوزير مصطفى باشا النيشانجي زاده.**

---

(١) انظر: عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٥).

(٢) شَطُّ العرب: الذي يتصل بالخليج العربي مكوناً التقاءً لنهري دجلة والفرات. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ الجغرافي» (١/١٢١ ـ ١٢٣).

(٣) المجرَّة: كائنة في قضاء (العمارة) في العراق. انظر: ج. لوريمر في «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٤/١٤١٩ ـ ١٤٢٠).

(٤) الزبير: مدينة على بعد أميال جنوب (البصرة). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج القسم الجغرافي» (٧/٢٥٩٣ ـ ٢٥٩٤).

(٥) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/١٨٧ ـ ١٨٨).

(٦) هو ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العُمري. مؤرِّخ وأديب وشاعر من أهل (الموصل). كان يجمع تآليفه من مطالعاته المختلفة ويقدِّمها إلى الأمراء والعلماء والموسرين ويفوز بجوائزهم. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٨/١٢٩).

رآه من واردٍ جاءه في المنام ودلَّهُ على موضعه، وأمر أن يُعمّره أحد التجار، فبنى عليه قبة وعمل له صندوقاً وستاراً.

ويعلّق ياسين العمري قائلاً: «وهو الآن [أي في وقته] الدعاء عنده مستجاب والزائر له مجبور»[١].

وفي الموصل شرقي دجلة على تلٍّ عالٍ في قرية نينوى مرقد يزعمون أنه للنبي يونس بن متَّى عليه السلام. وعنه يقول ياسين العمري: «وقبره هناك يزار وتنزل عليه الأنوار، وهذا هو المشهور بالآثار، وله من الأوقاف ستّ قرى وغير ذلك من الحمَّام والمصبغة والأراضي، وعدد خدّامه الذين يأخذون مقابل خدمة جامعه الشريف نحو خمسين»[٢].

وفي وسط الموصل قبر يزعمون أنه قبر نبي الله جرجيس، يذكر العمري: أَنَّه ظَهَرَ سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٤م؛ لما احتلَّ الموصل تيمور لنك (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)[٣]، بعدما غدر بأهلها، فقيل إنَّ هذا النبي ظهر

(١) ياسين العمري «منية الأدباء» (٩٠).

(٢) المصدر السابق (٩٣).

(٣) تيمور كوركان (تمرلنك) بن تَرْغاي بن أَبْغاي. وُلِدَ بقرية (خواجة إيلغار) من أعمال (كيش) في أوزبكستان اليوم. كان أوَّل أمره قاطع طريق (حرامي) يسطو على أغنام الناس، فضربه راعي أغنام يوماً فأصابت الضربة فخذه فأصابه العَرَج من يومها، ولذلك سُمِّيَ (لَنْك) وهي في لغتهم الأعرج. تطوَّر حاله حتى تقرَّب من ذوي الملك والسلطان باستئجار نفسه لديهم ليقتل ويسطو بالأجرة نيابةً عنهم، ثم خانهم وقتل بعضهم حتى ترقَّى في الملك، فملك أراضٍ كثيرة وممالك كبيرة وشنَّ حروباً قُتِلَ فيها الأبرياء بلا ذنب. انظر ترجمته عند: تقي الدين المقريزي «درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة» (١/٥٠١ - ٥٥٩).

عليه بالمنام وأمره بإخراج قبره فأخرجه وعمَّرَه، ولما تسلّطت الدولة العثمانية وحكم سلاطينها الموصل أوقفوا على هذا المرقد قرية تلكيف وأهلها نصارى[١].

وفيها أيضاً مرقد نبي الله نوح، بحسب زعم أهل ذاك الوقت، وهو كائنٌ في محراب الجامع النوري المعروف بالجامع الكبير، وهو يزار ويَتَبَرّك به أهل البدع[٢].

وفي الموصل أيضاً مقام الخضر، ويقع في الجانب الأيمن من الجامع النوري بالموصل، والناس ذاك الوقت تقصده للزيارة والتبرّك من جميع الأماكن[٣].

وفيها أيضاً مرقد علي الأصغر بن محمد بن الحنفية قرب الجامع الكبير، يقول عنه العمري: «**يقصده أصحاب الرمد، وهو مجرّب النفع**»[٤].

وفي الموصل أيضاً أضرحة السبعة الحدَّادين، لهم قبور متصلة بعضها ببعض، قريباً من باب سنجار خارج السور، يقول أحمد الخياط الموصلي (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)[٥]: «يزورهم المسلمون

---

(١) انظر: ياسين العمري «منية الأدباء» (٩٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٢٥).

(٣) انظر: ياسين العمري «منية الأدباء» (٩٩). وأحمد الخياط الموصلي «ترجمة الأولياء» (٤٩ ـ ٥٠).

(٤) ياسين العمري «منية الأدباء» (١٠٣).

(٥) هو أحمد بن محمد طه الموصلي الشهير بابن الخيَّاط. واعظٌ عراقي من أهل=

كثيرا ويرون بركتهم، وقد جُرِّبَ كثيراً أنَّ من زارهم وتوسَّل إلى الله تعالى بهم في قضاء حاجته؛ قُضِيَت سريعاً»[١].

وعندهم كذلك قبر الحلاج (ت: ٣٠٩هـ/٩٢١م)[٢] الذي يزورونه ويتمسّحون به ويتبركون فيه[٣]، وغيرها من قبور الأولياء لا عدد لهم ولاحصر.



= (الموصل)، وله اهتمام بتاريخ بلده. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١/٢٤٧).

(١) أحمد الخياط الموصلي «ترجمة الأولياء» (١١٢).

(٢) هو أبو عبدالله الحسين بن منصور بن محمَّى الفارسيّ الحَلَّاج، وكان مُحمَّى مجوسياً. سافر الحلَّاج إلى الهند وتعلَّم السحر، واشتبه على الناس السِّحرُ بالكرامات، فضلَّ به خلقٌ كثير، وقد جال في (خراسان) ما وراء النهر والهند وزرع في كلّ ناحية زندقةً، ثمَّ سكن (بغداد) سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م وقبلها، واشترى أملاكاً وبنى داراً، وأخذ يدعو الناس إلى أُمورٍ، فقامت عليه الكبار. وكان ظاهره التنسُّك؛ فإذا علم أنَّ أهل بلد يَرَوْن الاعتزال صار معتزلياً، أو يرون التشيُّع تشيَّع، أو يرون التَّسَنُّن تَسَنَّنَ. وكان يعرف الشعبذة والكيمياء والطب، وينتقل بين البلدان ويدَّعي الربوبية، ويرى أنَّه الإله الذي يجب أن يُعبد ويُسجَد له، ويقول: إلهٌ في السماء وإلهٌ في الأرض. انظر ترجمته عند: شمس الدين الذهبي «العِبَر» (١/٤٥٤ ـ ٤٥٨).

(٣) انظر: أحمد الخياط الموصلي «ترجمة الأولياء» (١١٦ ـ ١٢٠).

٣ ـ تَفَشِّي الشرك والبدع في مصر

ـ غلوّ أهل مصر بضريح السيِّد البدوي:

«أما بلاد مصر وصعيدها وفَيُّومها وأعماله فقد جمعت آنذاك من الأمور الشركية والعبادات الوثنية والدعاوى الفرعونية ما لا يتسع له كتاب ولا يدنو له خطاب، سِيَّما [في طنطا[١]] عند مشهد أحمد البدوي [ت: ٦٧٥هـ/١٢٧٦م][٢] وأمثاله من المُعتَقَدين المعبودين»[٣].

---

(١) طنطا: هي رأس (مديرية الغربية) في مصر. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٣/١٢٨ ـ ١٣٠).

(٢) أحمد البدوي: أصله من بني برّي قبيلة من عرب الشام، ثم سكن والده المغرب، فولد البدوي بفاس سنة ٥٩٦هـ/ ١١٩٩م. وعُرف بالبدوي للزومه اللثام، ولم يتزوَّج قطّ. ثم رحل إلى مصر فتلقَّاه الظاهر بيبرس بعسكره، وأكرمه وعظَّمَه. واستوطن (طندتا/ طنطا). انظر ترجمته لدى: محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (٢/٣٨٦ ـ ٣٩٠). وعبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى» (١/٣٠٩ ـ ٣١٧).

(٣) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٨٣).

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٩م) أنَّ البدويّ هذا: «**قد صحَّ عنه أنَّه لا يصلّي، ويبول في المسجد ولا يتطهّر**»[(١)].

ومحمد حامد الفقي ذكر: «**أنّه كان جاسوساً ملثَّماً لدولة الملثمين، وكان داهيةً في المكر والخديعة**»[(٢)].

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن عن قبر البدوي ومقامه في طنطا[(٣)]: «**إنَّ أهل مصر افتتنوا به وبأمثاله من الأموات، فاعتقدوا فيه أنَّه يفكّ الأسير إذا دعاه وهو في أيدي الكفار وينجي من أشفى على الغرق في البحار ويطفئ الحريق إذا اضطَّرَمَت فيه النار، وينادونه من مكانٍ بعيد، وهم لا يعتقدون أنَّ حيّاً من الفضلاء فيهم يسمع ويبصر ويعتقدون أنَّ البدوي يسمع من ينادونه من فرسخ فأقل، فصار هذا الميت المدفون في قعر الأرض الذي تقطَّعت أوصاله أنَّه يسمع مناديه من البحور ومن هو على مسافة شهور؛ لاعتقادهم أنَّه يعلم الغيب ويضرّ وينفع ويقدر على ما لا يقدر عليه إلا الله**»[(٤)].

أمَّا ما يحدث في المولد الذي يقيمه المتصوِّفة للسيِّد البدوي في

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩).

(٢) من تعليقات محمد حامد الفقي على «فتح المجيد» لعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ص١٥٨).

(٣) الشيخ عبدالرحمٰن عاش في مصر أيام ترحيله على يد الترك، فشهادته عن معاينة للواقع. وسيأتي البحث عن حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ وبعض أهالي الدرعية إلى مصر على يد إبراهيم باشا في ملحق الفصل العاشر.

(٤) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩) باختصارٍ يسير.

طنطا، فشيءٌ يفوق الوصف، فهذا علي باشا مبارك (ت: ١٣١١هـ/١٨٩٣م)[(١)] يقول: «**وفي طنطا سوقٌ جامعٌ يُعرف بمولد السيِّد البدوي، يجتمع فيه خلق كثيرون لا يحصي عددهم إلا الله من جميع بلاد القطر** [المصري]، **وليس اجتماعهم لمحض التجارة، بل لها وللتبرّك بولي الله تعالى سيدي أحمد البدوي المتوفّي بها**»[(٢)].

وقال محمد حامد الفقي (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) عن قبر البدوي وما يُفعل عنده في الموالد وغيرها، ما نصُّه: «**وقبر البدوي أكبر الأصنام في الديار المصرية؛ مثل هُبَل الأكبر واللات في الجاهلية، يؤتى عنده من أنواع الشرك الأكبر وتُقَدَّم له النذور، ويَجعل له الفلاحون النصف والربع في أنعامهم وزروعهم بل وأولادهم؛ فيأتي الرجل بنصف مهر ابنته ويضعه في الصندوق قائلاً: هذا نصيبك يا بدوي. ويُقام له كل عام ثلاثة موالد يَشدّ الرِّحال إليها الناس من أقصى القطر المصري، ويجتمع في المولد أكثر من ثلاثمائة ألف حاج إلى هذا الصنم الأكبر**»[(٣)].

وذكر الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: أنّ الناس «**كانوا يفعلون في مولد البدوي من عظائم الشرك والفساد ما يطول تعداده؛ اعتقاداً منهم بأنَّه يتحمّل عن الزناة واللوطية في مولده ذنوبهم، بمعنى**

---

(١) علي باشا مبارك: وزير مصري من المؤرخين. انظر ترجمته عند: جورجي زيدان «تراجم مشاهير الشرق» (٤٤/٢ ـ ٥٢).

(٢) علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٨/١٣).

(٣) من تعليقات محمد حامد الفقي على «فتح المجيد» لعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ص١٥٨ ـ ١٥٩).

أنَّه يكفِّرها عنهم، وقد كان بعضهم يسجد على باب حضرته»[١].

وقد رأى الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٣١٩هـ/١٩٠١م)[٢]، **في أيام رحلته إلى مصر لطلب العلم، مجتمعاً هائلاً أعظم من اجتماع المسلمين عشية عرفة عند جبل الرحمة، فسأل عنه، فقيل: هذا مولد البدوي. ورأى سوقاً طويلاً للبغايا اللائي قد أوقفن فروجهنَّ في ذلك اليوم للسيد البدوي، ويأتي الفسَّاق فيقعون عليهنَّ متصدِّقات بذلك له في هذا المجتمع**[٣].

ولعلَّ هذا الأمر استمر فيما بعد حتى منتصف القرن الرابع عشر الهجري/منتصف القرن العشرين الميلادي كما شهد بذلك الشيخ سليمان بن سحمان حين قال: «**وقد آل الأمر إلى فعل أنواع المنكرات من بذلِ الفروج ثلاثة أيامٍ من كلِّ سنة في مولد أحمد البدوي ومشهده الذي في طنطا، وقد حدَّثني بذلك شِفاهاً مِنْ شاهدَ ذلك؛ يخرجن الغواني جاعلين ذلك في صحائفه لِيَنالُوا بركته**»[٤].

المقصود؛ أنَّه كان يحصل عند مشهد البدوي من ذلك الفجور الشيء الكثير، كما يحصل عنده أمورٌ أخرى غير ذلك، وهو ما ذكره الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «كشف ما ألقاه إبليس» (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) هو الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب. عالم فقيه سافر إلى الهند ومصر وغيرها لطلب العلم فبرع في ذلك. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٣٤/٣ ـ ١٧٣٧).

(٣) انظر: إبراهيم آل عبدالمحسن «تذكرة أولي النهى والعرفان» (٢٣/١).

(٤) من رسالة الشيخ سليمان بن سحمان ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٦٥/٨ ـ ٣٦٦).

(ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) عمّا شاهده بمصر[١]: «أنَّ رجلاً [في مصر] سأل الآخر: كيف رأيت الجمع عند زيارة الشيخ الفلاني؟ فقال: لم أرَ أكثر منه إلا في جبل عرفات، إلا أني لم أرَهُم سجدوا لله سجدة قطّ، ولا صَلّوا مدة ثلاثة أيام. فقال السائل: قد تحمّلها الشيخ. وقال بعض الأفاضل: وباب الشيخ مصراعاه ما بين بُصرى وعدن قد اتسع خرقه وتتابع فتقه ونال رشاش زقّومه الزائر المعتقد وساكن البلد»[٢].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن أيضاً: «كلّ هذا رأيناه وسمعناه عنهم، وقد حدَّث الشيخ مصطفى البولاقي (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)[٣] أنَّ بعض رؤساء الجامع الأزهر عادَهُ لما اشتكى

---

(١) لأنَّ الشيخ عبداللطيف كان من ضمّن أهل (الدرعية) الذين رحَّلهم الأتراك العثمانيين عنها إلى مصر. وسيأتي الكتاب على حادثة الترحيل بالتفصيل في ملحق الفصل العاشر.

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٣ ـ ٥٤).

(٣) مصطفى البولاقي: هو مصطفى بن رمضان بن عبدالكريم بن سليمان بن رجب بن عبدالعظيم بن عميرة البُرلسيّ البولاقيّ (أبو يحيى) الأزهري، (ت: ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٧م). فقيه مالكيٌّ مصري، أصله من (البرلس) من (غربية مصر)، كان خطيباً في (المشهد الحسيني) بـ(القاهرة). وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن أبيات شعر ردّ فيها على البولاقي، أوردها سليمان بن سحمان في كتابه «كشف غياهب الظلام» (٣٣٣). وانظر ترجمة البولاقي عند: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٩/٩٣ ـ ٩٥). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة ١٢٤).

* ومصطفى البولاقي شيخ لعبداللطيف بن عبدالرحمٰن وقد درس عليه الأخير يوم كان في مصر منفياً وأخذ منه بعض العلم. انظر: أبو الفيض عبدالستار الهندي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (١٠٣٨).

عينيه، وقال له: هلّا ذهبتَ إلى مولد الشيخ أحمد البدوي؛ فقد حُكِيَ أنَّ إنساناً شكا إليه ذهاب بصره، فسمع قائلاً يقول من الضريح: أعطوا عين كذا وكذا»[١].

ويقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن أيضاً: أنَّه حدَّثه في مصر رجلٌ يقال له «الشيخ خليل الرشيدي[٢]؛ بالجامع الأزهر، أنَّ بعض أعيان المدرسين هناك قال: لا يُدَقّ وَتَد في القاهرة إلا بإذن السيد أحمد البدوي!!. قال فقلت له: هذا لا يكون إلا لله أو كلاماً نحو هذا. فقال: حبي في سيدي أحمد البدوي اقتضى هذا»[٣].

لذلك كان غالب العامة هناك يرون أن البدوي يتصرّف بالكون، فهذا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ يوم كان مُرَحَّلاً إلى القاهرة يقول: «قد شافهنا جاهلٌ بمصر يقول: الذي يتصرَّف في الكون سبعة: البدوي والإمام الشافعي والشيخ الدسوقي[٤]، حتى

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٠ ـ ٥١).

(٢) خليل الرشيدي: مفتي الأحكام للفقه الحنفي، والذي كان يُدرِّس الفقه الحنفي للتلاميذ الذين يُعَدُّونَ للعمل كقضاة في الأقاليم، كان يدرسهم في «مدرسة الألسن» كتاب «الدرّ المحتار»، ويدرّس في الأزهر كتاب «ملتقى الأبحر». انظر ترجمته عند: أبو الفيض عبدالستَّار الهندي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (٨٦٩). وأحمد عزَّت عبدالكريم «تاريخ التعليم في مصر» (٣٣٧/١).

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٣).

(٤) هو السيِّد إبراهيم الدسوقي، المولود سنة ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م في مصر بقرية (دسوق)، تولّى وظيفة شيخ الإسلام في عهد الظاهر بيبرس البندقداري. توفّيَ سنة ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م. انظر ترجمته عند: عبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى» (٢٨٠/١ ـ ٣٠٩). وسعاد ماهر «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٣٠٦/٢ ـ ٣٠٩).

أكمل السبعة من الأموات»[١].

ولم يكن ذلك فقط هو حال غالب العامَّة هناك في اعتقاد أنَّ البدوي يتصرّف في الكون، بل حتى غالب علمائهم يعتقدون ذلك. فقد ذُكِر في أحد تواريخ نجد عن الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: «أنَّه في حال لبثِهِ بمصر وَجَدَ فيها عالماً مُتَفَنِّناً، إذا أخذ يُعبِّر عن المسائل الأصولية والفرعية فكأنَّه البحر الذي لا ساحل له. فأُعجِبَ به الشيخ عبدالرحمٰن، وأبدى من إعجابه بذلك العالِم لرجلٍ من أهل الدين يثق به هناك، فأجابه ذلك الرجل بقوله: لا تَغتَرَّ بكلامه فإنَّه مُشرِك، وسأُطلِعُكَ على شِركِهِ إن شِئتَ.

فجَمَعَ بينهما وسأله كمسترشدٍ قائلاً: يا أستاذ؛ كم الذين يتصرّفون في الكون؟. فتكلَّمَ ذلك العالم المشار إليه بالتعظيم بأنْ قال: يا بُنيَّ، هُمْ سبعة؛ الله والبدوي والرفاعي[٢] والدسوقي وأبو العلاء[٣] وعبدالقادر الجيلاني، وسابعاً أسماه لهم، فأمَّا البدوي فلا يدخل مصر ذرَّة ولا يخرج منها ذرَّة إلَّا بإذنه.

فالتفتَ صاحب الشيخ عبدالرحمٰن إليه قائلاً له: احمدوا الله يـ

(١) من تعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن على جوابٍ للشيخ عبدالله أبا بطين حول أبيات البردة، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٥٢/١١ ـ ١٥٣).

(٢) هو علي أبي الشباك حفيد أحمد الرفاعي ابن صالح أحمد محيي الدين بن العباس. انظر ترجمته عند: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٨/١). وسعاد ماهر «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٣٠٦/١).

(٣) هو حسين أبي عليّ المكنَّى بأبى العُلا. انظر ترجمته عند: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٧/١). وحسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية» (٢٧٦/١ ـ ٢٨٠).

أهل نجد على ما مَنَّ به عليكم من معرفة التوحيد»[(١)].

وعليه؛ فغالب العامة والعلماء هناك «قد جاوزوا [بهؤلاء المقبورين] ما ادعته الجاهلية لآلهتهم، وجمهورهم يرى فيهم من تدبير الربوبية والتصريف في الكون بالمشيئة والقدرة العامة ما لم ينقل مثله عن أحد من الفراعنة والنماردة»[(٢)]، **لدرجة أن من قَتَل أو ارتكب جريمة وجناية فاعتصم بضريح ولي فإنه لا يُمسّ ويُسامح تقديساً وحُرمة للولي صاحب الضريح.**

وهذا ما جرى للأمير خليل بيك القازدغلي (ت: ١١٧٣هـ/١٧٦٠م)[(٣)]، **حين طُورد من بعض الأمراء الأتراك في مصر**، فالتجأ القازدغلي إلى ضريح أحمد البدوي، فلم يَقتله الأمراء الأتراك إكراماً وتقديساً لصاحب الضريح[(٤)].

وانتشرت في مصر قصيدة للأديب عثمان بن محمد بن حسين الشمسي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)[(٥)] **في مدح البدوي، وهي مملوءة**

---

(١) إبراهيم آل عبدالمحسن «تذكرة أولي النهى والعرفان» (١/٢٢ ـ ٢٣).

(٢) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (١/٣٨٣).

(٣) الأمير خليل بيك القازدغلي: أصله من مماليك إبراهيم كتخدا القازدغلي. تقلد الإمارة الصنجقية بعد موت سيده، وتقلد الدفتردارية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/٥٠٣).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/٥٠٣)، (٢١١).

(٥) عثمان بن محمد الشمسي: أديب مصري. له ترجمة عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢/٣٢٤).

بالشرك والانحراف العقدي الخطير، يقول في بعض أبياتها:

إليك إليك قد زاد احتياجي ... ومن ناداك يا بدوي فناجي
أَنَخْتُ ظُعُون أسقامي وكربي ... لبابٍ كم له في الناس راجي
فيا بدوي يا قصدي وسُؤْلي ... ويا حامي الحمى يومَ العَجاجِ
دخيلٌ في حِماكَ وأنت غَوْثٌ ... وحاشى أن يخيب من يناجي
فأنقذه وسَلِّكْهُ طريقاً ... إلى التقوى بِعِزٍّ وابتهاجِ[1].

هذا وقد زاد من الغلوّ بالبدوي لدى غالب العامة ومدعي العلم هناك؛ أنهم يرون الأمراء والسلاطين الأتراك وأهل النفوذ يتسابقون في خدمة ضريح البدوي وبذل الأموال لخدمة ضريحه، ومن ذلك ما قام به الأمير علي بيك الكبير (١١٨٧هـ/١٧٧٣م)[2] **أنشأ عمارة عظيمة؛ وهي المسجد الجامع والقبة على مقام أحمد البدوي، وأنشأ المكاتب والميضأة الكبيرة والجنفيات العظيمة النافذة من الجهتين، وأنشأ هناك كثير من الحوانيت للتجار، وأوقف على الضريح أوقافاً كثيرة، ورتَّب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين وجعل لهم خبزاً وجرايات وشوربة في كل يوم[3].**

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٢٥/٢)

(٢) علي بيك الكبير: أحد أمراء المماليك/ البكوات الأتراك التابعين للدولة العثمانية الذين تولوا حكمها. كان له الهيمنة على أراضي مصر كلها وأجزاء من البلاد الشامية. تناوش مع السلطات والعساكر العثمانية واستقلّ بمصر مدة. مات متأثراً بجراحه بعد معاطنة له مع مملوك عنده، فحُمِلَ ودُفِنَ في (القرافة الصغرى) بجوار الإمام الشافعي. انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥٩٦/١ ـ ٥٩٩).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٢٥/٢)

ـ أضرحة آل البيت في القاهرة.

في القاهرة يوجد المشهد المقام عند القبة التي وضعت على ضريح الحسين ﷺ؛ الذي أنشأه الفاطميون الشيعة سنة ٥٤٩هـ/١١٥٤م على يد الصالح طلائع بن رزيك زمن الفائز بنصر الله الفاطمي الشيعي، وقد توالى على الاعتناء به الأكابر والأمراء في كل عصر بعمارته وزخرفته وإعلاء شأنه، وأوقفوا عليه الأوقاف الكبيرة[1]، ويصنع عند ضريح الحسين هذا من أشكال الشرك والفجور أنواعٌ منوّعة[2].

وقد رُوِيَ «أنّ بعض المغاربة قدموا مصر يريدون الحجّ، فذهبوا إلى الضريح المنسوب إلى الحسين ﷺ بالقاهرة، فاستقبلوا القبر وأحرموا، ووقفوا وركعوا وسجدوا لصاحب القبر، حتى أنكر عليهم سدنة المشهد وبعض الحاضرين، فقالوا: هذا محبةٌ في سيدنا الحسين!»[3].

وفي القاهرة أيضاً مشهد السيدة نفيسة[4]، وعليه بناءٌ عظيم،

---

(١) انظر: عبدالله ابن عبدالظاهر «الروضة البهيَّة الظاهرة في خطط المُعِزِّيَّة القاهرة» (٩٣). وتقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٢/٤٠٥ ـ ٤٠٨). وعلي بن أحمد السخاوي «تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات» (١٢٥ ـ ١٤٤). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٩٣). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/٧٧).

(٢) انظر: رسالة لسليمان بن سحمان ضمن «الدرر السنية» (٨/٤٦٦).

(٣) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «منهاج التأسيس» (٥٣).

(٤) مشهد السيدة نفيسة: كائن في جامع مشهور أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٢٥٥هـ/ ٨٦٩م، وبداخله ضريحها. ومشهدها يُعرف في (درب=

ولها حضرتان في يوم الأحد والاثنين[١].

ويفعلون مثل ذلك وأكثر عند مشهد قبر السيدة زينب[٢] الذي بُنيت عليه قبة عظيمة يتمسّح بها الناس ويتبركون وَيَتَجَيَّرون[٣]، ويُعمل لها مولد من ٢٥ جمادى الثانية لغاية ١٧ رجب، ولها حضرتان يوم الأحد والأربعاء[٤].

وفي القاهرة أيضاً مشهد السيدة سكينة[٥] الذي بُنِيَ عليه جامع شهير هناك، وكان الأمراء والسلاطين يتنافسون على خدمته وتجديده[٦]، والناس هناك تقصده للزيارة والتبرك والدعاء، وتعمل به

---

(١) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٨/١).

(٢) قبر السيدة زينب: داخل الجامع الشهير بالزينبي تجاه (قناطر السباع)، جدَّده الأمير علي باشا الوزير المتولي سنة ٩٥٥هـ/ ١٥٤٨م، ثم في سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م جدّده ووسعه الأمير عبدالرحمٰن كتخدا. انظر: علي بن أحمد السخاوي «تحفة الأحباب» (٤٠). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٦/٣).

(٣) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (٢١٥). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٦/٣).

(٤) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٨/١).

(٥) مشهد السيدة سكينة: أنشأه الأمير المأمون البطائحي وزير الآمر بالله الفاطمي الشيعي. وهو كائنٌ في (شارع الخليفة) في الطريق المؤدي إلى (القرافة الصغرى). انظر: عبدالله ابن عبدالظاهر «الروضة البهيَّة» (٩٥). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨/٢).

(٦) جدَّدَه الأمير عبدالرحمٰن كتخدا سنة ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م، ثم أجرى عليه الخديوي عباس باشا عمارة ضخمة. انظر: علي بن أحمد السخاوي «تحفة الأحباب» (١١٥ ـ ١١٦). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٦٠/٢).

حضرة صوفية كل ليلة خميس ومولد كل عام ابتداءً من ٦ جمادى الأولى لغاية ١٣ منه[١].

ـ ضريح الإمام الشافعي.

وفي القاهرة أيضاً مشهد الإمام الشافعي الذي كان قبره كسائر القبور، **وبقي ساحة حتى جاء السلطان صلاح الدين الأيوبي فبنى له تربة ومدرسة بجوار القبر على طرائق الصوفية،** ثمَّ تعاقب الملوك والسلاطين من بعده على تزيينه وتقديسه حتى زاد الاعتقاد فيه[٢].

وكانوا يرون أنَّه لا ينبغي لمن يدخل مصر أن يهمل زيارة قبر الإمام الشافعي، لأنَّهم يعتقدون فيه أنَّه صاحب التصريف التام بمصر: لذا تجد على قبره بناءً عظيماً ومسجداً وخانقاهاً وقوماً من المتصوفة يسكنون هناك، وقَيِّم المشهد لا يفارقه ليلاً ونهارا[٣]، وله أوقاف كثيرة، والأمراء الأتراك وذوي النفوذ من البكوات العثمانية يبذلون المال في تجديده وتزيينه[٤].

ويتخذ المتصوفة عند قبره كل ليلة سبت مولد يجتمع فيه أناس كثيرون يضيق بهم المسجد وأفنيته؛ ما بين فقراء وأمراء ورجال ونساء

---

(١) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٧/١) (٦٠/٢).

(٢) انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٨٥١/٤) (٩١١ ـ ٩١٢). وحسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية» (١٠٦/١ ـ ١٠٨).

(٣) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢٦١/١).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥٩٩/١ ـ ٦٠٠).

يبيتون طول الليل عنده[١]. ويُعمل مولدٌ للشافعي عند قبره كلّ عام في غرَّة رجب لغاية التاسع منه، ويُعمل له حضرة كل يوم جمعة وليلة السبت[٢].

ضريح ابن الفارض والعفيفي البرهاني.

وفي القاهرة أيضاً قبر عمر بن الفارض، ويسمونه لسان المحبين، بُنِيَ على قبره بناء ومسجد، وهم يزورونه ويتبركون به ويتمسحون[٣]، ويَقْصده بالزيارة الخاص والعام، ويُصَلِّي جمع غفير من المتصوفة صلاة الجمعة في مسجده، وبعد الفراغ من صلاة الجمعة يجتمع الناس أكثر مما كان هناك، ثم يَقرَؤُون القرآن ويَدعُون بالأدعية البَدعِيَّة والذِّكْر المُحدث والتَّسبيحات التي لا أصل لها، ثمّ ينضمّ الناس بعضهم إلى بعض، فيقوم المنشدون واحداً بعد واحد ينشدون كلام ابن الفارض، ويبكون ويخشعون وينجون (من النجوى) ويتواجدون (من الوَجْدِ) وتدهم الأحوال لكل من يكون هناك؛ حتى أنَّ بعض المنشدين والمستمعين ربما صرخ ونزع ثيابه وخرج يدوس الناس هائماً على رأسه. ويقال أنَّ هذا المحضر في كل جمعة يكون كذلك[٤]. ويُعمل لابن الفارض مولدٌ من كل عام في ٢٠ شعبان لغاية ٢٣ منه[٥].

---

(١) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (١٩٢).

(٢) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٩/١).

(٣) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٢٦٢/١).

(٤) انظر: عبدالغني النابلسي «الحقيقة والمجاز» (١٩٧).

(٥) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٢٩/١).

وفي منطقة قصر الشوك(١) ضريح القطب الصوفي عبدالوهاب بن عبدالسلام العفيفي البرهاني(٢)، وُضِعَت عليه سنة ١١٧٠هـ/١٧٥٧م قُبَّة معقودة، وعُمِلت له مقصورةٌ ومقامٌ من داخلها، وصُيِّرَ قبره مزاراً عظيماً يُقْصَد بالزيارة، يختلط به الرجال والنساء، ثم أُنْشِئ بجانبه قصرٌ عالٍ وسورٌ له رحبة متسعة دَثَروا بها قبوراً كثيرة، ثم ابْتُدِعَ له موسمٌ وعيدٌ في كل سنة يُدعَى إليه الناس من البلاد القبلية والبحرية. وتُنْصَب عنده خيامٌ كثيرةٌ وصواوين(٣) ومطابخ وقهاوي، ويجتمع العالم الأكبر من أخلاط الناس وخواصِّهم وعَوامِّهم وفلَّاحي الأرياف وأرباب الملاهي والملاعيب والراقصات والبغايا والقرَّادين والحواة: فَيَمْلَؤُونَ الصحراء والبستان، فيطؤون القبور ويوقدون النيران، ويصبّون عليها القاذورات ويبولون ويتغوَّطون ويزنون ويلوطون ويلعبون ويرقصون ويضربون بالطبول والزمور ليلاً ونهارا، ويستمر ذلك نحو عشرة أيام أو أكثر، ويجتمع لذلك الفقهاء والعلماء، وينصبون لهم خياماً أيضا، ويقتدي بهم الأكابر من الأمراء والتجار والعامة من غير إنكار، بل ويعتقدون أنَّ ذلك قُرْبَة وعبادة(٤).

---

(١) قصر الشوك: والعامَّة تسمي (قصر الشوك) باسم (قصر الشوق)، قال ذلك المقريزي في «الخطط والآثار» (٣٤٣/٢). ولا زالت العامَّة إلى يوم الناس هذا تسمّيه (قصر الشوق)، حتَّى أنَّ (الأديب نجيب محفوظ) عَنْوَنَ روايته الشهيرة باسم «قصر الشوق» لا «الشوك». و(قصر الشوك) هي اليوم حارة في (القاهرة القديمة) بالقرب من المشهد الحسيني. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٧/٢ ـ ١٨) (٧٥).

(٢) انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦٤/١ ـ ٣٦٥).

(٣) صواوين: مفردها «صيوان»؛ وهي خيمة كبيرة من القماش. انظر: إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف» (٦٢).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦٤/١ ـ ٣٦٥).

ـ مشهد المرسي أبو العباس بالإسكندرية:

أما الإسكندرية؛ ففيها ضريح أبي العباس المرسي (ت: ٦٨٦هـ/١٢٨٧م)[١]، ويقصده بالزيارة جموع غفيرة من أهل الإسكندرية ومن بلدان كثيرة غيرها. ولأهل الإسكندرية اعتقاد بالمرسي كبير إلى اليوم[٢].

وكان الناس يقدسون ضريحه غاية التقديس ويرون أنه من المتصرفين بالكون وأنَّ له قدرة في التأثير والتدبير، وكانوا يعتقدون اعتقاداً راسخاً أنه يحمي الإسكندرية ممن أراد العدوان عليها من البحر، وأنه يحرسها من كلّ سوء[٣].

وكان الرحالة عبدالله العياشي قد واظب مدة إقامته بالإسكندرية سبعة أيام على زيارة قبر المرسي أبو العباس[٤].

ولما حلّ الوباء في البحيرة[٥] والإسكندرية، أنشد العياشي أبياتاً

---

(١) أبو العباس أحمد بن عمر المرسي: فقيه متصوّف من أهل (الإسكندرية)، أصله من (مرسية) في الأندلس. انظر ترجمته عند: يوسف بن تغري بردي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٣٧١/٧).

(٢) انظر: يوسف بن تغري بردي في «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة» (٣٧١/٧). وخير الدين الزركلي في «الأعلام» (١٨٦/١).

(٣) انظر: يوسف بن تغري بردي، المصدر السابق (٣٧١/٧).

(٤) انظر: عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (٤٧٦/٢).

(٥) البحيرة: محافظة ساحلية في الجزء الشمالي من مصر وعاصمتها (دمنهور). انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (٢٠/٢ ـ ٢٣).

أُرسِلَت إلى خادم ضريح المرسي أبو العباس مع أحد أبناء الإسكندرية ليقرأها أمام قبر المرسي أبو العباس وهي من جملة قصيدة يتوسل فيها به من دون الله؛ أن يُذهِبَ عنهم كلّ بؤس ويكفيهم شرّ الوباء، يقول العياشي في بعض أبياتها:

ملاذي إذا ضاقت لكربتها نفسي ... وغوثي أبو العباس سيدنا المرسي
محبته ذخري لكل مُلمة ... وأمني في خوفي وفي وحشتي أنسي
عساه بفضلٍ منه يجذبني إلى ... هُداه ويحميني من الرجز والرجس
هنيئاً لمن قد زار قبرك سيدي ... وكان لأرض القبر بالوجه ذا لمس
فإني لستُ عن حماك بخارجٍ ... وإن كنتُ في أقصى المغارب ذا نحس[1].

وهذا المرسي أبي العباس هو الذي كان يقول: «لو كُشِفَ عن حقيقة الولي لَعُبِدَ»[2]، معلناً بصريح العبارة: **أنَّ للولي بعض الصفات الإلهية التي توجب على مريديه ومعتقديه تقديسه. فتأمَّل.**

ـ تقديس الأحياء من مشايخ الطرق الصوفية في مصر:

لم يقتصر أهل مصر على تقديس الأموات فقط، بل قدَّسوا حتى الأحياء الذين يصفونهم بالأولياء؛ ذلك أنَّ مصر إبَّان العصر العثماني تكدَّسَت فيها فرق المتصوفة وطوائف الفقراء الدراويش، واكتظَّت شوارعها بمواكبهم والبيوت بولائمهم والمساجد والزوايا باجتماعاتهم وانتشر شيوخهم وأتباعهم في الريف والحضر وتغلغل نفوذهم في المدن وشاع في الأقاليم والقرى، وامتدَّ سلطانهم إلى مختلف طبقات

الشعب وأقام في صدورها عرشه، وتسرَّب إلى قصور الحكام العثمانيين في مصر فَعَبَثَ بالقوانين واستَهانَ بالرأي العام فتَخَطَّى أبسط مبادئ العرف واستَعلَى على الدين فاستباح الخروج على قواعده وتعاليمه، فأضحى أولئك المتصوفة فوق قواعد الدين ومقتضيات العرف وقوانين الدولة.

لقد كان الناس في شتى الطبقات يحيطونهم بالعطف والتأييد، فصار يَخِفّ إلى زواياهم مئات المريدين وألوف الأتباع، وفاضت عليهم خزائن الأغنياء والأثرياء وسعى إليهم عطف الحكام والأمراء الأتراك العثمانيين، ولازمهم النصر في أكثر المعارك التي أثار عثيرها في وجوههم العلماء والفقهاء، وتوفَّر لهم عند المريدين سلطان لم يتوفر لحاكم تحبه عشيرته وتطيعه جنوده، أو لعالم يجله تلاميذه وطلابه؛ وما كان ـ في عرف أولئك المتصوفة ـ الجندي الذي يتمرد على قائده ساعة المحنة بأشد خيانة وأعظم جرماً من المريد الذي يسيء الظن بشيخه أو يتردد في امتثال أمر تلقَّاه عنه، ولو يقضي بطلاق زوجه وفراق أولاده أو يمنعه عن أداء أمر من أوامر الدين من فروض وواجبات وحتَّمه من شعائر وعبادات[١].

ومن صور ذلك أن المتصوِّف آنذاك إذا خرج إلى الشارع أو سار في الأسواق تهافت عليه الناس وتكاثر حوله عديدهم وسدُّوا طريقه وانهالوا على يديه وقدميه لثماً وتقبيلا، وممن كان خروجه إلى الشارع يثير هذا الضجيج السيد محمد بن علي البكري (ت: ٩٩٣هـ/١٥٨٥م)[٢]، **مصريٌّ صوفيّ، غلا فيه الناس هناك حتى قالوا:**

(١) انظر: توفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني» (١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) هو محمد بن علي بن محمد البكري الصديقي الشافعي الأشعري المصري. من=

«لولا أنَّ باب النبوة سُدَّ لاستدلَّيْنا بما نسمعه منه على نبوته»[١].

كان البكريُّ إذا قام من مجلس جلس فيه للتدريس بالجامع الأزهر أو غيره؛ تقدّم الناس لتقبيل يده والتبرك بدعائه والتَّيَمُّن بالقرب من موضعه، وكان الازدحام يقع بينهم حتى ليسقط بعضهم تحت أقدام الناس، وكان يحيط به جماعة من الجند الأتراك العثمانيين وغيرهم يحلّقون على حضرته بأيديهم خوفاً عليه من أذى الازدحام، وربما أخذ أحدهم بيده الشريفة وهي ممدودة لتقبيل الناس لطول زمن مَدِّها لهم؛ إذ كان يَمُدّها لهم بعد دَرْسِهِ نحو من ساعة، ثم يسير إلى جهة دابَّتِهِ والنَّاس على الغاية في الازدحام عليه إلى أن يصل إليها[٢].

وكان الناس في مصر آنذاك يعتقدون في البكري أنَّه من المتصرفين بالكون وأنَّ له تأثيراً وتدبيراً في الحوادث؛ ومن ذلك ما ذكروه عنه: أنَّه لما نقص نهر النيل في بعض السنين قال لعبده الحبشي مندل: انزل يا مندل قل للبحر: يقول لك الشيخ أبو الحسن البكريّ: زِد، أو نحو هذه العبارة. فقال العبد كما أمره، فما مضت

= كبار متصوِّفَة مصر. شاعر. وحيثما أطلق في كتب التواريخ أو المناقب أو الطبقات اسم القطب البكري أو البكري الكبير أو سيدي محمد البكري فهو المعنيّ. وهو صاحب الحزب المعروف بـ«حزب الفتح» الشهير بـ«حزب البكري». انظر ترجمته عند: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (٥٣٤ ـ ٥٥٣). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/ ٦٠ ـ ٦١).

(١) نقله عنهم: عبدالقادر العيدروس في «النور السافر» (٥٣٥). وابن العماد الحنبلي في «شذرات الذهب» (١٠/٦٣٢).

(٢) انظر: عبدالقادر العيدروس «النور السافر» (٥٣٦).

ساعة يسيرة إلا وقد ظهرت فيه زيادة كثيرة[١]. هكذا يتداولون تلك الخرافات على أنها كرامات له.

وهذا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ يوم كان مُرَحَّلاً إلى مصر، قال: «أهل الغلوّ والشرك ليس عندهم إلا المنامات والأحوال الشيطانية التي يحكيها بعضهم عن بعض، كما قال لي بعض علماء مصر: إنَّ شيخاً مشى بأصحابه على البحر فقال: لا تذكروا غيري. وفيهم رجلٌ ذَكَرَ الله فسقط في البحر، فأخذ الشيخ بيده وقال: ألم أقل لكم لا تذكروا غيري؟»[٢].

ولهذا كان جمهرة من الناس في مصر تخاف سلطان مشايخ الطرق الصوفية، وتخشى إنْ أساءت إليهم أن ينالها أذاهم ويصيبها تصريفهم، فكفَّت عن سوء الظن بهم واستنكار أفعالهم، وذلك وحده كفيل بتخليص أرباب الطرق من قيود العُرف وتحرير شهواتهم من عقائد الدين، ومن أشهر أولئك: الشيخ السادات (ت: ١٢٢٨هـ/١٨١٣م)[٣] **الذي جدَّ في تحصيل الأسباب الدنيوية وما يتوصّل به إلى كثرة الإيراد بحسن تداخل وجميل طريقة، وكان يراسل**

---

(١) انظر: المصدر السابق (٥٥٠).

(٢) من تعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن على جوابٍ للشيخ عبدالله أبا بطين عن أسئلة حول أبيات البردة، ضمن «الدرر السنيَّة» (١١/١٦٢ ـ ١٦٣).

(٣) هو شمس الدين محمد أبو الأنوار المعروف بابن العارفين. من السادات الوفائية بمصر. سيّء السمعة من جوانب الاستيلاء على أموال الغير والتملق لذوي السلطان باستغلاله لنسبه وطرقيته الصوفية. وكان له المواقف المخزية لمصانعة الفرنسيين يوم احتلوا مصر بحملتهم الشهيرة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٨م. انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار» (٤/٢٩٣ ـ ٣٠٩).

ويشاحح على أدنى شيء ويحاسب ولا يدفع لأرباب الأقلام عوائدهم المقررة في الدفاتر، وحصل أن أَحْدَقَ به الطلاب والمشايخ وأرباب الطرق والعامة والدهماء، فأكثروا الترداد عليه وعلى موائده وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعاً في صِلاتِه وجوائزه القليلة وحصول الشهرة لهم وزوال الخمول والتعارف بمن يتردد إلى داره من الأمراء الأتراك العثمانية والأكابر، وزاد هو وجهاً ووجاهة بمجالستهم، فازداد كِبْراً وتيهاً، وبلغ به أنَّه لا يقوم لأكثرهم إذا دَخَلَ عليه، ومنهم من يدخل عليه بغاية الأدب فيضمّ ثيابه ويقول عند مشاهدته: «يا مولاي يا واحد» ، فإذا حصل بالقرب منه بنحو ذراعين؛ حَبَا على ركبتيه ومدّ يمينه لتقبيل يده أو طرف ثوبه، وأما الأدْوَن فلا يقبل إلا طرف ثوبه، وكذلك أتباعه وخدمه وخواصه.

وأفنى غالب عمره في تحصيل الدنيا وتنظيم المعاش والرفاهية واقتناء كل مرغوب للنفس وشراء الجواري والمماليك والعبيد والحبوش والخصيان والتأنُّق في المآكل والمشارب والملابس. وتعاظم في نفسه وتعالى على أبناء جنسه.

وكان له أطيان وأفدنة احتازها وشغَّل فيها الفلاحون، وكان يفرض على هؤلاء المساكين الزيادات ويحبسهم عليها شهوراً ويضربهم بالكرابيج؛ فصار كبيت الشرطة يخافه من غلط أدنى غلطة، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس، وجلساؤه ومرافقوه لا يعارضوه في شيء بل يوافقوه، ولا يتكلمون معه إلا بميزان وملاحظة الأركان، ويتأدبون معه في ردّ الجواب، وغير ذلك من المبالغات.

وحصل مرة أنَّه حضر صلاة الجمعة في الجامع الأزهر فأنشأ خطيب الجامع حسين المنزلاوي خطبة أطراه فيها وغلا فيه إلى حد تجاوز العقل، حتى أنَّ عبدالرحمٰن بن حسن الجبرتي

(ت: ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م)[١] سمع أحدهم يقول بعد الصلاة: «لم يبق على الخطيب إلا أن يقول اركعوا واسجدوا واعبدوا الشيخ السادات»[٢].

وسرى تقديس أهل مصر لأولئك المشايخ الصوفية إلى من يفدون إلى مصر من خارجها، ومن ذلك أنَّه أشيعت عند المغاربة عن الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩١م)[٣] في مصر، أنَّه إذا وفَدَ أحد هؤلاء المغاربة إلى مصر حاجّاً ولم يَصِلْهُ بشيء، لا يعتبر حجّه كاملاً!. وكانوا أيام الحج محتشدين ببابه منذ الصباح حتى المساء، وكان بعضهم يحمل إليه استفتاء من علماء بلده وأعيانه، فإن ظفر بقطعة ورق ولو بمقدار الأنملة فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتميمة، ورأى أن حجَّهُ على هذه الهيئة هو حجٌّ كاملٌ مقبول، وإلا فقد باء بالخيبة والندامة وأحاطه باللوم أهل بلاده

(١) هو مُؤَرِّخُ مصرَ ومُدَوِّنُ وقائعها وسِيَر رجالها في عصرِهِ، ومفتي الحنفية وقت محمد علي باشا. ذهب بصره لكثير بكائه على ولدٍ لَهُ قُتِل، ولم يَطل عَماه؛ فقد عاجلته الوفاة مخنوقاً. انظر ترجمته عند: الأب لويس شيخو اليسوعي «تاريخ الآداب العربية» (٢٠ ـ ٢١). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٣٠٤/٣).

(٢) انظر عبدالرحمٰن الجبرتي في كتابه «عجائب الآثار» (٢٩٦/٤ ـ ٢٩٧) (٣٠١ ـ ٣٠٢).

(٣) هو محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني الزبيدي، الملقَّب بـ(مرتضى الزبيدي). عالمٌ باللغة والحديث والرجال والأنساب. من كبار المصنِّفين. أصله من (واسط) في العراق، ومولده في الهند في (بلجرام)، ومنشأه في (زبيد) باليمن، رحل إلى الحجاز وأقام بمصر. وهو صاحب «تاج العروس في شرح القاموس» و«شرح الإحياء للغزالي». توفي بطاعون مصر سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. انظر ترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٠٣/٢ ـ ٣٢١).

ودامت حسرته إلى يوم ميعاده![(١)].

وتقديس أولئك المتصوفة لم يكن مقصوراً على عوام الناس وأشياخ البلد والدين، بل إنَّه ليمتد إلى الأمراء والسلاطين والنواب الأتراك وذوي النفوذ والمكانة، مثل أمراء الدولة العثمانية ونوابها في مصر؛ فهذا الأمير يوسف بن أصبع اعتقد شيخاً من مشايخ المتصوفة في الريف المصري وصار يقبّل يده ورجله ويعمل له مولداً كل قليل ويدعو الناس إلى مولده ويَتَشَوَّش ممن يتخلَّف عن الحضور[(٢)].

ومما يدلّك على مدى نفوذهم وسلطانهم الروحي عند ذوي النفوذ والسلطة في مصر آنذاك؛ أنَّ الضرائب الفادحة التي فرضها العثمانيون الأتراك على المصريين، بالرغم من قساوتهم في تحصيلها. إلا أنَّ حكَّام الترك كانوا يعفون مشايخ الطرق الصوفية في أكثر الأحايين من أخذ الضرائب.

شهد على ذلك شاهد عيان؛ وهو عبدالوهاب الشعراني (ت: ٩٧٣هـ/١٥٦٥م)[(٣)] **حيث قال: إنَّ من نعم الله عليه حماية جميع أوقاف زاويته من ظلم الحكام في مصر والريف، فلا يعارضه ولا يعتدي عليه أحد قَطّ رغم أنه لا يحمل مرسوماً من السلطان لحمايته**[(٤)].

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٠٩/٢).

(٢) انظر: عبدالوهاب الشعراني «لطائف المنن» (٣١٩).

(٣) هو عبدالوهاب بن أحمد بن علي الحنفي (نسبة إلى محمد بن الحنفية). وهو من كبار المتصوفة بمصر. انظر ترجمته عند: محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (٣٩٢/٣ ـ ٣٩٦).

(٤) انظر: عبدالوهاب الشعراني (لطائف المنن» (٧٠٥ ـ ٧٠٩). وتوفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني» (١١٦ ـ ١١٧).

بل إن الكثير من جنود السلطان العثماني بمصر كانوا يرسلون لعبدالوهاب الشعراني في رمضان أصناف من أطباق الكنافة المبخرة المنثور عليها السكر والفستق، إكراماً لمكانته الصوفية لديهم[١].

ومن صور نفوذ المتصوِّفة عند الحكام الأتراك العثمانيين بمصر، أن الشيخ البكري الكبير كان ملحوظ العناية عندهم، فكانوا يهادونه ويكاتبونه، وللسلطان العثماني سليمان القانوني مزيد عناية به، حتى أنه أطلق المرتبات الخاصة له ولذريته من بعده[٢].

وهذا الصوفيّ إبراهيم الكلشي العَجَميّ (ت: ٩٤٠هـ/١٥٣٤م)[٣] **الذي دخل مصر زمن الاحتلال العثماني، كان الجنود الأتراك العثمانيون يتهافتون عليه لعظيم اعتقادهم فيه، حتَّى أنَّهم يقتتلون على شرب الماء الذي بقيَ من غسيله في الحمام**[٤].

وهذا الصوفي المصري شاهين الدمرداش (ت: ٩٥٤هـ/١٥٤٧م)[٥] **كان نواب مصر العثمانيون وأمراؤها الأتراك**

---

(١) انظر: عبدالوهاب الشعراني «لطائف المنن» (٢٤٧).

(٢) انظر: توفيق الطويل «التصوف في مصر إبان العصر العثماني» (١١٨ ـ ١١٩).

(٣) إبراهيم الكلشي العجمي الصوفي، نزيل مصر، كان في (تبريز) عند متصوفتها الأعاجم يأخذ منهم طريقتهم الصوفية، ثمَّ دخل مصر مع الاحتلال العثماني التركي، فحصلت له شهرة. انظر: ترجمته عند: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٣٣٣).

(٤) انظر: محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية» (٣/٣١٤ ـ ٣١٥).

(٥) هو شاهين بن عبدالله الجركسي من متصوِّفَة مصر، ذهب لأخذ طريقة متصوفة (تبريز) العَجَم، ثمَّ عاد إلى مصر زمن الاحتلال العثماني فعلت مكانته في مصر. انظر ترجمته عند: ابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب» (١٠/٤٣٣ ـ ٤٣٤).

شَدِيدِي الاعتقاد بولايتِهِ، ويتدافعون على تقبيلِ يدِهِ فلا يلتفت إليهم ولا يَعبَأ بهم(١).

وكان الصوفيّ محمد المرزناتي (ت: ١٠١٤هـ/١٦٠٥م)(٢) قد اشتهر بالتعويذات، فراج حاله عند الأتراك العثمانيين في مصر بسبب اعتقاد المتقدمين منهم بذلك، ونال بسبب ذلك وظائف ومعاليم كثيرة(٣).

والغريب أن يحدث ذلك في وقتٍ كان الضنك والضيم يتمشى في مصر طولاً وعرضاً إبان الحكم التركي العثماني، ومع ذلك تستجيب الدولة العثمانية لمطالب مشايخ الصوفية الطرقية في إعفاء القرى التي بحوزتهم من دفع الضرائب وطلب الأموال لتعمير الزوايا الطرقية والإنفاق على مجاوريها وإغداق الأموال على أشياخهم وخصّهم بالوظائف والمعاليم(٤).

ولا بأس من التنبيه على أنَّ المصادر التي أمدَّتنا بتلك الأخبار عن هؤلاء الطرقِيَّة قد كَتَبَ أكثرها كُتَّاب يؤمنون بولايتهم وكراماتهم، فإنَّ الذين أمدّونا بأخبار تلك الحوادث يذكرونها في معرض تمجيدهم لأولئك المتصوِّفة وإعلان الإعجاب بهم، فلم يُمْلِها عليهم حقد ولا

---

(١) انظر: توفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني» (١٦٤).

(٢) هو محمد بن محمد بن أحمد، ينتهي نسبه إلى إبراهيم بن أدهم. انظر ترجمته عند: محمد أمين المحبي «خلاصة الأثر» (١٥٩/٤).

(٣) المصدر نفسه.

حسد ولا غير ذلك مما يجور على الحق ويغير معالمه[(١)].

ـ بدعة محمل كسوة الكعبة وما يصاحبها من الشركيات والخرافات:

ومن مظاهر الابتداع في الدين بمصر آنذاك، ما أحدثه أهل البدع فيما يسمّى «المحمل»؛ وهو الذي يحمل الكسوة التي تخاط وتجهَّز في مصر لتُرسَل إلى الكعبة المعظَّمة.

ويشهد بذلك شاهد عيان أنَّه: «حين يبلغ النصف من شوال، يخرج المحمل الخروج الأول؛ وذلك يوم يؤتى بكسوة الكعبة المشرفة من دار الصنعة، فيجيء بالجمل الذي يحمل المحمل، وعليه المحمل؛ وهو قبة من خشب رائقة الصنعة بخرطٍ متقن وشبابيك ملوَّنة بأنواع الأصباغ، وعليها كسوة من رفيع الديباج المخوّص بالذهب، ورقبة الجمل ورأسه وأعضائه محلّاة بجواهر منظَّمة أبلغ نظم، وعليه رسن محلّى بمثل ذلك، والجمل في غاية ما يكون من السُّمْنِ وعِظَم الجُثَّة وحُسن الخِلْقَة، مُخضَّبٌ جِلْدَه كلّهُ بالحنَّاء، يقوده رجل، وعن يمينه وشماله آخر، ويتبعه جملٌ آخر على مثل صفته، ثمَّ يُؤتى بالكسوة المشرَّفة ملفوفة قِطَعاً قِطعا، يحملها رجال على رؤوسهم،

(١) راجع إن شئتَ كتابات من يؤمن بذلك ويتحمس له من المتصوفة الذين أرَّخوا لتلك الحقب والفترات، أمثال: عبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى». ومحمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدرية». وابن العماد الحنبلي «شذرات الذهب». وعبدالقادر العيدروس «النور السافر». والسيد محمد الشلّي «السناء الباهر». ومحمد أمين المحبي «خلاصة الأثر». ومحمد خليل المرادي «سلك الدرر».

والناس يتمسَّحون بها ويتبركون، ثمّ يُمَرّ بكل ذلك بين يدي الباشا والأمراء، ويقومون لها إذا مرَّت بهم تعظيماً، ثمّ يذهب بها حَمَلَتُه ويمرّون بها وسط السوق، والناس يتمسَّحون بها، حتى يبلغوها إلى المشهد الحسيني؛ لتُنشَرُ في صحن المسجد وتُخاط هناك»(١).

«وإذا كان اليوم الحادي والعشرون من شوال خرج المحمل الشريف من القاهرة؛ وهذا اليوم هو يوم خروج المحمل الكبير الذي هو من أيام الزينة، ويجتمع له الناس من أطراف البلد، ويؤتى بكسوة البيت من موضع خياطتها، وتُجعل في المحال التي تُحمل فيها. ويجتمع الأمراء والجند جميعاً على الهيئة المتقدمة في الخروج الأول. إلا أنَّ هذا أتمّ احتفالاً وأكثر جمعا، ثمَّ يمرّ بالمحمل وسائر الإبل والعسكر وسط المدينة والناس مشرفون من الديار والمساجد التي تلي الشوارع، وتتعطّل غالب الأسواق في ذلك اليوم الذي هو عندهم من أعظم أيام السنة»(٢).

ويمشي في موكب المحمل رسوم الجنود وصبيان القصور وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء ونقيب الأشراف ومن له عمامة خضراء، فيكبِّرون ويهللون بأعدادٍ غفيرة، ويتجمَّع أرباب الطرق الصوفية الذين يمشون على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخِباطِهم وخِرَقِهم وخَوَرِهِم وصياحهم(٣).



(١) عبدالله العياشي «الرحلة العياشية» (١/٢٦١ ـ ٢٦٢) باختصار.

(٢) المصدر السابق (١/٢٦٤ ـ ٢٦٥) باختصار.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٢).

الحاصل؛ أنَّ المزارات كثيرة ومظاهر البدع وأشكالهاغزيرة لا تحصى في مصر في تلك الفترات، ومشاهد القبور التي تعبد من دون الله هناك لا حصر لها، والموالد التي تقع فيها الخلاعات ممن يقوم بها من متصوفة لا يمكن عدّها في ذاك الزمن في تلك البقاع، وتقديس الأموات والأحياء عندهم أشكالها كثيرة لا يمكن احتواؤها، والمظاهر البدعية والطرائق الشركية منتشرة انتشاراً كبيراً لا يمكن تفصيلها عندهم في تلك الفترة التي يعتني البحث بدراستها(١).



(١) لم أتطرَّق إلى الشرك في بلاد المغرب العربي وبلاد السودان لأنَّها خارج محيط جزيرة العرب، ولم يكن لها أثر وتواصل قوي بجزيرة العرب كالذي للعراق والشام ومصر.

الفصل الرابع

الدعوة من حريملاء إلى ميثاق الدرعية/ وإصرار آل سعود على نصرة الشيخ رغم ما أحاط بالدرعية من مخاطر.

مقدمة مهمَّة

لقد رأيتَ ما مرَّ معكَ موثَّقاً في الفصول السابقات؛ كيف هيمنت مظاهر الانحراف العقدي على جزيرة العرب كُلّها ومحيطها كُلّه، وكيف انتشرت الخرافة والجهالة بين أفرادهم وجموعهم ومجتمعاتهم، حتَّى بلغت بلدانهم من التضعضع أعظم مبلغ ومن التَّدَنِّي أعمق دَرَكَة، فاربَدَّ جَوُّها وطَبَقَت الظُّلْمَة كلّ صَقْع من أصْقاعِها ورَجَاً من أرجائِها؛ فأصبح الدين مَغْشِيّاً بغاشية سوداء، وأضحت الوحدانية التي علَّمها صاحب الرسالة الناس ملبَّسَةً بسَجفٍ من الخرافاتِ وقشورِ الصوفية، وغَدَت المساجد خلوّاً من أرباب الصلوات، وأمسى عديد الأدعياء الجُهَلاء وطوائف الفقراء الصوفية والدراويش المساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسِّبْحات، يوهمون الناس بالباطل والشبهات، ويزيِّنون لهم تقديس القبور ودعاء دفنائها[1].

فالذي مَرَّ مسنداً موثَّقاً في الفصول السابقة؛ إنَّما هو «**قطرة سردناها ليُعلَم ما صار عليه الحال مما لا يحصى كثرة، وإلَّا فإنَّ جميع سكان البسيطة ـ إلا من أنقذ الله ـ قد مسَّهُم المرض المُضْني وعَمَّهم الداء العضال، وإن تفاوتوا في الإيغال والإغراق في هذه**

---

(١) انظر: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠).

الضلالة؛ فكلٌّ ـ إلا ما شاء الله ـ قد أخذ بحظِّهِ وشارك في أصل المعنى؛ من تعليق أمرهم بسكان القبور في جملة أمرهم، أما تفاصيلها فغير مقدورة»(١).

«فصنع المقابرية ـ الذي مرَّ لك منه ما تفاحش نُكْرهُ ـ هو الذي سلكه الوثنيون حذو النعل بالنعل والقُذَّة بالقُذَّة، وتبعوا آثارهم فيه حرفاً بحرف وخطوة بخطوة، وذخلوا الجحْرَة التي دخلوها وولجوا الأبواب التي ولجوها»(٢).

لكن، وبالرغم من قتامة الصور التي مرَّت عليك آنفاً، ورغم بؤس الحالة التي قرأتها سابقاً؛ فإنَّ التاريخ يعلِّمُنا بأنَّ الانحرافات والخرافات والجهالات مهما طغت بشكلٍ من أشكالها ومهما حاولت بصورة من صورها أن تزحزح مفهوم الإسلام الحقيقي عن مكانه. فإنَّ الله يُقيِّض لهذه الأمة من يُجَدِّد لها أمر دينها؛ حتى ينقشع سحاب الانحراف وتتقشَّع غيوم الخرافة وتَتَبَدَّد ستائر الجهالة، فيظهر وجه الإسلام مشرقاً ويعمل به من أُريدَ له خيراً بفقهٍ وفهمٍ سليمٍ، فمن يرد الله به خيراً يُفَقِّهه في الدين(٣).

لقد علَّمنا التاريخ؛ أنَّ الله ﷻ يَمُنُّ على عباده أن يُوجِد في كل زمان فترة «أئمة هدى يدعون الناس إلى الصراط المستقيم ويرشدونهم إلى الطريق القويم، يبصِّرون بكتاب الله أهل العمى ويصبرون منهم على الأذى، وينفون عن كتاب الله وعن سنة رسوله ﷺ انتحال

---

(١) حسين بن مهدي النّعمي «معارج الألباب» (١٨٢).

(٢) المصدر السابق (٢١٥ ـ ٢١٦).

(٣) انظر: محمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنَّة» (١٤٠).

المبطلين وتأويل الجاهلين وتحريف الغالين، ويشرحون لهم حقيقة الدين ويكشفون لهم الشُّبَه بواضحات البراهين.

وكان من جملة هؤلاء الأئمة المهتدين والدعاة المصلحين الشيخ محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي؛ فلقد شرح الله صدره لمعرفة حقيقة الإسلام وما دعا إليه سيد ولد عدنان ﷺ من الهدى ودين الحق، في عصرٍ استحكمت فيه غربة الإسلام وغلب على أهله الجهل والبدع والخرافات وعبادة الأنبياء والصالحين والأشجار والأحجار، وقلَّ فيه من يصدع بالحق ويشرح للناس حقيقة التوحيد الذي بَعَثَ الله به الرسل وأَنزَل به الكتب، ويحذِّرهم من أنواع الشرك المنافية لدين الإسلام»[(١)].

فبفضل الله الذي أَظْهَرَ هذا الإمام، وفضل الله الذي هَيَّأَ قيام الدولة السعودية الأولى التي انتصرت لدعوته؛ محى الله شعار الشرك ومشاهده، حتى ظهر دين الله واستعلن، واستبان بدعوتهم منهاج الشريعة والسنن[(٢)].

فإذا تمهَّد هذا؛ فسآتي على ذكر حياة هذا الإمام المجدِّد وكيف بدأت دعوته إلى الله، وكيف آزرته تلك الأسرة المباركة وانتصرت له وآوته وساندت دعوته، رغم ما تعرَّضت له بلدتهم الدرعية من العداء الذي أعلنته بلدات أقوى من بلدتهم، ورغم تواطؤ المناوئين ومحاصرتهم الدرعية، ورغم تخاذل من تخاذل عن معاونة آل سعود

---

(١) من مقدمة الشيخ عبدالعزيز بن باز لكتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية» لأحمد آل أبو طامي (ص: ٧) باختصار.

(٢) انظر: سليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد» (١٤).

وتنكّر من تنكّر لفضلهم، ورغم انتهاض القوى الكبيرة لحربهم من جهاتٍ ثلاث.

فعلى الرغم من كلّ تلك المخاطر التي أحدقت بالدرعية من كلّ جهة، فإنَّ آل سعود لم يتركوا الشيخ الذي لجأ إليهم، بل أصرُّوا على إيوائه وتواصوا على حمايته وتتابعوا على مناصرة دعوته، فأكرمهم الله بعلوّ الذكر والحكم القوي.

بالضبط كما في وصف الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يوم ذكر تلك الأخطار المدلهمة التي أحاطت بالدرعية يوم انتصر آل سعود للشيخ، إذ قال الإمام عبدالعزيز بالنصِّ: «**وأنا أصف لك شيئاً من الحال؛ فإنَّ مبتدأ الأمر: رجل**[١] **حادقينه الناس ومعادينه، واليوم دولته ما تقصر عن ألف مبندق**[٢] **وعشرة آلاف فارس، وكلّ من تبين على هذا الحقّ بعداوة؛ كسره الله وأزال دولته وأرى فيه العجائب**»[٣].

والقصد من وضع هذه التقدمة التاريخية؛ هو الاعتبار بما جرى لأهل هذه الدولة المباركة وتلك الدعوة السلفية من النصر والتأييد والظهور على قلة أسبابهم وكثرة عدوهم وقوته، حتَّى بلغ مُلْك هذه الدولة حدود البلاد السورية وتهامة الجنوب وبعض البقاع العمانية، وصارت الكِلْمَة الأولى لأهل هذا البلد وأهل هذه الدعوة، وصار كلّ من تحت أيديهم في أمن وأمان. ففي هذا معتبر لأهل الاعتبار مع ما

---

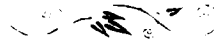
(١) يقصد الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٢) يعني: حاملٌ للبندقية.

(٣) من رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن: «الدرر السنية» (٢٨٣/١).

وقع بمن حاربهم من الخراب والدمار، واستيلاء أهل التوحيد على ما كان لهم من العقار والديار(١).

وبعد. إليك أيُّها القارئ ترجمة هذا الإمام المجدِّد، ملحقٌ بها تاريخ دعوته، وتاريخ تلك الدولة السعودية الأولى العظيمة، منذ نشأتها حتى سقوطها علي يد الأتراك العثمانيين، ببحثٍ مفصلٌ بفصول سبعة قادمة، والله المستعان.



(١) انظر: سليمان بن سحمان «كشف غياهب الظلام» (٢٧ ـ ٢٨).

موجز حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب

في هذه الأيام المظلمة والأحوال السيئة التي أوردنا لك شيءٌ من حوادثها في الفصول السابقة؛ فَتَحَ محمد بن عبد الوهاب[١] عينيه؛ سنة ١١١٥هـ/١٧٠٣م، في بلدة العيينة، عند أسرة بادية الثراء وبيت معروف بالعلم؛ فكان جده سليمان بن على بن محمد (ت: ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م)[٢] **من أشهر علماء عصره وكان مرجعا لهم، وله كتاب مشهور في المناسك، والحنابلة في الغالب يعتمدون على هذا الكتاب في باب المناسك**[٣].

---

(١) هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن مشرف بن عمر بن معضاد بن ريِّس بن زاخر بن محمد بن علوي بن وهيب بن قاسم بن موسى بن مسعود بن عقبة بن سنيع بن نهشل بن شدَّاد بن زهير بن شهاب بن ربيعة بن أبي أسود بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قال الشيخ عبدالله البسَّام في «علماء نجد» (١/١٢٥): «إلى هنا يقف ثقات الرواة، وهذا النسب إلى عقبه منقول بالتواتر من خطوط علماء الوهبة المعتبرين المُجْمَع على علمهم وثقتهم واطلاَّعهم».

(٢) انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٤١٣ ـ ٤١٥).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢٠٨). وعبدالرحمن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٦).

كما كان عمه إبراهيم بن سليمان (ت: ١١٤١هـ/١٧٢٩م) عالما جبيلا أيضا[١]، وابنه عبد الرحمٰن (ت: ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م) كان فقيها وأديبا[٢].

ووالد الشيخ وهو عبد الوهاب بن سليمان (ت: ١١٥٣هـ/١٧٤٠م)[٣] **كان ذا باع طويل في الفقه، وبقي قاضيا مدة طويلة في العيينة** ثم حريملاء، وسليمان بن عبد الوهاب (ت: ١٢٠٨هـ/١٧٩٤م)[٤] **أخو الشيخ محمد كان عالماً كذلك مشهور معروف.**

* نشأة الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

كان محمد بن عبد الوهاب منذ نعومة أظفاره بارزا في الذكاء ومتفوقا في قوة الحفظ، حادَّ الفهم سريع الإدراك، فما كاد الشيخ عبد الوهاب يرى ولده محمد يحسن الكلام حتى أخذ في إقرائه القرآن الكريم وتعليمه القراءة والكتابة، فرأى الوالد من ولده ما أدهشه من سرعة حفظه وَتوقُّدِ ذِهْنِهِ وحِدَّةِ ذكائِهِ.

أَتَمَّ حفظ القرآن قبلَ بلوغه السنة العاشرة، وجلس في مجلس والده يتلقى علوم التفسير والفقه والحديث، فبزَّ تلاميذ والده الذين كانوا أكبر منه سِنّاً وأَسْبَقَ منه إلى الطلب، وكان فوق ما يتلقى على

---

(١) انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٣١/١ ـ ٣٣).

(٢) انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٤٧/٣).

(٣) مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

(٤) انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٥٠/٢ ـ ٣٥٧).

والده من الدروس يقرأ وحده فيما كانت تصل إليه يده من كتب العلم والدين؛ حيث كان يُكثر من النظر في كتب الإمامين: ابن تيمية وتلميذه ابن القيِّم، وقد أفاد منها، بل تأثَّر بها كثيراً[١].

ثمَّ إن الله جعل له نهمة في مطالعة كتب التفسير والحديث، كما جعل له من قوة ذكائه وحدَّة ذهنه عوناً كبيراً على تدبر القرآن الكريم حين كان يقرؤه مجرداً عن التفسير ويتلوه للذكر والموعظة[٢].

ومن شدة إعجاب والده عبد الوهاب بذكاء هذا الولد الطامح ومواهبه، قال: إنه استفاد من ذكاء ابنه البارع وسعة اطلاعه أيام تدريسه، حتى أنَّه كان يقدمه للإمامة مع صِغَرِهِ[٣].

زَوَّجَهُ أبوه وهو صغير السن، ثم أدى الشاب محمد بن عبدالوهاب فريضة الحج وأقام شهرين في المدينة النبوية، رجع بعدها إلى العيينة واشتغل في طلب العلم من والده، ونسخ المذكرات والكتب العلمية حتى إنه كان يكتب عشرين صفحة في جلسة واحدة[٤].

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢٠٨/١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣/١). وجواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٧٥/١).

(٢) انظر: الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٣/١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣/١).

(٣) انظر: جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٧٥/١).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢٠٩/١). وسليمان بن سحمان «الأسنَّة الحداد» (١٥).

*** بدء طلب الشيخ للعلم، وتأثُّره بما حلّ بالعالم الإسلامي من انحرافات عقدية.**

كانت القدرة الإلهية قد وهبت الشاب محمد بن عبد الوهاب قلبا مرهف الحس شديد التأثر، وكان يتألم أشد الألم لما يرى حوله من بؤس حال القرى والمدن النجدية، وحال العلماء السَّيِّئ فضلا عن العوام، فلاحظ الشاب محمد بن عبد الوهاب أنَّ عاصفة هوجاء عَصَفَت بشدةٍ على عقيدة الإسلام لتُغيِّر معالمه وتنقل الأشياء من أماكنها وترمي بها حيث وقعت، فتغيَّرَت بسبب ذلك مفاهيم كثيرة، فالتبس الأمر على الناس في أبوابٍ كثيرة ومسائل عديدة وحَدَثَت في الإسلام بدعٌ ليست من الإسلام في شيء(١).

فرأى الشيخ أَنَّهُ لا بدَّ من إعداد العُدَّة للقيام بالتجديد وإعادة الأمور إلى وضعها الصحيح على ما كانت عليه قبل العاصفة، ورأى فيما رأى أنَّه لا بُدَّ من الازدياد في العلم والمعرفة وسعة الاطلاع والاتصال بالعالم المعاصر ومعرفة الأوضاع العامة للعالم الإسلامي، فقرَّرَ الخروج في رحلةٍ علميةٍ طويلةٍ قد تشمل بعض البلدان العربية(٢).

كان الشاب قد تشرف بحج بيت الله الحرام، كما مرَّ قبلاً، وكانت مركزية الحجاز قد أثرت في نفسه؛ فحينما بلغ الشاب الطامح العشرين من عمره خرج يجول ويصول في الفيافي طلبا لنيل العلم، فتوجه إلى الحجاز(٣).

---

(١) راجع ما ذُكِرَ في الفصول الثلاثة السابقة.

(٢) انظر: محمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٠ - ١٤١).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٠/١). ومسعود الندوي «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم» (٣٩ - ٤٠).

هكذا بدأ الشيخ محمد رحلته بداية مباركة موفَّقة؛ حيث بدأ بالمسجدين الشريفين المباركين، فقد خرج حاجًّا للمرة الثانية إلى مكة، فحجَّ البيت[(١)] وأدى نسكه وقضى تفثه وأشبع روحه من مناسك الحج ومشاعره، ثم انقلب يشبع نفسه من العلم، فجلس إلى علماء الحرم المكي وسمع لحديثهم في العلوم الدينية، والظاهر أنه لم يرقه ما يقولون ولم يجد من نفسه إقبالاً على دروسهم وعلومهم، فخرج من مكة مبادراً شطر طيبة مدينة الرسول ﷺ، فَيَمَّمَ مسجدها؛ أول مسجد أسس على التقوى، وصلَّى فيه ثم سَلَّمَ بَعْدُ على المصطفى سيد الخلق ﷺ وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[(٢)].

ثمَّ أخذ يتَّصل بعلماء المدينة النبوية آنذاك ليطلب العلم على أيديهم؛ وكان أحد هؤلاء العلماء الذين طلب الشابُّ العلم على أيديهم: الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف آل سيف (ت: ١١٤٠هـ/١٧٢٨م)[(٣)] **وهو في الأصل من أهل المَجْمَعَة وكان قد سكن في جوار الرسول ﷺ، فلازمه الشاب الداعية فتفقَّهَ على يده، فرأى الشيخ ابن سيف في الشاب محمد بن عبدالوهاب النُّبْل والذكاء النَّادر، فتفرَّس فيه الخير وأحبَّهُ واعتنى به كثيراً وبذل جهده في تعليمه.**

لقد أدرك ابن سيف أنَّ الطالب الشَّابَّ يَتَأَلَّم مِمَّا يرى من

---

(١) Records of the Hajj, vol,2. P,731.

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٦) (٥٣ ـ ٥٤). وسليمان بن سحمان «الضياء الشارق» (٦). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٠).

(٣) انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٤/٦ ـ ١٠).

الأمور الجاهلية المنتشرة هنا وهناك؛ من الغُلوِّ في الصالحين وعبادتهم وما كان عليه أهل نجد آنذاك من عقائدَ باطلة وعادات جاهلية، فازداد الشيخ ابن سيف حبًّا له وتقديرا، إذ ربط بينهما أقوى رابط وهو العقيدة السليمة(١).

أخذ الشاب محمد كثيراً من العلم عن الشيخ عبدالله واستفاد من مصاحبته فوائد عظيمة؛ فقد أجازه الشيخ عبدالله في صحيح البخاري ومسند الشافعي والسنن الأربعة وغيرها من كُتُب الحديث(٢).

ثم وصل الشيخ عبدالله بن سيف حبل الشاب محمد بن عبد الوهاب بحبل المحدث المحقق الشيخ محمد حياة السندي (ت: ١١٦٥هـ/١٧٥١م)(٣) **وعَرَّفَهُ بِهِ وبما هو عليه من عقيدة صافية وبما تجيش به نفسه من مَقْتِ الأعمال الشركية الشائعة في كل مكان، وأنَّه إنَّما خرج من نجد للرحلة في طلب العلم وسعياً إلى الاستزادة من السلاح الديني القوي الذي يعينه على ما هو مصمم عليه من تنقية العقيدة مِمَّا عَلقَ بها من البدع والانحرافات الخطيرة**(٤).

---

(١) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥/١) (١٨٦). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٠/١ ـ ٢١٢). ورسالة للشيخ عبدالرحمن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٢٢٠/٢).

(٣) انظر ترجمته عند: محمد خليل المرادي «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» (٧٩/٤ ـ ٨٠).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦/١) (١٨٦). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٤ ـ ٤٥).

رأى الشيخ السندي في الشاب محمد بن عبدالوهاب قوة ذكاء ومضاء عزيمة وعُلوّ نفس، فأعطاه من وقته وعنايته الحظ الأوفر. وَرَسَمَ له طريق العلم الصحيح وعَلَّمَه كيف يسير في طريق الدعوة إلى الله إذا هو استقل وحده بالجهاد، فنفع الله تعالى الشيخ محمد ابن عبدالوهاب بهذا أعظم النفع في مستقبل حياته[١].

خرج الشيخ من المدينة[٢] مولياً وجهه شطر نجد ليعلن الحرب الشعواء على تلك الآلهة الباطلة والعادات الضالة وعلى مُروِّجيها والقائمين بشأنها؛ لعله يُؤتى من عند الله النصر العزيز، لكنَّه أحسَّ في نفسه بعض الحاجة إلى ما عند علماء الشام ـ مِمَّا لعلَّه لم يظفر به في المدينة النبوية ـ فتوجه يريدها عن طريق البصرة[٣].

فلما وصل البصرة أخذ يستقصي أخبار مَنْ فيها من أهل العلم. حتى دُلَّ على من عُرِف فيها بذلك، فجلس إليهم وأخذ عنهم حاجته؛ وفي مقدمتهم الشيخ محمد المجموعي[٤]، وقد استفاد من هذا الشيخ كثيراً من فروع اللغة العربية والحديث، ثم ما لبث أن رأى في البصرة

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦/١). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٦ ـ ٤٧).

(٢) اقتصرت (طلباً للإيجاز) على ذكر اثنين من أشياخه في المدينة، وإلا فإنَّ بعض المصادر تذكر أن له أشياخاً آخرين.

(٣) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٦). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٥٢). وسليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٥).

(٤) لم أقف على تاريخ وفاته. وتجد إلماحة شديدة الإيجاز عنه لدى: عبدالله البسام «علماء نجد» (١٣٢/١).

وسمع مثلما رأى وسمع في غيرها من البلدان من البدع والخرافات[١]، فأخذ ينكر ذلك وينهى عنه أشد النهي ويغلظ القول على فاعليه ومعتقديه.

قال الشيخ: «كان ناس من مشركي البصرة يأتون إليَّ بشبهات يلقونها عليَّ، فأقولُ وهم قعود: لا تصلح العبادة إلا لله. فيبهت كل منهمُ ولا ينطق فوه»[٢].

أدرك الشيخ المجموعي أن محمد بن عبدالوهاب ليس طالباً عادياً، بل يتهيَّأ لأمرٍ عظيم؛ يتهيَّأ للقيام بالدعوة الإسلامية الشاملة والإصلاح العام: إصلاح العقيدة وإصلاح الأحكام؛ ليكون الإسلام هو الحاكم وحده بدل العادات والتقاليد والقوانين الأخرى، فاستحسن المجموعي منه ذلك وأعانه عليه وأيَّده وزاد في حماسه[٣].

فأخذ الداعية الشيخ محمد بن عبد الوهاب يَجِدُّ في طلب العلم والتَّحصيل، إلى جانب اجتهاده في الإصلاح ما استطاع، فشَرَعَ يكتب الرسائل في الدعوة وينشرها بين الناس ويباحثهم ويُفَصِّل لهم ويُبَيِّن، فصار دائم الحركة مصلحاً ما استطاع إصلاحه، خصوصاً وقت وجوده

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٢/١). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٣). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٨ ـ ٤٩).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٢/١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦/١).

(٣) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٩). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٣).

بالبصرة أواخر أيام التحصيل(١).

على إثر ذلك بدأ الناس يتكلمون عن الشاب محمد بن عبدالوهاب، فذاع أَمْره وشاع إنكاره لما يفعله الناس عند القبور من تَمَسُّحٍ وطوافٍ بها ونذرٍ لها وما يقولونه من دعائها والتوسلِ بها والالتجاء إليها، فَخَشِيَ سَدنَة هذه المقابر والمُتَأَكِّلُونَ بها ومن لَفَّ لَفَّهم من المنتسبين إلى العلم ظاهراً، على ما يربحون من مال وما ينالون من جاه عند العامة والدَّهماء في ظِلِّ هذه القبور، وخافوا أن يَظْهَرَ للناس جهلهم وضلالهم فتنهار من القلوب مكانتهم، فانتهضوا للكيد بالشيخ وشوَّهوا ما ينادي به وأنكروا ما يدعو إليه، ثمَّ حرَّضوا عليه الرؤساء الجاهلين وأغروا به السفهاء المقلِّدين، فاجتمع عليه هؤلاء وهؤلاء، ونالوه بأشد الأذى، وما زالوا به حتى أخرجوه من البصرة، فأخذ طريقه إلى الزبير سيراً على الأقدام، ولم يكن معه في ذلك الطريق رفيق ولا زاد ولا ماء، فناله من الظمأ ما أشرف معه على الهلاك لولا أن أدركه الله تعالى وأغاثه برجل يقال له: أبو حمدان من أهل الزبير، فأخذه من هيبة الشيخ والشفقة عليه ما حمله على التطوع لخدمته، وكان معه ماء فسقاه ونزل له عن حماره فأركبه حتى وصل إلى بلدة الزبير(٢).

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٢/١). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٣ ـ ١٤٤).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦/١ ـ ٣٧). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (٥٥). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٤٩ ـ ٥٠). ولمنير العجلاني في كتابه «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٩٠/١): نقدٌ لسرد حادثة خروج الشيخ من البصرة على تلك الهيئة، والعجلاني يردُّها بحسب منطقية سير بحثه في حياة الشيخ.

وأراد الشيخ أن يذهب إلى الشام أيضا، لكن قِلَّة الزاد حالت دون هَمِّه هذا فرجع إلى حريملاء بطريق الأحساء[(١)]، وكان في الأمر خيرة.

نزل الشيخ محمد في الأحساء ضيفاً على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف (ت: ١١٨١هـ/١٧٦٧م)[(٢)]، **وكان شيخاً شافعيَّ المذهبِّ ذا شهرة في الفقه، لكنه لم يكن في قوة العلم كالشيخ المجموعي أو الشيخ حياة السندي، فلم يرُقْ عند الشيخ ـ فيما يغلب على الظن ـ الإقامة عنده كثيراً فخرج من الإحساء وولّى وجهه شطر حريملاء**[(٣)].

ومن المرجح أن رجوع الشيخ محمد إلى حريملاء بعد عودته من أسفاره خارج نجد كان بين سنتي ١١٤٤ ـ ١١٤٩هـ/١٧٣١ ـ ١٧٣٦م[(٤)])، وكان والده الشيخ عبدالوهاب انتقل إليها في سنة ١١٣٩هـ/١٧٢٧م من العيينة[(٥)].

*** بدء الدعوة في حريملاء.**

بعد الرحلة العلمية الموفَّقة التي استفاد منها الشيخ محمد بن

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧/١). وعبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٨/١٢ ـ ٩).

(٢) انظر ترجمته عند: عثمان بن سند في «سبائك العسجد» (٤٤ ـ ٥٢) (٩٤).

(٣) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٤). وجواب عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٧٧/١).

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٧٠/١ ـ ٧١).

(٥) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٢/١). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٢٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧/١).

عبدالوهاب فوائد جَمَّة، عاد إلى بلده بعد أن ازداد العلمَ والمعرفة وبعد أن دَرَس أحوال المسلمين في عدة بلدان، وأدرك حاجة المسلمين الماسَّة إلى الإصلاح العامِّ من جديد، والتصحيح الجذري القويّ لعقيدتهم نحو ربِّهم ومعبودهم، وتصحيح موقفهم من سنَّةِ نبيهم الذي بُعِثَ لهدايتهم والذي يُسألونَ عنه في قبورهم، وموقفهم من كتاب رَبِّهِم الذي هجروه[١].

كما أدرك الشيخ أثناء جولته في تلك البلدان التي زارها، وَمِمَّا شاهده في وطنه نَجْد، أنَّ الأمة بحاجة إلى ما يقضي على تلك الفوضى التي تعيشها، فلا بد لها أن تنتهي لتتبدَّل بها حياةٌ إسلاميةٌ صحيحةٌ وشاملةٌ لجميع نواحي الحياة.

وانطلاقاً من هذا الإدراك؛ صمَّمَ الشيخ على القيام بالدعوة الإصلاحية العامة مستعيناً بالله وحده في بلده حريملاء، فأنكر على العوام تعلُّقهم بغير الله وصرف العبادة أو بعض أنواعها لغير الله: مثل: النذر والذبح والخوف والرجاء؛ ممَّا هو منتشر في البلد آنذاك[٢].

كان إنكار مثل هذه الأشياء جديداً وغريباً هناك، لذلك قوبلت الدعوة في أوَّل أمرها بالإنكار والردِّ والجدال، وانقسم الناس حوله إلى فريقين: مؤيد ومعارض؛ كان المؤيدون أقل من المعارضين بكثير، لكنهم كانوا متحمّسين للسير مع الداعية في طريق الإصلاح

---

(١) انظر: محمد أمان الجامي، «مجموع رسائل الجامي» (١٤٥).

(٢) انظر: رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لابن السويدي العراقي، ضمن «الدرر السنيَّة» (٧٩/١). وحسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٢/١ ـ ٢١٣). ومحمد أمان الجامي، «مجموع رسائل الجامي» (١٤٥).

مهما كانت النتائج[١].

ومن اختلف مع الشيخ محمد في تلك الفترة أبوه عبدالوهاب، في أوّل الأمر، فقد سمع من ابنه علماً جديداً وكلاما لا عهد له بمثله، فخشي على ولده أن يُوصَمَ عند العامة بالكفر وأن يُرمى من الدَّهْماءِ بالمروقِ من الدين، ولعلَّه نصح حينئذٍ لابنه أن يعدل عن ذلك الطريق وأن يسلك ما سلك سواد الناس وجمهور الشيوخ والآباء.

لَمْ يَقبل الشيخ نصح والده، بل رده عليه مُبَيِّناً له أن النصيحة الخالصة هي أن يقوم معه بإعلان كلمة التوحيد خالصة، وأن يعملا معاً على غسلها مِمَّا علق بها من أدران الشرك وغباوة الخرافات؛ ليعرف الناس حقيقتها وتَذُوق قلوبهم حلاوتها فيعبدوا ربهم وحده ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥][٢].

والحقُّ أنَّ موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب «كان دقيقاً وحرجاً، يحتاج إلى شجاعةٍ ماضيةٍ وإلى إيمانٍ لا يبالي صاحبه بالأذى في سبيل إرضاء الله وإرضاء الحق الذي اقتنع به وسبيل إنقاذ البشرية المُعَذَّبة، كما يحتاج إلى عُدَّةٍ كاملةٍ من قوةِ اللسان وإصابة البرهان ليواجه ما يُجابَه به من شُبُهاتٍ واعتراضاتٍ لا بُدَّ منها، ثمَّ إلى مؤازرٍ قويٍّ يحمي ظهرَهُ ويدافع عن دعوته»[٣].

فثَبَّتَ الله الشيخ محمد على الحقِّ رغم كل تلك العقبات

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنّام» (١/٢١٤).

(٢) انظر: محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥٠ ـ ٥١).

(٣) عبدالله القصيمي في كتابه «الثورة الوهابية» (٢٦).

والصعوبات التي واجهت الدعوة في بداياتها وحاولت إيقافها سواء من الداخل: كما كان من أسرته قبل أن يتبيَّنوا الحقَّ، أو من الخارج: كما كان من أصحاب الأهواء، ولكنَّ الله سلَّمَ ولم تقف الدعوة منذ بدأت لحظةً واحدةً، بل من حَسَنٍ إلى أحسن في نشاطها وآثارها[١] كما سيُبَيَّن لاحقاً.

وبعد وفاة والده الشيخ عبدالوهاب بن سليمان سنة ١١٥٣هـ/١٧٤٠م[٢]، جلس الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حلقة أبيه وحلَّ من نفوس أهل البلد ما كان يَحِلّ أبوه، وارتفع مكانه عندهم. فانتهزها فرصة هيأها الله تعالى بأن يأخذ سبيل تصحيح العقيدة وتنقية الدين مِمَّا علق بهما من أدران الشرك والانحرافات.

فاندلعت المنازعات وشبَّت الخصومات الكلامية بين الشيخ محمد وبين أهل العلم في حُريملاء، فأصبحت كالزَّنْدِ يَقْدح عليه شرر الدعوة، وأضحت كالريح ينفخ في ضرامها ويمتد نورها قليلاً قليلاً.

وهكذا؛ كلما كانت الدعوة عنيفة في حِكْمَةٍ وأغرت خصومها بمناهضتها بالمجادلات ومنابذتها بالمنازعات حتى تكون شغل الناس في مجالسهم وحديثهم في نواديهم، كان ذلك أعوَن على انتشارها وأجدى عليها بكثرة الأنصار المقتنعين بها والأتباع المؤيدين لها، فإنَّ ذلك يلفت الأنظار التي كانت محرومة من نور هذه الآيات ويفتح القلوب المغلقة فتفهمها.

---

(١) انظر: محمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٤٦).

(٢) هذا هو تحديد تاريخ وفاته عند: محمدالفاخري «تاريخ الفاخري» (١٢٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧/١).

وهذا ما كان في حريملاء؛ فإن الشيخ لم يلبث أن ذُكِرَ اسمه والتفَّ حوله أنصارٌ يقولون بقوله وآزره أتباعٌ يؤيدون دعوته ويذهبون في التوحيد مذهبه[(١)].

* تصنيف الشيخ «كتاب التوحيد»:

صَنَّفَ الشيخ محمد بن عبدالوهاب وهو في حريملاء «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد»[(٢)]، **وشهد الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بأنَّ «كتاب التوحيد» للشيخ محمد «قد حُرِّرَ وأُمِرَّ عند شيوخ أفاضل وجهابذة أكابر منهم المشايخ الشاميون، فإنَّ منهم من أدرك كلامه، وكلُّهُم قد أقرُّوه وحرَّروه وأجازوه، ولكن عذرهم عدم المساعدة لهم في قيام ما تَضَمَّنَه من إقامة الدين وإخلاصه لربِّ العالمين، وإلا هو الذي يدينون الله به في أنفسهم وأهليهم وأصحابهم من عشائرهم، لكن لا يقدرون على نهي الناس عما اعتقدوه وقالوه؛ لأنَّ ذلك يعتاز إلى سيفٍ قائمٍ وإمامٍ عادلٍ وذلك متعذِّر الآن إلا بتوفيق الله وإيجاده»**[(٣)].

كما «قُرِئَ هذا الكتاب وسمعه كثير ممن لدى الشيخ محمد من طالب ومستفيد، وشاعت نسخه في البلاد وطار ذكره في الغور والأنجاد، وفاز بصحبته واستفاد من جرَّد القَصْدَ وسَلِمَ من الأسرِ

---

(١) انظر: محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥١ ـ ٥٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٥/١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨٥/١). وسليمان بن سحمان «الضياء الشارق» (٧).

(٣) سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٩) باختصار.

والبغي والفساد، وكَثُرَ مُحبُّوه وجُنْدَه، وصار معه عُصابة من فحول الرجال وأهل السَّمْت الحسن والكمال يسلكون معه الطريق»[١]، حتى بدأ بعض أنصار الدعوة يَفِدون إليها، وبدأ عدد من الأمراء يُصْغون لما تنادي به؛ وممن قَبِلَ الدعوة حينذاك أمير العُيَيْنَة عثمان بن مُعمَّر[٢].

* رحيل الشيخ إلى العُيَيْنَة.

كان رؤساء أهل حريملاء قبيلتين أصلهما قبيلة واحدة؛ وهم رؤساؤها، كُلٌّ منهما يدَّعي القول فيه وليس للآخر على الثاني قول. ولا للبلد رئيس يَزَعُ الجميع، وكان في البلد عبيد لإحدى القبيلتين كَثُرَ تعدِّيهم[٣]، وفيهم ظلم ظاهر وقسوة شنيعة لا حدّ لها.

فلما اشتد جانب الشيخ بمن اتبعه وقَوِيَ ظهره بمن ناصر دعوته القويمة من أهل حريملاء، فكَّر أن يَقطع على هؤلاء العبيد طريق الفساد وأن يَكُفَّ من شَرِّهِم، فأخذ يَتَأتَّى لذلك ويُعْمِل الحيلة على تنفيذه، لكن السادة والعبيد أحسوا بما يريد الشيخ بهم مِنْ رَدِّهِم إلى طريق العقل ـ وهم أعداؤه ـ وإرجاعهم إلى الإنسانية ـ وهم خصومها[٤] ـ، «فهَمَّ العبيد أن يَفْتِكوا بالشيخ ويقتلوه بالليل سِرّاً، فلمَّا تَسَوَّروا عليه الجدار عَلِمَ بهم أُناس فصاحوا عليهم فهربوا، فانتقل

(١) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنية» (٣٧٧/١).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٤/١).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٣٨).

(٤) انظر: محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥٢).

الشيخ بعدها إلى بلد العُيَيْنة، ورئيسها يومئذٍ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقَّاه بالقبول وأكرمه»[١]. **على هذه الهيئة جاءت رواية المؤرخ عثمان بن بشر في تاريخه.**

ومن المرجح صحة القصة التي رواها ابن بشر عن محاولة الاعتداء على الشيخ محمد في حريملاء من قِبَلِ أُناس عَزَمَ الشيخ على تأديبهم لمزاولتهم أعمالاً قبيحة[٢]، لكن من المرجَّح أيضا أنَّ تلك المحاولة لم تكن السبب الجوهري في انتقاله من البلدة المذكورة إلى العُيَيْنَة، بل كان جوهر السبب لذلك الانتقال هو قبول عثمان بن معمَّر للدعوة؛ وهو ما اكتفى بذكره المؤرخ حسين بن غنَّام في تاريخه[٣]، وهو الذي أحبَّ الشيخ واعتقد بدعوته وأعلن ذلك على مَلأٍ من رجاله المقرَّبين، ولعلَّه هو الذي دعا الشيخ إلى القدوم عليه بعد أن بَلَغَهُ شدة ما يلاقيه من أهل حريملاء[٤].

ومن الأسباب الأخرى لانتقال الشيخ من حريملاء إلى العيينة، أنَّ الأخيرة كانت أقوى من حريملاء التي كانت منقسمة حينذاك إلى فئتين لا تعترف إحداهما بزعامة الثانية على البلدة[٥]، ثمَّ إنَّ العُيَيْنَة مسقط رأس الشيخ ومكان نشأته الأولى[٦]؛ وفي ذلك ما فيه من مَيْلِهِ

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٣٨).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٤٢).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٥).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (١/٢١١).

(٥) راجع ما أوردناه في الفصل الأول حول الصراع الداخلي داخل كثير من بلدات نجد.

(٦) Records of the Hajj, vol,2. P,731.

النفسي إليها، فكان انتقاله إلى هذه البلدة سنة ١١٥٤هـ/١٧٤١م. وحين وصل إليها رَحَّب به أميرها عثمان ترحيباً كبيرا وأكرمه غاية الإكرام(١).

ثم تزوَّجَ الشيخ من عمَّة الأمير عثمان؛ الجوهرة بنت عبد الله بن معمَّر التي كانت لها مكانة رفيعة في الحياة العامة قبل دعوة الشيخ(٢).

هكذا اجتمع الجوّ المناسب مع ما للشيخ من سمعة طيبة وتأهيل جيد، فأصبحت فرص النجاح لدعوته كبيرة جدا، وازداد عدد المنضمِّين إلى الدعوة من أهل العُيَيْنَة وما حولها بسرعة.

وفيما بعد عَرَضَ الشيخ على عثمان بن معمَّر دعوته وقرَّرَ له التوحيد وحاوله على نصرته، قال له: «إنِّي أرجو إنْ أَنْتَ قُمْتَ بِنَصرِ لا إلٰه إلا الله؛ أَنْ يُظْهِرك الله وتملك نَجْداً وأعرابها» ، فناصره ابن معمَّر وأمر الناس باتباع ما يدعو إليه وعدم مشاقته، مع إظهار توقير الشيخ في البلدة، فانتشرت جرَّاء ذلك الدعوة الإصلاحية في بلدان العارض المعروفة(٣).

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٥/١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨/١). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٧٢/١).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨/١).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٥/١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨/١ ـ ٣٩). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٧٣/١).

وحدث ذات مساء أنْ سَمِعَ الشيخ من شُبَّاكِ داره رجلاً يستغيث بزيد ويدعوه ليعيد إليه بعيراً أضاعه، فصاح الشيخ محمد: أُدْعُ الله إلٰه زيد يا رجل. فتسامع الناس بهذه الحادثة وكلام الشيخ فيها، فراحوا يتجادلون فيه، وانقسمت البلدة على نفسها في أمرِهِ، فكَثُرَ اللغَط حوله(١).

لقد كان في العُيَيْنَة وما حولها كثير من القباب والمشاهد المبنية على قبور يزعمون أنَّها للصحابة والأولياء، كما كان فيها أشجاراً يُعَظِّمونها ويَتَبَرَّكون بها؛ كقُبَّةِ زيد بن الخطَّاب في الجُبَيْلَة وكشجرة قريوة وأبي دُجانة والذيب(٢). وذلك ما دعا الشيخ محمد إلى الخروج مع ابن معمر وكثير من جماعاتهم إلى تلك الأماكن بالمعاول فقطعوا الأشجار وهدموا القبور وعَدَّلوها على السُّنَّة؛ وَقَطَعَ الشيخ محمد بيده شجرة الذيب مع بعض أصحابه، وقطع شجرة قريوة ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود(٣) وأحمد بن سويلم(٤) وجماعة سواهم، وكان الشيخ هو الذي هدم قبة زيد بن الخطاب بيده(٥).

وقد قال الشيخ لعثمان بن معمَّر: دعنا نهدم هذه القبة التي

(١) ذكر هذه الحادثة منير العجلاني في كتابه «تاريخ البلاد العربية السعودية» (١/ ٢١٢).

(٢) راجع في الفصل الثاني ما أوردناه حول تقديس أهل نجد لتلك القباب المذكورة وتلك الأشجار.

(٣) ثنيان ومشاري بن سعود؛ هما أخوة الأمير محمد بن سعود حاكم بلدة الدرعية.

(٤) من أهل الدرعية.

(٥) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٢١٥ ـ ٢١٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩).

وُضِعَتْ على الباطل وَضَلَّ بها الناس عن الهدى، فقال ابن معمَر دونكها فاهدمها، فقال الشيخ: أخاف من أهل الجبيلة أن يوقعوا بن. ولا أستطيع هدمها إلا وأنت معي، فساعده عثمان بنحو ستمائة رجل. فلما قربوا منها ظهر عليهم أهل الجبيلة يريدون أن يمنعوهم، فلما رآهم عثمان عَلِمَ ما همُّوا به فتأهَّبَ لحربهم وأمر جموعه أن تَتَعَزَّ للحرب، فلما رأوا ذلك كفوا عن الحرب وخَلَّوْا بينهم وبينها.

ويُذكَر أنَّ عثمان لما أتاها قال للشيخ: نحن لا نتعرضها، فقال الشيخ: أعطوني الفأس، فهدمها الشيخ بيده حتى ساواها، ثم رجعوا فانتظر تلك الليلة الجهال والسفهاء ما يحدث للشيخ بسبب هدمها. فأصبح في أحسن حال[١].

يقول الشاعر أحمد بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) عن حوادث قطع الشجر والقبَّة المذكورة:

وأحيا بدرس العلم دارس رسمها كما قد أمات الشرك بالقولِ واليَدِ[٢]

وما من شك في أنَّ مباشرة الشيخ لهدم قبة زيد بن الخطَّاب دون أن يناله ضرر كانت من عوامل إقناع بعض الجُهَّال بأن تلك الأمور التي كان يحاربها لا تنفع ولا تضرّ، وما من شك أيضاً في أنَّ تلك الإجراءات التي قام بها زادت من شهرته في المناطق المختلفة. وكانت أعماله هذه بمثابة إعلان بدء دعوته عملياً ودخولها إلى مرحلة جديدة مهمة[٣].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩/١).

(٢) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٧٣/١).

على تلك الهيئة التي مرَّ عليك بيانها؛ لم يَبْقَ بعدها وَثَنٌ في العيينة، فعَلَت كِلْمة الحق في تلك البلد وأُحْيِيَتْ سُنَّةُ رسول الله ﷺ بين أهلها، ثمَّ أَمَرَ الشيخ محمد بإحياء الصلوات مع الجماعة، وعُيِّنَت عقوبات للمتخلفين، وأُرْسِلَ الدعاة إلى البلدان النجدية القريبة من العيينة لنشر الدعوة[١].

وما إنْ ظَهَرَ الحقُّ؛ حتَّى سارت بخبره الرُّكْبان، فأنكرته قلوب الذين قالوا مثلما قال الأولون: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝﴾ [ص: ٥]، فأخذوا في رَدِّ دعوة الشيخ والإنكار عليه وأتوا بأعظم الأسباب، وضَجُّوا على كلمة الحق بالتكذيب والإكذاب، فكتبوا إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين يؤلِّبونهم على الشيخ ودعوته، فناصرهم في ذلك أهل الباطل والضلال من علماء تلك البلاد، وصنَّفوا المصنَّفات في تجهيل الشيخ وتبديعه وتضليله، وزعموا أنَّه جارٍ على تغيير الشرع والسُّنَّة، وأغروا به الخاصة والعامة؛ خصوصاً السلاطين والحُكَّام[٢]، وادَّعوا أنْ ليس للشيخ وأصحابه عهد ولا ذِمام؛ لرفضه سنَّة الرسول ﷺ وتغييره أحكام الدين ـ زعموا ـ، وخوَّفوا الحكام والولاة منه وزعموا أنه يملأ قلوب الجُهَّال والطُّغام بكلامه ويُغويهم بطريقته فيخرجون على حُكَّامهم وولاتهم ويعلنون العصيان، فحكموا بكفره واستحلال دمه وماله[٣].

(١) انظر: حسين بن غَنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١). وسليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد» (١٤). وعبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنية» (٣١٨/١٦). وعبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٤٤).

(٢) سيأتي تخصيص فصل كامل عمَّن عارض الشيخ بالقلم واستقوى بالخارج ليحارب الدعوة والدولة بالسلاح.

(٣) انظر: حسين بن بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١ ـ ٢١٧).

* حادثة خروج الشيخ من العيينة إلى الدرعية.

بالرغم من كل ما سلف، لم يزل الشيخ رَحِمَهُ اللهُ مقيماً في العُيَيْنة يُعلّم الناس دينهم ويزيل ما قدر عليه من البدع ويقيم الحدود ويأمر الوالي بإقامتها، حتى جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والرَّدَى؛ وهي أنَّ امرأة جاءت إلى العيينة وأقرَّت على نفسها بالزنى. وتكرَّرَ ذلك منها أربعاً، فأعرض الشيخ عنها، ثم عادت على الإقرار مِراراً، فسأل الشيخ عن عقلها فأُخْبِرَ بِصحَّتِهِ وتمامِهِ، فأمهلها أيَّاماً رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل قائمة على إقرارها بذاك، فقال لها: لعلَّكِ مغصوبة، فأقرَّت أربع مرات في أيام متتاليات، واعترفت بما يوجب الرجم، فأمر الشيخ رَحِمَهُ اللهُ الواليَ برجمها لكونها مُحْصَنَة، بأن تُشَدّ عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع، فخرج الوالي عثمان بن مُعَمَّر وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أوّل من رجمها عثمان نفسه، فلما ماتت أمر الشيخ أن يغسّلوها وأن تُكَفَّن ويُصلَّى عليها[(١)].

ومما يلفت النظر في تلك الحادثة؛ أنَّ مجيء المرأة إلى الشيخ وتكرار اعترافها طَوْعاً ـ مع احتمال معرفتها بما قد ينجم عن ذلك من عقوبة ـ من الأمور الدالَّة على عمق أثر الدعوة في نفوس المجتمع الجديد؛ فالمُتَوَقَّع دائماً أن يقع انحراف بين أفراد من المجتمعات. لكن أن يصل الندم بمن انحرف إلى هذا المستوى وتلك المرحلة. عندها يكون الأمر لافتاً للنظر[(٢)].

---

(١) انظر: حسين بن بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٦٩/٢). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩/١).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٤٤).

سار خبر هذا الحادث العظيم في الوديان والبوادي سير البرق، وكَثُرَ القيل والقال من أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفاً وفَزَعاً وانخلعت ألبابهم رَهَباً وجَزَعا، وارتجفت له نفوس كانت راتعة في الآثام والشرور أن يَحِلَّ بهم ما حَلَّ بهذه المرأة الزانية إذا نالتهم يد الشيخ محمد ووقعوا تحت طائلة سلطانه، ثمَّ تطاول أدعياء العلم بألسنتهم على الشيخ ينكرون ما فعل، مع أنه لم يَعْدُ الحكم المشروع بالسُّنَّةِ والإجماع، وفي المقابل فرح بذلك المؤمنون الذين يعلمون أن الرحمة والبركة والخير تَنْزِلان من عند الله تعالى عند إقامة الحدود، ويَتَنَزَّل الغضب وتُرفْع البركة والخير ويَعُمّ الفساد إذا عُطِّلت الحدود وتُركَت النفوس المجرمة سائمة تَرتَع حيث شاءت وتأتي من المُنْكَرِ والفُحشِ ما أرادت[١].

بَلَّغَ الوُشاة والنَّمَّامُونَ ذلك إلى سليمان بن محمد بن غرير آل حميد (ت: ١١٦٦هـ/١٧٥٢م) ، أمير الأحساء والقطيف، وَحَرَّضُوهُ على معاداة الشيخ[٢]، وكان سليمان آل حميد، بحسب ما تذكره المصادر المعاصرة لتلك الفترة، فيه بعض صفات الانحراف في المزاج[٣]، ومن المؤرخين المعاصرين له مَنْ يصفه بأكثر مِنْ ذلك[٤]، فكان من المتوقع تماما مِمَّن كان هذا حاله أن يغضب ويثور على حادثة

(١) انظر: حسين بن بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٦٩/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩/١). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٥٥).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٦ ـ ٤٧). وحسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٧٨).

(٣) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٠/٢).

الرجم، خصوصاً حين قال له القائلون: إنَّ هذا الرجل ابن عبد الوهاب يريد أن يسلب عنك حريتك، وكان الكلام مؤثرا فوقع في قلبه(١).

فأرسل سليمان آل حميد بكتابٍ إلى عثمان بن معمَّر، يتَهَدَّدهُ فيه ليقتل الشيخ أو يُخرجَهُ من بلده، فإن لم يفعل قَطَعَ خَراجه الذي يأتيه من الأحساء(٢) وربما يضطَّر إلى استباحة جميع أمواله التي لديه هناك كما ذَكَرَ ابن غنَّام(٣). وبعض المؤرخين يذكر بأنَّ خراج ابن معمَّر كان خراجاً كثيراً جداً(٤)، قيل إنَّه ألف ومئتين قطعة ذهبية وما يتبعها من كسوة وطعام(٥).

الحاصل؛ لمَّا وصل كتاب صاحب الأحساء إلى عثمان بن معمَّر استعظم الأخير الأمر من المخلوق وذُهِلَ عن أمر الخالق المعبود. فأرسل إلى الشيخ وكَرَّرَ له ذلك، فوعظه الشيخ بأنَّ هذا دين الله ورسوله ﷺ ولا بُدَّ لمن يقوم به من الامتحان، ثم يكون التمكين والسلطان والغلبة والظهور لأولياء الرحمٰن كما ورد في القرآن. فاستحيا عثمان وأعرض عنه، ثمَّ أعاد عليه جلساء السوء بالتخويف والإرجاف مِن صاحب الأحساء، فأرسل ابن معمَّر إلى الشيخ ثانياً

---

(١) المصدر السابق (٢/٦٧٠).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٦). وراجع ما أوردناه في الفصل الأول حول خراج ابن معمَّر الذي يأتيه من الأحساء.

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٦٧٠).

(٤) انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٧٨ ـ ٧٩).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠).

وقال: إنَّ سليمان آل حميد أمرنا بقتلك ولا نقدر على إغضابه ولا مخالفة أمره؛ فلا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم إيذاؤك في بلدنا مع علمك وقرابتك، فشأنك ونفسك، وخلِّ لنا بلادنا.

فأمر فارس عنده وخيَّالة معه وقال لهم: اركبوا مع هذا الرجل إلى ما يريد. فأمر بإجلائه ولم يكن له إلى قتله من سبيل[(١)].

وقد حذف ابن بشر في مبيّضة كتابه ما سبق أن ذكره في مسوَّدته من أنَّ عثمان بن معمَّر وجَّهَ أمره إلى قائد رجاله بقتل الشيخ. وقد جاء هذا الحذف نتيجة تَبَيُّن ابن بشر عدم صحة تلك الرواية[(٢)]. وإذا كان ابن بشر نفسه قد حذف الرواية المذكورة فإنَّه يتضح أن خروج الشيخ من العُيَيْنَة ووصوله إلى الدرعية قد حدثا بشكلٍ طبيعي[(٣)].

وكان الشيخ قد فَكَّرَ: أيُّ البلاد تجد فيها الدعوة مأمناً ومنبتاً طيباً، فوقع طائر فكره على الدرعية؛ لأنه كان له بها تلاميذ ومحبون، فقال الشيخ لهم: أريد الدرعية. فقالوا له: سر إليها. فخرج من العيينة راحلاً للدرعية في سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م وهذا هو الصحيح[(٤)]، وقيل في سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م وهو خطأ[(٥)].

---

(١) انظر: حسين بن بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٦٧٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠). وعبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنية» (١٦/٣١٩).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠ ـ ٤١).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٨٤).

(٤) انظر: حسين بن غَنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٦٧٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (١٩٤).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣١). وإبراهيم بن ضويَّان «تاريخ ابن ضويَّان» (٧٧).

* الدعوة تدخل الدرعية:

خرج الشيخ محمد بأسرته من العُيَيْنَة، تصاحبه فرقة من حرس الأمير عثمان بن معمَّر لحمايته(١)، وحينما وصل إلى الدرعية نزل ضيفاً عند آل سويلم(٢) الذين كانوا من مشاهير البلدة ومن المتحمّسين للدعوة، **وما إنْ بَلَغَ الأمير محمد بن سعود خبر دخول الشيخ إلى الدرعية حتَّى هبَّ الأمير من فَوْرِهِ مسرعاً إليه ومعه أخواه ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت ابن سويلم فسلَّمَ عليه وبادره بالقبول وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ورحَّبَ به غاية الترحيب وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به أولاده ونساءه، ووعده بالحماية والتأييد(٣)، وجَدَّت أسرة آل سعود في نصرة الشيخ، على قلَّتِهِم وكثرة عدوّهم ذاك الوقت(٤).**

* مناقشة ما أورده ابن بشر عن خروج الشيخ من العيينة ووصوله للدرعية ولقائه بحاكمها:

انفرد ابن بشر برواية مختلفة عمَّا سبق ذكره قبيل قليل، إذ يقول: «فلما دخل [الشيخ محمد بن عبدالوهاب] على ابن سويلم

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠).

(٢) آل سويلم: من العرينات، من بني تميم من الرِّبَاب بن عبد مناة بن أد بن طابخة، والعرينات يُنسبون إلى قبيلة سبيع لأنَّهم دخلوا معهم بالحلف. انظر: حمد الجاسر في «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٣٨٢ ـ ٣٨٣).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٧١). وحسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٨٠).

(٤) انظر: الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ في رسالته لأهل الأحساء، ضمن «الدرر السنيَّة» (١١ ٤٠٨).

ضاقت عليه داره خوفاً على نفسه من محمد بن سعود، فوعظه الشيخ وسكَّنَ جأشه وقال: سيجعل الله لنا ولكم فرجاً ومخرجا. فعلم به خصائص من أهل الدرعية فزاروه خُفْيَة، فقرَّر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، فأتوا زوجته وأخيه ثنيان الضرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروها بمكان الشيخ وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلبها معرفة التوحيد وقذف الله فيها محبة الشيخ، فلمَّا دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خَصَّكَ الله به، فقَبِلَ قولها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشارا عليه بمساعدته ونصرته، فقذف الله في قلب [الأمير] محمد محبة الشيخ ومحبة ما دعا إليه، فأراد أن يرسل إليه، فقالا له: لو تسير إليه برجلك وتُظهر تعظيمه وتوقيره ليَسلَم من أذى الناس ويعلمون أنه عندك مُكْرَم، فسار إليه محمد بن سعود ودخل عليه في بيت ابن سويلم، فرحَّبَ به»(١).

وينتقد أحد كتّاب التاريخ قصة اللقاء التاريخي بين الشيخ والأمير، كما قصَّها ابن بشر، بأنَّها «لوحة فنية معبِّرَة تستحق البقاء والخلود، وقد تناقلها الناس في الشرق والغرب لروعتها وبراعتها، على أنَّ هذه القصة في براعتها وحسنها تنسج هالة أسطورية حول اسم الشيخ، ليس الشيخ محتاجاً إليها؛ لأنَّه صنع مجداً يغنيه عن الأساطير والروايات الموضوعة، وأول ما يُؤخذ على رواية ابن بشر أنه جعل الشيخ يخرج من العُيَيْنَة في فصل الصيف وفي غاية الحر وماشياً على قدميه، ثم أَصْحَبَهُ بفارس همَّ بقتله مراراً تنفيذاً لأوامر سيده ابن معمر،

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١ ـ ٤٢).

ولكن الله ﷻ ألقى في قلب الفارس الرعب وصرف عن الشيخ كيده. وأخيراً يُدْخِل ابن بشر الشيخَ في مدينة الدرعية على حين غفلة من أميرها ويُنزِلَهُ في دار رجل من أنصاره امتلأ قلبه رعباً من قدومه عليه؛ لما يخشاه من غضب الأمير، ولولا وساطة زوجة الأمير لما صَلُحَت الأحوال ولما استطاع أن يُقرِّر للأمير التوحيد ويجعله من أشدِّ أنصاره.

كلُّ ذلك مبالغٌ فيه، إن لم نقل أنَّه غير صحيح. وفي اعتقادنا أن الشيخ لم يخرج من العيينة إلا بعد أن دعته الدرعية إليها، ولم تكن الدرعية غريبة عن دعوة الشيخ؛ فقد كان الشيخ قبل التجائه إلى الدرعية على صلة وثيقة بعدد غير قليل من كبار رجالها، يكتب إليهم ويكتبون إليه ويفدون عليه، بل دخل بعضهم في دعوته وأصبحوا من أشد أنصاره؛ كالأميرين ثنيان ومشاري إخوة الأمير محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز أيضا[(١)]، وأولاد سويلم وغيرهم. فهل كان الأمير محمد بن سعود يجهل كل ذلك؟. ولو أنه كان، كما زعموا، عدوّ للشيخ ودعوته، فهل كان يترك ولده عبدالعزيز يراسل الشيخ!»[(٢)].

ويقول عبدالله العثيمين: «عثرتُ على أوراق بخط المؤرخ النجدي ابن لعبون يذكر فيها **أنَّ الشيخ محمداً انتقل إلى الدرعية بدعوةٍ من الأمير محمد بن سعود**»[(٣)].

---

(١) يذكر ابن غنَّام في تاريخه (٥٢٦/١): أن الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود كان يكاتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب أيام كان الشيخ في العيينة، وأن سبب تأليف الشيخ محمد لتفسير سورة الفاتحة بطلبٍ من الأمير عبدالعزيز حين كتب للشيخ، وهو إذ ذاك في بلد العيينة.

(٢) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٩٠/١ ـ ٩١).

(٣) عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٨٥/١).

إلا أنَّ أحد الباحثين يرى أن ما يقال حول اختلاف ابن بشر عن ابن غنَّام في تفصيلات ما حدث للشيخ محمد حين وصوله للدرعية حتى اتفاقه مع أميرها محمد بن سعود: بأنه ليس اختلافاً ينقض بعضه بعضاً، ولكن غايته أن ابن بشر انفرد بذكر أمور فيها زيادة بيان عن خبر ابن غنَّام(١).

* المبايعة بين الإمامين:

قال الأمير محمد بن سعود للشيخ في هذا اللقاء: أبشر يا شيخ محمد ببلاد خير من بلادك، يقصد العُيَيْنَة، وأبشر بالعز والمَنَعَة. فقال له الشيخ: وأنا أُبَشِّرُكَ بالعز والتمكين والنصر المبين؛ فهذه كلمة التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسَّك بها وعمل بها وانتصر لها ملَكَ بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفُرْقَة والاختلاف والقتال لبعضهم البعض، فأرجو أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريَّتك من بعدك.

فلما شرح الله صدر محمد بن سعود لذلك وتقرَّرَ عنده؛ طلب من الشيخ المبايعة على ذلك، فبايعه على ذلك، وأنَّ الدم بالدم والهدم بالهدم، وعلى أنَّ الشيخ لا يرغب عنه إن أظهره الله. إلا أن محمد بن سعود شَرَطَ في مبايعته للشيخ أن لا يتعرَّضَهُ فيما يأخذه من أهل الدرعية؛ مثل الذي كان يأخذه رؤساء البلدان من رعاياهم، فأجابه الشيخ على ذلك رجاء أن يخلف الله عليه من الغنيمة أكثر من ذلك فيتركه رغبة فيما

(١) انظر: صالح العبود «عقيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (١٦٣/٢ ـ ١٦٤).

عند الله ﷻ[١]، فكان الأمر كذلك، ووسَّعَ الله عليهم في أسر
ما يكون.

إنَّ مبايعة الأمير محمد بن سعود للشيخ محمد بن عبدالوهاب على ذلك لدليل على عظيم عقله وبُعدِ همَّته وطموحه وتوفيق الله له. وتستطيع أن تدرك من خلال حديث اللقاء والبيعة بينه وبين الشيخ أنه مدرك لحقيقة العقيدة السلفية النقية بما آتاه الله من صفاء الفطرة ونفوذ البصيرة وما بلغه من الحجة على يد الشيخ[٢].

قال ابن غنَّام واصفاً الأمير محمد بن سعود قبل دعوة الشيخ بما نصّه: «وكان الأمير محمد بن سعود [قبل الدعوة] بحسن السيرة معروفاً وبالوفاء وحسن المعاملة موصوفاً مشهوراً بذلك»[٣].

فكان من صدقه ووفائه: استجابته وعدم استنكافه عن قبول

(١) هذا مما تفرَّدَ به عثمان ابن بشر في تاريخه «عنوان المجد» (٤٢/١). وعبدالله العثيمين في كتابه «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (ص: ٥٥) يعلّق على قول ابن بشر هذا قائلاً: «وإذا كان ما أضافه ابن بشر صحيحاً؛ وهو قوله نقلاً عن ابن سعود: «لا يتعرَّض له فيما أخذه من أهل الدرعية». فالواضح أنَّ الشيخ قارن بين المصلحة العامة للدعوة في اعتمادها على حماية الأمير محمد ووقوفه معها، وبين مسألة جزئية كان واثقاً من حلّها بسهولة في المستقبل القريب. فكان أن أجاب بما أجاب به».

(٢) انظر: صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (١٧٩/٢).

(٣) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٦٧١/٢). وابن غنَّام يقصد بوفاء الإمام محمد بن سعود يوم ضمن زيد بن مرخان وقتل عمَّه مقرن بن محمد (فهَّاد) يوم أراد الأخير الغدر بزيد. راجع تفاصيل تلك الحادثة في هامش في الفصل الأول من هذه الدراسة التي بين يديك عند البحث في مدينة الدرعية خلال مبحث «دويلات المدن النجدية».

الحق لمَّا جاءَه، وإن كان قد جاءَهُ من مستَضعَف. ثم إنَّه أدرك شيئا بعيدا، فاشترط على الشيخ إنْ نصرهم الله أن لا يرتحل عنهم إلى غيرهم؛ لأَنَّهُ رَحِمَهُ اللهُ ذو فراسة وذكاء ومن أعظم العقلاء، وأَنَّهُ حين لقي الشيخ ورآه؛ عرف ببديهته الصدق في وجهه وَتَحَقَّقَ في قوله وحاله حلية أولياء الله، وكل عاقل يرغب في أولياء الله وفي قربهم، وفعلا وقع ما كان يَتَوَجَّسه محمد بن سعود من مجيء ابن معمر نادما يطلب عودة الشيخ إليه[1]، كما سيمرّ معنا في الصفحات القادمة.

* الموقف الشجاع من محمد بن سعود تجاه الشيخ ودعوته:

ومن عجيب ما تراه في هذه الحادثة «**أنَّ محمد بن سعود لما وَفَّقَهُ الله لقبول هذه الدعوة ابتداءً، بعد تخلّف الأسباب وعدم الناصر؛ شمَّرَ في نصرة الشيخ ودعوته ولم يبالِ بمن خالفه من قريب أو بعيد، حتى أنَّ بَعض أُناسٍ مِمَّن له قرابة به عذَلَهُ عن هذا المقام الذي شَمَّرَ إليه، فلم يلتفت إلى عَذْلِ عاذل ولا لومِ لائمٍ ولا رأي مرتاب، بل جَدَّ في نصرة هذه الدعوة**»[2].

مع العلم أنَّ الدرعية وقتذاك لم تكن بتلك القوَّة التي تستطيع من خلالها مقارعة البلدات النجدية المحيطة بها، وهو ما يقرره مؤرخ معاصر لتلك الأحداث، فيقول ـ بما معناه ـ: إنَّ أهل الدرعية أناس أقلّ قوة من القوى المحيطة بها في قرى نجد وبلداتها ومدنها، ومع

(١) انظر: صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (٢/١٧٩ ـ ١٨٠).

(٢) الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٢/٤٠ ـ ٤١) باختصار وتصرّف يسير.

هذا قاموا بنصرة الشيخ والانتصار لدعوته السلفية[١].

وتكفي الدلالة على شجاعة الأمير محمد بن سعود وثبات جأشه وشهامته وقوَّة إيمانه؛ «**إيواؤه للشيخ وقيامه بنصرته، وقد رأى وعلم ما وراء ذلك من الأخطار وتأليب الملوك والأمراء وعامَّة الناس عليه. ولولا أنه هو الأوحد فرد زمانه لما نجح في توطيد دعائم ملكه ونشر سلطته على البلدان وتوحيد كلمة التوحيد تحت لوائه بين خطوب سود ونظراء أقوياء وتكالب من جميع أطراف جزيرة العرب، فلهو القائد الباسل والأوحد الحلاحل، فما قام بنصرة هذا الشيخ والأخذ بساعده إلا عن اعتقاد راسخ وإيمان قوي**»[٢].

خصوصاً حين ندرك أنَّ الدرعية التي يحكمها محمد بن سعود «في هذا الجزء من وادي حنيفة، قبلُ، لا يقوم حكمه على عقيدة دينية ولا عصبيةٍ قومية تضمن له قوَّة النفوذ ومؤهِّل الاتساع والانتشار؛ فقومه ـ وإن كانوا أشدَّاء شجعانا ـ إلا أنَّ قِلَّتهم لا تمكنهم من بسط نفوذٍ أكبر ولا انتشار حكم أقوى.

وإذن؛ فهو حينما احتضن هذه الدعوة السلفية، مع حُسنِ نيَّتِهِ وابتغائه وجه الله ثمَّ ما خاطبه به الشيخ من قولٍ لا تنقصه الإيجابية ولا يعوزه المنطق، كان يُدرك ما أقدم عليه ويعني ما رَشَّح نفسه إليه. فمن أول وهلةٍ عَوَت عليه الذئاب وَوَرِمَت الأنوف وتنكَّر الأصدقاء. فكانت الإرهاصات الشريرة كافيةً لتقف الدرعية حيالها موقف التفكير. وأنْ تَهزّها هذه المتغيرات لتغير موقفها، ولكنَّ قوة الإيمان في حاكم

---

(١) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٧).

الدرعية من ناحية وأسلوب الداعية الإيجابيّ من ناحيةٍ ثانية وبطولة الأنصار أهل الدرعية من ناحيةٍ ثالثة؛ كلّ ذلك جعل العقيدة والإيمان يقفان على قاعدةٍ صُلْبَةٍ لا تزعزعها الأحداث ولا تهزُّها الأعاصير»[(١)].

من هنا نعلم لماذا توقّف المؤرخ العراقي عباس العزّاوي (١٣٩١هـ/١٩٧١م) في كتابه «**عشائر العراق**» لينبّه قارئ كتابه على تلك اللفتة التاريخية المهمة، وهي حال نجد قبيل دعوة الشيخ؛ ذلك الشيخ الذي وصل الدرعية عند حاكم لم يكن هو الأقوى في نجد، ثمَّ ينبِّهك المؤرّخ العزاوي إلى انقلاب الحال بُعيْدَ ذلكم الميثاق المبارك بين الشيخ وابن سعود، فأرْخِ سمعك لوصف العزّاوي الذي قال فيه: «كانت نجد قبائل متفرّقة وإمارات صغيرة، نستطيع أن نقول: كلّ بلدةٍ مستقلة بإدارتها وإمارتها كما أنَّ كلّ عشيرة منفصلة عن غيرها، ومن ثَمَّ نرى الفوضى ضاربة أطنابها؛ الأمن مفقود، والسلب والنهب من أعظم وسائل ارتزاق الآهلين ومدار عيشتهم، **حتَّى قيَّض الله لنجد دعوةً قوية وفاضل حريص على التمسك بالشرع، هو محمد بن عبدالوهاب، ومناصرة من حاكم قرية ضعيفةٍ وبلدةٍ مستكينة، ومن جرَّاء هذه المناصرة وتلك الدعوة التي ذاعت في الأطراف وانتشرت انتشاراً هائلاً حتى قبضت على السلطة، فتوسَّع النطاق ونجحت الدعوة، فتكوَّنت قوةٌ هائلةٌ لم تلبث أنْ سيطرت على أنحاء عديدة»**[(٢)].

لذلك ذكر أحد المؤرّخين عن مساندة الأمير محمد بن سعود للشيخ ودعوته، قائلاً: «بَزَغَ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد

---

(١) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤١٨).

(٢) عباس العزّاوي «عشائر العراق» (١/٢٨٤ ـ ٢٨٥) باختصار.

بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب أسكنه الله جنَّة المآب، فنوَّر الظلام وجلَّى القتام وبيَّنَ سبل السلام إلى بلوغ المرام، وأجاب دعوته ولبّاه وأوى غربته السعيد المسعود محمد بن سعود، على قلّة من الأعوان وابتكار لهذا الشأن»[١].

لقد أدركَ الأمير محمد بن سعود[٢] بصفاء بصيرته وسلامة تفكيره أنه لا مطمع للشيخ في الإمارة ولا في الرئاسة ولا في أي علو في الأرض ولا فساد من دعوته، بل إلى صلاح الدين والدنيا معاً؛ إلى عقيدة السلف الصالح، وتيقن من خلال ما سمعه من الشيخ ورآه أن نصيحته صادقة وعرضه صحيح، وأن القيام بنصر دين الله ورسوله ﷺ سبب للنصر والعز والتمكين وحصول الملك، وزاد يقين الأمير رسوخا ما بَيَّنَهُ الشيخ له من أنَّ الله سَيُمَكِّن من يقوم بنصر لا إله إلا الله ويعزه ويورثه الملك، وأنَّ الأمة بحاجة إلى إقامة الدين وإصلاح ما أفسد الناس، وَأَنَّ هذا واجب عليه، فَقَبِلَ محمد بن سعود وأصبح هو المؤسس لدولة آل سعود، وهو الذي سنَّ سنَّة حسنة لبنيه بمناصرة دين الله وإكرام علماء السنة[٣].

المقصود؛ أنَّ هذا اللقاء العظيم بين الإمام المجدد الشيخ

---

(١) إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي في كتابه «رسالة في تاريخ عسير» (٣٤ - ٥٤).

(٢) لم يكن وقتها يسمَّى إماماً، وللشيخ عبدالله أبا بطين (ت: ١٢٨٢هـ) تحقيق في مسألة أول من تلقَّب من آل سعود بلقب الإمام، وذكر أنَّ محمد بن سعود وابنه عبدالعزيز في حياتهما لم يلقَّبا بالإمام، بل إنهم لقِّبوا بذلك بعد وفاتهما. انظر: جواب الشيخ عبدالله أبا بطين على سؤال حول شروط الإمام، ضمن «الدرر السنية» (٩/٩).

(٣) انظر: صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (١٧٨/٢).

محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، يُعدّ وبحق: نقطة تحوّل عظيم في تاريخ الدعوة وتاريخ الدولة السعودية وفي تاريخ الجزيرة العربية كلها، وكانت مبدأً وأساساً قوياً للإصلاح الديني والاجتماعي والسياسي الذي شمل الحاضرة والبادية، وجعل من القبائل المتنافرة قلوبها المنتشرة في قلب الجزيرة والتي ران على عقول أفرادها جهل السنين الحالكة، جعل من هذه القبائل أمة واحدة في المبادئ والعقائد والآراء، مرفوعة الرأس بعامل العزة التي وصف الله المؤمنين بها، ولم يعد أحدهم يخضع ـ كما كان سابقاً ـ لشجر أو حجر أو لمخلوق كائناً من كان، بل صار خضوعهم وخوفهم لله وتعلقهم ورجاءهم بالله واعتقادهم وتوكلهم على الله، كما كان هذا اللقاء التاريخي المبارك: الصفحة الأولى من تاريخ اجتماع السياسة والدين وسيرهما في ركابٍ واحد لنشر الإسلام والأخُوَّة الإسلامية بين أهل الجزيرة خاصة والمسلمين عامة[1].

* ميثاق الدرعية وشيوع ذكره:

خرج ذلك الجمع المبارك من دار ابن سويلم في الدرعية عام ١١٥٧هـ/١٧٤٤م: الأمير محمد بن سعود وعلى يمينه الشيخ محمد بن عبدالوهاب وثنيان ومشاري شقيقا محمد، وولده عبدالعزيز، لا ريب أن الكل كانوا معاً: رجال الحاشية والنبلاء، جميعهم خرجوا من دار ابن سويلم ليدخلوا دار الأمير محمد بن سعود حيث يُعْقَد ميثاق الله الذي تعاهدوا عليه؛ وهو نُصْرَة دين الله ورسوله والجهاد في سبيله وإقامة الشرائع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) انظر: أحمد علي «آل سعود» (٢٢).

ويتضح من نص الميثاق أنه كان اتفاقاً شفوياً، ولو أنه جاء مكتوباً لأصبح وثيقة تاريخية، وكان للباحثين في عدم تدوين ذلك الاتفاق وجهة نظر معقولة؛ فقد رأى البعض أنَّ عدم كتابة الاتفاق ترجع إلى عدة عوامل منها: أن الكثير من العهود والمواثيق الجماعية في العهود الإسلامية وغيرها جاءت غير مكتوبة. وهذا الاتفاق قام على أساس ديني، فإنْ جاء مكتوباً أو شفوياً فالأمر سِيَان؛ لأنه عهد وميثاق، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١]. ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: ٨]. وسواء كان هذا الاتفاق شفوياً أو مكتوباً؛ فإنَّ الاتفاق هو ثمرة اللقاء، فكان لقاء الخير والبر والفضيلة، لقاء الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة العدل ومحاربة الخرافات والتأليه وطلب النفع ودفع الضر ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورا، لقاء بناء الدولة وبسط النفوذ وتحرير الأرض وخلود الدعوة والدعاة، لقاء العلم والإيمان والمصحف، والسيف يؤيده، والحجة ترد الكبرياء والزيغ[١].



(١) انظر: عبدالفتاح أبو علية «محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٢١ - ٢٢).

الفصل الخامس:

انتصارات الدعوة في نجد والأحساء بعد تكالب المعارضين عليها.

انتشار خبر انتصار ابن سعود لدعوة التوحيد

ما أسرع ما انتشر خبر بيعة الأمير محمد بن سعود على نصرة التوحيد حتَّى عَلِمَ بذلك أنصار الشيخ وأحبابه في العيينة وحريملاء وغيرها، وقد كانوا قبل هذه البيعة يستخفون حذراً من أرباب البدع وشوكتهم القائمة وسلطانهم النافذ، فما كاد أمر هذه البيعة يصل إلى مسامعهم حتى هرعوا إلى الدرعية ووفدوا من كل البلاد والنواحي زرافات ووحدانا يلتئمون براية ابن سعود وسيفه، ويكرعون من علم الشيخ ويزدادون من هداية الله ورحمته(١).

ثمَّ تقاطر على الدرعية العلماء من كل حدبٍ وصوب، فعَمرت حلقات الدروس على الشيخ محمد وعلى أبنائه وكبار تلاميذه، وَوَفدَ إليهم طلاب العلم والمعرفة من الجزيرة العربية وخارجها، وصاروا يجدون فيها العلم وكفاية المؤونة، فراجت في الدرعية سوق العلم وكَثُرَ أهله وتسابقوا في تحصيله، حتى نَجَمَت حركة علمية كبيرة لا

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٢/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣/١). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٥ ـ ٦٦).

عهد للبلاد النجدية بها من قبل[١].

فلمَّا أصبحت الدرعية على هذه الهيئة العظيمة؛ ندم ابن مُعَمَّر على ما ضَيَّعَ من فرصة هذا الشيخ، فبادر في وفد من صحبه مُستَسمِحاً الشيخ من زَلَّتِهِ السابقة، معترفاً له بما اجترح يوم أخرجه من العيينة، راجياً منه أن يعود إليها من جديد، مُعطِياً له العهد والميثاق أن ينصره وينصر دعوته بما يملك من نفس وولد ومال.

فقال الشيخ له: ليس هذا إليَّ؛ إنما هو إلى محمد بن سعود. فإن أذن ذهبت معك، وإن أبى إلا أن أقيم عنده أقمت، **ولا أستبدل برجلٍ تلقاني بالقبول والمعاهدة على نصرة التوحيد رجلاً أخرجني من بلده.**

فَهَرَعَ عثمان إلى الأمير محمد بن سعود يستعطِفَهُ بإلحاح أنْ يأذن برجوع الشيخ معه إلى العيينة، فأبى عليه ابن سعود كل الإباء، وكيف يرضى ذلك وقد أخذ على الشيخ العهد أن المحيا محياهم والممات مماتهم؟ فرجع ابن مُعَمَّر إلى العيينة كما جاء منها[٢].

* الدرعية في ظلال الدعوة السلفية الإصلاحية:

اتخذ الشيخ الدار التي كان يسكنها في الدرعية مدرسة للراغبين

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (١٦/١). ومي العيسى «الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى» (١١١ ـ ١١٢) (١٢٤).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٢/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣/١). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٦).

في العلم[١]، وأخذ يأمر الناس بالذهاب إلى المسجد للصلاة جماعة، ثم أخذ الشيخ يعلِّم تلاميذه الصلاة والتوحيد، فلما ملأت «لا إلٰه إلا الله» أرجاء الدرعية؛ عَمَّها الخير، فتحرك بالعطاء أغنياؤها، وعاش بالزكاة فقراؤها، واستشعر الغني واجبه وسارع في إطعام الفقير؛ فعمَّ العدل مجتمع الدرعية[٢].

لقد كانت دروس الشيخ علنية، يحضرها الأمير محمد بن سعود وأولاده كل يوم مرتين صباحاً ومساء، ويدرسون على يده علم التوحيد[٣]، ويحضر دروس الشيخ أيضاً المزارع والفقير دون تمييز، فقد كانوا جميعاً في مسيس الحاجة إلى الاطمئنان الروحي بعد أنْ كانوا سادرين في حَمْأَةِ اليأس الذي غرق فيه العرب طوال سِنِيّ الجهل والإهمال؛ ذلك اليأس والجهل والإهمال الذي بيَّنَّا ملامحه في الفصل الأول والثاني من هذا الكتاب.

وما إنْ مَضَت مُدَّة غير طويلة على استقرار الشيخ في وطنه الجديد إلا وقد تعلَّمَ السكان أصول دينهم التي تجب عليهم معرفتها، وكان من وسائل الشيخ للوصول إلى ذلك تأليف «**رسالة الأصول الثلاثة**» وتعليمها للناس[٤].

---

(١) انظر: سنت جون فيلبي «تاريخ نجد ودعوة محمد بن عبدالوهاب السلفية» (٤٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٤ ـ ٤٥)، (١٨٤). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٦).

(٣) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (٨١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٥) و(١٨٣). وعبدالله العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره» (٥٦).

من هنا دخل العمل مرحلة جديدة: دعوة جادَّة آمِنة؛ إذ شَرَعَ الشيخ يدعو ويُصلِح ويُعلِّم ويُصَحِّح، والمؤازر (ابن سعود) يتابع سير الدعوة ويحمي ظهرها بسيفه، حتى ظَهَرَت الدعوة واسْتَعلَنَ أمر الشيخ، فأقبل الناس على العلم والعبادة في جوٍّ هادئٍ وآمِنٍ.

فأخذ الشيخ بجانب ذلك التعليم والتدريب الجاد يؤلِّف كتباً ورسائل، أكثرها في توحيد العبادة الذي يرى الشيخ أنَّ حاجة الناس إليه أمَسُّ من حاجتهم إلى أي علم آخر، وهو الواقع[1].

* انطلاق الدعوة إلى البلدان المجاورة للدرعية.

بدأ الشيخ محمد يكاتب العلماء ويراسل رؤساء البلدان ويبعث إلى القبائل في نجد ليَلْتَئِموا بالدولة الجديدة التي قامت على أساس العقيد السلفية، فمنهم من عاند وسَخِرَ من الدعوة ومن الدولة ورِكِبَ رأسه، ومنهم من أطاع فصار من أنصار الدعوة والدولة، وهم الكثيرون؛ ذلك أن الجهود المبذولة في هذا الشأن قد لَقَحَت؛ فأثمرت انضمام أمراء بعض البلدان إليها طائعين مختارين: كأمراء العُيَيْنَة وحريملاء ومنفوحة وكانوا كلّهم في ظلِّ لواء تلك الدولة وهذه الدعوة.

فحدث في عام ١١٥٨هـ/١٧٤٥م أن بايع عثمان بن مُعَمَّر الشيخ محمد بن عبدالوهاب على الانضمام إلى الدعوة والدولة الفَتِيَّة،

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٢ ـ ١٨٥). وسليمان بن سحمان «الأسنة الحداد» (٤). ومحمد أمان الجامي «مجموع رسائل الجامي» (١٥٠ ـ ١٥١).

وبذلك تكون العيينة أولى بلاد نجد التي تستظِلُّ بلواء الدعوة في الدرعية.

وفي هذه السنة أيضا وَفَدَ أهل حريملاء على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وبايعوه على مناصرة الدعوة، وبذا تعتبر حريملاء ثاني بلدة تدخل تحت لواء الدولة السعودية بعد العُيَيْنة، واشترك أهلها في الدفاع عن الدعوة، وكان لهم فيها بلاء حسن. وكان ممن استجاب أيضاً لدعوة التوحيد أهالي بلدة منفوحة[1].



(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٧٢/٢) (٦٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٥/١) (٤٨) (٥٠). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٨٩/١).

بداية المعارضة لدعوة الشيخ في نجد

أولاً: المعارضة بالقلم والدعايات الكاذبة:

شاعت رسائل الشيخ في بقاع كثيرة من نجد والأحساء والعراق وغيرها، فذاع خبرها وكثر أنصارها في بلدان نجد والأحساء وجنوب نجد ووجدت أتباعاً لها في البصرة وغيرها من بلدان العراق، غير أن مبادئ الدعوة لم تُرْضِ بعضاً من مشايخ نجد وكبار قادتها، فَنَبَذَ فريقٌ منهم ما يدعو إليه الشيخ؛ لأنَّهُم خَشُوا تأثير دعوته على نفوس الناس واندفاعهم في تأييدها؛ لأنَّ ذلك أمرٌ يزعزع زعامتهم ويذهب بنفوذهم ويَحدّ من سلطانهم(١)، خاصَّةً أنَّ إمارات نجد في تلك الفترات تعتبر في عصر دويلات المدن النجدية المتناحرة، ودعوة الشيخ تدعو إلى ترك ذلكم التناحر وتنادي بالاجتماع تحت راية إمام واحدٍ يردع ما كانوا فيه.

عند ذلك نَهَدَت لمناهضة الدعوة واضطهادها القوى الثلاث:

١ ـ قوة الدولة والحكام.

٢ ـ قوة أنصارها مِمَّن يحملون رسوم العلم.

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٤).

٣ ـ قوة العوام[١].

ـ غبار المعارضة يثور ضدَّ الشيخ وضدَّ ابن سعود الذي آواه:

نجم عمَّا ذكرته لكَ آنفاً أَنْ كَثُرَ أعداء الشيخ ومنازعوه وفشى **البُهْت بينهم فيما قالوه وشاع المَيْن فيما نقلوه، فنسبوا للشيخ وابن سعود أنواع المفتريات، فكبُرَت الفتنة وعَظُمَت النازلة، فأجلبت المعارضة على أهل الدعوة في الدرعية بخيلِ الشيطان ورجله.**

وهذا تبيانه:

يقول الشيخ في رسالته إلى علماء مكة: «**جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم؛ وسببه: هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين، فلمَّا كَبُرَ هذا على العامة؛ لظنِّهم أنَّه تنقُّص للصالحين،** ومع هذا نهيناهم عن دعائهم وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلمَّا أظهرنا هذه المسألة، مع ما ذكرنا من هدم البنيان على القبور، **كَبُرَ على العامة جداً وعاضدهم بعض من يدَّعي العلم لأسبابٍ ما تخفى على مثلكم؛ أعظمها اتِّباع هوى العوام... فأشاعوا عنَّا أننا نسبُّ الصالحين، وأنَّا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنَّا أشياء يستحي العاقل من ذكرها**»[٢].

ورغم ثوران تلك العجاجات؛ لم يتزحزح ابن سعود عن موقفه الذي اتخذه في مناصرة الشيخ والانتصار لدعوته؛ رغم سواد الخطوب

---

(١) انظر: مقدمة السيد محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (١١) لمحمد بشير السهسواني.

(٢) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنية» (٥٦/١ ـ ٥٧).

التي استَبَانَت، ورغم النظراء الأقوياء الذين ترادفوا على تطويق بلده الدرعية مِنْ كُلِّ طرف.

وهو الأمر الذي وصفه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ حين قال: «فتلقَّاه شيخ البلد محمد بن سعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو وأولاده وقرابته وأعيان بلده، فقابلوا دعوته بالقبول وجَدّوا في نصرته على ضعفهم وقلَّتهم وكثرة عدوّهم»[(١)]، «**ولم يبالِ [محمد بن سعود] بمن خالفه من قريبٍ أو بعيد، حتى أنَّ بعض أناس ممن له قرابة به عذَلَهُ عن هذا المقام الذي شَمَّرَ إليه، فلم يلتفت إلى عَذْلِ عاذل ولا لوم لائم ولا رأي مرتاب، بل جَدَّ في نصرة هذه الدعوة**»[(٢)].

يقول الشاعر أحمد بن مشرّف (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) عن ذلك من بعض أبياتٍ له:

فوازره عبدالعزيز ورهطه[(٣)] … على قلَّةٍ منهم وعيشٍ مُنكَّدِ
فما خاف في الرحمٰن لومَة لائمٍ … ولم يُثنِهِ صولاتُ باغٍ ومُعتَدِ
وقد جاهدوا في الله أعداء دينه … فما وَهَنوا للحربِ أو لِلتَّهَدُّدِ
فكن ذاكراً فوق المنابر فخرهم … ونادِ بِهِ في كلّ نادٍ ومشهد[(٤)].

---

(١) من رسالة الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن إلى أهل الأحساء، ضمن: «الدرر السنيَّة» (٤٠٨/١١).

(٢) عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٤٠ ـ ٤١).

(٣) قال عبدالعزيز، والأصل أنَّ المؤازرة بدأت من محمد بن سعود، لكنَّه ما دام قال: (ورهطه)، فإنَّه ينسحب على سائر أئمَّةِ الدولة وقتها.

(٤) أحمد بن مشرّف «ديوان ابن مشرّف» (٦٢).

وهذا توثيق لترادف الأعداء على تطويق الدرعية يوم انتصر ابن سعود للشيخ؛ يقول المؤرخ الشيخ عثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) : إنَّ الشيخ ظهر إلى الدرعية مع كثرة مناوئيه ومعارضيه، «**فآوَاهُ من جُعِلَ عِزّ الإسلام على يديه وجاد بنفسه وما لديه ولم يَخشَ لوم اللائمين ولا كيد الأعداء المحاربين؛ محمد بن سعود وبنوه ومن ساعدهم على ذلك وذووه، فشمَّرَ في نصرة الإسلام بالجهاد وبذل الجِدِّ والجُهد والاجتهاد، فقام في عداوته الأكابر والأصاغر وجرُّوا عليه المدافع والقنابر**[١]**، فلم يَثنِ عزمَه ما فعل المبطلون**، وجاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون»[٢].

وهذه حقيقةٌ تاريخية؛ فمحمد بن سعود وقومه: «وإن كانوا أشدَّاء شجعانا إلا أنَّ قِلَّتهم لا تمكنهم من بسطِ نفوذٍ أكبر ولا انتشار حكم أقوى، و[محمد بن سعود] حينما احتضن هذه الدعوة السلفية، مع حُسنِ نيَّتِهِ وابتغائه وجه الله، **كان يُدرك ما أقدم عليه ويعني ما رَشَّح نفسه له، فمن أول وهلةٍ عَوَت عليه الذئاب وَوَرِمَت الأنوف وتنكَّر الأصدقاء**؛ فالعيينة وحريملاء والدِّلَم والرياض وحَرْمَه وحتى منفوحة، كانت هذه البلدان أول من تنكَّر له وقلب له ظهر المِجنِّ وحاربوه وأمعنوا في حربه حتى ظهر الحقّ وزهق الباطل.

ولكنَّ الأمر لم يقف عند هذا الحدّ، ولم تَمُت الفتنة بموتِ

---

(١) القنابر: جمع «قنبرة»، وهي ما يقذفه المدفع بواسطة البارود، واللفظ متداول في تلك الفترات، يقابله اليوم لفظ «قنبلة». وقد كتب الفلكي الرياضي الأزهري محمد بن حسين العطَّار (ت: ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) كتاباً سمَّاه «الرمي بالقنبرة والطوب». انظر: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١٠٤/٦). أيضاً: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣٥٤).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٧/١).

هؤلاء الأَدنَيْن، بل بدأ يَشُبّ أوارها وتَتَوَقَّد نارُها مِنْ قِبَلِ أعداءَ أقوياءَ وخصومَ أشدَّاء؛ بدأ الحجاز بمن فيه يزرع كيده ويُظهر عداءه ويَبُثّه خارج البلاد وداخلها[(١)]، وبدأت الأحساء ومن حَولَها تضرب نفس الوتر وتَغزِل غزلها الدقيق[(٢)]، وعن طريق هاتين انتشر التضليل وبلغت الدعاية مبلغها ولَقحت ثمار الشرّ وطعمت جذوره وتهيَّأت النفوس لقبوله.

فكانت الإرهاصات الشريرة كافيةً لتقف الدرعية حيالها موقف التفكير، وأنْ تَهزّها هذه المتغيرات لتغير موقفها، ولكنَّ قوة الإيمان في حكم الدرعية من ناحية وأسلوب الداعية الإيجابيّ من ناحيةٍ ثانية وبطولة الأنصار أهل الدرعية من ناحيةٍ ثالثة؛ كلّ ذلك جعل العقيدة والإيمان يقفان على قاعدةٍ صُلْبَةٍ لا تزعزعها الأحداث ولا تهزُّها الأعاصير، إنَّهم يقابلون ذلك كلّه بمدلول هذه الآية: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت، الآية: ١ ـ ٣]»[(٣)].

والحقّ أنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب مُنذ ظَهورها في حريملاء إلى ارتحالها للعيينة ثمَّ استقرارها في الدرعية، وأعداؤها يحيكون لها الدسائس ويغزلون لها المؤامرات سراً وعلناً في نجد وغيرها، ويبثُّون الدعاية السيّئة في العامَّة والخاصة ضدَّ الدعوة وأنصارها آل سعود.

---

(١) سيأتي تفصيل ذلك في الفصل السادس.

(٢) سيأتي تفصيل ذلك في هذا الفصل.

(٣) عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤١٨/١).

والعلَّة في ذلك أنَّ «**كلّ ما جاء على خلاف معتقدهم هذا نبذوه وعادوه وأبغضوا القائم به وحاربوه بكلِّ ما عندهم من قوة**، ولو قد تبيَّنَ لهم الحق وقامت عليهم الحُجَّة، فهم مغلوبون على عقولهم لا يقدرون على فكِّها من الأغلال والقيود»[١]؛ «**لأنهم لا يعرفون غير ما نشؤوا عليه واعتادوه، سيَّما إذا ساعد العادة الاغترار بمن ينتسب إلى العلم والدين**»[٢].

ولم يكن الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٣١٩هـ/١٩٠١م) مبالِغاً حين وصف تلك الحال قائلاً: «فإنَّه ابْتُلِيَ بعض من استحوذ عليه الشيطان بعداوة شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللهُ تعالى ومسبَّتِهِ وتحذيرِ الناس عنه وعن مصنَّفاته، **لأجل ما قام بقلوبهم من الغلوِّ في أهل القبور وما نشؤوا عليه من البدع التي امتلأت بها الصدور**»[٣].

وهو عين الأمر الذي صوَّره المؤرخ حسين بن غنَّام الذي عايش تلك الأحداث، فقال: «وكان من أعظم الأسباب التي دعتهم إلى هذا الارتكاب: [هو] إعلان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ تعالى بما هو الحق والصواب والواجب المحتَّم على من بلغ مناطِ الثواب والعقاب، وهو التمسك والاعتصام بالسنّة والكتاب والعمل بما جاء من هدي الأصحاب، فَلَمَّا أَسْفَرَ كلامه نور هذا الفجر المنير الذي يهتدي به من أراد إلى الله

(١) محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (١٦ ـ ١٧).

(٢) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (٥٤٣/١١ ـ ٥٤٤).

(٣) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن، ضمن «الدرر السنية» (٥١٥/١).

المسير؛ صارت قلوبهم من ذلك فَرَقاً أعظم مَطيراً، وَسَعوا إلى عَذبِ ذلك النَّمير بالسعي إلى صافي سلساله بالتكدير»[١]، «وقالوا مثلما قال الأولون ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾ [ص: الآية ٥]، فأخذوا في ردّ دعوة الشيخ وإنكارها وأتوا بأعظم الأسباب، وزجُّوا في لُجَّة الضلال والارتياب، وضجُّوا على كلمة الحقّ بالتكذيب، وأثاروا عجاجات الافتراء عليه؛ فقالوا: إنَّ الشيخ ساحر ومفترٍ أو كذَّاب، وحكموا بكفره واستحلال دمه وماله وأصحابه»[٢].

وهذه حقيقة تاريخية أثبتها الشيخ محمد بن عبدالوهاب من قبل؛ حين قال: «**فلمَّا أظهرت تصديق الرسول ﷺ فيما جاء به، سبُّوني غاية المسبَّة وزعموا أنِّي أُكَفِّر أهل الإسلام وأَستَحِلّ أموالهم**»[٣].

وهذا صِنْو ما شهد به الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود حين قال: «**بيَّنَ الله لنا التوحيد في آخر هذا الزمان على يدي ابن عبدالوهاب وقمنا معه، وقام علينا الناس بالعدوان والإنكار لَمَّا خالف دين الآباء والأجداد**»[٤]؛ وهذا «**هو سبب عداوة الناس لنا وبغضهم إيَّانا، لمَّا أخلصنا العبادة لله وحده ونهينا عن دعوة غير الله** ولوازمها من البدع المضلَّة والمنكرات المغويَّة؛ فلأجل ذلك رمونا بالعظائم وحاربونا، ونقلونا عند السلاطين والحكام، وأجلبوا علينا بخيل

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢٢٨/١) باختصار لبعض عباراته.

(٢) المصدر السابق (٢١٦/١) بتصرفٍ يسير.

(٣) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ضمن «الدرر السنيَّة» (١١٤/١٠).

(٤) من رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن «الدرر السنية» (٢٧٩/١ ـ ٢٨٠).

الشيطان ورَجِلَه»[١].

وقَد وَثَّقَ الشيخ سليمان بن سحمان تلك الحقيقة التاريخية فقال:

فلم يخش في الرحمٰن لومة لائم ... ولا صدَّه كيدٌ من القوم قد طَمى
وكل امرئ أبدى العداوة جاهداً ... وبالكفر والتجهيل والبهت قد رمى
فأظهره المولى على كل من بغى ... عليه وعاداه فما نالا مغنما[٢].

وما أحسن وصف الإمام محمد بن علي الشوكاني لحال المعارضين لدعوة الشيخ، حين قال عنها:

ولمَّا دعا لله في الخلق صارخاً ... صرختم له بالقذف مثل الزواجل
أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعياً ... إلى دين آباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي ... أتانا بها طه النبي خير قائل[٣].

- رؤوس المعارضة النجدية:

لمَّا كان لكل معارضة رأس، فإنَّ واقع تلك الفترة يخبرنا بأنَّ «أَشَرَّ الناس والعلماء إنكاراً على الشيخ وأعظمهم تشنيعاً وسعياً بالشرِّ إليه؛ هو: سليمان بن سحيم (ت: ١١٨٠هـ/١٧٦٦م) وأبوه محمد[٤]،

---

(١) المصدر السابق (١/٢٦٢).

(٢) المصدر نفسه «١٦/٣٣٦».

(٣) «الدرر السنية» (١٦/٣٤٤).

(٤) يقول عبدالله البسام: أنَّ (أبو سليمان بن سحيم) وهو: محمد بن أحمد بن سحيم؛ له ردٌّ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فبذا ينضمّ محمد بن سحيم (أبو سليمان بن سحيم) إلى من عارض دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٢/٣٨٢).

من مطاوعة الرياض، ومثلهم المويس[١] من أهل منيخ[٢] وغيرهم كثير في نجد آنذاك. أما في الأحساء فقد برزت معارضة الدعوة من قِبَلِ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف (ت: ١١٨١هـ/١٧٦٧م)[٣] **ومحمد بن عبدالرحمٰن بن عفالق (ت: ١١٦٤هـ/١٧٥١م)[٤]، فصار كلٌّ من هؤلاء معانداً مجادلاً مشاقق، وحذَّروا منه جميع الأنام وأخرجوه من حوزة الإسلام وأغروا به الخاص والعام؛ خصوصاً السلاطين والحكام، وقطعوا لهم أنَّه رافض شريعة محمَّد عليه الصلاة والسلام وأنَّه مغيِّر لمنار السنة والأحكام وأنَّه ليس له منها تمسُّك والتزام وليس له ولا لأصحابه عهدٌ ولا ذِمَام، ولم يكن له قصد ولا مَرام إلا تنفير الخواص والعوام بما يبديه لهم من ذلك الكلام، فيقومون بمشاققة الحكام والولاة ويكونون عليهم عتاة، فهذا غايته ومناه ومنتهى مراده وأقصاه»[٥].**

هكذا كان أعداء الدعوة يشوِّهونها بتلك الأكاذيب والافتراءات. ولنبدأ بتعداد المشهورين منهم.

---

(١) هو عبدالله المويس، وقد مرت ترجمته في الفصل الثاني.

(٢) مُنِيخ: هي (المجمعة) وما حولها من واديها. كان هذا الاسم يُطلق عليها قديماً، ولا تُعرف إلَّا به، أمَّا الآن فقد أصبح هذا الاسم (مُنِيخ) أثريَّاً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٧٢/١) (٤٠٢/٢).

(٣) مرَّت ترجمته في الفصل الرابع.

(٤) من علماء الأحساء، وهو من أعداء دعوة الشيخ. انظر ترجمته عند: محمد بن عبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (٩٢٧ ـ ٩٢٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٠٩/٣). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٣٨/٦ ـ ٤٣).

(٥) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٨/١ ـ ٢١٩) بتصرفٍ يسير.

١ ـ سليمان بن سحيم وأكاذيبه على دعوة الشيخ.

معلومٌ من ترجمة سليمان بن سحيم أنَّه كان إماماً لقصر أمير الرياض دهام بن دوَّاس؛ الذي كان هو الآخر بدوره معادياً لدعوة الشيخ محمد، **فاجتمعت عداوة أمير الرياض (ابن دواس) ومطوّع الرياض (ابن سحيم) ضد دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، حتى أصبح سليمان بن سحيم واحداً من أشدّ المعارضين النجديين لدعوة الشيخ محمد السلفية وأكثرهم نشاطاً ضدّ انتشارها وتوسعها[١].

وقد كتب الشيخ لابن سحيم كتاباً لطيفاً فيه اللين والتقدير، إلا أن سليمان بن سحيم أظهر العداوة والبغضاء للشيخ ودعوته، فزوَّرَ ابن سحيم للناس برسائله أشياء لم تقع من الشيخ وليس لها أصل، فاحتدم الجدال بينه وبين الشيخ محمد[٢].

وأخذ يشيع إشاعات مِلْؤُها التحريض والتحريش في نجد وغيرها بأنَّ الشيخ مبتدعٌ ضال جاهل، كما أشاع بأنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عَمَدَ إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه، وهَدَمَ قبورهم وبعثرها، وأشاع أيضاً أنَّ الشيخ يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمّي عليها ويجعلها لله تعالى، ويدخل مع ذلك دفع شرّ الجنّ، ويقول: ذلك كفر، واللحم حرام[٣].

يقول ابن غنَّام عن ابن سحيم: أنَّه «يفتري الكذب الظاهر على

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٢/٣٨٢).

(٢) المصدر السابق (٢/٣٨١).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٤٤ ـ ٣٤٥).

الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ عداوةً منه لدين الله ورسوله وحَنَقاً وحسداً لهذا الشيخ وأتباعه أنْ خصَّهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة»[١].

ـ دحض أكاذيب ابن سحيم:

ردَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب على أكاذيب ابن سحيم ونسفها نسفاً ونقض رسالته حرفاً حرفا؛ وقبل أن يسوق ردَّه على سليمان بن سحيم، بيَّن الشيخ محمد في رسالته إلى عالم بلد المجمعة الشيخ عبدالله بن سحيم (ت: ١١٧٥هـ/١٧٦٢م)[٢] بأنَّ سليمان بن سحيم قد أيَّدَ دعوة الشيخ محمد في بدايتها، ولكنَّ سليمان خشيَ أن يرميه العامة بالجهل أو يرمونه بكتم العلم؛ لأنَّه لم يُبَيِّن لهم الشرك ومناقضة أفعالهم للتوحيد قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٣].

وهذا نصّ بيان الشيخ محمد بن عبدالوهاب لحقيقة تلك الأمور، حيث قال: «فإنَّ الذي راسلكم عدو الله [سليمان] ابن سحيم، وقد بيَّنتُ ذلك له فأقرَّ به[٤]، وعندنا كتب بيده في رسائل متعددة أنَّ هذا هو الحقّ، وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب: أعظمها البغي أن يُنزّل الله من فضله على من يشاء من عباده، **وذلك أنَّ العامة قالوا له ولأمثاله: إذا كان هذا هو الحقُّ، فلأيِّ شيءٍ لم تنهونا عن عبادة شمسان وأمثاله؟. فتعذَّروا: أنكم ما**

---

(١) المصدر السابق (٣٨٨/١).

(٢) عبدالله بن أحمد بن سحيم: يقول عنه البسام: بأنه أخف عشيرته معاداة للدعوة السلفية. انظر ترجمته عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨/٤ ـ ٤٠).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٤٨/١).

(٤) كان هذا من ابن سحيم في أول الأمر، ولكنه سينكص على عقبيه فيما بعد.

سألتمونا!!. قالوا: وإن لم نسألكم!، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحونا؟!. وظنّوا أن يأتيهم في هذا غضاضة، وأنَّ فيه شرفاً لغيره»[١].

ثم قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب مبيِّناً حال ابن سحيم: «واعتبر لنفسك؛ حيث كتبت لي فيما مضى أنَّ هذا هو الحق الذي لا شك فيه، لكن ما نقدر على تغيير، وتكلَّمتَ بكلام حسن، فلمَّا غربلك الله بولد المويس[٢] ولبَّسَ عليك، وكتب لأهل الوشم يستهزئ بالتوحيد ويزعم أنَّه بدعة وأنَّه خرج من خراسان»[٣].

ـ نقض شبهة ابن سحيم الأولى:

فيما يخصّ تهمة سليمان بن سحيم بأن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد عَمَدَ إلى قبور الصحابة التي في الجبيلة وهدمها وبعثرها، فإنَّ الشيخ محمد ردَّ على بهتان ابن سحيم وبيَّنَ الحق في ذاك الهدم، فقال منبِّهاً له: «أنَّه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يوماً واحداً؛ فإنَّها شعائر الشرك والكفر وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها بعد القدرة البتَّة. وهكذا حكم المشاهد التي بُنِيَت على القبور التي اتُّخِذَت أوثاناً تُعبَدُ من دون الله والأحجار التي تُقْصَد للتبرُّك والنَّذرِ

---

(١) من رسالة الشيخ إلى عبدالله بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٤٨/١).

(٢) هو عبدالله المويس.

(٣) من رسالة الشيخ إلى عبدالله بن سحيم موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٥١/١).

والتقبيل؛ لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالته، وكثيرٌ منها بمنزلة اللات والعزَّى ومناة الثالثة الأخرى، بل أعظم شركاً عندها وبها»(١).

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «لكن العجب من قولك: أنا هادمٌ قبورَ الصحابة، وعبارة **الإقناع**(٢) **في الجنائز: يجب هدمُ القباب التي على القبور؛ لأنها أُسِّسَت على معصية الرسول [انتهت عبارة الإقناع]**»(٣).

وفي كلام ابن غنَّام مزيد تفصيل، حيث يقول: «**الذي حدث من الشيخ** رَحِمَهُ اللَّهُ **وأتباعه أنَّه هَدَمَ البناء الذي على القبور والمسجد المجعولَ في المقبرة على القبر الذي يزعمون أنَّه قبر زيد بن الخطَّاب** رضي الله عنه، **وذلك كذبٌ ظاهر؛ فإنَّ قبر زيد بن الخطاب** رضي الله عنه **لا يُعرَف أين موضعه، بل المعروف أن الشهداء من أصحاب رسول الله** ﷺ **قُتِلُوا في أيام مسيلمة في هذا الوادي [وادي حنيفة]، ولا يُعرَف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم، ولا يُعرف قبر زيد من قبر غيره، وإنما كذب ذلك بعض الشياطين وقال للناس: هذا قبر زيد، فافتتنوا به وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد للزيارة، ويجتمع عنده جمعٌ كثير، ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات؛ فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء الذي على قبره وذلك المسجد المبنيَّ على المقبرة، اتِّباعاً لما أمر الله به رسوله** ﷺ **مِن تسوية القبور والنهي الغليظ الشديد في بناء مساجد**

---

(١) المصدر السابق (٣٥٩/١).

(٢) يقصد كتاب «الإقناع لطالب الانتفاع» لشرف الدين الحجاوي. وهو كتابٌ في فقه الإمام أحمد بن حنبل.

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٦١/١). وعبارة الإقناع موجودة في: «الإقناع لطالب الانتفاع» (٣٦٨/١) لشرف الدين الحجاوي.

عليها كما يعرف ذلك من له أدنى مَلَكَة من المعرفة والعلم»(١).

وقد بحث المؤرخ البلداني عبدالله بن خميس (ت: ١٤٣٢هـ/٢٠١١م) تحديد مكان قبر زيد بن الخطاب، وأثبت أنَّه لا تصحُّ نسبة هذا القبر إلى زيد بن الخطاب(٢).

ـ نقض شبهة ابن سحيم الثانية:

اتَّهَمَ ابن سحيم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بتكفير من يذبح للجنِّ، وأنَّه يقول إنَّ الذبيحة المذبوحة للجنِّ لحمها حرام.

وهذا الأمر لم ينفِهِ الشيخ عن نفسه، بل هو يُوَكِّدَه لأنَّه الحق، وَوَكَّدَه عنه تلميذه الشيخ حسين بن غنَّام، فقال: «**ومن العجب أنَّ ذلك** [الذبح للجنِّ] **يُفعل في بلدان العارض وغيرها، لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله، بل منهم من يفتي الجهال بذلك** ويقول: اذبحوا على هذا الصبي أو هذا المريض ذبيحة للجنِّ ولا تُسَمُّوا عليها؛ وقصده بذلك أنَّ الجنَّ يزيلون ذلك المرض إذا ذُبِحَت لهم تلك الذبيحة.

فلمَّا أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلَّغَ كلامَ الله ﷻ وكلامَ رسوله ﷺ وكلامَ أهل العلم: أنَّ ذلك كفر ورِدَّة؛ يُنكر ذلك عليه من يَزعم أنَّه من العلماء، فهل يشكّ أحد من العلماء أنَّ ذلك كفر وشرك وعبادة للجن؟، نعوذ بالله من الخذلان.

وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النيَّة وقصده بذلك أن

---

(١) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (١/٣٦٢ ـ ٣٦٣).

(٢) أوردنا بحث المؤرخ عبدالله بن خميس في الفصل الثاني.

يبرئ الله مريضه، فهذا عمل خالص لله لا ينكره مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، فضلاً عن أن يجعله كفراً وردة. ولكن هذا الخبيث يفتري الكذب الظاهر على الشيخ رَحِمَهُ اللهُ؛ عداوة منه لدين الله ورسوله، وحَنَقاً وحسداً لهذا الشيخ وأتباعه، أن خصَّهم الله بهذه الفضيلة وهذه النعمة والمنحة الجسيمة، ومراده بذلك إطفاء هذا النور بالكذب والزور والفجور ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة: ٣٢]»[١].

٢ ـ عبدالله المويس:

معارضٌ آخرَ للدعوة فعل ذات فعل ابن سحيم بالتشنيع؛ وهو عبدالله المويس (ت: ١١٧٥هـ/١٧٦٢م) قاضي بلدة حَرمَة.

وينبغي التنبيه على أمرٍ مهم في ترجمة المويس، سَيَسْتَبِين معه دافع الحسد الذي دفعه لمعارضة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية؛ وهو: أنَّ عبدالله المويس كان قد طلب العلم على يد مشايخ نجد ثم ارتحل إلى دمشق للأخذ من علمائها، فأخذ عنهم ثمَّ عاد إلى وطنه ليجلس للإفتاء والتدريس، فصادف رجوعه قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب لنشر دعوته السلفية، فهاجمه المويس وأخذ يردّ على الشيخ محمد وأتباعه، فصار من أكبر المعاندين لهم.

ثمَّ صار المويس يتهم ـ في إحدى رسائله إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ بأنَّ الشيخ ينقض التوحيد بتكفيره للمسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم بلا برهان على طريقة الخوارج. واتهم المويس الشيخ محمد وأتباعه أنَّهم يقنتون في صلاتهم ليدعوا على المسلمين.

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٨٨/١).

والحقُّ أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه مبرؤون من القنوت في الصلاة وغيرها إلّا على من يرونَ أنَّه أتى من الأعمال ما يُعتبر خروجاً من الملَّة المحمدية، فهم بعد أنْ يُوَضِّحوا له ويدعونه بالتي هي أحسن، فإنْ قَبِلَ فهو منهم، وإنْ أبى وأصرَّ بعد إبلاغه والإعذار إليه فإنَّهم يستعينون بالله تعالى عليه بدعائه وبالجهاد المشروع[١].

وقد ردَّ الشيخ على مثل تلك الأكاذيب فقال: «**وأمَّا القول أنَّا نُكفِّر بالعموم!، فذلك من بهتان الذين يصدُّونَ به عن هذا الدين، ونقول:** ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]»[٢].

وفي أوّل الدعوة كتب الشيخ محمد رسالة إلى المويس وكتب إلى ابن إسماعيل وابن عبيد[٣]، وكانت كتابته لهم بلطفٍ ولين، فشرح لهم دعوته وأيَّدها بالنصوص، إلّا أنَّهم لم يستجيبوا له، مما أثار الجدال بينهم بعد ذلك، فأرسل المويس ومن معه رسائل لأهل نجد يتهمون الشيخ محمد بما هو بريء منه وطعنوا في دعوته طعناً كاذبا؛ وفي تلك الرسائل أعطى أولئك الأعداء أسماء مختلفة لما تضمنته الدعوة، فقالوا عنها: **دين أهل العارض**[٤]، وقالوا: **إنَّه مذهب خامس**[٥]، **كما ادعوا أنه بدعة**

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٦٤/٤ ـ ٣٦٥).

(٢) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى إسماعيل الجراعي، تجدها ضمن «الدرر السَنيَّة» (١٠٠/١).

(٣) ابن إسماعيل وابن عبيد من أعداء الدعوة السلفية في نجد.

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٩٥/١) (٤٠٩) (٤٤٢).

(٥) انظر: رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن: «الدرر السنية» (٥٤٣/١١ ـ ٥٤٤).

خرج أول ما خرج من خراسان[١].

وبعد صبر من الشيخ على المويس استنفد جهده في دعوته ورجاء رجوعه إلى الحقّ، عامله الشيخ محمد بالمثل؛ بأن حذَّرَ الناس من المويس وبيَّنَ لهم أعماله، وأنَّ كلّ فائدته التي حصل عليها من ذهابه إلى الشام: أنْ جاء بحِمْلِ كتبٍ بطريقٍ غير مشروعة، إذ قال الشيخ محمد: «فيا عجباً من رجلٍ يدّعي العلم، وجاي من الشام بِحِمْلِ كتب، فلمَّا تكلَّمَ إذ أنَّه لا يعرف الإسلام من الكفر»[٢].

وقد يكون لكلام الشيخ محمد تأييد من التاريخ أيّدَه الله به، **فمسألة استيلاء المويس على تلك الكتب من الشام ربما هي التي ذكرها العلامة الشيخ عبدالقادر بن بدران** (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م) في كتابه «منادمة الأطلال» حينما أرَخَ للمدرسة العمرية في مقرّ الحنابلة بصالحية دمشق، فقال: «**وقد كان بها خزانة كتب لا نظير لها، فلعِبَت بها أيدي المختلسين، إلى أنْ أتى بعض الطلبة النجديين فسرق منها خمسة أحمال جَمَل من الكتب وفرَّ بها**»[٣].

الحاصل؛ أنَّ المويس قام بإرسال كتاب إلى أهل الوشم يستعديهم فيه على الشيخ ودعوته، ويهوّن فيه على أهل الوشم أمر البدع المنتشرة، ويستهزئ في هذا الكتاب بالتوحيد ويزعم أنه بدعة وأنه خرج من خراسان، ثم كرر المويس إرسال المكاتيب المشابهة

---

(١) انظر: رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٥١/١).

(٢) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعبدالله بن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٢٧/١).

(٣) عبدالقادر بن بدران «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» (٢٤٤).

إلى أهل سدير والقصيم[(١)].

إلى جانب ذلك؛ كان المويس يقاوم ما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب يدعو له من لزوم صلاة الجماعة؛ فكان المويس يثبّط الناس عنها ويخفّف من شأنها، فَنَبَّهَ الشيخ أحمد المانع (ت: ١١٨٦هـ/١٧٧٢م)[(٢)] على خطورة تثبيط المويس للناس من لزوم صلاة الجماعة، حيث قال ابن مانع: «**بلغني أنَّ المويس ثبَّطَ جماعتكم عن المحافظة على صلاة الجماعة وهوَّنَ أمرها، فيا عجباً**؛ هل كان المويس أعلم من رسول الله ﷺ وأصحابه؟ فإنَّ رسول الله ﷺ لم يُرخِّص لسامع النداء في التخلّف عن صلاة الجماعة من غير عذر، فلا يصرفنَّكم عبدالله المويس وغيره عن صلاة الجماعة بقوله: هم خوارج؛ يعني أهل العارض، وما نقَمَ عليهم إلا أنهم يعلِّمون الناس دينهم الذي أعظمه شهادة ألّا إلٰه إلّا الله ويبينون لهم أنواع الشرك، ويأمرون بالمحافظة على الصلاة مع الجماعة ويأمرون بالزكاة، وينهون عن المنكرات التي أكبرها الشرك بالله، وينهون عن الفواحش ويقيمون الحدّ، وينهون عن الظلم، حتى أنَّ الضعيف يأخذ الحقَّ ممن هو أقوى منه، وقد كان الناس قبل هذا الأمر بعكس ذلك، ولم يوجد أحد يعيب ذلك، فلمَّا بيَّنَ [الشيخ محمد بن عبدالوهاب] لهم أمر الدين واشتغلوا بالعلم وتعليمه وبإقامة أمر الله وحضّ الناس عليه، قام

---

(١) انظر: رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب عند: حسين بن غنام «تاريخ بن غنَّام» (٤٢٤/١).

(٢) الشيخ أحمد بن مانع الوهيبي التميمي، ممن ناصر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. توفّي بالدرعية في شهر رمضان ١١٨٦هـ. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٥٠٤/١ ـ ٥٠٧).

المويس وأمثاله **يصيحون ويقولون: أهل شقراء وأهل العارض مرتدون، وأهل العارض خوارج**، فإذا قيل له: أهل العارض وأهل شقراء يطلبون منك الدليل على ما قلت إن كنتَ صادقاً فَرُدَّ عليهم من كتاب الله أو سنَّة رسول الله ﷺ ولو في مسألةٍ واحدة حتى يُقبَل كلامك»[(١)].

٣ ـ سليمان بن عبدالوهاب أخو الشيخ محمد:

كان له دورٌ كبير في الوقوف ضدّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، إذ حرّضَ أهل حريملاء على الثورة ومحاربة التوحيد عام ١١٦٥هـ/١٧٥١م، فتواطؤوا على قتل أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكان الشيخ محمد قد أحسَّ أنَّ من وراء تلك الأمور أخيه سليمان بن عبدالوهاب، فناصحه، إلا أنَّ سليمان استمرَّ في معارضة الدعوة وترصد إضعافها، حتى أنّه ألف كتاباً يفتري فيه على أخيه الشيخ محمد ويتنقَّص دعوته السلفية، سمَّاه «**فصل الخطاب في الردّ على محمد بن عبدالوهاب**»[(٢)].

يقول ابن غنَّام: «وفيها [سنة ١١٦٥هـ/١٧٥١م] وقعت من أهل حريملاء الردَّة والافتنان، واجتمع على ذلك كلّ إنسان من أهل الفساد والعصيان، وَتَمَالَؤُوا على قتل من عندهم من أهل التوحيد والإيمان... فاستنشق الشيخ [محمد] من أخيه سليمان أنَّه لأسباب الردَّة معوان، وأنَّه يُلقي إلى الرُّؤسا وخاصة من الجُلسا شُبهاً كثيرة،

(١) من رسالة الشيخ أحمد بن مانع إلى بعض أهالي نجد، موجودة عند: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥٠٤/١ ـ ٥٠٦).

(٢) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٤٠).

وإنَّما دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغِيرَة، فلأجل إلقائه عليهم الشُّبَه وترويجه بما خفي معنىً واشتبه، كاتبه الشيخ وناصحه، بل أنَّبَهُ وكافحه وحذَّرَه شؤم العاقبة... فلم تُجدِه النصائح والإنذار، ولم يجنح إلى منهج الاعتبار ومحجَّة الاستبصار... بل طلب واختار ركوب كواهل الأخطار»[1].

وفي عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م كتب سليمان بن عبدالوهاب إلى أهل العيينة كتاباً فيه كثير من الشبه المزخرفة والأقاويل المحرَّفة وأحاديث أوهى من نسيج العنكبوت، فَقُرِئَ في محافل العيينة وبيوتها، وألقى في قلوب أهل البلد شُبَهاً مضرّة، غيَّرَت قلوب من لم يعرف مصادر الكلام بالإتقان.

ولم يَزَل سليمان بن عبدالوهاب على حالته يرسل الشُّبَه في الكتب إلى أهل العيينة مع من خرج ودخل ويبذل في ذلك الجِدَّ في العمل[2].

الحاصل؛ أنَّه بعد فتح أهل الدعوة لحريملاء عنوةً عام ١١٦٨هـ/١٧٥٤م، هرب سليمان بن عبدالوهاب ماشياً إلى أن وصل سدير سالماً، ثم استقرَّ في الزلفي التي كانت مكاناً لاجتماع المعارضين للدولة والدعوة[3].

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٦٩١/٢ ـ ٦٩٢).

(٢) انظر: المصدر السابق (٦٩٥/٢ ـ ٦٩٦).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٣٦/٢ ـ ٧٣٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٧١/١ ـ ٧٢).

٤ ـ معارضون آخرون في نجد:

ظهر في نجد غير ابن سحيم والمويس وسليمان بن عبدالوهاب معارضون جَدّوا واجتهدوا في مناوأة الشيخ ودعوته ومناهضة دولة آل سعود في الدرعية أوَّل نشأتها ونصرتها لدعوة الشيخ؛ ومن هؤلاء الشيخ عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن رزين بن عدوان (ت: ١١٧٩هـ/١٧٦٥م)[١] من أهل أثيثية[٢]، وعنه قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام: «وقد رأيت له رسالة تقع في نحو ثماني كراسات من القطع الصغير خطيَّة، رد بها على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلى دعوته، **وقد أقذع في هذا الردّ، وتهجَّمَ على الشيخ ورجال الدعوة**، وعندي صورة منه»[٣].

ومن المعارضين أيضاً **عبدالمحسن بن علي بن شارخ** (ت: ١١٨٧هـ/١٧٧٣م)[٤] الذي كان من أهل الوشم ثمَّ رحل إلى الزبير،

---

(١) عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن رزين بن عدوان الرزني الحنظلي نسباً الأثيثيّ النجدي بلداً. من أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٥٤٠ ـ ٥٤٤). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام «علماء نجد» (٣/٤٠٦ ـ ٤٠٩).

(٢) أثيثية أو أثيفية: من قرى (الوشم)، تقع بين (ثرمداء) و(القرائن)، وهي اليوم كائنة في (إمارة الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٥٧ ـ ٥٨).

(٣) عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٤٠٨).

(٤) عبدالمحسن بن علي بن شارخ، من أهل (أشيقر) في (الوشم). كان من طلاب ابن فيروز ومن أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. رحل من نجد إلى (الزبير) ومات في وباء الطاعون الذي اجتاحها سنة ١١٨٧هـ. انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب لوابلة» (٢/٦٦٨ ـ ٦٧٠).

قال محمد بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م)[١]: «**له تأليفٌ ردَّ به على طاغيةِ العارِض**»[٢].

وفي هذا نلمح العصبية الظاهرية ضدّ الشيخ من عنوان الردّ، وقد أظهر الله الحقّ وانتشرت دعوة الشيخ ونفع الله بها أُمَماً جيلاً بعد جيل، ولعبدالرحمٰن العثيمين تعليق جميل على عنوان هذا الردّ قال فيه: «**هكذا تُبتلى الأشراف بالأطراف، ويعالجون غَيْظ قلوبهم بمثل هذا الضِّبَاحُ، وهو أبداً حيلة العاجزين المفلسين**»[٣].

كما ظهر من المعارضين الشيخ سيف بن أحمد العتيقي النجدي (ت: ١١٨٩هـ/١٧٧٥م)[٤] الذي جمع غالب الافتراءات التي كتبها أعداء الدعوة والدولة، وجعلها في كتابٍ واحد. ويُنقَل عن محمد بن فيروز (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م) أنَّه قال معجباً بصنيع العتيقي ما نصّه: «**جَمَعَ غالب ما رُدَّ به على طاغية العارض فبلَغَ سفراً ضخماً**»[٥]. على أنَّ العتيقي ذهب هو وما جمعه أدراج الرياح وقامت الدعوة الإصلاحية سنيَّة سلفية على سُوقِها، وهكذا يُحقّ الله الحقّ ويُبطل

---

(١) محمد بن عبدالله بن علي بن حميد: من أعداء الدعوة الحاقدين عليها. كتب ردّاً عليه وبياناً لحاله الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن رسالةً سمَّاها «المحجَّة في الردِّ على اللجَّة»، واللجَّة لقبٌ لمحمَّد بن حميد؛ لُقِّبَ به لكثرة كلامه ولَغَطِهِ. انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٨٩/٦ ـ ٢٠٤).

(٢) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٦٧٠/٢).

(٣) من حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على كتاب «السحب الوابلة» (٦٦٩/٢ ـ ٦٧٠) لمحمد بن حميد.

(٤) مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

(٥) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٤١٨/٢).

الباطل[(١)].

وقد علّق الشيخ صالح آل عثيمين (ت: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)[(٢)] على كلمة ابن فيروز التي قال فيها «ردّ به على طاغية العارض»، فقال آل عثيمين: «وقوله: ما ردّ به على طاغية العارض. أراد بذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب مجدِّد القرن الثاني عشر، وقد عُلِمَ ما جرى بين الشيخ وأتباعه وابن فيروز وأتباعه، فلا يُلْتَفَت إلى هذه التشنيعات التي منشؤها الحسد والتعصّب، وقد تمَّ ولله الحمد للشيخ وأتباعه ما قاموا به وبذلوا فيه مُهَجَهُم من الدعوة إلى الله ورسوله، حتى بلغت دعوتهم مشارق الأرض ومغاربها، **فلا تأتي بلداً إلَّا وتجدُ هذه الدعوة قائمة وأنصارها كثيرون، بخلاف خصومه [الذين] انقرضوا وانقرض ذكرهم**»[(٣)].

* استقواء المعارضة النجدية بالخارج:

لمَّا فشل ابن سُحيم والمويس في سَوْقِ أكاذيبهم على الدولة السعودية والدعوة السلفية وداعيها، اتخذ أولئك الأعداء سبيلاً آخر في معارضتهم، وهو سبيل التحريش والتحريض واختراع التهاويل وإشاعتها في الحجاز واليمن والأحساء والعراق؛ ليخوّفوا بها من لم يعرف الدولة

---

(١) انظر: حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على: «السحب الوابلة» (٤١٨/٢) لمحمد بن حميد.

(٢) صالح بن عبدالعزيز بن عبدالرحمٰن بن عثيمين، وهو ليس من آل عثيمين الموجودين في (عنيزة) و(شقراء). وُلِدَ الشيخ في (بريدة) سنة ١٣٢٠هـ ١٩٠٢م، ثمَّ سافر (مكة) وتوفي بها. انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٨٨/٢ ـ ٤٩٤).

(٣) صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٢٢/٣).

والدعوة مِمَّن كانوا خارج نجد، «وأفتوا السلاطين والحكّام: بأنَّ القائم بدعوة التوحيد؛ خارجيّ ليس له في الحقّ تثبّت ولا قرار، وأنَّه من أقبح الضلّال والفسّاق والكفّار وأشرّ الخوارج الفجّار، ولقد عرفوا أنَّ الذي جاء به الحقّ، ولكنهم لذلك يكتمون، فصنَّفوا المصنفات في تبديعه وتضليله، فأطبق أهل الباطل والضلال على قبيح الأقوال وأرهفوا أسِنَّة المقال والكلّ خاض في الإفك ونال»[١].

ـ الاستقواء بالعراق:

وشاهد ذلك؛ أنَّ ابن سحيم أرسل رسالة إلى العلماء في العراق والأحساء والحجاز وغيرها؛ تحريشاً منه وتحريضاً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودعوته السلفية.

وهذا بعض ما ورد في تحريض ابن سحيم الذي قال فيه: «من الفقير إلى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم، إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخُدَّام شريعة سيد ولد آدم... فالذي يحيط به علمكم؛ **أنَّه قد خرج في قُطرنا رجلٌ مبتدع جاهلٌ مضلٌّ ضالٌّ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل**[٢]، **جَرَت منه أمور فضيحة وأحوال شنيعة؛ منها شيء شاع وذاع وملأ الأسماع، وشيءٌ لم يتعدّ أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين؛ ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور، ويردّوا على بدعه وضلالاته وجهله وهفواته.**

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢١٦/١ ـ ٢١٨).

(٢) هو يسألهم عن الشيخ ثمَّ يسابقهم في الحكم عليه بتلك الأوصاف الغريبة! فهو إنَّما يبحث عن التأييد وليس الحق. فتأمَّل.

فمن بدعه وضلالاته: أنَّه عَمَدَ إلى شهداء أصحاب رسول الله ﷺ الكائنين في الجبيلة؛ زيد بن الخطاب وأصحابه وهَدَمَ قبورهم وبعثرها[١]، ومنها: أنَّه أحرق [كتاب] **دلائل الخيرات**[٢]؛ **لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا، وأحرق أيضاً [كتاب] روض الرياحين**[٣]، **وقال: هذا روض الشياطين، ومنها أنَّه صحَّ عنه أنَّه يقول: لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاب خشب، ومنها أنَّه ثبت أنَّه يقول: الناس من ستمئة سنة ليسوا على شيء**[٤]... ومنها: أنَّه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي.

---

(١) تمت مناقشة تلك الشبهة حين الحديث عن معارضة ابن سحيم لدعوة الشيخ، فلا حاجة لإعادة ما سقناه من قبل.

(٢) كتاب «دلائل الخيرات» لمحمد بن سليمان بن داوود بن بشر الجزولي السملالي الشاذلي (ت: ٨٧٠هـ/١٤٦٥م)، وهو فقيه صوفي من أهل (سوس) المُرَّاكِشِيَّة. ابتدع في كتابه صلوات على النبي ﷺ مُحدَثَة لا أصل لها. وله أتباعٌ يسمّون الجزولية من الشاذلية. مات مسموماً في مكانٍ يقال له (آفغال). انظر ترجمته عند: أحمد ابن القاضي المكناسي «جذوة الاقتباس» (٣١٩). وخير الدين الدين الزرِّكلي «الأعلام» (١٥١/٦).

(٣) هو كتاب «روض الرياحين في حكايات الصالحين» للصوفي اليمني عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، من شافعية اليمن (ت: ٧٦٨هـ/ ١٣٦٧م)، وهو كتابٌ محشوٌّ بالخرافات. وهو صاحب التاريخ المعروف «مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان». انظر ترجمته عند: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة» (٢٤٧/٢ ـ ٢٤٩). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧٢/٤).

(٤) لم تقتصر تلك التهمة على الإمام المجدد فقط، بل وجَّهها الأعداء لآل سعود أيضاً، كما سيأتي بيانه.

فبيِّنوا رحمكم الله ذلك للعوام المساكين الذي لبَّسَ عليهم وأبطَلَ عليهم الاعتقاد الصحيح، **فإن رأيتم أنَّ ذلك صواب فبيِّنوه لنا ونرجع إلى قوله**(١)، **وإن رأيتموه خطأً فاردعوه وازجروه وبيِّنوا للناس خطأه، فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قُطرِنا، فتداركوا رحمكم الله الأمر قبل أن يرسخ في النفوس، لأنَّ ذلك إظهار للحق عند خفائه وإدحاض للباطل**»(٢).

فظهر تبعاً لتحريض ابن سحيم أن كتب **أحمد القباني** (كان حيّاً سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م)(٣) مجلداً ضخماً سمَّاه «**فصل الخطاب في ردّ ضلالات ابن عبدالوهاب**» يزيد على مئتين ورقة، وهذا الكتاب جواب على رسالة ابن سحيم التي بعثها إلى علماء الأمصار تحريضاً على الشيخ وتشويهاً لدعوته السلفية، ويظهر من هذا الكتاب شدّة إلحاح ابن سحيم على أولئك العلماء ليردّوا على الإمام المجدد ودعوته، حيث أنَّه تكرر منه الطلب مرة ثانية، كما يذكره القباني، فكتب القباني هذا المجلد(٤).

---

(١) يكذب، هو لا يبتغي الرجوع إلى الحق لو أظهروه له، إنَّما غرضه تأييدهم له فيما افتراه على الشيخ، بدليل: أنَّه قدَّم وصفه للشيخ بأنَّه ضال مبتدع، ثم قال لهم اصطادوه كما تصطاد أحرار الصقور صغار بغاث الطيور. هذا ما يريده بالضبط.

(٢) من رسالة ابن سحيم، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٣٤٤/١ ـ ٣٤٧).

(٣) هو أحمد بن علي البصري الشهير بالقبَّاني، كتب ردَّه على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحشاه بالأباطيل، وصار كتابه مرجعاً لأغلب المهاجمين لدعوة الشيخ، بالرغم من زيف ما كتبه القباني. انظر ترجمة القبَّاني عند: عبَّاس العزَّاوي «تاريخ العقيدة الإسلامية» (٣٧٠) (٤١٠ ـ ٤١٢) (٤٢٨).

(٤) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٤٤) (٩٥).

وقد كشف الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن تهاويل وأكاذيب ابن سحيم التي اخترعها فنقضها ونسفها نسفاً؛ ومن ذلك افتراؤه على الشيخ بأنَّه أحرق كتابي «دلائل الخيرات» و «روض الرياحين»، فبيَّن الشيخ ما حدث على الحقيقة قائلاً: «**أما دلائل الخيرات فله سبب؛ وذلك أنِّي أشرتُ على مَنْ قَبِلَ نصيحتي من إخواني ألّا يصير في قلبه أَجَلّ من كتاب الله، ويظنّ أنَّ القراءة فيه أجلّ من القرآن**»[1].

أقول: وهذا صحيح؛ **فقد لقي ذلك الكتاب رواجاً عظيماً في مجتمعات المسلمين في ذلك العصر، حتى صار بمكانة قريبة من القرآن العظيم عند بعضهم؛ إذ كان يوضع جنباً إلى جنب مع المصاحف الشريفة في المساجد والجوامع**[2]، **بل كان بعضهم يحبس الأوقاف على من يتلون القرآن ومن يَقْرَؤُونَ كتاب دلائل الخيرات؛ حيث حَبَسَ سلطان المغرب السلطان محمد بن عبدالله (ت: ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م)**[3] **خراج غابةٍ من الزيتون أَوْقَفَ نصفها للحرمين الشريفين والنصف الآخر تُصرَف للطلبة الذين يقرأون في بلاد المغرب**

(١) من رسالة الشيخ إلى ابن السويدي عالمٌ من أهل العراق، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤١٣/١).

(٢) انظر: علي بن بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» (٤٢٤/١).

(٣) هو المَوْلَى محمد (المتوكل على الله) بن عبدالله بن إسماعيل بن الشريف الحسني، المالكي مذهباً الحنبلي اعتقاداً، من ملوك الدولة السجلماسية العلوية بالمغرب. وهو أوّل من اتخذ (مُرَّاكِشْ) عاصمة له. انظر أخباره عند: أحمد الناصري السِلَّاوي «الاستقصا» (٣/٨ ـ ٦٥). وترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢٤١/٦ ـ ٢٤٢).

الأقصى كتاب دلائل الخيرات[١].

وكان بعض من يحملون رسوم العلم آنذاك **يحرصون على ختم كتاب «دلائل الخيرات» بين العشائين كلّ يوم**؛ مثلما حصل لبنداود (ابن داوود) ابن العربي الشرقي[٢] من أهل المغرب الأقصى[٣].

وكان الوزير أحمد بن المبارك (ت: ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م)[٤] وزير سلطان المغرب من المواظبين على قراءة «دلائل الخيرات» حضراً وسفراً، ويحمله معه في جيبه ولا يفارقه، وكلَّما وجد فسحة من الأشغال أخرجه وقرأ ما تيسَّرَ مِنْه[٥].

وكان الموسرون وأصحاب الثروة والمكانة يسارعون إلى نشر «دلائل الخيرات»، ويحبسون الأوقاف لأجله، ويمنحون الجوائز لمن حفظه وقرأه؛ مثلما فعل أحمد بن القائد المُرَّاكِشي (ت: ١٢٩٢هـ/١٨٧٥م)[٦]؛ حيث نشر «دلائل الخيرات» في جميع أقاليم

---

(١) انظر: عبدالرحمن ابن زيدان السجلماسي «إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس» (٢٠٩/١).

(٢) متصوّف مغربي على الطريقة الناصرية. ت: ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠م. انظر ترجمته عند: العباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام» (١٩٣/١ ـ ١٩٤).

(٣) انظر: المصدر السابق (١٩٣/١).

(٤) انظر ترجمته عند: العباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام» (٤٠٣/٢ ـ ٤٠٤).

(٥) المصدر السابق (٤٠٣/٢).

(٦) هو أحمد بن القائد عمر بن أبي ستَّة المُرَّاكِشي، من أهل مُرَّاكِش، توفِّيَ في (فاس). انظر ترجمته عند: العباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام» (٤١٨/٢ ـ ٤١٩).

المملكة، **«وكان له طائفةٌ من الطلبة يكرمهم ويكريهم على ملازمة انتساخ (الدلائل)، ثمَّ يجمع عدداً ثمَّ يسفره ويجلّده، وحيثما جاءت الأركاب من الآفاق يعطيهم عدداً من النسخ مجاناً، ثمَّ زاد أنْ جَعَلَ للعميان الملازمين مقام أبي العباس السبتي خراجاً على حفظه، فلم يلبثوا أن حفظوه عن ظهر قلب، ثمَّ عَمَدَ إلى أنْفَسِ بساتينه فحبَّسه على من يقرأ [الدلائل] تجاه الروضة الشريفة بالمدينة المنوَّرة»**[١].

هذا فيما يخصُّ الغلو بكتاب «دلائل الخيرات» وأنَّه غدا لدى معظم الناس آنذاك قريباً من مكانة القرآن عندهم، وهو ما يؤكِّد حجَّة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التحذير من هذا الكتاب.

أمَّا أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب أمر بإحراق «دلائل الخيرات» لأجل ما فيه من الصلاة على النبي، فهذا زورٌ وبهتان، فإنَّ الشيخ محمد قال نصَّاً عن تلك الأكذوبة: **«أمَّا إحراقه والنهي عن الصلاة على النبي ﷺ بأيِّ لفظٍ كان، فهذا من البهتان»**[٢].

أمَّا بالنسبة لتشنيع ابن سحيم على الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ بأنَّه أحرق كتاب «روض الرياحين» وأنَّه سمَّاه «روض الشياطين». فهذا أيضاً من الكذب والزور المبين، **وكل ما في الأمر أنَّ الشيخ أنكر، كما أنكر غيره من علماء المسلمين، مِمَّا ورد في الكتابين من ترَّهات الصوفية وشطحاتهم الرديَّة المخالفة للسنَّة المحمديَّة التي تَمُجُّها الطباع التي سلمت من العصبيَّة وتنفر عنها الأسماع السليمة من الباطل**[٣].

---

(١) المصدر السابق (٢/٤١٩).

(٢) من رسالة الشيخ إلى ابن السويدي عالمٌ من أهل العراق، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤١٣).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٧٤).

أما مسألة اتهام ابن سحيم للشيخ بأنَّه قال: لو أقدر على حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على أخذ ميزابه وأبدله بميزاب خشب، فهي فرية سيأتيك نقض الشيخ لها، ولكنَّ الملفت في الأمر تواطؤ أعداء التوحيد على تردادها، فهذا أحمد القباني قد ردَّد فرية ابن سحيم هذه في كتابه «فصل الخطاب» وقال: «فظهر لك أنَّ قول هذا المخذول لو أقدر على هدم حجرة الرسول هدمتها، قولُ من لم يتبع سبيل المؤمنين في تعظيم حرمات سيد المرسلين، بل إنَّما ذلك قول من اتبع واقتدى بإبليس اللعين، ومن تنقيص مقام حبيب ربّ العالمين»[(١)].

مع العلم أنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنكر ودحض هذا الافتراء، ودلَّلَ على أنَّ هذا كلُّه داخل في البهتان الذي أتى به أعداء الدعوة؛ «**فكيف يدخل هذا في عقل عاقل؟ هل يقول هذا مسلم أو كافر أو عارف أو مجنون؟ كقولهم أنَّه يقول: لو أقدر أهدم قبة النبي ﷺ لهدمتها**»[(٢)].

أما موضع اتهام ابن سحيم للشيخ محمد بن عبدالوهاب من أنَّه يقول: الناس من ستمئة سنة ليسوا على شيء. فهذا بيَنه الشيخ في قوله: «**أمَّا ما ذكر الأعداء عني أنِّي أكفِّر بالظنِّ والموالاة أو أكفِّر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتانٌ عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله ﷺ**»[(٣)].

---

(١) نقلاً عن: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٩٦).

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٤٩/١) (٤١٣).

(٣) من رسالة الشيخ محمد إلى محمد بن عيد، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٣٩/١).

ويقول الشيخ أيضاً عن الذين رموه بذلك: «**وأجلبوا علينا بخَيلِ الشيطان ورَجِلِه؛ منها إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه فضلاً عن أن يفتريه، منها: أنّي أكفر جميع الناس إلا من اتبعني وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة**»[(١)]، «**فأنا أكفّر من عرف دين الرسول ﷺ، ثم بعدما عرفه سبّه ونهى الناس عنه وعادى من فعله، فهذا هو الذي أكفِّره، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك**»[(٢)].

وقد كان الأعداء قد وجَّهوا لآل سعود نفس التهمة، وردَّ عليها ونقضها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في رسالته لأهل الروم وبلاد العجم، قائلاً: «**إنَّه يأتيكم أعداءٌ لنا يكذبون علينا عندكم ويرموننا عندكم بالعظائم، حتى يقولوا: إنَّهم يسبُّونَ النبي ﷺ ويكفِّرونَ الناس بالعموم، وإنَّا نقول: إنَّ الناس من نحو ستمئة سنة ليسوا على شيء وإنَّهم كفَّار، وإنَّ من لم يهاجر إلينا فهو كافر، وأضعاف ذلك من الزور الذي يعلم العاقل أنَّه من الظلم والعدوان والبهتان. ونحن لا نكفِّر إلا من عرف التوحيد وسبَّه وسمَّاه دين الخوارج، وعرف الشرك وأحبَّه وأحبَّ أهله ودعا إليه وحضَّ الناس عليه بعدما قامت عليه الحُجَّة**»[(٣)].

ثم يجيء قول ابن سحيم بأنَّ الشيخ محمد بن عبدالوهاب قَطَع

---

(١) من رسالة الشيخ محمد إلى السويدي، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤١٣/١).

(٢) من الرسالة السابقة، في نفس المصدر (٤١٤/١).

(٣) من رسالة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن «الدرر السنيَّة» (٢٦٣/١ ـ ٢٦٤) باختصار.

بتكفير ابن الفارض وابن عربي[١]، وهو أمرٌ بيَّنَه الشيخ صراحةً حين تكلم عن أحد من تتلمذ على يد الصوفيّ عبدالغني النابلسي النقشبندي (ت: ١١٤٣هـ/١٧٣١م)[٢]، فقال الشيخ محمد: «ولا يخفاك أنِّي عثرت على أوراق عند ابن عزَّاز[٣] فيها إجازات له من عند مشايخه،

(١) حول بيان كفر ابن عربي، راجع رسالة شيخ الإسلام ابن تيمية التي عنوانها «الردّ الأقوم على ما في فصوص الحكم» ضمن «جامع الفتاوى» (٣٦٤/٢) حيث قال: «ما تضمَّنَه كتاب الفصوص [لابن عربي] وما شاكله من الكلام فإنَّه كفرٌ باطناً وظاهراً، وباطنه أقبحُ مِن ظاهره، وهذا يُسمَّى مذهب أهل الوحدة وأهل الحلول وأهل الاتحاد». وقال في (٢٤١/٢ ـ ٢٤٢): «وجِماع أمر صاحب الفصوص وذَويه: هَدمُ أصول الإيمان الثلاثة». يقول الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤٨/٢٣ ـ ٤٩): «حكى العلامة ابن دقيق العيد ـ شيخنا ـ أنَّه سمع الشيخ عزَّ الدين ابن عبدالسلام يقول عن ابن عربي: شيخُ سوءٍ كذَّابٌ، يقولُ بِقَدَمِ العالم ولا يُحرِّمُ فَرْجاً». وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني في «الفتح الربانِي من فتاوى الإمام الشوكاني» (ص١٠٠٣): «وأما ابنُ الفارض وابنُ عربي... وأتباعهم؛ فاعلم أنَّها قد جمعتهم خصلةٌ كفرية هي: القول بوحدة الوجود مع ما تفرَّق فيهم من خصال الخذلان والبلايا البالغة إلى حدٍّ ليس فوقه أشنع منه؛ كتحليل ابن عربي لجميع الفروج».

(٢) انظر انحرافه ووقوعه في الشرك الأكبر في ترجمته التي أوردناها في الفصل الثالث.

(٣) لا أدري من هو ابن عزَّاز الذي عناه الشيخ. وهو ـ بالكاد ـ لا يعني (سيف بن محمد بن عَزَّاز) خاله؛ خال الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والذي توفي سنة ١١٢٩هـ/ ١٧١٧م. وراجع تلميحات (غير جازمة) أتى بها الشيخ حمد الجاسر حول شخصية ابن عزَّاز، ظنَّه الجاسر أنَّه خال الشيخ، وهو خطأ. انظرها في: بحث للجاسر بعنوان «المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» نشرها في «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م (ص٢٦٨).

وشيخ مشايخه رجلٌ يقال له عبدالغني ويثنون عليه في أوراقهم ويسمّونه العارف بالله، **وهذا اشتُهِرَ عنه أنَّه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنَّه أكفر من فرعون،** حتى قال ابن المُقْرِئ الشافعي [ت: ٨٣٧هـ/١٤٣٤م][(١)]: مَنْ شَكَّ في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر»[(٢)]. وذكر الشيخ في رسالة له أنَّ «ابن عربي من أئمة أهل مذهب الاتحادية، وهم أغلظ كفراً من اليهود والنصارى»[(٣)].

وهذا أحد علماء نجد من معاصري الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو الشيخ عبدالله بن عيسى[(٤)]، فإنَّه أَيَّدَ رَدّ الشيخ محمد على ابن سحيم في تكفيره لابن الفارض وابن عربي، فقال ابن عيسى: **«أمَّا الاتحادي ابن عربي صاحب (الفصوص)[(٥)] المخالف للنصوص، وابن الفارض الذي لدين الله محارب وبالباطل للحقِّ معارض، فمن تمذهب بمذهبهما فقد اتخذ مع غير الرسول سبيلا وانتحل طريق المغضوب عليهم والضالين المخالفين لشريعة سيد**

---

(١) هو شرف الدين إسماعيل اليماني الشافعي المعروف بابن المقرئ؛ قال عنه السخاوي في «الضوء اللامع» (ص٢٩٤): «ما رأيت باليمن أذكى منه». انظر ترجمته عند: ابن حجر العسقلاني «إنباء الغمر بأبناء العمر» (٥٢١). وعند: شمس االدين السخاوي «الضوء اللامع» (٢٩٢ ـ ٢٩٥).

(٢) من رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى عبدالله بن سحيم، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٠/٢٥). وكلمة ابن المُقرئ هذه تجدها عند: الملا علي القاري في كتابه «الرد على القائلين بوحدة الوجود» (٦٤).

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٤٠٥).

(٤) مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

المرسلين؛ فابن عربي وابن الفارض ينتحلان نِحَلاً تُكفِّرُهما، وقد كفَّرَهم كثيرٌ من العلماء العاملين، فهؤلاء يقولون كلاماً أخشى المَقتَ من الله في ذكرِهِ، فضلاً عمَّن انتحله، فإن لم يَتُبْ إلى الله من انتحل مذهبهما؛ وَجَبَ هَجْرُهُ وعَزْلُهُ عن الولاية إن كان ذا ولاية، من إمامة أو غيرها، فإنَّ صَلاتَه غير صحيحة، لا لنفسه ولا لغيره»[١].

أما عبدالله المويس فإنَّه ركب هو وخواص أصحابه إلى أهل قبة الكواز[٢]، تأييداً منهم وتحسيناً لما هم عليه من البدع عند تلك القبة، وفي ذات الوقت يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه من عبادة القبور وتقديسها، ويستثيرونهم ضد الشيخ وضد دعوته السلفية، قائلين لهم: **قد ظهر من ينكر قبَبَكُم وما أنتم عليه، وقد أحلَّ دماءكم وأموالكم.** وحال عودتهم من العراق استحضروا معهم كتاب أحمد بن علي البصري الشهير بالقباني، الذي ذكرناه قبيل قليل، الذي نقل فيه ما توهمه من إجماعٍ على تحسين قبَّة الكواز[٣].

وقد روّجوا كتاب القباني لأنَّه يتهم فيه الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه متنبِّي اليمامة، ويقول ساخراً من الشيخ وما دعا إليه من التوحيد: «**هل أخذته من بقايا صُحف مسيلمة الكذّاب عندكم في نواحي اليمامة**». ويتهكّم القباني على الشيخ فيقول: «أتَرى أنَّ كلّ هؤلاء العلماء الذين هم ورثة الأنبياء ضلّوا وأضلّوا من نحو ستمئة

---

(١) من رسالة ابن عيسى، موجودة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤٠٨/١ ـ ٤٠٩).

(٢) قبَّة الكواز: ذكر عبدالله البسَّام في «علماء نجد» (١٤٤/٥): أنَّها محلَّة في (البصرة) في العراق.

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٤٢٤/١ ـ ٤٢٥) (٣٤٠).

سنة إلى أن بعث الله متنبّي العيينة داعياً إلى دين الإسلام»[١].

وكان ابن إسماعيل عنده كتاب القباني، وهو يشيعه عند أهل سدير ويجادل به جماعة الشيخ في ثرمداء، وكان ولد محمد بن سليمان راعي أثيفية/أثيثية يقرأه في بعض بلدات نجد ويجادل من خلاله أتباع الشيخ. وكتاب القباني مشهور عند المويس وأتباعه. ومشهور عند ابن سحيم وابن عبيد، من مطاوعة ثرمداء، يحتجون به على الشيخ ودعوته، ويدعون الناس إلى قراءته، ويقولون: انظروا. هذا كلام العلماء[٢]؛ قصدهم «بذلك الاستنصار بكلامهم على إبطال ما أظهره الشيخ من بيان التوحيد وإخلاص الدعوة لله وهدم أركان الشرك وإبطال مناهج الضلال والإفك، ورام هؤلاء أن يرتقوا إلى ذلك بأسباب ويستدعوا من كل معاند مكابر جواب»[٣].

ـ الاستقواء باليمن:

ثمَّ ظهر عدوٌّ جديد للشيخ ودعوته يستقوي بمن كان خارج نجد من أهل العلم، وهو مِربِد بن أحمد بن عمر الوهيبي التميمي (ت: ١١٧١هـ/١٧٥٨م)[٤]، الذي بلغ من عداوته وتضليله أن ذهب من حريملاء إلى صنعاء في اليمن، فصار يشوّه سمعة الشيخ محمد بن

---

(١) نقلاً عن: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٨٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٣) حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (١/٣٤٣ ـ ٣٤٤).

(٤) مربد الوهيبي التميمي: من بلد (حريملاء)، وهو قاضيها. وهو من أعداء الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦١١). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٦/٤١٦ ـ ٤٢٠).

عبدالوهاب ودعوته وأتباعها، لأنَّ مربد قد دبَّ الحسد في قلبه لما رأى الأمير الصنعاني مدح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في قصيدة له، فذهب إليه وظلَّ عنده مدة ثمانية أشهر قاصداً تشويه الدعوة وداعيها، فأخذ يرمي الشيخ وأتباعه بأنهم يكفرون أهل الإيمان ويقتلونهم وينهبونهم[١].

«وكلّ هذا كذب وزور وعدوان؛ فـ[الشيخ] لم يكفّر رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلا عبَّاد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين وغيرهم مِمَّن أشرك بالله وجعل له أنداداً بعد إقامة الحُجَّة ووضوح المحجَّة»[٢]، كما **«أنَّ الشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **تعالى لم يقاتل إلا على أصل الإسلام والتزام مبانيه العظام، ومن نقل عنه أنَّه قاتل على غير ذلك فقد كذب وافترى»**[٣]، والشيخ أيضاً **«قاتل من قاتلهم على ترك الشرك وإزالة المنكرات وعلى إقام الصلاة وإيتاء الزكاة»**[٤]، غير أنَّ مربد الوهيبي كان يسعى لإلصاق البشاعات والشناعات الكاذبة بالدعوة وداعيها وأتباعها، ولكنَّ الله خيَّبَ مسعاه ولم يتحصّل على مراده[٥].

ولـمَّا عاد مربد الوهيبي التميمي إلى حريملاء سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٥م والتي كانت قد تفيَّأت ظلال حكم آل سعود، أخذ

---

(١) انظر: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني» (٨١).

(٢) سليمان بن سحمان «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين» (٨٦).

(٣) المصدر السابق (١١١).

(٤) من جواب الشيخ عبدالله أبا بطين، ضمن «الدرر السنية» (٩/٩).

(٥) انظر: سليمان بن سحمان «تبرئة الشيخين الإمامين» (٨٣).

مربد يُحرِّض أميرها على الدرعية ويغريه بنزع يد الطاعة التي أعطاها لابن سعود[١].

وإلى جانب مربد الوهيبي، كان صالح بن محمد الصائغ النجدي (ت: ١١٨٤هـ/١٧٧٠م)[٢] مِمَّن ضاق ذرعاً بقصيدة الإمام الصعاني التي امتدَحَ بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٣]، فكتب الصائغ يردُّ على الصنعاني يوم امتدح الشيخ محمد بقصيدته المشهورة، فصاغ الصائغ قصيدة على بحرها ورويّها، ومطلع ردّه:

سلامٌ من الرحمٰن أحلى من الشهدِ ... وأطيبُ عَرْفاً مِنْ شذى المسكِ والوَرْدِ

إلى معشر الإخوان أهل محبَّتي ... وأهل ودادي نِعم ذلك من ودِّ

وبعدُ، فقد جاءت إلينا رسالةٌ ... بها قول زور خارج من لدُن زَنْدي[٤].

ـ الاستقواء بالحجاز:

إضافةً لمن سبقوا، جدَّ أعداء الدعوة مثل عبدالله المويس وابن ربيعة وابن إسماعيل[٥]، الذين ركبوا إلى أهل قبة أبي طالب في

---

(١) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٢٠).

(٢) المولود في (عنيزة) والتي بها نشأ وطلب العلم. انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٤٣٠ ـ ٤٣٢). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام «علماء نجد» (٢/٥٤٠ ـ ٥٤٣).

(٣) سنورد بعض أبيات قصيدة الصنعاني في الفصل السادس.

(٤) اكتفى محمد بن حميد بذكر البيت الأول في كتابه «السحب الوابلة» (٢/٤٣١). وأورد عبدالله البسَّام الأبيات الثلاثة بتمامها في كتابه «علماء نجد» (٢/٥٤٣).

(٥) ابن ربيعة وابن إسماعيل من أعداء الشيخ ودعوته.

مكة[١] وأخذوا يشنِّعون على دعوة الشيخ عندهم، ويقولون لهم: قد خرج من ينكر قُبَبَكُم وما أنتم عليه[٢]. فقام محمد بن سليمان الكردي (ت: ١١٩٤هـ/١٧٨٠م)[٣] وكتب أسئلة وأجوبة ضد الدعوة السلفية، حيث تضمَّنت مخالفةً ومعارضةً لما قرَّرَهُ وأكّده أئمة الدعوة السلفية قديماً وحديثا[٤].

ـ الاستقواء بالأحساء:

في أثناء تلك الحوادث المارّ ذكرها، شاعت في نجد رسالة ابن عفالق الأحسائي التي كتبها فيما يظنُّه ردّاً على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وسمَّاها «**تهكّم المقلدين في مدَّعي تجديد الدين**»؛ تهكّم فيها على دعوة الشيخ، فأخذ المويس وابن إسماعيل يروّجون رسالة ابن عفالق عند أهل نجد[٥]. وكان ابن عفالق يصيح في تلك الرسالة ويقول: «**فيا أهل الإسلام أين عقولكم؟ أين آراؤكم؟ أين دينكم؟ يستفزّكم هذا الآدمي الجاهل**»[٦].

وكان ابن عفالق يخاطب الشيخ محمد بن عبدالوهاب بخطاب

---

(١) انظر ما ورد في الفصل الأول عن (قبة أبي طالب).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ بن غنَّام» (١/٣٤٠).

(٣) نزيل (المدينة النبوية) وأصله من (دمشق). انظر ترجمته عند: محمد خليل المرادي «سلك الدرر» (٤/١٣١ ـ ١٣٢).

(٤) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف، المرجع السابق (٤٣).

(٥) رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب، تجدها عند: حسين بن غنام «تاريخ بن غنَّام» (١/٣٣٥ ـ ٣٣٦).

(٦) محمد بن عفالق «تهكّم المقلدين في مدَّعي تجديد الدين» (٢٠).

تهكّميّ سَيِّئ، حيث قال فيه: «من محمد بن عبدالرحمٰن [ابن عفالق] إلى محمد بن عبدالوهاب... وبعد: فقد وقفتُ على القواعد التي بنيت عليها مذهبك[١] ووصلت إليَّ بخطِّ يدك، فوجدتك قد ارتقيتَ فيها مرتقىً صعباً وَعراً حَزناً؛ شتمت به الأئمة وسبَبْتَ أعلام الأمة وهدمتَ قواعد الملَّة وثَلَبْتَ به جميع الأمة المحمدية، حتى ارتقيتَ إلى الجَزمِ بزيغ أصحاب رسول الله ﷺ والإئمة الأربعة»[٢].

أقول: إطلاقاً، لن تجد في رسائل وكتب الشيخ وأتباعه منذ ذلك الوقت إلى يوم الناس هذا شيئاً مما افتراه ابن عفالق وغيره، وهذا الميدان أمام من يردّد ويكرّر تلك المزاعم وتلك الافتراءات، لكنَّه الهوى إذا تمكَّنَ من النفوس، فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العلي العظيم.

المقصود؛ أنَّ ابن عفالق الأحسائي جَدَّ واجتهد في إرسال الرسائل إلى أهل نجد يحذرهم برسائل محشوة بالأباطيل والافتراءات على الشيخ، فقد افترى ابن عفالق أنَّ الشيخ يدَّعي النبوة؛ إذ كذب في رسالته تلك التي ردَّ فيها على عثمان بن مُعَمَّر يوم آوى الشيخ في العيينة، فقال: **«كما ادَّعى نزيله مسيلمة بلسان مقاله، وابن عبدالوهاب بلسان حاله»**[٣]. ويقول في ذات الرسالة: **«والله لقد ادَّعى النبوة بلسان حاله لا بلسان مقاله، بل زاد على دعوى النبوة وأقمتموه مقام الرسول**

---

(١) لم تكن دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب مذهباً جديداً، بل هي دعوةٌ سلفية مذهبها مذهب الإمام أحمد. وانظر الردّ موثَّقاً على تلك الأحبولة في الفصل الثامن.

(٢) محمد بن عفالق «تهكّم المقلدين في مدعي تجديد الدين» (٢).

(٣) يقصد ادَّعاء النبوة، وهذا من بهتان ابن عفالق.

وأخذتم بأوامره ونواهيه»[١].

من هنا **يظهر** سبب حرص أعداء الدعوة على تَبَنِّي ترويج رسائل وكتب ابن عفالق وأمثاله ممن يسبون الشيخ ودعوته، لأنَّ ذلك وافق ما في نفوسهم من الغلّ والحنق على دعوة الشيخ السلفية.

أما محمد بن فيروز (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م)[٢] وهو الذي عادى دعوة الشيخ وحارب أتباعها بما يخطّه من الرسائل والقصائد والأجوبة، حتى صار من ألدّ خصومها في الأحساء، وقد كان يحذِّر تلاميذه من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويحذِّرهم من أهل العارض عموماً، إذ قال لأحد تلاميذه يوماً:

احْذَرْ تُصَبْ بِعَارِضِ مِنْ مَحْقِ أَهْلِ الْعَارَضِ[٣].

وقد بلغ من كيد محمد بن فيروز لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ودولة آل سعود أنَّه **كاتب السلطان العثماني يستنجده ويحرّضه على قتال أهل نجد** من أتباع الدولة والدعوة[٤]، الذين وصفهم ابن فيروز بالبغاة الخوارج[٥]. وبلغ من كيده أيضاً أنَّه ألَّف

---

(١) نقلاً عن: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٨١ ـ ٨٢).

(٢) هو من أهل الأحساء ثمَّ هاجر إلى العراق. وقد مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

(٣) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١٢٨/١).

(٤) مع العلم أنَّ نجد لا تتبع الدولة العثمانية بأيِ حالٍ من أحوال تلك الفترة. راجع ما قرَّرناه في الفصل الأول.

(٥) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٩٧٣/٣).

كتاباً في الردّ على الشيخ ودعوته سمَّاه «الرسالة المرضيَّة في الردّ على الوهابية»[١].

وقد هجا ابن غنَّام محمدَ بن فيروز في قصيدةٍ عصماء هذه بعض أبياتها:

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خُطا ... عروس هوىً ممقوتة زارت الشطَّا[٢]

تخطَّت فأخطت في المساعي مرامها ... ومُرسلها عن نيل مقصوده أخطا

وثارت لنار الشرك تذكي ضرامها ... وسارت فبارت والإله لها قَطا

ويسعى بتحريض وتهييج فتنة ... تصير إذا شبَّت لحاء العدا شمطا

وربّك بالمرصاد ممَّن يريد أن ... يؤسس ركن الشرك من بعد أن حُطا

فلا عجبٌ من يعْش عن ذكر ربّه ... يُقَيِّض له الشيطان ينشطه نشطا

لقد خاب مسعى من غدا طول عمره ... يصد عن التوحيد من دان أو شطا

أيوصف بالطاغوت من جدَّد الهدى ... وأحيا أصول الدين والسنة الوسطا

وأعلن بالإسلام والدعوة التي ... لها كشط المختار رأس العِدا كشطا

وقام بأمر الحق في جاهلية ... وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا

وأطلع مولاه نجوم سعوده ... بآل سعود حين صاروا له سبطا[٣].

الحاصل من ذلك؛ أنَّ ابن فيروز بلغ في الإسفاف وشناعة

(١) انظر: المصدر السابق (٣/ ٩٧٤).

(٢) يقصد (شط العرب) المعروف في العراق؛ لأنَّ ابن فيروز رحل من الأحساء إلى العراق واستقرَّ فيه.

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/ ٩٥٣ ـ ٩٥٤).

السباب وبذاءة اللسان إلى الدرجة التي أوصلته لكتابة تقريض لرسالة تلميذه عبدالله بن داوود الزبيري (ت: ١٢٢٥هـ/١٨١٠م)[١] والتي سمَّاها «الصواعق والرعود في الردّ على ابن سعود»[٢].

وقد طار محمد بن عبدالله بن حميد (ت: ١٢٩٥هـ/١٨٧٨م) بهذا الكتاب فقال: «وصنَّف [عبدالله بن داوود] تصانيف مِنها **«الصواعق والرعود في الردِّ على ابن سعود»** في مجلدٌ حافلٍ أجاد فيه»[٣]. وما وصفه ابن حُميد بذلك إلَّا لأنَّه موافقٌ لهواه في معاداة الدعوة وأنصارها[٤].

أمَّا ابن فيروز؛ فإنَّه ما قرَّضَ هذا الكتاب إلَّا لأنَّه يشفي غليله بما افتراه ابن داوود على الشيخ محمد بن عبدالوهاب، حيث افترى عليه بأنَّه «**يُضمِرُ دعوى النبوَّة وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال لا بلسان المقال لئلَّا تنفر عنه الناس**... وأنَّ ابن عبدالوهاب مولعاً بمطالعة أخبار من ادَّعى النبوَّة كاذباً كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم، وأنَّ أباه عبدالوهاب كان رجلاً صالحاً

(١) عبدالله بن داوود: من أهل (حرمة) من بلدان (سدير)، ثم تحوّلت به الأحوال فنزل (البصرة) بأهله وماله، ثم استقرّ في (الزبير). انظر ترجمته عند: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (٧٩ ـ ٨١). ومحمد عبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٦١٩ ـ ٦٢٠). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٤/١١٤ ـ ١١٥).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٦٢٠).

(٣) المصدر السابق (٢/٦٢٠).

(٤) انظر: حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» ٢/٦٢٠) لمحمد بن حميد.

وأنَّهُ تفرَّس في ولده الشقاوة من حين صباه، وكان يبغضه بغضاً شديداً ويقول: سيظهر منه فساد عظيم»[١]. إلى غير ذلك من الافتراءات التي تدلّ على أن ابن فيروز يصدِّقها ويدّعيها بغضاً وحسداً وحنقاً على الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

أمَّا «ابن داوود هذا؛ فهو ممَّن شرب من مشايخه عداوة الدعوة السلفية وزعيمها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، لذا فإنَّه من أشدّ الجادين في مجابهتها ومعارضتها، وقد صنَّف في الردّ على الدعوة والدولة كتابه المذكور، إلا أنَّ الله تعالى أبقى هذه الدعوة الطيبة في نموٍّ وتقدّم وتوسُّعٍ في المشارق والمغارب، وذهبت رعود ابن داوود وبروقه خلّباً»[٢].



(١) بِنَصِّهِ عن: علوي بن أحمد الحداد «مصباح الأنام» (٢) الذي نقل عبارة ابن داوود.

(٢) عبدالله البسام «علماء نجد» (١١٤/٤) باختصار.

ثانياً: انتقال المعارضة من المناوأة بالقلم إلى المناوأة بالسلاح:

لمَّا رأت المعارضة أنها قاصرة عن قمع دعوة الشيخ بالقلم وإثارة الافتراء والبهتان عليها؛ التجأت إلى تأييد من بيده القدرة على حربها بالسلاح ومقاومتها بالقوة؛ فها هو أمير الرياض دهام بن دواس؛ وهو من الذين كتب إليهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب يناشده اتِّباع الدين الحنيف، إلا أنه أبى واستكبر.

وقد مرَّ التنبيه سابقاً أنَّ سليمان بن محمد سحيم عدو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ كان إماماً لقصر حكم أمير الرياض دهام بن دواس، فعداوة ابن دواس للدعوة ـ التي ستأتيك أخبار حروبها ومصادماتها مع أهل الدعوة ـ كان النافخ في ضرامها والمؤجّج لنيرانها هو ابن سحيم مفتي الرياض وخطيبها وإمامها.

فابن دواس لم يكتف بمعارضة الدعوة بالردّ عليها ومعارضتها بالقلم من خلال مفتيه ابن سحيم، بل عمل ابن دواس على اضطهاد من ناصر الدعوة الإصلاحية في بلاده، فكان يُهَدِّدهُم في أرواحهم وأملاكهم؛ ومن ذلك أن أهل منفوحة كانوا ممن استجاب لدعوة التوحيد، فبلغ ذلك دَهام بن دواس أمير الرياض، فغضب واعتدى على أهلها[1] محاولاً بذلك فتنتهم عن دينهم وإرجاعهم عن صراط الله المستقيم، فبلغ ذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، فغضب لذلك الشيخ وجند الله في الدرعية، وقام الأمير

---

(١) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٧).

محمد بن سعود لفوره ومعه إخوانه وجنده وتوجهوا إلى دهام سنة ١١٥٩هـ/١٧٤٦م، وكانت بينهم موقعة انتصر فيها أهل الدعوة السلفية، وجرح دهام وقتلت فرسه.

كانت هذه شرارة إيقاد نار العداوة والبغضاء وتسعيرها في قلب دهام للتوحيد وأنصاره، وفاتحة الجهاد في سبيل الله؛ الذي لم يكن في كل أدواره إلا دَفْعاً لعدوانٍ انقدح من قِبَلِ أعداء التوحيد، ورداً لكيد من أراد الكيد بأهل الدعوة السلفية(١).

لما رأى جيش التوحيد ما آتاه الله من النصر، قوي بأسه واشتد ساعده، ورغَّبَ ذلك النصر الكثير من أهالي البلاد المجاورة في الانضواء تحت راية التوحيد، فقامت رؤوس الفتنة في حريملاء والعيينة والجبيلة وما جاورها من وادي حنيفة، وكانت بينهم وبين جيش التوحيد مواقع عقد فيها لواء الظفر والنصر على رأس الموحدين. وكان كلما أعطى الله النصر لأتباع الدعوة والدولة كلما كثر أنصارهم؛ فيغتاظ أعداؤهم وتنكأ صدورهم وقلوبهم؛ فيؤلبون من ناحية أخرى، فيذهب إليها الموحدون، فيخرجون من معمعتها ظافرين منصورين(٢).

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٦٧٥/٢ ـ ٦٧٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣١ ـ ١٣٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٩/١ ـ ٥٢). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٧ ـ ٦٨).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٦٨٦/٢) (٦٨٩ ـ ٦٩٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٦٠/١) (٦٢) (٦٥). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٨).

* بيان نقض شبهة أنَّ آل سعود وأهل الدعوة هم من بَدَؤُوا الناس القتال:

ما كان الإمام محمد بن سعود والإمام محمد بن عبدالوهاب ليعلنا الحرب ضد أحد لو استمرت الدعوة تسير في دربها، حتى ولو ببطءٍ شديد، وما كانا ليعلنا الحرب أيضا لو أنَّ من اقتنعوا بالدعوة وناصروها كانوا آمنين في دينهم لا يلحق بهم مكروه؛ لأنَّ هؤلاء كانوا يتبعون الدعوة دون إكراه، إلَّا أنَّهم لم يكونوا في مأمنٍ من شرور الرؤساء المتشاكسين والزعماء المتنافرين الذين لم يرتضوا الانضواء تحت لواء الدولة التي جاءت لإنهاء مظاهر التشاكس والتنافر الضارب أطنابه في نجد، ولم يستجب أولئك المتشاكسون المتنافرون لدعوة الشيخ السلفية، بل عالنوا من اتَّبعها بالحرب والمضايقة.

كل ذلك كان دافعاً لأن تقوم الدرعية بصَدِّ من أعلن الحرب واعتدى عليهم وصَدِّ من ألحقوا الأضرار بأنصار دعوتها السلفية؛ **ولو راجعت تاريخ حسين بن غنَّام، وهو تلميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب والمهتم بذكر حوادث دعوته وحروبه، لوجدت أَنَّ أهل الدرعية لم يَبْدَؤُوا بالحرب على أعدائهم، بل ترى الأعداء هم من بادَؤوهم الحرب، فتردّ الدرعية عليهم، فيعطيها الله نصراً مؤزَّرا**[1].

وهو الأمر الذي شهد به الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م) حين قال: «**ومن وَقَفَ على سيرته**[2] **وما ذكره المؤرّخون في بدء دعوته ـ مثل الشيخ حسين بن**

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» (٦٧٥/٢). ومحمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية» (٦٨).

(٢) يقصد الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

غنَّام الأحسائي في تاريخه ـ عَرَفَ أنَّ الشيخ لم يبدأ أحداً بالقتال، بل أعداؤهم الذين ابتدأه بذلك، وقتاله كان من باب الدفع والمجازاة على السيِّئةِ بمثلها»[١].

ولا عبرة بما تفرَّدَ به ابن بشر في تاريخه: من أنَّ الدرعية هي من بدأت الحرب[٢]؛ هذا كله تدحضه حوادث تلك الفترة ولا يسعفه الدليل التاريخي، حتى أن الإمامَ المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب دحض تلك الشبهة، وبيَّنَ أنَّ الأعداء هم من بَدَؤُوا بمقاتلة أتباع آل سعود وأهل الدعوة، وأنَّ أهل الدرعية ما قاتلوا إلَّا حماية للنفس والعِرض والمال من اعتداء المعتدين عليهم؛ فقال: «**إنَّ العداوة لنا واستحلال دمائنا وأموالنا ونسائنا ليس عن التكفير والقتال، بل هم الذين بدأونا بالتكفير والقتال**»[٣].

وقد بيَّن الشيخ محمد بن عبدالوهاب أنَّ سبب مقاتلة الناس لآل سعود هو نصرتهم لدعوة الشيخ السلفية يوم دعا إلى حماية جناب التوحيد ممَّا أحدثه الناس من المُحدثات المناقضة لتوحيد الله، حيث يقول: «**فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل الأمر بهم إلى أن كفّرونا وقاتلونا واستحلّوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم**»[٤].

---

(١) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «منهاج التأسيس» (٢٧ ـ ٢٨).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٦/١).

(٣) قاله الشيخ في تفسيره لسورة الفاتحة، نقلاً عن: حسين بن غنَّام «تاريخ بن غنام» (٥٣٢/١).

(٤) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب لأهل المغرب، ضمن «الدرر السنيَّة» (٨٧/١).

وقال الشيخ في رسالةٍ له جاءت ردّاً على استفسار أحد علماء العراق عمَّا يثيره أعداء الدولة والدعوة من أنّ آل سعود وأتباعهم السلفيين هم من بادؤوهم القتال، فأجابه الشيخ قائلاً: «**أما القتال؛ فلم نقاتل أحداً إلا دون النفس والحُرْمَة، وهم الذين أتونا في ديارنا ولا أبقوا ممكنا، ولكن قد نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة، وجزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مثلها، وكذلك من سبَّ دين الرسول ﷺ بعدما عرف**»[(١)].

وهو ذات ما أوضحه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في رسالةٍ له لأحد السائلين عن سبب مقاتلتهم التي حصلت مع أعدائهم، فأجابه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قائلاً: لمَّا «**بيَّن الله لنا التوحيد في آخر هذا الزمان على يدِ ابن عبدالوهاب وقمنا معه؛ قام الناس علينا بالعدوان والإنكار لمَّا خالف دين الآباء والأجداد، وقال الناس مثلما قال الذين من قبلهم** ﴿بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]. فالأصل الذي اختلفنا فيه: التوحيد والشرك»[(٢)].

وقد نَبَّهَ الشيخ محمد بن عبداللطيف آل الشيخ على أنَّ أعداء آل سعود هم من بادؤوهم بالحرب والعدوان، فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنَّ «حقيقة ما دعا إليه [الشيخ محمد بن عبدالوهاب] هي دعوة الرسل من أوَّلِهم إلى آخرهم، فأعانه على هذه الدعوة والقيام بها وتَحَمُّل عداوة القريب والبعيد، وآواه ونَصَرَهُ الإمام محمد بن سعود وأولاده وإخوانه، فعاضدوه رحمهم الله، فثبَّتهم الله وقوَّى عزمهم، **وبَادَأَهُم مَنْ بَادَأَهُم**

---

(١) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين، ضمن «الدرر السنيَّة» (٧٣/١ ـ ٧٤).

(٢) من رسالة الإمام عبدالعزيز بن محمد، ضمن «الدرر السنية» (٢٨٩/١ ـ ٢٨٠) باختصار وتصرف يسير.

بالعداوة والقتال وألَّبوا عليهم، فما ثَنَى عزمَهُم ولا تضعضعوا، فأظهرهم الله وخَذَل جميع من ناوأهم»(١).

وهو عين ما بَيَّنَهُ الشيخ سليمان بن سحمان حين قال: «إنَّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في حال دعوته إلى دين الله ورسوله لم يقاتل الناس ابتداءً، بل مكث بُرهَة من الزمان يدعو الناس إلى إفراد الله ﷻ بالعبادة وترك عبادة ما سواه، فلمَّا تبيَّن بهذا واشتُهِرَ أمره بالدعوة، استنكف أعداء الله من ذلك واستكبروا عن قبول دعوته، فآذوه وعادوه واخرجوه من بلدة العيينة، ثمَّ هاجر إلى الدرعية فآووه وواسوه وقاموا بنصرته والجهاد معه لمَّا أنكر عليه أهل نجد وغيرهم من الطوائف ما دعاهم إليه، **فشمَّروا له عن ساق العداوة وبدأوا بالقتال؛ يريدون أن يُطفِئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلَّا أن يُتِمَّ نوره ولو كره الكافرون، فحينئذٍ قاتلهم مدافعةً لهم لمَّا بغوا عليه وظلموه»**(٢).

وانظر في تاريخ ابن غنَّام في حوادث القتال التي تناولها هناك، وعند محمد بن عمر الفاخري النجدي (ت: ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م)(٣) لَمَّا

---

(١) من جواب للشيخ محمد بن عبداللطيف على أسئلةٍ من حضرموت، ضمن «الدرر السنية» (١٠/٤٥٠).

(٢) سليمان بن سحمان «كشف غياهب الظلام» (٣٠ ـ ٣١).

(٣) هو محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن محمد بن فاخر، الوهبي التميمي، ولد سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م في (التويم) من بلدان (سدير)، وانتقل إلى (الدرعية) بعد سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م ودرس على أولاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وبقي هناك حتى حصلت الكارثة العظمى بهجوم العثمانيين على الدرعية وسقوطها على أيديهم، فاضطَّره جور الأتراك أن يرحل من الدرعية=

تناول ابتداء القتال في تاريخه، **فإنَّك ملاقٍ فيهما ما يدحض الوهم الذي وقع فيه ابن بشر رحمه الله تعالى وغَفَرَ له.**

* تنبيه على من لم يُحسن فهم الحروب التي خاضتها الدولة السعودية الأولى وأهل الدعوة:

ها هنا تنبيهٌ على قدرٍ كبير من الأهمية، خصوصاً لمن يكتفي بقراءة ما خَطَّهُ المتأخرون من كتبة التاريخ والباحثون المعاصرون؛ فالأمر ليس كما يزعمه بعض هؤلاء «في عصرنا هذا جرياً مع المستشرقين في زعمهم أنَّ الحروب الإسلامية كان يدفعها جوع المسلمين ومشكلات دنيوية، فزعم أولئك الباحثون: أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يخطط لدعوته مراحل، وأنه أمر بالجهاد لتنتقل دعوته إلى مرحلة جديدة؛ ينال فيها بالقوة ما عجز عنه بطريقة الإقناع والإغراء، وأن الأمير محمد بن سعود كان مستعدا للقتال من أجل الدعوة؛ خاصة أنها وسيلة من وسائل توسيع نفوذه وإمكان تحقيق كثير من النجاح العسكري في بداية الأمر دون تدخل خارجي، وأنَّ إمكانيات الدرعية الاقتصادية محدودة، وكان على قادتها أن يجدوا حلًّا لمشكلة ازدياد الوافدين إليها من أنصارهم الفقراء، وأنَّ هؤلاء الوافدين مؤهلون لأنْ يلعبوا دورا كبيرا في تأسيس جيش قوي[1].

= قبل هدمها وذهب إلى (الأحساء). ثم عاد إلى (حَرْمَة) وتوفِّيَ فيها سنة ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٢٤٦/٥ ـ ٢٤٨). (وستأتي تفاصيل حرب الأتراك على الدرعية في الفصل العاشر).

(١) تجد مثل هذا الطرح في بعض كتابات أساتذة التاريخ المعاصرين ممن كتب عن تاريخ الدولة السعودية الأولى.

فكل هذه الالتواءات والتعليلات مكشوفة، يراد منها أن الشيخ وابن سعود وأتباعهم إنما قاتلوا للظفر والنفوذ وحل المشكلة الاقتصادية؛ وهذا غير صحيح.

أَمَّا أَنَّ الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أمر بالجهاد، فنعم؛ أَمَرَ به حين رأى أن وقت الجهاد قد حان؛ تعبُّداً لله تعالى وجهادا في سبيله بكل أنواع الجهاد وأحواله التي تحدث لهم بحول الله وتدبيره.

والشيخ يرصد حاله وأحوال من معه وما يجري لها من تغيُّرات، ويَستَلْهِم من شريعة الله أحكام تلك الأحوال المتغيِّرة فيقوم بتنفيذها؛ تعبداً لله وقياماً بالواجب الذي فَقِهَهُ من دين الله تعالى، وكذلك من كان معه على شيء من فقه الإسلام.

والتحدث عن مقاصد الشيخ ومقاصد أمثاله وأعوانه على ضوء قياسها بمقاصد أهل السياسة الدنيوية والخطط الماكرة في سبيل الدنيا، يعتبر ظلماً وتعديًّاً عليه وقصوراً عن مستوى حسن الظن بالمسلم، ولكن الواجب إذا تحدثنا عن مقاصد الشيخ ونواياه، أن نتحدث عنها على ضوء ما يظهره ويدعو إليه، أما السرائر وما لا نعلمه فنكله إلى الله تعالى مع وجوب حسن الظن فيمن يظهر منه الخير والرشد والصلاح.

وكذلك محمد بن سعود؛ لا نظن بِأَنَّه قام بنصرة الإسلام لأنه وسيلة لتوسيع نفوذه أو استقلاله عن سيادة الأتراك، كما يقوله صاحب كتاب «الفكر السامي»[1]؛ فإنه إنما قام بنصرته لأنه دين الله

---

(١) انظر: محمد الحجوي الثعالبي «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» (١٩٧/٤ - ١٩٨).

ورسوله ﷺ بالدرجة الأولى؛ كما قال ذلك عند لقائه بالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وما كانت ظروف الدرعية من ناحية الاقتصاد هي الدافع للقتال؛ فإن أولئك القوم تركوا تنمية اقتصادهم مختارين ليقوموا بتنمية دينهم وعلمهم به، فكيف ينحرفون لحل مشكلاتهم الاقتصادية بالقتال وسفك الدماء ليأخذوا أموال الناس ويستولوا على أملاك الغير بطريقة جاهلية؟!. ألا يمكن حل مشكلتهم الاقتصادية بالتجارة ومزاولة أسباب المعيشة ولو في خارج البلدة لو كانوا إنما أرادوا حل المشكلة الاقتصادية؟!. لكنهم بالجهاد أرادوا إعلاء كلمة الله ونشر الإسلام، وما جاءهم من الغنائم من غير أن يُقصد؛ قبلوه، وتعاملوا به على ما يرضي الله تعالى.

وليس صحيحا ما يزعمه مؤلف كتاب «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي» من أن ابن سعود توصل بنشر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأمنيته؛ وهي الاستقلال والتملص من سيادة الأتراك[١]. والواقع أن ابن سعود ونجدا كلها لم تكن تحت سيادة الأتراك[٢]، وابن سعود كان مستقلا، ليس لأحد عليه ولاية من الأمراء والسلاطين، حتى أنَّ العداء كان قائما بينه وبين سليمان بن محمد زعيم بني خالد ورئيس الأحساء»[٣].

وللشيخ أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري[٤] تعليق علمي عميق

---

(١) نفسه.

(٢) كما بُيِّنَ في الفصل الأول من هذا الكتاب الذي بين يديك.

(٣) صالح العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» (٢/١٧٤ ـ ١٧٧).

(٤) الشيخ محمد بن عمر بن عبدالرحمٰن العقيل؛ النسَّابة والمؤرّخ المعروف في=

في دحض أكذوبة أنَّ محمد بن سعود ما ناصر الدعوة إلا لهدف توسيع نفوذه. وبيَّن الظاهري أنَّ هذه أحبولة روّجها أعداء الدعوة قديماً وحديثاً، وانطلت على من لم يقرأ (بتعمُّقٍ) تاريخ الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية ورسائل أئمتها(١).

* استئناف البحث حول ردّ الدرعية على المعتدين عليها:

في سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٧م ظهر خصم جديد لأهل الدعوة والدولة السعودية، وهو زعيم ثرمداء الذي كان من ضمن المجتمعين تلك السنة في العيينة هو وزعيم الرياض دهام بن دواس وثالثهم مضيفهم أمير العيينة؛ ذلك الاجتماع الذي عقدوه لإقناع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالحضور إلى العيينة من أجل التفاهم معه على شروط انضمامهم إلى الدعوة السلفية، إلا أنَّ الشيخ رفض مغادرة الدرعية وصرف النظر عن حضور اجتماعهم؛ لِشَكِّه وتَوَجُّسِهِ بِنِيَّاتِ المجتمعين؛ من هنا دخلت ثرمداء وزعيمها في حالة صراع مع الدرعية التي شنَّت في العام الذي يليه هجوماً ناجحاً على ثرمداء(٢).

وفي سنة ١١٦٣هـ/١٧٥٠م برز تحالف معارض لأهل الدعوة في الدرعية يتشكل من أهالي ثرمداء ومرات وأثيفية/أثيثية، وحدثت

= (الرياض)، وهو من أهل (شقراء) في (الوشم) حيث وُلِدَ فيها. جاء بسيرته الذاتية عن نفسه في كتابيه: «شيءٌ من التباريح» و«تباريح التباريح».

(١) انظر: تعليقات أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري على «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (ص٥١) لجان ريمون.

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٨٠ ـ ٦٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٥٥).

مصادمات بينهما[١].

وفي العام التالي تحولت ضرما إلى معقل لمعارضة أهل الدعوة في الدرعية، إلا أن الحال انقلب لصالح أهل الدعوة[٢].

وفي ١١٦٥هـ/١٧٥٢م تَشَكَّلَ تحالف معارض لأهل الدعوة؛ يتكون من أهالي سدير ومنيخ والزلفي والوشم بالإضافة لإحدى القبائل، هدفهم مهاجمة (بلدة رغبة) الموالية لأهل الدعوة في الدرعية[٣].

وفي نفس السنة تمرّدت حريملاء على الدعوة[٤] وانضمَّت للمعارضة على إثر تغير الزعامة في حريملاء؛ وكان من أكبر أسباب تمرد حريملاء بالذات ما قام به قاضيها سليمان بن عبدالوهاب، أخو الشيخ محمد، من نشاط عدائي ضد الدعوة ودولتها[٥]. ثم تمردت بلدة منفوحة بعد ذلك بسنة[٦].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٦٨٨/٢ ـ ٦٨٩). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٠ ـ ٥١).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٦٨٩/٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٥٩).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٦٩٠/٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٠). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٣).

(٤) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٠).

(٥) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٦٩١/٢ ـ ٦٩٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٦٥/١ ـ ٦٦).

(٦) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٦٩٤/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٦٥/١ ـ ٦٦).

ومعلوم في تلك الفترة أنَّ دهام بن دوَّاس أمير الرياض كان لا يزال من أشد خصوم الدرعية؛ إذ حدث بينها وبينه سبع عشرة موقعة. ومع أنَّ زمام المبادرة في أكثر هذه المواقع كان في يد أهل الدرعية. إلا أنَّ ابن دوَّاس استطاع في أحيان قليلة أن يبدأ بالهجوم وينقل ميدان المعركة إلى أراضي أهل التوحيد في الدرعية وما انضوى تحته من البلدات، وحينما أدرك دهام ضعف موقفه ونجاح دولة الدرعية في القضاء على مشكلاتها الداخلية سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م، اضطرَّ إلى مهادنتها ودفع غرامة مالية إليها، لكن تلك الهدنة لم تستمر أكثر من سنة واحدة، عاد بعدها دهام إلى نشاطه العسكري ضد أهل الدعوة[(١)].

وفي ذات سنة ١١٦٧ ـ ١١٦٨هـ/١٧٥٤ ـ ١٧٥٥م يتشكل تحالف معارض لأهل الدعوة؛ يتكون من: الرياض ومنفوحة وثرمداء وبعض أهالي الوشم وسدير وثادق إضافة إلى المعارضين المنفيين من حريملاء، الذين تجمَّعوا في الزلفي التي كانت معقل تجمع أعداء دعوة الشيخ والمعارضين للدرعية[(٢)].

* ازدياد قوة الدولة السعودية الأولى، وبدء تساقط رؤوس المعارضة:

من الملاحظ أنه في المراحل الأولى للسنوات المبكرة لتوحيد

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٦٩٤ ـ ٦٩٥) (٧٣٧). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦١). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٦٧ ـ ٦٨) (٧٢). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٩٥).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٣٦ ـ ٧٣٧) (٧٣٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٧٢).

نجد تحت لواء الدولة ودعوتها؛ كانت بعض البلدان النجدية تنضمّ إلى الدولة الجديدة بطريقة سلمية: مثل ضرما وشقراء سنة ١١٦٧هـ/١٧٥٤م[(١)]، ولكنها شهدت أيضا حدوث مشكلات داخلية متعددة؛ بسبب البلدات المتقلبة في ولائها الذي كان ناجماً عن التغيير المستمر في زعامتها.

على أنَّ قيادة الدرعية كانت كثيراً ما تتغلب على المشكلات الداخلية بإعادة البلدان المتمردة إلى دائرة طاعتها، الأمر الذي زاد من هيبتها في نظر الآخرين[(٢)]؛ ففي سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م فتح أهل الدعوة حريملاء عنوةً[(٣)]، ومع ضَمِّ السعوديين حريملاء في تلك السنة هرب سليمان بن عبدالوهاب أخو الشيخ محمد وهو من معارضيه ومناوئيه، ففرَّ من حريملاء ماشياً إلى أن وصل سدير سالماً، ثم استقرَّ في الزلفي التي كانت معقل تجمع أعداء دعوة الشيخ والمعارضين للدولة السعودية. كما بُيِّنَ سابقاً.

وفي سنة ١١٦٩هـ/١٧٥٥م انضوت القويعية[(٤)] في ظلّ لواء

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٧٣٦ ـ ٧٣٧). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٠).

(٢) انظر: D. G. Hogarth, Arabia, p.101-102. وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٩٧).

(٣) انظر: محمد بن يوسف «تاريخ ابن يوسف» (١٤١). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٢).

(٤) القويعية: قاعدة (إقليم العِرض) وهو (عِرض بني حنيفة/ وادي حنيفة)، و(القويعية) كانت تسمى (عِرض شمام)، وهي اليوم بلدةٌ ذات إمارة من إمارات (الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٤) (٩١) (٣٥٠).

الدولة السعودية، ووَفَدَ أهلها على أمير الدرعية الإمام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب وبايعوهم على السمع والطاعة[١].

وفي السنة التي تليها ١١٧٠هـ/١٧٥٦م استأمن أهل ثادق من الأمير عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ووفدوا معه إلى الدرعية وأعطوا أباه الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب السمع والطاعة[٢].

وفي سنة ١١٧١/١٧٥٧م حصلت بعض الأمور المزعزعة في حريملاء، حيث نزع أميرها يد الطاعة التي أعطاها لأمير الدرعية والشيخ محمد بن عبدالوهاب، والذي حرَّضه على ذلك وعزَّزه هو الشيخ مِربِد بن أحمد الوهيبي التميمي[٣]، الذي أوردنا أخباره سابقاً في هذا الفصل، فمربِد هو الذي ذهب إلى صنعاء اليمن ليحرّش الأمير الصنعاني كي يرجع عن مدحه للشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، فلما عاد تلك السنة، توجَّه إلى حريملاء لأنَّه قاضيها، وعمِلَ عمَلَه مع أمير حريملاء ضد الدرعية، فلمَّا تمكَّن أهل الدرعية من ضبط حريملاء واستتبت لهم الأمور فيها تماماً، هرب مربد الوهيبي من

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٤٠/٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٤).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٤٤/٢ ـ ٧٤٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٧٦/١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٢٠/١).

(٤) ذكرنا ذلك قبل صفحات في هذا الفصل.

حريملاء إلى بلد رغبة، وهناك أمسكه أميرها الموالي للدرعية وقتله في تلك السنة[١].

وكان للشيخ حسن بن عبدالله بن عيدان (ت: ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م)[٢] دورٌ كبير في ضبط حريملاء وثبات طاعتها لآل سعود، فقد كان ابن عيدان قاضي حريملاء من جهة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وحاصل الأمر أنَّ الأمير مبارك بن عدوان[٣] قَدِمَ حريملاء سنة ١١٧١هـ/١٧٥٨م معادياً للدولة والدعوة متنكّراً لهما، فقام الشيخ ابن عيدان وحثَّ أهل حريملاء على مقاومته، فقاوموه وأغلقوا الحصن حتى فوّتوا على ابن عدوان الاستيلاء على البلد[٤].

المقصود؛ أنَّ قيادة الدرعية وقفت في تلك المرحلة التأسيسية

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٧٩ ـ ٨٠). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٦/٤٢٠). أما حسين بن غنَّام في تاريخه (٢/٧٥٠ ـ ٧٥١): فإنه أشار أنَّ ابن سعود أمر بقتل الخونة والمحرّضين دون أن يسمِّي أحداً منهم.

(٢) هو الشيخ حسن بن عبدالله بن عيدان المشرفي الوهيبي ثمَّ التميمي. عيَّنه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود قاضياً على (أشيقر) ثم على (حريملاء) وفيها توفِّيَ. انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/٥١ ـ ٥٢).

(٣) هو مبارك بن عدوان بن مبارك. كان قد أُخرِجَ سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م من (حريملاء) مع أبيه في الحوادث التي أثارها في (حريملاء) الشيخ سليمان أخو الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثمَّ عاد ابن عدوان أميراً عليها حتَّى عُزِلَ منها سنة ١١٧١هـ/ ١٨٥٨م. وانظر أخبار ابن عدوان عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٦٥ ـ ٦٦) (٧٠) (٧٣) (٧٧) (٧٩ ـ ٨٢).

(٤) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/٥١ ـ ٥٢).

المهمة في مواجهة قوى محلية مفككة بصفة عامة، خاصَّةً وأنَّ نشاطها كان بمنأى عن أي تدخل خارجي على الأقل في تلك المرحلة المبكرة.

* محاولات التدخل الأحسائي ضدَّ الدرعية:

مما ينبغي التنبيه عليه في هذا المقام، أنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لقيت معارضة قوية من قِبَلِ بعض أهل العلم في الأحساء؛ أمثال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف الأحسائي، الذي كان قد عارض الدعوة السلفية في الدرعية، وأخذ يؤيد المعارضة النجدية (المعارضة بالقلم) في حربها على الشيخ ودعوته، ومثله ابن عفالق وابن فيروز كما مرَّ تبيانه في الصفحات السابقة من هذا الفصل.

ففي ظلّ تحريض المعارضين للدعوة في الأحساء ونجد، انطلقت الحرب الأحسائية، على أن تلك الحرب لم تحدث إلا بعد حوالي ثلاثة عشر عاماً من بدء القتال بين الدولة الجديدة في نجد وبين خصومها؛ لأنَّ الحكم في الأحساء لم يستقر إلا بعد تلك السنوات، وما إن استقرت الأمور للزعيم الأحسائي عريعر بن دجين (ت: ١١٨٨هـ/١٧٧٤م)[1] **في الأحساء؛ حتى بدأ يستعد لمحاربة نجد محاولاً القضاء على دولتها الناشئة ودعوتها السلفية، وذلك في عام ١١٧٢هـ/١٧٥٩م[2]، لكن أهل الدعوة من قادة الدولة الجديدة**

(١) عريعر بن دجين، من آل حميد بني خالد زعماء الأحساء. مات سنة ١١٨٨هـ ١٧٧٤م عند (الخابية) في القصيم، في أثناء حملةٍ شنَّها عليها فعاجله أمر الله هناك فمات. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢١/١ ـ ١٢٢).

(٢) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٦٨).

علموا بنشاطه فأعَدُّوا للأمر عُدَّته وبنوا سورين حول الدرعية، وعزَّزوا مواقعهم الأخرى.

وحينما وصل الزعيم الأحسائي بأتباعه من أهل الأحساء إلى نجد انضمَّ إليه أهل سدير والوشم والرياض والخرج المعارضون للدرعية ودعوتها، لكن قواته التي بعثها لمساعدة المعارضين للاستيلاء على حريملاء فشلت في مهمتها، ثم عجزت قواته الرئيسية أن تقتحم بلدة الجبيلة، وبذلك اضطر إلى الانسحاب من نجد دون تحقيق أي انتصار[١].

كان لفشل الحملة العسكرية الأحسائية الأولى ضد الدولة السعودية أثر كبير في سير الأحداث في المنطقة؛ إذ أدرك الخصوم قوَّة الدولة والدعوة، فأسرع بعضهم لمصالحتها ودفع غرامات مالية لها، فارتفعت معنويات قادة الدعوة وأتباعها حتى أصبح نفوذهم يمتدّ إلى أمكنة لم يكن ليصل إليها من قبل، وانضوت تحت لواء ابن سعود أكثر بلدان الوشم وسدير، ولم تمض أربع سنوات إلا وقد أصبحت لدى الدولة السعودية القدرة على مدّ نفوذها إلى الأحساء ذاتها، **ومن الواضح أن هدف هذا الامتداد لم يكن محاولة استيلاء على تلك المنطقة، إنما هو إظهار للقوة أمام حكام الأحساء ومن يَرْجُونَ مساعدة مناوئي الدرعية في نجد.**

وكان من ثمار التراجع الأحسائي أنَّ دهام بن دوَّاس ـ الذي كان لا يزال أشد خصوم الدرعية في نجد ـ جَنَحَ إلى السلم ودفع

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٥١/٢). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٢). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٩٥/١ ـ ٩٧).

غرامة مالية كبيرة لآل سعود[١].

* حادثة حرب المكرمي للدرعية وانضمام المعارضة النجدية والأحسائية إليه:

لم يَخْلُ نشاط الدولة السعودية الناشئة لتوحيد نجد من مشكلات صعبة؛ ذلك أن نكسة حلَّت بأهل الدعوة ودولتهم سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م نتيجة تدخل غير نجدي، ومن جهة لم يكن متوقعاً تدخلها، وهي نجران؛ فقد جاء رئيس نجران المسمى عندهم بالسيد هبة الله المكرمي الإسماعيلي[٢] بجيوش جرارة لمحاربة دولة آل سعود في الدرعية، واستطاع أن يحقق انتصاراً عليهم في معركة الحاير[٣] المشهورة[٤].

ولقد بعث انتصار الرئيس المكرمي على الأمير عبدالعزيز بن

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/١٨). وسليمان بن سحمان «كشف غياهب الظلام» (٢٤ ـ ٢٥). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/٩٧ ـ ١٠٠).

(٢) هو الحسن بن هِبَة الله المكرمي. انظر ترجمته عند: حسن بن جمال الرِّيكي في كتابه «لمع الشهاب» (٨٩). وتعليق عبدالله العثيمين على كتاب الرِّيكي في هامش (ص٨٩). وانظر أخبار المكرمي عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٣ ـ ٩٦) (١٢٠ ـ ١٢١) (١٢٥ ـ ١٢٦).

(٣) الحاير: المقصود هنا هو (حاير وادي حنيفة) أو (حاير سبيع)، الواقع في محناب هنالك من (وادي حنيفة)، يلتقي فيه ثلاثة أودية: (وادي حنيفة) و(وادي لحا) و(وادي البعيجا). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٢٨٧ ـ ٢٨٨).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٧٦٧ ـ ٧٦٩). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٩) (٦٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٣ ـ ٩٥).

محمد[١] الأمل في نفوس المعارضين النجديين للدولة السعودية ودعوتها السلفية، فظنَّ أكثر أولئك المعارضون «بعد هذه الوقعة أنَّ هذا النجراني هو الذي يستأصل أهل الدعوة، فوفد على النجراني دهام بن دوَّاس [وقدَّمَ] له [الهدايا]، ثمَّ قَدِمَ عليه رئيس بلد الدِّلَم وأثنوا وهنَّؤوه بالنصر وقالوا له: إن أخذت هؤلاء واستأصلتهم حصل المُلْك لك وكنتَ الرئيس على الجميع، فهشَّ النجراني لقولهم»[٢].

وحاولت جموع المعارضة النجدية غزو أهل الدعوة بالزحف على عاصمتهم الدرعية، فاتصلوا بالزعيم الأحسائي يستحثونه على القدوم لاستغلال فرصة ما حلَّ بجيش الدرعية من هزيمة على يد الزعيم المكرمي، وقد نجح اتصالهم بالزعيم الأحسائي فتوجَّه إلى العارض، واستنفر الأحسائي جميع عربانه واستلحق أهل بلدان نجد من المعارضين للدعوة، فأتَته الجيوش سوى أهل شقرا وضرما والعارض، وسار بكيده وجنوده، فما وصل الزعيم الأحسائي إلى الدهناء إلّا وقد أثنى الله عزم صاحب نجران، فأخلف الميعاد ورحل بقومه[٣]، بالرغم مِمَّا بذله المعارضون من المال للنجراني ليبقى، ولكن «لم تُصغِ لهم عزيمته، ولم تكن نفسه أبيَّة عن الأطماع، ولكن لِمَا قذفه الله تعالى في قلبه من الرعب والإفزاع والخوف والأجزاع، لم يُقِم غير ما ذكرنا في تلك البقاع، وأزاله الله تعالى عنها»[٤].

(١) لأنَّ الأمير عبدالعزيز وقتها كان أميراً ولم يصبح إماماً بعد؛ فأبوه محمد بن سعود لازال هو الإمام.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٩٥/١) باختصار يسير.

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٩٥/١ ـ ٩٦).

(٤) ما بين الهلالين لحسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٧٧٠/٢) باختصار.

وبالرغم من انسحاب المكرمي، فإنَّ الزعيم الأحسائي واصل زحفه، وانضمت إليه المعارضة النجدية واتجه الجميع ليُطَوِّقوا الدرعية من جميع الجهات، وكانوا يعتقدون أنهم سينتصرون على أهل الدرعية بعدما أصابها في الحاير، لكن جميع تقديراتهم فشلت لما أبداه سكان الدرعية من بسالة وإقدام.

وحاصل ذلك «أنَّ عريعر [الزعيم الأحسائي] استشار أعوانه من أهل نجد [الذين عارضوا الدولة والدعوة] في المنزل الذي ينزل فيه من الدرعية ليَسَع العربان وأهل البلدان، فاستقرَّ رأيهم أنَّه ينزل بين قَرِي قُصَيْر وقَرِي عمران[1]، فوَجِلَت قلوب أهل الدرعية من كيده، وتكاثرت جنود [الزعيم الأحسائي] وكثرت مدافعه وبنوده[2]، فأزعجهم ذلك وبُهِرَت عقولهم، ولَجَؤُوا إلى الله في كشف هذه المَهَمَّة والفتنة المُدلَهِمَّة، فلما نزل بذلك المكان وقرَّب المدافع والآلات إلى قرب الجدران والبروج، فرماها رمياً هائلاً لم يَنقضّ مِنه لَبِنَة، فزال الرعب والخوف عن أهل الدرعية فخرجوا إليهم خارج السور.

فأقبلت جنود عريعر تريد الدخول من أعلى الباطن[3]، فسابقهم

---

(١) قَرِي قُصَيْر وقَرَي عمران: من قريان (الدرعية)؛ (قُصَيْر) الذي يسمونها (قُصَيْر الروم) شمال شرق (الدرعية) و(عمران) شرقي (الدرعية) عند (الرفيعة) وفوق (الظهرة) و(سمحان). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٨٣ ـ ٢٨٤). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٢ ـ ٤٣).

(٢) البنود: مفردها (بند). أصلها فارسي. ومعناه: العَلَمُ الكبير. انظر: إبراهيم مصطفى وزملاؤه «المعجم الوسيط» (٧١).

(٣) الباطن: هو (سدّ الباطن)، أحد السدود الثمانية لـ (وادي حنيفة)، وهو سدٌّ قريبٌ من سدّ (الدرعية). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٤٩).

عبدالعزيز وأهل الدرعية وقاتلوهم أشدّ القتال وأخرجوهم منها قسراً، وقتلوا منهم رجالاً وأخذوا منهم أفراساً وأقاموا أياما، كلّ يوم قتال.

فخافت قوم عريعر وداخلهم الرعب والفشل وهمّوا بالرحيل، وندموا إذ لم يحصلوا على طائل، وتلك الأعوان [من المعارضة النجدية مثل:] دهام بن دواس و[صاحب ثرمداء] يثبِّطونهم وينخونهم على المقام والسكون في ذلك المنزل، وقالوا: نحن نعرف طريق قتالهم ومجالدة أبطالهم، وذلك بعدما أتى إليهم أهل الحريق[1]، فأخذوا في أهبَّةِ القتال، فأُخْبِرَ عبدالعزيز خبرهم فاستعدَّ لقتالهم، وجَمَعَ مقاتلة أهل الدرعية.

فلمَّا أصبحوا سارت جنود عريعر إلى الجدران وقاموا يرمون بالقنبر والمدافع، وأهل الدرعية ثابتون. ونزل بعض أهل الأحساء قصدهم جدار سمحان[2]، وأهل سدير وأهل الوشم وأتباعهم قصدوا قَرِي قُصَيْر وأحاطوا بجهة من البلد وحصل قتال بينهم شديد فرجعوا خائبين، وقُتِلَ منهم أكثر من خمسين رجل فداخلهم الفشل والرعب والوَجَل، وأبطل الله كيد عريعر وجنوده وأوقع الرعب فيهم والفشل فرحلوا عنها صاغرين، وكانوا قد أقاموا عليها أكثر من عشرين يوماً»[3].

---

(١) ستنضمّ بلدة الحريق فيما بعد إلى الدولة السعودية سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣١٤/١).

(٢) سمحان: حيٌّ من أحياء (الدرعية)، داخل الأسوار شمالي (الدرعية). واليوم يتوسّطه مركز التنمية هناك. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٦/٢).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٩٧/١ ـ ٩٨) باختصار يسير.

* تنبيهٌ على الاعتبار من الوقائع الحربية التي حصلت لأهل الدولة والدعوة وقتها:

لا بد من التنبيه على أمر جِدّ مهم من الحوادث السالفة؛ وهو الاعتبار بما فعله الله بمن عادى أهل هذه الدعوة وتلك الدولة السعودية إبان بداية دعوة الشيخ لهم؛ «**فإنَّ الذين أنكروا هذه الدعوة من الدول الكبار والشيوخ وأتباعهم من أهل القرى والأمصار وأجلبوا على عداوة أهل الدعوة السلفية، وهم إذ ذاك في عدد قليل وفي حال تخلّف الأسباب عنهم وفقرهم، فرموهم عن قوس العداوة؛** فمن أهل نجد كأهل الخرج والحوطة[١] والوشم وقرى سدير والقصيم وبوادي نجد وملك الأحساء ومن تبعه من حاضر وباد، وكلهم تجمَّعوا لحرب دولة آل سعود وأهل الدعوة السلفية مراراً عديدة مع عريعر وأولاده؛ منها نزولهم على الدرعية وهي شعاب لا يمكن تحصينها بالأبواب والبناء، وقد أشار لذلك المؤرخ حسين بن غنام رحمه الله تعالى بقوله:

وجاؤوا بأسباب من الكيد مزعج مدافعهم يزجي الوحوش رنينها[٢].

فنزلوا البلاد، واجتمع من اجتمع من أهل نجد، حتى من يَدَّعِي أَنَّه من العلماء، ولما قيل لِرَجُلٍ منهم: **كيف أشكل عليكم عريعر**

---

(١) **الحوطة: هي هنا (حوطة بني تميم). وتسمى (حوطة الجنوب) تمييزاً لها عن (حوطة سدير). تقع في ملتقى (وادي نعام) و(وادي بريك). وهي اليوم بلدةٌ فيها إمارة يتبعها عدد من القرى، من إمارات منطقة (الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٥٤). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١/٤٩٣).**

(٢) **حسين بن غنام «تاريخ ابن غنام» (٢/٧٧٦).**

وفساده وظلمه وأنتم تعينونه وتقاتلون معه؟، فقال: لو أن الذي حاربكم إبليس لَكُنَّا معه.

المقصود: أن الله تعالى ردهم بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال وحمى الله تلك القرية، فلم يشربوا من آبارها»[١].

هذا الفشل الذي أوقعه الله بحملة الزعيم الأحسائي ومن معه أمام أسوار الدرعية، أدَّى إلى رفع معنويات أهل الدعوة التي كانت قد اهتزَّت نوعاً ما إثر معركة الحائر. ولم يجد رأس المعارضة النجدية دهام بن دوَّاس بُدّاً من طلب الهدنة من قادة الدولة السعودية الأولى، فأجيب طلبه، لكن الهدنة لم تستمر أكثر من تسعة شهور[٢].

* تولي الإمام عبدالعزيز بن محمد الحكم بعد وفاة أبيه/وانضمام البلدات النجدية للدرعية:

في نهاية ربيع الأول من عام ١١٧٩هـ/١٧٦٥م توفي الأمير محمد بن سعود[٣]، والحقيقة أنَّ وفاته لم تُغيِّر من الموقف الحربي كثيراً؛ لأنَّ ابنه الأمير عبدالعزيز بن محمد كان في أواخر أيام أبيه هو المسؤول الأول عن كافة العمليات التي تقوم بها الجيوش السعودية

---

(١) عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ في «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٧ ـ ١٨) بتصرفٍ يسير.

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٧٨). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٠). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٠٢).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٧٩).

داخل نجد وخارجها[(١)].

وعليه؛ تولَّى الإمام عبدالعزيز حكم الدولة السعودية الأولى بعد وفاة أبيه الإمام محمد بن سعود؛ وعبدالعزيز بن محمد كان تلميذَ للشيخ محمد، «فكان إماماً للمسلمين وحامي ثغور الموحدين، فبايعه الخاص والعام، وتتابع على البيعة الحضر والبدو، والشيخ [محمد بن عبدالوهاب] رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه وملأ قلوب الأعداء هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار وملأت هيبته قلوب ملوك الأقطار»[(٢)].

ففي سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م بايع أهل أشيقر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله ﷺ والسمع والطاعة، ثم تتابع المبايعون من قرى وبلدات الوشم ولم يَبقَ منهم أحد حتى أهل مرات. ثمَّ بايع أهل سدير، ومثلهم رئيس بلدة جلاجل وأمير ثرمداء[(٣)].

ثم بايع أهل المجمعة سنة ١١٨٣هـ/١٧٦٩م عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله ﷺ والسمع والطاعة، وبايعه كذلك أغلب أهل القصيم[(٤)].

---

(١) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية والدولة العثمانية» (١١٥).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٩٩ ـ ١٠٠).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٨٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٠٣ ـ ١٠٤).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٧٨٧ ـ ٧٨٨). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٧٩ ـ ٨٠). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١١٣).

وفي السنة التالية بايع أهل حاير سبيع على دين الله ورسوله ﷺ والسمع والطاعة[١].

* (رَجْفَة دهام بن دوَّاس)... الرياض تتفيَّأ ظلال حكم آل سعود:

سار أهل الدعوة سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م إلى الرياض بقيادة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فلما بلغوا عِرقة[٢] وافقوا دواس ولد دهام بن دوَّاس فقتلوه بعد معركة دارت بينهم في صفاة الظهرة[٣]، كما قُتِل أخوه سعدون ولد دهام بن دوَّاس[٤]، فلم يكن لعدو الدعوة دهام بن دوَّاس عين قريرة بعد مقتل ولديه سعدون ودواس، وداخله الفشل بعد ذلك[٥].

ومن ذلك أنَّ عبدالعزيز سار في سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٣م إلى

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٢٨٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١١٥).

(٢) عِرقَة: قرية من قرى (اليمامة)، تقع في منتصف (وادي حنيفة)، بين (الرياض) جنوباً و(الدرعية) شمالاً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/١٤٤) (١٩١).

(٣) صفاة الظهرة: بين (عِرقَة) و(الفوَّارة). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١١٦).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٤). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢١٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ في «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٥).

الرياض بجيوشه من أهل الدعوة ونازل أهل الرياض أياماً عديدة وضيَّق عليهم الحصار، واستولى أهل الدعوة على بعض بروج الرياض وهدموا أكثرها، وحصل بينهم قتال، وبعد هذه الوقعة دخل قلب دهام الرعب والخجل وداخله الخوف والوجل، فلم يستقر له عين، وقام يحاول الانهزام، وجَمَعَ رؤساء بلده وأخبرهم حقيقة مقصده وأنه مُلِئ خوفاً ورعباً، فصاحوا عليه أجمعون قائلون: خذ منَّا العهد والميثاق. فقال لهم: دعوني فليست هذه البلد لي وطن ولا أجد لي بها أَنَساً ولا سَكَناً.

فلمَّا وصلت جيوش أهل الدعوة إلى الرياض بقيادة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، عارضه البشير بأنَّ دهام بن دوَّاس فرَّ هارباً من الرياض، فلما جَدَّ الإمام عبدالعزيز بالمسير إلى الرياض، فإذا دهام قد ألقى الله في قلبه الرعب، إذ خرج منها في النهار هو وأهله وعياله وأعوانه، وفرَّ معه جمعٌ من أهل الرياض، هربوا على وجوههم إلى البر وقصدوا بلد الخرج، وهلك منهم خلق كثير عطشاً وجوعا، تركوا الرياض خاوية على عروشها؛ الطعام واللحم في القدور والسواني في المناحي والأبواب لم تُغلَق. فلمَّا دخل الإمام عبدالعزيز الرياض نادى فيها بالأمان وأرسل إلى أهلها الذين هربوا بأنْ يرجعوا إليها، فرجع كثير منهم وسكنوها[1].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٩٤/٢ ـ ٧٩٧). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٤٩) (٧٦ ـ ٧٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٥). وعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (١٥/١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١١٦/١) (١١٩ ـ ١٢٠).

من هنا صارت تلك الواقعة يُضرب بها المثل في نجد وفي غيرها، فيقول أهل نجد في أمثالهم: «**رَجْفَة دَهام بن دوَّاس**» كنايةً عن هذه الحادثة وما يقع من مثيلاتها[١].

ومِمَّن هرب من الرياض؛ سليمان بن سحيم عدوّ دعوة الشيخ محمد ورأس الحربة في معارضتها، هرب ابن سحيم من الرياض حتى من قبل أن تضمها الدرعية إلى أملاكها، هرب من يوم بدأت إرهاصات تنامي قوة الدرعية وبروزها للعيان، وبدا له أنَّ الرياض سائرة لا محالة للانضواء تحت راية آل سعود، فلم يبق لابن سحيم قرار بالبقاء فيها وقد وصلتها الدعوة السلفية التي حاربها أشدّ المحاربة، فسافر إلى الزبير ولم يعد إلى الرياض إطلاقاً حتى توفي في الزبير[٢].

وبذلك انتهت مقاومة ذلك الخصم ـ دهام بن دواس ـ التي استمرت قرابة ثمانية وعشرين عاماً[٣]، تخلَّلَتْها فترات هدنة قصيرة جداً كان يلجأ إليها في حالات ضعفه الشديد[٤].

كان استيلاء عبدالعزيز بن محمد على الرياض ذا أهمية كبيرة في تاريخ الدولة السعودية الأولى، وقد عبَّر ابن غَنَّام عن هذه الأهمية بتسميته «فتحاً» ، وإفراد قصيدة من قصائده في ٣٢ بيتاً لتخليد ذاك

---

(١) انظر: محمد بن ناصر العبودي «الأمثال العاميَّة في نجد» (٥٧٨/٢).

(٢) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣٨٢/٢).

(٣) والمؤرِّخ النجدي محمد الفاخري في تاريخه «تاريخ الفاخري» (ص: ١٤٥)؛ يقدّرها بسبعة وعشرين سنة.

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٠٣/١).

الفتح في تاريخه[١].

على أنَّ من أهم نتائج ضمّ الرياض أنَّ دولة آل سعود تخلَّصَت من أقوى خصم نجدي لها، وأضافت قوة بلده إلى قوتها، كما أصبح في إمكانها أن ترسل جيوشها إلى مناطق بعيدة، خاصة جنوبي نجد، دون أن تخشى ضرب مؤخرة قواتها أو قطع مواصلاتها[٢].

وقد أدرك أهل الدعوة في الدرعية غاية الإدراك أبعاد ما توصلوا إليه من نصر، فعزموا على نشر الدعوة في مساحة تشمل منطقة نجد كلها، فامتدَّت الدعوة لتضم أهل حَرمَه، وكانت حَرمَه من البلدان التي وقفت مواقف صلبة وعنيدة أيام كانت الدرعية تعمل على توحيد بلدان نجد وضمّها تحت راية واحدة وعقيدة واحدة[٣].

ثم انضمَّت بلدة الحريق التي بايعت الدعوة وإمامها عبدالعزيز بن محمد في ذات السنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م[٤].

* حرب المكرمي الثانية ضد آل سعود وما تلاها من نتائج:

لم يكن المعارضون للدرعية بأقل إدراكاً لأبعاد ذلك النصر الذي تحقَّق لابن سعود؛ فلقد رأى المعارضون فيه نذير خطر عليهم، فتحركوا بكل ما يستطيعون لمواجهة تيار الدعوة السلفية الذي أوشك

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٩٩/٢ ـ ٨٠٠).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٠٤/١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٠٩/١).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٠٤/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٣/١ ـ ١٢٤). وستنزع بلدة الحريق يد الطاعة، ولكنها ستعود إلى دائرة أهل الدعوة سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م.

أن يكتسحهم[١].

من هنا رأت تلك المعارضة النجدية ممثلة بزعيم الدِّلَم بأنَّ أنسب من يعينهم على حرب أهل الدرعية هو رئيس نجران الحسن بن هبة الله المكرمي الذي كان صدى انتصاره على قوات الدرعية في الحائر سنة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م لا يزال عالقاً في الأذهان؛ وعليه قاموا يستحثون المكرمي على المجيء إلى نَجْد ويبذلون له الأموال الطائلة ليأتي ويحارب أهل الدعوة السلفية في الدرعية[٢].

فأقبل في ١١٨٩هـ/١٧٧٥م أهل نجران بقيادة المكرمي وجمع من قبائل البادية ومعهم أهل الوادي وغيرهم، وسار معهم أهل الخرج ومن حولهم، واجتمعت جموع تضيق بها القفار، وأعانوا المكرمي الذي أخرجوه بكثير من الأموال وتباروا في تكريمه بالهدايا الكثيرة، ومثلهم أرسل الزعيم الأحسائي بطين بن عريعر[٣] من الأموال الكثيرة وأحمال الطعام إلى الزعيم النجراني، قيل إنَّه أرسل للمكرمي ستة آلاف دينار وثلاثمئة بعير من القمح والأرز والتمر[٤].

فأقبل الزعيم المكرمي بجنوده ونزل الحاير وتقاتل مع أهلها

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٠٤/١).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٠٠/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٠/١) (١٢٥).

(٣) بطين بن عريعر بن دجين، من آل حميد بني خالد زعماء الأحساء. تولَّى بعد موت أبيه في (الخابية) بالقصيم سنة ١١٨٨هـ/ ١٧٧٤م. اغتاله أخويه سعدون ودجين خنقاً وسط البيت. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٢/١) (١٢٥).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٥٥/٢).

وقطع عليهم نخيلهم، ثم تلاحقت باقي جنوده عليه فسار بها إلى ضرما التي تحصَّن بها جنود الدولة السعودية بقيادة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فوصلهم المكرمي بجنوده فتقاتلوا قتالاً عنيفا، وقتل أهل الدعوة من جنود المكرمي قتلاً ذريعا، وكان القتال يدور بين النخيل والأشجار، فهرب جنود المكرمي ومن معه من المعارضين النجديين، وارتحلوا راجعين إلى أوطانهم، فندم أعداء الدعوة على ما بذلوا من الأموال العظيمة لمَّا انهزمت أعوانهم تلك الهزيمة[(١)].

* انضمام البلدات النجدية إلى الدولة السعودية الأولى:

بعد هذه المقاتلة التي ذكرناها مع المكرمي؛ بايع أهل القصيم سنة ١١٨٩هـ/١٧٧٥م الإمام عبدالعزيز بن محمد على السمع والطاعة[(٢)]، وجاء أمير الدِّلم إلى الدرعية فجأة دون إشعار ولا مفاوضة فبايع على السمع والطاعة وانضمَّ للدولة السعودية[(٣)].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٠٥ ـ ٨٠٨). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٢٥ ـ ١٢٦).

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٠٩ ـ ٨١٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٢٧). وستنزع بعض بلدان القصيم يد الطاعة عن الإمام عبدالعزيز في سنة ١١٩٦هـ/ ١٧٨٢م، ولكنها ستعود مرة أخرى للطاعة سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٨م كلها مع بلدة عنيزة.

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨١١). لكنَّ زعيم الدِّلَم سيعود ويظاهر الدرعية بالعداوة فيما بعد، ولكنَّ الدِّلم ستعود إلى دائرة أهل الدعوة سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م.

ثم في سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م أعطى أهل نتيفة[(١)] البيعة للإمام عبدالعزيز بن محمد على السمع والطاعة، ومثلهم أهل اليمامة[(٢)] بايعوا وانضموا تحت لواء الدولة السعودية[(٣)].

وفي ١١٩٣هـ/١٧٧٩م انضمّت حَرْمَة تحت حكم الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[(٤)]. وفي ١١٩٦هـ/١٧٨٢م بايع أهل روضة سدير أيضا[(٥)].

وفي سنة ١١٩٩هـ/١٧٨٤م انضمَّ أهل الأفلاج إلى أهل التوحيد في الدرعية، وكذا انضمّ وادي الدواسر[(٦)] إلى الدرعية وبايعوا الإمام

---

(١) نتيفة: بلدة في (الدِّلم)، في إقليم الخرج. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٣٤).

(٢) اليمامة المقصودة هنا: هي البلدة الكائنة في إقليم (الخرج). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٤٧٤ ـ ٤٧٥).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨١٢ ـ ٨١٣). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٥٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٨٥ ـ ١٨٦).

(٤) انظر: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (١٠٩). وستنقض (حَرْمَة) عهدها مع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، ثمَّ تعود إلى الطاعة في ذات السنة بعد أن يحاصرها ابنه سعود وتستسلم له.

(٥) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨١٢ ـ ٨١٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥١ ـ ١٥٢).

(٦) وادي الدواسر: ليس وادياً بالمعنى المعروف تشقّه السيول ويأخذ صفة (وادي حنيفة)؛ ولكنَّه كان هكذا قديماً فتراكمت الرمال على مدافعه وزحفت على مجاريه، فظلَّ يحمل اسم (الوادي) باعتبار ما كان. وأصل هذا الوادي كان ينحدر من (جبال السروات) ومن عدة روافد كبيرة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٤٧ ـ ٤٤٨).

عبدالعزيز على السمع والطاعة راغبين في التوحيد وطالبين منهج الأمن، وقام أمراء ذلك الوادي بالدعوة السلفية والتوحيد أتمّ القيام وصاروا ردماً في الوادي لا يُرام وهدى الله بهم أناساً كثيرا.

وفي ذات السنة أيضاً ١١٩٩هـ/١٧٨٣م انضوت الدِّلَم تحت حكم آل سعود[١] بعد أن نزعت يد الطاعة.

وفي سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٧م وَفَدَ على الدرعية الأمير هادي بن قرملة[٢] وبايع الإمام عبدالعزيز. وفي ذات السنة انضمَّ أهل جبل شمّر[٣] إلى الدعوة وبايعوا الإمام عبدالعزيز بن محمد على السمع والطاعة[٤].

---

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٥٢ ـ ٨٥٥) (٨٦٦ ـ ٨٦٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٥) (١٦٣).

(٢) هادي بن قرملة: شيخ وشاعر وفارس. من الجحادر من قحطان. من قادة الدولة السعودية الأولى. سيُقتَل في معركة الصفراء التي بين جيش السعوديين وجيش طوسون باشا. انظر أخباره عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٦٥) (١٠٣٠) (١٠٣٤ ـ ١٠٣٥) (١٠٣٧). ولطف الله جَحَّاف «درر الحُور العِين بسيرة الإمام منصور بن علي وأعلام دولته الميامين» (٣٨٦ ـ ٣٨٧) (٤٠٠). وعثمان بن بشر في كتابه «عنوان المجد» (١/٢١١) (٢١٣ ـ ٢١٤) (٢٣٩) (٢٤٢) (٢٥٩).

(٣) جبل شمَّر: يُطلق على الجزء الجبلي من أرض قبيلة شمَّر شمال وسط جزيرة العرب؛ أي الإقليم الذي تُشَكِّل تلال (أجا) و(سلمى) معالمه الرئيسية. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦/٢٢٣٦).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٦٥). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٨٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦٠).

وفي سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م أمر الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب جميع أهل نجد أن يبايعوا سعود ابن الإمام عبدالعزيز، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك بإذن عبدالعزيز، فبايعوه جميعهم[(١)].

* الأحساء تتفيَّأ ظلال حكم الدولة السعودية الأولى:

في سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م تمكن القائد السعودي الشيخ سليمان بن عفيصان (ت: ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م)[(٢)] من توجيه ضربة استباقيةٍ لميناء العقير[(٣)]؛ ذلك أنَّ بعضاً من أهل الأحساء من المناوئين للدولة السعودية ودعوتها السلفية، جهَّزوا للغارة على البلدان الموالية لابن سعود، فناوخهم الشيخ ابن عفيصان بمن معه من السعوديين وأفشل ما جهَّزوا وغلبهم وغنم منهم[(٤)].

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٧٥/٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٦٢/١).

(٢) الشيخ سليمان بن عفيصان: أمير (الدلم) في (الخرج)، أحد قادة جيوش الدولة السعودية الأولى، كان ذا جرأة وشجاعة، وكان كثيراً ما يستعمله عبدالعزيز في السرايا. انظر أخباره: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٥٢/١ ـ ١٥٣) (١٥٦) (١٦١ ـ ١٦٢) (١٦٦) (١٧٩) (٢٠٤). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٣).

(٣) العقير: على ساحل الأحساء. يبعد حوالي ٦٤ ميلاً جنوب شرق (القطيف). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٨٢١/٥ ـ ١٨٢٢).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٧٧/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٦٣/١).

ولمّا جاءت سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م كانت الهجمات على الدولة السعودية تأتي من قِبَلِ الأحساء بمعاونةٍ من العراق العثماني وبعض عربان العراق وعشائره التي ما فتئت تشنّ الغارات على الدولة السعودية[١]، عند ذلك رأى سعود بن عبدالعزيز بن محمد أن يسير بجنوده من الحاضر والبادي ناحية الأحساء، فنازل أهل المبرَّز[٢] ووقع بينه وبين أهلها رميٌ بالبنادق، ثمَّ رحل من المبرَّز ونازل أهل قرية الفضول[٣] شرقي الأحساء فأخذها[٤].

هكذا كانت الهجمات السعودية على الأحساء ردّ فعلٍ للتحرشات التي تنطلق من هناك على دولة آل سعود[٥].

---

(١) سيأتي في الفصل السابع مزيد تفصيل عن غارات العراق العثماني على الدولة السعودية الأولى.

(٢) المبرز: مدينة في (الأحساء)، تبعد عن (الهفوف) مسافة ميلين من جهة الشمال. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/القسم الجغرافي» (٤/١٥٧٥).

(٣) الفضول: قرية تقع شرقي الهفوف. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٣١١).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨١ ـ ٨٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦٨).

(٥) وبالرغم من تلك الحقائق يأتي المؤرّخ المصري جمال زكريا قاسم فيصوّر بأنَّ الهجمات السعودية على الأحساء كانت لمجرّد الطمع، حيث يقول: «كانت الأحساء مطمع أنظار سكّان نجد إذا ما حلَّ ببلادهم الجدب» هكذا!. انظر بحثه المُعَنْوَن بـ«موقف الكويت من التوسّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء» (ص٩٤) منشور في «المجلة التاريخية المصرية» المجلد ١٠، السنة ١٩٧٠م. وإلى مثل ذلك ألمَحَ المؤرّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن في كتابه «الدولة السعودية الأولى» (٨٧).

وعندما جاءت سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م بايع عربان الأحساء الأمير سعود ابن الإمام عبدالعزيز على السمع والطاعة بعد أن انتصر عليهم في موقعة غريميل[١] في الأحساء، ولم يؤاخذهم الأمير سعود على ما سلف منهم من العدوان على أهل التوحيد، بل عاملهم بالسيرة الحسنة وأكرمهم رغبةً منه أن يتفيَّؤوا ظلال التوحيد والسنَّة وترك ما يضادها، ثم أمر على زيد بن عريعر[٢] الذي كان جالياً عنده في الدرعية بأن يذهب للأحساء بعد أن انضمَّت للدولة السعودية وأن يقيم فيها التوحيد والسنَّة[٣].

وفي سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م أزال أهل التوحيد جميع ما في القطيف[٤] من الأوثان والمتعبدات الشركية، ثمَّ ضمَّ أهل التوحيد بعد

---

(١) غُرَيْمِيل: تصغير غرمول. جبل صغير واقع شمال (الأحساء) في الطرف الشمالي لما يسمَّى (نعلة شدقم) يفصل بينه وبينها (برق أبا الدلاسيس). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٢٦٠ ـ ١٢٦١).

(٢) هو زيد بن عريعر بن دجين، كان جالياً في الدرعية، ثمَّ سنَّمَه ابن سعود ولاية الأحساء نيابةً عنه سنة ١٢٠٤هـ/ ١٧٩٠م، ثم تقلَّبَ في مواقفه ضدَّ الدولة. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٠) (١٧٩ ـ ٢٠٠) (٢٠٣ ـ ٢٠٦).

(٣) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨٣ ـ ٨٨٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٠). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣٣).

(٤) القطيف: واحةٌ تقع في الجهة الشمالية الشرقية من (الأحساء). أما مدينة (القطيف) فتقع في الوسطِ من تلك الواحة، على خليجٍ يشمل أيضاً (جزيرة تاروت). انظر: حافظ وهبة «جزيرة العرب في القرن العشرين» (٧٢ ـ ٧٣).

ذلك عُنَكْ[١] والعَوامية[٢] والقُدَيْح[٣] كلها من بلدان الأحساء[٤].

وبالرغم من تلك الحقائق التي يصدّقها واقع تلك الفترة، يقول المؤرّخ المصري جمال زكريا قاسم: إنَّ فترة حكم آل سعود للأحساء «**تميَّزَت بطابع شديد من الإرهاب والقسوة**»[٥]، ولم يورد زكريا دليلاً واحداً على قوله.

ولا غرابة في وصف زكريا؛ فإنَّه يرى في الدولة السعودية «**خطراً وهابيّاً**»[٦] هكذا!، ويرى في ردّها للتحرشات والاعتداءات

---

(١) عنَك: بضم العين، ولكنَّ العامة تفتحها. تقع على الشاطئ جنوب مدينة (القطيف) بنحو خمسة عشر كلم، وشرق بلدة (سيهات) بنحو خمسة كلم. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٨٥٧/٢)، (١٨٨٠/٥). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١١٩٥/٣).

(٢) العوامية: قرية تقع على مقربة من مدينة (القطيف)، بينها وبين (صَفوا). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٢٠٣/٣).

(٣) القُدَيح: من قرى (القطيف)، جنوب مدينة (القطيف)، يحدها من الشرق البحر ومن الشمال حدود (العوامية) ومن الجنوب حدود (البِحاري). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٣٩٥/٤).

(٤) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنّام» (٩٠٠/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٨/١). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣٣).

(٥) انظر بحثه المُعَنْوَن بـ«موقف الكويت من التوسّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء» (ص٩٤)، سبق ذكره.

(٦) المرجع السابق (ص٩٤).

عليها من الأحساء بأنَّه: «**توسّع سعودي**»[١] هكذا!.

في حين يرى زكريا في احتلال محمد علي باشا للأحساء عملٌ يسعى إلى وحدة العرب؛ حيث قال عن ذلك: «**كانت** [أعمال محمد علي باشا] **تهدف في تقديرنا تحقيق الوحدة بين إمارات الخليج العربي**»[٢]!.

* وفاة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وذكر بعض الثناء عليه:

في ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م؛ توفي الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، «مقرّر دلائل البراهين ومحيي معالم الدين بعد دروسها ومُظهر آيات البراهين بعد أفول أقمارها وشموسها»[٣]، «المتفنن في فهم القرآن والاستنباط، المتفرد في نشر أعلام التوحيد، القائم فيها لله تعالى بالتجريد، المؤيَّد فيها بالإعانة من الحميد المجيد، المسدَّد فيما يُبدي من الدقائق ويعيد، المنصور من الله تعالى على كل جبار عنيد وعالم ضالٍّ مريد، الذي بهر علمه حين ظهر وشاع صوت فضله واشتهر وطبق أطباق الأرض صيته وانتشر، قامع أهل الشرك والضُّلَّال ورادع ذوي الزيغ والضَّلَال، مُعزّ أهل الدين والإخلاص والجُمَع ومُذلّ ذوي الإلحاد والأهواء والبدع، من أصبح مُحيًّا الدين به أضحى منيراً وظلام الضلال منقشعاً مستطيرا، وأصبحت به السمحاء

(١) وباسم هذا التوسّع وضع عنوان بحثه باسم: «التوسُّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء» !!!.

(٢) المرجع السابق (ص١٠٠).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ١٨٠).

مرفوعة العماد ثابتة الأطناب والأوتاد قائمةً على نهجها في البادية والبلاد»[١].

«كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ كثير الذكر لله، قلَّ ما يفتر لسانه من قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، وكان إذا جلس الناس ينتظرونه، فإنَّهم يَعلَمون إقبالَه إليهم حين يسمعون لهجه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير»[٢]. فكانت «حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة بين الأنام، لا يزال القرآن سميره في دجى الظلام. ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام، والتأني في تنفيذ الأحكام حتى يتيقن ذلك ويُحكِمَهُ أتمَّ إحكام»[٣].

«كان عطاؤه عطاء من وثق بالله عن الفقر، بحيث أنَّه يهب الزكاة والغنيمة في مكان واحد، ولا يقوم ومعه منها شيء، ويتحمَّل الدَّيْنَ الكثير لأضيافه وسائليه والوافدين عليه»[٤]، **فكان** «سمحاً جواداً كريماً لا يُلفى عنده المال مقيماً، وكان لا يردّ السؤال؛ إما أثاب عاجلاً أو بعد حال، فيرجع سائله بنجح الآمال»[٥].

وهذا حسن بن جمال الرِّيكي، بالرغم من عداوته البيِّنة للشيخ ودعوته، إلا أنه شهد بالحق وقال فيه: «فالمراد أنَّه ليس بطَلاب

---

(١) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠١/٢) باختصار.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨٠/١ ـ ١٨١) بتصرّفٍ يسير.

(٣) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠١/٢ ـ ٩٠٢).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨١/١).

(٥) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠٢/٢).

لجمع المال الكثير وإلا لما عَدَلَ عن سبيله، لِمَا بيَّنا وروينا من بعض أهل نجد يقول: كان محمد بن عبدالوهاب يُقري الضيف، ولم يُعهد أنه يوماً تَغدَّى أو تعشَّى في داخل بيته عند عياله إلا نادراً، وإنَّما كان يأخذ سفرته وخوانه يضعها في صهيوة[١] له خارج بيته، وهذا من عادة أهل نجد يبنون صهوات خارج بيوتهم يسمّونها مضايف، وكان من عادته أنَّه إذا أضافه أحد ثم أراد الذهاب، متَّعه بشيءٍ قدراً متيسّراً، هذا لا يفعله غيره من أهل تلك البلاد. وقيل: إنَّه يوقّر حقّ الجار على نفسه، ولم يُسمع له شتمٌ لأحد»[٢].

وكان للشيخ «مجالس عديدة في التدريس، كلّ يوم وكل وقت في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها، وانتفع الناس بعلمه... فنصر السنَّة وعظُمَت به من الله المنَّة، بعد أن كان الإسلام غريبا، فقام بهذا الدين ولم يكن في البلاد إلا اسمه، فانتشر في الآفاق وكل أمر أخذ منه حظّه وقِسمَه، وبعث العمَّال لقبض الزكوات وخرص الثمار من البادي والحاضر بعد أن كانوا قبل ذلك يُسَمَّونَ عند الناس مُكَّاساً وعشارا»[٣].

«واجتمع الناس على الصلوات والدروس، والسؤال عن أركان الإسلام وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها ومعاني قراءتها وأذكارها، فتعلَّمَ ذلك الصغير والكبير والقارئ والأمّيّ بعد أن كان لا يعرفه إلا الخصائص.

---

(١) الخوان: ما يؤكل عليه. أمَّا الصهيوة فهي: مصغَّرة صهوة، ومعناها: مقصورة.انظر: تعليق عبدالله العثيمين على «لمع الشهاب» (ص: ٦٥).

(٢) حسن الرّيكي «لمع الشهاب» (٦٥).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨١ ـ ١٨٢).

وانتفع بعلمه أهل الآفاق؛ لأنهم كانوا يسألون عمَّا يأمر به [الشيخ محمد وعمَّا] ينهى عنه، فيقال لهم: يأمر بالتوحيد وينهى عن الشرك. ويقال لهم: إنَّ أهل نجد يمقتونكم بالإشراك مع الله في عبادته... فانتهى أناس كثير من أهل الآفاق بسبب ما سمعوا من أوامره ونواهيه، وهَدَمَ المسلمون ببركة علمه جميع القباب والمشاهد التي بنيَت على القبور وغيرها من جميع المواضع المضاهية لأوثان المشركين في أقاصي الأقطار من الحرمين واليمن وتهامة وعُمان(١) والأحساء ونجد وغير ذلك من البلاد، حتى لا تجد فيمن شملته ولاية المسلمين الشرك الأصغر، فضلاً عن غيره، حاشا الرياء الذي قال فيه النبي ﷺ (إنه أخفى في هذه الأمة من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل).

وأمر الشيخ جميع البلدان وأهل النواحي يسألون الناس في كل مسجد كلّ يوم بعد صلاة الصبح أو بين العشائين عن معرفة ثلاثة الأصول؛ وهي معرفة الله ومعرفة دين الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليها من الأدلة من القرآن، ومعرفة النبي محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول ما دعا إليه وهي لا إله إلا الله، ومعرفة معناها، والبعث بعد الموت، وشروط الصلاة وأركانها وواجباتها، وفروض الوضوء ونواقضه، وما يتبع ذلك من تحقيق التوحيد من أنواع العبادة التي لا تنبغي إلا لله سبحانه.

فمحاسن وفضائل [الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب وفضله على أهل نجد وغيرها من بلدان جزيرة العرب] أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر... ولكن هذه قطرة من فضائله على وجه

---

(١) سيأتي بيانه في الفصل السادس.

الاختصار، وكفى بفضله شرفاً ما حصل بسببه من إزالة البدع واجتماع المسلمين وإقامة الجماعات والجُمَع وتجديد الدين بعد دروسه وقلع أصل الشرك بعد غروسه.

فعمرت نجد بعد خرابها وصَلَحَت بعد فسادها واجتمعت بعد افتراقها وحُقِنَت الدماء بعد إهراقها، ونال الفخر والفضل والملك من نصره وآواه [من آل سعود]، وملك حتى الحرمين الشريفين واليمن وأقصى عمان وما دون وما وراه[١]، وهكذا كل من نصر الشريعة من قديم الزمان تكون له الغلبة على من عاداه.

ولقد أحسن القائل:

وجَرَّت به نجد ذيول افتخارها ... وحُقَّ لها بالألمعيّ ترفّع[٢].

وكان [الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب] رَحِمَهُ اللَّهُ كثيراً ما ينشد هذه الأبيات:

بأيّ لسان أشكر الله إنَّه ... لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالإسلام فضلاً ونعمة ... عليّ بالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى اعتقاد ابن حنبل ... عليها اعتقادي يوم كشف السرائر»[٣].

«والواقف على مصنَّفاته وتقريراته يعرف أنَّه سبَّاقُ غايات

(١) سيأتي بيانه في الفصل السادس.

(٢) من مرثية حسين بن غنام في الشيخ الإمام بعد وفاته. انظرها في «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠٣/٢)

(٣) عن: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨٢/١ ـ ١٨٤).

وصاحب آيات لا يشقّ غباره ولا تُدرَك في البحث والإفادة آثاره»[١].
«وقد تَتَبَّع العلماء مصنَّفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أهل زمانه وغيرهم، فأعجزهم أن يجدوا فيها ما يُعاب، وأقواله في أصول الدين مما أجمع عليه أهل السنَّة والجماعة، وأما في الفروع والأحكام فهو حنبليّ المذهب، لا يوجد له قولٌ مخالف لما ذَهَبَ إليه الأئمة الأربعة، بل ولا خرج عن أقوال أئمة مذهبه»[٢].

«وقد عُرِفَ واشتُهِرَ واستفاض من تقارير الشيخ ومراسلاته ومصنَّفاته المسموعة والمقروءة عليه وما ثَبُتَ بِخَطِّهِ وعُرِفَ واشتُهِرَ مِنْ أمرِهِ ودعوتِهِ وما عليه الفضلاء من أصحابه وتلامذته؛ أنَّه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمَّة الدين أهلُ الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله التي نطق بها الكتاب العزيز وصحَّت بها الأخبار النبوية وتلقَّاها أصحاب رسول الله ﷺ بالقبول والتسليم، يثبتونها ويؤمنون بها ويمرُّونها كما جاءت، من غير تحريفٍ ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل»[٣].

«وله رَحِمَهُ ٱللَّهُ من المناقب والمآثر ما لا يخفى على أهل الفضائل والبصائر، ومِمَّا اختصَّهُ الله به من الكرامة: تسلُّط أعداء الدين

(١) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٢٨/١).

(٢) من جواب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن على أسئلة من جهة الساحل الشرقي، ضمن «الدرر السنيَّة» (٤٤٦/١).

(٣) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥١٦/١).

وخصوم عباد الله المؤمنين على مسبَّتِهِ والتعرُّضِ لبهتِهِ وغِيبَتِهِ»[١].

«فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً، فلقد أجاد وأفاد، ووضَّحَ معتقد السلف الصالح بعد أن باد، وأرخى عنان يراعه فأبدى وأعاد، حتى قلع الشرك من نجد بعد أن شاد، وأطَّدَ الإسلام فاستضاء به الحاضر والباد»[٢].



(١) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٢٨/١).

(٢) عبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنيَّة» (١٥٨/١).

الفصل السادس:

حكم الدولة السعودية الأولى يشمل غالب جزيرة العرب.

أولاً: الدولة السعودية الأولى تحكم الأحساء كاملا

كانت الأحساء قد انضمَّت للدعوة وقائدها الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود كما بُيِّنَ في الفصل السابق، على أنَّ تَمَرُّداتٍ وقعت من بعض أهاليها وحاولوا نزع يد الطاعة عن الدولة السعودية، فسار الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وقصد ناحية الأحساء سنة ١٢٠٧هـ/١٨٩٣م، فنزل عند ماء عين نجم، وخرج أهلها ليعلنوا طاعتهم للدولة السعودية، فدخل السعوديون الأحساء، وهدموا جميع ما فيه من القباب والمشاهد على القبور والمواضع الشركية فلم يتركوا لها أثراً[1].

وأقام الأمير سعود بن عبدالعزيز فيها قريباً من شهر، ورتَّبَ أئمة المساجد وأمرهم بالمواظبة على الصلوات وإقامة الجُمَع والجماعات ونادى بإبطال جميع ما خالف الشرع ورتَّب الدروس، وجعل فيهم علماء من قومه يعلمونهم التوحيد ويذاكرونهم ويعلمونهم أصول الإسلام .وفي سنة ١٢٠٨هـ/١٨٩٤م انضبطت الأمور قريباً من التمام

(١) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٠٩/٢).

في الأحساء على يد آل سعود[١].

ولقد شهد **محمد بن علي الشوكاني** بطيب سيرة حكم آل سعود في الأحساء يوم انضمَّت لدولتهم فقال: «فقد سمعنا أنَّه[٢] قد استولى على بلاد الحسا والقطيف، **ومن دخل تحت حوزته أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام**، وصاروا مقيمين لفرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئاً ولا يقومون بشيءٍ من واجباته إلا مجرَّد التكلّم بلفظ الشهادتين على ما في لفظها من عوَج»[٣].

من المهم القول: **بأن محمد بن فيروز أحد رؤوس المعارضة لدعوة الشيخ في الأحساء، والذي كان يحرض الدولة العثمانية وسلطانها على أهل نجد[٤]، لما أوشكت الجيوش السعودية أن**

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩١٥ ـ ٩٢١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٠٢ ـ ٢٠٣).

(٢) يقصد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

(٣) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٦) باختصار وتصرّفٍ يسير. بينما يرى المؤرّخ المصري جمال زكريا قاسم في نشر التوحيد ومحاربة البدع نوعٌ من أنواع التعصّب، حيث يقول: «اندفع السعوديون بشكلٍ تعصّبيٍّ بالغٍ بهدف نشر الدعوة الوهابية في سواحل الخليج العربي». انظر بحثه «موقف الكويت من التوسّع السعودي» (ص٩٦). وهذه مشكلة من يقرأ التاريخ من دونما ضابطٍ من العقيدة السليمة. علاوةً على ذلك؛ فإنَّ الذي حرَّكَ السعوديين إلى الأحساء إنَّما هو رد للاعتداءات والتحريضات الآتية من هناك.

(٤) راجع في الفصل السابق مبحث المعارضة النجدية واستقوائها بعلماء الأحساء وسلطتها.

تستولي على الأحساء في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، رحل ابن فيروز عنها إلى الزبارة[١] ثمَّ البصرة[٢]، وهناك استُقبِلَ استقبالاً حافلاً من الأعيان والعامة الكارهين للدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ.

قال بعض المؤرخين: إنَّ محمد بن فيروز لم ينتقل من الأحساء إلى العراق إلا بعد أن استولى آل سعود على الأحساء، وأنَّ الإمام عبدالعزيز بن محمد كتب إلى أميره في الأحساء براك بن عبدالمحسن ابن سرداح الخالدي أن يأمر محمد بن فيروز بالرحيل[٣]، ورحل معه تلاميذه ومريدوه، ومنهم صالح بن سيف العتيقي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٤] رحل إلى بلد الزبير[٥]، ومن هناك بدأ ابن فيروز وتلاميذه من جديد حملاتهم وتحريضاتهم على أهل الدولة السعودية[٦]، فنَظَمَ ابن غنَّام قصيدة عصماء يهجو بها ابن فيروز[٧].

---

(١) الزبارة: شمال شبه جزيرة قطر. كانت مقرّ آل خليفة قبل انتقالهم إلى البحرين. انظر: عثمان بن سند «سبائك العسجد» (١٩ ـ ٢٠). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٨٠٦/٢ ـ ٨٠٧).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١٢٧/١ ـ ١٢٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٠٦/١).

(٤) أوردنا موقفه المناوئ للدعوة والدولة في الفصل الثاني.

(٥) انظر: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام «علماء نجد» (٤٧٥/٢).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣١٨/١). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (٨١١/٢).

(٧) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٢/٢ ـ ٩٥٦). وقد أوردنا بعض أبياتها في الفصل السابق.

ورغم وصول النفوذ السعودي إلى هذه الدرجة في إقليم الأحساء فإنَّ أهالي شرق الأحساء حصل منهم الامتناع، ويذكر مؤرِّخٌ معاصر لتلك الحوادث أنَّ شرق الأحساء لم يُطِع، وهذا الشرق بلداناً كثيرة يبلغ عددها أربعين قرية، ورئيسهم لم يُطِع ابن سعود وأظهر العداوة، فسار سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى بلاد شرق الأحساء وجعل يحاربهم ستة أشهر[١].

وذكر ابن بشر في تاريخه: بأنَّ الذي أوكله آل سعود في الأحساء تمالأ مع أولئك المتمردّين، لأنَّه طَمع في أن يحكم مستقلاً عن نفوذ الدرعية التي يتلقى الأوامر منها، وحاول المُتَمَرِّدون دخول المبرَّز ففشلوا؛ إذ قام أمير السياسب[٢] بإبلاغ خبر هذا التمرّد للدرعية، فأسرع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بإرسال القائد إبراهيم بن عفيصان (ت: ١٢٢٩هـ/١٨١٤م)[٣] بقوةٍ استطلاعية أمام جيش ابنه سعود بن عبدالعزيز، فقاتلهم ابن عفيصان وأنزل بهم

---

(١) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٢٩ ـ ١٣٠).

(٢) السياسب: قيل إنَّهم من بني خالد، وفي تعليق عبدالرحمٰن آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» (١٨٧/٢) قال: إنهم بطن من بني عقيل بن عامر سكنوها أول الزمان. وتوجد محلَّة في المبرَّز تحمل اسمهم. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٥٧٧/٤). وحمد الجاسر «المعجم الجغراف للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٥٦٤/٤).

(٣) إبراهيم بن سليمان بن عفيصان: جعله الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود أميراً على ناحية الخرج، وجعله الإمام سعود الكبير أميراً على (الأحساء) ثمَّ على (عنيزة). توفي سنة ١٢٢٩هـ/ ١٨١٤م. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٢٨/١) (١٣٠) (٢٠٩) (٢١١) (٢١٥) (٢٥٤) (٢٧٨) (٢٨١) (٣٢٠) (٣٦٢) (٣٦٥). وعبدالرحمٰن الحصين «إبراهيم بن عفيصان القائد والأمير والداعية» (٥٢) رسالة ماجستير غير منشورة.

الهزيمة، ثم استطاع أن يُتِمَّ ضمّ القطيف وتاروت[١] إلى الدولة السعودية الأولى في سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م[٢]، ومن بعد ذلك عمَّر هناك الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود قصر صاهود[٣] وأقام به أناساً لأجل الحراسة[٤].

وعليه؛ كان انضمام الأحساء إلى الدولة السعودية الأولى فاتحة الطريق لعلاقاتها مع إمارة الكويت، وفاتحة الطريق لجيوشها أن تصل إلى المناطق المتاخمة لهذا الإقليم، مثل قطر وإمارات الساحل الشمالي وسلطنة عمان ثم جهات عسير وجازان ونجران والحجاز.



---

(١) تاروت: جزيرة في خليج القطيف. انظر: ج. لوريمر، «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٧/ ٢٤٤٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢١٦ ـ ٢١٧).

(٣) قصر صاهود: في بلدة «المبرَّز» لا يزال قائماً. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/٩٦٢).

(٤) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٣).

ثانياً: امتداد الدعوة السلفية وجيوش الدولة السعودية الأولى إلى قطر

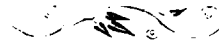
كانت الدولة السعودية قد وصلت في تقدّماتها العسكرية المبكرة إلى قطر منذ العام ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م حينما أغار القائد السعودي الشيخ سليمان بن عفيصان عليها واستعرض القوة السعودية هناك ثمَّ عاد[1]، وهي إشارة إلى ما بلغته تلك الدولة من قوة عسكرية وقدرة على الوصول إلى تلك البقاع.

وبعد أن أتمَّت الدولة السعودية الأولى وجيوشها ضمّ الأحساء وأصبحت تشرف على مياه الخليج العربي من خلال ميناء العقير وبقية موانئ الأحساء، بدأ السعوديون يسيرون قُدُماً إلى المناطق الأخرى الواقعة على ساحله، فاتجهوا إلى قطر، فقام القائد السعودي إبراهيم بن سليمان بن عفيصان في أواخر ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م بإخضاع معظم قرى قطر، ولم تَبْقَ غير الزبارة التي لم تخضع له، وكان من المهمّ إخضاعها لأنها أصبحت ملجأ أعداء الدعوة السلفية وموئل

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦١).

الفارين من وجه حكومتها السعودية والمتآمرين عليها[١].

وقد استولى عليها فعلاً إبراهيم بن عفيصان وأخذ قلعتها فيما بعد[٢]، **حتى أصبحت شبه جزيرة قطر «جزءاً من الأملاك السعودية على ساحل الخليج»**[٣]**. ويقول الشيخ حمد الجاسر (ت: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م): «كانت قطر كلّها تحت حكم الدولة السعودية»**[٤].



(١) انظر: حسين بن غنّام «تاريخ ابن غنّام» (٩٠٦/٢). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٢٠٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٠٩/١). وانظر أيضاً توثيقاً لذلك في: «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١١٠/١). أيضاً: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٧٩/٣). وعلي الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (٧٦)، رسالة ماجستير غير منشورة.

(٢) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٤٠ ـ ١٤١).

(٣) قاله: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٠٦).

(٤) حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٨٠٧/٢).

ثالثاً: العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وإمارة الكويت

معلومٌ أنَّ حكَّام إمارة الكويت جاؤوا من نجد[١]، وبقيَّة أهل **الإمارة من المنتمين إلى أصولٍ عربيةٍ أساسها منطقة نجد أيضاً - إلّا من ندر** - وكثيرٌ منهم هاجر من نجد إلى الكويت لأسبابٍ من أهمها القحط[٢]، «**لذلك فإنَّ الصلات التاريخية بين الكويتيين وبين النجديين من العمق والرسوخ بحيث لا تكاد تساويها - ناهيك عن أنْ تتفوَّق عليها - أيَّة صلات بين قطرين عربيين**»[٣].

ولمَّا دعا الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته السلفية الإصلاحية في نجد تردَّد صداها في الأقطار المحيطة، وكان أن وقفت الأحساء والحجاز والعراق موقفاً عدائياً من دعوة الشيخ والدولة السعودية

---

(١) فصَّلتُ ذلك وَوَثَّقته في كتابي «إمارة الكويت في ظلّ التنافس الدولي» (٣٧ - ٣٨).

(٢) انظر، على سبيل المثال، هجرة من هاجر من نجد إلى الكويت بسبب القحط الذي جرى على أهل نجد سنة ١١٨١هـ/١٧٦٧م، عند: حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (١٧٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٠٥).

(٣) عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الولى والكويت» (٨١).

الأولى التي ناصرت دعوته، فكان من الطبيعي أن يبلغ ذلك الصدى إمارة الكويت، ولكنَّ شيخها الثاني **الشيخ عبدالله بن صباح** (ت: ١٢٢٩هـ/١٨١٣م)[١] أراد أن يتبيَّن أمر هذه الدعوة، فأرسل إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب برسالةٍ ـ ربَّما يكون وقتها في حدود سنة ١١٩٠هـ/١٧٧٦م[٢] ـ، يستفسره عن حقيقة دعوته وعَمَّا يُنسَب إليه، فأجابه الشيخ محمد برسالةٍ تحوي الجواب على استفسار ابن صباح[٣].

حصلت بعد ذلك حوادث الأحساء التي انتهت إلى امتداد الحكم السعودي للأحساء الذي أنهى عنها حكم بني خالد، ولا شكَّ أنَّ تلك الحوادث كان لها أثرها على العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وإمارة الكويت؛ حيث لجأ إلى الكويت **زيد بن عريعر** وأنصاره[٤] الذين كانوا في حالة حربٍ مع دولة آل سعود، وصار لزيد يَدٌ في حوادث التمرّد في الأحساء التي تلت سنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٢م، وكان ردُّ الفعل السعودي على ذلك التمرّد بغزو سعود للأحساء مطلع العام ١٢٠٨هـ/١٧٩٢م وإعادتها للحكم السعودي، كما فصَّلناه في

---

(١) هو حاكم الكويت الثاني. حصلت في وقته معركة الرقَّة بين أهل الكويت وبني كعب أهل (المحمَّرة). وفي وقته انفصل آل خليفة عن عتوب الكويت وهاجروا إلى البحرين. انظر: عبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» (١١٠ ـ ١١٦).

(٢) رجَّحَ ذلك التوقيت بترجيحاتٍ قويَّة عبدالله العثيمين في كتابه «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (٨٣ ـ ٨٤).

(٣) انظر نصّ الرسالة عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٥١٦/١ ـ ٥١٨). وانظره في «الدرر السنية» (٧٤/١ ـ ٧٨).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩١٥/٢).

نهاية الفصل السابق وأوَّل هذا الفصل الذي بين يديك.

ولا ريب أنَّ بيت الحكم السعودي يدرك انَّ قبول أمير الكويت زيد بن عريعر لاجئاً في إمارته الكويت أمراً متمشيّاً مع شِيَم العرب والتقاليد المتوارثة، إضافةً إلى الروابط الخاصَّة التي كانت تربط إمارة الكويت بزعامة بني خالد، ولكنَّ المسألة لم تقف ـ فيما يبدو ـ عند قبول أمير الكويت زيد بن عريعر لاجئاً عنده، وإنَّما تجاوزت ذلك إلى كون إمارته قد أصبحت مكاناً لمن يعمل ضدَّ الحكم السعودي في الأحساء[١].

وإذا كان من المرجَّح أن تفهم القيادة السعودية قبول أمير الكويت لجوء من يلجأ إليه وتقدِّره، فإنَّه من غير المرجَّح أن تقبل كون إمارة الكويت تصبح مقرّاً لمن يقوم بنشاطٍ ضدَّها[٢].

ـ ابن عفيصان وإمارة الكويت ونقد بعض كتَّاب التاريخ:

لهذا السبب جاء الردّ السعودي على تلك الأمور؛ بِأَنَّ وجَّهت إلى الكويت بغزوٍ يقوده إبراهيم بن سليمان بن عفيصان.

هذا هو السبب، وليس كما صوَّره أحد كتَّاب التاريخ في الكويت قائلاً: «**إنَّ كَرَم ضيافة الكويتيين لبني خالد زاد من عداوة الوهابيين لهم**»[٣].

---

(١) هناك إشارة لذلك الأمر عند: مصطفى أبو حاكمة في كتابه «تاريخ الكويت الحديث» (١٢٤).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (٩٧ ـ ٩٨).

فتأمَل كيف تغاضى هذا الكاتب عن نشاط التحريض ضدّ دولة آل سعود الذي قام به بنو خالد اللاجئين في الكويت، وجعل الأمر وكأنَّه مُحدَّدٌ بمسألة الإيواء وقبول اللجوء فقط!.

وقد ردَّ العثيمين على كلام الإبراهيم قائلاً: «**لم تكن هناك عداوة بين السعوديين والكويتيين قبل نشاط زيد بن عريعر اللاجئ في الكويت حتَّى يُعبَّر بكلمة: زادَ!**»[١].

الحاصل؛ توجَّه ابن عفيصان إلى الكويت، يرافقه بعض من أهل الخرج والعارض وسدير حتى وصل بهم ابن عفيصان بلد الكويت، ورتَّبَ جيشه ووضع كميناً ثم انطلق إلى هدفه، فهبَّ مقاتلة أهل البلد للقائه، ولمَّا بدأ الاشتباك بين الطرفين خرج كمين ابن عفيصان، فانسحب أهل الكويت إلى سور بلدتهم بعد ان فقدوا نحو ثلاثين رجلاً، وكسب ابن عفيصان ومن معه غنماً كثيرة وأسلحةً ثمينةً شهيرة وعادوا إلى بلادهم. وقد ذكر تلك الحادثة مؤرخو نجد[٢]، كما ذكرها مؤرخو الكويت بكلّ حيادية[٣]، إلَّا قلَّةٌ منهم[٤].

---

(١) عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠٢).

(٢) مثل: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٢٣/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٠٩/١).

(٣) مثل: عبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» (١١٤). وسيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» (١٢٣).

(٤) قال راشد الفرحان في كتابه «مختصر تاريخ الكويت» (٦٤) بالنصّ والحرف: «وفي سنة ١٢٠٨هـ/ ١٧٩٨م غزا إبراهيم بن عفيصان الكويت بحثالةٍ من أهل السدير والخرج والعارض، وبعد ان فشل، رجع إلى بلاده خائباً». وعلَّقَ العثيمين على كلام الفرحان قائلاً: «من الواضح ما في مقارنة الفرحان التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي من خطأ، وما وصفه لعناصر الجيش السعودي من=

وبالرغم من ذلك جاء **المؤرّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن** ليصوّر مجيء ابن عفيصان على أنّه طمع سعودي بالكويت ومينائها![١]. وقريبٌ من عبدالرحيم صوَّر **المؤرّخ الكويتي راشد الفرحان** مجيء ابن عفيصان إلى الكويت بغرض احتلالها![٢].

وهذا كلّه غير صحيح، فإنَّ مجيءَ ابن عفيصان للكويت كان لإيوائها من يُحَرِّضُونَ ويَسْتَعْدُون دولة آل سعود؛ هذا هو السبب الواقعي، كما أنَّه واضحٌ أنَّ ذلك الغزو لم يكن الهدف منه الاستيلاء على بلد الكويت؛ وإلَّا لما اكتفى القائد السعودي بما قام به وعاد دون محاصرة الكويت، ومن الواضح أيضاً أنَّ إمارة الكويت لم يمتدّ نفوذها بعيداً عن أسوار بلدة الكويت، وأنَّ القبائل القريبة منهم قد دخلت بشكلٍ من الأشكال تحت النفوذ السعودي رغبةً أو رهبةً، وربما كان يحدث أحياناً بين أفرادٍ من تلك القبائل والسقاة من أهل الكويت نزاعات حول الموارد؛ تماماً كما كان يحدث بين فروع القبائل المختلفة عند موارد المياه في أيِّ جزءٍ من أجزاء الجزيرة العربية[٣]،

= تحاملٍ لا مبرّر له، وما في قوله عن فشل الجيش وخيبته من مخالفةٍ للواقع». انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠١).

(١) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١١٠).

(٢) قال راشد الفرحان في كتابه «مختصر تاريخ الكويت» (٦٤): «فلمَّا تبيَّنَ له فشله [يقصد ابن عفيصان] في احتلال الكويت» !!!. ومصطفى أبو حاكمة في كتابه «تاريخ الكويت الحديث» (١٢٥)، يصوّر الحادثة بنفس تصوير عبدالرحيم والفرحان.

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠٠) (١٠٤ ـ ١٠٥).

وهذا الذي حدا بعض موظّفي الحكومة البريطانية ليكتبوا في تقاريرهم أنَّ هجمة أو غزوة سعودية قد استهدفت الكويت[(١)]، **ولكنَّ نزاعات هذه طبيعتها ـ التي بيَّنَّاها هنا ـ لا يصحُّ أن يُعَبَّر عنها بأنها غزوات أو هجمات موجَّهَة من الدولة السعودية الأولى إلى الكويت**[(٢)].

ـ القائد السعودي منَّاع أبو رجلين وإمارة الكويت:

أمَّا ما جدَّ في طبيعة العلاقة بين الدولة السعودية الأولى وإمارة الكويت في سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م فإنَّه جرى بالتبعية لأحداث تلك السنة التي استطاعت فيها الدولة السعودية أن تُظِلّ الأحساء بأفياء حكمها وما أحاط بالأحساء كقطر وساحل عمان الشمالي وصولاً إلى أجزاء من سلطنة عمان[(٣)]، ثمَّ ما تحقَّق للدولة السعودية من قدرتها على ردّ هجمات الشريف عليها في عالية نجد ثمَّ امتداد نفوذها إلى حدود الحجاز[(٤)]، وعليه بدا واضحاً للعثمانيين أنَّ مسألة محاربة الدولة السعودية الأولى من جهة الأحساء وجهة الحجاز قد ظهر فشله وسقوطه، وبات لا مفرَّ أمام العثمانيين بعد سنة ١٢١٠هـ/١٧٩٥م من إرسال جيوش عثمانية من خارج جزيرة العرب للقضاء على الدولة

---

(١) هذا ما كتبه السير هارفرد بريدجز في تقاريره لحكومته البريطانية، انظر: كتابه «موجز لتاريخ الوهابي» (٧٦ ـ ٧٧).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١٠٥).

(٣) سيأتي تفصيل ذلك في المبحث التالي.

(٤) سيأتي تفصيل ذلك في مبحثٍ خاصٍّ في هذا الفصل.

السعودية الأولى[١].

كانت ولاية العراق العثماني هي الأنسب حينذاك لتكون منطلقاً للجيوش العثمانية المرسلة ضدَّ السعوديين، خصوصاً وأنَّ العراق كانت ملجأ لكثير من المعارضين الذين لم يرغبوا تفيُّؤ ظِلال الحكم السعودي[٢]، فكان من الممكن للوالي العثماني في العراق الاستفادة من هؤلاء المعارضين في أيَّةِ حملةٍ تُرسل من العراق إلى الأراضي السعودية، فاستفاد من تحريضهم[٣] وأرسل حملةً من عِندِهِ يقودها ثويني بن عبدالله (ت: ١٢١٢هـ/١٧٩٧م)[٤]، الذي نزل بحملته تلك

(١) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١١٣).

(٢) حول الجالين من نجد إلى العراق عموماً والزبير على وجه التخصيص، وحملهم من هناك لواء الدعاية للحرب والتشويه ضدَّ الدولة السعودية الأولى. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١١) (٤٣٩). ومحمد عبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (١/٧٢) (٧٤ ـ ٧٥) (١٢٧ ـ ١٢٨)، (٢/٦١٩ ـ ٦٢٠) (٦٧٠) (٩١٠) (٣/٩٧٣). وفي حواشي عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» (٢/٧٠٤) (٣/٩٧٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٨٧). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٤/١١٤ ـ ١١٥)، (٦/٢٤٣) (٣٠٢). أيضاً: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٧/٢٥٩٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢١٨ ـ ٢١٩).

(٤) ثويني بن عبدالله بن محمد بن مانع من آل شبيب: الملقَّب بأبي قريحة. تولى مشيخة قبيلة المنتفق بالعراق سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م. انظر: عثمان بن سند البصري «مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود» (٢٩٥ ـ ٣٠١). ويعقوب سركيس «مباحث عراقية» (١/١ ـ ٣) وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٢٤). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/١٠٢).

في أرض الكويت بموضع يقال له الجهراء[١]، وقد ذكر بعض المؤرّخين أنَّ جماعةً من الكويت انضمَّت إلى تلك الحملة، وأنَّ سفائن كويتية حملت قسماً من جيش ثويني[٢]، وقد فشلت حملة ثويني بمقتله وانسحاب جيش الحملة بعد ذلك. وقد جاء ردّ الفعل السعودي سريعاً على الباشوية العثمانية في العراق والتي بَادَأَت السعوديين بالحرب والتحرّش[٣].

ثمَّ في سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م أمر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على منَّاع أبو رجلين[٤] من قبيلة زِعْب[٥] أن يغزو بلد الكويت بجيشٍ من أهل الأحساء، فقام منَّاع بما أُمِرَ به، واتَّبَعَ في مهاجمته للكويت الطريقة التي اتَّبعها إبراهيم بن عفيصان قبل ذلك بأربع سنوات[٦].

---

(١) الجهراء: واحة تبعد عن مدينة (الكويت) حوالي ٣٣ كلم. وهي اليوم مدينة عامرة. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١١٠٧/٣). وحمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (٣٥٢/١).

(٢) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٧). وحسين خلف الشيخ خزعل «تاريخ الكويت السياسي» (٦٤/١). أمَّا أبو حاكمة في كتابه «تاريخ الكويت الحديث» (١٢٨) فيذكر مساعدةً كويتية غير مباشرة لحملة ثويني.

(٣) ستأتي تفاصيل تلك الحوادث في الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٤) أخباره قليلة، انظرها عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٠/٢ ـ ١٠٣١ ـ ١٠٣٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٩/١).

(٥) زِعب: من سُلَيْم. واحدهم زعبي. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣١٠).

(٦) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٣٢/٢). وعثمان بن بشر «عنوان=

ـ ردٌّ ونقدٌ لخطأ المؤرِّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن:

حاول أستاذ التاريخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن أن يصوّر غزو منّاع أبو رجلين ومن قبله غزو ابن عفيصان على الكويت بأنّهما محاولةٌ من قادة الدرعية للاستيلاء على بلد الكويت لما لمينائها من أهميةٍ في تموين نجد[١].

وهذا غير صحيح؛ فمن المعلوم أنَّ السعوديين ـ خاصةً بعد أن دخلت الأحساء تحت حكمهم ـ أصبحت لهم مَوَانِؤُهُم ذات الأهمية الكبيرة مثل القطيف والعقير، وأصبح في إمكانهم استيراد ما كانوا في حاجةٍ إليه من خارج جزيرة العرب عن طريق هذه الموانئ[٢].

ثـمَّ إنَّ الغزو السعودي الأول للكويت حدث نتيجة إيواء الكويتيين لخصوم آل سعود، وقيام هؤلاء الخصوم بنشاطٍ معادٍ للسعوديين، بينما حدث الغزو السعودي الثاني نتيجة تعاون الكويتيين مع حملة ثويني المرسلة من العراق، ولهذا فإنَّ الغزوين كانا ردَّ فعلٍ لتعاون الكويتيين مع خصوم الدولة السعودية الأولى وتحذيراً لهم من أن يتعاونوا مجدَّداً مع أولئك الخصوم بأيِّ شكل من الأشكال، فلم يكونا محاولةً لإخضاع الكويت للحكم السعودي؛ بل لهما هدف تحذيري واضح وقد تحقَّقَ[٣].

= المجد» (٢٣٩). وعبدالعزيز الرشيد «تاريخ الكويت» (١١٥). وسيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» (١٢٣ ـ ١٢٤). وعبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت» (١١٦).

(١) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (ص١١٠).

(٢) انظر: عبدالله العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى» (١٢٠).

(٣) انظر: المرجع السابق (١١٩ ـ ١٢٠).

ولو كان المراد إخضاع بلد الكويت للحكم السعودي فهل من المعقول ألَّا يُرسِل السعوديين إلَّا فرقةً صغيرة بقيادة مناع أبو رجلين في سنةٍ كانوا قادرين خلالها على تكوين جيوشٍ كبيرةٍ استطاعت أن تتوغَّل في العراق والحجاز وأن تحرز انتصارات على قوَّات لا يستهان بها في كلا القُطرين؟[1].



(١) انظر: المرجع نفسه (ص١٢٠).

رابعاً: الدولة السعودية الأولى تصل إلى عمان وإمارات الساحل الشمالي

تَوَلَّت أسرة البوسعيد[(١)] الحكم في سلطنة عمان في الوقت الذي ازداد فيه نفوذ آل سعود في نجد، وفي الوقت الذي وصل فيه نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى ساحل الخليج العربي وأصبح يجاور إقليم عمان مباشرةً.

ولقد كان سلطان بن أحمد بن سعيد البوسعيدي (١٢٠٦ ـ ١٢١٩هـ/١٧٩٢ ـ ١٨٠٤م)[(٢)] هو حاكم **سلطنة عمان ـ الكائنة ضمن إقليم عمان ـ** ، وفي عهده بدأت طلائع أهل الدعوة السلفية وبيارق الجيش السعودي تقترب من مدينة مسقط مقرّ الحاكم[(٣)]. وكانت الدولة

---

(١) أسرة البوسعيد: يرجع نسبهم إلى خلف بن أبي سعيد الهنائي، وهم من قبيلة زهران أحفاد مالك بن فهم الدوسي الزهراني الأزدي. انظر: نور الدين السالمي «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» (١٧٨/٢ ـ ١٧٩). أيضاً: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٠٩٢/٦).

(٢) سلطان بن أحمد البوسعيدي: تولّى الحكم بعد أن نازع أخيه سعيد بن أحمد بتأييد من علماء بلده، وجعل (مسقط) عاصمة لملكه. انظر اخباره عند: نور الدين السالمي «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان» (٢٠٢/٢ ـ ٢٠٥).

(٣) انظر: نور الدين السالمي «تحفة الأعيان» (٢٠٥/٢). وعبدالرحمٰن عبدالرحيم «الدولة السعودية الأولى» (١١٣).

السعودية قد أرسلت إلى حكام عمان كتاب «كشف الشبهات» للشيخ محمد بن عبدالوهاب، تدعوهم فيه إلى لزوم السنة والتوحيد(١).

ومن جهةٍ أخرى كان المَدُّ السعودي يتقدَّم بقيادة إبراهيم بن سليمان بن عفيصان إلى منطقة الصير/رأس الخيمة، واستطاع أن يعقد اتفاقاً معها لتكون متعاهدة مع نفوذ الدولة السعودية الأولى(٢)، فاتفق على ذلك القواسم(٣)، ومن قبل ذلك قامت قبائل نعيم(٤) الذين كانوا يقطنون البريمي(٥)، ومثلهم قبائل بني ياس(٦)، فأرسلوا إلى الإمام

---

(١) انظر: حميد بن رزيق «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين» (٣٨٠).

(٢) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٤٢ ـ ١٤٣).

(٣) القواسم: أوردنا نسبهم في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(٤) النعيم: أكبر قبائل (البريمي) وأقواها. يقال أنهم ينحدرون من الأوس والخزرج. وقبائل النعيم تنقسم إلى قسمين رئيسيين هما: آل بوشامس وآل بو خريبان. انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.432. و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٧١٥/٥ ـ ١٧١٨). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (٨٤/١ ـ ٨٧).

(٥) البريمي: تقع شرق جزيرة العرب، وتُعَدّ محوراً بين صحاري الجنوب الكبيرة وسواحل (الباطنة) ومناطق (الحجر) الداخلية، و(الظاهرة) وعمان الوسطى والشرقية. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٣٢٧/١ ـ ٣٢٨).

(٦) بنو ياس: تقيم في إمارة (أبو ظبي)، وهي قبيلة تضمّ عدداً من الجماعات تُقَدَّر بثلاث عشرة جماعة، منها: آل بو فلاح وآل بو فلاسة والرواشد والمزاريع والقبيسات والهوامل والمحاربة والرميثات والقمزان والسبايس وآل بو حمير والسودان والمرر وآل بو مهير والقنيصات والقَصَل وبني شكر وآل سلطان. وللتفصيل انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.438. و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٥٦٦/٧ ـ ٢٥٧١). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (٦٨/١ ـ ٧٦).

عبدالعزيز بن محمد بن سعود بموافقتهم للدولة السعودية ودعوتها السلفية وإعطائهم الزكاة لحكومتها[١]، ومن المعلوم أنَّ قبائل بني ياس ونعيم من القبائل السُنِّيَّة التي لم تجد في العقيدة السلفية السنيَّة شيئاً جديداً عليها[٢].

تَبِعَ ذلك تقدُّم إبراهيم بن عفيصان إلى واحة البريمي ١٢١٠هـ/١٧٩٥م، والتي تُعَدّ مفتاح الطريق البرِّيّ لإمارات الساحل الشمالي وسلطنة عمان[٣]، وأنشأ ـ في أثناء وجوده بهذه المنطقة ـ **قصر الصبارة**[٤]، **الذي اتخذته القوات السعودية والقبائل المتعاهدة معها قاعدة لها هناك، ومثله القصر الذي ابتناه القائد السعودي مطلق بن محمد المطيري**[٥] **وهو قصر الخندق في البريمي**[٦].

---

(١) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٤١ ـ ١٤٢).

(٢) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١١٤).

(٣) انظر: جون كيلي «بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠م» (١ ١٦١).

(٤) قصر الصبارة: واقع بين قرية (البريمي) وحيّ (الحماسة)، وهو حصن تملكه قبيلة النعيم الموالية لآل سعود. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج القسم الجغرافي» (١/٣٣٤ ـ ٣٣٥). وعبدالله المطوَّع «عقود الجمان» (٢٦٠ ـ ٢٦١). أيضاً: «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/٣٢).

(٥) مطلق بن محمد المطيري: أحد قادة الدولة السعودية الأولى، جاء إلى عمان سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وقُتِلَ في (واحة بديَّة) في المنطقة الشرقية من عمان سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٢م. انظر: عبدالله بن صالح المطوَّع «عقود الجمان» (١٣٣).

(٦) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١/١٦١ ـ ١٦٢).

ـ وصول الدولة السعودية الأولى إلى البريمي:

يقول عبدالله بن صالح المطوَّع (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م)[١]: «**إنَّ آل سعود لمَّا وصلوا البريمي سنة ١٢١٠هـ [١٧٩٥م] بدؤوا بنشر الدعوة السلفية بدون قتال ولا خصام ولا جدال، وأخذت الدعوة تنتشر بين القبائل؛ فيقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويدعو الناس بعضهم بعضاً إلى الخير، فانتشر العلم، وحصل الأمن، وأمِنَ الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم**»[٢].

ويؤكِّد المطوَّع قائلاً: «في سنة ١٢١٠هـ [١٧٩٥م] وجَّه الأمير سعود إبراهيم بن سليمان بن عفيصان إلى عمان، وأمره أن ينزل البريمي لأنها أقرب البلاد إلى الأحساء، ولأنَّ أهلها ينتمون إلى القبائل العدنانية ويضمُّهم الحزب الغافري.

فلمَّا وصلها وجد أهلاً ونزل سهلاً، لم يُرفع في وجهه سوط، ولم يتخلَّف عن استقباله أحد، كما أنه هو لم يتدخل بين الأمراء

---

(١) هو عبدالله بن صالح بن محمد بن صالح بن محمد آل علي، ينتمي إلى المُوَهَة من عِلْوا من قبيلة مطير. وُلِدَ في (الشارقة) عام ١٣١٠هـ/ ١٨٩٢م. وفي عام ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م أصيب بمرض القلب فنُقِلَ إلى الكويت للعلاج، كما سافر إلى الهند في العام نفسه للمعالجة من أمراض الشيخوخة، وقد توفِّي رَحِمَهُ اللهُ في عام ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م. انظر: ترجمة المطوَّع التي أتى بها محمد بن سعد الشويعر حيث زوَّدَهُ بها حمد بن خليفة أبو شهاب من أهل (دبي)، ونشرها الشويعر في بحث بعنوان: «مخطوط عقود الجمان» في «مجلَّة الدارة» العدد الثاني، السنة ١١، محرَّم ١٤٠٦هـ/ سبتمبر ١٩٨٥م، (ص: ٤٧ ـ ٤٩). وانظر أيضاً: المقدمة التي وضعها محمد سليمان الخضيري (ص١١ ـ ١٤) خلال تحقيقه لكتاب «عقود الجمان» لعبدالله المطوَّع.

(٢) عبدالله بن صالح المطوَّع «عقود الجمان» (٧٥).

وجماعتهم، ورضي منهم بالسمع والطاعة ودفع الزكاة لآل سعود وقبول الدعوة السلفية وإزالة البدع والخرافات والرجوع إلى الكتاب والسنَّة.

وقد انتشرت الدعوة السلفية بين قبائل البدو والحضر، وأخذ الناس يدعو بعضهم بعضاً إلى ذلك، وانتصب علماء السلف يعلّمون الناس»[١].

ـ تحالف القواسم مع الدولة السعودية الأولى:

برز العرب القواسم، الذين غدوا في الربع الأخير من القرن الثامن عشر قوةً بحرية لا يستهان بها وأخذوا يديرون شؤون الخليج التجارية من معاقلهم الرئيسية في رأس الخيمة وخور فكّان[٢] وغيرها لفترةٍ من الزمن دون وجود منازع يُذكر، كما أخذت سفنهم تمارس حقها الشرعي في الملاحة والتجارة في الخليج العربي والمحيط الهندي، فجاهدوا ـ في أثناء ذلك ـ السفن الإنجليزية التي طرأت على مياه الخليج العربي بسلسلة من الهجمات الجريئة[٣]، ردّاً على ما قامت به السفن البريطانية من حربٍ على الملاحة العربية في الخليج العربي والمحيط الهندي.

---

(١) عبدالله بن صالح المطوّع «عقود الجمان» (١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) خور فكّان: قرية ساحلية تَبْعُد حوالي ٢٥ ميلاً شمالاً عن (خور كَلْبا)، يحكمها القواسم حكّام (الشارقة). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢/٦٦٥).

(٣) انظر: عبد الوهاب عبد الرحمٰن «الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث» (٢٨).

وعندما وصل نفوذ الدولة السعودية الأولى جنوب شرق جزيرة العرب رحَّبَ سلطان بن صقر زعيم القواسم[١] بإعلان محالفته حكومة الدرعية في نجد وموافقة عقيدتها السلفية وتبنيه الدعوة إلى التوحيد والعمل على نشره ما وراء البحار[٢].

وسلطان بن صقر القاسمي هذا؛ هو الذي ردَّ على سلطان مسقط السيّد سعيد يوم أراد الأخير أن يستغلّ خلاف القاسمي وآل سعود فجاء سلطان مسقط يتنقَّص دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويلمّح إلى آل سعود، فقال سلطان القاسمي له: «**إنَّ ما جرى بيني وبين آل سعود من نوعٍ ما يجري بين الوالد وولده والأخ وأخيه، فلا غرابة في ذلك، وأمَّا العقيدة السلفية فهي العقيدة الحقّ التي لا أبتغي بها بديلاً، وعليها أحيا وعليها أموت إن شاء الله**»[٣].

الحاصل؛ أنَّ القواسم أصبحوا مُؤَازَرين من دولة قوية ـ هي الدولة السعودية الأولى ـ في ممارسة جهادهم البحري على نطاقٍ أوسع؛ ففي سنة ١٢١١هـ/١٧٩٧م هاجمت إحدى السفن التابعة لشركة

---

(١) سلطان بن صقر بن راشد القاسمي: أكبر شيوخ الأسرة القاسمية وأدهى رجال الحكم في رأس الخيمة. ساند الدولة السعودية. اشتهر بالشجاعة في التصدِّي لسفن شركة الهند الشرقية البريطانية. انظر على سبيل المثال: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦٢). وحميد بن رزيق «الفتح المبين» (٤٣٢) وما بعدها.
See also: Ch. R. Low, History of The Indian Navy, vol.1, p.315.
وعبدالله بن صالح المطوَّع «الجواهر واللآلئ في تاريخ عمان الشمالي» (٧٢).

(٢) انظر: عبدالله بن صالح المطوَّع «الجواهر واللآلئ» (٨١).

(٣) المصدر السابق (٨١).

البوسعيد وقتل قيس نفسه وكثير من رجاله[(١)].

ويبدو أنَّ هذا النصر الذي أحرزه مطلق المطيري بمساعدة القواسم كان حافزاً على التوغُّل في الأراضي العمانية، فدخلت القوات السعودية بلدة مطرح[(٢)] وكادت أن تصل إلى مسقط نفسها، وعلى إثْرِ ذلك التقدُّم السعودي أعلنت كثير من بلدان الظاهرة[(٣)] رغبتها في تفيُّؤ ظلال الحكم السعودي، وبالتبعية اعترفت بلدة بهلى[(٤)] ونزوى[(٥)] بالحكم السعودي[(٦)].

وعلى أيَّة حال؛ استطاعت جهود آل سعود أن تسفر عن انتشار

---

(١) انظر حوادث معركة خور فكان عند: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٥٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٧ ـ ٢٩٨). وعبدالله المطوَّع «عقود الجمان» (١١٨ ـ ١٢٤).

(٢) مطرح: تقع على الجانب الجنوبي الغربي من (خليج مطرح) وعلى بعد ميلين غربي مدينة (مسقط). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٤/١٥١١).

(٣) بلدان الظاهرة: تقع بين (الحجر الغربية) في الشمال الشرقي و(الربع الخالي). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢/٥٤٨).

(٤) بهلى: مدينة تقع على بعد ٢٠ ميلاً غربي (نزوى). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٢٥٩).

(٥) نزوى: تقع على بعد ٢٠ ميلاً غرب (ازكى) و(بهلى). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٥/١٧٣٣).

(٦) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٥٥ ـ ١٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣١٧ ـ ٣١٨). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٢٠).

دعوة التوحيد في قبائل القواسم ونعيم وبني بو علي والعوامر الذين اشتهروا بالشجاعة وحبّ القتال[١]، وبني قتب وبني كعب[٢] والهشم[٣] وآل علي[٤] الذين قال عنهم لوريمر «وواقع الأمر إنَّهم من الوهابيين»[٥].

وانتشرت دعوة التوحيد كذلك بين أبناء قبيلة الجنبة[٦] وبني

(١) العوامر: قبيلة كبيرة من عمان نزارية الأصل. انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.422.. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٢) بنو كعب: قبيلة مقرّها (المهاضة) في عمان آنذاك، وهم سُنيُّون ينتمون إلى الغافرية سياسياً. انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.428. و: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٣/١١٩٤). و«التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي» (١/٩٥).

(٣) الهشم: قبيلة تقيم في منطقتي (جعلان) و(الحجر الشرقية) في عمان، وقد انحدروا من نزار، وهم غافرية. موطنهم الرئيسي مدينة (كامل) في (جعلان). انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.426. و: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢/٩٣٣ ـ ٩٣٤).

(٤) آل علي: قبيلةٌ عربية في إمارات الساحل الشمالي (الإمارات اليوم) ومنهم من يتواجد في منطقة (شيبكوه) على الساحل الشرقي للخيج العربي في برّ فارس، وهم ينتمون إلى جماعةٍ غفارية، وهم من المسلمين السنيِّين على المذهب الحنبلي. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٨٢).

(٥) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١/٨٢).

(٦) الجنبة: قبيلةٌ عربية في سلطنة عمان، من أصل يمني، وهم سُنيُّون. عاصمتهم مدينة (صور) العمانية، ويملكون جزيرة (مصيرة). انظر: Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, vol.2, p.429. و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٣/١١١٥ ـ ١١١٦).

راسب، وكلّ هذه القبائل سنيَّة غافرية شملها ظلّ الحكم السعودي[١].

من بعد ذلك أقامت الدولة السعودية العلماء في إقليم عمان يَتَوَلَّوْن القضاء ويُفْتُون الناس ويُرشِدونهم إلى التوحيد ونَبذِ الشرك، فكان قاضي الدولة السعودية الأولى هناك هو عبدالله بن عبدالرحمٰن أبا بطين (ت: ١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)[٢] الذي كان يتولى تلك الأمور العظيمة[٣]، كما عَيَّنَ الإمام سعود الشيخ عثمان بن شبانة (١٢٤٢هـ/١٨٢٧م)[٤] قاضياً في عُمان وأقام في رأس الخيمة يُدرِّس

---

(١) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٥٥ ـ ١٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٦/١). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٢٤).

(٢) هو عبدالله بن عبدالرحمٰن أبا بطين العائذي فقيه الديار النجدية في القرن الثالث عشر الهجري. وُلِدَ في (روضة سدير) سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م، ثم ارتحل إلى (شقراء) واستوطنها، وتتلمذ فيها على يد الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن، ثمَّ رحل إلى (الدرعية). تولَّى القضاء في عِدَّة أقاليم زمن الدولة السعودية الأولى والثانية. برع في الردود وكشف شبه المبطلين، ومن أشهر ردوده «تأسيس التقديس في كشف شبهات داوود بن جرجيس». انظر ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٦٢٦/٢ ـ ٦٣٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٠٢/٣ ـ ١٧٠٤). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢٢٥/٤ ـ ٢٤٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٤/١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢٣٢/٤).

(٤) هو عثمان بن عبدالجبار بن حمد بن شبانة الوهيبي النجدي الحنبلي. وُلِدَ في (المجمعة) من بلدان (سدير)، ثمَّ رحل إلى (الدرعية) و(الأحساء) و(الكويت) و(الزبير) لطلب العلم. تولَّى القضاء في عِدَّة أقاليم. وهو الذي أجرى الصلح بين الإمام تركي بن عبدالله آل سعود وأهل (المجمعة) يوم حاصرها. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٥٥/٢ ـ ٥٧). وصالح آل عثيمين =

ومعه ابنه أحمد[١]، **كما أرسل الإمام سعود إلى عمان سَرِيَّة لِتُعَلِّم الناس فرائض الدين وَتَطَّلِع على أحوالِهم وترعاها**[٢].

ـ تحالف إيران مع السلطان سعيد:

كان سلطان مسقط السلطان سعيد يحاول أن يعقد اتفاقاً مع الإنجليز ليعاونوه ضدَّ الدولة السعودية الأولى، ولكنَّ أي نوعٍ من المعاونة الإنجليزية لم يحدث آنذاك؛ **لأنَّ الإنجليز يرون من مصلحتهم تجنّب مواجهة السعوديين**، فاتَّجه السيّد سعيد إلى إرسال بعثةٍ نحو شيراز يرأسها أخوه سالم في أواخر ١٢٢٦هـ/أواخر ١٨١١م طالباً العون منهم ضدَّ الدولة السعودية الأولى، **ووافق الإيرانيون على أنْ يمدُّوا له يد المعاونة بسبب كراهيتهم للسعوديين السلفيين، ولاعتقاد الإيرانيين أنَّ سيطرة السعوديين على عمان كلها لن تكون إلَّا مُقَدِّمَة للسيطرة على بلادهم.**

عاد سالم في أواخر ١٢٢٦هـ/أوائل سنة ١٨١٢م ومعه قوَّةٌ قوامها ١٥٠٠ إيراني مسلَّحين بأربعة مدافع خفيفة يعمل عليها جنود من روسيا، وقد استطاعت القوات الإيرانية العمانية أن تأخذ من السعوديين نخل وحصن سمايل[٣]، لكنَّ تلك القوَّة الإيرانية العمانية

= «تسهيل السابلة» (٣/١٦٧٠ ـ ١٦٧١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٧٩ ـ ٨٢).

(١) انظر: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٧١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٧).

(٣) حصن سمايل: مكانٌ هامٌّ يقع على الضفَّة اليمنى لـ (وادي سمايل) في سلطنة عمان. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦/٢١١٨).

أُبِيدَت عن آخرها داخل عمان حين حاولت الاستيلاء على قلعة إزكي[١]، فردَّهُم السعوديون عنها؛ ثمَّ تقدَّم السعوديون واستعادوا حصن سمايل مرَّة أخرى[٢].

ـ خلاصة القول في الحكم السعودي لهذه الأقاليم:

من خلال ما مرَّ معنا في المباحث السابقة؛ سيظهر لنا برهان تاريخي بَيِّن؛ **وهو أن الدولة السعودية الأولى في توجهها إلى الأحساء ومحيطها (مثل قطر) ثم وصولها إلى إمارات الساحل الشمالي وسلطنة عمان، لم يكن هدفها السلب والنهب كما يدَّعي البريطانيون والعثمانيون، بل إنَّ للدولة السعودية الأولى هدفاً سامياً ترمي إلى تحقيقه من خلال نشر ظلال حكمها النقيّ على تلك البقاع؛ وهو مكافحة الجهل ونشر العلم والدعوة السلفية وإزالة البدع والخرافات التي علقت بالدين الإسلامي الصحيح**[٣].



---

(١) إزكي: مدينة عمانية تقع في (وادي حلفين). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٠٨٧/٣).

(٢) انظر: حميد بن رزيق «الفتح المبين» (٤٤٣ ـ ٤٤٤) (٤٤٩ ـ ٤٥١). أيضاً: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٦٩٣/٢ ـ ٦٩٤) (٦٩٩).

(٣) انظر: علي الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (٢٤٦) رسالة ماجستير غير منشورة.

خامساً: الدولة السعودية الأولى في الجنوب حتَّى الحُدَيْدَة.

بعد أنْ تزايدت قوة الدولة السعودية الأولى بصورة سريعة ومتلاحقة وتفيَّأت في ظلالها معظم مناطق شرقي الجزيرة العربية، وبعد أن انضمَّت إلى تلك الدولة الفتيَّة معظم الكيانات السياسية الصغيرة التي كانت متواجدة في تلك المناطق، حصل أن ضَعُفَت البقية الباقية من تلك الكيانات التي دخلت معها الدولة السعودية الأولى في صراعٍ مرير، فأصبحت الدولة السعودية الأولى القوَّة الأبرز في جزيرة العرب.

وبناءً عليه؛ اتجهت أنظار أهل الدعوة النجدية وقادة الدرعية إلى نشر الدعوة السلفية في عسير؛ ففي عام ١٢١١هـ/١٧٩٦م بدأ نشاط الدولة السعودية الأولى في تلك الجهات يوم أرسلت الدرعية جيشاً كبيراً بقيادة رُبَيِّع بن زيد الدوسري(١) **الذي أغار على فئات من**

---

(١) **رُبَيِّع بن زيد الدوسري: أحد قادة الدولة السعودية الأولى، كان قد وَفَدَ مع أمراء وادي الدواسر إلى الدرعية سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٥م، وأعلنوا ولاءهم للدولة وحكامها ومناصرتهم للتوحيد والدعوة السلفية. انظر أخباره عند: لطف الله جَحَّاف «درر نحور الحور العِين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين» (٣٨٨) (٤٠٠) (٤٠٤ ـ ٤٠٥) (٤٧٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٥) (١٦٣ ـ ١٦٦) (١٧٥) (٢١٣) (٢٣٦) (٢٣٨) (٢٤٢) (٢٥١).**

شهران[١]، وغَنِمَ منهم إبلاً وغنماً كثيرة[٢].

وفي العام الذي يليه سار رُبَيِّع بأتباعه إلى بيشة والجنيْنَة[٣]، وقصده نشر التوحيد فيها وبث الدعوة السلفية بين أهلها، فقدموا عليه وأعلنوا السمع والطاعة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٤].

على أنَّه حدث بعد مبايعة أهل بيشة لآل سعود ردّ فعلٍ مباشر من ناحية شريف مكة الشريف غالب بن مساعد (ت: ١٢٣١هـ/١٨١٦م)[٥] الذي قام من فوره ليصدّ رغبة الساكنين في تلك الجهات في التَّفَيُّؤِ بأفياء حكم الدولة السعودية وليحارب أيضاً تمدّد الدعوة السلفية هناك؛ فقاد الشريف جيشاً ضخماً في العام نفسه مَكَّنَهُ

---

(١) قبائل شهران: بلادهم (بيشة) شمالاً إلى أعالي أوديتها في الجنوب حيث (بلاد قحطان) في سفوح (سراة عسير) على ضفاف (وادي شهران)، وقاعدتهم (خميس مشيط). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤١٨ ـ ٤١٩).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٦٥/٢). ولطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العين» (٣٨٧).

(٣) الجنيْنَة: من قرى (بني سعد) بمنطقة (بيشة) في إمارة بلاد (عسير). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٣٨٨/١).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٦٥/٢) (١٠٢٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٨/١).

(٥) الشريف غالب بن مساعد: من أمراء (مكة)، وليها بعد وفاة ابن أخيه الشريف عبدالله بن سرور. توفِّيَ منفياً في مدينة (سلانيك) من بلاد اليونان. انظر ترجمته وأخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٠/٣) (٣١٣ ـ ٣١٥) (٣١٨ ـ ٣٢٠) (٤٠٧) (٢٧٤/٤) (٢٨٥ ـ ٢٨٦). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٥/١ ـ ٣٦٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٢/١).

من الاستيلاء على البلدة المذكورة، على أَنَّ القوات السعودية بقيادة الأمير ربيّع بن زيد الدوسري والأمير هادي بن قرملة جاءته بكثرة هائلة وانتصرت عليه انتصاراً عظيماً في الخُرْمَة[١] سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م[٢].

وقد نجم عن الانتصار السعودي على الشريف غالب في معركة الخُرْمَة أن أُجْبِرَ الشريف على مصالحة الدولة السعودية الأولى، فدبَّ الشعور عند كثير من قبائل عسير بالقوة التي تملكها دولة آل سعود، فتهيَّأت تلك القبائل للدخول في طاعة تلك الدولة واعتناق دعوتها السلفية[٣].

وفي ذات العام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م تحرَّك القائد السعودي ربيع بن زيد الدوسري إلى بيشة مرةً أخرى وأدخلها في أفياء الحكم السعودي، فَعَيَّنَ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود سالم بن شكبان الرّمْثَيْن (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[٤] أميراً

---

(١) الخُرْمَة: بلدةٌ حجازية في وادي (تربة) بعد (الغريف)، تبعد عن (الطائف) ٢٨٠ كلم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٤٣).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٩ ـ ١٠٣٠) (١٠٣٦ ـ ١٠٣٧). ومحمد عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٨/١) (٢٤١ ـ ٢٤٤).

(٣) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٣٨٥ ـ ٣٨٧). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٤) سالم بن شكبان الرمثين: من قبيلة شهران، من أهل (بيشة) من قرية (الدُّحُو). انظر أخباره عند: لطف الله جَحَّاف «درر نحور الحُور العين» (٤٠٠).=

لها[١].

وإذا كان دخول بيشة في طاعة آل سعود خطوة مهّدت الطريق أمامهم إلى عسير، فإنَّ اقتناع **محمد بن عامر أبي نقطة** (ت: ١٢١٨هـ/١٨٠٣م)[٢] وأخيه **عبدالوهاب** (ت: ١٢٢٤هـ/١٨٠٩م)[٣] بالدعوة الإصلاحية السلفية النجدية وانضمامهما إلى الدولة السعودية. كان له دورٌ مهمّ في إقناع أهل منطقة عسير؛ سراةً وتهامة، للدخول

= عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» (١٠١) (١٢٨) (١٥٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥١/١) (٢٥٩) (٢٨٥ ـ ١٨٦) (٣٦٢).

(١) محمد عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥١/١).

(٢) محمد بن عامر، لُقِّبَ بـ«أبي نقطة» لسحابة كانت في إحدى عينيه. كان يسكن قرية (طبب) في عسير. ينتهي نسب أبو نقطة إلى فخذ المتحمي من قبيلة ربيعة ورفيدة إحدى قبائل عسير السراة. انظر أخباره عند: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢١ ـ ٢٣). ولطف الله جحَّاف «دُرر نحور الحُور العِين» (٣٨٨) (٤٠٠). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٨١/٦).

(٣) عبدالوهاب بن عامر المتحمي: تولَّى الإمارة بعد وفاة أخيه محمد. قُتِل عبدالوهاب سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م في معركة بيش. انظر أخباره عند: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٤ ـ ٢٥) (٢٨ ـ ٣٢) (٣٦ ـ ٣٨) (٤٠ ـ ٤٤). ولطف الله جحاف «درر نحور الحور العين» (٤٨١) (٤٨٣) (٤٨٩) (٥١٩). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٦٨ ـ ١٦٩) (٢٢٣) (٢٤٣) (٢٤٥) (٢٤٩) (٢٥٥). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٢٦ ـ ١٢٧). والحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١٠٠) (١٠٢) (١٠٥) (١١٤) (١١٦). وأحمد آل فايع «دور آل متحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير» (١٤١).

في ظلِّ الحكم السعودي[١].

وحاصل ذلك؛ أنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ترامت أخبارها في عسير في أوائل القرن الثالث عشر الهجري/أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، فَخَفَّ محمد بن عامر أبو نقطة مسرعاً إلى الدرعية للأخذ من مبادئ دعوتها السلفية، ورغبةً منه في حماية الدعوة في عسير من قِبَلِ قادة الدرعية ونشرها بين سكانها، كان ذلك في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م[٢].

ثم جدَّ محمد بن عامر أبو نقطة واجتهد في نصح أهل عسير ليعطوا السمع والطاعة لابن سعود والدخول في الجماعة، فصال وجال على القبائل لأجل ذلك، ولم يباشر محادداً ولا تَعَدَّى أحداً، وكان يبعث الرسائل إلى سائر القبائل مُرَغِّباً لهم وواعداً بالخير، **وكان يجلس صباح كل يوم يدرّس الناس التوحيد**، كان ذلك في غضون ١٢١٥هـ/١٨٠٠م[٣].

كلّ هذه الحوادث وافقت الوقت الذي ظهرت فيه الدعوة السلفية

---

(١) انظر: محمد بن هادي بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٣). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٢ ـ ١٠٣). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٣٨).

(٢) انظر: إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «تاريخ عسير» (٧٦). وهاشم النّعمي «تاريخ عسير» (١٣٤).

(٣) انظر: لطف الله جَحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٣٨٨). وإبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «تاريخ عسير» (٧٦). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٦/١٨١). وعبدالواحد محمد راغب «البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران» (٢/٤٢ ـ ٤٣).

آنذاك وانتشرت بين سكان سفوح جبال السراة وما جاورها من تهامة كالمخلاف السليماني/جازان عن طريق الدعاة السلفيين الذين بهرتهم دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن أبرزهم الشريف **أحمد بن حسين الفلقي** (ت: ١٢١٨هـ/١٨٠٣م)[١] من سكان صبيا، الذي كان قد اشتغل في شبابه الباكر بالبيع والشراء، وعندما سمع بمهاجرة بعض شباب تلك الجهة والبلاد المجاورة إلى الدرعية لطلب العلم بمدرسة الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ سارع الفلقي في التوجه والمسير لينتظم سلك الدارسين الذين سبقوه، مثل: **عرار بن شار الشعبي** (ت: ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م)[٢] من **قبيلة بني شعبة**[٣] **ومحمد بن عامر أبو نقطة وبعض أهل بيشة**[٤].

---

(١) مرَّت ترجمته في الفصل الثالث، في مبحث مظاهر الشرك في (جازان).

(٢) عرار بن شار الشعبي: من دعاة الدعوة في تلك المنطقة وأحد قادة الدولة السعودية الأولى هناك، وفيه رياسةٌ ظاهرة. توفي بداء الجُدري. انظر أخباره عند: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٤٦٠ ـ ٤٦١) (٤٨٦) (٤٨٩ ـ ٤٩٠). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠١) (١٠٩) (١١٣) (١١٦ ـ ١١٧) (١٣٦) (١٩٨). والحسن بن عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١٠٤ ـ ١٠٥). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٤) (٤٤٧ ـ ٤٥٠) (٤٥٢) (٤٥٧ ـ ٤٥٨) (٤٦٠). وانظر أيضاً: محمد عمر رفيع «في ربوع عسير» (١٩٦ ـ ١٩٧).

(٣) قبائل بنو شعبة: من قبائل جازان. تسكن قرية (الدرب) المنسوبة إليهم باسم (درب بني شعبة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٩٧ ـ ٣٩٨). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٣٨٠).

(٤) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٦١ ـ ٣٦٢) (٤٧٥ ـ ٤٧٧) (٤٨٥ ـ ٤٨٧) (٤٨٩). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٨٣ ـ ٨٥) في الهامش من تعليقات محمد أحمد العقيلي على الكتاب.

ـ العوامل التي مهَّدَت انضواء بلدان الجنوب وشمال اليمن في سلك الدولة السعودية الأولى:

لا بدّ من التنبيه على حقيقةٍ تاريخية في هذا الصدد قبل الولوج إلى البحث في وصول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحكم الدولة السعودية الأولى إلى المخلاف السليماني/جازان؛ وهي أنَّ من بين العوامل التي شجَّعت الدعوة السلفية والنفوذ السعودي على الوصول إلى عسير ثمَّ المخلاف السليماني ثمَّ الولوج إلى شمال اليمن؛ هي **إدراك قادة الدرعية على وجود تعاطف بين بعض علماء اليمن والدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وهو تعاطف يصل في كثير من حالاته إلى حدِّ الإعجاب والإيمان بهذه المبادئ منذ فترة مبكِّرَة من تاريخ الدعوة[١]، وهو ذات التعاطف الذي لم يقف عند حدِّ الإعجاب بمبادئ الدعوة وحسب، بل تعدَّاه إلى الإشادة بجهود آل سعود الحربية في سبيل نشر دعوتهم السلفية، حتى أعلن هؤلاء العلماء تأييدهم لكل جهود الدرعية في هذا الميدان[٢].**

وكان أول من أبدى هذا التعاطف أحد علماء صنعاء نفسها؛ وهو الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني الذي أرسل إلى الشيخ محمد بن عبدالوهاب قصيدة طويلة أظهر فيها إعجابه به وأثنى عليه قيامَهُ بدعوة

---

(١) انظر: عبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية» (٢٢٧/١). أيضاً: عبدالله أبو داهش «حوليات سوق حباشة» (ص: ١٩) العدد ١٦، السنة ١٦.

(٢) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٦٨ ـ ١٦٩). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٣٩/١). وعبدالواحد محمد راغب «البيان» (٥٠/٢).

التوحيد وإقامة شرائع الإسلام[١] فقال: «لما طارت الأخبار بظهور عالم في نجد يقال له: محمد بن عبدالوهاب، ووصل إلينا بعض تلامذته وأخبرنا عن حقائق أحواله وتشميره في التقوى وفي النهي عن المنكر والأمر بالمعروف، اشتاقت النفس إلى مكاتبته بهذه الأبيات:

سلامي على نجد ومن حل في نجد ... وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... (ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد)[٢]
قفي واسألي على عالم حل سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنَّه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي
لقد سرني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه أتى ... بتحكيم قول الله في الحل والعقد»[٣].

أما العلامة محمد بن علي الشوكاني فإنَّه يُعَدُّ من أبرز علماء اليمن نصرةً لهذه الدعوة وتأييداً لها[٤]، فقد وصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه «الداعي إلى التوحيد، المُنكِر على المعتقدين في

(١) انظر: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (٧٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٠٧/١). وعبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (٢٣٥/١).

(٢) شطر بيت من قصيدة لعبدالله بن الدمينة، ضمَّنها الصنعاني في أبياته.

(٣) محمد بن إسماعيل الأمير الحسيني الصنعاني «ديوان الأمير الصنعاني» (١٢٨ ـ ١٢٩).

(٤) عبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (٢٣٦/١).

الأموات»[١].

ولمَّا توفى الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب كان لهذا الأمر أثرٌ عميق في نفوس هؤلاء العلماء، حتى أن العلامة محمد بن علي الشوكاني رثاه بقصيدة طويلة، فقال:

مصاب به ذابت حشاشة مهجتي وعن حمله قد كلَّ متني وكاهلي
فقد مات طود العلم قطب رحى العلا ومركز أدوار الفحول الأفاضل
أفق يا معيب الشيخ ماذا تعيبه لقد عبت حقا وارتجلت بباطل
أفيقوا... أفيقوا... إنَّه ليس داعياً إلى دين آباء له وقبائل
دعا لكتاب الله والسنة التي أتانا بها طه النبي خير قائل[٢].

وبعد رثائه للشيخ، أشاد في نفس القصيدة بآل سعود وجهودهم في سبيل نشر الدعوة السلفية، فقال:

وأضعافها للمقرنين كلهم هداة الورى من محتدى فرع وائل
هم الناس أهل البأس يعرف فضلهم جميع بني الدنيا فما للمجادل
لقد جاهدوا في الله حق جهاده إلى أن أقاموا بالظُّبا كل مائل
فناديهُمُ في كلِّ نادٍ مبجّل فحقُّهُمُ التبجيل بين القبائل
لقد نصروا دين الإله وحزبه كما دمغوا داعي الهوى بالقنابلِ
عليهم سلام الله ما ذرَّ شارقٌ وما اهتزَّتِ الأزهارُ في صبح هاطل[٣].

---

(١) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٢).

(٢) انظرها في «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٤٠ ـ ٣٤٤).

(٣) المصدر السابق (١٦/٣٤٦).

إنَّ وجود مثل هذا التعاطف بين علماء اليمن والدعوة السلفية في نجد في وقتٍ لم يكن نفوذ الدرعية قد وصل بعد إلى حدود اليمن، ولم يكن الأمر قد استقام لها في نجد، **يؤكّد حقيقتين تاريخيتين** على غايةٍ من الأهمية؛ **أولاهما**: أنَّ بعض علماء اليمن ومن بينهم علماء صنعاء نفسها أصبحوا في غَضْبَةٍ على الأحوال السائدة في بلادهم، ولم تعد نفوسهم راضية عن انتشار الشركيات والبدع، لذا كانت نفوسهم تهفو إلى الإصلاح.

أما **الحقيقة الثانية**: فتؤكد أنَّ انتشار مبادئ الدعوة كان دائماً سابقاً لانتشار ظلال الحكم السعودي، بل إنَّ سبق مبادئ الدعوة إلى كثير من المناطق هي التي دفعت آل سعود إليها[١]؛ حمايةً للدعوة ومناوأةً لمظاهر الشرك والبدع والخرافات.

وإذا كنا بصدد دراسة امتداد دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى اليمن بشيءٍ من الدقة والعمق فيجب علينا أن نعرض أولاً بإيجاز لامتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى عسير وتهامة[٢] ثمَّ المخلاف السليماني/جازان، حيث أنَّه من هذه المنطقة بدأ انطلاق الدعوة السلفية والنفوذ السعودي إلى شمال اليمن.

أقول: هناك دلائل تشير إلى وصول النفوذ السعودي لهذه المنطقة منذ مطلع القرن الثالث عشر الهجري/نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، عن طريق انتشار مبادئ العقيدة السلفية بين قبائل هذه

(١) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧١).

(٢) تهامة: المقصود بها تهامة الجنوب، وقد تمَّ التعريف بها في الفصل الثالث.

المنطقة؛ مثل بيشة ورنيه[١] ووادي الدواسر جنوب الحجاز، وهي المناطق التي تتاخم منطقة عسير، وبعد أن انتشرت مبادئ الدعوة السلفية في بعض قبائل عسير وأصبحت تؤيد امتداد الدولة السعودية الأولى، وصل وفد من عسير بقيادة محمد بن عامر أبي نقطة، كما أشرنا سابقاً، إلى الدرعية وطلب من الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن يرسل معه بعض علماء الدعوة لتعليم أهل عسير التوحيد والعقيدة السلفية، فرحَّبَت الدرعية بطلب وفد قبائل عسير، واختارت بعض علمائها للذهاب مع الوفد إلى دياره[٢].

وترتب على وصول علماء الدرعية إلى عسير قيام معارضة من بعض أبناء قبائل المنطقة التي ناوأت انتشار مبادئ العقيدة السلفية وامتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى في مناطقها، إلا أنها حين دبّ التقاتل بينهم وبين من يؤيّد نفوذ آل سعود ودعوتهم السلفية كان الظفر من نصيب المؤيدين للدعوة السلفية ونفوذ الدولة السعودية، فازدادت القبائل المؤيدة للدعوة السلفية قوة كلما رأت النصر يتحقق في نواحيها، **حتى أنَّ بعض القبائل العسيرية دخلت في سلك الدولة السعودية الأولى بغير حرب**[٣].

ومن عسير بدت الدعوة السلفية تظهر في بعض مناطق المخلاف

---

(١) رَنْيَةْ: وادٍ ينحدر من (سراة خثعم) و(شمران) و(بلاد غامد) وينتهي في (عرق الدواسر). انظر: علي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٧٤٨/٢). وعلي السّلوك الزهراني «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (١١٣).

(٢) انظر: حسن الرِّبكي «لمع الشهاب» (٢٢٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٢٢٣).

السليماني/جازان، وأصبح لها دعاة فيها؛ فقد وصلت مبادئ الدعوة السلفية إلى قبائل بني شعبة في المخلاف السليماني عن طريق قبائل عسير، ولقيت نجاحاً وأثراً كبيراً في حياة سكانها؛ ومن ذلك أنّ مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية بهرت أحمد بن حسين الفلقي من أهل صبيا، وهو الذي التقى بأتباع الدعوة السلفية النجديين في موسم الحج سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٩م، وقيل سنة ١٢١٤هـ/١٨٠٠م، فاستهوته أخبار توفيق الله لها في قبائل عسير وبني شعبة، وقارن بين ما سمع وما يراه من حالة أهل المخلاف وما يسود أرجاءه من الاضطرابات والفتن، فخفَّ مهاجراً إلى الدرعية ليتلقَّى الدعوة من منبعها الصافي وموئلها العتيد(١).

وبعد وصوله إلى الدرعية وتحصيله مبادئ العقيدة السلفية اتصل بالإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ورجاه انتدابه لنشر الدعوة في المخلاف السليماني/جازان، فاستجاب له وزوَّده بكتابٍ من عِندِهِ موجَّه إلى أهل المخلاف مُحتَوٍ على إيضاحٍ لمبادئ الدعوة وأهدافها(٢)، فاتخذ الفلقي من هذا الكتاب وثيقة يعرضها على القبائل عند وصوله أرض المخلاف(٣).

لقد أصبح الفلقي مندوباً للدولة السعودية ودعوة الشيخ، فاستقرّ

(١) انظر: محمد عمر رفيع «في ربوع عسير» (١٩٥). وعبدالواحد محمد راغب «البيان» (٤٣/٢).

(٢) انظر النصّ الكامل لكتاب الإمام عبدالعزيز إلى أهل المخلاف، عند: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٦٨ ـ ٨٩).

(٣) انظر: محمد عمر رفيع «في ربوع عسير» (١٩٥). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧٤).

به المقام في وادي بيش[١] عند قبائل السادة الجعافرة، «وكان السادة الجعافرة أهل اعتقاد كبير في غير الله، وعندهم في بلادهم مقبور يسمَّى أبو سبعة[٢]، وكلّ أهل تلك الجهة لهم اعتقاد كبير فيه؛ يطلبون منه ما يطلب العبد من الربّ من الاستغاثة والتوكل»[٣].

فأحضر الفلقي من الدرعية مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وقام بتدريسها بين أتباعه، ثمَّ انتقل إلى مهمة الوعظ والإرشاد في المنطقة حتى سَرَت مبادئ الدعوة بين كثير من القبائل، فانتشر التوحيد في كثير من قرى المنطقة، وانضوت في سلك الدعوة السلفية كثيرٌ من القرى التي كانت تابعة لأمير صبيا، ورأى سكانها أنَّه يجب عليهم التحلل من سلطة أمير صبيا منصور بن ناصر[٤]، فكان نجاح الدعوة وقوّة انتشارها في تلك البلدات والقرى سريعاً مبهراً[٥].

---

(١) وادي بيش: من أكبر أودية (تهامة)، ومأتيه من (جبال السراة). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٠).

(٢) فصَّلنا الحديث عن «قبر أبي سبعة» في الفصل الثالث حين البحث عن حال (جازان) قبل الدعوة.

(٣) عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩١ ـ ٩٥).

(٤) منصور بن ناصر: من أبرز أمراء الأسرة الخيراتية، تولى إمارة (صَبْيا) سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩١م بعد أن تنازل له أبيه عنها. انظر ترجمته عند: محمد أحمد العقيلي في تعليقاته على «نفح العود» (٧٧) (٩١) لعبدالرحمٰن البهكلي. وانظر أخباره عند: الحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١١٥) (١٣٤ ـ ١٣٥) (١٦١) (١٧١ ـ ١٧٢) (١٧٥).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩٠ ـ ٩٤). والحسن بن أحمد عاكش الضمدي «الديباج الخسرواني» (١١٥). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٢ ـ ٤٤٣).

ولا شكَّ أنَّ الذي ساعد على النجاح السريع الذي لقيته الدعوة السلفية بين سكان مناطق المخلاف السليماني/جازان حاضرهم وباديهم؛ هو كراهية هؤلاء السكان لأمرائهم نتيجة إرهاقهم لهم بالضرائب وللنزاع المستمر بين حكام المخلاف على السلطة، فترتب على ازدياد انتشار الدعوة أنْ أصبح سكان المخلاف يرغبون بسلطة الدرعية حتى قبل أن تصل قواتها إليهم[١].

وتطوَّر الأمر حتَّى شاع أمر الدعوة عند قبائل شهران الذين كانوا في جنوب المخلاف، فرغب عرار بن شار الشعبي في اعتناقها سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م، فاتصل بأمير بيشة سالم بن شكبان، وعاهده على القيام بنشر مبادئ الدعوة السلفية في قبائل بني شعبة[٢]، وهو الأمر الذي يؤيد ما ذكرناه سابقاً من أنَّ انتشار العقيدة السلفية ووصول النفوذ السعودي إلى بيشة كان له أثرٌ كبير على امتداد هذا النفوذ إلى مناطق شمال اليمن.

لقد أصبح عرار بن شار أحد دعاة الدرعية في قبائل بني شعبة في الجنوب، ولم تكن المهمة التي تكفَّلَ بها عرار سهلة أو هيِّنة، فقد وجد معارضة قوية من بعض القبائل، فاتصل بالدرعية وأوضح لهم حقيقة الموقف الذي يواجهه، فأصدرت الدرعية أوامرها إلى **القائد حزام بن عامر العجمي**[٣] **بالتحرك إلى الجنوب على رأس**

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٩٥ ـ ٩٦). وعبدالله أبو داهش «أثر دعوة الشيخ» (١/٢٢٧).

(٢) انظر: محمد بن أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٣٨١) (٤٤٤).

(٣) حزام بن عامر العجمي: من قادة الدولة السعودية الأولى. انظر أخباره عند: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٨٦). وعبدالرحمٰن البهكلي «نفح =

سرية سعودية للوقوف إلى جانب عرار، فكانت سرية حزام أول قوة سعودية تصل إلى الجنوب عند حدود اليمن، وكانت تضم نحو مئة خيال من فرسان العجمان[(١)] ونحو خمسمئة من أهل الركاب والمطايا[(٢)].

وصل حزام بن عامر العجمي إلى درب بني شعبة والتقى بعرار، ونسَّق القائدان العمل فيما بينهما، وتمكنت القوة السعودية من إقناع المعارضين في الدخول في طاعة الدولة السعودية، وبذلك استقرَّ الأمر لعرار بن شار كأميرٍ سعوديٍ في المنطقة الممتدة من بلاد موسي[(٣)] وأهل قناة[(٤)]، وبني زيد[(٥)] وغيرهم من أهل سافلة الحجاز إلى

= العود» (١٠١) (١٠٧) (١١٠). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥) (٤٤٩) (٤٥٢).

(١) العجمان: القبيلة اليامية المعروفة في السعودية والكويت، وبيت إمارة القبيلة في أسرة آل حثلين.

(٢) عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٠ ـ ١٠١). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥)

(٣) بلاد موسي: من قرى (بني قطبة) من (رجال ألمع)، في إمارة بلاد عسير اليوم. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٤٣٨/٣).

(٤) قناة: من بقاع (جبل الحشر) في (جازان). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٣٤٩).

(٥) بنو زيد: من فروع قبيلة أَلْمَع، من عسير تهامة، ومنازلهم على ضفاف (وادي حسوة) في الجنوب الشرقي من (بلدة الشُّعْبَيْن)، بنحو ١٠ كلم. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٢٠).

الشقيق[١] وعِتْود[٢] في الجنوب حتى حدود اليمن[٣].

وتمكن القائد حزام بالاتفاق مع الفلقي من توجيه ضربة قوية لخبت السيِّد[٤] لأنها كانت تمثّل مركز المقاومة لنفوذ الدولة السعودية الأولى في المنطقة، وأزعجت عمليات حزام الحربية سكان القرى والبوادي التابعين للشريف منصور صاحب حصن صبيا، وطلبوا منه أن يصالح حزام العجمي[٥].

في تلك الأثناء وصل الفلقي إلى الأمير منصور يحمل إليه إنذاراً من حزام يطلب إليه الانضواء في ظلّ سلطة الدرعية، وبعد مباحثات تقرَّر إرسال وفد يمثّل جهات المخلاف الثلاث: أبو عريش وضمد وصبيا، ليلتقي الوفد بحزام في معسكره في الحجرين[٦] ويفاوضه في

(١) الشُّقيق: بالتصغير، بلدة ساحلية في الشمال الغربي من (جازان) على بعد ١٥٠ كلم عنها. انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٣١).

(٢) عِتْود: على وزن فِعْول، وهو من الأوزان القليلة جداً. و(عِتْوَدُ) وادٍ معروف في (جازان). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٨٤).

(٣) انظر: محمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٤) خَبْت السيِّد: (الخبت) هو القفر الخالي، إضافةً إلى (السيِّد) كون السادة النعميون يسكنونه. وهو واقعٌ في شمال غرب (بيش). انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٦) الحجرين: مثنَّى الحجر المعروف. وهي قرية غرب قرية (الجديين) من أعمال=

الأمر، فتمكّن الوفد من الاتفاق مع حزام على أساس رغبة المخلاف السليماني في الدخول في طاعة الدولة السعودية الأولى وقيام أمراء المخلاف باتباع نظم الدرعية الدينية والمالية والإدارية، وبعد أنْ تمَّت الأمور على ذلكم الوضع قفل حزام بن عامر العجمي راجعاً إلى الدرعية ليضع أمام أمرائها صورة كاملة للموقف كما رسمه[١].

وبنجاح القوات السعودية في ضمّ المخلاف السليماني لنفوذ الدرعية **أصبحت مناطق المخلاف كلها تابعة للدولة السعودية الأولى[٢]، وأضحت تلك المناطق نقطة الوثوب إلى مناطق اليمن الكائنة جنوبي المخلاف[٣].**

وبناءً عليه انضمت للدولة السعودية قبائل بني حسن[٤] وعيسى[٥] وغيرهم. كما استطاعت القوات السعودية أن تضمّ إليها، فيما بعد، اللحية وتأخذ عليها الزكاة، وضمَّت أيضاً بيت

= (صبيا). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٤٤).

(١) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥ ـ ٤٤٦). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧٧).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٣).

(٣) المصدر السابق (١/٣٥٧).

(٤) بنو حسن: من الأشراف ذوي حسن، يسكنون (الشواق) و(الشَّاتَيْن) جنوب (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١٥٧).

(٥) آل عيسى: من بني جابر من بَجالة، في أعالي (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٨٧).

الفقيه[١] وزبيد والحُدَيْدَة، والواقع أنَّ الحديدة كانت أقصى نقطة وصل إليها نفوذ الدولة السعودية الأولى جنوباً، وقد بايع رئيس الحُديدة وبيت الفقيه سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

وانضمت بعد ذلك للدولة السعودية الأولى قبائل يام[٢] في نجران وكانت تأخذ عليهم الزكاة[٣]، وضمَّت أيضاً مناطق وقرى الدرب[٤].

وبالرغم من عدم انضمام صنعاء لحكم الدولة السعودية الأولى، إلا أنَّ متاخمة الحكم السعودي لها جعلت لقادة الدولة السعودية القدرة على إرسال الوفود إلى إمام صنعاء تدعوه للتوحيد ونبذ مظاهر الشرك، وهو الأمر الذي شهد به الشوكاني حين ذكر: بأنَّ الوفود

---

(١) بيت الفقيه: قرية شمال قرية (الدهنا) في المخلاف السليماني/ جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٠).

(٢) بنو يام: بلاد يام في أودية (نجران) وما حوله، وفي (الجوف) الواقع جنوبه، وقد تفرَّقت منهم فروع في بلاد أخرى. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٨٩٥).

(٣) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٤٨٣). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٣). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٠) (٣١٢) (٣٥٤).

(٤) الدرب: اسم يطلق على مدينة (جازان الأعلى) شرق قرية (حاكمة) في طرف الحرَّة الشمالي الغربي. وهناك أيضاً (درب بني شعبة) شمال (جازان) على طريق عسير. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٨٠ ـ ١٨١).

القادمة من الأمير سعود بن عبدالعزيز لا تزال تأتي صنعاء وإمامها بمكاتيب بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيَّدة والقباب المرتفعة، حتى وقع الهدم للقباب والقبور المشيَّدة بصنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار(١) وما يتصل بها(٢).

وذكر الشوكاني أيضاً: بأنَّ «صاحب نجد [الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود] أرسل مجلدان لطيفان إلى إمام صنعاء، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبدالوهاب كلّها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنَّة»(٣).

ومن المهم هنا أن نختم بشهادة أخرى للمؤرّخ العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي شهِدَ على الحكم السعودي في عسير والمخلاف السليماني وشمال اليمن فذكر: **أنَّ من دخل في حوزة حكم آل سعود في تلك البقاع أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام.**

كما ذكر الشوكاني: **بِأَنَّ أهل تلك المناطق في المخلاف وفي صعدة اليمن بعد أن تَفَيَّؤُوا ظلال الحكم السعودي، صار غالبهم يقيمون فرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا.**

ثم شهد عليهم الشوكاني: أنَّهم كانوا قبل وصول دعوة الشيخ

---

(١) ذمار: مدينة كبيرة جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٦٤٩/١).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٣/١).

(٣) المصدر السابق (٣٥٧/١).

إليهم وقبل أن يمتدّ حكم آل سعود إلى مناطقهم؛ كانوا من قبل في جاهلية جهلاء، ثم صاروا من بعد يصلّون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها[١].



(١) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١).

سادساً: الحجاز في ظلّ حكم الدولة السعودية الأولى.

مرَّ معك في الفصل الأول - من هذا الكتاب - محاولات أشراف مكة مدّ نفوذهم على بعض أقاليم نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى، ذاك النفوذ الذي أخذ يضعف تدريجياً فيما بعد نتيجة تلاشي نفوذ الدولة العثمانية التي يتبعها أشراف مكة من الناحية الرسمية، ونتيجة أيضاً لمحاولات الامتداد الأحسائي المنافس للأشراف على بعض البقاع النجدية.

وبقراءةٍ متأنِّيَة لواقع تلك الفترة، سينبئكَ ذاك الواقع أنَّ أشراف مكة اهتموا كثيراً بأمر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، ثم زادَ همُّهم واهتمامهم أكثر حين قام حكام الدرعية/حكام الدولة السعودية الأولى بمناصرة دعوة الشيخ السلفية. وإليك تبيان ذلك على وجه التفصيل.

- شريف مكة وعلماؤها يكفّرون حنابلة نجد ويحبسونهم (سنة الحبس)، ويمنعونهم من الحجِّ:

تخبرنا المصادر التاريخية الموالية لأشراف مكة أنَّ بوادر احتكاكات حدثت بين أشراف مكة وأهل الدعوة التابعين لحكومة

الدرعية؛ تلك الاحتكاكات التي بدأت مع دولة الشريف مسعود بن سعيد (ت: ١١٦٥هـ/١٧٥٢م)[١]؛ لمَّا رامَ أهل نجد الحجَّ لبيت الله الحرام في زمن ذاك الشريف، وأرسلوا يستأذنون الشريف في ذلك، فَرَفَضَ طلبهم؛ لأَنَّ علماء مكة «**يعتبرون الوهابيين متعصبين وخارجين عن الدين، وقد أعلن قاضي مكة مراراً وعلى الملأ أنَّ هؤلاء ليسوا مؤمنين**»[٢].

وهذا الأمر أرَّخَ له مؤرِّخو البيت الحرام فذكروا: **بأنَّ أهل الدرعية أرسلوا ثلاثين عالماً إلى مكة، وأنهم طلبوا الإذن بالحجّ ولو بمقرّر يدفعونه كل عام، ولكنَّ الشريف منعهم؛ لأنه اعتمد على فتوى علمائه في مكة الذين أفتوا بفساد معتقد أهل نجد** (الوهابية كما ينبزونهم بذلك)، **وأنَّ أتباع الشيخ من أهل نجد لو دخلوا مكة سيفسدون عقائد علماء الحرمين**[٣]، **هكذا زعموا وتحجَّجوا.**

---

(١) الشريف مسعود بن سعيد بن زيد بن محسن، شريفٌ حسني، من كبار أمراء مكة، انتزع شرافة مكة من ابن أخيه محمد بن عبدالله سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م، واستعادها محمد بعد ثلاثة أشهر، ثم انتزعها مسعود سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م واستمرَّ بها إلى أن توفِّيَ سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م. انظر ترجمته وأخباره عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٦٠ ـ ٢٦٨). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» (٦٢٦/٣ ـ ٦٣٢). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢١٨/٧). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني» (١٧٨ ـ ١٨٠).

(٢) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٤ ـ ٢١٥) باختصار.

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٩٩). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (١١/٤). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٤٩١/٢) (٥٥٢).

فعلى تلك الهيئة صرَّحَ أشراف مكة وعلماؤها بمناوءة أتباع آل سعود من أهل نجد السلفيين منذ البداية، حتى أنَّ علماء مكة أطلقوا على أولئك النجديين التابعين لدولة آل سعود أوصافاً لا يقولها العاميّ الذي فيه شيءٌ من الحياء فما بالك بمن وَصَفُوا أنفسهم بالعلماء؛ فقد نبزوهم بـ«**المسخرة**» و«**الأضحوكة**» و«**الحُمُر المستنفرة فرّت من قسورة**»، ووصفوهم بـ«**الكفَّار**»، وقالوا بأنَّ أهل نجد «**لا يتديَّنون إلا بدين الزنادقة**»(١).

وشهد محمد بن علي الشوكاني على ذلك فقال: «**أمَّا أهل مكة فصاروا يكفِّرونه**(٢) **ويطلقون عليه اسم الكافر**»(٣).

حتى أنَّ الشريف مسعود كأنما استفظع التكفير الذي ألقاه علماء مكة على أهل نجد، فطلب من قاضي مكة الذي عنده بِأَنَّ يكتب حججه بكفرهم؛ حتى يكون في يده مستند شرعي ليمنعهم من الحج، فأفتى قاضيَهُ بكفرِ من يعتقد بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٤)، عندها أمر الشريف مسعود بسجنهم.

وفي ذلك يقول مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان أنَّ الشريف قَبَضَ

---

(١) هذه كلها بعينها الألفاظ التي رواها المؤرخ القبوري المكي أحمد زيني دحلان حين أورد وصف علماء مكة في حق حنابلة نجد، انظرها في كتابه: «خلاصة الكلام» (٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٢) يكفّرون الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويكفّرون الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبقية حنابلة نجد.

(٣) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٧/١).

(٤) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

على «**الوهابيين الملاحدة الأنذال**، ووضعهم في السجن والأغلال، فسَجَنَ منهم جانباً وفرَ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا»[١].

وفي رواية المؤرّخ النجدي محمد بن عمر الفاخري (ت: ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م): أنَّه في سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م قام «مسعود الشريف بحبس حاجّ نجد، ومات بالحبس منهم كثير»[٢].

ويسمِّيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب «**سنة الحبس، التي صرّحوا فيها أنَّ من أقرَّ بالتوحيد كَفَر وحَلَّ ماله ودمه وقُتِلَ في الحلِّ والحرم**»[٣].

وقد بلغ بهم الأمر أن منعوا أهل نجد من الحجِّ مدَّة ستين سنة.

وهذا الأمر يشهد به أحد علماء نجد الذي أدرك من حضر تلك الفترات؛ وهو الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، حيث قال: «ما جرى من حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية؛ ومن ذلك أنهم [أي أشراف مكة] من أول من بدأ بالعداوة [لأهل الدعوة السلفية في نجد]؛ **فحبسوا حاجَّهم، فمات في الحبس منهم عدد كبير، ومُنِعوا من الحجّ أكثر من ستين سنة**»[٤].

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٠٠).

(٢) محمد بن عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٣).

هكذا؛ **ستُّون سنة وأهل نجد ممنوعون من الحجّ إلى بيت الله الحرام**؛ لأنَّ علماء مكة وأميرها الشريف يرون أنَّ أتباع الدعوة من أهل نجد كفار!!!.

ودليل ذلك أنَّ مؤرّخ مكة القبوري أحمد زيني دحلان يسمّي آل سعود بـ«**أهل البغي والإلحاد**»[١]، وكان دحلان ينبز دعوة الشيخ بـ«**دين رعاة الغنم**» ويصف ما ينشره آل سعود من تعاليم تلك الدعوة المباركة بأنهم «**يعلّمون الناس ما يعلّمونه للبهائم والأنعام**»[٢] **هكذا**.

وكان دحلان لا يصف عقيدة أهل نجد ودينهم إلا بوصف «**الطين**»[٣]، وأنَّ ابن سعود «**أدخل القبائل في طينه**»[٤]، ويصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه أتى «**بالعقيدة الزائغة**»[٥]، ودحلان ينقل روايات علماء مكة الذين أدركوا تلك الحوادث، وهو على ما هم عليه من مواقف معادية لدعوة التوحيد.

ومِمَّا لا شكَّ فيه أَنَّ موقف شريف مكة مسعود بن سعيد ومن جاء بعده من الأشراف كأخيه الشريف مساعد (ت: ١١٨٤هـ/١٧٧٠م)[٦]، الذين منعوا أهل نجد من الحجّ لبيت الله

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩).

(٢) المصدر السابق (٣٦٢).

(٣) يقصد «الدين». انظر: المصدر السابق (٣٥٥ ـ ٣٥٦) (٣٦٣).

(٤) يقصد «دينه». انظر: المصدر السابق (٣٥٦).

(٥) المصدر السابق (٢٩٩).

(٦) الشريف مساعد بن سعيد: ولي إمارة مكة بعد وفاة أخيه الشريف مسعود سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م، واستمرَّ في الولاية إلى أن عُزِلَ سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، =

الشقيق[١] وعِتْود[٢] في الجنوب حتى حدود اليمن[٣].

وتمكن القائد حزام بالاتفاق مع الفلقي من توجيه ضربة قوية لخبت السيِّد[٤] لأنها كانت تمثّل مركز المقاومة لنفوذ الدولة السعودية الأولى في المنطقة، وأزعجت عمليات حزام الحربية سكان القرى والبوادي التابعين للشريف منصور صاحب حصن صبيا، وطلبوا منه أن يصالح حزام العجمي[٥].

في تلك الأثناء وصل الفلقي إلى الأمير منصور يحمل إليه إنذاراً من حزام يطلب إليه الانضواء في ظلّ سلطة الدرعية، وبعد مباحثات تقرَّر إرسال وفد يمثّل جهات المخلاف الثلاث: أبو عريش وضمد وصبيا، ليلتقي الوفد بحزام في معسكره في الحجرين[٦] ويفاوضه في

(١) الشُّقيق: بالتصغير، بلدة ساحلية في الشمال الغربي من (جازان) على بعد ١٥٠ كلم عنها. انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٣١).

(٢) عِتْود: على وزن فِعْول، وهو من الأوزان القليلة جداً. و(عِتْوَدُ) وادٍ معروف في (جازان). انظر: محمد بن أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٢٨٤).

(٣) انظر: محمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٤) خَبْت السيِّد: (الخبت) هو القفر الخالي، إضافةً إلى (السيِّد) كون السادة النعميون يسكنونه. وهو واقعٌ في شمال غرب (بيش). انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٦٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥).

(٦) الحجرين: مثنَّى الحجر المعروف. وهي قرية غرب قرية (الجديين) من أعمال=

الأمر، فتمكّن الوفد من الاتفاق مع حزام على أساس رغبة المخلاف السليماني في الدخول في طاعة الدولة السعودية الأولى وقيام أمراء المخلاف باتباع نظم الدرعية الدينية والمالية والإدارية، وبعد أنْ تمَّت الأمور على ذلكم الوضع قفل حزام بن عامر العجمي راجعاً إلى الدرعية ليضع أمام أمرائها صورة كاملة للموقف كما رسمه[١].

وبنجاح القوات السعودية في ضمّ المخلاف السليماني لنفوذ الدرعية **أصبحت مناطق المخلاف كلها تابعة للدولة السعودية الأولى[٢]، وأضحت تلك المناطق نقطة الوثوب إلى مناطق اليمن الكائنة جنوبي المخلاف[٣].**

وبناءً عليه انضمت للدولة السعودية قبائل بني حسن[٤] وعيسى[٥] وغيرهم. كما استطاعت القوات السعودية أن تضمّ إليها، فيما بعد، اللحية وتأخذ عليها الزكاة، وضمَّت أيضاً بيت

= (صبيا). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٤٤).

(١) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (١٠٦ ـ ١٠٧). ومحمد أحمد العقيلي «تاريخ المخلاف السليماني» (٤٤٥ ـ ٤٤٦). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٧٧).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٣/١).

(٣) المصدر السابق (٣٥٧/١).

(٤) بنو حسن: من الأشراف ذوي حسن، يسكنون (الشواق) و(الشَّاتَيْن) جنوب (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١٥٧).

(٥) آل عيسى: من بني جابر من بَجالة، في أعالي (اللِّيْث). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٨٧).

الفقيه[١] وزبيد والحُدَيْدَة، والواقع أنَّ الحديدة كانت أقصى نقطة وصل إليها نفوذ الدولة السعودية الأولى جنوباً، وقد بايع رئيس الحُديدة وبيت الفقيه سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة.

وانضمت بعد ذلك للدولة السعودية الأولى قبائل يام[٢] في نجران وكانت تأخذ عليهم الزكاة[٣]، وضمَّت أيضاً مناطق وقرى الدرب[٤].

وبالرغم من عدم انضمام صنعاء لحكم الدولة السعودية الأولى، إلا أنَّ متاخمة الحكم السعودي لها جعلت لقادة الدولة السعودية القدرة على إرسال الوفود إلى إمام صنعاء تدعوه للتوحيد ونبذ مظاهر الشرك، وهو الأمر الذي شهد به الشوكاني حين ذكر: بأنَّ الوفود

---

(١) بيت الفقيه: قرية شمال قرية (الدهنا) في المخلاف السليماني/ جازان. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٨٠).

(٢) بنو يام: بلاد يام في أودية (نجران) وما حوله، وفي (الجوف) الواقع جنوبه، وقد تفرَّقت منهم فروع في بلاد أخرى. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٨٩٥).

(٣) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٤٨٣). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٨٣). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٠) (٣١٢) (٣٥٤).

(٤) الدرب: اسم يطلق على مدينة (جازان الأعلى) شرق قرية (حاكمة) في طرف الحرَّة الشمالي الغربي. وهناك أيضاً (درب بني شعبة) شمال (جازان) على طريق عسير. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٨٠ ـ ١٨١).

القادمة من الأمير سعود بن عبدالعزيز لا تزال تأتي صنعاء وإمامها بمكاتيب بالدعوة إلى التوحيد وهدم القبور المشيَّدة والقباب المرتفعة، حتى وقع الهدم للقباب والقبور المشيَّدة بصنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها، وفي جهة ذمار(١) وما يتصل بها(٢).

وذكر الشوكاني أيضاً: بأنَّ «صاحب نجد [الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود] أرسل مجلدان لطيفان إلى إمام صنعاء، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبدالوهاب كلّها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنَّة»(٣).

ومن المهم هنا أن نختم بشهادة أخرى للمؤرّخ العلامة محمد بن علي الشوكاني الذي شهِدَ على الحكم السعودي في عسير والمخلاف السليماني وشمال اليمن فذكر: **أنَّ من دخل في حوزة حكم آل سعود في تلك البقاع أقام الصلاة والزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام.**

كما ذكر الشوكاني: **بِأَنَّ أهل تلك المناطق في المخلاف وفي صعدة اليمن بعد أن تَفَيَّؤُوا ظلال الحكم السعودي، صار غالبهم يقيمون فرائض الدين بعد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شيئا.**

ثم شهد عليهم الشوكاني: أنَّهم كانوا قبل وصول دعوة الشيخ

---

(١) ذمار: مدينة كبيرة جنوب صنعاء بمسافة ٩٥ كلم. انظر: إبراهيم المقحفي «معجم البلدان والقبائل اليمنية» (٦٤٩/١).

(٢) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١٨٣/١).

(٣) المصدر السابق (٣٥٧/١).

إليهم وقبل أن يمتدّ حكم آل سعود إلى مناطقهم؛ كانوا من قبل في جاهلية جهلاء، ثم صاروا من بعد يصلّون الصلوات لأوقاتها ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها[١].



سادساً: الحجاز في ظلّ حكم الدولة السعودية الأولى.

مرَّ معك في الفصل الأول ـ من هذا الكتاب ـ محاولات أشراف مكة مدّ نفوذهم على بعض أقاليم نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى، ذاك النفوذ الذي أخذ يضعف تدريجياً فيما بعد نتيجة تلاشي نفوذ الدولة العثمانية التي يتبعها أشراف مكة من الناحية الرسمية، ونتيجة أيضاً لمحاولات الامتداد الأحسائي المنافس للأشراف على بعض البقاع النجدية.

وبقراءةٍ متأنِّيَة لواقع تلك الفترة، سينبئكَ ذاك الواقع أنَّ أشراف مكة اهتموا كثيراً بأمر ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد، ثم زادَ همُّهم واهتمامهم أكثر حين قام حكام الدرعية/حكام الدولة السعودية الأولى بمناصرة دعوة الشيخ السلفية. وإليك تبيان ذلك على وجه التفصيل.

ـ شريف مكة وعلماؤها يكفّرون حنابلة نجد ويحبسونهم (سنة الحبس)، ويمنعونهم من الحجِّ:

تخبرنا المصادر التاريخية الموالية لأشراف مكة أنَّ بوادر احتكاكات حدثت بين أشراف مكة وأهل الدعوة التابعين لحكومة

الدرعية؛ تلك الاحتكاكات التي بدأت مع دولة الشريف مسعود بن سعيد (ت: ١١٦٥هـ/١٧٥٢م)[(١)]؛ لمَّا رامَ أهل نجد الحجَّ لبيت الله الحرام في زمن ذاك الشريف، وأرسلوا يستأذنون الشريف في ذلك، فَرَفَضَ طلبهم؛ لأَنَّ علماء مكة **«يعتبرون الوهابيين متعصبين وخارجين عن الدين، وقد أعلن قاضي مكة مراراً وعلى الملأ أنَّ هؤلاء ليسوا مؤمنين»**[(٢)].

وهذا الأمر أرَّخَ له مؤرِّخو البيت الحرام فذكروا: **بأنَّ أهل الدرعية أرسلوا ثلاثين عالماً إلى مكة، وأنهم طلبوا الإذن بالحجّ ولو بمقرّر يدفعونه كل عام، ولكنَّ الشريف منعهم؛ لأنه اعتمد على فتوى علمائه في مكة الذين أفتوا بفساد معتقد أهل نجد** (الوهابية كما ينبزونهم بذلك)، **وأنَّ أتباع الشيخ من أهل نجد لو دخلوا مكة سيفسدون عقائد علماء الحرمين**[(٣)]، **هكذا زعموا وتحجَّجوا.**

---

(١) الشريف مسعود بن سعيد بن زيد بن محسن، شريفٌ حسني، من كبار أمراء مكة، انتزع شرافة مكة من ابن أخيه محمد بن عبدالله سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م، واستعادها محمد بعد ثلاثة أشهر، ثم انتزعها مسعود سنة ١١٤٦هـ/ ١٧٣٣م واستمرَّ بها إلى أن توفِّيَ سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م. انظر ترجمته وأخباره عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٦٠ ـ ٢٦٨). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام» (٦٢٦/٣ ـ ٦٣٢). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢١٨/٧). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني» (١٧٨ ـ ١٨٠).

(٢) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٤ ـ ٢١٥) باختصار.

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٩٩). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (١١/٤). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٤٩١/٢) (٥٥٢).

فعلى تلك الهيئة صرَّحَ أشراف مكة وعلماؤها بمناوءة أتباع آل سعود من أهل نجد السلفيين منذ البداية، حتى أنَّ علماء مكة أطلقوا على أولئك النجديين التابعين لدولة آل سعود أوصافاً لا يقولها العاميّ الذي فيه شيءٌ من الحياء فما بالك بمن وَصَفُوا أنفسهم بالعلماء؛ فقد نبزوهم بـ«**المسخرة**» و«**الأضحوكة**» و«**الحُمُر المستنفرة فرّت من قسورة**»، ووصفوهم بـ«**الكفَّار**»، وقالوا بأنَّ أهل نجد «**لا يتديَّنون إلا بدين الزنادقة**»[1].

وشهد محمد بن علي الشوكاني على ذلك فقال: «**أمَّا أهل مكة فصاروا يكفِّرونه**[2] **ويطلقون عليه اسم الكافر**»[3].

حتى أنَّ الشريف مسعود كأنما استفظع التكفير الذي ألقاه علماء مكة على أهل نجد، فطلب من قاضي مكة الذي عنده بِأَنَّ يكتب حججه بكفرهم؛ حتى يكون في يده مستند شرعي ليمنعهم من الحج، فأفتى قاضيَهُ بكفرِ من يعتقد بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب[4]، عندها أمر الشريف مسعود بسجنهم.

وفي ذلك يقول مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان أنَّ الشريف قَبَضَ

---

(١) هذه كلها بعينها الألفاظ التي رواها المؤرخ القبوري المكي أحمد زيني دحلان حين أورد وصف علماء مكة في حق حنابلة نجد، انظرها في كتابه: «خلاصة الكلام» (٢٩٩ ـ ٣٠٠).

(٢) يكفّرون الشيخ محمد بن عبدالوهاب ويكفّرون الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبقية حنابلة نجد.

(٣) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٧/١).

(٤) جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

على «**الوهابيين الملاحدة الأنذال**، ووضعهم في السجن والأغلال، فسَجَنَ منهم جانباً وفرَ الباقون ووصلوا إلى الدرعية وأخبروا بما شاهدوا»[١].

وفي رواية المؤرّخ النجدي محمد بن عمر الفاخري (ت: ١٢٧٧هـ/١٨٦٠م): أنَّه في سنة ١١٦٢هـ/١٧٤٨م قام «مسعود الشريف بحبس حاجّ نجد، ومات بالحبس منهم كثير»[٢].

ويسمِّيها الشيخ محمد بن عبدالوهاب «**سنة الحبس، التي صرّحوا فيها أنَّ من أقرَّ بالتوحيد كَفَر وحَلَّ ماله ودمه وقُتِلَ في الحلِّ والحرم**»[٣].

وقد بلغ بهم الأمر أن منعوا أهل نجد من الحجِّ مدَّة ستين سنة.

وهذا الأمر يشهد به أحد علماء نجد الذي أدرك من حضر تلك الفترات؛ وهو الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، حيث قال: «ما جرى من حرب أشراف مكة لهذه الدعوة الإسلامية والطريقة المحمدية؛ ومن ذلك أنهم [أي أشراف مكة] من أول من بدأ بالعداوة [لأهل الدعوة السلفية في نجد]؛ **فحبسوا حاجَّهم، فمات في الحبس منهم عدد كبير، ومُنِعوا من الحجّ أكثر من ستين سنة**»[٤].

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٠٠).

(٢) محمد بن عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٣٣).

هكذا؛ **ستُّون سنة وأهل نجد ممنوعون من الحجّ إلى بيت الله الحرام**؛ لأنَّ علماء مكة وأميرها الشريف يرون أنَّ أتباع الدعوة من أهل نجد كفار!!!.

ودليل ذلك أنَّ مؤرّخ مكة القبوري أحمد زيني دحلان يسمّي آل سعود بـ«**أهل البغي والإلحاد**»[(١)]، وكان دحلان ينبز دعوة الشيخ بـ«**دين رعاة الغنم**» ويصف ما ينشره آل سعود من تعاليم تلك الدعوة المباركة بأنهم «**يعلّمون الناس ما يعلّمونه للبهائم والأنعام**»[(٢)] **هكذا**.

وكان دحلان لا يصف عقيدة أهل نجد ودينهم إلا بوصف «**الطين**»[(٣)]، وأنَّ ابن سعود «**أدخل القبائل في طينه**»[(٤)]، ويصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه أتى «**بالعقيدة الزائغة**»[(٥)]، ودحلان ينقل روايات علماء مكة الذين أدركوا تلك الحوادث، وهو على ما هم عليه من مواقف معادية لدعوة التوحيد.

ومِمَّا لا شكَّ فيه أَنَّ موقف شريف مكة مسعود بن سعيد ومن جاء بعده من الأشراف كأخيه الشريف مساعد (ت: ١١٨٤هـ/١٧٧٠م)[(٦)]، الذين منعوا أهل نجد من الحجّ لبيت الله

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩).

(٢) المصدر السابق (٣٦٢).

(٣) يقصد «الدين». انظر: المصدر السابق (٣٥٥ ـ ٣٥٦) (٣٦٣).

(٤) يقصد «دينه». انظر: المصدر السابق (٣٥٦).

(٥) المصدر السابق (٢٩٩).

(٦) الشريف مساعد بن سعيد: ولي إمارة مكة بعد وفاة أخيه الشريف مسعود سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥٢م، واستمرَّ في الولاية إلى أن عُزِلَ سنة ١١٧٢هـ/ ١٧٥٩م، =

الحرام، أنَّه موقف عدائي صريح العداوة لأهل نجد بلا مرية[١].

ـ بوادر التغيير المؤقَّت بين نجد والحجاز:

يخبرنا المؤرِّخ حسين بن غنَّام أنَّ الشريف أحمد بن سعيد (ت: ١١٩٥هـ/١٧٨١م)[٢] لَمَّا تولَّى الحكم في مكة سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م حدث أنَّ أتباع الدعوة «كانوا في غزوٍ لهم فصادفوا رَكْباً للشريف منصور، فأُخِذَ مع الرَّكْبِ وأُتِيَ به مأسوراً، فمنَّ عليه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بالإطلاق دون الفداء، فرجع بعد ذلك برخصةٍ من شريف مكة في الحجّ لأهل الدعوة النجدية، فاغتنم لذلك طائفة منهم وسارت للحجّ آمنة غير خائفة، وقضت ركن الإسلام وأدَّت المناسك على التمام في ذلك العام ورجعت بالحشيمة والإكرام»[٣].

= ثم عاد للولاية بعد شهر من عزله، واستمر حتى وفاته سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٦٨ ـ ٢٧٣). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢١٢/٧).

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٥/١ ـ ١٢٦).

(٢) أحمد بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن، شريف حسني من أمراء مكة، وَلِيَها بعد وفاة أخيه مساعد سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، وانتزعها منه الشريف عبدالله (من ذوي بركات) فقاتله الشريف أحمد واستعادها بعد انفصاله عنها شهرين و٢٧ يوماً، واستمر إلى سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، فقاتله ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد وانتزع الإمارة منه، وجرت بينهما حروب وفتن، فتغلَّب سرور وحبسه في (ينبع) ثم في (جدة) التي مات فيها. انظر: أحمد زيني دحلان في كتابه «خلاصة الكلام» (٢٧٤ ـ ٢٨٧). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٣١/١).

وفي سنة ١١٨٥هـ/١٧٧١م أرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى أمير مكة الشريف أحمد بن سعيد المذكور بهدايا، ويبدو أن الشريف كأنَّما أرد التثبّت من تلك الدعوة السلفية التي ظهرت في نجد على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فبعث في ذات السنة المذكورة إلى أهل الدرعية أنْ أَرسِلوا عالماً من علمائكم ليبيّن لأهل مكة وعلمائها حقيقة تلك الدعوة، وبالفعل أرسلت الدرعية العالم الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن (ت: ١٢٣٧هـ/١٨٢٢م)[١] إلى مكة، ومعه رسالة من الإمام عبدالعزيز بن محمد والشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الشريف فيها ملخَّص ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب متضمَّنةً أيضاً رداً ونقضاً لما يثيره أعداء الدعوة عليها وعلى أتباعها، ثمَّ تناظر الشيخ الحصيّن مع علماء مكة حول حقيقة ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ثم عاد الحصيِّن إلى نجد معزَّزاً مكرماً، على الرغم من أنّ سفارة الحصيّن انتهت إلى غير وفاق بين الفريقين[٢].

ولا شكَّ أنَّ استفهاماً مُهِمَّاً يتوارد إلى الذهن حول السبب الذي دعى الشريف أحمد بن سعيد إلى أنْ يرسل الرسائل إلى الدرعية سنة

---

(١) **عبدالعزيز بن عبدالله الحصيِّن الناصري الحنبلي، وُلِدَ عام ١١٥٤هـ/ ١٧٤١م في بلدة (الوقف) من بلدان (الوشم)، فلما استقرت الدعوة السلفية في (الدرعية) هاجر إليها. له من المواقف المشرفة في مناصحة الملوك والأمراء؛ منها حين دخل إبراهيم باشا إلى نجد، فقال له إبراهيم باشا: ماذا تقول فيَّ أيها العجوز؟ فقال له الشيخ: إنَّك غاشية الله سلَّطَكَ الله علينا بسبب ذنوبنا. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧١/١) (٣٩٣) (٤٦٤ ـ ٤٦٨). وعبدالله البسام «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٤٥٤/٣ ـ ٤٦٤).**

(٢) **انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٧٨٩/٢ ـ ٧٩١). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥٥٢/٢).**

١١٨٥هـ/١٧٧١م، طالباً التفاهم معهم؟، رغم أنَّ قوة آل سعود حتى ذلك الحين لم تكن قد تاخَمَت حدود الحجاز أو غيره من مناطق الجزيرة العربية، فحتى تلك السنة لم تكن الدرعية قد نجحت في توحيد نجد، ولم تكن أنظار الدعوة والدولة قد اتجهت بعد إلى ما وراء حدود نجد؟.

الواقع أنَّ هذا العمل حصل من جانب الشريف أحمد بن سعيد نتيجة للصراع المرير الذي حدث في ذلك الوقت بين الأشراف أنفسهم في مكة سنة ١١٨٤هـ/١٧٧٠م(١)، فلعل هذا الصراع بين الأشراف على إمارة مكة هو الذي دفع أحمد بن سعيد إلى التفاهم مع الدرعية، التي غَدَت رغم قوتها المحدودة حتى ذلك الوقت أقوى القوى المحلية داخل جزيرة العرب، لعلَّه يجد لديها التأييد العسكري الذي يمكنه من صدِّ منافسيه من الأشراف على إمارة مكة، فلمَّا انتهت أسباب ذلكم الصراع بين الأشراف(٢)، جاءت نتائج سفارة الشيخ

---

(١) حاصل ذلكم الصراع بين الأشراف: أنَّ الشريف أحمد بن مساعد (من أشراف آل زيد) ما كاد يتولى منصب الشرافة سنة ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م، حتى قام الشريف عبدالله بن الحسين البركاتي (من أشراف آل بركات) وشدَّ رحاله إلى (مصر) ليطلب العون من حاكمها علي بِك الكبير ضدَّ الشريف أحمد بن سعيد، فقام علي بِكْ الكبير بتجريد حملةٍ عسكريةٍ بقيادة محمد أبي الذهب لتعضيد عبدالله بن الحسين البركاتي وتسليمه منصب الشرافة، وبالفعل تمَّ للشريف البركاتي ما أراده وتولى شرافة (مكة). انظر تفاصيل تلك الحوادث عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥٤٩/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٧٦ ـ ٢٧٨).

(٢) حاصل ذلك: أنَّ الشريف أحمد بن سعيد لمَّا رأى تجريدة أبي الذهب رحلت عن (مكة) إلى مصر، قام وجمع بعض العربان الموالين له حول (مكة) واستطاع أن يستردَّ منصبه كشريفٍ على (مكة) وأميرٍ عليها. انظر تفاصيل تلك=

عبدالعزيز الحصين غير محققة للتفاهم التام بين الجانبين؛ إذ إنَّ الشريف أحمد بن سعيد لم يعد بحاجة إلى مساعدة الدرعية بعد أن استقرَّ به المقام في إمارة مكة للمرة الثانية، ولم نعثر بعد ذلك طوال فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد على أيَّةِ محاولة للتفاهم مع الدرعية، **بل إنَّ الشريف أحمد نفسه لم يسمح لأحدٍ من أهل نجد بأداء فريضة الحجّ**[١].

ـ شريف مكة سرور بن مساعد يستفزّ أتباع ابن سعود:

انتهت فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد بعد أن عُزِلَ عن الحكم، وجاء مكانه ابن أخيه الشريف سرور بن مساعد (ت: ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م)[٢] الذي منع أتباع ابن سعود ـ أهل الدعوة النجدية

= الحوادث عند: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٧٨). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (٦٥١/٣ ـ ٦٥٣).

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٧٨ ـ ٢٨٩). وعبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (٦٥٢/٣ ـ ٦٥٣) (١١/٤). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٦ ـ ١٣٧).

(٢) الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد؛ شريفٌ حسني، من أمراء مكة، ثار على عمِّهِ (أمير مكة) أحمد بن سعيد أربع عشرة مرة، ونشبت بينهما فتن وحروب انتهت باستيلاء سرور على الإمارة سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، واستمر فيها إلى أن توفي بمكة. انظر أخباره وترجمته عند: محمد عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٤) (١٥١). وأحمد زيني دحلان في كتابه «خلاصة الكلام» (٢٨٠ ـ ٢٩٥). وعبدالستار الهندي المكي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (٦٥٩/١ ـ ٦٦٠). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٨١/٣).

ـ من الحجّ إلى بيت الله الحرام[١]، ولم يسمح لهم إلا بعد أن أهداه أهل الدرعية وحكامها هدايا ثمينة سنة ١١٩٧هـ/١٧٨٣م، فحجّ من أتباع ابن سعود قرابة الثلاثمئة[٢].

على أنَّ هذا السماح بالحجّ لم يستمر سوى سنة واحدة فقط على ما يبدو[٣]، بل قيل إنّ أهل نجد في عهد سرور لم يتمكن أحد منهم من أداء فريضة الحج إلا خفية[٤]، وقيل إنَّ **الشريف سرور أوصل للسعوديين أنَّه ممكن أنْ يسمح لهم بالحجِّ؛ في حال دفعوا له ما يدفعه الحجاج العجم الإيرانيون وأنْ يرسلوا مئة فرس سنوياً**، ولكنَّ أهل نجد رفضوا تلك الشروط الغريبة[٥].

ـ بدء المواجهات بين دولة آل سعود والشريف غالب:

ظلَّت على إثر ذلك العلاقة بين آل سعود والأشراف يسودها الركود وعدم التفاهم سنين عددا، حتى توفي الشريف سرور سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م، وخلفه في الحكم أخوه غالب[٦]، الذي ما أن استقر له الوضع حتى رأى أن يُحدِّد سياسته إزاء أهل الدعوة النجدية

---

(١) انظر: عبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (١١/٤). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥٥٢/٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٤٩/٢).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٧/١).

(٤) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الولى» (١٣٧).

(٥) انظر: جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

(٦) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١).

ودولتهم السعودية، والتي كانت تحرز انتصاراً بعد آخر في كل اتجاه[١].

ويجب أن نؤكّد هنا؛ أنَّه في هذا الوقت كانت الدولة السعودية الأولى قد نجحت في توحيد نجد، ووصلت تحركاتها العسكرية إلى شاطئ الخليج العربي، وغدت قوة السعوديين مرهوبة الجانب، وكانت مبادئ دعوتهم السلفية قد تسربت إلى الحجاز واعتنقها بعض الأعراب[٢]، لذا خشي الشريف غالب أن تصبح الدرعية خطراً يهدد بلاده[٣]، خاصةً وأنَّ أخبار نجاح آل سعود في عملياتهم الحربية في الأحساء كانت تصل إلى الحجاز تباعاً بصورةٍ تُظهِر مدى القوة التي وصلت إليها الدرعية[٤].

وبناءً عليه؛ قام الشريف غالب كما قام أسلافه من قبل طالباً من الدرعية في سنة ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م إرسال عالم من علمائها للتباحث حول مبادئ دعوتهم السلفية، ومرة أخرى أَرْسَلَ قادة الدرعية الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن الذي سبق له أن قام بنفس المهمة أيام شرافة الشريف أحمد بن سعيد، وأرسل معه الشيخ محمد بن عبدالوهاب كتاباً إلى الشريف غالب شرح فيه بإيجاز مبادئ دعوته، وبيَّنَ له أنَّه

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٧/١).

(٢) انظر: الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان» (٣٧٠/٢).

(٣) انظر: سامية بشاوري «إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة» (١٢٧) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٤) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٦٨). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (٩٩).

وأتباعه متَّبِعون لمذهب الإمام أحمد بن حنبل وليسوا مبتدعين كما يتهمهم أعداؤهم[١].

وصل مبعوث الدرعية الشيخ عبدالعزيز الحصيّن إلى مكة في ذات السنة، «فأكرمه الشريف غالب وشرَّفه واجتمع معه مرَّات عديدة، وعرض عليه رسالة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فعرف ما بها من الحق والهدى وما نفته من الباطل والردى، فأذعن بذلك وأقرَّ، ثم بعد مدة أبى وتمسَّك بقديم سنته وأصرَّ، وطلب منه عبدالعزيز الحصيّن أن يُحْضِرَ علماء مكة فيقف على كلامه ويسمعه، ويناظرهم في أصول التوحيد، فأبوا عن الحضور، وقالوا: إنَّ هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عن معتادك وجوائز بلادك، فطار لبّه وارتعش قلبه»[٢].

ومن المرجَّح أن رفض علماء مكة لدعوة الشيخ وخطابه الذي أرسله مع الشيخ عبدالعزيز الحصيِّن جاء بإيحاء من الشريف نفسه، وأن طلبه من الدولة السعودية إرسال عالم إليه كان بهدف التظاهر أمام المسلمين بحسن نواياه تمهيداً لما يقوم به من أعمال عسكرية ضد السعوديين، وهذا ما قام به في السنة التالية[٣].

والمُتَحَصِّل ممَّا سبق؛ أنَّ سفارة الشيخ عبدالعزيز الحصيّن انتهت في هذه المرة أيضاً دون أن تحقق الوفاق بين الطرفين، بل إنَّ تحريض علماء مكة للشريف غالب أذكى في نفسه عداوة لأهل الدولة

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨٦ ـ ٨٩٠).

(٢) المصدر السابق (٢/٨٨٧)، بتصرُّفٍ يسير.

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٢٧).

والدعوة، فمنع الشريف أهل نجد من الحج كما فعل أسلافه، فعجَّلَ ذلك بالصدام المسلَّح بين الطرفين[(١)]؛ ذلكم الصدام الذي تأخر فيه الشريف غالب ومن قبله من الأشراف عن مهاجمة الدولة السعودية وأتباع دعوة الشيخ فيها.

ويُرجع البعض أسباب تأخر الأشراف في مكة عن أخذ زمام مبادرة حرب الدولة السعودية وأتباع دعوة الشيخ حتى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م؛ أنَّ الأشراف في بداية الأمر لم يكونوا على إدراك تامٍّ بشأن تلك الدولة الناشئة وهذه الدعوة السلفية التي تنمو ويتزايد أتباعها؛ إذ كان الأشراف يظنون أنَّ المعارضة النجدية المحلية لديها قدرة القضاء على تلك الدولة وهذه الدعوة[(٢)]، كما أنَّ الأشراف حَسِبوا أنَّهم حين يمنعون أهل الدعوة السعوديين من الحجّ فإنَّ ذلك سيقوِّي معارضيهم المحليين من الناحية المعنوية، كما كان الأشراف يعتقدون بأنَّ تلك الدولة السعودية ودعوتها السلفية مادامت ظهرت في إقليم العارض، والذي كانت بعض مظاهر النفوذ الأحسائي بارزةً فيه قبيل ظهور الدعوة والدولة، فإنَّ دولة آل سعود وإن انتصرت على معارضيها النجديين فإنَّ حكَّام الأحساء سوف يقضون عليها[(٣)].

ولمَّا رأى الشريف غالب أنَّ الدولة السعودية أصبحت تضم

---

(١) انظر: عبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (١١/٤). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٣٨).

(٢) راجع ما بُحِثَ في الفصل الخامس عن المعارضة المحلية لدعوة الشيخ.

(٣) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٦٨ ـ ١٦٩).

نجداً كلها وأوشكت أن تستولي على الأحساء ذاتها، أدرك حينها أنَّه إن لم يتحرك عسكرياً ضد الدولة السعودية فإنَّ القبائل التابعة له في الأراضي الحجازية ستنضمّ إليها، فتهيَّأ الشريف للحرب وأخذ بأسبابها، واستمال إليه بعضاً من بداة نجد وقبائلها من الذين أعلنوا عصيانهم للدرعية، وأخذ يجمع جيوشه ليغزو أرض نجد ويصل بعض أطرافها[١].

وعن ذلك يقول صاحب تاريخ «لمع الشهاب»: «لمَّا علم الشريف غالب بهذه الحال[٢]، كتب لعبدالمحسن[٣] يرغِّبه في حرب آل سعود، وقد بذل له شيئاً من المال نقداً، وأعطاه بيده خمسين عبداً من عبيد السند والأفغان؛ لإحاطة مُلْكَ آل سعود بجميع أرض بني خالد برّاً وبحراً، وجعل اثنين من خُدَّامِهِ لأجل التوصيل، وقال: **استعن بهذا على حرب عبدالعزيز [بن محمد بن سعود] واغْزُه من تلك الأطراف التي تليكم لئلَّا تقوى شوكته فيميل عليكم ميلةً واحدة**، وهذا أنا أمشي عليه من جهة الحجاز،

---

(١) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٦٨). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٣٨ ـ ١٣٩). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٨/١).

(٢) حال القوة والهيبة التي وصلتها دولة آل سعود آنذاك وامتدادها إلى الأحساء وشرقي الجزيرة العربية.

(٣) هو عبدالمحسن بن سرداح بن عبيد الله بن براك بن غرير، رئيس بني خالد، قُتِل سنة ١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م، قتله زيد بن عريعر وإخوانه. انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١) (١٥٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٩/١).

فأجابَهُ عبدالمحسن لِمَا قال»[١].

من بعد تلك المراسلة والمكيدة، جهَّز الشريف أول حملة عسكرية من قِبَلِهِ ضد أهل الدولة السعودية الأولى بقيادة اخيه الشريف عبدالعزيز في سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م، وقد كانت تلك الحملة مجهَّزة بجهَازٍ هائل من الحضر والأعراب ومن أهل البلدات التابعة للشريف ومن غالب القرى التي تحت ولايته[٢]، وما ترك الشريف غالب أحداً ممن يظنّ فيه الإعانة إلا أرسل إليه من فَوْرِهِ ليلحق بحملته[٣]، فأمر كل من تجهَّز للحرب من أتباعه أن يلحق بأخيه الشريف عبدالعزيز قائد تلك الحملة التي تنوي الهجوم على نجد[٤]، والتي كانت مصحوبة بالمدافع الكثيرة[٥] التي أُحضِرَت من تركيا[٦].

ـ صمود قصر بسَّام وبلدة الشعراء أمام عساكر الشريف ومدافعه:

وصلت هذه الحملة العسكرية الضخمة إلى الحصن السعودي

(١) حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٦٩) باختصارٍ يسير.

(٢) قدَّرَ ابن بشر في «عنوان المجد» (١/١٧٣): أنَّ عددهم قرابة عشرة آلاف أو يزيدون.

(٣) انظر: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٥ ـ ٣٥٦).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٨٨ ـ ٨٩٠). وجيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

(٥) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٣).

(٦) انظر: سنت جون فيلبي «تاريخ نجد» (٨٧).

المسمَّى قصر بسَّام[١] في منطقة السِّر[٢]، ولم يكن فيه من أتباع آل سعود إلا قريب العشرين[٣] وقيل خمسة وعشرون بوارديًّا[٤] وقيل ثلاثون رجلاً فقط[٥] من الذين تحصّنوا بالقصر وأحكموا إغلاق مداخله، ثمَّ أناخت جموع حملة الشريف عبدالعزيز حول قصر بسَّام فحاصروا أهله أكثر من عشرة أيام[٦]، ونصبوا عليه المدافع وضربوه ضرباً هائلاً وكادوه بأنواع القتال، ورامت عساكر الشريف التسوّر على القصر بالسلالم، واستمروا على ذلك طول مدة الحصار، إلَّا أنَّهم لم يدركوا فائدة من هجومهم على القصر، فتركوه ومن فيه بعد أن قُتِلَ من جنود الشريف عدة رجال[٧].

---

(١) قصر بسَّام: حصنٌ سعودي نسبةً إلى بسَّام جدّ أسرة آل ناهض من بني علي من قبيلة حرب. و(قصر بسَّام) يسمَّى اليوم (البرود)، وهي البلدة الكائنة في منطقة (السِّرّ)، فيما بين (الصَّفراء) و(النُّفود) غرباً من بلدة (ساجر) شرقاً شمالياً من مدينة (الدُّوادمي). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٤١/٢). وسعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٢٢٣/١ ـ ٢٢٥).

(٢) السِّر: وادٍ من أودية (عالية نجد)، يقع شرق مدينة (الدوادمي). انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٦٨١/٢ ـ ٦٨٥).

(٣) هكذا قدَّر عددهم حسين بن غنَّام في كتابه «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩١/٢).

(٤) هكذا قدَّرَ عددهم حسن بن جمال الرِّيكي في كتابه «لمع الشهاب» (١٧٠).

(٥) هكذا قدَّرَ عددهم عثمان بن بشر في كتابه «عنوان المجد» (١٧٤/١).

(٦) هكذا قدَّرَها حسين بن غنَّام في كتابه «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩١/٢). كذا عثمان بن بشر في «عنوان المجد» (١٧٤/١). في حين قدَّرها حسن الرِّيكي بشهرٍ كامل، انظرها في: «لمع الشهاب» (١٧٠) من تأليفه.

(٧) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» =

ومن عجيب ما اتفق في هذه الحادثة أنَّ بناء هذا القصر كان ضعيفاً وأهله ضعفاء، ومع ذلك صمدوا؛ **«فسقط اعتبار الشريف وهيبته ابتداءً من ذلك اليوم؛ حيث لم يتمكن من أخذ قصرٍ صغير فيه عدد قليل»**[١].

بعد فشل هجوم الشريف عبدالعزيز على السعوديين في قصر بسَّام، جاءه في رمضان ١٢٠٥هـ/١٧٩١م أخوه الشريف غالب من مكة إلى أرض السرّ، وجرَّ معه سبعة مدافع ورافقته العساكر المدججة بالسلاح، فحاصرت بلدة الشعراء[٢]، وجعلت عساكره تربط بين المدفع والمدفع بسلاسل من حديد، ثمَّ تتابعوا على ضرب جدران قصر الشعراء بنيران مدافعهم، وظلّ الشريف غالب محاصراً تلك البلدة أكثر من شهر، وكان يقسم بالله أنْ لا يفارقها حتى تدمرها عساكره ويتمّ له مقصوده من هزيمة أهلها ثم هزيمة نجد وتدميرها، إلَّا أنَّ أتباع الدعوة استبسلوا في مقاومة عساكر الشريف وصبروا صبراً كبيراً على ضرب قنابله ورمي رصاصه، عندها اضطرَّ الشريف وجنوده إلى ترك المحاصرة ثم الانسحاب إلى مكة دون أن يُحرز أيّ انتصار[٣].

= (٩٧). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٧).

(١) حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠).

(٢) الشَّعْراء: بلدةٌ تقع في جانب جبل (ثهلان) من الشرق، غرب مدينة (الدوادمي) على بُعد ٣٥ كلم. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٢/٧٦١ ـ ٧٦٤).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. =

استيقن غالب أنَّه كلما بقي ولم يدرك مراده من تلك الحرب والمحاصرة زاد سقوطه من أعين الناس وتلاشت هيبته في أعين أتباعه وأعدائه، ثم زاد في إصراره على الرجوع إلى مكة أسبابٌ من أهمها أنَّ موسم حجّ ذاك العام (١٢٠٥هـ/١٧٩١م) قد اقترب؛ وهو الأمر الذي يتطلَّب من الشريف غالب التواجد في مكة، فعاد إليها في أواخر ذي القعدة من العام نفسه[١]، على أنَّ مؤرخاً عاصر تلك الحوادث رأى في السبب الحقيقي لرجوع الشريف غالب: هو عجزه عن حرب أهل الدولة السعودية[٢].

انصرف الشريف غالب بعدما فشل في إدراك مطلوبه من هزيمة السعوديين وبعد أن قُتِلَ كثير من جنوده في الشَّعراء، على أنَّ الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود لَمَّا بَلَغَهُ وهو في معسكره في رمحين النفود[٣] خبر رحيل الشريف غالب وانصرافه عن الشَّعْراء، فأمر سعود بعض قادته أن يتبعوا أثر الشريف ويغيروا عليه من خلافه، فأدركوهم وغنموا منهم غنائم كثيرة[٤].

= P,738. وانظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩٣/٢ ـ ٨٩٥). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٧). وعبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (٢٠/١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٥/١ ـ ١٧٦).

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٧).

(٢) انظر: حسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧١ ـ ١٧٢).

(٣) رمحين النفود: كثيبان بارزان من أكثبة النفود الواقع شمال مدينة (شقراء) في إقليم (الوشم). انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٦٢٤/٢).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٩٥/٢). ومؤلف مجهول «كيف كان=

هكذا بدا منذ الغزوة الأولى ضد الدولة السعودية أن ميزان القوى العسكرية لم يكن في صالح أشراف مكة، أضف إلى ذلك أنَّ الدولة السعودية الأولى قد اتَّسَعَت رقعتها ذاك الوقت حتَّى شملت إقليم الأحساء، فكان ذلك من الأمور التي عزَّزت هيبتها، حتى رَغِبَت فئام من القبائل التي كانت تابعة لأشراف الحجاز بالانضمام إلى الدولة السعودية القوية وقتها[١].

ـ استنجاد الشريف غالب بالدولة العثمانية:

لَمَّا أدرك الشريف غالب حقيقة موقفه بعث بمفتي المالكية بمكة[٢] إلى الدولة العثمانية في شعبان سنة **١٢٠٧هـ/أبريل ١٧٩١م** طالباً منها نجدته تجاه الخطر المحدق به وبدولته[٣]، وأخذ يندِّد بأهل الدولة السعودية ويتهمهم بالهرطقة وبالعمل على تقويض الإسلام.

وهذا الأمر شهد به **المستشرق جوهان لودفيغ بوركهارت** J. L. Burckhart (ت: ١٢٣٢هـ/١٨١٧م)[٤] حين قال: «**ولم يترك غالب**

= ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٩٧). وحسن الرِّيكي «لمع الشهاب» (١٧٠) (١٧٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٧٦ ـ ١٧٧).

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٢٩).

(٢) هو السيد حسين مفتي المالكية بمكة في ذاك الوقت. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦١).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٨). وجيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٥).

(٤) جوهان بوركهارت J. L. Burckhart: مستشرق سويسري تجنَّس بالجنسية الإنجليزية، مضى إلى الحجاز متظاهراً بالإسلام وتسمَّى باسم الشيخ إبراهيم. =

ـ الذي كان على صلةٍ دائمةٍ بالباب العالي والذي كان يستقبل قافلة الحجاج سنوياً ـ أيةَ وسيلةٍ لتحريض الحكومة التركية ضدَّ أعدائه إلا واتخذها، فقد أظهرهم كفَّاراً»[١].

وشهد أحد المؤرخين بأنَّ مخابرات الشريف غالب «**انتظمت مع الدولة التركية العثمانية، ولم يُهمل أدنى طريقة يمكنه إجراؤها في تمكين الدولة العثمانية من دخول عساكرها في بلاد العرب لأجل الوقوع بالوهابيين إلا وأجراها»**[٢].

ولَمَّا لَمْ تَكتَرِث الدولة العثمانية باستنجادات الشريف[٣]؛ حاول الأخير بقواته الذاتية أن يعيد إلى طاعته الفئام القليلين الذين خرجوا عن نفوذه، بَيْدَ أنَّ الدولة السعودية تصدَّت له وردَّت على هجماته بهجماتٍ أشدّ وأعنف[٤].

ـ استمرار الشريف غالب بإرسال حملاته ضدّ أهل الدولة السعودية:

لما أطلَّ العام ١٢١٠هـ/١٧٩٥م جهَّزَ الشريف غالب حملةً كبيرةً

= وكان يكتب تقاريره لوزارة المستعمرات البريطانية ووزارة الخارجية في لندن. انظر ترجمته عند: الأب لويس شيخو «تاريخ الآداب العربية» (١٥).

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨١).

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (٩٩).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٨).

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٢٩/١).

يقودها من قِبَلِهِ الشريف فهيد[١]، فسارت الحملة حتى وصلت إلى عالية نجد[٢]، وبغيتها الهجوم على أحد كبار قادة الدولة السعودية وهو هادي بن قرملة الذي كان معسكراً على ماء ماسَل[٣]، فتطاعن الفريقان، فانسحب ابن قرملة بعد أن جزم بعدم جدوى محاولة الانتصار على عساكر الشريف فهيد الكبيرة[٤].

أتت بعد ذلك حوادث أُخَر؛ فقد عَلِمَ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بتحركات حملة عسكرية ضخمة من قِبل الشريف غالب يقودها أحد الأشراف من أقارب غالب وهو الشريف ناصر بن يحيى ومعه مدافع، فأمر الإمام عبدالعزيز القبائل التابعة له القريبة من تلك الجهة أن تقف مع هادي بن قرملة رئيس قحطان وصاحِبه القائد السعودي ربيِّع بن زيد الدوسري لصدِّ حملة الشريف، وحصل أن انتصرت القوات السعودية نصراً عظيماً على جيش الشريف في

---

(١) هو الشريف فهيد بن عبدالله بن سعيد. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٤٩).

(٢) عالية نجد: هي ما دفعه نفود (قنَيْفذة) ونفود (الخبرا) وصحراء (الساقية) غرباً إلى شرقيِّ (حَضَنٍ) وصحراء (رُكْبة) وحرَّة (كُشب) وماء (السَّلِيلة) و(الرَّبَذَة) و(القوز) غرباً، ويدخل فيها (هضب الدواسر) و(وادي الدواسر) في الجنوب، وما يقع شمال بلدة (رنية) و(الخُرْمَة) من بلاد قبيلة سبيع، أما من الناحية الشمالية فتقف عند حدود منطقة (القصيم) الإدارية. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (١٧/١).

(٣) ماء ماسَل: موضعٌ في (عالية نجد) في ديار (ضَبَّة)، تُنسب إلى مأسل. والماء لا يزال معروفاً باسمه في بلاد الدواسر. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (١١٣٥/٣ ـ ١١٣٨).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٢٧/٢). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠).

الجمَّانية[١] بعد أن فرَّ قائد جيش الشريف من المعركة عائداً للحجاز[٢].

كانت معركة الجمَّانية من المعارك الفاصلة بين أشراف الحجاز والدولة السعودية الأولى؛ لأنها مهَّدت لأتباع الدعوة النجدية التوغل في الحجاز ونشر مبادئ دعوتهم السلفية بين قبائلها، وهو الأمر الذي جعل من موقف الأشراف يتغيّر من موقعهم كمهاجمين ضدَّ الدولة السعودية، فصار الأشراف في موقع المدافعين[٣].

ـ الشريف غالب يطلب المفاوضة مع الدرعية:

كانت الحوادث التي تبعت معركة الجمَّانية من أهم الأسباب التي جعلت الشريف غالب يطلب من الإمام عبدالعزيز في سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م أن يرسل إليه عالماً نجدياً من أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، زاعماً أنَّه يريد مناقشته مع علمائه بمكة ليتبيَّن

---

(١) الجمَّانية: ماءٌ قديمٌ عَذْب، يقع في جهة جبل (النير) الغربية والشمالية، وهو في وادٍ فسيح يسمى (وادي الجمانية). وهناك أيضاً هجرة (الجمانية) للأمراء من أسرة الضيط من عتيبة. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (١/٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٢) انظر: حسين غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٢٩ ـ ٩٣٠). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/٣٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢١٣ ـ ٢١٤). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠).

(٣) انظر ما قرره كل من: الأمير حيدر بن أحمد الشهابي في «الغرر الحسان» (٢/٣٧٠). ومحمد بن علي الشوكاني في «البدر الطالع» (١/٣٥٦). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (١٤٢). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٢٨ ـ ١٢٩).

له ولهم حقيقة ما تنادي به دعوتهم السلفية(١)، فاستجاب الإمام عبدالعزيز لطلب الشريف غالب وأرسل وفداً من لدنه برئاسة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر (ت: ١٢٢٥هـ/١٨١١م)(٢)، فقابلهم الشريف بالإقبال والإجلال والتوقير، وأحضر علماء مكة لتنعقد بينهم وبين ابن معمَّر المناظرة، تلك المناظرة التي أعجب بها الشوكاني، كما أعجب بقوة ابن معمَّر خلالها، فقال الشوكاني مادحاً للمناظرة والمناظر: **«وبلغنا أنَّه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدلّ على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين»**(٣).

وإليك وصف تلك المناظرة بين ابن معمَّر وعلماء مكة كما دوَّنها المؤرخ ابن غنَّام، حيث قال: «وتجارت الأذهان للجدال، وشرَّع علماء مكة أسنَّة المقال وراموا أسنَّة الحق بالمحال، ولم

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٩٦٧).

(٢) حمد بن ناصر بن معمَّر: وُلِدَ في (العيينة) عام ١١٦٠هـ/ ١٧٤٧م، انتقل بعدها إلى (الدرعية) وطلب العلم على علمائها وتصدَّر للتدريس فيها. عيَّنَه الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في قضاء (الدرعية)، وفي عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م عيَّنه رئيساً لقضاة (مكة)، فمكث في عمله حتى توفي في شهر ذي الحجة من عام ١٢٢٥هـ/ ١٨١١م، فصلَّى عليه المسلمون تحت الكعبة المشرفة، وذهبوا به إلى (مقبرة البياضية)، فخرج الإمام سعود من قصره (قصر البياضية) الملاصق الآن لـ(قصر السقَّاف)، ومعه جمعٌ من المسلمين، فصلّوا عليه مرَّةً أخرى. انظر ترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣١٦/١ ـ ٣١٧). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٧٣/٢ ـ ١٧٤). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٢١/٢ ـ ١٢٧).

(٣) محمد الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٧/١).

يجلبوا من البراهين المؤيّدة للشرك والضلال سوى موضوعات الملحدة الضُّلَّال التي عفت منار الحنيفية وما لها من معالم وأطلال.

فلمَّا تحقَّقوا ذلك وعلموه، وتيقَّنوا أنهم لم يجدوا في الدفع وفهموه، أجمعوا رأيهم وأحكموه في المغالطة في اللفظ فأبرموه، فلم يعثروا في سرد صحيح السنَّة القامعة لهم والأنفال، فارتفع مِن بعضهم عند ذلك التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وناهيك بهذا من نَقْصٍ في اللبّ والاختلال ووسوسة من الشيطان أبرزها في الخيال.

وصفة ما جرى منهم؛ أنَّهم حضروا ببيت الشريف تجاه بيت الله المنيف، وجالت خيول الأذهان لدى [الشريف] غالب، فأوَّل ما افتتحوا به التكلم والتخاطب وأجمعوا عليه المطالب، **وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه والمراوضة؛ مسألة قتال الموحدين الناس** والكشف عن وجهها حجب الالتباس، فطُلِبَ من حمد [ابن معمَّر] بيان الحجة والدليل والبرهان السالم من الأعاليل، **فأتى لهم، جزاه الله تعالى الثواب الجزيل، من النصّ القاطع القامع لكل أذن واعية وسامع**، وأصَّلَ لهم من الأصول فيها ما تودي بالمراد ويكفيها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة الباهرة اللائحة ما شفى وكفى، **فقصفت على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا، ومزَّقَ آثارهم ومنارهم بعدما هبَّ عليهم وسفا**، وأوقفهم على المنصوص فأقرّوا لتلك النصوص، وصدر منهم الإذعان بعدما حملهم الشيطان على كون تلك لم تكن في الكتب مُسَطَّرَة ولا موصولة فيها ومُقَرَّرَة، وتَفَوَّهوا بحضرة الشريف بذلك، حتى أوقفهم حمد على ما هنالك، ونقل من الكتب التي عندهم ما ضَعضَع وِجْدهم وجَلَبَ عليهم عِلَّتهم وجهْدَهم، فَوَطَفَت جِبَاههم من العَرَق لِمَا داخلهم من الخجل والفَرَق، فلم يكن لهم حينئذٍ بُدّ ولا حيلة حين أقرّوا حجته ودليله.

ثمَّ تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات، فأبدى لهم من النصوص العادلة السديدة والآثار الراجحة المفيدة والأقوال الصحيحة العديدة، ما أدهش العقول والأفكار مما لا يسع المنصف له إنكار.

فَلَمَّا انقضت تلك الأيام والليالِ وتقضَّت ساعات المناظرة والجدال، طلبوا من حمد بن ناصر بن معمَّر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرَّر وكَتَب ما سجَّله عليهم وسطَّر، فجمع لديهم عجالة وعجَّل لهم في سَوْحِهِم رسالة[١] أوجزَ فيها مقاله، يُذعن بعد سماعها كُلُّ منصف عاقل»[٢].

الحاصل؛ لم ينتج عن وفادة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر إلى مكة أي تقارب أو تصالح سياسيّ بين الفريقين، رغم قوَّة حجَّة ابن معمَّر وسداد رأيه ووضوح أدلَّته.

ـ تبعات انتصار السعوديين في الخُرمَة:

كانت سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م من السنوات الحرجة حقّاً وحقيقةً بالنسبة للشريف غالب في مجابهته للسعوديين؛ ففي ١٧ محرم ١٢١٢هـ/يوليو ١٧٩٧م أرسل الشريف غالب من لدنه الشيخ أحمد

---

(١) وهي رسالة الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر التي سمَّاها «الفواكه العِذاب في الردِّ على من لم يحكم بالسنَّة والكتاب»، أوردها حسين بن غنَّام كاملة في كتابه «تاريخ ابن غنَّام» (٩٧٢/٢ ـ ١٠١٦). وتجدها كاملة أيضاً ضمن «الدرر السنية» (٢٧٩/١٠ ـ ٣٣٥).

(٢) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٦٨/٢ ـ ٩٧١)، باختصار.

تركي[١] إلى الدولة العثمانية يستنجدها ويطلب منها الإعانة على دفع أهل الدولة السعودية، فلم تجبه الدولة العثمانية ولم تلتفت له[٢] مرة أخرى، فأصرَّ غالب أن يقارع أهل الدولة والدعوة بذاته تارة أخرى[٣]، فجيَّشَ حملة بعساكر كثيرة ضدَّ فريق من عربان قحطان من أتباع ابن سعود وهم عند عقيلان[٤]، إلا أنَّ عساكر الشريف ما استطاعت أن تنتصر عليهم[٥].

ثم حدث في تلك السنة أن سار القائد السعودي الأمير ربيِّع بن زيد الدوسري بجنوده على بيشة والجُنَينة ورنية اللاتي أَعْلَنَّ الولاء للدولة السعودية كما فصَّلناه من قبل[٦]. فتكدَّر الشريف غالب من

---

(١) أحمد تركي: يصفه فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (ص: ٣٤): بأنه رجلٌ محنَّك في فنّ الإقناع. وأنَّه ذهب إلى محمد علي باشا ليقنعه بالمسير لمحاربة السعوديين، ويخبره بأنَّ الشريف غالب على أتمّ الاستعداد لمساعدة قوات الباب العالي التركي بنفسه وبكلّ ما يملك من قوةٍ وثروة. وكان لأحمد تركي هذا الدور الكبير في تشويه صورة السعوديين لدى مصر وتركيا.

(٢) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٢).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥١).

(٤) عقيلان: من موارد (العَقَالِيَة) من الهويملات من بني عبدالله من قبيلة مطير، بمنطقة (عفيف) في عالية نجد. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٩٩٣/٢). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» ١٦١١/٤).

(٥) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٣٣/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٨/١).

(٦) راجع تفصيل ذلك فيما سبق من هذا الفصل في مبحث امتداد حكم الدولة السعودية الأولى جنوباً.

انضواء رنية وبيشة والجَنَيْنَة في سلك الدولة السعودية وانضمامهم لحكم الدولة السعودية، فسيَّر عساكره بقيادة الشريف فهيد إلى تلك البلدات، وكانت العساكر جمع غفير يساندها البوادي الموالية للشريف غالب، فاستطاع أن يستولي على رنية بعد أن أخذ ما فيها من الغنائم وبعد أن قطع نخيلها وخرَّبها وأحرق دورها، ثم توجَّه إلى بيشة والجُنَيْنَة فاستعادها بعد أن نكّل بها وقطع نخيل أهلها وأحرق دورهم وهدَّدهم بالقتل(١).

على أنَّ نكسة حصلت لدولة الشريف غالب حين تحقق للدولة السعودية انتصارٌ كان في صالحها تلك السنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م، فقد خرج أحد كبار رؤساء فرعي قبيلة عتيبة(٢)، وهو حمود بن ربيعان (ت: ١٢١٧هـ/١٨٠٢م)(٣) عن ولائه للشريف غالب وانضمّ إلى الدولة السعودية(٤)، ثمَّ فعل رؤساء البقوم(٥) مثل فعل ابن ربيعان، فبايعوا

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٩/٢ ـ ١٠٣٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٨/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠ ـ ٣٥٢).

(٢) عُتَيْبَة: جِذمان كبيران هما برقا والروقة. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٠٩).

(٣) حمود بن ربيعان: من الثُّبتة من الرُّوقة من عُتيبة، وهم أمراء الرُّوقة. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٩/١). وحمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٢٦١/١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٢٩٦). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٣٠).

(٥) البقوم: منازلهم في (وادي تُرَبة) وما حوله من (وادي كراء) والحرَّة المعروفة باسم تلك القبيلة، وفي جبل (حَضَن) وما حوله. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٠/١).

الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على السمع والطاعة[١].

ثمَّ أصابت الشريف غالب نكسة أخرى يوم استطاعت القوات السعودية بقيادة ربيّع بن زيد الدوسري وهادي بن قرملة هزيمة غالب في الخُرمة وهو عائدٌ من بيشة والجُنَيْنة، فقد جاءه السعوديون كالسيل المنهمر وأعدادهم كالرمال، فوقع القتال بينه وبينهم[٢]، حتى انتصروا عليه في الخُرمة سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م بعد أن فرَّ الجنود المرتزقة من الأتراك وبعض المصريين والمغاربة الذين كانوا ضمن جيش الشريف؛ وغنم السعوديون غنائم كبيرة[٣].

نجم عن الانتصار السعودي على الشريف غالب في معركة الخُرْمَة أَنْ أَرسَلَ الشريف غالب إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يطلب منه الهدنة فالمصالحة، وهو الأمر الذي جعل كثير من القبائل المترددة في ولائها للدولة السعودية الأولى، والمتوجّسة من سجال الحرب بين ابن سعود والشريف؛ أَنْ تسير تلك القبائل ناحية الدخول في طاعة ابن سعود خصوصاً بعدما رأت توالي انتصارات الجيوش السعودية[٤].

---

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٩/٢ ـ ١٠٣٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٣٨/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٠ ـ ٣٥١).

(٣) انظر: سنت جون فيلبي «تاريخ نجد» (١٠٠)، وقد ذكر فيلبي: أنَّ المرتزقة الأتراك والمصريين والمراكشيين فرّوا من المعركة، فاستولى الوهابيون على الرواتب الكبيرة التي كانت ستوزَّع على أولئك المرتزقة صباح ذلك اليوم.

(٤) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العِين» (٣٨٥ ـ ٣٨٧) (٤٠٣). ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٦/١). وعثمان بن بشر «عنوان=

بالإضافة إلى ذلك؛ فقد شهدت هذه السنة أيضاً فشل الحملة العسكرية العراقية العثمانية على السعوديين ومقتل قائدها ثويني بن عبدالله[(١)]، وهو الأمر الذي زاد من هيبة الدولة السعودية الأولى.

ثمَّ زاد من تكارث الأمر على الشريف أنَّه في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م استولى نابليون بونابرت[(٢)] على مصر[(٣)]، فانتشرت شائعات بأنَّ نابليون سيحاول ـ تبعاً لذلك ـ الاستيلاء على الحجاز، فكان على الشريف غالب أن يتخذ الحيطة والحذر ويعمل على تحصين جدة[(٤)]، وهو الأمر الذي يفرض على الشريف التفرغ وبذل الجهد والمال.

ويبدو أن غالباً بعد كل تلك الظروف التي أحاطت بصراعه مع الدولة السعودية، ربما أدرك عدم قدرته على الصمود أمامها وقدَّر عجزه عن صدِّ دعوتها السلفية التي تكتسح القبائل والمدن والقرى

= المجد» (٢٣٨/١) (٢٤١ ـ ٢٤٤) (٢٥٥). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(١) سيأتي تفصيل تلك الحملة التركية العثمانية في الفصل السابع من هذا الكتاب.

(٢) نابليون بونابرت: قائد وزعيم فرنسي شهير، أرَّخَ لشخصيته وحياته وحروبه: الألماني إميل لودفيغ في كتابه «نابليون» صنَّفه سنة ١٩٢٤م. والإنجليزي هربرت فشر في كتابه «نابليون» صنَّفه في العشرينيات الميلادية من القرن المنصرم.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١/٣).

(٤) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢). وجيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٦). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥٥٤/٢). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٣١).

والبلدات، ناهيك عن مهاجمتها، فجَنَحَ للصلح، وجرت اتصالات بينه وبين قادتها نتج عنها هدنة في سنة ١٢١٣هـ/١٧٩٨م مدتها ستة أعوام، على أن يسمح لأهل الدولة السعودية الأولى بالحج(١).

وعن ذلك قال مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان: «وقد ارتبط بينهم(٢) عهود ومواثيق على المسالمة، وأنَّ الحرب بينهم موقوف، وأنْ يحجَّ الوهابيون بيت الله الحرام، ونادى المنادي بالأمن والأمان، ومَنَعَ [الشريف] الناسَ عن التعرُّضِ لهم باليد واللسان، فأقبلوا على مكَّة من كلّ مكان، فسبحانه تعالى كلَّ يومٍ هو في شأن»(٣).

حصل إثْرَ ذلكم الصلح أنْ حجَّ ركبٌ من أهل نجد فيهم علي بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٢٤٥هـ/١٨٢٩م)(٤) وأخوه إبراهيم (كان موجوداً سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م)(٥) والشيخ حمد بن

---

(١) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحُور العِين» (٤٠٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٤٤) (٢٥٥). وعبدالله الغازي «إفادة الأنام» (٤/١٢).

(٢) بين ابن سعود والشريف غالب.

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٤) الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب: هو أكبر أبناء الإمام المجدد سنّاً، وكان الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب يكنى به فيقول «أبو علي». كان الشيخ علي ممَّن قام بالجهاد ضدّ الترك لمَّا وجّهوا حملاتهم لإسقاط الدولة السعودية الأولى. والشيخ علي كان من ضمن الذين رحَّلهم إبراهيم باشا من (نجد) إلى (مصر)، فتوفي في (القاهرة). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٦) (١٦٧ ـ ١٦٨) (٤١٦). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٥/٢٨٤ ـ ٢٨٦). (وستأتي أخبار حرب إبراهيم باشا لأهل الدولة السعودية الأولى وترحيله لأسرتي آل سعود وآل الشيخ في الفصل العاشر).

(٥) ذكر ابن بشر بأنَّه درس عليه في صغره «كتاب التوحيد» سنة ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٩م.=

ناصر بن معمَّر وإبراهيم بن سدحان (ت: ١٢٣٠هـ/١٨١٥م)[١] ورفقةٌ معهم من أهل شقراء وأهل الوشم وأهل القصيم وقضوا حجَّهم ورجعوا سالمين[٢].

وفي سنة ١٢١٤هـ/١٨٠٠م حجَّ سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود حجَّته الأولى، وعن ذلك يقول أحمد زيني دحلان: «حجَّ سعود بن عبدالعزيز ومعه قوم كأمثال الرمال»[٣]. ويقول ابن بشر: بأنَّ سعوداً «أجمل معه غالب أهل نجد والجنوب والأحساء والبوادي وغيرهم، وكانت حجَّته حافلة بالشوكة وجميع الخيل والجيش والأثقال، واعتمروا وقضوا حجَّهم على أحسن الأحوال ولم ينلهم مكروه ورجعوا سالمين»[٤].

ولَمَّا دخلت سنة ١٢١٥هـ/١٨٠١م حجَّ سعود بن عبدالعزيز الحجَّة الثانية، واحتفلوا احتفالاً أعظم من الأولى التي قبلها، وأجمل

= وإبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب كان من الذين رحَّلهم إبراهيم باشا من (نجد) إلى (مصر)، ومات في (القاهرة). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٩٠ ـ ١٩١). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١/٤١٧ ـ ٤١٨). (وستأتي أخبار تلك الحرب وذاك الترحيل في الفصل العاشر).

(١) إبراهيم بن محمد سدحان: قال عنه الفاخري في تاريخه (ص: ١٧٦): بأنَّه أمير بلد (شقراء) وبلدان (الوشم). وقال عنه ابن بشر في «عنوان المجد» (١/٢٥٥) (٣٩٣): بأنه رئيس بلد (أشيقر)، والمؤرخ ابن عيسى في «تاريخ بعض الحوادث» (ص: ١٠٤) يذكر: أنَّه أمير بلد (شقراء).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٥).

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٥).

معه في الحجِّ غالب أهل نجد ومن تبعهم من البوادي وغيرهم من النساء والأطفال[١]، فحجّوا واعتمروا على أحسن حال[٢]، وبذل سعود في مكة من الصدقات والعطاء الشيء الكثير[٣].

وفي تلك السنة؛ يقول أحمد زيني دحلان: «وكان مولانا الشريف غالب قبل قدومهم[٤] للحج قد احترس وتحرَّز منهم خوفاً من وقوع غدرهم[٥]، فأمر أولاً ببناء سور الطائف ثم ببناء الأبراج التي في أطراف مكة؛ فشيَّدَ مداخل مكة بالأبراج، وطلب كثيراً من القبائل من جميع الفجاج، وترَّسَ جميع المداخل والأبراج»[٦].

ـ الشريف غالب يتخابر مع الدولة العثمانية ضدّ الدولة السعودية:

مع هذه التحسُّبات والاحترازات التي قام بها الشريف غالب مخافةً منه تجاه السعوديين، شاب العلاقات بينه وبين آل سعود مَسٌّ

(١) يقدّر البسام عددهم بعشرين ألفاً، انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٤).

(٢) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٢ ـ ٣٥٣).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦١ ـ ١٦٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٦/١).

(٤) أي قدوم السعوديين.

(٥) لم يكن ثمَّة غدر من السعوديين، ولكنَّ دحلان يُظهِر ما في صدره من الحقد فتَتَبَدَّى افتراءاته المكشوفة. وسيأتي لاحقاً أنَّ الغدر جاء من أعداء ابن سعود.

(٦) أحمد زيني دحلان في كتابه «خلاصة الكلام» (٣٥٣).

من الاضطراب في العام ١٢١٧هـ/١٨٠٣م إثرَ قيام عدد من القبائل التابعة للشريف بالانضمام إلى الدولة السعودية الأولى[١]، والتي كان من الصعب على دولة آل سعود ردّ تلك القبائل من تبعيتها لها، فظنَّ الشريف أنَّ ثَمَّةَ مؤامرة تحيكها الدرعية ضِدَّه.

حتى أنَّ مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان ذكر بطريقته التهكمية الساخرة من أهل الدعوة والدولة السعودية، قائلاً: «لمَّا وَقَعَ منهم الغدر بإفسادهم القبائل بوسائط أتباعهم الذين يوسوسون لهم ويدخلونهم في الطين [يقصد الدين]»[٢].

والحقُّ؛ أنَّه لم يكن ثمَّة غدر الْبَتَّه من قبل آل سعود وأهل الدعوة السلفية، وما وقع على وجه الحقيقة أنَّ تلك القبائل هي من تقدَّمت بِمِلءِ إرداتِها إلى آل سعود للدخول في سلك دولتهم، **ومن لديه مسكَة من عقل أو شيء من الإدراك والفهم لتاريخ أئمة وملوك آل سعود يعلم أنَّه مِمَّا يتنافى مع مروءتهم ترك من طلب الانضمام إلى دولتهم، وأنَّه لا يمكنهم أن يتركوه أو يتأخروا عن مناصرته والدفاع عنه، وهو ما حصل.**

فالخلاصة؛ أنَّك لن تجد ما يساعد زيني دحلان على تأكيد افترائه على دولة آل سعود الذين رماهم ـ بدافع الحقد والحسد الذي أكل قلبه ـ **بالغدر ونكث شروط الصلح؛ بل إنَّ نَكْثَ الصلح جاء من الجهةِ الأخرى، وإليك الدليل:**

---

(١) انظر: سير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠١). وعبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٥).

جاء شهود العيان من الذين عاشوا تلك الفترة وعاصروها ليخبرونا بأنَّ شريف مكة غالب بن مساعد ومعه بقية من بعض أشرافها وأهلها كانوا في وقت الصلح يكيدون ويتآمرون على السعوديين، فقد ذهب بعض من أشراف مكة إلى الدولة العثمانية ليحرّضوها على حرب السعوديين، وهو ما أخبرنا به عبدالرحمٰن الجبرتي يوم قال: أنَّه في رمضان ١٢١٧هـ/ديسمبر ١٨٠٦م «**حضرت جماعةٌ من أشراف مكة وعلمائها هروباً من الوهابيين، وقصدهم السفر إلى إسلامبول [إسطنبول] يخبرون الدولة بقيام الوهابيين، ويستنجدون بهم لينقذوهم منهم ويبادروا لنصرهم عليهم**، فذهبوا إلى بيت الباشا[١] والدفتردار[٢] وأكابر البلد، وصاروا يحكون ويشكون، وتنقَّل الناس أخبارهم وحكاياتهم»[٣].

وهذه أحد أساليب الدعاية الخارجية التي قام بها أشراف مكة وأهلها في تشويه الدولة السعودية الأولى وأتباعها، وتبعهم على هذا الأسلوب الدولة العثمانية؛ ولكن بطريقة أوسع وأتقن في التشويه والافتراء على الدولة السعودية[٤].

الحاصل؛ يأتي الجبرتي بشهادة أخرى على تواطؤ أشراف مكة

---

(١) باشا مصر وقتها هو محمد باشا، وهو سابقٌ لمحمد علي باشا الذي ستأتي أخباره. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٠).

(٢) الدفتردار: هو بمثابة وزير المالية، ومقرّه (إسطنبول)، ويرتبط به دفتردار الولاية الذي هو من موظفيه الأدنى منه. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٨٣).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٦٨).

(٤) كما سيأتي تبيانه في الفصل الثامن.

ضدَّ السعوديين، فيقول: أنَّه في شوَّال ١٢١٧هـ/فبراير ١٨٠٣م «**حضر أولاد الشريف سرور؛ هربوا من مكة خشية الوهابيين ليستنجدوا بالدولة [العثمانية]**»[١].

ـ انضمام عثمان المضايفي للدولة السعودية:

كان الشريف غالب ـ في أثناء تلك الحوادث ـ يحاول اللعب بأكثر من عصا، لكنَّه في النهاية ـ كما سيأتي بيانه ـ لم يخسر سوى عصاته، ففي الحين الذي كان يراسل الدولة العثمانية لتسانده ضدّ السعوديين، قام بإرسال صهره الأمير عثمان المضايفي (ت: ١٢٢٨هـ/١٨١٣م)[٢] ومعه كبار الأشراف على هيئة وفدٍ إلى الدرعية للتفاوض مع آل سعود حول الوضع الجديد[٣].

فلما وصل المضايفي للدرعية وجد من القادة السعوديين ما جعله يطمئن إلى حسن نِيَّاتهم ويثق بهم[٤]**، وحينما عاد من الدرعية إلى**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٠).

(٢) الأمير عثمان بن عبدالرحمٰن المضايفي: من ذوي عبدالرحمٰن الذين منهم (المضايفية) من قبيلة عدوان، كان من خاصَّة الشريف غالب بن مساعد بمنزلة وزيره. انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٢٠١). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٣٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٩ ـ ٢٦٠) (٢٧٨) (٢٨٥) (٢٩١) (٣١٢) (٣٣١ ـ ٣٣٢) (٣٣٤ ـ ٣٣٥). D. G. Hogarth, Arabia, p. 102. وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٤/٢٠٨). وستأتي في الفصل التاسع أخبار المضايفي كاملة.

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٥).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٢٠١).

الحجاز اختلف مع الشريف غالب وانضمّ إلى الدولة السعودية وبايع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود على السمع والطاعة[(١)]، فكان انضمام هذا الحليف القوي مكسباً عظيماً للسعوديين.

ولعلَّ ما دوَّنه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ في «المقامات» يبين لنا سرّ محبة عثمان المضايفي لدعوة الشيخ ودولة آل سعود، إذ قال الشيخ عبدالرحمٰن: بأنَّ عثمان سمع جاسر الحسيني[(٢)] لمَّا حضر عند الشريف غالب مجاوراً، فسمع الشريف يسبّ شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، فقال له الحسيني: «يا شريف، لك عليَّ معروف ما يوجب أن أنصح لك؛ لا تقل هذا في الشيخ محمد بن عبدالوهاب، **فإنَّه قام بنجد وهم في أسوأ حال من الفساد والظلم والضلال، فجمعهم الله تعالى به بعد التفرّق والاختلاف** وعلَّمَهم مكارم الأخلاق حتى ما ينبغي أن يقولوه في مخاطباتهم وما لا ينبغي أن يقولوه من الألفاظ المستكرهة، فاحذر أن تذكره بسوء»[(٣)].

فيبدو أنَّ المضايفي بعد أنْ سَمِعَ ذلك من الحسيني وذهب إلى الدرعية، ورأى مصداق ما قاله الحسيني، فاتَّخَذَ قراره بالانضمام للدولة السعودية ودعوتها السلفية.

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٣). ومؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٣٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٩).

(٢) مرَّ التعريف به في الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٣) عبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٢٤).

وفي المقابل؛ ذكر المؤرّخ المكي أحمد زيني دحلان، المعروف بعدائه للسعوديين أتباع الدعوة، واصفاً حادثة انضمام المضايفي للدولة السعودية واقتناعه بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فقال: «إنَّ عثمان المضايفي صار يمدح ما ابتدعه محمد بن عبدالوهاب من الطين، ويُثني ويُرَغِّب في اتِّباعِهِ والدخول في طينه»[(١)].

المقصود؛ حصل بعد انضمام المضايفي للدولة السعودية، أنْ اتخذ المضايفي من فوره بلدة العبيلاء[(٢)] مركزاً له في رمضان ١٢١٧هـ/يناير ١٨٠٣م، وانضمت له القبائل التي كانت لا تميل إلى الشريف غالب[(٣)]، فهاجمه الشريف هناك بقواته الكبيرة، لكنَّ إمداداتٍ جاءت للمضايفي من القبائل التابعة للدولة السعودية، فزحف بها المضايفي على الطائف التابعة للشريف غالب، يعاونه في ذلك أمير بيشة سالم بن شكبان وأمير رنية مصلط بن قطنان[(٤)] والأمير ابن قرملة وأهل تربة ومنهم البقوم، فلمَّا رأى الشريف غالب ـ الذي كان مرابطاً بالطائف ـ ما حصل وعاين تلك الجموع الجرارة، أُلْقِيَ في قلبِهِ

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٦).

(٢) العبيلاء: قرية ومزرعة لقبيلة عدوان في أسفل (وادي ليَّة) في إمارة (الطائف) اليوم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١١٠٩). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢/٩٣٧).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٦).

(٤) الأمير مصلط بن قطنان: من قبيلة سبيع وأحد أشياخها. نقلاً عن: دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٦٨)، بتاريخ ١٥ شوَّال ١٢٣١هـ/ ٨ سبتمبر ١٨١٦م (٢/٢٧٧).

الرُّعب فَفَرَّ هارباً منها إلى مكَّة، فتولاها السَّعوديون دون قتال[١].

أما ما قاله أحمد زيني دحلان[٢] وما اخترعه ـ هو ـ من حوادث في فتح أهل الدعوة للطائف، فما هو إلَّا من قَبيل ما تُصَوِّره له أحقاده في اختلاق حوادث لن تجد لها أصلاً في التاريخ سوى في خياله الخصب. **وكان فيلبي[٣] قد تابع افتراءات دحلان وكررها.**

ـ الاقتراب من مكَّة:

بينما كانت الحوادث تسير لصالح الدولة السعودية في نزاعها مع الشريف غالب، انضمت إليها منطقة عسير؛ التي برز فيها الزعيم عبدالوهاب بن عامر المتحمي متحمّساً للدولة السعودية الأولى[٤].

وبعد حوادث ومناوشات بين القوات السعودية وما تبقى من قوات الشريف غالب، استطاع سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود أن يضمّ جيش المضايفي إلى جيشه وأن يستلحق عبدالوهاب بن عامر المتحمي ليوافيه جهة القبلة/مكة، فعسكر سعود بجموعه خارج مكة بانتظار انتهاء موسم حج ١٢١٧هـ/أبريل ١٨٠٣م؛ حتى لا يُعرّض

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,748. وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٨ ـ ٣٠٩). وعبدالرحمٰن بن حسن في «المقامات»، ضمن «الدرر السنية» (٢١/١٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٩/١ ـ ٢٦٠).

(٢) في كتابه «خلاصة الكلام» (٣٥٨).

(٣) في كتابه «تاريخ نجد» (١٠٤).

(٤) كما مرَّ تفصيله هنا في أول هذا الفصل.

الأمير سعود أرواح الحجاج الأبرياء لأي خطر قد ينجم جَرَّاء دخوله مكة[١].

وهو ما شَهِدَ به مؤرخ مكة أحمد زيني دحلان، حين قال: «وكانت كثرة الحجاج في هذا العام [١٢١٧هـ/١٨٠٣م] هي السبب في تأخّر تلك الطائفة[٢] عن الوصول زمن الحج، ولله تعالى في كل شيءٍ حكمة»[٣].

ـ أمراء محامل الحجّ العثمانية وسلطان مسقط يساندون الشريف غالب:

في تلك الأثناء تحديداً؛ كان الشريف غالب قد عقد العزم على الاستعانة بأمير الحاج المصري وأمير الحاج الشامي لحرب الدولة السعودية[٤]، كما حاول استغلال وجود سلطان مسقط السلطان بن أحمد في مكة بموسم حج ١٢١٧هـ/أبريل ١٨٠٣م، ذلك السلطان الذي جاء إلى مكة خصِّيصاً لبحث سبل التعاون بينه وبين الأشراف في محاربة الدولة السعودية[٥]، وإليك ما قاله شهود العيان والمؤرخين عن ذلك:

---

(١) انظر: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٢٩). وعبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٨). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥٦١/٢). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٣٣/١).

(٢) يقصد السعوديين.

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩).

(٤) انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٩). وسامية بشاوري «إمارة الشريف غالب» (١٣٢).

(٥) راجع ما سبق تبيانه في هذا الفصل في مبحث وصول حكم الدولة السعودية إلى إقليم عمان.

الشهادة الأولى: أَرَّخَ ابن بشر لهذا الحدث ـ وهو شاهد عيان على تلك الحوادث ـ فقال: «كانت الحواجّ الشامية والمصرية والمغربية وإمام مسكت[١] وغيرهم في مكة وهم في قوّة هائلة العدد، فهمُّوا بالخروج على سعود والمسير إلى قتاله، ثمَّ تخاذلوا وفَسَدَ أمرهم وانصرفوا إلى أوطانهم»[٢].

أمَّا **الشهادة الثانية** فهي لمؤرّخ مكة **أحمد زيني دحلان** الموالي للأشراف والمناهض للسعوديين، حيث يقول: «في هذا العام [١٢١٧هـ/١٨٠٣م] حجَّ إمام مَسْكَت سلطان بن سعيد[٣]، ولمَّا وصلت الحجوج[٤] كان أمير قافلة الحج الشامي عبدالله باشا العظم[٥] ومعه كثير من العساكر، وأمير قافلة الحجّ المصري ومعه كثيرٌ من العساكر، وكَثُرَت الناس بمكة واشتدَّ الزحام، ولم يُعلَم قبل هذه السنة سنة فيها من المخلوقات مثل ما حضر في هذا العام، وتراكَمَ الناس بعضهم على بعض حتى مُلِئَت مكة ونواحيها وجهاتها وضواحيها، فلمَّا كان يوم التروية وَرَدَ الخبر أن سعوداً بجيوشه خيَّمَ [قريباً منهم] فحصل للناس خوفٌ ووَجَلٌ كثير، فلمَّا صَعدَ الحجاج للوقوف لم

---

(١) يقصد إمام مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدي. وجرى عند المتقدّمين تسمية «مسقط» بـ«مسكت».

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٣) الصواب: سلطان بن أحمد البوسعيدي.

(٤) الحجَّاج.

(٥) عبدالله باشا العظم: والي الشام وقتها. وانظر عنه: صلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد العثماني» (٩٠).

يجدوا أحداً من هذه الطائفة، فحجَّ الناس في أمنٍ وأمان»[١].

وعندنا شهادة ثالثة تفسّر ما سبق، يشهد بها **المستشرق الهولندي كريستيان سنوك هورخرونيه** Dr. C. Snouck Hurgronje (ت: ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م)[٢] والذي كان متواجداً في مكة سنة ١٨٨٤ - ١٨٨٥م يوم كان دحلان لا يزال على قيد الحياة بمكة، فقال هورخرونيه: «كان ذلك في موسم الحجّ الذي ضمَّ في ذلك العام [١٢١٧هـ/١٨٠٣م] الكثير من الحجاج المغاربة إضافةً لسلطان مسقط وكثير من الحجاج الآخرين، وقد قام الشريف غالب بآخر محاولة يائسة حين طلب من أميري المحمل الشامي والمصري تقديم المساعدة، لكنَّ الاثنين اكتفيا بتبادلِ حَذِرٍ للرسائل مع الأمير سعود، وبذلك سحبا معهما آخر أملٍ للشريف في الحصول على المساعدة المطلوبة للقضاء على خصومه [السعوديين]»[٣].

وهذه شهادة رابعة نأتي بها من الوثائق الإنجليزية التي جمعها

---

(١) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٩) باختصار.

(٢) كريستيان سنوك هورخرونيه Dr. C. Snouck Hurgronje: مستشرق هولندي وُلِدَ سنة ١٢٧٣هـ/ ١٨٥٧م ومات سنة ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٥م. دخل (مكة) سنة ١٣٠١هـ/ ١٨٨٤م متسمِّيَاً بعبدالغفار، ومكث بها في (سوق الليل) خمسة أشهر، واضطرَّ إلى مغادرتها فجأة قبل حلول موسم الحجّ لانكشاف أمره بكلماتٍ فاه بها وكيل قنصل فرنسا في (جُدَّة) في بعض المجالس. ألَّفَ كتابه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» بجزأيه أثناء إقامته في (مكة). انظر: شكيب أرسلان «عدوٌّ عاقلٌ لكنَّه شديد الخطر: سنوك هورغرونجه» مقالٌ نشره في مجلة «الفتح» المصرية، بتاريخ ٢٩ شوَّال ١٣٤٩ه، السنة ٥، العدد ٢٤٣، (ص: ١٣). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢٢١/٥).

(٣) كريستيان سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (٢٦٥/١).

لوريمر Lorimer؛ فقد ذكر أنَّ السلطان سلطان بن أحمد البوسعيدي قام بالتواصل مع أشراف مكة الذين كانوا في هاتيك الأوقات في حربٍ مع السعوديين، ففي ذي الحجَّة ١٢١٧هـ أوائل ١٨٠٣م سافر السيد سلطان بن أحمد لأداء فريضة الحجّ، واجتمع بحكام مكة من الأشراف المعادين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب والقائمين بالحرب على الدولة السعودية آنذاك، ووعدهم بالمحاربة إلى جانبهم ضدَّ السعوديين، **وقد أمدَّ سلطان بن أحمد أشراف مكة بالمال والعتاد، ويبدو أنَّه أمدَّهم أيضاً بفرقةٍ صغيرةٍ مزوَّدةٌ بالسلاح والذخيرة. وقد استاء الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود من فعل السيد سلطان بن أحمد البوسعيدي في شؤون الحجاز، فأعلن عليه الحرب تارةً أخرى**[1].

وكأنما زيني دحلان يؤمِّن على وثائق لوريمر؛ فقد **شهد أحمد زيني دحلان مرة أخرى بأنَّ إمام مسقط سلطان بن أحمد قدَّمَ للشريف غالب في حجِّ ١٢١٧هـ/١٨٠٣م مدفعاً كبيراً ليحارب به الدولة السعودية**، وأنَّ غالب الشريف استفاد منه يوم استرجع مكة من قبضتهم سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م[2]، كما سيأتي تبيانه قريباً.

وهنا **شهادة خامسة**، شهد بها شاهد عيان حضر أحداثاً كثيرة من تلك الوقائع وهو **الشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي** (١٢٢٠هـ/١٨٠٥م) الذي قال: «**وقد كان أمراء الحجيج** [أصحاب المحمل الشامي والمصري] **وأمير مكة تواطؤوا على قتال المسلمين**

(١) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/ ١٥٨٠).

(٢) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٥).

وصدّهم عن البيت»(١).

ولدينا شهادة سادسة، وهي لمؤرّخٍ عاصر تلك الأحداث وهو **الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي** الذي ذكر في تاريخه بأنَّه حضرت المكاتيب من الحجاز إلى مصر تخبرهم «أنَّ الوهابيين أحاطوا بالديار الحجازية، وأنَّ شريف مكة الشريف غالب تداخل مع شريف باشا(٢) وتداخل مع أمير الحاجّ المصري والشامي، وأرشاهم على أن يَتَعَوَّقوا معه أيَّاماً حتى ينقل ماله ومتاعه إلى جُدَّة»(٣).

وعندنا **شهادة سابعة** لمعاصرٍ لتلك الأحداث كان موجوداً في ذاك الوقت والعهد، وهو **الضابط الفرنسي جان ريمون Jean Raymond**(٤) الذي أكَّد في مراسلاته لحكومته الفرنسية أنَّ الشريف غالب كان يطلب من أمير الحاج الشامي عبدالله باشا العظم المساعدة في حربه ضد السعوديين(٥).

وهو عين ما شهد به **الأمير شكيب أرسلان**(٦)، **وهي الشهادة**

---

(١) محمد هادي بكري العجيلي «الظل الممدود» (٣٠).

(٢) شريف باشا: هو باشا جُدَّة من قِبَلِ العثمانيين.

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٨٨/٣).

(٤) جان ريمون Jean Raymond: فرنسيٌّ عُيِّن برتبة ضابط مدفعية، كان يعمل لدى علي باشا (باشا بغداد) ما بين ١٢١٧ ـ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٢ ـ ١٨٠٧م، ثمَّ عمل ممثّلاً قنصلياً لفرنسا في بغداد سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣٩٥٣/٧). ومقدمة خير الدين البقاعي لكتاب جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (١١ ـ ١٢).

(٥) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٣).

(٦) هو الأمير شكيب بن حمود بن حسن بن يونس أرسلان، من سلالة التنوخيين، =

الثامنة بحسب الترتيب، حين قال: «وكانت إذ ذاك قافلة الحجّ الشامي تحت إمرة عبدالله باشا [العظم] والي الشام قاربت البلد الأمين، فاستنصر الشريف غالب عبدالله باشا [العظم] على ابن سعود، فلم يقدر [العظم] أن ينصره لقلَّة ما معه من القوة»[١].

* الدخول السعوديّ لمكَّة المشرَّفة (الدخول الأول).

بعد انتهاء موسم حجّ سنة ١٢١٧هـ/١٨٠٣م ورحيل الحجاج وقوافلهم إلى ديارهم، تحرك الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من **العقيق**[٢] ومعه جنوده من أتباع الدعوة ونزلوا **المغاسل**[٣]، **فأرسل أهل مكة إلى الأمير سعود رسلاً من علماء مكة وأهل البيت النبوي، فتوجَّه الجميع إلى سعود في المغاسل وطلبوا منه الأمان لجيران بيت الله الحرام وأنَّهم يدخلون في طاعته، فقال لهم: إنَّما جئتكم لتعبدوا الله وحده وتهدموا الأصنام والطواغيت ولا تشركوا بالله**

= من أهل لبنان. له ترجمةٌ عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٣/١٧٣ ـ ١٧٥).

(١) تعليقات الأمير شكيب أرسلان على «حاضر العالم الإسلامي» (٤/١٦٣) للوثورب ستودارد.

(٢) العقيق: من قرى بني مالك في (الطائف). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١١٧٤ ـ ١١٧٥).

(٣) المغاسل: في (الطائف)، وهي (قرن المنازل)، وتُعرف اليوم بـ(السيل الكبير) وأهل نجد يسمّونه (المغاسل) لأنَّ الحاج يغتسل منه عند إرادته الإحرام؛ لأنه ميقات من المواقيت المكانية؛ وهو ميقات أهل (نجد) تلقاء (مكة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٣٧١). وتعليقات عبدالرحمٰن آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٢٦٣).

الذي يحيي ويميت. وقال: عاهدتكم على دين الله ورسوله، توالون من والاه وتعادون من عاداه، والسمع والطاعة. فعاهدوه على ذلك، وأمر كاتبه أن يكتب كتاب الأمان[١].

ثمَّ تقدَّمَ سعود وأهل الدعوة السلفية وأحرموا من المغاسل بعمرة، حتى دخل سعود مكة المكرمة دخول المنتصرين من غير قتال في ٨ محرم ١٢١٨هـ/٣٠ أبريل ١٨٠٣م، بعد أن انسحب منها الشريف غالب وتوجَّه إلى جُدَّة، حاملاً معه خزائنه وذخائره وبعض متاعه وشوكته[٢].

هكذا دخلت مكَّة في حكم الدولة السعودية الأولى.

ـ الحكم السعودي لمكَّة:

عندنا شهادات من الوثائق الأجنبية ومِمَّن عاينوا الحدث وعاصروه، يصفون لنا حال مكة بعد أن تفيَّأت ظلال الدولة السعودية الأولى وتنعَّمت بدعوتها السلفية، ولكنَّه وصفٌ لن يستبين لك بهاؤه وروعته إن لم تكن لديك معرفة عن حالها قبيل أن يدخلها سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فهذا وصف مؤرِّخ كان حيّاً ومعاصراً لتلك الحوادث، وهو الشيخ الجبرتي الذي يخبرنا قائلاً: «كانوا[٣]

(١) انظر: عبدالله الغازي المكي «إفادة الأنام» (٤/١٥ ـ ١٦). وأحمد السباعي «تاريخ مكة» (٥/٥٦٢ ـ ٥٦٣).

(٢) انظر: محمد بن هادي العجيلي «الظل الممدود» (٢٩ ـ ٣٠). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٨٨) (٣٩٧). والأمير حيدر الشهابي في كتابه «الغرر الحسان» (٢/٣٨٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٦٣).

(٣) أي: حكَّام مكَّة الأتراك والأشراف.

خرجوا عن الحدود في ذلك، حتى أنَّ الميِّت يأخذون عليه خمسة فرانسة[١] وعشرة بحسب حاله، وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقرَّر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ولا يتقرَّب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن، وغير ذلك من البدع والمكوس والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشروبات على البائع والمشتري ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم؛ **فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلةٍ منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها، ويقولون: إنَّ سيِّد الجميع محتاج إليها**، فإمَّا أن يخرج منها جملة وتصير من أملاك الشريف وإمَّا أن يُصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر»[٢].

وبعد أن علمنا حال مكة قبيل دخول سعود بن عبدالعزيز وجنوده السلفيين؛ فلنأخذ **الشهادة الأولى** عن حالها بعد ذلكم الدخول المبارك، **وهي شهادة لمؤرّخ لا يتعاطف مع آل سعود في تأريخه**، وهو حسن بن جمال الريكي؛ المعاصر لتلك الحوادث والذي شهد بالحق فقال: «**فلمَّا دخل سعود مكة لم يتعرَّض أحداً من أهلها أبداً، بل أعطى كثيراً من فقرائها دراهم عديدة**»[٣].

وهذه **شهادة ثانية**، وهي من معاصرٍ آخر لتلك الحوادث وهو **البريطاني السير هارفرد جونز بريدجز Sir Harfard Jones**

---

(١) المقصود هو «الريال الفرنسي» وهي العملة المعروفة باسم «ريال ماريا تريزا» وتريزا هذه ملكة النمسا. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢١٥).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨/٤).

(٣) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٨٥).

Brydeges (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)[١] الذي دوَّنَها وأرسلها لحكومته البريطانية، حيث يقول: «**خضعت مكة بعد ذلك لعبدالعزيز [ابن محمد بن سعود] الذي لم يقترف جنوده أيّ تجاوزات عند دخولهم المدينة المقدَّسة؛ لقد فُتِحَت المتاجر في اليوم التالي ودفع الجنود أثمان كل شيء اشتروه نقداً**»[٢].

أمَّا الشهادة الثالثة فنأتي بها من **الوثائق البريطانية**، التي تورد شهادة مسؤولي حكومتها في الهند البريطانية وفي العراق، قائلين عن الحكم السعودي لمكَّة ما يلي: «**أثناء إقامتهم**[٣] **في مكَّة - والتي لم تكن طويلة**[٤] **-، تصرَّفَ الوهابيون باعتدالٍ كبير، لقد كان إصلاح الوهابيين في مكة إصلاحاً ظاهراً في الآداب والأخلاق. وفي ظلِّ الحكم الوهابي؛ ساد الهدوء في ساحل البحر الأحمر، وأصبحت المؤن وفيرة والأسعار منخفضة**»[٥].

ولننظر في الشهادة الرابعة؛ وهي من شاهد عيان كتب ما شهده

---

(١) سير هارفرد جونز بريدجز Sir Harfard Jones Brydeges: أحد موظفي الحكومة البريطانية، عمل مُمَثِّلاً بريطانياً في الباشوية العثمانية في العراق في الفترة: ١٧٩٨ - ١٨٠٦م. كان شاهداً على الحروب بين الدولة السعودية الأولى وباشوية بغداد التركية. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣٩٠٥/٧) (٣٩٣٨).

(٢) سير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠٥).

(٣) يقصدون السعوديين.

(٤) يقصدون الدخول السعودي الأول لمكَّة.

(٥) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,738-740.

بجثمانه ورآه بعينه، وهو جوهان بوركهارت الذي قال: «جرت الحوادث في [ذي الحجَّة ١٢١٧هـ ومحرم ١٢١٨هـ] إبريل ومايو سنة ١٨٠٣م، ولا يزال المكيُّون يذكرون، عرفاناً بالجميل، الانضباط الممتاز الذي راعاه أولئك الوهابيون الأشدَّاء عند دخولهم مكة؛ **إذ لم يُرتَكَب أيُّ تَعَدٍّ على حقوق الناس.**

وفي اليوم التالي فُتِحَت كلّ الدكاكين بأمرٍ من سعود، ودَفَعَ جنوده كل ما اشتروه، وأعلن سعود أنَّه كان في مقدوره أن يأخذ البلدة بهجوم كاسح منذ زمن، لكنَّه رَغِبَ في أن يَتفادى الفوضى والتجاوزات الَّتي قد تَحدث جَرَّاء ذلك.

وهكذا أصبح أهل مكَّة وهابيين؛ بمعنى أنَّهم اضطّروا إلى أن يحافظوا على الصلاة في أوقاتها أكثر مما سبق، وأن ينزعوا ملابسهم الحريرية الجميلة ويخفوها، وأن يمتنعوا عن التدخين علناً، وقد جُمِعَت أكوامٌ من الغلايين الفارسية/الشِّيَش من كلّ البيوت وأُشْعِلَت فيها النَّار أمام مركز قيادة سعود، وحُرِّمَ بيع التبغ»[1].

«وعيَّنَ سعود عبدالمعين[2] أخا غالب على رأس الحكومة

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٥٣» (٩١ ـ ٩٢).

(٢) الشريف عبدالمعين بن مساعد: كان أميراً على (الطائف) من قِبلِ أخيه الشريف غالب بن مساعد، وتركها بعد أن تولاها عثمان المضايفي، ثم تولى الشريف عبدالمعين حكم (مكة) نيابة عن الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في الفترة التي فرَّ فيها غالب إلى (جُدَّة). انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٢ ـ ٩٣). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٥٦). وكريستيان سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة» (١/٢٦٤ ـ ٢٦٦). والمستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي» (٣٤). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة» (١٩٢ ـ ١٩٣).

المَكيَّة، كما عيَّنَ عالماً من الدرعية اسمه ابن نامي (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٨م)[١] قاضياً للبلدة، وكان هذا القاضي البدوي مستقيماً جداً لدرجة أنّ أحكامه أصبحت مضرب المثل تقريباً، ويقول المكيُّون الآن سخريةً من قاضيهم القسطنطينيّ المرتشي: (ها هو ابن نامي). وفي ذلك الوقت أُلْغِيَ الدعاء للسلطان العثماني في خطبة الجمعة»[٢].

وشهد بوركهارت على السعوديين قائلاً: «**وعلامةً على حسن عقيدة الوهابيين أنَّ بعضاً منهم كانوا يُرَوْنَ في الحرم يبحثون عن أصحاب أشياء مفقودة وجدوها ويرغبون في إيصالها لهم**»[٣].

وقال بوركهارت واصفاً ما قام به السعوديون في مكة يوم دخلوها تحت إِمْرَةِ الأمير سعود بن عبدالعزيز: «ولم تبق في مكة قبَّة واحدة غير مهدَّمة على قبر أيّ عربي مشهور، بل لقد هُدِّمَت تلك التي كانت فوق مكان محمد [ﷺ]، وكان الوهابيون يقولون وهم يهدمونها: رحم الله من هدمها لا من بناها»[٤].

والشهادة الخامسة قريبة من وصف بوركهارت وشهادات مَنْ

---

(١) الشيخ عبدالرحمٰن بن نامي: عيَّنه الإمام عبدالعزيز قاضياً في بلدة (العيينة)، ثمَّ جعله سعود قاضياً على (مكة) سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، بعدها صار قاضياً على (الأحساء) وقت الإمام سعود بن عبدالعزيز وهناك قتله الأتراك بعد احتلالهم الأحساء. انظر أخباره وترجمته عند: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٢٠١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦٤/١) (٤٢٩ ـ ٤٣٠). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٢٧٣/٣ ـ ٢٧٤).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٢).

(٣) المصدر السابق (٥٤).

(٤) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٢٠ ـ ٢١). باختصار.

قَبْلَه، جاء بها المؤرخ محمود فهمي المهندس (ت: ١٣١١هـ/١٨٩٤م)(١) الذي قال: «**خرج وجوه أهل مكة وعُمَدها لملاقاة الوهابي والخضوع إليه وتسليمه مكة؛ لِمَا يعلمون جيداً ما لديه من حسن النظام، واعتمدوا على عدله في عدم ضررهم وخراب أملاكهم، وصدرت الأوامر في الحال من رئيس هؤلاء المنصورين للأهالي والسكان بفتح جميع دكاكينهم، وكل شيءٍ يطلبه العساكر يباع لهم ويُدفع ثمنه في الحال نقداً، ولا ريب أنَّ هذه الحركة هي رأس السياسة**»(٢).

ثمَّ قال المهندس: بأنَّ سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود «أمر في الوقت بهدم ما ينوف عن ثمانين قبَّة فاخرة البناء كانت على قبور ذراري الرسول ﷺ، وسوَّاها جميعاً بالأرض حتى القبة التي على قبر خديجة ﵂، **وأبطل جميع القهاوي(٣) والخمَّارات وجميع محلات المشروبات والمسكرات وكسر أوانيها وأراق مائعتها(٤)، وأمر بجميع الشِّيَش والجُوَز(٥) وعيدان الدخان وأحرقها بحضوره، وحرم شرب**

---

(١) محمود فهمي المهندس: مهندسٌ مصريٌّ، قائدٌ عالمٌ بالتاريخ. انظر: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٧/١٨٠).

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٤).

(٣) المقاهي.

(٤) مائعتها: مَيْعَةُ السُّكْر. انظر: جمال الدين بن منظور «لسان العرب» مادة (مَيْع).

(٥) الجوز: جمع «جوزة»؛ نوع من أنواع الشيشة/ الأرجيلة، توضع سابقاً على وعاء شبيه بجوزة الهند، تُثَبَّت به أنبوبة معدنية جانبية وأخرى علوية ويوضع فيها التبغ للتدخين. وقد دخلت تلك العادات على العرب من قِبَلِ الأتراك والفرس. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات في منتخبات اللغات»=

الدخان والكُنْياك[١] وجازى شاربهما بأشدّ العقاب»[٢].

واستكمالاً لشهادة محمود فهمي المهندس نأتي هنا بما قرَّره جون ب. كيلي[٣] من خلال وثائقه البريطانية التي ذكرت بأنَّ السعوديين «أغلقوا المقاهي ومنعوا تدخين النارجيلة[٤] والحشيش، كما أضرموا النار في بيوت الدعارة، وفرضوا عقوبات مشدَّدة على المدخنين والمعاقرين للخمر»[٥].

ولنأخذ الشهادة السادسة من الشيخ محمد بن هادي بن بكري العجيلي ـ وهو ممن عاين الحدث ـ، حيث يقول: إنَّ الإمام سعود «بذل الأمان لأهل الحرم الشريف وبثَّ فيهم العدل والإحسان والرَّشاد، وعلى التوقير لهم والإجلال وبَذْل الفضل والجود، وحلَّقوا

= (٥١٦). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢١٣). ومحمد أحمد دهمان «معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي» (١٣).

(١) نوع من أنواع الخمور، سُمِّيَ على مدينة تقع في جنوب غرب فرنسا تحمل نفس الاسم اشتهرت بإنتاجه Dictionnaire Francais- Arabe, Librairie du Liban Publishers.. .

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٥).

(٣) جون ب. كيلي: مؤرِّخٌ بريطاني، حصل على الدكتوراه سنة ١٩٥٥م من جامعة لندن في تخصص الوجود البريطاني في الخليج العربي، وقد شغل كيلي منصب رئيس قسم البحوث لمعهد دراسات الكومنولث بجامعة أكسفورد. انظر: مقدمته لكتابه «بريطانيا والخليج».

(٤) النارجيلة: بالفارسية. هي ذاتها الشيشة والجوزة. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٥١٦).

(٥) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١ ١٦٠).

على مؤلفات شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب: (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) وفي كتاب (كشف الشبهات) وغيرهما، وظهر فيهم محبَّة الدين والاعتراف أنَّه الحق والصدق والصواب»[١].

ثم تأتينا **الشهادة السابعة** من مؤرّخ عاصر تلك الحوادث وهو **الشيخ عثمان بن بشر** الذي وصف ذلك الدخول المبارك، فقال: «أعطى [سعود بن عبدالعزيز] الأمان لأهل مكة، وبذل فيها من الصدقات والعطاء شيئاً كثيراً، ولمَّا خرج سعود وأهل الدعوة من الطواف والسعي، فرَّق أهل النواحي يهدمون القباب التي بُنِيَت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيءٌ كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها، فأقام فيها عشرين يوماً، ولبث أهل الدعوة في تلك القباب بضعة عشر يوماً يهدمون؛ يباكرون إلى هدمها كلّ يوم، وللواحد الأحد يتقربون، حتى لم يَبْقَ في مكة شيءٌ من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها تراباً»[٢].

أما **الشهادة الثامنة** فهي من مؤرّخ مكة **أحمد زيني دحلان** الذي شهد بذلك على طريقته الخاصة في التهكّم والسخرية من السلفيين فقال: «فما أصبح الصبح [الثامن من الشهر المحرَّم ١٢١٨هـ/الثلاثون من أبريل ١٨٠٣م] إلا وهم[٣] سارحون بالمساحي لهدم القبب، فبادر الوهابيون ومعهم كثير من الناس لهدم المساجد[٤]

---

(١) محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٣٠).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٦٣/١) بتصرف يسير.

(٣) أي السلفيون السعوديون.

(٤) هذه من أكاذيب دحلان.

ومآثر الصالحين[١] فهدموا ما في المعلاة من القبب فكانت كثيرة، ثمَّ هدموا قبة مولد النبي ﷺ ومولد سيدنا أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه ومولد سيدنا عليّ رضي الله عنه وقبَّة السيدة خديجة رضي الله عنها. وتَتَبَّعوا جميع المواضع التي فيها آثار الصالحين، وهُم عند الهدم يرتجزون ويضربون الطبل[٢] ويُغنّون[٣] وبالغوا في شتم القبور التي هدموها[٤] وقالوا: إن هي إلا أسماء سمَّيتموها، حتى قيل إنَّ بعض الناس بال على قبر المحجوب[٥].

وفي اليوم السادس من أيام إقامته[٦]؛ نادى مناديه بإبطال تكرار صلاة الجماعة في المسجد الحرام؛ فكان يصلّي الصبح الشافعي والظهر المالكي والعصر الحنبلي والمغرب الحنفي والعشاء يصليه كلّ

---

(١) يقصد بمآثر الصالحين: القبب والمقامات التي تُؤتى عندها الأعمال الشركية.

(٢) هذا من أخاطيل دحلان؛ فلم يكن أهل الدولة السعودية يستخدمون ضرب الطبل، ولن تجد في المصادر النجدية ومصادر أهل الجنوب ـ ومن أرَّخ للسعوديين ـ من يذكر أنهم يضربون الطبل خصوصاً في الحرم.

(٣) قِس على هذا ما ورد في الهامشة السابقة، ولا يُتصوَّر ذلك لمن قرأ تاريخ أهل الدعوة وعرف مسلكهم وحالهم.

(٤) لن تجد في كتابات علماء الدعوة ومؤرخي الدولة السعودية من شتم أو سبّ صاحب قبر أثناء دخولهم مكة أو أثناء غيرها من الحوادث، وهذه من افتراءات أحمد زيني دحلان التي لا حصر لها ضدَّ أهل الدولة السعودية الأولى.

(٥) طُفْ على كلّ مصادر أهل نجد التي عاصرت تلك الحوادث ومن جاء بعدهم بقرن أو يزيد، لن تجد أثراً لتلك الأخاطيل التي يجيء بها دحلان، والتي تفرَّدَ بها هو وحده وردَّها من بعده ببغاوات المتصوِّفَة.

(٦) يقصد: إقامة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

راكع وساجد، وأمر أن يصلّي بالناس الجمعة المفتي عبدالملك القلعي[١].

وفي اليوم الثامن أمر [سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] أن يأتيه الناس بالشِّيَشِ وآلات اللهوِّ ذوات الأوتار، وأمر على ذلك جماعة من قومه ليحرقوها بالنار»[٢].

ثمَّ أظهر زيني دحلان ما في صدره تجاه عقيدة آل سعود ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومؤلَّفاته النافعة، فقال: «**ثمَّ أمر** [سعود بن عبدالعزيز] **علماءَ مكة أن يدرسوا بعقيدته التي ألَّفها محمد بن عبدالوهاب وسمَّاها (كشف الشبهات) ووضع فيها شيئاً من الكفريات**[٣] **فقرؤوها ورأوا ما فيها من التلبيس الذي هو من وساوس إبليس**[٤]**، ولم يقدروا على الإنكار»**[٥].

ولنترك **جوهان بوركهارت** ينقض أكاذيب دحلان الأخيرة الخاصة بنشر كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مكة، وكيف استقبله المكِّيون، يقول بوركهارت: «**وإذا تطلَّب الأمر دليلاً آخر على أنَّ الوهابيين مسلمون محافظون، فإنَّ كتبهم توضّح ذلك،**

---

(١) هو مفتي مكة وقتها. انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٤٩).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٢).

(٣) كتاب كشف الشبهات وغيره من كتب الإمام المجدّد قائمة على نصوص الكتاب والسنَّة، وهي ميزة في سائر كتبه ورسائله.

(٤) تأمَّل كيف نزغته أخاطيله الصوفية ليصف ما في كتاب «كشف الشبهات» من نصوص القرآن والسنَّة على أنَّها من وساوس إبليس.

(٥) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

فحينما استولى سعود على مكة وزَّع نسخاً من تلك الكتب على السكان وأمر أن يحفظها التلاميذ في المدارس العامة، وليس فيما احتوته إلا ما لابدّ لكل تركيّ من أن يعترف بأنَّه الحقّ»(١).

المهم؛ فلنترك وصف دحلان الذي ذكر فيه ما هو صدقٌ ملبّس بأكاذيبه وافْتِرَاءَاتِهِ، ونأخذ هذه الشهادة؛ وهي ـ بحسب الترتيب ـ **الشهادة التاسعة** من رحالة ومستشرق هولندي كان في مكة ودحلان لا يزال حيّاً موجوداً فيها؛ وهو **كريستيان سنوك هورخرونيه** (ت: ١٣٥٥هـ/١٩٣٥م) الذي أرَّخ لدخول سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود والسلفيين معه إلى مكة من خلال ما استقصاه من أخبار تلك الحادثة، فقال هورخرونيه: «وفي [الثامن من محرم ١٢١٨هـ] نهاية نيسان [أبريل] من العام نفسه [١٨٠٣م] دخل الأمير سعود المدينة المقدَّسَة باحتفالٍ بهيج؛ حيث قَدَّمَ الشريف عبدالمعين وعلماء المدينة البيعة للأمير الجديد، الذي ألقى خطبة أمام الجماهير المحتشدة. **هكذا كان لسيف الأمير الجديد الفضل الأكبر في العودة إلى منابع الدين الأصيل.**

وفيما تلا ذلك من أيام كان أهل مكة يمدّون يد العون للحاكم الجديد ليقوم بتحطيم وإزالة كلّ القباب المقامة والمزارات والقبور **وجمع كافة غلايين التبغ وكذلك الآلات الموسيقية التي كُوِّمَت ثمَّ أُحرِقَت. وقد مُنِعَت ألفاظ التمجيد البدعية كافَّة؛ سواء في الدعاء أثناء الصلاة أو في أيِّ مناسبة أخرى. وقد كان على سكّان المدينة المغرورين بعلمهم أن يُصَحِّحُوا كثيراً من أمور دينهم ويتعلّموا من**

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧).

هؤلاء القادمين الجُدُد»(١).

ثمَّ تأتينا **الشهادة العاشرة والأخيرة** من شاهد عيان وواحد من أبطال تلك الواقعة، وهو **الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب**، الذي أتى بما عاينه من دخول معاشر السلفيين إلى مكة مع أميرهم سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود(٢)، فلنرخِ السمع لهذا الوصف من الشيخ عبدالله الذي قال فيه: «لمَّا منَّ الله علينا ـ وله الحمد ـ بدخول مكة المشرَّفة نصف النهار يوم السبت في ثامن شهر محرم الحرام سنة ١٢١٨هـ [١٠ مايو ١٨٠٣م]، بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود [بن عبدالعزيز] الأمان، وقد كانوا تواطؤوا مع أمراء الحجيج وأمير مكة على قتاله أو الإقامة في الحرم ليصدُّوه عن البيت، فلمَّا زحفت أجناد الموحدين؛ ألقى الله الرعب في قلوبهم فتفرَّقوا شذر مذر كلّ واحدٍ يَعُدّ الإياب غنيمة. **فبذل الأمير** [سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] **حينئذٍ الأمان لمن بالحرم الشريف، ودخلنا وشعارنا التلبية آمنين محلّقين رؤوسنا ومقصّرين غير خائفين من أحدٍ من المخلوقين، بل من مالك يوم الدين.**

ومن حين دخل الجند [السعوديون] **الحرم، وهم على كثرتهم مضبوطون متأدّبون؛ لم يَعضدوا به شجراً ولم يُنفِّروا صيداً ولم يُريقوا دماً إلا دم الهَدي أو ما أَحَلَّ الله من بهيمة الأنعام على الوجه المشروع.**

---

(١) كريستيان سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٦٦).

(٢) كان سعود بن عبدالعزيز أميرهم ولم يكن إمامهم بعد؛ لأنَّ والده الإمام عبدالعزيز مازال حيّاً وقتها.

ولمَّا تمَّت عمرتنا، جمعنا الناس ضحوة الأحد، وعرض الأمير على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه؛ وهو: إخلاص التوحيد لله تعالى وحده، وعرَّفهم أنَّه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين، أحدهما: إخلاص التوحيد لله تعالى ومعرفة أنواع العبادة، وأنَّ الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ، واستمرّ دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد وترك الإشراك قبل أن تُفرض عليه أركان الإسلام الأربعة. والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يَبْقَ عندهم إلا اسمه وانمحى أثره ورسمه.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلاً، وبايعوا الأمير [سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] **على الكتاب والسنَّة، وقَبِلَ منهم وعفى عنهم كافَّة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقَّة، ولم يَزَل يرفق بهم غاية الرفق، لا سيَّما العلماء،** ونقرّر لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا: أدلَّة ما نحن عليه ونطلب منهم المناصحة والمذاكرة وبيان الحق.

وعرَّفناهم: بأنْ صرَّح لهم الأمير حال اجتماعهم قابلون ما وضَّحوا برهانه من كتاب أو سنَّة أو أثر عن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم، أو عن الأئمة الأربعة المجتهدين ومن تلقى العلم عنهم إلى آخر القرن الثالث.

وعرَّفناهم: أنَّا دايرون مع الحقِّ أينما دار وتابعون للدليل الجلي الواضح، ولا نبالي حينئذٍ بمخالفة ما سلف عليه من قبلنا، فلم ينقموا علينا أمراً، فألحَّينا عليهم في مسألة طلب الحاجات من الأموات إن بقي لديهم شبهة، فذكر بعضهم شبهة أو شبهتين، فرددناها بالدلايل القاطعة من الكتاب والسنَّة حتى أذعنوا، ولم يبق منهم شك ولا

ارتياب فيما قاتلنا الناس عليه أنَّه الحقّ الجلي الذي لا غبار عليه.

وحلفوا لنا الأيمان المغلَّظة من دون استحلافٍ لهم على انشراح صدورهم وجزم ضمائرهم: أنَّه لم يبق لديهم شكّ في أنَّ من قال: يا رسول الله ﷺ أو يا ابن عباس أو يا عبدالقادر أو غيرهم من المخلوقين طالباً بذلك دفع شرّ أو جلب خير من كل من لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ من شفاء مريض والنصر على العدو والحفظ من المكروه ونحو ذلك؛ أنَّه مشرك شركاً أكبر يُهدر دمه ويبيح ماله وإن كان يعتقد أنَّ الفاعل المؤثر في تصريف الكون هو الله تعالى وحده، لكنَّه قصد المخلوقين بالدعاء متشفّعاً بهم ومتقرباً بهم لتُقضى حاجته من الله بسرِّهِم وشفاعتهم له فيها أيام البرزخ.

وأنَّ ما وُضِعَ من البناء على قبور الصالحين صارت في هذه الأزمان أصناماً تُقصَد لطلب الحاجات ويُتَضَرَّع عندها ويُهْتَف بأهلها في الشدائد كما كانت تفعله الجاهلية الأولى.

وبعد ذلك أزلنا جميع ما كان يُعبد بالتعظيم والاعتقاد فيه ويُرجى النفع والنصر بسببه من جميع البناء على القبور وغيرها، حتى لم يَبق في تلك البقعة المطهرة طاغوت يُعبد، فالحمد لله على ذلك.

ثم رفعت المكوس والرسوم وكُسِّرَت آلات التِّنباك[1] ونُودي

(١) التُّنْباك: من الكلمة الفرنسية Tabac وتعني: التَّبغ، وقد دخلت الكلمة إلى التركية عن الإيطالية بصيغة «تنباكو» بفتح التاء، ودخلت العربية بصيغة «تُنْباك» بضمّ التاء، وعليه يوضع تبغ النرجيلة، ومن ثَمَّ سُمِّيَ تبغ النرجيلة بالتُّنْباك. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١٧٩). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢١٣). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٤٨).

بتحريمه وأُحرِقَت أماكن الحشاشين والمشهورين بالفجور، ونُودي بالمواظبة على الصلوات في الجماعات وعدم التفرُّق في ذلك؛ بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمامٍ واحدٍ.

واجتمعت الكلمة حينئذ وعُبِدَ الله وَحدَه وحَصَلَت الألفة وسَقَطَت **الكُلْفة واسْتَتَبَّ الأمر من دون سَفكِ دَمٍ ولا هَتكِ عِرض ولا مَشقَّة على أحد»**[١].

ـ رسالة سعود بن عبدالعزيز إلى السلطان العثماني:

في العاشر من محرم ١٢١٨هـ/٣ مايو ١٨٠٣م كتب الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسالة إلى السلطان العثماني سليم الثالث قال له فيها:

«من سعود إلى سليم، أما بعد.

فقد دخلتُ مكة في الرابع من محرم سنة ١٢١٨هـ [السادس والعشرون من أبريل ١٨٠٣م]، **وأمَّنتُ أهلها على أرواحهم وأموالهم بعد أن هدَمتُ ما هناك من أشباه الوثنية، وألغيتُ الضرائب إلا ما كان منها حقاً، وثبَّتُّ القاضي الذي وَلَّيْتَهُ أنتَ طبقاً للشرع، فعليك أن تمنع والي دمشق ووالي القاهرة من المجيء بالمحمل والأبواق والطبول والزُّمور إلى هذا البلد المقدّس، فإن ذلك ليس من الدين في شيء... وعليك رحمة الله وبركاته»**[٢].

---

(١) من رسالة الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب لأهل مكة، ضمن «الدرر السنية» (١/٢٢٨ ـ ٢٤١) باختصار.

(٢) انظر نصّ الرسالة عند: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٨ ـ ٣٩).

في أثناء ذلك كانت حكومة السلطان العثماني قد أرسلت إلى مصر في محرم ١٢١٨هـ/أبريل ١٨٠٣م عدَّة تقارير يرافقها سلاح وذخيرة وجملة من العسكر وصحبتهم إبراهيم آغا(١) الذي حضر من إسطنبول صحبة العسكر، فحملوا السلاح والذخيرة وطلَّعوها إلى القلعة(٢)، وكان يقال: إنَّها متوجِّهةٌ إلى جُدَّة لحرب ابن سعود(٣).

ـ الشريف غالب يستعيد مكَّة:

خلال تلك المدَّة كان الشريف غالب في جُدَّة يراسل سعود بن عبدالعزيز ويطلب الصلح ويبذل المال، وغرضه في الحقيقة أن يحصِّنَ جُدَّة ويحمل ما فيها من السفن، ومع تفطّن سعود بما يريده الشريف غالب، رحل سعود عن مكة واستعمل فيها أميراً هو الشريف عبدالمعين بن مساعد، وَوَضَعَ في القلعة التي بمكة مئتين من أهل بيشة وجعل عليهم فهيد بن شكبان(٤) أميراً عليهم، فأرسل كتاباً إلى أهل جُدَّة مع علي بن عبدالرحمٰن(٥) يطلب

---

(١) إبراهيم آغا: كان كاشف (الشرقية) في مصر عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠١م، وكان قد توجَّه إلى إسطنبول تحريضاً على حرب السعوديين. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٢).

(٢) القلعة: (قلعة صلاح الدين) الكائنة في (جبل المقطَّم) في (القاهرة). انظر: تقي الدين أحمد المقريزي «المواعظ والاعتبار» (٣/٦٣٨ ـ ٦٤٨).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٩).

(٤) فهيد بن شكبان: أخو الأمير سالم بن شكبان الرمثين. انظر أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

(٥) علي بن عبدالرحمٰن: أخو عثمان بن عبدالرحمٰن المضايفي أمير الطائف. انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

منهم الدخول في طاعته، فأبوا[١].

وعلى إثرَ ذلك نازَلَ سعود جُدَّة وحاصرها أياماً فوجدها محصَّنة بسورٍ حصين وخندقٍ دونها فرحل عنها عن حكمة وسياسة لا من قلَّة وذلَّة[٢]، ثمَّ رتَّبَ جنداً من عِندِهِ في قصرٍ من قصورِ مكة ورجع قافلاً إلى الدرعية[٣].

وبعد أنْ غادر سعود بن عبدالعزيز بقواته من الحجاز، عزم الشريف غالب في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول ١٢١٨هـ/١٢ يوليو ١٨٠٣م على القدوم من جُدَّة إلى مكة، وعلى إخراج من فيها من أتباع ابن سعود، فتوجَّهَ من جُدَّة ومعه الوزير العثماني شريف باشا صاحب جُدة وكثير من عساكر الترك والجنود الأعاجم[٤] وثلاث مدافع، منها مدفع كبير أهداه له إمام مسقط سلطان بن أحمد البوسعيدي ليستعين به الشريف غالب في حربه ضدَّ السعوديين[٥].

وَصَلَ غالب الشريف إلى مكة في جمادى الآخرة ١٢١٨هـ/أكتوبر ١٨٠٣م ونزل بالزاهر، ثمَّ أرسل عساكر الترك والعبيد من عنده وأحاطوا بقلعة أجياد[٦] التي فيها حامية لسعود، وترَّس جنود

---

(١) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٤). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٣).

(٢) انظر: محمد بن هادي العجيلي «الظل الممدود» (٣٠).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٦٣/١).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٤٦/٣).

(٥) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٥).

(٦) أجياد: (أجياد الكبير) و(أجياد الصغير) وهما موضعان بمكة يلي (الصفا). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٩ ـ ٦٠).

غالب الشريف البيوت التي تلي القلعة وحصروا أتباع ابن سعود أشدَّ الحصار، فدخل الشريف غالب مكة ومعه شريف باشا ولم ينازعه الشريف عبدالمعين، وكان عبدالوهاب بن عامر المتحمي ومن معه من الجنود السعوديين في برجٍ من أبراج أجياد، فثوَّرَت عليهم الجنود الأتراك التي مع غالب بالمدافع، لكنَّ السعوديين صمدوا رغم قوَّة ضرب المدافع وتفجير الألغام التي زرعها غالب تحت البرج، عندها طلب غالب مدفعاً كبيراً من جُدَّة لا يمكن سيره بدون خمسين بعيراً، فلما وصل المدفع تواصل ضربه بالقنابل على من في البرج ضرباً عنيفاً هدَّم أجزاءً كبيرةً منه، فلمَّا أعيا السعوديين الصمود طلبوا الأمان مقابل التسليم، فأعطاهم غالب الشريف الأمان واستأجر لهم جمالاً يركبونها للخروج من مكة(١).

ويذكر محمد العجيلي وهو الذي كان حيّاً أثناء تلك الحوادث، بأنَّ شريف مكة لمَّا عاد وأخذ مكة لوَّثها مع علمائه «بالشرك وأدران المعاصي، وعكفوا على الإلحاد والظلم الذي يعرفه كل دانٍ وقاصٍ، **وشيَّدوا البناء على القبور، ولم يزالوا يهتفون بمعابدهم، وجدَّدوا كبائر الذنوب من المظالم والمكوس**»(٢).

ويذكر الجبرتي أنَّه في جمادى الآخر ١٢١٨هـ/أكتوبر ١٨٠٣م «**تحقَّق الخبر بجلاء الوهابي** [ابن سعود] **عن جُدَّة ومكَّة ورجوعه إلى بلاده، وأنَّ الشريف غالب رجع إلى مكة وصحبته شريف باشا، ورَجَعَ**

---

(١) انظر: محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٣١). وجان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٦٥).

(٢) محمد بن هادي بن بكري العجيلي «الظلّ الممدود» (٤٠).

كلّ شيءٍ إلى حاله الأوَّل، وردَّ المكوس والمظالم»[١].

ـ حكومة السلطان العثماني ترسل التعزيزات العسكرية للشريف غالب:

يخبرنا الجبرتي أنَّه من بعد ما استولى غالب على مكة قامت الدولة العثمانية في ٢٥ شوَّال ١٢١٨هـ/٧ فبراير ١٨٠٤م بعمل ديوان وإصدار فرمان أوصلته إلى مصر، تطلب فيه من أمراء القاهرة أن يجهِّزوا أربعة آلاف عسكري ويسفِّروهم إلى الحجاز لمحاربة الوهابيين، وأن يرسلوا ثلاثين ألف أرْدَبّ[٢] غلال إلى الحرمين، وأنَّهم وجَّهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر، وكذلك وجَّهوا أحمد باشا الجزَّار (ت: ١٢١٩هـ/١٨٠٤م)[٣] ليستعدّ لمحاربة

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤١٥/٣) باختصار.

(٢) إردَبّ: من المكاييل، معروفٌ بمصر، سِعَتَه ٢٤ صاعاً. انظر: إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (١٣).

(٣) أحمد باشا الجزار: البوشناقي (نسبة إلى إقليم البوسنة). وُلِدَ سنة ١١٣٥هـ/١٧٢٣م، ولمَّا بلغ من العمر ست عشرة سنة خان أخاه بامرأته، وعلَّق عبدالرزاق البيطار في كتابه «حلية البشر» (١٢٧/١) قائلاً: «فما أقبحه وما ألعنه، وذلك لما كان مطبوعاً من فساد الطبيعة ومخالفة الملَّة والشريعة». فهرب بعد فعلته تلك إلى (إسطنبول) فترقَّى حتى وصل بالغدر والمكيدة إلى أن يتولى (عكَّا). كان سفَّاكاً للدماء غدَّاراً مجبولاً على القسوة والغلاظة، يقول عنه البيطار (١٢٧/١ ـ ١٢٨): «قليل الرحمة عديم الإسلام، مطبوعاً على الفسوق والآثام، لا يتقيّد بشرع». ويقول الجبرتي: «سمّوه بالجزار لكثرة قتله الأنفس، ولا يفرِّق بين الأخيار والأشرار». انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٢٠/٣) (٤٦٦/٣) (٥٠٨ ـ ٥١٠). وانظر أخباره عند: الأمير حيدر أحمد الشهابي «الغرر الحسان» (٤٠٨/٢). وميخائيل الدمشقي «تاريخ =

الوهابيين[١].

ويقول الأمير حيدر بن أحمد الشهابي (ت: ١٢٥١هـ/١٨٣٥م)[٢] أيضاً: بأنَّ السلطان العثماني أرسل كل هذه التعزيزات «ليمحي آثار الوهابي من تلك البلاد»[٣].

ـ الشريف غالب يستولي على الليث:

من خلال الشهادة المهمة التي ساقها الجبرتي والأمير الشهابي قبيل قليل، نفهم كيف تيسَّر فيما بعد للشريف غالب أن يجهّز حملة بحرية وبرية من عِنده إلى الليث[٤] التي كانت قد دانت بالولاء إلى الدولة السعودية الأولى[٥]، وكانت تلك الحملة العسكرية مكوَّنةً من جنودٍ أتراك وبعض من جنود الشريف غالب.

وبالرغم من أنَّ أهل الليث سلَّموا للجنود الأتراك وجنود غالب الشريف، **إلَّا أنَّ القائد التركي خَوزَقَ ثلاثة من أهل الليث ظلماً**

= ميخائيل الدمشقي» (١٤ ـ ١٥) (١٧ ـ ٢١). وميخائيل مشاقة «مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان» (١٥٣ ـ ١٩١).

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٤٣٦).

(٢) الأمير حيدر بن أحمد الشهابي: مؤرّخ، من الأمراء الشهابيين بلبنان. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/٢٩٠).

(٣) الأمير حيدر الشهابي «الغرر الحسان» (٢/٣٩٣).

(٤) اللّيث: وادٍ في الجنوب الغربي من الحجاز. وهناك بلدة (اللّيث) على مصبّ ذلك الوادي جنوب (جُدَّة) بحوالي ٢٠٠ كلم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٤٨١).

(٥) انظر: محمد بن هادي العجيلي «الظل الممدود» (٣٧).

وعدواناً؛ فجعل لكل واحدٍ خازوقاً[١] **وأجلسه عليه، فَقُتِلُوا ظلماً وفجوراً**[٢].

وما مضى ثلاثة أيام أو أربعة على هجوم الترك وجنود غالب على الليث حتى هجمَ السعوديون بأربعة آلاف مقاتل جاؤوا لنجدة أهل الليث، فوقع القتال وكانت ملحمةً عظيمة سقط فيها القتلى من الجانبين وانتهت بهزيمة السعوديين، ووقع أثناء تلك المقتلة حادثة بشعة مقيتة، وهي **أنَّ الجنود الأتراك أخذوا يقطعون رؤوس أتباع ابن سعود ويجمعونها، ثم حشوها بالتبن وأرسلوها إلى الشريف غالب في مكة، فأمر غالب أن تُعلَّق رؤوس (الوهابيين) خارج البلد ليراها الناس، فهرع الناس ينظرون إليها**، هكذا قال المؤرخ المكي أحمد زيني دحلان حين أرَّخ للحادثة بابتهاجٍ وفرح[٣].

وهذا العمل الذي قام به الأتراك ضد السعوديين، والذي ابتهج به أحمد زيني دحلان، تمثيلٌ شنيع نهى عنه الإسلام نهياً شديداً ويُعَدّ خزياً وعاراً لفاعله[٤].

---

(١) الخازوق: لفظٌ من أصلٍ تركي (قازيق) أي الوتد، وهو عمود مدبَّب كانوا يُجلسون عليه من يُحكم عليه بالإعدام، فيدخلوه في دُبُرِ الرجل ليموت موتاً بطيئاً أليماً بنزيف الدَّم، وتُمَزِّقُ عورته وأمعاؤه، ويكون طوله أكثر من ٧٠ سم. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٤٠٠). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٦).

(٢) هذه شهادة أحمد زيني دحلان في «خلاصة الكلام» (٣٦٧)، مع أنه متعاطف مع الحملة وأتراكها، ومناهض في الوقت ذاته لأهل الليث الذين دانوا بالولاء لآل سعود.

(٣) أحمد زيني دحلان، المصدر السابق (٣٦٧).

(٤) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٤٦/٣). والحقُّ أنَّ قطع=

ـ أخلاق الجنود العثمانيين في الحجاز:

يخبرنا المعاين لتلك الحوادث وهو المؤرخ الشيخ محمد العجيلي: بأنَّ من كان مع الشريف غالب من الجنود الأتراك وباشات جدة وينبع وتوابعهم من العجم وغيرهم من الذين هاجموا بلدة الليث؛ **«قد تواترت الأخبار بأنَّ فيهم: اللواط[1] وشرب الخمور وأنَّ الرايات منصوبة على أبواب البغايا»**[2]، ثمَّ أكَّدَ العجيلي قائلاً: **«وذلك عندهم معروفٌ معهود»**[3].

ويشهد على ذلك المؤرّخ كرايتون المعاصر لتلك الحوادث،

= الرؤوس من شرائع الترك وطبائعهم، فهم فعلوا مثل ذلك بأهل دمشق يوم احتلوها في القرن العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي. انظر: محمد بن طولون «مفاكهة الخلّان» الجزء الثاني المسمَّى «تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني» (١٢٦). وعدَّد ابن إياس في «بدائع الزهور» الجزء الخامس: حوادث قطع رؤوس المصريين على يد الترك العثمانيين، شبيهةٌ بما صنعه الترك بأهل (الليث).

(١) اللواط شائعٌ عند الترك حتَّى من قبل احتلالهم لبلاد العرب، يقول المقريزي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤٢م) في كتابه «درر العقود المفيدة» (٤٥١/١): «إنَّ الزنا واللِّياطة وشرب الخمر وأكل الحشيشة عندهم فاشٍ ظاهر». قاله المقريزي عن الترك في بلادهم يوم ترجم للسلطان بايزيد بن مراد بن أورخان. وستأتي شواهد على ذلك في الفصل السابع والتاسع.

(٢) وقد أثبتنا (في الفصل الأول) على أنَّ سلاطين الترك العثمانيين قد فرضوا الضرائب على فروج البغايا، وهذا الأمر رسميٌّ عندهم لا يستنكرونه. وسيأتيك (في الفصل العاشر) تبنّي الأتراك العثمانيون للبغاء ورعايتهم للعاهرات وحرصهم على مرافقة المومسات والراقصات لعساكرهم التركية أثناء الحروب.

(٣) محمد بن بن هادي بن بكري العجيلي «الظل الممدود» (٤٣).

وهو الذي ذكر أنَّ المدن المقدَّسة إبان حكم الترك ذاك الوقت كانت ملوَّثة بالرذائل[١].

والحقُّ أنَّه لا مجازفة إطلاقاً في كلام المؤرِّخ العجيلي والمؤرخ كرايتون، **فالوثائق شهدت بذلك على الترك العثمانيين؛ فإنَّهم يوم أسقطوا ـ فيما بعد ـ الدولة السعودية الثانية وحُكْمها في الأحساء، قام متصرف الأحساء التركي بتسيير السفائن من العراق العثماني، حاملةً معها أكداساً من صناديق الخمر وسائر المسكرات، كما كانت السفائن تُسَيَّر من بغداد إلى الأحساء حاملةً أعداداً هائلةً من البغايا والمومسات والعاهرات، تجلب كل ذلك إلى عساكرهم التركية في الأحساء**[٢].

ـ ردّ الفعل السعودي على جريمة الليث:

بعد تلك الجرائم المقيتة التي ارتكبها الشريف غالب ومن معه من الأتراك في حقّ السعوديين من أهل الليث، أمر الإمام سعود[٣] بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في سنة ١٢١٩هـ/١٨٠٤م ببناء قلعةً في وادي فاطمة[٤] وجعل فيها عسكراً يضيِّقوا على الشريف غالب ويرصدوا حركاته العسكرية لِتَتِمّ محاصرته في مكة وتطويقه في جُدَّة

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٢٣).

(٢) انظر توثيق ذلك بوثيقتين بريطانيتين أوردهما: عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم في كتابه «أمراء وغزاة» (ص١٢٨ ـ ١٢٩).

(٣) أصبح سعود إماماً بعد اغتيال أبيه الإمام عبدالعزيز سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، وستأتي أخبار اغتيال الإمام عبدالعزيز في الفصل السابع.

(٤) وادي فاطمة: هو (مرُّ الظهران) قديماً، وهو بمنطقة (مكة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٥٥٦ ـ ١٥٥٧).

ومن يوالونه في المدينة النبوية[١]، فتوجَّهت جنود سعود إلى ينبع البحر[٢] في ربيع ثاني ١٢١٩هـ/يوليو ١٨٠٤م ليستولوا عليها[٣] ويمنعوا ما يمكن أن ترسله الدولة العثمانية من مساعدات للشريف من تلك الجهات، **خصوصاً وأنَّ شريف مكة ما زال يستنجد بالدولة العثمانية ضدَّ السعوديين**[٤].

ثمَّ سيَّرَ سعود قائده «عبدالوهاب بن عامر المتحمي أمير ألمع وعسير ونواحي تهامة ليقصد جُدَّة محارباً لها [في ١٠ شوال ١٢١٩هـ/١٢ يناير ١٨٠٥م] بأمرٍ من الإمام سعود، وتوجَّهت أوامر سعود على من في جهته من أهل الخبت والحجاز لينفروا مع عبدالوهاب بن عامر، فنزلوا السعدية[٥] وهم نحو ستة آلاف مقاتل، فلمَّا تحقَّقَ الشريف غالب عن حاله أراد أن يبغت عبدالوهاب بن

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٧١/٣). محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٣/١). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٣٤/١).

(٢) ينبع البحر: مدينة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر، وهي ميناء لـ(المدينة النبوية)، تقع شمال (جُدَّة) على بُعد ٣٥٤ كلم وعن (المدينة النبوية) ٢٥٠ كلم غرباً عن طريق (بدر). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٨٦٩ ـ ١٨٧٠).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,751.

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٨٢/٣). وعبدالوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي «تاريخ نجد» (١٧٠).

(٥) السعدية: محطة للحاج في أسفل (وادي يلملم) على بعد ١٠٠ كلم جنوب (مكة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨١٢).

عامر في مكانه قبل أن يأتي إليه أهل النواحي المذكورين، فجهَّزَ غالب الشريف العساكر الكثيرة التي قيل إنَّها عشرة آلاف رجل، وسار من مكة بعساكره وجنوده وقَصَدَ عبدالوهاب على السعدية، فمرَّ بطريقه برجال مرابطين من عسير وغيرهم وهم أربعون رجلاً، فقتلهم غالب، ثمَّ سار إلى عبدالوهاب **فالتقى الجمعان واقتتل الفريقان، فحمل عبدالوهاب وقومه على الشريف وجنوده فولَّوا الأدبار، فتبعتهم رجالات عسير من ساقتهم يقتلون ويغنمون ويأخذون من سلاح المدبرين ولباسهم وما معهم، وكثيرها يُرمى به في الأرض، وترك الشريف ثقله ومدافعه وزهبته وسلاحه واستولى عبدالوهاب ومن معه عليها كلّها**، حتى قيل: إنَّ البنادق التي جُمِعَت ألفان وخمسمئة بندق، والقتلى أكثر من ستمئة قتيل؛ أكثرهم من الأتراك والأمداد التي عنده من الدولة العثمانية، عندها رجع غالب الشريف إلى مكة وقفل عبدالوهاب بن عامر إلى وطنه بعد هذا النصر والغنيمة»(١).

ـ منع السعوديون لقافلة الحجّ الشامي:

في ١٢٢٠هـ/١٨٠٦م شدَّد الإمام سعود الحصار على الشريف غالب بمكة، ومنع ما يأتيه من اليمن والمدينة النبوية والشام، وسدَّ عليه طرق الحجاز وتهامة ونجد(٢).

ومن بعد إحكام قبضة الحصار على مكة بعث الإمام سعود

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٣/١ ـ ٢٨٤) بتصرف واختصار.

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733.

أمراءه الثلاثة الكبار، وهم: عبدالوهاب بن عامر المتحمي ومَنْ معه مِنْ رجال ألمع وعسير وتهامة، وسالم بن شكبان ومَنْ معه مِنْ أهل بيشة ونواحيها، وعثمان المضايفي ومَنْ معه مِنْ بادية الطائف والحجاز، **وأَمَرَهُم بالمسير إلى الشريف غالب الذي عاهدَهُ وأمَّنَه ثمَّ غَدَر الشريف ونكث العهد**، فساروا إليه وضيَّقوا عليه أكثر من ذي قبل[١]، ثمَّ أمرهم سعود أن ينتظروا قافلة الحاج الشامي وأن يمنعوه من دخول مكة إن كان محارباً[٢]، خصوصاً وأنَّ الدولة العثمانية قد أرسلت أربعة قادة عسكريين من قِبَلِها ليرافقوا أمير المحمل الشامي القويّ، وجهَّزتهم لحرب السعوديين، وهو الأمر الذي شهد به وأرَّخ له بالتفصيل الأمير حيدر الشهابي الذي كان شاهد عيان على تلك الأحداث[٣].

لا بدَّ أَنَّ أخبار تلك التجهيزات العسكرية التركية لقافلة الحاج الشامي قد بلغت الإمام سعود، فمن الطبيعي - بل ومن العقل والحكمة - أن يمنع الإمام سعود قافلة الحج الشامي المدجَّجة

---

(١) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٧٥).

(٢) انظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١١٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨٥). D. G. Hogarth, Arabia, p.103.

(٣) انظر: الأمير حيدر الشهابي «الغرر الحسان» (٢/٤٣٤). أما ما ذكره الشهابي وتابعه الكثيرون بنقلهم منه عن حوادث تقول بأنَّ السعوديين (الوهابيين كما يلقبهم الأعداء آنذاك) قد أخذوا أموالاً من الحاج الشامي بشكلٍ مبالغ فيه، وأنه حدثت مقتلة وغير ذلك، فلا دليل تاريخي عليه ألْبَتَّه، وانظر إن شئتَ: تعليقات الشيخ أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري على كتاب «التذكرة في أصل الوهابيين» (٨٣) لجان ريمون، فقد نقضها الظاهري بأدلَّةٍ منطقية.

بالسلاح والعساكر، وإن كانت تريد الحجَّ فلترجع عساكرها إلى الشام أولاً وهكذا كان.

الدخول السعوديّ لمكَّة المشرَّفة (الدخول الثاني).

لمَّا اشتدَّ الأمر على غالب الشريف وبلغ منه الجهد طلب الصلح من عبدالوهاب المتحمي على أن يبايع الشريف غالب الإمام سعود على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، فصالحوه وأمهلوه **ومشت السوابل والقوافل إلى مكة[١]، فدخلها عبدالوهاب بن عامر المتحمي، ودخل معه الأمير عثمان المضايفي والأمير سالم بن شكبان ومن معهم، وحجّوا واعتمروا وعليهم هيبة عظيمة جداً، والناس في مكة ينظرون إليهم بجلالة ومهابة،** ثمَّ اجتمع عبدالوهاب المتحمي بالشريف غالب وفاوضه الحديث وتهادوا، وأعرض السعوديون عن محمل الحاج الشامي وغضّوا طرفهم عنه (سياسةً وبُعد نظرٍ منهم) بعد أن كانوا منعوه قبل ذلك، فدخل محمل الحاج الشامي وأدَّى حجَّه، وكان رئيس الحاج الشامي هو عبدالله باشا العظم[٢].

ثمَّ أرسل غالب إلى سعود طالباً إتمام الصلح والمبايعة فأجابه إلى ذلك، «وكان حامل كتاب الصلح من الإمام سعود هو **الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر** الذي تحرَّك بذاك الكتاب من الدرعية حتى وصل إلى جُدَّة حيث الشريف غالب، وكان مع ابن معمَّر عشرون

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٥/١). ومطلق بن صالح «مخطوطة: شذا الند في تاريخ نجد» (الورقة: ٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٦/١).

رجلاً، فأعطى ابن معمَّر كتاب الصلح للشريف غالب، ثمَّ صعد ابن معمَّر المنبر في مسجد عكاشة[١]، وخطب بالمسجد المذكور خطبة بليغة تدور حول إخلاص العبادة، ثمَّ حذَّرَ من ترك الصلوات وأمر بأدائها في المساجد، ونهى عن شرب الدخان وعدم بيعه وتعاطيه بحالٍ من الأحوال، كما أمر بهدم القباب التي على القبور، وأمر بالحضور إلى المساجد لسماع رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فامتثل الناس هذا كلّه، فصار الناس لا يرون الدخان لا استعمالاً ولا بيعاً، وصارت المساجد تزدحم بالمصلين، وهُدِمَت القباب التي على القبور، وصار الناس يحضرون لسماع الدروس».

هذه رواية عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام، رواها[٢] بسنده عن وجيه الحجاز محمد حسين نصيف، وهي عينها رواية أحمد زيني دحلان[٣]، لكنَّ دحلان صاحب فجور وافْتِرَاءات، ورجلٌ يرمي السعوديين بالتهم الباطلة، فجاءت رواية ابن بسام عن نصيف رواية خالية من الألفاظ النابية.

على أنَّ البسام الآخر، وهو المؤرّخ عبدالله بن محمد البسَّام

---

(١) مسجد عكاش: أو «عكاشة» لا فرق. وسمَّاه عبدالله البسام في «تحفة المشتاق» (ص٢٥٧) باسم «مسجد عكَّاس» والصواب أنه «مسجد عكاش». وهو الكائن بمدينة (جُدَّة) في (شارع الذهب) قريب من حيّ (الخاصكية)، (والخاصكية تعني باللغة التركية: عِلْيَة القوم). انظر: تقرير بعنوان «مسجد عكاش شاهدٌ على تاريخ جُدَّة» عن صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) بتاريخ: ٢١ ذو القعدة ١٤٣٤هـ/ ٢٦ سبتمبر ٢٠١٣م. وحول مصطلح (الخاصكية) انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٦).

(٢) في كتابه «علماء نجد» (٢/١٢٦ ـ ١٢٧).

(٣) رواها في كتابه «خلاصة الكلام» (٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)[١] قام في كتابه «**تحفة المشتاق**»[٢] بنقل رواية دحلان مع تغيير بسيط في الكلمات وبقاء المعنى الذي أراده دحلان، وهذا من عجائب كتاب «**تحفة المشتاق**» الذي ينقل كثيراً من روايات دحلان التي امتلأت بالتشكيك والهمز واللمز.

وقريبٌ من ذلك يفعل **الدكتور عبدالرحيم عبدالرحمٰن** في مواضع كثيرة من كتابه «**الدولة السعوية الأولى**» الذي ينقل أكاذيب **دحلان** من كتابه «الخلاصة»، وينقل من **الريكي** في كتابه «لمع الشهاب» ومن **عثمان بن سند** في كتابه «مطالع السعود»؛ دون أن يردّ على أكاذيبهم، بل ينقلها ويؤمّن عليها في أحيانٍ كثيرة!، وذلك أمرٌ عجيب لا يتفق والبحث العلمي المجرّد من الأهواء؛ الذي يُثبِتُ لصاحبِهِ: أَنَّ ما أورده (**دحلان وابن سند**) أكاذيب لا تتفق وواقع تلك الحوادث.

ـ المدينة النبوية تدخل في الحكم السعودي:

قبل صلح غالب بقليل كانت المدينة النبوية قد أعلنت ولاءها للدولة السعودية على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، فهُدِّمَت القباب التي كانت بالمدينة هناك على القبور والمشاهد[٣].

---

(١) عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز بن حمد البسَّام. من أهل (عنيزة). تاجرٌ مؤرِّخ، تنقَّل بين (نجد) و(جُدَّة) و(الهند) وغيرها. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام «علماء نجد» (٤/٤٢٦ ـ ٤٣٠).

(٢) في (ص: ٢٥٧ ـ ٢٥٨) منه.

(٣) Records Of The Hajj (The Hajj and the Wahhabi movement) vol;2. P;733. وانظر: مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (١٠١). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٨٨).

وهو الأمر الذي شهد به الجبرتي فقال: «وردت الأخبار بأنَّ الوهابيين استولوا على المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم، **ودخلها الوهابيون ولم يُحدِثوا بها حدثاً غير منع المنكرات وشرب التنباك في الأسواق وهدم القباب ما عدا قبة الرسول ﷺ**»[١].

وهو ما أَكَّدَهُ جون ب. كيلي حين قال: «استسلمت المدينة للسعوديين في شهر أبريل، وتمَّ تعيين حاكم وهابيّ، كما بُدِئَ في تطبيق تعاليم الوهابية بمنتهى الصرامة، غير أنَّ الوهابيين لم يمسّوا ضريح الرسول [ﷺ] بسوء»[٢].

وشهد الضابط الفرنسي جان ريمون المعاصر لتلك الحوادث في تقريره الذي بعثه من بغداد إلى حكومته الفرنسية، حيث قال فيه: «لمَّا دخل الوهابيون مكة المكرمة والمدينة المنورة عاملوا السكان معاملة حسنة، ويبدو أنَّ أهل المدينة المنورة يكِنُّونَ لهم إعجاباً حقيقياً»[٣].

وقد حاولت الحكومة العثمانية أن تشوِّه سمعة السعوديين وقالت إنَّ سعوداً منع الناس من زيارة المدينة[٤]، وهذا كذب وافتراء من الأتراك، فإنَّ أحد السياسيين المعاصرين لتلك الحوادث وهو السير هارفرد جونز بريدجز كان يرسل لحكومته البريطانية ما ينفي كذب الحكومة العثمانية على السعوديين، حيث قال بريدجز: «**لقد أكَّد الباب**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥٤٩/٣).

(٢) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١٦٧/١).

(٣) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٦ ـ ٣٧).

(٤) دار الوثائق القومية، القاهرة، دفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م (٣٨/١).

العالي أنَّ سعوداً منع الناس من زيارة المدينة، ولكنَّ ذلك غير صحيح، حيث إنَّ الذي منعه سعود هو فقط الصلوات والهتاف الموجَّه إلى القبر لأنَّ ذلك من أعمال الوثنية»[١].

كما نقض تلك الأكذوبة المستشرق بوركهارت وهو شاهد عيان، حيث قال: «ومن الخطأ التأكيد ـ كما فعل الأتراك ـ على أنَّ الوهابيين حرَّموا الحجَّ إلى المدينة»[٢].

ـ أسباب منع الإمام سعود لمحامل الحاجّ الشامي والمصري:

حجَّ الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بالسعوديين حجَّته الثالثة سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٧م، وكان قد اعتمد خطَّة في صدِّ محامل الحجّ التي تحمل كسوة الكعبة من قِبَل الشام ومصر والتي يصاحبها أمير الحج الشامي وأمير الحج المصري التابعان للعثمانيين[٣]، وكانت تلك المحامل ـ بطبيعة الحال ـ مدجَّجة بالعساكر والسلاح[٤]، وهذا الأمر فيه خطورة كبيرة فيما لو استعان بها غالب الشريف ضدَّ السعوديين.

---

(١) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠٩).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٥). وعلَّقَ عبدالله العثيمين على كلام بوركهارت في هامش الصفحة ذاتها قائلاً: الذهاب إلى (المدينة النبوية) لزيارة مسجد الرسول ﷺ لا يُسمَّى حجّاً، ولعلَّ كون الحجاج، خاصةً الأتراك، يزورون المدينة في رحلتهم لأداء الحجّ قد جعل بوركهارت يظنّ الزيارة حجّاً.

(٣) Records Of The Hajj (The Hajj and the Wahhabi movement) vol;2. P,733. P,741.

(٤) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٨).

فكانت خطة الإمام سعود أنْ سَيَّرَ أمامه قبل خروجه من الدرعية **عبدالوهاب بن عامر المتحمي برجالات عسير وألمع وغيرهم**، وأصحبه **فهاد بن سالم بن شكبان برجالات بيشة ونواحيها**[(١)]، ومعهم **عثمان المضايفي برجالات الطائف** ونواحيه وأهل اليمن وتهامة وأهل الحجاز، ثمَّ سيَّرَ أمامه من أهل نجد **حجيلان بن حمد**[(٢)] **بشوكة أهل القصيم**، وسيَّرَ **محمد بن عبدالمحسن بن علي**[(٣)] **بشوكة أهل جبل شمَّر وشوكة أهل الوشم**، وواعدهم الإمام سعود المدينة النبوية، وانضاف إليهم **مسعود بن مضيَّان**[(٤)] ورجالات من قبيلة حرب[(٥)]، ومعهم **جابر بن جبارة**[(٦)] ورجالاته.

فاجتمعت تلك الجموع السعودية فنزلت قرب المدينة، فراسلهم

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٥).

(٢) حجيلان بن حمد آل عليَّان أمير (بريدة) وقتها. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر في «عنوان المجد» (١٤٨/١ ـ ١٤٩) (١٥٧) (١٦٠) (٢٠١) (٢٠٤) (٢٤٠) (٢٧٨) (٢٩١) (٣٤١) (٢٨٥) (٣٦٣) (٤٣٨). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٥٢٠/٢ ـ ٥٢٧).

(٣) هو محمد بن عبدالمحسن بن فايز بن علي أمير بلد (حائل) و(الجوف) وقتها. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٧٨/١) (٣٦٣).

(٤) مسعود بن بدوي بن مضيَّان: من أمراء قبيلة حرب. انظر عنه: محمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٥٥).

(٥) قبيلة حرب: القبيلة المعروفة المشهورة. تنقسم اليوم إلى فرعين هما: بنو سالم ومسروح. قاله: حمد الجاسر في «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (ص: ١٤٩).

(٦) جابر بن جبارة (الشريف). انظر عنه: سهيل صابان «مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني» (٢٩).

سعود وهو في طريقه لمكة يأمرهم بمنع محامل الحجّ التي تأتي من جهة الشام وإسطنبول ونواحيهما.

فلمَّا أقبل على المدينة محمل الحاج الشامي ومن تبعه وأميرهم عبدالله باشا العظم، أرسل إليه الأمراء السعوديون أن لا يَقْدِم إليهم وأن يرجع إلى أوطانه[١].

وكان هذا التصرف من تلك الجموع السعودية لأنَّ الإمام سعود خشي أن يستعين الشريف غالب بتلك المحامل الشامية فيُحدِث على السعوديين الحوادث بمكة[٢]، خصوصاً وأن للشريف غالب سابقة في استعانته بتلك المحامل في حربه ضد الدولة السعودية[٣].

وقد شهد زيني دحلان بأنَّ «قافلة الحجّ الشامي وصلت في الثامن من ذي القعدة ١٢٢١هـ [١٧ يناير ١٨٠٧م] وكان أميره عبدالله باشا العظم ومعه قوَّة زيادة عن المعتاد، وكان معه نحو ألف وخمسمئة خيَّال»[٤].

وشهد على ذلك أيضاً شاهد عيان حضر تلك الحادثة؛ وهو دومنغو باديا الشهير بعلي باي العباسي الإسباني ;Domingo Badia

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,741.

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩١/١ ـ ٢٩٢).

(٣) راجع ما أوردناه في هذا المبحث لشهادات من عاينوا الحدث وعاصروه على طلب الشريف غالب من أمير المحمل الشامي أن يساعده ضد آل سعود.

(٤) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٧٨).

Ali Bey (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[(١)] بأنَّ أمير الحجّ الشامي عبدالله باشا العظم كان آتياً ومعه قوة عسكرية من الجنود والمدفعية، فأمره السعوديون أن يتركها جانباً لو أراد الحجّ، فرفض وعاد من حيث أتى[(٢)].

وشهد بذلك أيضاً ميخائيل الدمشقي (١٢٥٧هـ ١٨٤١م)[(٣)] وهو شاهد عيان على تلك الحقبة[(٤)].

وقد حصل الأمر نَفْسُهُ مع المحمل المصري في جمادى الآخرة ١٢٢١هـ/أغسطس ١٨٠٦م على اختلافٍ بسيط[(٥)]؛ وهو أنَّ المحمل

---

(١) علي باي العباسي الإسباني: اسمه الحقيقي دومنغو باديا لبليخ Domingo Badia Leblich، جاسوس إسباني، رجَّح البعض بأنه جاسوس لملك إسبانيا كارلوس الرابع Carlos IV وهناك من رجَّح أنَّه جاسوسٌ لنابليون الفرنسي. جاء إلى المغرب في مهمة تجسسية سنة ١٢١٨هـ ١٨٠٣م، ومنها توجَّه إلى طرابلس فقبرص واليونان وفلسطين ثم مصر وصولاً إلى الحجاز وهي المحطة التي تهم بني جلدته. ويرى دي غوري: بأنه رحَّالة يهودي، وأنَّ الإنجليز اعتبروه أفضل صديق لهم. انظر: جيرالد دي غوري «حكام مكة» (٢١٤). والعباس السملالي «الإعلام بمن حلَّ مرَّاكِشْ وأَغْمَات من الأعلام» (٩ ٢٣٨).

(٢) انظر: دومنغو باديا «رحلة إسباني في الجزيرة العربية» (١٦٢).

(٣) ميخائيل الدمشقي: نصراني من الروم الكاثوليك من أهل دمشق، وهو أحد موظفي الحكومة في تلك المدينة، كتب كتابه هذا على هيئة تقارير أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية كتقرير اطِّلاع. انظر: مقدمة التحقيق لأحمد غسان سبانو لكتاب «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٧).

(٤) انظر: ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٣٣).

(٥) Records Of The Hajj (The Hajj and the Wahhabi movement) vol;2. P,733. P,741.

المصري جاء بموسيقاه وطبوله ومزاميره، وفي طريقه استوقف السعوديون أمير المحمل المصري كما يقول الجبرتي: «**قال له الوهابي: ما هذه العويدات التي تأتون بها وتعظمونها بينكم؟. يشير بذلك القول إلى المحمل، فقال له: جرت العادة من قديم الزمان بها يجعلونها علامة وإشارة لاجتماع الحجاج. فقال له الوهابي: لا تأتوا به بعد هذه المرة، وإن أتيتم به مرة أخرى فإنّي أكسره**»[١].

وعندنا شهادة من شاهد عيان، وهو بوركهارت الذي كان موجوداً في مكة ذاك الوقت، حيث قال: «ويبدو أنَّ الوهابيين قد تصرَّفوا على أساسٍ دينيٍّ برفضهم السماح لقوافل الحجاج بالمرور عبر أراضيهم؛ ذلك أنَّهم كانوا يعلمون أنَّ الجنود الذين يرافقون تلك القوافل لن يحاولوا القيام بأيَّة إجراءات عِدائية في بلاد يمكن أن تُقطَعَ فيها إمداداتهم وتعزيزاتهم فوراً، **لكنَّ الحجاج المكوِّنين لتلك القوافل كانوا يتصرَّفون دائماً بطريقةٍ مشينةٍ جداً، فزعماؤهم يرتكبون أسوأ الرذائل علناً، ومراسم الحجّ ذاتها أصبحت ملوّثة بتصرفات الحجاج الرديئة، لدرجةِ أنَّ الوهابيين الذين أصرّوا منذ زمنٍ طويل على إصلاح تلك المساوئ قرَّروا إنهاء مجيء تلك القوافل**»[٢].

وقد أظهر الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بعمله هذا بدون شك أنَّ شؤون الديار المقدَّسة من اختصاصه وحده لا من اختصاص سلطان تركيا العثمانية[٣].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٨/٤).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٩).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٨).

ـ دخول الإمام سعود لمكَّة المشرَّفة (الدخول الثاني):

سار أمراء وقادة الدولة السعودية، الذين ذكرنا تحرُّكهم قبيل قليل، فوافوا الإمام سعود بمكة، فاعتمروا وحجّوا على أحسن حال، **وشاهد الحجاج منظر السعوديين وهم يؤدّون الحجّ تلفّهم الهيبة وتحيطهم المهابة، وأثناء ذلك كلّه كان سعود يبذل في مكة أشياء كثيرة من الأعطيات والصدقات**[١].

يذكر دومِّنغو باديا وهو شاهد عيان عن الجيش السعودي وما صنعه بمكة وقتها، فقال: «يجب التنويه بحسن السير والنظام وانسيابه وتكامله، وهذا سهَّل ضبط هذه الجموع الغفيرة من البشر، **فأكثر من ألفي امرأة اختلطت بهذا الحشد الذي لا حدَّ له، ومع ذلك لم يتسببن في أدنى فوضى، ومع وجود أربعين أو خمسين ألف بندقية إلا أنَّه لم يُسمع أكثر من صوت طلقةٍ واحدة خرجت غير بعيدة مِنِّي، وفي الحال جاء زعيم وهابي موبّخاً الذي أطلقها قائلاً له بقسوة ممزوجة بالحنان: لماذا أطلقتم النار؟ هل جئنا إلى هنا للحرب؟**»[٢].

ثمَّ أخرج سعود من كان في مكة وقصورها من عساكر الأتراك، ثم كسا الكعبة كسوة فاخرة. ومن بعدها توجَّه سعود للمدينة النبوية فدخلها وضبطها أتمّ ضبط، وأجلى عنها **باشا الحرم المدعو عنبر**[٣]،

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٢).

(٢) دومينغو باديا «رحلة أسباني في الجزيرة العربية» (١٧٢).

(٣) هو الخصيُّ عنبر؛ من المخصيِّينَ العاملين في المسجد النبوي. كان موكلاً به حراسة المسجد النبوي وقبر النبي ﷺ، ثمَّ اتُّهِمَ ظُلْماً من قِبَلِ حاكم (المدينة النبوية) حسن قلعي التركيُّ بأنَّه سرق مقتنيات الحجرة الشريفة. انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١٩).

وأجلى قاضيها وكل مَنْ كان فيه ريبة[(١)].

هكذا أصبحت الحجاز كلها جزءاً من الدولة السعودية الأولى، فارتفعت بذلك هيبة الدولة السعودية الأولى في الأقطار الإسلامية، إذ أصبح الحرمان الشريفان في يدها، وهي الدولة السلفية التي تعمل على منع كل ما من شأنه مخالفة تعاليم الإسلام[(٢)].

ثمَّ أَمَّرَ الإمام سعود، فيما بعد، على المدينتين المقدَّستين من يَأْمُر بالمعروف وينهى عن المنكر؛ فلا يُشرب التنباك في أسواقها. وجعل على أسواق مكة والمدينة من يأمرهم بالصلاة إذا دخل الوقت؛ فكان إذا أذَّن المؤذِّن دار النوَّاب في الأسواق وهم يقولون: الصلاة الصلاة[(٣)].

ويأتينا الجبرتي بشهادة على ما قام به السعوديون وعلى رأسهم الإمام سعود في دخولهم الثاني لمكة، فيقول: **«وأمر [سعود] بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة، وترك لبس الحرير والمُقَصَّبَات، وإبطال المكوس والمظالم، وترك ما أُحدِثَ في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمَهَمَّات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل**

---

(١) انظر: دومِّنغو باديا «رحلة إسباني في الجزيرة العربية» (٢٧٤). وعبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٩٩/٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٦٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩٢/١).

(٢) عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٣٦/١ ـ ١٣٧).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٩٦/١).

والمناداة والطواف والنذر والذبح والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال، وباقي الأشياء التي فيها شِرْكَة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية، فهُدِمَت القباب المبنية على القبور والأضرحة.

فعند ذلك أَمِنَت السُّبُل وسُلِكت الطرق بين مكة والمدينة، وبين مكة وجُدَّة والطائف، وانْحَلَّت الأسعار وكَثُرَ وجود المطعومات وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال»[1].

- نقض الفرية التي تقول: إنَّ ابن سعود رجف بالحرم في دخوله الثاني لمكَّة:

لمَّا ظهر من يكذب ويفتري على السعوديين[2] بأنَّهم رجفوا أهل الحرم حين دخولهم إلى بيت الله الحرام في تلك السنوات، فجاءت شهادة الحجَّاج المغاربة للمؤرِّخ الجبرتي لتردَّ تلك الفرية، حيث قال الجبرتي: في سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م «**وصل حجاج المغاربة إلى مصر عن طريق البرّ، وأَخْبَروا أنَّهم حجّوا وقضوا مناسكهم، وأن مسعود الوهَّابي[3] وصل مكَّة بجيش كثيف وحجَّ مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار، وأنَّه هدم القباب؛ كقبَّة آدم وقباب ينبع**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٨ ـ ٩).

(٢) أعني العراقي عبداللطيف بن عبدالمحسن الصحَّاف، كان معاصراً للدولة السعودية الثانية وسوّد ورقات يكذب فيها على الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٣) يقصد: سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

والمدينة وأبطل شرب التنباك والنارجيلة من الأسواق وبين الصفا والمروة وكذلك البدع»[(١)].

وهي ذات الفرية التي نقضها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ نقضاً مبيناً حين قال: «فلا يخفى أنَّ الذي جرى في الحرمين من أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب هو هدم القباب التي أُسِّسَت على معصية الله ورسوله وصارت من أعظم وسائل الشرك وذرائعه، وكسَّروا آلات التنباك وسائر المنكرات، وألزموا الناس المحافظة على الصلوات في الجماعات، ونهوا عن لبس الحرير، وألزموهم بتعلم أصول الدين والالتفات إلى ما في الكتاب والسنَّة من أدلة التوحيد وبراهينه»[(٢)].

ويخبرنا الجبرتي بأنَّ الإمام سعود كان صارماً في محاربته للبدع والخرافات التي تقع في الحجاز بمقدم المحمل الشامي الذي ترسله الحكومة العثمانية إلى مكة، فيقول الجبرتي: بأنَّه في آخر محرم ١٢٢٢هـ/أبريل ١٨٠٩م «وَرَدَ الخبر بأنَّ ركب الحاج الشامي رجع من منزلة هدية[(٣)] ولم يَحُجّ في هذا العام، وذلك أنَّه لمَّا وصل إلى المنزلة المذكورة أرسل الوهابي [الإمام سعود] إلى عبدالله باشا [العظم] يقول له: لا تأتِ إلَّا على الشرط الذي شرطناه عليك في

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨٤/٤).

(٢) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «الاتحاف في الردِّ على الصحَّاف» ضمن «الدرر السنية» (٢٧٩/١٢).

(٣) هدية: كانت محطة للجمال ثمَّ صارت محطة لسكة الحديد في (وادي الطَّبق). تقع المحطة على ١٦٩ كلم شمال (المدينة النبوية) بينها وبين (العلا). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٨٢٨ ـ ١٨٢٩).

العام الماضي [١٢٢١هـ/١٨٠٨م]؛ وهو أن يأتي بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة وكل ما كان مخالفاً للشرع، **فلمَّا سمعوا ذلك رجعوا من غير حجّ، ولم يتركوا مناكيرهم**»[١].

ولا تعجب إنْ رأيتَ المؤرِّخ العراقي ياسين خير الله العمري[٢] ـ وهو موالي للترك العثمانيين ـ يرى في منع السعوديين للطبول والمزامير بموسم الحجّ على أنها من خرافات آل سعود، إذ يقول هذا المؤرِّخ العراقي في تاريخه: أنَّ «الوهابيّ تعاقد مع الحاج عبدالله باشا [العظم] على ألّا يُشرب التّتن[٣] ولا النرجيلة وأن لا يكون معهم محمل ولا طبول ولا زُرنا[٤]، وأمثال ذلك من خرافتهم»[٥]. **هكذا يرى هذا المؤرِّخ العراقي ذلك المنع المحافظ على قدسية الحجّ بأنَّه خرافة!.**

ولكننا لا نعدم أهل الإنصاف الذين يتحرّون الحقائق، فهذا **المؤرِّخ المصري الجبرتي** يدلي بشهادةٍ يردّ بها على من افترى على السعوديين بأنَّهم منعوا الحجَّاج أن يصلوا إلى البلد الحرام، فقال الجبرتي سنة ١٢٢٣هـ/١٨١٠م بالنصِّ: «ومنها انقطاع الحجّ المصريّ

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٨٣).

(٢) مرَّت ترجمته في الفصل الثالث في مبحث تفشِّي الشرك في العراق.

(٣) التِّتِنْ: بالتركية «تُوتُون» وتعني: التبغ والدخان. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١٧٨).

(٤) زُرْنا: كلمة تركية الأصل، تكتب «زُورْنا»، وتعني: مزمار. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٢٨٣).

(٥) ياسين خير الله العُمري «غرائب الأثر» (١٠٧).

والشاميّ، مُعتَلِّين بمنع الوهابي الناس عن الحج، **والحال ليس كذلك، فإنَّه لم يمنع أحداً من الحج على الطريقة المشروعة، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل: المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفةٌ من حجاج المغاربة، وحجّوا ورجعوا في هذا العام وقبله ولم يتعرَّض لهم أحدٌ بشيء**»[١].

وشهد شاهد عيان وهو **المستشرق بوركهارت** قائلاً: «عرفتُ في حلب سنة [١٢٢٣هـ] ١٨١٠م رجلاً من أهل تلك البلدة، فأخبرني أنَّه أدَّى الحجَّ سنوياً خلال السنوات الستّ السابقة عن طريق القاهرة والقصير[٢] بدون أيَّة مضايقات»[٣].

ويأتينا **المؤرخ المغربي أحمد بن خالد الناصري السلَّاوي** (ت: ١٣١٥هـ/١٨٩٧م) بشهادة من شاهد عيان؛ وهو صاحب الجيش الذي رافق المولى إبراهيم[٤] في رحلته إلى الحجِّ سنة ١٢٢٦هـ/١٨١١م،

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤١/٧).

(٢) القُصَير: ميناءٌ مصريٌّ على البحر الأحمر. وهو اليوم في (قسم البحر الأحمر) بمصلحة الحدود المصرية. انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (٢٧١/٤).

(٣) وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,755. وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٩).

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم ابن السلطان سليمان سلطان المغرب الأقصى. انظر عنه: أحمد السلَّاوي «الاستقصا» (١٢٠/٨).

ووصف حال السعوديين وكيف كانوا يحكمون مكة وما هي حقيقة الإشاعات التي يثيرها أعداء دعوتهم السلفية، فقال: «**حدَّثنا جماعٌ وافرةٌ مِمَّنْ حجَّ مع المولى إبراهيم في تلك السنة [١٢٢٦هـ/١٨١١م] أنَّهم ما رأوا من ذلك السلطان** [يعني ابن سعود] **ما يخالف ما عرفوه من ظاهر الشريعة، وإنما شاهدوا مِنْهُ ومِنْ أتباعه غاية الاستقامة والقيام بشعائر الإسلام؛ مِنْ صلاةٍ وطهارةٍ وصيامٍ ونهيٍ عن المنكر الحرام، وتنقية الحرمين الشريفين من القاذورات والآثام التي كانت تُفعل بهما جهاراً من غير نكير، وذكروا أنَّ حاله** [يعني الإمام سعود] **كحال آحاد الناس لا يتميَّز عن غيره بزيّ ولا مركوب ولا لباس**»[(١)].

وقد كلَّف سلطان المغرب شاعره الشيخ الأديب أبا الفيض حمدون بن الحاج[(٢)] أن يكتب قصيدة ويسلّمها للإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢٢٦هـ ١٨١١م، وهي تدلّ على ما تمتَّع به الحرمان الشريفان تحت ظلّ حكم الدولة السعودية الأولى وتنسف الأكاذيب التي يشيعها أعداء آل سعود بأنَّهم منعوا الناس من الحج... يقول شاعر السلطان:

لا شيء يمنع مِنْ حجٍّ ومعتَمَرٍ ... وَزَوْرَةٍ تُكمِل المأمول مِن حَرَم
إذ عاد درب الحجاز اليوم سالكه ... أهْنَا وآمَنُ مِنْ حَمامة الحَرَم
مُذ لاحَ سعودٌ ماحياً بِدَعاً ... قد أحدثتها ملوك العُرْبِ والعَجَمِ
إعلم (سعودُ) وُقيتَ الرَّدى بقيتَ بَذْر ... لبوسا أيّ ردا من السَّنا العممِ
إنْ قمتَ فينا بأمرٍ لم يقم أحد ... به فَجُوزيتَ ما يُجزاه ذو نِعَمِ

---

(١) أحمد الناصري السلاوي «الاستقصا» (٨ ١٢١).

(٢) مرَّت ترجمته في الفصل الثاني.

حتى جرى الماء في عود الحجاز لا طلعت سعد سعود غير ملتثمِ[١].

من هنا نعلم صدق الإمام سعود يوم وَصَفَ ما قام به في الحرم حين قال: «وهدَّمنا الأوثان وأثبتنا فيها عبادة الرحمٰن، وأقمنا الفرائض، ونفينا عنها كلَّ قبيح مما حرَّمَ الله ورسوله، ولم نكن ولله الحمد نسفك فيها دماً ولا نأخذ مالاً حراماً ولا ننفّر صيداً ولا نعضد شجراً»[٢].

يؤكِّد ذلك رواية شاهد عيان وهو دومِّنغو باديا أو علي باي العباسي حين قال: «**يجب عليَّ أن أعترف بحقّ أنني وجدت الكثير من العقلانية والاعتدال لدى كل السعوديين الوهابيين**»[٣].

ويزداد التوكيد قوةً بشهادة مؤرّخ لا علاقة له بآل سعود والسعوديين، بل هو من مناوئيهم، ومع ذلك فقد ذكر الحقَّ عنهم، وهو المؤرخ أمين بن حسن الحلواني المدني (ت: ١٣١٦هـ/١٨٩٨م)[٤] الذي قال: «**ومن محاسن الوهابيين: أنَّهم أماتوا**

(١) التليلي العجيلي «صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية» (١٧١).

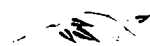
(٢) رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى علي باشا الكيخيا، موجودة ضمن «الدرر السنية» (٩/٢٨٦).

(٣) دومينغو باديا أو علي باي العباسي «رحلة أسباني في الجزيرة العربية» (١٦٩).

(٤) أمين بن حسن الحلواني المدني: رحَّالة له اشتغال بعلم الفلك، كان مدرِّساً في حرم (المدينة النبوية). رحل إلى أوروبا وغيرها، ثم زار بعض البلدان العربية ووصل إلى (طرابلس الغرب) وكان أبيض اللون ضعيف البصر يلبس نظَّارة طبية، فظنَّه بعض الأعراب أجنبياً مُتَجَسِّساً فقتلوه. انظر: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢/١٥ ـ ١٦).

البدع ومَحْوها، ومن محاسنهم: أنَّهم أمَّنوا البلاد التي ملكوها، وصار كُلّ ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقِفار يسلكها الرجل وحده على حمارٍ بلا خَفْرٍ، خصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضِهِم على بعضٍ، وصار جميع الأعراب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوانٌ أولاد رجلٍ واحد، وهذا بسبب قسوتهم في تأديب القاتل والسارق والناهب، إلى أنْ عُدِمَ هذا الشَّرُّ في زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحُّش إلى الإنسانية»[1].

على هذا الحال كانت مكة؛ يوم تفيَّأت ظلال حكم الدولة السعودية الأولى، بشهادة من وقف على تلك الحوادث عياناً، وبشهادات من أرَّخ لتلك الحقبة نقلاً عمَّن عاصر هاتيك الوقائع، **فتأمَّل التاريخ وتريَّث في قراءتِهِ لتتضَّح لك الأمور على جليةٍ من حالها.**



(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السُّعُود بطيب أخبار الوالي داوود» (١٤٧ - ١٤٨).

الفصل السابع:

الدولة السعودية الأولى وإقليم الهلال الخصيب.

أولاً: الدولة السعودية الأولى والباشوية العثمانية في العراق.

* رسالة الإمام عبدالعزيز إلى الوالي العثماني في العراق:

دأبت الدولة السعودية الأولى على إرسال مجموعة من الرسائل، وأحياناً إرسال بعض أهل العلم إلى البلدان والأقاليم المجاورة لإعلام الناس بمبادئ دعوتها السلفية عن طريق الوسائل السلمية، وهذا حصل في نجد والأحساء ومحيطها وجنوب الجزيرة العربية والحجاز، من هنا كان طبيعياً أن يرسل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسالة تحوي النصيحة إلى أهل العراق وولاتها هناك مِنْ قِبَلِ الدولة العثمانية، وخاطبهم أوّل ما خاطبهم بالتي هي أحسن، وبيَّنَ لهم حقيقة الدعوة السلفية الإصلاحية التي تعتنقها الدولة السعودية وتناصرها وتدعو إليها.

١٢١٧هـ/١٨٠٢م)[١] والي بغداد من قِبَل الدولة العثمانية[٢]، فمن تلك الدوافع ما كان معلوماً من حال العراق آنذاك من مظاهر انحراف العقيدة وفسادها في كثير من مدنه وقراه وبلداته وقبائله وعشائره، حيث تكثر مزارات الشرك ومواطن البدع ومحلّات الخرافة وأماكن الفسق هناك[٣]، لذا سارع الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بإرسال رسالة إلى سليمان باشا الكبير مصحوبة بعددٍ من رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونسخة من كتابه «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد»[٤].

يقول المؤرِّخ العراقي عبَّاس العزَّاوي (ت: ١٣٩١هـ/١٩٧١م):

---

(١) سليمان باشا الكبير: تولَّى ولاية بغداد عام ١١٩٣ ـ ١٢١٧هـ/ ١٧٧٩ ـ ١٨٠٢م. اشتهر بلقب سليمان باشا الكبير. انظر أخباره عند: عثمان بن سند «مطالع السعود» (١٨٤ ـ ٣٣٦). وعبَّاس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٨١/٦ ـ ٨٥) (١٤٤ ـ ١٤٩).

(٢) تقلَّب على حكم ولاية بغداد إبَان حكم الترك العثمانيين عدد من الولاة، أكثرهم من العبيد خرِّيجي مدرسة البلاط العثماني، وكان من بينهم التركي والألباني والسلافي والشركسي والمجري والإيطالي والبولوني وغيرهم، وكان يندر فيهم من يكون والياً صالحاً، بل غالباً ما تراهم من ذوي الانحطاط، وكثيراً ما ترى في ولاة العراق العثمانيين الأُمِّيّ الجاهل والعاجز الفاشل والأَفَّاق المغامر والسِكِّير المُعربد والعَصَبيّ المُتَهَوِّر. انظر: عبدالكريم غرايبة «مقدمة تاريخ العرب الحديث» (٩٢). وجعفر الخياط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة» (١٧).

(٣) راجع ما أوردناه عن حال العراق العقدي في الفصل الثالث.

(٤) انظر: سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٨). وعبَّاس العزَّاوي «ذكرى أبي الثناء الآلوسي» (٣٧).

«كان بدء دخول هذا المذهب[1] العراق سنة ١١٥٥هـ [١٧٤٢م] في أواسطها. وفي أواخر القرن الثاني عشر [الهجري/الثامن عشر الميلادي] وَرَدَت رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب»[2].

وقد بيَّن الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الأسباب التي دعت الإمام عبدالعزيز بن محمد أن يرسل تلك الرسالة إلى أهل العراق وواليه العثماني، وعلَّل العلَّة في إصحابها برسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكتابه «كتاب التوحيد»؛ فقال: «**إنَّما أُرسل الكتاب لأمرين؛ الأول: ليحصل العلم عند الخاص والعام أنَّا لم نقاتل الناس إلا على إقامة دين المصطفى محمد ﷺ، من العلم بمعنى هذه الكلمة الطيبة والعمل بها وعمل سائر المعروف التابع لها من صلاةٍ وزكاةٍ، والتعلُّم بما أوجب الله على عباده وما طلبه منهم وخلقهم له وبما نهاهم عنه وحذَّرهم منه، فإنَّ الرجل من أهل هذا الزمان يشبُّ ويشيب وهو لا يعرف المعروف بأنواعه، بل حتى التوحيد وضدّه، وفروض وضوئه وصلاته وما يبطلها لا يعلمه، وإزالة سائر ما هو تابع لها من زنا وشرب خمر ولواط[3] وسائر المحرمات، ومع ذلك نحن لا نُكَفِّر بالمعاصي كما توهَّمه مطيعو العدو، وإنما**

---

(١) يقصد: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وعجباً لِمَا ذَهَبَ إليه عبَّاس العزَّاوي؛ فمَذهَب الشيخ وأهل الدعوة هو مذهب الحنابلة فروعاً وأصولاً، كما أنَّ العراق مَهد المذهب الحنبلي!.

(٢) عبَّاس العزَّاوي «ذكرى أبي الثناء الألوسي» (٣٧).

(٣) اشتهر عن عمر باشا أحد الولاة العثمانيين في العراق بأنَّه اتخذ له مخنَّثاً إيرانياً هيمن عليه، فألقى له الوالي برسَنِهِ. انظر: تعليق محبّ الدين الخطيب على كتاب «مختصر مطالع السعود» (ص٦٨) من تأليف أمين الحلواني.

نُكفِّر المشركين الذين كفَّرهم الله في كتابه المبين، أو الراضين أعمالهم، المظاهرين لهم علينا والمكفّرين بأمرنا ونهينا.

الثاني: النصيحة لهذا الوزير(١) الذي هو عندنا في محلٍّ، حرصاً عليه وشفقة منَّا إليه؛ لودّنا له ما وَدَدْنا لأنفسنا من أنواع الخير، فيتأمَّل ويعمل رجاء أنَّ الله يهدي به خلقاً كثيراً»(٢).

* ردّ والي بغداد العثماني على رسالة الإمام عبدالعزيز:

لمَّا وصل كتاب الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود مصحوباً برسائل الشيخ محمد ومنها كتاب «التوحيد»، أمر سليمان باشا الكبير بإسناد الكتاب إلى **عبدالله أفندي الراوي** (ت: ١٢١٥هـ/١٨٠٠م)(٣) خطيب مسجده، ولم يُودع الباشا كتاب ابن سعود إلى علماء العصر في العراق لإبداء الرأي فيها، بل أودعه لعبدالله أفندي الراوي(٤) **الذي كان معارضاً لدعوة أهل نجد السلفية ومناصراً للدولة العثمانية في**

---

(١) يلقَّب والي بغداد العثماني بلقب الوزير؛ لأنَّه أهمّ ولاة العراق قاطبةً. انظر: عبدالكريم غرايبة «مقدمة تاريخ العرب الحديث» (٥٤) (٩١).

(٢) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٩ ـ ٣٠) باختصار.

(٣) عبدالله أفندي الراوي ابن الحاج محمد أفندي الراوي: وُلِدَ سنة ١١٥٠هـ/١٧٣٧م، وهو من أسرة الراوي التي خرج منها جملة من علماء العراق ذاك الوقت. وللمُتَرجَم الراوي شرحٌ على صحيح البخاري، وكان معيَّناً للتدريس في حضرة الإمام أبو حنيفة في جامعه، وهي وظيفة لها مكانتها عند اهل العراق آنذاك. انظر: السيّد محمد سعيد الراوي «تاريخ الأسر العلمية في بغداد» (٥٨ ـ ٦٠) وقد انفرد المؤلّف بترجمة الراوي ولم يسبقه إلى ترجمته أحد.

(٤) انظر: عبَّاس العزَّاوي «تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق» (٤٢٦).

رأيها[١]، فكتب الراوي جواباً على رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب المضمَّنة بكتاب ابن سعود، **ومنذ ذاك الوقت ابتدأت المشادَّة بين الدولة العثمانية وبين ابن سعود المناصر لدعوة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب**[٢].

هذا وقد جاء الرد من الشيخ الراوي على دعوة الدرعية بما نصّه: «صدر منه[٣] الأمر الواجب القبول والاتباع، وأشار إليَّ وإشارته حكم وطاعته غُنْم، فامتثالاً لأمره نظرنا فيه[٤]، فبعد أن طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتاباً جامعاً لشتاتٍ من المسائل مشتملاً على عدة رسائل، لكنه قد يجمع غثّاً وسميناً وقويّاً ووهيناً[٥]، وجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن فيها نظراً[٦]، ولا قرأ على أحد من يهديه إلى النهج القويم ويدلّه ويوقفه على العلوم النافعة[٧] التي هي الصراط

---

(١) انظر: المرجع السابق (٤٠٨).

(٢) انظر: المرجع نفسه (٤٢٦).

(٣) يقصد: من سليمان باشا الكبير والي بغداد.

(٤) يقصد: نظرنا في «كتاب التوحيد الذي هو حقّ الله على العبيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب.

(٥) بقي كتاب «التوحيد» للشيخ محمد بن عبدالوهاب يتداوله الناس ويثنون عليه ويستفيدون منه، في حين ذهبت سفسطات عبدالله أفندي الراوي أدراج الرياح لا ذِكْرَ لها في التاريخ، فالحمد لله الذي أظهر الحقَّ وأمات الباطل.

(٦) راجع ما أوردناه في هذا الكتاب في الفصول السابقات من أقوال العلماء الراسخين في العلم: كالصنعاني والشوكاني وغيرهم مِمَّن أثنى على علم الشيخ وعميق فهمه وعلوّ كعبه في التأليف.

(٧) راجع في الفصل الرابع عن العلماء والأشياخ الذين طلب الشيخ العلم عليهم، مِمَّا ينسف أكاذيب وافتراءات عبدالله أفندي الراوي.

المستقيم»[١].

وقد ردَّ الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب على الراوي ونقض كلامه من ألفِهِ إلى يائِهِ في كتابه «توضيح الخلَّاق».

* جذور المواجهات بين الدولة السعودية الأولى والباشوية العثمانية في العراق:

بالرغم من ذلك الرفض الذي أظهرته العراق وواليها العثماني فإنَّ الدولة السعودية الأولى لم تتعرَّض للعراق ولم تعتدِ عليه أو تقترب من حدوده، ولم تناوش قبائله وعشائره ولا تحرَّشت بقوافله ومحامله.

وتلك حقيقة تاريخية شهد بها بوركهارت حين قال: **«إنَّ الوهابيين لم يعلنوا الحرب على الحكومتين القريبتين منهم؛ حكومة بغداد في الشمال وحكومة الحجاز في الجنوب، ولم يعتدوا على حقوقهما، فقد عبرت قوافل الحجاج من دمشق وبغداد أراضيهم دون أن يمسُّوها بسوء»**[٢]، وهو ذات الأمر الذي شَهِدَ به المؤرِّخ الإنجليزي أندرو كرايتون[٣] والمؤرخ المصري محمود فهمي المهندس[٤] رغم مناوأة المهندس للدعوة والدولة السعودية الأولى.

---

(١) سليمان بن عبدالله آل الشيخ «التوضيح عن توحيد الخلَّاق» (٢٤).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٠).

(٣) في كتابه «تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية» (٣٠).

(٤) في كتابه «البحر الزاخر» (٩٨ ـ ٩٩).

والذي حصل على وجه التحقيق أنَّ الوالي العثماني في العراق والقبائل والعشائر التابعة له في جنوبه هم من ناوشوا السعوديين وتحرَّشوا بهم وبادروهم بالعداوة، فكانت الوقائع الشهيرة بين الدولة السعودية الأولى والباشوية العثمانية في العراق إنَّما هي ردَّة فعل من قبل السعوديين ضدّ تحرشات الباشوية العثمانية في العراق واعتداءاتها على أهل الدولة السعودية بدعمٍ من الحكومة العثمانية في إسطنبول[١].

وهو ما تتناوله الصفحات القادمات بالتبيان والتوثيق ومزيد البحث والتحقيق في وقائع تاريخ تلك الفترة وتمحيص الحق من حوادثها، ولكن في البداية لابدّ من بيان الأسباب التي جرَّأت الوالي العثماني في العراق على التحرّش بالدولة السعودية الأولى.

يقول موظف الحكومة البريطانية في الهند ج. ج. لوريمر: «**بدأ الوهابيون يثيرون الفزع في قلوب حكَّام العراق الأتراك**»[٢].

ونفهم مرمى كلمة لوريمر من خلال ما ذكره المؤرّخ الإنجليزي المستر ستيفن لونكريك[٣] حين قال: بأنَّ العراق أصبح قبل سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م يُحسّ بجارٍ حديثٍ غير مستقر، فقد أخذت الدعوة الوهابية (بحسب وصفه) لذلك الجار الحديث تنتشر بين مراعي

---

(١) انظر: أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (١/ ٥٨).

(٢) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/ ١٥٨٠).

(٣) المستر ستيفن هيمسلي لونكريك: المفتّش الإداري في الحكومة الملكية العراقية. انظر ترجمته في: مقدّمة جعفر الخياط لكتاب «أربعة قرون من تاريخ العراق» لستيفن لونكريك.

الظفير(١) والمنتفق(٢) والشامية(٣)، وأنَّ دعاة الوهابية صاروا ينتشرون بين خيام الضيوف عند العشائر الفراتية، وصارت دعوتهم الوهابية مثل الحُمَّى تنتشر بين عربان العراق الجنوبي، فتوجَّسَ والي العراق سليمان باشا خيفةً من أولئك الدعاة السعوديين.

ويُنَبِّه هذا السياسي الإنجليزي فيقول: «وبالرغم من كلّ ذلك فإنَّ علائق الدعاة السعوديين والعراق العثماني لم تتجاوز حتى ذاك الوقت الدعوة بين العربان دون أي احتكاك مع السلطة أو فرسان القبائل العراقية»(٤).

ويؤكِّد المؤرّخ العراقي عبَّاس العزَّاوي من خلال مخطوطةٍ عنده يحيل عليها: بأنَّ دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية انتشرت

---

(١) الظفير: قال ابن فضل الله العُمَريّ في «مسالك الأبصار» (ص١٥٣): «وظفير من بني لأم ومنازلهم الظُّعُنُ قبالة المدينة النبوية». وقال حمد بن لعبون في «تاريخ ابن لعبون/ الأنساب» (ص: ٤٠): أنَّهم من بني لام.

(٢) المنتفق: المقصود هنا الموضع المعروف بالعراق باسم (المنتفك) وليس القبيلة. وموضع (المنتفق/ المنتفك) يتبع ضفَّتي (الفرات) والجزء الغربي الصحراوي الملاصق من (دراجي) بين مدن (السماوة) و(الناصرية) حتى التقاء (الفرات) مع (دجلة). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٦١٣/٤).

(٣) الشامية: قسمٌ من سنجق (الديوانية) في ولاية (بغداد) في الباشوية العثمانية في العراق بين (نهر الفرات) في الشرق و(بحر النجف) أو المجرى الأدنى لشطّ (الهندية) في الغرب. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٢٣٣/٦).

(٤) المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٦) بتصرّفٍ يسير.

بين أفراد قبيلة عراقية يقال لها قبيلة العبيد[١] **وأنَّها تميل للسعوديين وتتعاون معهم**، وهو الأمر الذي أغاظ الوالي العثماني في الموصل فأراد التنكيل بتلك القبيلة العراقية لموالاتها السلفيين السعوديين[٢].

وكان **عثمان بن سند** (ت: ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م)[٣]، وهو شاهد عيان وقتها، **قد شهد بأنَّ قبائل العبيد وأبناءَها صاروا يعتنقون دعوة وعقيدة اهل الدولة السعودية، وتمسّكوا بها وأعلنوها في العراق**، حتَّى قال ابن سند وهو يتميَّزُ حَنَقاً: «أظهروه في المحافل واحتجوا لصحته بالكتاب والسنة والإجماع والقياس، وصاروا بذلك أشدّ من أهل العارض»[٤].

ويقرِّر **المؤرِّخ الاجتماعي العراقي علي الوردي** (ت: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)[٥] قائلاً: «وفي المدن [العراقية] بدأت الدعاية الوهابية تنتشر هنا وهناك فتؤثِّر في بعض الأفراد لا سيَّما في رجال الدين السنيِّينَ، وأخذ الجدل يظهر بينهم، فمنهم من وَجَدوا في الدعوة الوهابية تنقية للإسلام من البدع المستحدثة وعودة إلى سُنَّةِ

---

(١) قبيلة العبيد: عشيرة عراقية، من زبيد الأصغر. انظر: عبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (١٥١/٣).

(٢) انظر: عبَّاس العزَّاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٥٨/٦ ـ ١٥٩).

(٣) عثمان بن سند النجدي الوائلي ثمَّ البصري المالكي: الصوفي النقشبندي القبوري. انظر ترجمته عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٤٠٧/١ ـ ٤١٢). ومحمود شكري الآلوسي «المسك الأذفر» (١٤١ ـ ١٤٦).

(٤) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٤٩).

(٥) علي الوردي: عراقي متخصّص بعلم الاجتماع. انظر ترجمته عند: نزار أباظة وزميله «إتمام الأعلام» (٢٩٣).

السلف الصالح فحبَّذوها، ومنهم من وجدوا فيها إنكاراً لفضلِ الأولياء وكراماتهم فشجبوها»[١].

كلُّ تلك الشهادات السابقة والتحقيقات الآنفة ذكرت انتشاراً جرى في العراق لدعوة أهل الدولة السعودية، ولم تذكر تلك الشهادات وهذه التحقيقات من قريبٍ أو بعيدٍ شيئاً عن احتكاكٍ أو صدامٍ حدث في ذاك الوقت تحديداً!.

إذن كيف جرى الاحتكاك وكيف وقع الصدام الذي تطوَّرَ إلى مواجهات عسكرية وحملات حربية؟. ومن هو المسؤول عن وقوع تلك الاحتكاكات والمصادمات وعن تلك المواجهات والحملات؟.

وسيأتيك جواب تلك التساؤلات:

*** حملة ثويني على القصيم:**

الاحتكاك الفعلي بين الدولة السعودية الأولى والسلطات العثمانية في العراق بدأ نتيجة للأعمال العسكرية التي كانت تدور بين السعوديين وزعماء الأحساء في مرحلة التقدّم السعودي صوب الأحساء؛ وفي بلدة العيون[٢] تحديداً[٣]، حيث بدأت الاشتباكات بين الطرفين عن طريق قبيلة المنتفق[٤] التي كانت مضاربها جنوبي العراق.

---

(١) علي الوردي «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (١٩٩/١).

(٢) العيون: واحةٌ صغيرة تعتبر امتداداً لواحةِ الأحساء من الناحية الشمالية. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٢٥٠/٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٥٤/١).

(٤) قبيلة المنتفق: هم بنو المنتفق بن عامر بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن=

وحاصل تلك الحوادث؛ أنَّه في عام ١٢٠٠هـ/١٧٨٦م ثار بعض زعماء بني خالد على سعدون بن عريعر[١] بمساعدة ثويني بن عبدالله (ت: ١٢١٢هـ/١٧٩٧م) رئيس قبيلة المنتفق العراقية، وهُزِمَ سعدون بن عريعر في تلك الوقعة التي سُمِّيَت بوقعة جضعة، فلمَّا لم يَجِد سعدون بن عريعر ملجأً بعد هزيمته، هرب إلى الدرعية[٢]، وحين اقترب منها أرسل إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يطلب الأمان، على أنَّ الإمام عبدالعزيز أبى ذلك؛ لأنَّ هناك هدنة معقودة بينه وبين ثويني، ولكنَّ سعدون بن عريعر عَزَمَ ودخل الدرعية بلا أمان، عندها شاور الإمام عبدالعزيز الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي قال للإمام عبدالعزيز: عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودَّة والله غفور رحيم، فأكرمه الإمام عبدالعزيز غاية الإكرام[٣].

فلمَّا بلغ ثويني ذلك تعاظم الأمر، بالرغم مِن أنَّ الإمام

= عامر بن صعصعة. وهي أقوى قبيلة في الباشوية العثمانية في العراق. ورجال قبيلة المنتفق شيعة، ولكنّ الشيوخ الحاكمين والمسمّين آل سعدون سنَّة. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٦١٣/٤ ـ ١٦١٤). وعبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام في كتابه «علماء نجد» (٥٧٥/٣). وعن نسب قبيلة المنتفق انظر: عبدالرحمٰن بن خلدون «العِبَر» (١٤٤/٤) (١٦٦ ـ ١٦٨). وأبو العباس أحمد القلقشندي «قلائد الجمان» (١٢٠ ـ ١٢١).

(١) انظر أخباره عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٤٥ ـ ١٤٦) (١٤٨ ـ ١٤٩) (١٥١).

(٢) انظر: عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٢٩٨ ـ ٢٩٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٥٦/١ ـ ١٥٧). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٢٠).

عبدالعزيز أرسل لثويني بلطيف الكلام مُبيِّناً له حقيقة الأمر وجلية الموقف فلم ينجح، وبالرغم من أنَّ الإمام عبدالعزيز أبان لثويني أنَّه لن يعين سعدون بن عريعر ولن يَدَعَهُ يَفعل شيئاً ضدَّ حكّام الأحساء أو ضدَّ ثويني نفسه، **ومع ذلك أبى ثويني إلَّا أنْ يجمع الكيد بآل سعود وأتباعهم**[١].

ففي محرم سنة ١٢٠١هـ/١٧٨٦م سار ثويني بن عبدالله بالعساكر والجنود العظيمة من المنتفق وأهل المجرَّة وجميع أهل الزبير وبعض العربان، ومعه العدد والعُدَّة ما يفوق الحصر من البنادق والمدافع، حتَّى أنَّ أحمال زهبة البنادق والمدافع وآلاتها بلغت سبعمئة حمل، فسار بتلك الجحافل والجيوش من أوطانه وقصد القصيم، فوصل التنومة[٢] ونازلها بتلك الجموع وحاصرها أياماً أشدّ الحصار وضربها بالمدافع كلّ يوم فلم ينجع فيهم، ثمَّ أرسل إليهم من يفاوضهم، فخدعهم ودخل بلدهم عنوة، واستأصلت جنوده أهلها قتلاً ونهباً، قيل: إنَّ الذي قُتِلَ منهم مئة وسبعون رجلاً لم يبقَ منهم إلا الشريد[٣].

ثمَّ ارتحل ثويني بتلك العساكر من التنومة وقصد بلد بريدة

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٥٥/٢ ـ ٨٥٧).

(٢) التنومة: من قرى (بريدة) في (القصيم). تقع بين (عين ابن فهيد) و(الطرفية). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٨٧٦/٥). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٦٥٧/٢).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٦٠/٢ ـ ٨٦٢). مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٨٦ ـ ٨٧). وعثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٠٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٥٨/١ ـ ١٥٩).

ونزلها وحصل بينه وبين أهلها بعض القتال، وبينما هو محاصرها بجنوده أتاه الخبر بأنه وقع في وطنه البصرة اختلاف وخلل، فارتحل من بريدة راجعاً دون أن يدرك منها شيئاً[(١)].

وكان رئيس الأحساء وقتها عبدالمحسن بن سرداح (ت: ١٢٠٦هـ/١٧٩١م) قد سار إلى القصيم بجميع عربانه نصرةً لثويني، فأقبل يريد الاجتماع به لمحاربة آل سعود في نجد، وقد اعتقد أهل الأحساء بقيادة زعيمهم أنَّ ثويني بانتظارهم، فلمَّا بلغ ابن سرداح الدهناء علم برجوع ثويني وارتحاله عن القصيم، فما كان من زعيم الأحساء ومن معه إلا الرجوع بعد أن تكبَّدوا المشاق من شدة الحر، فتفرَّقت كلمتهم ولم يتم لهم ما قصدوه[(٢)]، خصوصاً وأنهم يدركون عجزهم عن إثارة الحرب وحدهم ضدَّ آل سعود[(٣)].

ومن الباحثين من يرى أنَّ رجوع ثويني من القصيم ما هو إلا خوفاً من سعود بن عبدالعزيز بن محمد لمَّا علم ثويني بقدومه، فَكَرِهَ ملاقاته في القصيم وتعلَّلَ بالأحداث التي وقعت في موطنه وقفل راجعاً دون أن يحقّق أهدافه[(٤)].

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٩٣). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣١).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٦٢ ـ ٨٦٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٥٨ ـ ١٥٩). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٢٤ ـ ١٢٥). ومحمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (١٣١).

(٣) انظر: مؤلّف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب» (٨٦). وأمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (١/٥٩).

(٤) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية والدولة العثمانية» (١٦٧).

ومن قبلُ ذكر المؤرّخ عثمان بن سند ـ وهو شاهد عيان ـ: أنَّ ثويني بعد أن «كاد يطيعه البادي والحاضر، انصرف من نجد بلا سبب، وأسرع القفول منها إسراع من هرب»[(١)].

وحين وصل ثويني إلى العراق سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٨م وجد أن باشا بغداد قد عزله عن رئاسة المنتفق وعيّن بدلاً منه ابن أخيه حمود بن ثامر، فقامت بين ثويني وبين باشا العراق ومن معه معركة قاسية[(٢)] في أدنى المجرَّة قرب سوق الشيوخ[(٣)]، فاقتتلوا قتالاً عنيفاً، فانهزم ثويني وجنوده هزيمةً شنيعة وقُتِلَ منهم قتلى كثيرة، وجمع سليمان باشا رؤوس القتلى العرب وجعل منها ثلاث منارات، ففرَّ ثويني ومن معه إلى الكويت[(٤)] عند الجهراء الماء المعروف هناك، ثمَّ رحل منها إلى الصمَّان[(٥)] من ديار بني

---

(١) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٠٠).

(٢) انظر: عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٠٢ ـ ١٠٥)

(٣) سوق الشيوخ: مدينة يقع أغلبها في الضفَّة اليمنى لنهر الفرات. انظر: سليمان الدخيل في مَقَالِهِ «سوق الشيوخ» نُشِرَ في «مجلة لغة العرب» ج١، السنة ٢: محرم ١٣٣١هـ/ كانون أول ١٩١٢م (ص٢٤٥ ـ ٢٥١).

(فائدة): قال عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام في كتابه «علماء نجد» (٣/٥٧٦): (سوق الشيوخ) نسبةٌ إلى شيوخ المنتفق آل سعدون، فهو قاعدة إمارتهم، ومؤسِّس هذا السوق الشيخ ثويني بن عبدالله بن محمد، جدّ الأسرة السعدونية.

(٤) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٩٣). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٣١).

(٥) الصمَّان: منطقةٌ واسعةٌ شرقي (الدهناء) مجاورةٌ لها. انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٧/٢٤٠٧ ـ ٢٤٠٨). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٣/١٠٠٣ ـ ١٠٠٦).

خالد[١] ذلك الوقت.

وفي سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م تحرك سعود بن عبدالعزيز بن محمد بجيوشه من حاضرة نجد وباديها وقصد جهة الشمال، فوافق ثويني في ديرة بني خالد من أرض الصمَّان، وذلك بعد أن خرج من البصرة كما ذكرنا، ومعه قطعةٌ من المنتفق وآل شبيب[٢] فنازلهم سعود وأخذ محلتهم وأثاثهم، ثمَّ اتجَّه بجيوشه وقصدّ فئات أخرى من المنتفق، فوجدهم بالموضع المعروف بالروضتين[٣] بين سفوان[٤] والمطلاع[٥]، فناوخهم وغلبهم وغنم منهم[٦].

وكانت هذه هي المرة الأولى التي تحاذي فيها القوات السعودية

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦٠ ـ ١٦١).

(٢) آل شبيب: جماعة ثويني الأدنون، أمراء المنتفق. انظر: عبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (٤/١٥) (٢٩) (١٠٧ ـ ١٠٩).

(٣) الروضتين: تقع شمال الأراضي الكويتية، وهما روضتان: شمالية تبعد ٩٤ كلم وجنوبية ٨٨ كلم عن العاصمة (الكويت). انظر: حمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (٢/٧٠١).

(٤) سفوان: قرية في العراق جنوب بلدة (الزبير). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٦/٢٠٨٣).

(٥) المطلاع: ثغرة في سلسلة مرتفعات (غضي) تتخذ طريقاً للعبور إلى الأراضي الشمالية من الجنوب أو العكس، يبعد (المطلاع) مسافة ٣٩ كلم عن العاصمة (الكويت). انظر: حمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (٣/١٥٣٨).

(٦) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٢/٨٧٨ ـ ٨٧٩). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٦٧ ـ ١٦٨).

الأراضي العراقية، فهاجموا مَن اعترضهم مِن العساكر التركية هناك ودحروها[١].

* موقف الباشوية العثمانية في العراق من انضمام الأحساء للدولة السعودية الأولى:

لمَّا كانت الهجمات على الدولة السعودية قادمة من الأحساء ومتعاونة مع هجمات أهل العراق، فإنَّ سعود سار بجنوده من الحاضر والبادي في ذات السنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٩م ناحية الأحساء ونازل أهل المبرَّز ووقع بينه وبين أهلها رميٌ بالبنادق، ثمَّ رحل من المبرَّز ونازل أهل قرية الفضول شرقي الأحساء فأخذها[٢].

في تلك الأثناء كانت المكائد ضدَّ الدولة السعودية الأولى قائمة على قدمٍ وساق من جهات الحجاز والأحساء؛ ومن ذلك أنَّ **الشريف غالب شريف مكة** أرسل إلى **عبدالمحسن بن سرداح** بخطابٍ يخبره بالمَدَدِ الذي أرسلَه له ضدَّ آل سعود[٣]، ويحرّضه في ذات الوقت على عدم إعطاء ابن سعود الفرصة لالتقاط أنفاسه، ويدعوه إلى تطويقه في نجد[٤].

وعندما جاءت سنة ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م سار سعود بن عبدالعزيز بن

(١) انظر: الرحالة الإنجليزي جاكسون «مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م» (٩٣).

(٢) فصَّلنا ذلك سابقاً في أوَّل الفصل السادس.

(٣) وثَّقنا ذلك سابقاً في أوَّل الفصل السادس.

(٤) انظر: حسن الريكي «لمع الشهاب» (١٦٩).

محمد بجنوده مستلحقاً معه قبيلة الظفير وقبائل العارض ومعه زيد بن عريعر وجلوية بني خالد الذين كانوا عنده في الدرعية، فقَصَدَ الأحساء التي كان رئيسها وقتئذٍ عبدالمحسن بن سرداح وابن أخيه دويحس بن عريعر وهم نازلون عند غريميل[١]، فنازلهم سعود وتقاتل معهم طيلة ثلاثة أيام فانهزموا، فكرَّ عليهم سعود في ساقتهم وغنم منهم، وفرَّ عبدالمحسن بن سردح إلى العراق حيث المنتفق الذين استنجد بهم ضدَّ الدولة السعودية الأولى[٢].

فانزعج الباب العالي في الدولة العثمانية انزعاجاً كبيراً من وصول السعوديين بحملاتهم العسكرية إلى العراق في نقطٍ مختلفة، ولم يَكُنْ في وِسع رجال الدولة العثمانية أن يَتَنَبَّؤُوا بتلك الهجمات حتى يستعدّوا لها، لأنَّ النشاط الذي كان يصحب احتشاد السعوديين والسرعة الخاطفة التي يُغِيرونَ بها على أعدائهم أدهشت الدولة العثمانية، فكان من الطبيعي أن تتجّه أنظار الباب العالي أوّل الأمر إلى والي العراق، لتوكلَ إليه كبح الاقتراب السعودي ناحية حدود الباشوية العثمانية في العراق[٣].

هذا بالرغم من أنَّ الدولة السعودية كانت متخذةً موقف ردّ الفعل ليس أكثر، وكانت تحركاتها ردعاً لمن بَدَأَهَا بالمحاربة، وكانت مطارداتها لمن يقوم بالتحريض على دولتهم السعودية بغية إسقاطها.

---

(١) انظر ما تمَّ بحثه في آخر الفصل الخامس من هذه الدراسة.

(٢) انظر: حسين بن غنام «تاريخ ابن غنَّام» (٨٨٣/٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٠/١).

(٣) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (ص ٣ ـ ٤).

ثمَّ إنَّ الوالي العثماني في العراق كان يعلم أنَّ المعتدين على الدولة السعودية يتجَّمعون على أرضه في العراق وينطلقون منها للتحرّش بالسعوديين، ويشنّون من أراضي العراق الجنوبية الهجمات على السعوديين وقوافلهم. هذا من ناحية.

ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ الوالي العثماني في العراق يعلم أنَّ مشاكل الدولة السعودية في الأحساء أساسها أناسٌ جْلُوِيَّة (جالين من نجد والأحساء إلى جنوب العراق) يحرّضون على محاربة الدولة السعودية، وهؤلاء الجلوية يشاركون في زعزعة حكم ابن سعود في الأحساء. ومع هذا كان والي العراق صامتٌ عنهم لا يمنعهم ولا ينهاهم!.

من هنا ستستبين معك الحوادث اللاحقة بالدعم المادي والعسكري الذي يقدّمه الوالي العثماني في العراق إلى أعداء الدولة السعودية، وسيستبين معك أنَّ الباشوية العثمانية في العراق هي التي بدأت بالعدوان على الدولة السعودية الأولى، وأنها كانت ترسل القوى لقتالها من دون أن تسيء لهم الدولة السعودية أو تعتدي عليهم؛ ومن ذلك أنَّ قبيلة المنتفق (في الباشوية العثمانية في العراق) استمرت في استقبال خصوم الدولة السعودية والفارّين منها، كما حدث بين سنتي ١٢٠٤هـ/١٧٩٠م، وسنة ١٢٠٧هـ/١٧٩٣م، مما جعل قادة الدولة السعودية يفكّرون جديّاً في تقليم أظافر القبيلة المذكورة، وقد شجَّعَهُم على ذلك انضمام الأحساء والمنطقة الشرقية من جزيرة العرب للدولة السعودية الأولى، فقاموا بغارات وصلت إلى حدود البصرة(١).

وزاد من تحمّس الدولة السعودية لتلك الغارات التأديبية ضدّ

---

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٥٥).

الباشوية العثمانية في العراق ما جدَّ من تقدّم شريف مكة سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩١م، والذي كان قدّ قَدَّمَ الدَّعم لأعداء الدولة السعودية في الأحساء كما مرَّ معنا، ثمَّ عزَّز الشريف خطته في إحكام قبضة الكماشة ضدَّ الدولة السعودية بأن سار بجيوشه من مكة ونواحيها ليحارب السعوديين في **قصر بسَّام**، ثمَّ محاربته لهم في **بلدة الشعراء**، وفي كلتا الهجمتين عاد شريف مكة مهزوماً ولم يحقق إحكام الكمّاشة ضد الدولة السعودية.

المقصود؛ أنَّ الدولة السعودية الأولى بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود استطاعت في سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م أنْ تضبط جُلّ الأمور تحت تصرُّفِها في الأحساء، فالتفتت بعد ذاك الضبط إلى العراق وقبيلة المنتفق فيها، والتي كانت تأوي المناوئين للدولة السعودية والفارّين من وجهها وتعاونهم في التحرّش بالدولة السعودية، وتيقَّن الإمام عبدالعزيز بن محمد بأن المنتفق ومعهم قبيلة الخزاعل(١) وبعض العربان والعشائر العراقية وراء كثير من الاضطرابات التي تنشب بين حين وآخر في الأحساء وفي بعض البلدات النجدية(٢).

من هنا رأى الإمام عبدالعزيز بن محمد أنَّه لابدَّ من إرسال حملات تأديبية وتوجيه بعض الضربات الوقائية وربما بعض الهجمات الاستباقية التي تنطلق من الدولة السعودية لردع التحرشات العراقية وتأديب قبيلة المنتفق ومن معها من جلوية نجد والعربان والعشائر

---

(١) **الخزاعل: قبيلة عربية في العراق، وهم شيعة، ومن أقسامها: المعلم وآل بو حسن ولملوم، وهناك فرع صغير منهم يدعى بنو العارض. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٢٨١/٣).**

(٢) **انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢٠٣).**

المناوئة التي تعين على تلك التحرشات، فكانت الضربات السعودية تصل في بعض الأحيان إلى حدود البصرة، ويُكْتَب لها النجاح[١].

* أوامر الحكومة العثمانية على الوالي العثماني في العراق بالتحرّك لحرب الدولة السعودية:

في الوقت الذي كانت فيه الجيوش السعودية تحصد النجاحات في جنوب العراق، كانوا أيضاً في جهة الحجاز يحققون الانتصارات المتتالية هناك، فكانت تلك النجاحات السعودية المتتالية منبّهاً للحكومة العثمانية في إسطنبول لتدرك مدى القوة التي وصلت إليها الدولة السعودية الأولى[٢].

وعليه تحرگّت حكومة إسطنبول لتأمر باشا بغداد بالعمل على محاربة تلك الدولة والقضاء عليها[٣]، **على أنَّ هذا الباشا كان ـ فيما يظهر ـ مدركاً صعوبة الإقدام على محاربة السعوديين الذين يتقنون حروب الصحراء ويتميزون بخفَّة الحركة في المعارك ويحسنون عمليات الانسحاب والمناورة على أرضهم لدرجة أنهم يستطيعون في سهولةٍ أن يُوقِعوا الجيش المهاجم في أزمةٍ قد لا يجد منها فكاكاً إلا بالاستسلام**[٤].

---

(١) انظر: أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (٦١/١). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٥٥).

(٢) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٣٩ ـ ٤٠).

(٣) جان ريمون، المصدر السابق (٥٦ ـ ٥٧).

(٤) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٤). وعبدالعزيز سليمان نوَّار «داوود باشا والي بغداد» (٣٨).

وهذا مِمَّا اشتهرت به القوات السعودية إبَّان الدولة السعودية الأولى. وشهد لهم بذلك القنصل الفرنسي لوي روسو حين قال: «**ليس هناك ما يضاهي طريقة الوهابيين في القتال من حيث السرعة والفاعلية**»[(١)].

وشهد لهم أيضاً بذلك ج. ج. لوريمر حين استنطق وثائقه البريطانية التي وكَّدَت قائلة: «**كانت السرعة التي يستطيع بها الوهابيون حشد قوَّة ما، ثمَّ السرعة التي تنطلق بها هذه القوة في سبيلها إلى هدفها، أمراً يندهش له دائماً العثمانيون**»[(٢)].

وبناءً على ما سبق من تَسَبُّبَاتٍ؛ **رأى باشا بغداد أن يبحث عن رجلٍ مناسب لتلك المهمة، فوقع طائر فكره على ثويني الذي كان الباشا قد عفا عنه وولَّاه إمارة المنتفق، ثمَّ عاهده ثويني أن يسير إلى نجد ويخربها ويقتل أهلها، فهشَّ لذلك باشا بغداد واستحسنه، وزادت ثقته بثويني بعد أنْ رأى كثير من الجالين من أهل نجد في الزبير يسعون عند الباشا ويثنون على ثويني ويزيّنون له بأنه الأكفأ والأقدر على ضرب الدولة السعودية الأولى وإسقاطها ـ بزعمهم[(٣)] ـ، كما سعى في ذلك التحريض بعض من الرؤساء والعلماء سيّما محمد بن** فيروز المتواجد في العراق بعد أن انضمَّت الأحساء لآل سعود[(٤)].

---

(١) من تقرير القنصل الفرنسي جان لوي روسو، ضمن كتاب «الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد» (١٣١).

(٢) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨١/٣).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٤٨/٢ ـ ٩٤٩).

(٤) انظر: حسين بن غنَّام، المصدر السابق (٩٥٢/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢١٧/١ ـ ٢١٨).

* حملة ثويني على الأحساء:

هكذا وجد باشا العراق ضالَّته المنشودة في ثويني وكلَّفه بقيادة حملة ضدَّ السعوديين، وأعطاه ترخيصاً بمقاتلتهم وعزَّزه بَحَمَلَةِ البنادق من موظَّفي البصرة الأتراك، وخمس قِطَع من المدافع وأرسل معه أحد أغوات بيروت لمعاونته(١).

وعلى إثر ذلك الدعم من قِبَل الوالي العثماني في العراق استنفر ثويني رعاياه من المنتفق وأهل الزبير وأهل البصرة ونواحيها، وحشد معه بعض العربان، ثمَّ حشد الجالين من الأحساء إلى العراق فاتَّفق له قوة هائلة في سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م(٢)، وقد ذكرت بعض الوثائق التركية أنَّ قوات ثويني بلغت عشرة آلاف جندي من الترك وضعف هذا العدد من العرب وغيرهم(٣).

فتقاطرت تلك الجموع على ثويني وهو نازلٌ في الجهراء في الكويت(٤)، فأقام هناك ثلاثة أشهر وهو يجمع البوادي والعساكر

---

(١) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٤). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٢٢/٦).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٠/٢). رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٤). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٢٠٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٥/١).

(٣) ذُكِرَ هذا العدد في وثيقة تركية أوردها علي دخيل الله الحازمي في رسالته «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٢٧) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٤) يذكر المؤرّخ البريطاني المستر ستيفن لونكريك في كتابه «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٧): أنَّ جماعاتٍ من (الكويت) شاركت في ذلك=

والمدافع وجميع آلات الحرب من البارود والرصاص والطعام وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر، وأركب عساكر الترك من البصرة التي أمدَّته بها باشوية بغداد العثمانية بإسطولٍ بحريٍّ يحملهم، ومعهم أحمال الطعام والتموين تباريه في البحر وقصدوا ناحية القطيف[١].

فلمَّا بلغ ذلك عبدالعزيز بن محمد بن سعود أمر نواحي الخرج والفُرَع[٢] ووادي الدواسر والأفلاج وسدير وجبل شمَّر فاجتمعوا، واستعمل محمد بن معيقل[٣] أميراً عليهم، فساروا ونزلوا موضعاً يقال له قرية[٤].

= الجيش. ويذكر المؤرِّخ حسين خلف الشيخ خزعل في كتابه «تاريخ الكويت السياسي» (٦٤/١): أنَّ ثويني سيَّرَ قسماً من جيشه على السفن الكويتية.

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٧/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٥/١). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٧).

(٢) الفُرَع: هو (وادي بُرَيْك) وفيه بلدة (الحوطة) و(الحلوة) وما بينهما من قرى وتوابع. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٤٨/٢).

(٣) محمد بن معيقل: كان من أشهر قادة الدولة السعودية الأولى في السنوات ١٢٠٥ ـ ١٢٢٤هـ/ ١٧٩١ ـ ١٨٠٩م. قال عنه ابن بشر: بأنَّه صاحب (شقراء) في سنة ١٢١٠هـ/ ١٧٩٥م. وانظر أخباره عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٢٢/٢ ـ ٩٢٣) (٩٣٠) (٩٦٦). وحمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون» (٢٠٣ ـ ٢٠٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٧٦/١) (٢٠٧ ـ ٢٠٨) (٢١٢) (٢٢٥ ـ ٢٢٦) (٢٣٦) (٣٠٦). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة في نجد» (٧٨٥).

(٤) قرية: اسم قريتين واقعتين شرق (الصمَّان) وغرب مرتفعات (الطَّفِّ)، فكبراهما (قرية العليا) والأخرى (قرية السفلى). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٤١٦/٤).

كما أمر الإمام عبدالعزيز على ما لديه من القبائل من **العجمان وقحطان**[١] **ومطير**[٢] **وسبيع**[٣] **والسهول**[٤] **وغيرهم من قبائل نجد يحشدون بأهليهم وأموالهم ويقصدون النواحي التي في أطراف الأحساء ويتفرَّقون في أمواهِها ويثبتون في وجوه هؤلاء الجنود**،

---

(١) قحطان: يقول حمد الجاسر في «معجم قبائل المملكة» (ص: ٦٤٥): «ليس المقصود بقحطان هنا القبيلة القديمة التي تعتبر الأصل الثاني من أصول العرب بمقابل عدنان، بل قحطان هنا فرعٌ من ذلك الأصل» انتهى كلام الجاسر.

وقحطان هذه قبيلة لها فروعٌ كثيرة تنتشر في شرق (سراة الحجاز) وجنوبها وفي الأودية المنحدرة منها نحو نجد؛ مثل فروع أودية (بيشة) و(تثليث) و(طَريب) و(جاش) و(ظهران الجنوب) و(الجوف) وغيرها. ومن هذه القبيلة بحسب موقع بلادهم: قحطان الجنوب الذين منهم سكَّان (تثليث) ونواحيه. وهناك قحطان نجد الذين منهم الجحادر وجنب. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٦٤٥ ـ ٦٤٦).

(٢) مُطَير: قبيلة تنتشر في بلدات في عالية نجد ووسطها وشرق (الدَّهنا). وأشهر فروع القبيلة: علوا وبريه وعبدالله. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤٩٦) (٧٨٠).

(٣) سبيع: قبيلة منتشرة في بلدان نجد، وتعتبر بلدة (رَنْيَة) قاعدة هذه القبيلة. وينتشرون في (وادي الخُرْمَة)، و(لقطة) في عالية نجد، وفي المنطقة الشرقية في (معقلة) لبني عامر منهم، و(حزوا) و(شوية) في الشرقية أيضاً. ولهم في (الرياض) بلدات هي: (الحاير/ حاير سبيع) و(رماح) و(الرّمْحِيَّة) و(حَفْر العَتْك). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٣٢ ـ ٣٣٣).

(٤) السهول: قبيلة تقطن في أطراف (العارض) على مقربةٍ من (الرياض). أشهر فروعهم: الظُّهْران وآل محيميد والبرازات والسريَّة والمَحلف والقبابنة وآل مَرضُوع. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣٧٥ ـ ٣٧٦).

فحشدوا واجتمعوا فيها، ثمَّ حشد الأمير سعود من الدرعية بشوكةٍ من أتباعه وسار بأهل العارض واستلحق من جميع البلدان، ونزل التنهات[١] عند الدهناء وأقام أياماً ثمَّ رحل منها ونزل الحَفْر المعروف بحَفر العَتْك[٢]، فأقام أكثر من شهر[٣].

أمَّا ثويني فتحرّك بجموعه الهائلة من الجهراء وقصد ناحية الأحساء فنزل الطَّفّ[٤] ثم نزل الشباك[٥] الماء المعروف في الأحساء، وأثناء وجوده في الشباك شاء الله أن يخذله ويخذل من معه؛ إذ تسلَّط على ثويني عبدٌ يسمَّى طعيس من عبيد الجبور من بني

---

(١) التنهات: روضة من رياض نجد، يدفع بها أربعة أودية من أكبر أودية (العرمة) وهي: (وادي الطَّيْري) و(وادي العتك) و(وادي الشوكي) و(وادي الودي). انظر: عبدالله بن خميس، «معجم اليمامة» (٢٠٦/١).

(٢) حَفْر العَتْك: هو بحذاء (العرمة) وراء (الدهناء)، يقع في أسفل (وادي الطَّيْري) قبل أن يدفع في (روضة التنهات)، يبعد عن (الرياض) شمالاً حوالي ١٥٠ كلم. انظر: عبدالله بن خميس، «معجم اليمامة» (٣٣٣/١ ـ ٣٣٤).

(٣) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٩٥٧/٢ ـ ٩٥٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٥/١ ـ ٢٢٦).

(٤) الطَّفُّ: إحدى مناطق (الأحساء) تجاور (جبل الطف) من جهة طرفه الجنوبي، وهو يشكّل امتداداً للأراضي المرتفعة في شرقي (الصُّلب) و(الصُّمَّان). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٤١٧/٧). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٠٣٢).

(٥) الشِّبَاك: موضعٌ اطلق عليه هذا الاسم كوصفٍ للآبار المتقاربة، سُمِّيَت بذلك لتجاورها وتشابكها، وهي جنوب (أبو حدرية) شرق (جبل الصفاوي) الواقع شرق قرية (عتيِّق). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٩٠٧/٢ ـ ٩٠٨).

خالد[١]، إذ أقبل طعيس ومعه زانة فيها حربة ضعيفة فطعن بها ثويني طعنة واحدة ليست نافذة، ولكنَّ الله جعل فيها حتف ثويني الذي مات من فورِهِ في محرم ١٢١٢هـ/يونيو ١٧٩٧م[٢].

من هنا جرت هذه الحادثة مجرى المثل عند أهل نجد، فيقولون: «بَيعَةَ طُعَيس» يضربونه للإقدام على المخاطر[٣].

وعن تلك الحادثة قال المؤرّخ ابن غنَّام قصيدة منها:

بِرَبِّ طُعيسٍ لا طُعَيس تَقَشَّعَت سحائبُ رجزٍ بالمنايا لها شرُّ
أرانا بهذا البطش ذو العرش آيةً وذكرى لنا في ضمنها يظهر البِشْرُ[٤].

فلمَّا قُتِلَ ثويني وقع التخاذل والفشل في جنوده وألقى الله الرعب في قلوبهم وارتحلوا منهزمين لا يلوي أحدٌ على أحد، فتبعتهم الجنود السعودية بقيادة سعود يقتلون منهم ويغنمون غنائم ضخمة دون مشقَّة منذ انهزامهم من نواحي الأحساء حتى أوصلوهم إلى الكويت، **وطيلة هذا الطريق والجنود السعودية تطاردهم وتحوز منهم الغنائم من الأموال العظيمة والإبل والغنم والأزواد والأمتاع وغير ذلك، ثمَّ**

(١) انظر أخبار طعيس عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠١٩/٢ ـ ١٠٢٠).

(٢) انظر: حسين بن غنَّام، المصدر السابق (١٠١٧/٢ ـ ١٠٢٠). وعثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٢٩٤). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٤). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٦/١ ـ ٢٢٧).

(٣) انظر: محمد بن ناصر العبودي «الأمثال العامية في نجد» (١٨٧).

(٤) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٥/٢).

حُمِلت المدافع والقنابل إلى الدرعية[(١)].

يقول رسول حاوي الكركوكلي (ت: ١٢٤٣هـ/١٨٢٧م)[(٢)]: «مهما قيل في هذه الحادثة[(٣)]، فإنَّها قَلَبَت الخطّة رأساً على عقب، وسبَّبَت عودة هذه القوات من حيث أتَت، وفيما هم في طريق عودتهم **هَجَم عليهم الوهابيون وأوقعوا بهم قتلاً وفتكاً ذريعاً**. أمَّا إخوان الشيخ ثويني وعشائر المنتفك فقد ألقوا ما بأيديهم من المدافع واكتفوا بإنقاذ عوائلهم وأنفسهم وفرّوا إلى ديارهم. **وأمَّا العسكر البلوجي فقد وقع الوهابيون به ضرباً وأسراً**، واستولوا على ما معه من مدافع وعتاد وغير ذلك وذهبوا بها غنيمة باردة إلى الدرعية»[(٤)].

وفي ذلك يقول ابن غنَّام:

لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمُ — وقد أدبروا يقفوهم الذلّ والصغر
وساروا بأسباب المكائد والردى — إلينا فما أغناهم الكيد والجرّ
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا المنى — وبادوا وما سادوا وعقباهم الخُسر[(٥)].

لقد أحدث مقتل ثويني قلقاً كبيراً لدى الحكومة العثمانية في

---

(١) انظر: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢١/٢). وعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٨/١٢». وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٢٨/١).

(٢) رسول حاوي الماهوني أصلاً الكركوكلي وطناً. مؤرِّخ تركي الأصل والمنشأ. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٢١/٣).

(٣) يعني حادثة مقتل ثويني.

(٤) رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٥).

(٥) حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (١٠٢٤/٢).

العراق التي علّقت ثقةً كبيرة في القدرات التي اشْتُهِرَ بها، فاعتمدت عليه اعتماداً كبيراً في هزيمة دولة آل سعود، ولكنَّ الأمور سارت بعكس ما تمنَّته الدولة العثمانية وواليها في بغداد[١].

وقد وصف المؤرّخ الاجتماعي العراقي علي الوردي صدمة والي بغداد العثماني من فشل حملة ثويني، فقال: «فوجئ الوالي سليمان باشا بفداحة الضربة التي لم يكن يتوقعها، **ولعلّه كان يظن أنَّ الحركة الوهابية أمرها هيِّن لا يحتاج قمعها إلى كبير عناء، ثمَّ تبيَّنَ له أنَّها أعظم مِمَّا كان يظنّ**»[٢].

* الدولة السعودية تدعو الباشا العثماني في العراق إلى عقد مسالمة بينهما:

أحدث مقتل ثويني وفشل حملته أن كُسِرَ الحاجز النفسي لدى السعوديين؛ حيث أصبحوا يستشعرون ما لديهم من قدرات على مهاجمة الباشوية العثمانية في العراق[٣]، وعلى الرغم من تلك القوة التي استشعرها آل سعود وأتباعهم فإنهم كانوا يؤثرون السلم ويحرصون عليه أكثر من الحرب واشتعالها.

وهذا معلومٌ من سيرة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود،

---

(١) انظر: الرحالة الإنجليزي جاكسون «مشاهدات بريطاني في العراق ١٧٩٧م» (٩٢ - ٩٣).

(٢) علي الوردي «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (٢٠١/١).

(٣) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (١٩٥). وعلي دخيل الله الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٣٠).

ومعلومٌ أيضاً من سيرة ابنه الإمام سعود، **فكان عبدالعزيز وابنه سعود قبل أن يبادروا إلى أيِّ معركةٍ يرسلان رسالةً إلى خصومهم بطلب التفاوض حقناً لدماء المسلمين، فإذا لم يقتنع الخصم بالسلم، فلا مناص من الحرب**[١].

وهذا ما حدث؛ فإنَّ الوالي العثماني في العراق تعنَّت وأبى إلَّا أن تُسقَط دولة آل سعود؛ وشاهد ذلك أنَّ الكيخيا[٢] علي باشا[٣] لمَّا وصلته رسالة من سعود بن عبدالعزيز أرسلها له مع أحد ثقاته يُعرب فيها عن رغبته في العيش بسلامٍ مع جيرانه، فما كان من الكيخيا إلَّا أنْ استقبل رسول ابن سعود بجفاء، وأخبره أن يبلغ سعود أنَّه آتٍ لحربه في الدرعية.

عندها علم آل سعود أنهم استنفدوا جهودهم مع الباشوية العثمانية في العراق في سبيل السلم وحقن الدماء عن الحرب، فجاء الردّ السعودي على حملة ثويني الفاشلة واعتداء الباشوية العثمانية في العراق على الدولة السعودية الأولى، حيث سار سعود بجنوده من

---

(١) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٣٦).

(٢) الكيخيا/الكتخدا: لفظةٌ يُطلقها الترك على الموظَّف المسؤول والوكيل المعتمد. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٢٩).

(٣) علي باشا الكيخيا: ترجم له لوريمر في وثائقه التي جمعها قائلاً: كان ياوراً شخصياً لسليمان باشا الوالي العثماني في العراق، وعلي الكيخيا كان عبداً رقيقاً من (جورجيا) لكنَّه تزوَّج بابنة سيِّدِهِ سليمان باشا. وقد وصفه الذين عرفوه بأنَّه رجلٌ مغرورٌ عنيدٌ خائنٌ سيّ الخلق. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨٢/٣).

جميع نواحي نجد وقبائلها، وكان من ضمن قادة تلك الحملة السعودية كلٌ من فهاد بن سالم بن شكبان وعثمان المضايفي، فقَصَدَت تلك الحملة الباشوية العثمانية في العراق في رمضان سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٨م، **وأغارت على سوق الشيوخ الذي عاون أهله حملة ثويني وكانوا يتحرشون بالدولة السعودية**، فقَتَلَ سعود منهم قتلى كثيرة وهرب أناس منهم فغرقوا في الشطّ، فقام أهالي سوق الشيوخ بهدم الحواجز المقامة على قناة مياه نهر الفرات فأصبحت المياه منهمرة تحيط بسور المدينة، **فخاض سعود وجنوده الماء وهجم على بعض التحصينات فاستولى عليها بقوةٍ ونشاط**(١).

ولمَّا فرغ سعود من سوق الشيوخ توجَّه إلى السماوة(٢) لأنَّ أهلها عاونوا ثويني سابقاً في حملته على الأحساء، فنازلهم سعود على ماء الأُبَيِّض(٣) هناك وقتل من رؤسائهم وغنم من محلَّتهم الإبل والمتاع(٤)، فهرب أكثر أهالي المدينة وتحصنوا داخل أسوارها ولم يخرج منهم أحدٌ لملاقاته، فقد تملّكهم الخوف من لقاء سعود الذي

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٠ ـ ٣٢١). وحسن الريكي «لمع الشهاب» (١٥٧).

(٢) السماوة: مدينة تقع على (الفرات)، بالقرب من (المسيَّب)، على بعد ٥٠ ميلاً جنوب مدينة (الديوانية). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢١٤٠/٦).

(٣) الأُبَيِّض: تصغير أبيض. ماء معروف في ناحية (السماوة) في العراق، وهو في أنحاء (الحجرة) قريب من ماء (الأخيضر) في (الشامية). انظر: عبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (١٣٩/١) (٣٠٥).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٥٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٤٠/١ ـ ٢٤١).

كان مرهوب الجانب فتحصنوا وراء أسوارهم، ولمَّا أيقن سعود أنَّه ليس من محاربٍ له هناك، أخذ طريقه لمغادرة البلاد[١].

* رسالة الكيخيا وردّ الإمام سعود عليها:

استشاط الوالي العثماني في العراق سليمان باشا غضباً من الضربات التي وجهَّها سعود بن عبدالعزيز للباشوية العثمانية في العراق، فأمر سليمان باشا أن يرسل كيخياه علي باشا الكيخيا إلى سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود رسالةً مِلْؤها التهديد والوعيد، وهي في ذات الوقت **غير خالية من الغطرسة التركية والعنجهية واحتقار العرق العربي بكل صراحة**، فقد كتب علي باشا الكيخيا لسعود قائلاً له: «إنَّكَ تحارب حرب اللصوص الذين يلوذون بالفرار حفاظاً على حياتهم، **أنتَ بدوي وتطمح إلى المُلك، وإنَّ بلادك بلاد مسيلمة**، وسآتيك بنفسي لمهاجمتك في الدرعية عاصمتك»[٢].

فأجابه سعود برسالةٍ مليئة بالأَنَفَةِ العربية، قال فيها: «تأخذ علينا أننا نحارب كاللصوص وأننا نلوذ بالفرار دون قتال، ولكننا بقينا شهراً في إقليم العراق بانتظارك، ولم تخرج إلينا»[٣].

ثمَّ قال سعود: «وقولك: إنَّكَ طلبتنا أنتَ وباشتك، فالكذب عيب في أمر الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢١ ـ ٣٢٢).

(٢) نصّ رسالة علي باشا الكيخيا ورد سعود عليها موجودة عند: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٢ ـ ٣٢٣).

(٣) المصدر السابق (٣٢٣).

يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ [النحل: ١٠٥]، وجميع الناس يفهمون أنَّا لمَّا نزلنا الأخيضر[١] فوق القصر[٢] على ثغبان[٣] أقمنا بها سوق الحراج[٤] إحدى عشرة ليلة على منزلٍ واحد، وركابنا كلها عزيب[٥] ليست عندنا، وربما عندك من العربان من هو معنا في ذلك المنزل، اسألهم يخبروك إن كنتَ لا تدري، ونحن ننتظركم في

---

(١) الأخيضر: ينبوع ماء في صحراء تبعد ١٢ ميلاً جنوب شرق (شفاثا) ناحية (الشامية) في العراق، بين (الأُبَيِّض) وبين (عين التمر). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٣٥٤/٧). وعبَّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (٣٠٥/١). أيضاً: عباس العزَّاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٥٩/٦).

(٢) يقصد قصر (الأخيضر)، وهو لا يزال قائماً حتى اليوم، قصرٌ أثريٌّ على بُعد نيف وخمسين كلم غربي (كربلاء). انظر: مقال «قصر الأخيضر ورأي العلامة الآلوسي فيه» منشور في «مجلة لغة العرب»، ج٢: شعبان ١٣٣٠هـ/ آب ١٩١٢م (ص٤٥ ـ ٥٢). وقد ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ (حصن الأخيضر) الذي لا تزال أطلاله باقية إلى اليوم في صحراء العراق، ربَّما سُمِّيَ باسم إسماعيل بن يوسف الأخيضر عندما عَهِدَ إليه أبو طاهر القرمطي بإمرَةِ (الكوفة) عام ٣١٥هـ. انظر: عبدالله الشبل «من تاريخ اليمامة: الدولة الأخيضرية» (ص: ٤٦٢).

(٣) ثغبان: مفردها ثغب؛ وهو مستقرّ الماء دون الحفنة. أمَّا «الحفنة» فهي إذا كان مستقر الماء أكبر من الغدير. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٦٤٧/١).

(٤) السوق الذي يعنيه الإمام سعود هو (سوق قصر العين) لأنَّها هي التي في (شفاثا) الموقع الذي يشير إليه الإمام سعود عند (الأخيضر). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٣٥٤/٧).

(٥) عزيب: بعيدة عن أهلها. انظر: جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي «لسان العرب» مادَّة (عزب). وعبدالرحمٰن المانع «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (٧٤).

تلك المدة أنَّكم تظهرون علينا وَنَكِرُّ عليكم ونستأصل عساكركم ونتغلب على بلدانكم، فلمَّا أيسنا منكم وفرغ المسلمون من بيع ما أفاء الله عليهم رحلنا بالعزِّ والسلامة والمغنم والأجر إن شاء الله تعالى، ثمَّ بعد ذلك مشينا ونزلنا على بلدك البصرة وأقمنا بها عشرة أيامٍ وذبحنا ودمَّرنا ما بلغك علمه»[١].

ثمَّ التفتَ سعود إلى ما قاله الكيخيا في حقِّه ومحاولة احتقاره له على أساس أنَّه عربي بدوي، فردَّ سعود على الكيخيا قائلاً: «**وتقول إنني بدوي أطمح للمُلك، فاعلم أنَّ البدوي خيرٌ من مملوكٍ مثلك، اشتراه سليمان باشا بثلاثمئة قرش**[٢]. **وإذا كانت بلادنا بلاد مسيلمة، فإنَّ بلادك شهدت ولادة عبادة الأوثان، وكان أهلها يعبدون النار قبل أن ترى النور**، ولكنَّ الأرض هي الأرض، والرجال هم الذين يرفعون شأن أوطانهم وليست الأوطان هي التي تصنع مجد الرجال.

ولستَ تَجِدُ حَرَجاً من القول: إنَّك ستأتي لتحاربنا في الدرعية، وسوف تكون هذه المدينة كما كان قبلها إقليم الأحساء شاهداً على هزيمتك المنكرة»[٣].

---

(١) من رسالة سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى علي باشا الكيخيا، ضمن «الدرر السنية» (٩/٢٨٤ ـ ٢٨٥).

(٢) قال الحلواني: إنَّ الأمير سعود ابن الإمام عبدالعزيز بن محمد آل سعود في خطاباته للكيخيا: يخاطبه بالكيخيا علي، دون أن يذكر لعلي أباً، إشارةً إلى كونه لا يعلم له أَبَاً. انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٣٤).

(٣) من رسالة علي باشا الكيخيا ورد سعود عليها موجودة عند: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٢ ـ ٣٢٣) باختصار.

ولمَّا طعن الكيخيا في آل سعود وأتباعهم وطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ردَّ عليه سعود بن عبدالعزيز بن محمد فنسف تهمته وافترائه نسفاً واضحاً، مُبَيِّناً له أنَّ العيب عنده وبين جنوده الترك، وأنَّ الفساد والمفاسد منتشرة تحت وطأة حكمهم المهيمن على العراق، حيث قال سعود: «**إنْ قُلْتَ [أيها الكيخيا] أنَّكم لم تعبدوا غير الله فأفعالكم تُبطِل أقوالكم ظاهراً وباطناً، فإذا كانت الحضرات الباطلة والمشاهد الملعونة والبنايات على القبور وسؤال ما لا يسأل إلا من الله تعالى والصلاة عندها والتمسّح بها، كلّ ذلك موجود عندكم ظاهراً.**

وكذلك الصلوات الخمس متروكة، وكثير من الناس لم يصلّوا جمعة ولا جماعة ولا منفردين، والذي يصلّي جماعة قليل الناس، فإذا صلَّى خرج على الناس وهم في الأسواق تاركين الصلاة مقيمين على الفسوق واللهو والفجور والبغي ولا ينكر عليهم. وكذلك الزكاة متروكة، وجميع أعمال البرّ غير الفرائض لم تكن لكم شعاراً ولم تأمروا بها.

وجميع القبائح عندكم ظاهرة وهي سجية كثيركم: الشرك بالله والزنا واللواط؛ فعل قوم لوط أهل المؤتفكات[1]، وكذلك الربا والسحر وادعاء علم المغيّبات، وجميع الآثام كالخمر وأنواعه من المسكر كالتنباك وأشباهه، والبغي والظلم والعدوان وأخذ أموال الضعفاء والفقراء»[2].

---

(١) راجع ما ذكرناه أوَّل هذا الفصل مِنْ أنَّ والي بغداد عمر باشا كان معروفاً باتخاذه مخنَّثاً إيرانياً.

(٢) من رسالة سعود بن عبدالعزيز بن محمد إلى علي باشا الكيخيا، ضمن «الدرر السنية» (٢٧٥/٩ ـ ٢٧٧) باختصار.

* الدولة العثمانية تترك مصر تحت احتلال الفرنسيين، وتتحرَّك لمحاربة السعوديين:

لا بدّ من التنبيه على فاصلة تاريخية تدعو إلى السخرية مما وصل إليه حال الدولة العثمانية آنذاك، فإنَّه في سنة **١٢١٣هـ/١٧٩٨م** شنَّت فرنسا حملتها على مصر التي كانت تابعة للدولة العثمانية ومن أراضي السلطان العثماني، على أنَّ **سلطان الدولة العثمانية لم يُجَيِّش جيوشه في ذاك الوقت لتحرير مصر من الفرنسيين الذين احتلوها**[1]،

---

(١) من السخرية أن تجد المؤرّخ الحاقد على السعوديين الفاجر في خصومته معهم: عثمان بن سند، يذكر في كتابه «مطالع السعود» (٢٦٣ ـ ٢٦٤) أنَّ السلطان العثماني أرسل يوسف باشا (الصدر فشق) ليخلّص مصر من أيدي الفرنسيين، وقال ابن سند بأنَّه خلَّصها فعلاً بعد معارك بطولية!!!.

على أنَّك لن تجد من حوادث تاريخ ذاك الوقت ما يُسعف كذبة عثمان بن سند المتعصّب للعثمانيين، بل ستجد ما ينافيه جملةً وتفصيلا: فيوسف باشا كانَ لِصّاً ـ كعادة القادة العثمانيين ـ فكان في طول طريقه من تركيا مروراً ببلاد الشام ووصولاً إلى (غزَّة) و(العريش) يسرق وينهب ويسلب من العرب القاطنين في القرى التي يمرّ بها والبادية العربية التي يخوّفها بسلاحه. يقول الجبرتي: «في رجب ١٢١٤هـ [آخر ١٧٩٩م] وصل يوسف باشا الصدر فشق وصحبته نصّوح باشا وعثمان آغا كتخدا الدولة وغيرهم، وعسفوا بالبلاد الشامية، وضربوا عليهم الضرائب العظيمة، وجبوا الأموال، وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال». ثمَّ ذكر ما يُفْهَم مِنْه بأنَّ يوسف باشا وصحبه جَبنوا من محاربة الفرنسيين، فصالحوهم، من دون طائل من مسيرهم من تركيا حتى وصولهم مصر، سوى أنَّهم نهبوا وسلبوا ما في طريقهم ذهاباً وإياباً. انظر تفاصيل ذلك عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/١٤٠ ـ ١٤١).

* ثمَّ إنَّ الذي طرد الفرنسيين من مصر هم الإنجليز، لذلك تجد أمين الحلواني في «مختصر مطالع السعود» (ص: ١٠٩) يوم اختصر كتاب ابن سند=

بل أصدر السلطان أمره إلى والي بغداد بتجهيز حملة كبيرة ضدَّ السعوديين تكون على درجةٍ عاليةٍ من الإعداد المتناسب مع آمال الحكومة العثمانية في تدمير القوة السعودية تدميراً تامّاً، وغايتها ليست أقلّ من إخضاع نجد كلّها(١).

وهذا يدلُّكَ على تنامي الانزعاج الذي صارت تشعر به الحكومة العثمانية تجاه أتباع هذه الدولة، وعلى مدى تعاظم قوة وشهرة السعوديين(٢).

* حصار الكيخيا لقصر صاهود في الأحساء:

في سنة **١٢١٣هـ/١٧٩٩م** جَيَّشَ والي بغداد ووزيره علي باشا الكيخيا الجيوش من العراق وجمعوا للحملة جموعاً عظيمة، ودعمتها حكومة إسطنبول بالعتاد والعساكر(٣).

فسيَّر سليمان باشا والي العراق العساكر الكثيرة من المحمَّرة والأكراد، سار بهم وزيره علي الكيخيا، فاتفَّق له قوة هائلة من

= «مطالع السعود» لم يتابعه على تلك الأكذوبة، بل جاء بالواقعة التاريخية الحقيقية التي تثبت أنَّ الإنجليز، وليس الأتراك، هم من أخرجوا الفرنسيين من مصر. وسيأتيك تفصيل ذلك في أول الفصل التاسع من هذا الكتاب.

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٩٠١/٤). وتعليقات الأمير شكيب أرسلان على «حاضر العالم الإسلامي» (١٦٢/٤) من تأليف: لوثورب ستودارد.

(٢) انظر: السير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٨٣).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٨/١٢). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٨). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٢٦/٦).

المدافع[١] والقنابل وآلات الحرب، وأُعِدَّت للكيخيا الأرزاق في البصرة عدا ما أحضره معه من بغداد، كما أُحضِرَت له السفن كواسطةٍ بحرية لنقل المؤونة، إلى جانب الإبل التي هُيِّئَت له لنقل جنوده وأحماله بَرّاً، حتى قيل إنَّ الخيل التي رافقته بلغت ثمانية عشر ألفاً، وبلغ عدد الإبل نحو ثلاثين ألفاً.

ثمَّ توجَّه الكيخيا إلى الزبير فنزل في محلٍّ يقال له **الدريهمية**[٢] **وجهَّز من هناك خمسة آلاف بندقي من المرتزقة**[٣] **استؤجروا لهذا الغرض، وسار معه من هناك أهل الزبير وما يليهم جمٌّ غفير وأميرهم إبراهيم بن ثاقب بن وطبان**[٤]**، وانضمَّ لهم بوادي وعربان المنتفق،** واجتمع معهم بوادي وعربان آخرين، ورافقهم **عربان ما وراء العراق،**

---

(١) انظر: السير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٨٧).

(٢) الدريهمية: موضع ماء على رأس فرسخ من (الزبير). انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٥٨).

(٣) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٨). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠٠).

(٤) إبراهيم بن ثاقب بن وطبان: يقول عنه أمين الحلواني في «مختصر مطالع السعود» (ص: ١٢٧) (ص: ١٣٠): أنَ ابن ثاقب كان رجلاً فصيحاً منطيقاً من دُهاة العرب. أمَّا عثمان بن سند في «مطالع السعود» (ص: ٣١٤) (ص: ٣١٨): فقد اتَّهمه بأنَّه ثبَّط الكتخدا فيما بعد عن حرب آل سعود، لأنَّ ابن ثاقب من أقارب آل سعود. وقال الحلواني في «مختصر مطالع السعود» (ص: ١٣٠): بأنَّ ابن ثاقب كان على عقيدة آل سعود. ولقد أخبرني مؤرِّخ أسرة آل ثاقب في الكويت؛ وليد بن عيسى بن يوسف الثاقب (أحد أحفاد إبراهيم بن ثاقب بن وطبان): أنَّ إبراهيم بن ثاقب هذا كان أوَّل من تولى مشيخة الزبير من آل ثاقب، وأنَّ أهل الزبير سنَّموه الأمر لِما عُرِفَ به من الحكمة.

حتى أن بعض المؤرخين قدَّرَ عددهم بما لا يقلّ عن ثمانية عشر ألفاً من الفرسان والجنود النظاميين من الأتراك وغيرهم(١)، مضاف إليهم عشرة آلاف من العربان(٢) زيادةً على الخمسة آلاف بندقي الذين ذكرناهم قبلاً.

الحاصل؛ أنَّ الكيخيا سار بذلك العدد الهائل وذاك العتاد الرهيب وقصد الأحساء، فلمَّا وصله **انضمَّ إليه بعض من تمرَّد من أهل الأحساء على الدولة السعودية الأولى**(٣)، **فتضخَّمت أعداد المشاركين في تلك الحملة أكثر من أعدادها المشار إليها سابقاً.**

ثمَّ بدأ الكيخيا يستقبل سفنه التي تحمل العتاد من العراق والتي رست في ميناء العقير بالأحساء فأنزلوا ما تحمله من المدافع والذخائر التي جاؤوا بها لمحاربة السعوديين(٤).

وحين استتبت كامل عُدّته الحربية واصطَفَّت تلك الأعداد المهولة من المحاربين، زحف بهم الكيخيا ليهاجم **قصر المبرَّز** المسمَّى **قصر صاهود** وحاصره(٥) من سابع رمضان إلى سبعٍ مضين من

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٢).

(٢) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٩). وجون ب. كيلي «بريطانيا والخليج» (١/١٥٧).

(٣) انظر: عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣١٤). وعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٩).

(٤) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٥ ـ ٢٠٦). وعباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (٦/١٢٨ ـ ١٢٩).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٣).

ذي القعدة ١٢١٣هـ/من فبراير إلى أبريل ١٧٩٩م، **وهو يحاول هذا الحصن بكلّ الأسباب من القتال وسوق عساكره من الترك والأعراب عليه وتتابع الرمي العظيم بالمدافع على جدران الحصن وحَفْرِ الحفر حوله ومَلْئِها بالبارود**(١).

فأقاموا طول تلك المدة كلّ يوم يجددون لهذا الحصن قتالاً وأسباباً فلم ينفعهم ضرب الحصن بمدافعهم، فقد عجزت تلك المدافع عن تأدية مهمّتها واعتراها الخلل، وكانت تَتَمَزَّق وتنفجر بعد الطلقة الرابعة، واستعصى عليهم التقدّم شبراً واحداً، ولمَّا رأى المتحصنون في **قصر صاهود** عجز هذه المدافع، وهي السلاح الوحيد الذي يعتمد عليه الجيش العثماني، قاموا فوراً بإصلاح ما فسد من الحصن وأعادوا تقويته من جديد(٢).

عند ذلك تناول جيش الكيخيا المعاول وهجم على الحصن وراحت الجنود العثمانية تعمل على هدمه ولكن دون جدوى(٣)، فوقع في جنود الكيخيا الفشل بعدما يأسوا من اقتحام ذلك الحصن السعودي، بالرغم من أنَّ هذا الحصن لم يكن فيه إلا قريب من مئة رجل سعودي(٤).

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١). وجان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٥). وعبدالرحمٰن بن حسن «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٩/١٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١).

(٣) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٦).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥١/١ ـ ٢٥٢).

* انسحاب جيش الكيخيا من الأحساء - وانعقاد الصلح:

لمَّا طال المقام بجنود علي الكيخيا وعساكره وماتت كثير من إبلهم وقلَّت مؤنهم، بَطلَ كيد جنود الكيخيا وتخاذلوا، **فقرَّ قرارهم على الارتحال من الأحساء والعودة لأوطانهم** بعد أن حاصروا الحصن قرابة سبعين يوماً(١)، **ورحل معهم من تمرَّد من أهل الأحساء على الدولة السعودية، فهرعوا هاربين لا يلوي أحدٌ على أحد، ثمَّ إنهم جمعوا سلالمهم وزحافات الخشب والجذوع التي أعدّوها لتسلّق جدران الحصن المذكور، وجمعوا أيضاً خيامهم ومتاعهم وطعامهم وأشعلوا فيها النيران، عندها تيقَّنَ علي الكيخيا أنَّ هيبته سقطت أمام أسوار الأحساء**(٢).

أخذ جيش الكيخيا يتسحَّب حتى بلغ القَطَّار(٣) المعروف عند حويرَّات الأحساء(٤)، **ثمَّ طارت قلوب جنوده فَرَقاً لمَّا جاءتهم أنباء تحرّك سعود ومن معه، فَطفقت جنود الكيخيا تدفن مدافعها ورصاصها في الموضع المذكور،** ثمَّ أحرقوا تارةً أخرى بعض خيامهم(٥).

يقول أمين الحلواني: «فرُّوا في أسوأ حال من التشتُّتِ وعَدم

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١).

(٢) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٤).

(٣) القَطَّار: آبار ماء بالقرب من (العيون) شمال (الأحساء). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (١٤٣٩/٤).

(٤) حويرَّات الأحساء: جمع حويرَّة تصغير حارَّة، وهي موضعٌ قرب (الأحساء) بالقرب من بلد (المطيرفي). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٥٦٩/٢).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٢/١ - ٢٥٣).

وجود رواحِلَ، فكانوا مشاةً حُفاةً جائعين عَطشى، **يَجِدُّونَ في السير خوفاً من أنَّ ابن سعود يُدرِكهم**، تاركين الأموال والديار سالكين المهامِه والقِفار»[(١)].

وصل سعود بجنوده من الحاضرة والبادية وحطَّ رحاله في روضة خُرَيْم[(٢)] لينظِّمَ صفوف جيشه[(٣)]، ولمَّا علِمَ سعود بانسحاب الكيخيا وأنَّه قد حوَّل وجهته ناحية وادي المياه[(٤)]، أخذ سعود يسابقه على الوادي المذكور، وكان سعود يرمي الملح في كلّ بئر ماءٍ يمرّ عليه[(٥)]، حتى يُنهَك الكيخيا وجنوده ظَمَأً.

ثم أدركه سعود عند ماء ثاج[(٦)]، فنزل الحِنَّاءة[(٧)]، وجمع الله

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٢٩).

(٢) روضة خريم: نقى كبير من أنقية (الدهناء). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٣٨٠ ـ ٣٨١) (٢/١٥١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٤) وادي المياه: ليس وادياً بالمعنى المراد بهذه الكلمة، ولكن لكثرة عيونه وآباره. يُعرف قديماً باسم (وادي الستار)، ويُدعى أيضاً (نُقرة بني خالد)، ويمتدّ شمالاً من (النعيرية) حتى ينتهي بالقرب من (جودة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٤/١٧٨٠ ـ ١٧٨١). وغالب سكّان هذا الوادي اليوم هم من قبيلة العجمان. ويُسَمَّى عند كثير من الناس باسم «وادي العجمان».

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٣). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٥٩).

(٦) ثاج: في (وادي المياه)، شرقي (الأحساء). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٢/٣٠٧ ـ ٣١٥).

(٧) الحِنَّاءة: على لفظ الحِنَّاء النبات الذي يُصبَغ به. وهي تقع في (وادي المياه)، =

بينه وبين جيوش الكيخيا التي كانت نازلة في الشباك قرب ثاج، فاشتبك القتال بين الفريقين، وجرى بين السعوديين وجنود الكيخيا محاولة خيل وطراد، وأقاموا على ذلك أياماً حتى وقع الفشل في الكيخيا وجنوده، فطلب الصلح من سعود، وأنَّ كلاً من الفريقين يرحل وتُحقن الدماء، فصالحهم سعود على ذلك وارتحلوا إلى أوطانهم[(١)]، أو بمعنى أدق كما قال أمين الحلواني: «فرَّ الكتخدا هارباً مع عسكره قاصداً العراق»[(٢)]، دون فائدة تُذكر من حملتهم الفاشلة.

وقد علَّق السير هارفرد جونز بريدجز في تقريره لحكومته البريطانية عن تلك الحادثة قائلاً: «كانت الحسنة الوحيدة التي أنجزها الكيخيا هي عقد هدنة مع سعود سَمَحَ بواسطتها لبقايا جيشه المحطَّم بالعودة إلى بلاده»[(٣)].

وعلَّق أيضاً المؤرخ العراقي عثمان بن سند الذي عاصر تلك

= وتُنَطَق (الجِنَّاة)، وهي مُرتَفَعٌ من الأرض تحيط بها أكَمَات مُرتفعة، فجنوبها بينها وبين (ثاج) تقع (القويديات)، وغربها (جبل الأحَصّ) و(جبل الكُوَيْخَا) وشمالها أرضٌ رملية. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ المنطقة الشرقية» (٥٤٦/٢ ـ ٥٤٨).

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٣ ـ ٨٤). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢٠٨ ـ ٢١٠). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠١ ـ ٣٠٢). وعثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣١٥ ـ ٣١٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٤/١ ـ ٢٥٥).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٢٨).

(٣) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٩١).

الحادثة ذاكراً: **أنَّ علياً الكيخيا إنَّما عَمِلَ الصلح لمَّا داخله الخوف من ابن سعود، وأنَّ بعض مستشاري الكيخيا عظَّم له حال عسكر سعود بن عبدالعزيز بن محمد، فخاف الكيخيا وطلب المصالحة من سعود،** فأنشد البصري بعض الأبيات التي بيَّنَ فيها خوف الكيخيا من ابن سعود قال فيها:

لسانُ الحال قال لهم: غَزَوْتُم سعوداً كي يَعزَّ وكي تُذَلُّوا
تَمَنَّوا أن يلاقوه بِنَجْدٍ فلمَّا أنْ دَنا جَبنوا وذَلّوا[1].

ويؤكِّد حقيقة جُبن الكيخيا علي باشا من سعود وفراره مِنه، ما ذكره أحد المؤرخين بأنَّه قد وَجَدَ في كتابٍ أرسله الكيخيا علي باشا إلى السلطان العثماني هذه الكلمات التي تظهر شدَّة خوف الولاة العثمانيين من شجاعة سعود وفتكه، قال: «**إنَّه كالصقر سريع الاختطاف طويل اليد شديد البأس**»[2].

وعليه قرَّر السير هارفرد جونز بريدجز وهو معاصر للحدث وموجودٌ في العراق وقتها، فقال: «إنَّ فشل الحملة يعود بالكليَّة إلى الطريقة الخاطئة المتَّسِمَة بالجُبْن». ثم قال: «هذه الحملة التي كان يُنتظر منها الكثير فشلت فشلاً تامّاً، ولم يقتصر الأمر على الفشل فقط، بل في الواقع ترتَّب على ذلك الفشل نتائج مفجعة لحكومة بغداد [العثمانية]، بحيث أنَّها حطَّمَت الروح المعنوية لسليمان باشا وقصَّرت من عُمرِهِ وعجَّلَت بوفاته»[3].

---

(١) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣١٨ ـ ٣١٩).

(٢) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٢١/٣).

(٣) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٩٠).

من هنا قال المؤرخ محود فهمي المهندس: بأنَّها «كانت من أتعس الغزوات على الترك وأشأمها؛ لأنَّ الوهابيين عرفوا جيداً الطرق التي بها يكيدونهم وينكئونهم»(١).

* البحث في أسباب غزو السعوديين لكربلاء:

بالرغم من الصلح المعقود بين ابن سعود والباشوية العثمانية ببغداد، فإنَّ العلاقات سرعان ما توتَّرت بينهما من جديد، **وكان السبب في التوتُّرُ هو اعتداءٌ وقع على الدولة السعودية الأولى من قِبَلِ أتباعِ الولاية العثمانية في العراق.**

هذا بالرغم من أنَّ تاريخ وقائع تلك الفترة يشهد بأنَّ آل سعود احترموا الصلح المعقود بينهم وبين والي بغداد، وهو الأمر الذي شهد به بوركهارت حين قال: «**لم يُعهد أنَّ سعوداً نقض عهده في أية مناسبة، وشهرة سعود في محافظته الدقيقة على العهد من الأمور التي أقرَّ بها ألدّ أعدائه ومجَّدها أصدقاؤه باعتبارها مناقضة تماماً لغدر الأتراك**(٢)، وكان سعود قد أصدر أوامر صارمة لكل قادة الجيوش الوهابية أن يحافظوا بدقَّةٍ على الأمان الموعود»(٣).

وتظهر مصداقية شهادة بوركهارت فيما جاء من الحوادث تالياً، **فالوالي العثماني في العراق يبدو أنَّه لمَّا يئِسَ من الانتصار على آل سعود، ظهر له أَنَّ يُلحق بهم الأذى والإهانة والتنكيل، فأوعز إلى**

---

(١) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٠١) باختصار.

(٢) تأمَّل كلمة بروكهارت هذه؛ فإنَّها مفتاح لفهم كثير من مستغلقات حوادث تلك الحقب.

(٣) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٧٥ ـ ٧٦) باختصار.

رجاله أن يقطعوا الطريق على قوافل الحجاج المسافرة تحت حماية آل سعود، فأخذ أتباع والي بغداد العثماني يقطعون السبيل على كلّ عابر.

ومن ذلك أنَّ **قبيلة الخزاعل الشيعية العراقية** داهمت قافلة تحميها الدولة السعودية، فنهب الخزاعل أموال القافلة وسلبوا ما استطاعوا منها وقتلوا بعض الرجال السعوديين المرافقين للقافلة، حدث ذلك في منتصف سنة ١٢١٤هـ/بداية عام ١٨٠٠م[١].

وقد قدَّر بعض المؤرخين عدد قتلى السعوديين بثلاثمئة قتيل[٢]، في حين أنَّ شاهد عيان قدَّر عددهم بمئتي وهابي ـ بحسب وصفه ـ، وأنَّ ثلاثين وهابياً قتلوا ولاذ الباقون بالفرار وحملوا نبأ الكارثة إلى الإمام عبد العزيز[٣]، فأثار هذا العدوان الفظيع على حجاج بيت الله الحرام ثائرة السعوديين[٤].

ولدينا شهادة على ذلك الأمر من السير هارفرد بريدجز الذي كان موجوداً في العراق ذاك الوقت فذكر: بأنَّ أهل العراق قد هاجموا قافلة من الحجاج الفرس ونهبوها بين الحلَّة[٥] ومشهد

---

(١) انظر: لويس دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م» (ص٢١٣ ـ ٢١٤). ومحمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٤٣).

(٢) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢١٦).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٧).

(٤) انظر: أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية» (٦٢/١).

(٥) الحلَّة: مدينة تقع على ضفَّتي نهر (الفرات) على بعد ٣٠ ميلاً أسفل (المسيَّب). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٨٩٩/٢).

علي[١].

وفي شهادة المستشرق بوركهارت المعاصر لتلك الحوادث تفصيلٌ قال فيه: «**لم يلبث السلام بين الطرفين أنْ تحطَّمَ، فقد هاجم عرب تابعون لحكومة بغداد التركية قافلة حجاج فارسيين معها حرس وهَّابي بين الحلَّة والمشهد**»[٢].

وهو عين الأمر الذي وكَّدته الوثائق البريطانية التي جمعها لوريمر، فذكرت وثائقه: بأنَّ والي بغداد وأتباعه هم من نقضوا معاهدة الصلح بينهم وبين أهل الدولة السعودية الأولى، حين قام بعض الأعراب التابعين لباشوية بغداد العثمانية «بمهاجمة قافلة للحجاج الإيرانيين يحرسها الوهابيون في المنطقة الواقعة بين الحِلَّة والنجف ونهبوها»[٣].

وظاهرٌ أنَّه كان مع قوافل الحجّ تلك بعض من تجار الدولة السعودية يذهبون للمسابلة[٤] في العراق أثناء مرافقة قوافل الحجاج المنضوية تحت حماية ابن سعود، وهو ما شهد به المؤرخ والبحَّاثة

---

(١) انظر: السير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٩٧). أمَّا (مشهد علي) فيقع في (النجف). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (١٧٢٢/٥).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨٤).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨٣/٣).

(٤) المسابلة: هي تجارة العرب، وكانت تعني قدوم التجَّار الرُّحَّل لمدينةٍ ما وبيعهم ما معهم من بضاعةٍ وشراء عِوَضاً عنها. انظر: حمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة» (٧٥٣/٢).

العراقي عباس العزاوي حين قال: «وفي هذه الأثناء [١٢١٤هـ/نهاية ١٧٩٩م وبداية ١٨٠٠م] وردت حَذْرَة من الوهابية سابلة، فصادفها الخزاعل فقتلوا منها نحو ثلاثمئة رجل؛ جاء الخزاعل إلى النجف للزيارة فحدثت الواقعة، على خلاف الشروط المعطاة إلى سعود بن عبدالعزيز السعود، وكانت السبب في الوقائع الأخيرة»(١).

وهو عين ما علَّله مِنْ قَبْل قنصل فرنسا في حلب حين أرسل تقريره لحكومته الفرنسية عن الحادثة قائلاً: «**في بداية عام ١٨٠٠م قَدِمَت إلى مشهد علي بغرض التجارة قافلةٌ من الوهابيين مؤلَّفَة من مئتي شخص، نشب بينهم وبين جماعة من قبيلة الخزاعل كانت تزور مشهد علي عراك قُتِلَ فيه أربعون وهَّابياً، فطلب عبدالعزيز [بن محمَّد بن سعود] أن يُسَلِّمه والي بغداد الفاعلين، فلم يستَجِب الوالي لطلبه، حينئذٍ بيَّتَ عبدالعزيز في نفسه الثأر لهؤلاء القتلى بمهاجمة مشهد الحسين بكربلاء**»(٢).

وهو ذات التعليل الذي أتى به الأمير شكيب أرسلان حين ذكر أن سبب حرب السعوديين على كربلاء «**هو تعدِّي قبيلة الخزاعل الشيعية على قافلةٍ وهَّابية**»(٣).

وكان الضابط الفرنسي جان ريمون قد وصف تلك الجريمة التي

---

(١) عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٣٨/٦).

(٢) لويس ألكسندر دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م» (ص٢١٣ ـ ٢١٤).

(٣) شكيب أرسلان في تعليقاته على «حاضر العالم الإسلامي» (١٦٣/٤) من تأليف: لوثورب ستودارد.

ارتكبت في حقِّ السعوديين بأنها جريمة غير إنسانية[١].

فمن تلك الشهادات السابقة تعلم **أنَّ الخيانة للعهد ونقض الصلح والاعتداء وقع من جانب الوالي العثماني ببغداد وأتباعه على جماعات من السعوديين كانت تحرس قافلة من الحجاج الإيرانيين كانوا في طريق عودتهم إلى أوطانهم يرافقهم تجار من نجد للمسابلة في العراق**[٢].

هذا وقد اعتبر آل سعود أنَّ ما جرى من تلك الجريمة هو في عداد الخرق الصريح للصلح المعقود بينهم وبين الوالي العثماني في العراق، وهو بمثابة التحدي المكشوف المستوجب للعقاب، من هنا لا نستغرب حينما صرَّح الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد في رسالته لعلي الكيخيا يَتَّهِمُ فيها سليمان باشا بأنَّه صاحب وعود كاذبة بل من أكذب الكذب[٣].

من تلك الشرارة اشتعلت نار غزوة السعوديين على كربلاء.

---

(١) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٨).

(٢) على أنَّ المؤرِّخ التركي رسول الكركوكلي في كتابه «دوحة الوزراء» (٢١١)؛ يناقض ما حقَّ من وقائع تاريخ تلك الأيام ويدّعي: بأنَّ (الوهابيين) هم من اعتدوا على الخزاعل، إلا أنَّ الدليل التاريخي يعوزه، وشهادة من عاين الحدث تخالفه، أضف إلى ذلك أن الكركوكلي ناقض نفسه حين ذكر بأنَّ الخزاعل كانت تقطع الطريق على الحجاج وعابري السبيل في تلك الأيام التي قُتِلَت فيها سابلة أهل الدولة السعودية. وانظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٤٤).

(٣) انظر رسالة سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ضمن «الدرر السنية» (٩/٢٧٥).

ولا يُلتفت لترَّهات وأكاذيب محسن الأمين حين ذكر[١] حادثة كربلاء باجتزاءٍ لأحداثها وانصرافٍ عن أسبابِها، **فكتابُه مشحونٌ باختلاقاتٍ كاذبةٍ وافتراءاتٍ دافعُها التعصّبُ والحقدُ وطلبُ الشهرة؛ ليذكرَه القرَّاء بأنَّه ردَّ على السيِّد رشيد رضا صاحب مجلة المنار.**

أمَّا عبدالله بن حسن باشا بن فضل باشا[٢] **فإنَّ جُلَّ اعتماده على محسن الأمين وزيني دحلان، فأخذ يقفو آثارهم في نقلِ الكذب وتناقل الافتراءات.**

ولنبدأ الآن ببحث تفاصيلِ تلك الحادثة على حقيقتها بتتبُّعِ شهاداتِ من عاينَ وقوعَها، مرفقٌ معها **دحض ما أحيط بها مِن أكاذيب مَن لا يرجون الأمانة في الكتابة ولا يرقبون الصدق في تدوين الحوادث.**

※ والي بغداد العثماني يحاول مهادنة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود:

كان طبيعياً جداً أن يعتبر الإمام عبدالعزيز أنَّ الاتفاق الذي عُقِدَ بينه وبين الوالي العثماني ببغداد قد خُرِقَ، سيَّما بعد الجريمة البشعة التي ارتكبها أتباع والي بغداد من قبيلة الخزاعل الشيعية في حقِّ السعوديين، لذلك قام الإمام عبدالعزيز من فوره وأرسل احتجاجاً لوالي بغداد وطالبه بدفع الديَّة وإلا نُقِضَ العهد الذي بينهم[٣]،

---

(١) في كتابه «الحصون المنيعة في ردّ ما أورده صاحب المنار في حقّ الشيعة» (ص: ١٦ ـ ١٧).

(٢) في كتابه «صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر» (ص: ١٢٦).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٧ ـ ٦٨). ولويس=

وليتحمَّل بعدها والي بغداد غضبة السعوديين.

أدرك والي بغداد سليمان باشا الكبير خطورة المسألة وما يتبعها من غَضْبَة السعوديين، فترجَّى من جهته المقيم البريطاني في بغداد السير هارفورد جونز ليذهب ويتفاهم مع الإمام عبدالعزيز علَّه يتنازل عن ديَّة قتلى السعوديين، لكنَّ المقيم البريطاني فشل في مهمَّته(١).

ثمَّ ترجَّى والي بغداد الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الشاوي(٢) أن يأتي آل سعود في الدرعية أثناء عودته من أداء فريضة الحجّ، وطلب منه مباحثة الإمام عبدالعزيز وولده سعود حول هذا الموضوع(٣).

ولكن مهمَّة الشاوي فشلت مثلما فشلت من قبله مهمة المقيم البريطاني، وعاد الشاوي إلى العراق وقد امتلأ إعجاباً بآل سعود وتملّكه الاقتناع بدعوة أهل نجد السلفية حتَّى صار من دعاتها، وصار

= ألكسندر دو كورانسيه «تاريخ الوهابيين» (٢١٤). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢١٣).

(١) انظر: جون ب. كيلي «بريطانيا والخليج» (١/١٥٨).

(٢) عبدالعزيز بِكْ الشاوي: ابن عبدالله بِكْ ابن شاوي الحميري من أمراء بادية العراق. وقد قتله علي الكيخيا خَنْقاً لمَّا رآه يميل إلى آل سعود وأنَّه اعتنق العقيدة السلفية. انظر أخباره عند: عثمان بن سند «مطالع السعود» (١٩) (٣٢٨ ـ ٣٢٩) (٣٤٧) (٣٤٩ ـ ٣٥١). وأمين الحلواني «مختصر طالع السعود» (١٣٦ ـ ١٣٧) (١٤٥ ـ ١٤٦). وانظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٦/٢٤٢).

(٣) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٧ ـ ٦٨). ورسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢١٣).

بشّر بعقيدة السلف في العراق، وتابعه في بغداد خلقٌ كثير[١].

يقول **المؤرِّخ العراقي عبَّاس العزاوي** (ت: ١٣٩١هـ/١٩٧١م): «وكان الأستاذ عبدالعزيز بِكْ ابن عبدالله بِكْ الشاوي ذهب إلى نجد للحجِّ والمفاوضة مع آل سعود، فاقتنع [الشاوي] بمذهبهم[٢] وحَمَلَهُ إلى العراق فصار داعيتهم، فلم يكتفِ بالمظاهر والظواهر، وإنَّما خالط القوم حتَّى بلغ من المعرفة الصحيحة مبلغها، فاختار أن تكون عقيدته»[٣].

فلمَّا رأى ذلك **المؤرِّخ عثمان بن سند الوائلي البصري**، وهو الحاقد على دعوة الشيخ والحانق على دولة آل سعود، قال: «لمَّا أرسله سليمان [باشا الكبير] إلى الوهابية، عَنَّ له من اعتقادهم ما عَنَّ، وظنَّ أنه الحقّ ولبِئْس ما ظنَّ، فلمَّا عَرَفَ ميله إلى هذا المذهب[٤] ناسٌ أظهروه في المحافل[٥]، واحتجُّوا لِصِحَتِّهِ بالكتاب والسُّنَّة والإجماع والقياس، وصاروا في ذلك أشدّ من أهل التعارض»[٦].

---

(١) انظر: عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٥٧/٦). وعبدالعزيز نوَّار «داوود باشا والي العراق» (٣٩).

(٢) يقصد: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد سبق (في بداية هذا الفصل) أن انتقدنا وصف العزَّاوي لدعوة الشيخ بأنَّها مذهباً. وما انتقدناه على العزَّاوي هناك، ينسحب على ما أورده هنا.

(٣) عبَّاس العزَّاوي «ذكرى أبي الثناء الألوسي» (٣٧).

(٤) يقصد ميل عبدالعزيز الشاوي للعقيدة السلفية.

(٥) أشهرهم قبيلة العُبيد جماعة الشاوي. وانظر ما أوردناه عن قبيلة العبيد أوَّل هذا الفصل.

(٦) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٤٩).

وقال ابن سند أيضاً: إنَّ الشاوي «لمَّا شرب من مائهم[١] وجلس بين دعاتهم وعلمائهم، مازجه من بِدعتهم شُبْهةٌ ونزعة جَذَبَ إليها شَبَهُه، فألَّف له بعضهم كتاباً ألبسه من الشبهات جلباباً، وسَرَت تلك الشبهة إلى علماء وأعوام[٢] وهلك بها خاصٌ وعام»[٣].

وقد ردَّ **المؤرخ والبحاثة العراقي عباس العزاوي على ابن سند** فقال: «**وصاحب المطالع** [عثمان بن سند] **متحاملٌ على آل سعود، فلا يؤَمَّل أن يكون محايداً**»[٤].

كما انتقد **العزَّاوي** وصف ابن سند للشاوي، حيث يقول: «وفي عبارته هذه تحامل»[٥].

وقال **العزَّاوي** في موضع آخر: «**وابن سند كان له عداءٌ مع الوهابية، وماشى الدولة** [العثمانية] **في إظهار النُفرَةِ**»[٦].

وكان **الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ** قد قال عن ابن سند صاحب «مطالع السعود»: بأنَّه «**اشتُهِرَ بالأشعار الخبيثة، ومدح**

---

(١) يقصد دعوة آل سعود السلفية.

(٢) يقصد: عَوَام.

(٣) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٢٩).

(٤) عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين» (١٣٥/٦).

(٥) المرجع السابق (١٤١/٦).

(٦) المرجع نفسه (١٥٧/٦).

طريقة النقشبندية[1] ووضعها، ومَدح الظَّلَمَة الفُجَّار»[2]، وأنَّه يصرِّح سبِّ وعداوة أهل الدعوة النجدية[3].

الحاصل؛ أنَّ الشاوي وصل إلى بغداد وعرض على واليها عثماني سليمان باشا الكبير مطالب الإمام عبدالعزيز.

ولدينا شاهد عيان يشهد على حُسن المطالب التي تقدَّم بها ابن سعود، وهو الفرنسي جان ريمون في تقريره لحكومته الفرنسية، والذي قال فيه: «على الرغم من أنَّ ما عرضه الشاوي على الباشا كان هو الحقّ بعينه إلا أن الباشا لم يُصْغِ إليه؛ لأنَّه يأبى أن يُنصف عدواً يحتقره[4]، فأثار ذلك التصرف غضَبة الوهابيين، ومُلِئَت قلوبهم برغبةِ

---

(١) لعثمان بن سند كتاب سمَّاه «أصفى الموارد من سلسال أحوال مولانا خالد» في أحوال الصوفي خالد النقشبندي. انظر: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٤٠٨/١). وينبّه الشيخ حمَّاد الأنصاري: بأنَّ النقشبندية من أشدِّ أعداء العقيدة السلفية. انظر: عبدالأول بن حمَّاد الأنصاري «المجموع في ترجمة العلامة المحدِّث الشيخ حمَّاد بن محمَّد الأنصاري» (٦٩١).

(٢) رسالة للشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، تجدها ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٥٢/١١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥٣٤/١١).

(٤) لا تستغرب من احتقار هذا العثماني التركي لابن سعود العربي؛ فإنَّ الأتراك كانوا (والحق أنَّه لا يزال سوادهم الأعظم حتَّى يوم الناس هذا) يحتقرون العرب بدافع عرقيٍّ مقيت، فقد كانوا (من قبل) يسمُّون عرب الحجاز باسم «ديلنجي عرب» أي: العرب الشحاذين، وكانوا يسمُّون عرب مصر بـ«كور فلّاح» أي: الفلّاحون الأجلاف، وإذا سُئِلَ التركي في مصر كم كان عددكم في هذا المجلس؟ قال: ثلاثة ومصري، أو أربعة ومصري، لأنَّ المصري عندهم غير محسوب. ويقول الأتراك أيضاً: «بَسْ عَرَب» أي: العرب القذرين. وإذا قال لك التركي: «عرب» فإنَّه يقصد: الكلب الأسود أو الرقيق الأسود.=

الانتقام لِما تعرَّضوا له من ظلم في هذه القضية، وبدأ عبدالعزيز يعمل على توفير الوسائل اللازمة للَّردّ على الرفض الذي بَدَرَ من سليمان باشا، واختار في [١٧ ذو الحجَّة[١] ١٢١٦هـ] ٢٠ أبريل نيسان ١٨٠٢م لتحقيق ذلك بمهاجمته مشهد الإمام حسين في كربلاء»[٢].

* الجيوش السعودية تتحرك إلى كربلاء:

أصبح الصلح منتقضاً بين الطرفين، وأضحت الدولة السعودية تعلن عدم قبولها الاعتداء الذي جرى عليها أو على أبنائها؛ كما حصل للثلاثمئة سعودي الذين قَتَلَت بعضهم قبيلة الخزاعل العراقية، كما لا يمكن لأهل الدولة السعودية أن ينسوا أنَّ والي بغداد العثماني هو الذي جيَّش على السعوديين حملاته العسكرية الضخمة مستهدفاً إسقاط دولتهم وإفناء أتباع آل سعود ودعوتهم السلفية[٣].

من هنا جيَّشَ السعوديون جيوشهم يريدون الباشوية العثمانية في العراق. وقد اختلف المؤرخون في إحصاء عدد ذلك الجيش؛ حيث بالغ المؤرخ اليمني المعاصر لتلك الحوادث لطف الله جحَّاف (ت:

= انظر: عبدالرحمٰن الكواكبي «أم القرى» ضمن «المجموعة الكاملة لأعمال الكواكبي» (٤٣٠). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٨١). وانظر توكيد ذلك الازدراء ببحث علمي يستقصي جذوره، عند: لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي» (٧٨/٤ ـ ٨٤).

(١) وقيل إنَّه في ذي القعدة ١٢١٦هـ، كما عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٧/١).

(٢) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٦٨).

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢١٧).

١٢٤٣هـ/١٨٢٧م)[١] حين ذكر بأنَّ عدد مقاتلي الحملة ستون ألف مقاتل راجلاً، وألفان وخمسمئة فارسٍ[٢]، في حين بالغ أحد مؤرّخي الفرس بأن جعل عددهم خمسة وعشرين ألفاً[٣].

ومن جهة ثانية قلَّل البعض الآخر من أعدادهم حيث قدَّرهم المؤرخ السياسي البريطاني لوريمر بستة آلاف[٤]، في حين قدَّرهم المفتش الإداري الإنجليزي في العراق المستر ستيفن لونكريك بستمئة هجَّان وأربعمئة فارس[٥]، وقدَّرهم عبدالحسين الأميني باثني عشرة ألفاً[٦]. ومن جهةٍ وسطى تأتينا رواية قد تقترب إلى تقدير معقول، وهي التي أتى بها أندرو كرايتون[٧] وفيلكس مانجان[٨] وحسن بن جمال الريكي[٩] اللذين قدَّروا عدد الجيش السعودي بشكلٍ تقريبي إلى العشرين ألف مقاتل.

---

(١) لطف الله بن أحمد بن لطف الله بن أحمد جحَّاف: مؤرّخ وأديب يماني. انظر ترجمته عند: محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٢/٤ ـ ١١).

(٢) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العين» (٤٩٥).

(٣) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبو طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٦٩).

(٤) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨٣/٣).

(٥) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٦١).

(٦) انظر: عبدالحسين الأميني «شهداء الفضيلة» (٢٩٤).

(٧) في كتابه «تاريخ الوهابيين» (ص ٣٢).

(٨) في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (ص ٣٠٤).

(٩) في كتابه «لمع الشهاب» (ص ١٥٧).

الحاصل؛ أنَّ سعوداً سار بجيوشه من حاضرة نجد وباديتها والجنوب والحجاز وتهامة وغير ذلك **وقصدوا أرض كربلاء ونازل أهل بلد الحسين** (كربلاء)، وذلك في ذي القعدة سنة ١٢١٦هـ/١٨٠٢م، **ومن ظلِّ أحد خانات البلد** [١] تسوَّرَ سعود وجنوده بجذوع النخيل جدران المدينة ودخلوها عنوة[٢] بعد أن أحدثت المدفعية السعودية ثغرة كبيرة في الجدار، فهرب نقيب المدينة والحاكم المدني لها، وساد في المدينة ذعرٌ شامل[٣].

اندفعت الجيوش السعودية تقتل من يعترضهم بالقتال والمناوشة، **ولم يتعرّضوا للنساء والأطفال أو العاجزين والشيوخ[٤]، ثمَّ توجّهت الجنود السعودية إلى هدم ما رأوه مخالفاً للدين ومقيم للشرك والبدعة والخرافة، فهدموا قبة قبر الحسين وأخذوا ما فيها من القرابين المكوَّنة من المال والذهب والحلي والجواهر، وأخذوا ما حول القبة من القرابين التي زيَّنَت القبر من زمرّد وياقوت وجواهر[٥].**

ويذكر أحد المعاصرين للحادثة أنَّ جنود آل سعود لمَّا صبَّحت

---

(١) خانات البلد: الخانات مفردها: خان؛ كلمة فارسية تعني المنزل الذي ينزل فيه المسافرون الغرباء. انظر: إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف» (١٧٤).

(٢) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٢ ـ ٣٣). والمستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٦١).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٥٨٣/٣ ـ ١٥٨٤).

(٤) شهد بذلك: فيلكس مانجان مؤرّخ محمد علي باشا في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٤).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٧/١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٩٨). See also: D. G. Hogarth, Arabia, p. 102.

كربلاء بالغزو هرع أهل المدينة مستقبلين مشهد الحسين ومستدبرين الكعبة ويستغيثون بصاحب القبر ويسألونه هلاك عبدالعزيز وسعود وجنودهما[١].

* الروايات التاريخية التي وصفت حادثة كربلاء؛ عرضاً ونقداً[٢]:

معلوم ومؤكَّد من التحقيق التاريخي أنَّ الجيش السعودي لم يلبث في المدينة إلَّا ساعات قليلات، فقد دخلها ضحوة وخرج منها قرب الظهر متوجِّهاً إلى موطنه في الدرعية دون أن تدركه قوات علي باشا التي أُرْسِلَت لمهاجمته.

هكذا أكَّد المؤرِّخ المصري عبدالرحيم عبدالرحمٰن[٣]. **إلّا أنَّني أنبِّه هنا على أنَّ عبدالرحيم عبدالرحمٰن في كثير من مواضع رسالته تلك ينقل حوادث تلك المعركة معتمداً على عثمان بن سند البصري؛** وابن سند هذا متحامل ومناوئ ومفترٍ على السعوديين، **وعبدالرحيم ينقل عنه دون أن ينتقد رواياته الْبَتَّة!**. ومثله فعل **مصطفى جواد** محقق كتاب «رحلة أبو طالب خان» ولكنَّ هذا المحقّق العراقي متحاملٌ متعصّب ضدَّ السعوديين وضدَّ دعوتهم السلفية؛ **وليس مثله كمثل عبدالرحيم عبدالرحمٰن الذي يحاول أن يُظهر نفسه في رسالته تلك بمظهر المنصف المحايد.**

---

(١) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العين» (٤٩٦).

(٢) أجود من تناول تلك الحادثة بالبحث والتمحيص؛ هو محمد الخضيري في كتابه «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية».

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٢١٧).

والحقُّ أنَّ عبدالرحيم عبدالرحمٰن يترصَّد أقوال الأعداء وآراءهم، ويتَتَبَّعها ثمَّ يحاول تثبيتها في رسالته المذكورة، ثمَّ يأتي من جهةٍ أخرى فيتجنَّب أقوال ابن بشر والسير بريدجز وبوركهارت الذين أنصفوا السعوديين في تلك الواقعة، مع أنَّ عبدالرحيم جعل ابن بشر وبريدجز وبوركهارت من ضمن مصادر رسالته، **ومع هذا انحنى عبدالرحيم عبدالرحمٰن عن شهاداتهم وذهب لافتراءات ابن سند الحاقد على السعوديين ودعوتهم السلفية.**

المقصود؛ **هنا نقطةٌ جديرةٌ بالتنبيه، وهي أنَّ كثيراً من المؤرّخين بالغوا في عدد القتلى**، فقد ورد في بعض الروايات أنَّ عدد القتلى بلغ في ليلةٍ واحدة عشرين ألف شخص[١]، كما ورد في روايةٍ أخرى أنَّ عدد القتلى بلغ ثمانية آلاف[٢]، ويقال إنَّ من قُتِلَ عند ضريح الحسين خمسين شخصاً وفي الصحن خمسمئة[٣]، ومنهم من قال إنَّ القتلى بلغوا أربعة آلاف[٤]، وآخرون قالوا إنَّهم خمسة آلاف[٥]، في حين أنَّ ابن بشر قدَّر عدد القتلى بألفي شخص[٦]، وقدَّرهم رسول حاوي

---

(١) انظر: عبدالحسين الكليدار آل طعمة «بغية النبلاء في تاريخ كربلاء» (٣٤).

(٢) انظر: علي الوردي «لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث» (٢٠٦/١).

(٣) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٦١).

(٤) انظر: لطف الله جحَّاف «درر نحور الحور العين» (٤٩٥).

(٥) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٧٠). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابين» (٨٤). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٣).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٥٨/١).

الكركوكلي بألف شخصٍ فقط[١].

والحقُّ أنَّه من الصعوبة تقدير عدد القتلى في وقتٍ لم يكن عدد الجيش السعودي نفسه معروفاً، والأقرب إلى الحقيقة أنَّ عدد القتلى ليس كبيراً **لكون الحادثة وقعت بينما كان أهل كربلاء يحتفلون بأحد أعيادهم خارجها، ولم يكن فيها إلا بعض الناس**، وهو ما شهد به واحدٌ مِمَّن عاصروا المعاينين للحدث[٢].

على أنَّ غالب من كتب في التاريخ من دون تروي وتحقيق للوقائع يذكرون أنَّ السعوديين ـ الذين يسمّونهم الوهابيين ـ **قتلوا النساء والأطفال والعجائز في كربلاء، وعند التحقيق والتقصي التاريخي يستبين لك بطلان ذلك الافتراء**، ودليل ذلك في التحقيق الآتي:

من الثابت أن صفوف القتلى في الجانب العراقي كانت في فئات الرجال المقاتلين والقادرين على حمل السلاح، **ولم يتعرّض السعوديون إلى النساء والأطفال أو العجائز والشيوخ**، وهو الأمر الذي شهد به المؤرِّخ الفرنسي فيلكس مانجان مؤرِّخ محمد علي باشا[٣].

وشهد به أيضاً القنصل الفرنسي ببغداد لوي روسو (وهو شاهد عيان) **إذ قال عن آل سعود: إنَّهم ذَوُو سياسة وحنكة، وجيوشهم**

---

(١) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء» (٢١٧).

(٢) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٦٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودي الأولى» (٣٠٤).

الوهابية لا تتعرض للنساء والفتيات، فالوهابية تصون شرفهن دائماً[١].

وشهد أندرو كرايتون أنَّ الجيش السعودي لا يتعرَّض لكبار السن والنساء والأطفال[٢].

وهو عين ما وكَّدَهُ مؤرِّخ نجد عثمان بن بشر[٣] حين ذكر أنَّ الإمام سعود وأتباع دولته ودعوته لا يتعرّضون لمن لم يبلغ الحلم أو امرأة أو شيخ كبير.

وبناءً على تلك الحقائق التاريخية قرَّر أحد الكتَّاب: أنَّ السعوديين «في جميع حروبهم لم يقتلوا من الرجال إلا من قاتلهم وأبى قبول الحق، وأمَّا أسر النساء والأطفال فهذا كذبٌ صريح لم يحدث في أيِّ وقعةٍ من الوقعات التي جَرَت بينهم وبين أعدائهم، بل هم يعاملون أولئك وغيرهم ممن لا يقاتل المعاملة الشرعية، لأنهم في كلّ أفعالهم يسيرون على نهج المصطفى ﷺ وخلفائه الراشدين»[٤]، «فلم يُعرف عنهم في جميع مغازيهم أنَّهم سَبَوا النساء أو أقرّوا ذلك ورضوا به»[٥].

---

(١) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique. وانظر: «الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد» (١٣٢).

(٢) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٣).

(٣) في كتابه «عنوان المجد» (١/٣٤٧).

(٤) محمد أديب غالب «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي» (٩٠ ـ ٩١) في الهامش.

(٥) المرجع السابق (١٤٨) في الهامش.

بل إنَّ السعوديين أصلاً لا يلحقون بالمدبر من أعدائهم في حربهم له ومعاركهم معه، فكيف يقتلون الأطفال والنساء، وهو الأمر الذي شهد به **الجبرتي** في حقِّ السعوديين حين قال: إنَّ الوهابيين لا يذهبون خلف المدبر من أعدائهم في حروبهم ومعاركهم[١].

أقول: مع أنَّ هؤلاء القتلى سقطوا نتيجة الأحداث التي وقعت في كربلاء، إلا أنَّه ثبت أنَّ **هناك من استغلُّوا فرصة الأحداث في كربلاء فأغاروا عليها أثناء وبعد رحيل القوات السعودية، وخصوصاً الأعراب المجاورين لكربلاء وبعض قطَّاع الطرق الذين تزيَّوا بزِيِّ السعوديين حتى لا ينكشف أمرهم**[٢].

وهذا ما شهد به معاصرٌ للحدث روى ما وقع بشهادة من عاين الواقعة، وهو **أبو طالب بن محمد خان**[٣] في رحلته، حيث قال: **«لمَّا خرج الوهابيون عن المدينة استفاد العرب [البدو] المجاورون لكربلاء من الذعر الذي عمَّ تلك النواحي والبلاد، فدخلوا المدينة وانتهبوا جميع ما تركه الوهابيون، وقتلوا أيضاً عدداً كبيراً من**

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/ ٢٢٢).

(٢) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٣) أبو طالب بن حاجِّي محمد بِيكْ خان: أصله تركيّ وأبوه مولودٌ بفارس فهاجر إلى الهند، وهناك وُلِدَ أبو طالب خان، وهاجر للبنغال وعمل بها محصِّلاً للضرائب، وتعامل مع موظَّفي شركة الهند الشرقية البريطانية. تنقَّل بالأسفار في آسيا وأوروبا، وقد كان له صِلَةٌ بالملك جورج الثالث ملك إنجلترا، وصلةٌ بنابليون الأول ملك فرنسا. انظر ترجمته في: مقدِّمَة مُحقِّق الرحلة «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (١٢ ـ ١٧).

السكان، ولبثوا في المدينة نهارين وليلة واحدة»[١].

ويعزِّز هذا الدليل ما ذكره المعاصر لتلك الحوادث وهو **الرحالة الإنجليزي فريزر** الذي كان موجوداً في العراق، فقال: «إنَّ جميع العتبات التي كانت لها قدسية خاصة قد جُعِلَت ملاذاً لشرار الناس في المجتمع وأكثرهم تفاهة، ومن المحتمل أن يكون هذا قد نشأ عن طبيعة الحماية التي تقدمها هذه الأماكن للناس من دون تفريق بينهم، ولأنَّ هذه الحماية يستغلها بالدرجة الأولى أسوأ الخارجين على القانون من الناس بطبيعة الحال.

وهكذا يتجمَّع أصحاب السوء، وقد يدفعون الكثير من المال من أجل الحصول على الحماية، حتى يكون في مقدورهم الهيمنة عليها كما هي الحال في محلَّة الشيخ عبدالقادر ببغداد[٢] نفسها، وقد حصل مثل هذا الوضع كذلك في النجف وكربلاء معاً، ولكن بمقياس أوسع وحالة أسوأ بكثير؛ إذ ازداد عدد المتمردين والمتجمِّعين هناك بحيث لم يعد من الممكن لحاكم المنطقة ولا لسلطة الباشا أن تسيطر عليهم.

وهؤلاء لا يفعلون ما يريدون فحسب، بل كانوا أيضاً يطلبون من الزوَّار الذين يأتون لزيارة العتبات المقدسة أن يذعنوا لأوحش الطلبات وأبعدها عن المألوف والمعقول، وفي حالة عدم الانصياع كانوا ينهبون أمتعتهم ويجرِّدونهم حتى من ألبستهم، كما يسلبونهم زوجاتهم وبناتهم في بعض الأحايين»[٣].

---

(١) أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا» (٢٧٠).

(٢) هي المحلَّة التي فيها ضريح عبدالقادر الجيلاني في (بغداد). انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٢٤٨/١ ـ ٢٤٩).

(٣) جيمس بيلي فريزر «رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤م» (١٧٥).

ويقول المؤرِّخ العراقي **جعفر الخياط**: إنَّ كربلاء «كانت ـ بمقتضى مركزها هذا ـ كثيراً ما تكون ملاذاً للشُّقَاةِ والهاربين ومَلْجأً للعُصاةِ والخارجين على قوانين الحكومة، وقد ظَلَّت في وضعها هذا رَدحاً طويلاً من الزمن حتى استفحل أمرها واستعصت على الولاة العثمانيين. وقد أدَّى ضعف الحكومة تجاهها وسوء تصرفاتها في معالجة شؤون البلاد وأحوالها أَنْ تَكَوَّنَت فيها عصابات اليرماز[1] القوية التي تتألَّف أكثريتها من الشقاة والخارجين على النظام أو الهاربين من التعقيبات الحكومية في جهات البلاد الأخرى.

وقد بلغ بعصابات اليرماز هذه أنَّها صارت تعتدي حتى على أهالي كربلاء أنفسهم، صغيرهم وكبيرهم، فقيههم وتاجرهم، وأخذت تبتزّ الأموال وتصادر الأملاك لمصلحة رؤسائها، وتعتدي على الأعراض فتنتهك الحُرُمات من دون أن يمنعها مانع أو يزعها وازع؛ فقد تَجَرَّؤُوا في يوم من الأيام على السيِّد إبراهيم القزويني[2] وهاجموا داره في الليل فاختطفوه، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن أدَّى لهم مبلغاً كبيراً من المال يناهز الأربعة آلاف قران إيراني.

وتجاوز شَرُّها حتى وصل إلى اضطهاد الزوَّار الإيرانيين وابتزاز الأموال منهم أو الاعتداء على حرماتهم، فقد حدث في أيام داوود

---

(١) اليرماز: كلمة تركية تعني السفيه الذي لا يصلح لشيء. انظر: جعفر الخيَّاط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة» (٣٠٥).

(٢) إبراهيم بن محمد بن باقر الموسوي القزويني. إماميٌّ من أهل (قزوين) ووفاته في (كربلاء) سنة ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٨م. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» ١/٧٠.

باشا [ت: ١٢٦٧هـ/١٨٥١م][(١)] أن اعتدت عصابة من عصابات اليرماز هذه على بنت من بنات شاهزادات الأسرة القاجارية المالكة، فاختطفتها من موكبها الخاص المتوجِّه إلى الزيارة وحاولت التعرُّض بها، وتطوَّر أمرها فوصل حدّ التوتر ما بين الدولتين، فاضطُرَّت حكومة داوود باشا إلى تجريد قوةٍ خاصة للاقتصاص من العصاة المعتدين وإرجاع الأمور إلى نصابها بعد أن تحدّوا إنذارها لهم ومطالبتهم بتسليم الفاعلين المجرمين الذين بلغ مجموع أتباعهم عشرة آلاف مقاتل»[(٢)].

وبناءً على هذا الوضع الذي كانت تعيشه كربلاء، فليس هناك أدنى شك في أنَّ جماعة من المتمردين وجماعة من الأعراب وعصابات اليرماز استغلُّوا فرصة هجوم السعوديين على قبائل الخزاعل وعلى بلدة كربلاء ليأخذوا بعض ما وجدوه في القبَّة الحسينية من الأموال والجواهر، وهم يتحملون بلا شك وزر عدد كبير من القتلى، خصوصاً إذا عرفنا أنَّ هؤلاء العصابات وقطَّاع الطرق مكثوا في كربلاء يومين وليلة[(٣)]، بينما لم يمكث الجيش السعودي فيها إلا بضع ساعات ثم غادرها.

---

(١) داوود باشا: والي بغداد ذاك الوقت. مسيحيٌّ من (بلاد الكُرج). لمَّا صار عمره إحدى عشر سنة اختطفه بعض النخَّاسين إلى (بغداد)، وتنقل من يد سيِّدٍ إلى سيدٍ آخر، حتى اشتراه سليمان باشا والي بغداد، وقيل إنَّه أسلم على يديه، ثم تولّى ولاية (بغداد) سنة ١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م. انظر ترجمته عند: عبدالرزاق البيطار في «حلية البشر» (٥٩٧/١ ـ ٦٠٧). ويوسف عز الدين «داوود باشا ونهاية المماليك في العراق» (ص ٢٣ وما بعدها).

(٢) جعفر الخياط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة» (٣٠١ ـ ٣٠٦).

(٣) انظر: أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا» (٢٧٠). ومحمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٥٨).

وهذه حقيقة شهد بها المؤرخون المعاصرون للحدث؛ فهذا **المؤرّخ لطف الله جحّاف**[١] **يقدّر تواجد السعوديين في تلك الموقعة من الصبح إلى قبل صلاة العصر.**

وهذا **الرحّالة أبو طالب بن محمد خان** يقول إنَّ السعوديين: **«انصرفوا من تلقاء أنفسهم في أفول الشمس»**[٢].

وهذا **المؤرّخ التركي رسول حاوي الكركوكلي** يقول: إنَّ الوهابيين قد خرجوا من كربلاء قبيل العصر نحو الأخيضر[٣].

وهذا **المؤرّخ الفرنسي فيلكس مانجان** يقدِّر وجود السعوديين وقت وقعة كربلاء بثماني ساعات فقط[٤].

كما شهد بتلك الحقيقة أيضاً شهود العيان؛ فهذا **جان ريمون** قدَّر تواجد الجيش السعودي في وقعة كربلاء بخمس ساعات فقط[٥].

وهذا **المؤرّخ عثمان بن بشر** يقول: «لم يلبثوا فيها إلا ضحوة وخرجوا منها قرب الظهر»[٦].

وهاهم المؤرخون الذين جاؤوا من بعدهم يشهدون بما شهد به

---

(١) في كتابه «درر نحور الحور العين» (٤٩٦).

(٢) أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوربا» (٢٦٩).

(٣) انظر: رسول الكركوكلي «دوحة لوزراء» (٢١٧).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٠٦).

(٥) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٧١).

(٦) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٥٨).

من سبق ذكرهم؛ فهذا البريطاني لوريمر يقدِّر وجود الجيش السعودي في كربلاء بثماني ساعات فقط[١]. والمؤرّخ الشيعي عبدالحسين الأميني النجفي قدَّر وجودهم بستِّ ساعات[٢].

أمرٌ آخرٌ مهم؛ وهو أنَّ الحملة التي قام بها الأمير سعود والتي وقعت خلالها بعض الأحداث ـ خاصةً في كربلاء ـ لا تتعدَّى كونها حملةً من جملةِ الحملات المتبادلة بين القوات السعودية وقوات والي بغداد العثماني، ولكن باعتبار أنَّ هذه الحملة وصلت كربلاء التي لها مكانة خاصة لدى الشيعة، وأنَّ هذه الحملة استهدفت مكاناً عزيزاً على نفوسهم وهو مشهد الحسين، فقد عظّموا الأمور مستغلين الدعاية السيِّئة التي أخذت الدولة العثمانية تنشرها ضدّ الدولة السعودية الأولى، وأخذوا يؤلِّفون الكتب المستفيضة عن أحداث كربلاء.

فهذا أبو طالب خان يشهد قائلاً: «**وهذا الحادث**[٣] **على حداثته، فلا يتكلَّم الناس على غيره ولا يتحدَّثون بما سواه من الحوادث**»[٤].

وقد تطوّر هذا الأمر على مرِّ السنين، وأخذ المؤرخون يعتمدون على تلك الكتابات المهوِّلة غير الدقيقة، دون الإلمام بالأحداث عن كثب أو حتى محاولة معرفة الحقيقة.

---

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخيج/ القسم التاريخي» (١٥٨٤/٣).

(٢) انظر: عبدالحسين الأميني النجفي «شهداء الفضيلة» (٢٩٤).

(٣) يقصد: حادث الحملة السعودية على كربلاء.

(٤) أبو طالب بن محمد خان «رحلة أبي طالب خان إلى العراق وأوروبا» (٢٧٠).

فهذا المؤرِّخ عبدالله بن صالح المطوَّع (ت: ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) يؤكِّد وهو يتحدَّث عن حادثة كربلاء قائلاً: «فأحدث ذلك ضجَّةً في العالم، دَوَّى لها الأُفُق؛ لأنَّ الناس أعداءٌ لما جهلوا، وقد اتَّخذَ الأعداء من هذه الحادثة قميص عثمان، وأخذوا يلوِّحون به للجُهَّالِ ظاهراً وباطناً، ويحاولون به الوصول إلى غرضهم من كسب الحطام وجمع الآثام»[١].

والحقُّ؛ إنَّ الحملة التي قامت بها القوات السعودية في كربلاء لم تكن الأولى وليست الأخيرة، فقد سبقتها ولحقتها حوادث وقعت في هذه المدينة على يد جهاتٍ أخرى أشدّ وأعنف بكثير مما وقع فيها إبَّان الحملة السعودية[٢]، فقد ذكر المؤرِّخون أن الخليفة العباسي المتوكّل[٣] أمر في عام ٢٣٦هـ/٨٥٠م بهدم قبر الحسين وهدم ما حوله من المنازل والدور وأن يُبْذَر ويُسْقى موضع قبره وأن يُمنع الناس من إتيانه، فنادى عامل صاحب الشرطة بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه، فهرب الناس وتركوا زيارته، وحُرِثَ وزُرِعَ[٤].

أمَّا المرَّة الثانية فهي في سنة ٣٦٩هـ/٩٨٠م حين أغار ضبَّة بن

---

(١) عبدالله بن صالح المطوَّع «عقود الجُمان» (٦٩).

(٢) انظر: محمد الخضيري «الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية» (٢٦٢).

(٣) انظر ترجمته عند: جلال الدين السيوطي «تاريخ الخلفاء» (٣٢٠).

(٤) انظر: عز الدين ابن الأثير «الكامل في التاريخ» (٩٨٣). وإسماعيل ابن كثير «البداية والنهاية» (٣٤٦/١٤). وعبدالحسين الكليدار آل طعمة «بغية النبلاء في تاريخ كربلاء» (١٦ ـ ١٧).

محمد الأسدي (وهو لصٌّ قاطع طريق)[١] على كربلاء واخترق المشهد ونهب ما وجد فيه[٢].

وكانت المرة الثالثة في سنة ٤٨٩هـ/١٠٩٦م حين أغارت خفاجة[٣] على كربلاء ودخلوا المشهد الحسيني وتظاهروا فيه بالفساد والمنكر وقتلوا منهم خلقاً كثيراً في المشهد عند الضريح[٤].

أمَّا المرَّة الرابعة التي هوجمت فيها كربلاء وخُرِّبَت؛ فكانت على يد السيِّد علي بن محمد بن فلاح المشَعشَعي (ت: ٨٦٣هـ/١٤٥٩م)[٥] الذي قتل زوَّار النجف ونهب أموالهم سنة

(١) قال ابن الأثير في «الكامل» (ص: ١٢٧٥): «ضبَّة بن محمد الأسدي: وهو من أهل عين التمر، وهو الذي هجاه المتنبي». ثم ذكر تخويفه للناس وقطعه الطريق عليهم.

(٢) انظر: عز الدين بن الأثير «الكامل» (١٢٩١ ـ ١٢٩٢). وعبدالحسين الكليدار «بغية النبلاء» (٢٣ ـ ٢٤).

(٣) خفاجة: يرجعون إلى خفاجة بن عُقَيْل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. وهم من قبائل العراق. انظر: ابن سعيد الأندلسي «نشوة الطرب» (٥٠٤). وشهاب الدين ابن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار» (١٤٨ ـ ١٤٩).

(٤) عز الدين بن الأثير «الكامل» (١٥٢٨). وإسماعيل ابن كثير «البداية والنهاية» ١٥٧/١٦). وعبدالحسين الكليدار «بغية النبلاء» (٢٤).

(٥) هو علي بن محمد بن فلاح بن هبة الله؛ من سلالة موسى الكاظم؛ من أمراء دولة المشَعشَعين في (الأهواز) و(الحويزة)، يلقِّبه شمس الدين السخاوي بـ«الخارجي الشعشاع»، ويدعوه غيره بـ«المولى علي». ادَّعى الألوهية، وأغار على مشاهد يقدسونها في العراق فنهبها، واعترض الحجَّاج سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م فأخذ المحمل ونهب الأموال والدَّواب والجمال، واستمرَّ في إلحاده وظلمه إلى أن أصابه سهمٌ من بعض الأتراك في (بهبهان) بالقرب من (جبل=

٨٥٨هـ/١٤٥٤م، وهاجم المشاهد الموجودة في العراق وأغار عليها ونهب ما فيها وأبدى قسوة شائنة في الروضات، كما نهب المشهدين اللذين يلقيان تقديساً خاصاً عند الشيعة وقتل أهلهما قتلاً ذريعاً وأسر من بقي منهم[(١)].

هذا عن الأحداث التي وقعت في هذه البلاد قبل عهد الدولة السعودية الأولى، أمَّا الأحداث التي شهدتها كربلاء بعد عهد الدولة السعودية الأولى فهي أعنف وأشنع، فقد شهدت هذه البلدة أحداثاً في عهد السلطان العثماني عبدالمجيد في شهر ذي الحجة ١٢٨٥هـ/مارس ١٨٦٩م، أي بعد حوالي نصف قرنٍ من الحملة السعودية على كربلاء، وذلك في فترة ولاية نجيب باشا على بغداد، «الذي أمر بالشيء السيِّئ مع أهل ذلك المشهد المقدَّس، وقد قُتِلَ في هذه المَرَّة جمعٌ كثيرٌ من العلماء والسادات وغير أولي التقصير من المجاورين والزوَّار.

وحكى من شهد الواقعة أنَّه لمَّا قفل العسكر أحصينا القتلى وسألنا الحفَّارين وتحققنا ذلك فكان ما يزيد على عشرين ألفاً من رجلٍ وامرأة وصبي، وكان يوضع في القبر الأربعة والخمسة إلى العشرة فيُهال عليهم التراب بلا غُسْل ولا كفن، وتفقدنا القتلى منهم كثيراً في الدور والآبار ووجدنا بالسرداب الذي تحت رواق العباس من القتلى أكثر من ثلاثمئة»[(٢)].

= كيلويه) فمات. انظر ترجمته عند: شمس الدين السخاوي «الضوء اللامع» (٧/٦). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٥/٩).

(١) انظر: يوسف ابن تغري بردي «حوادث الدهور» (٥٦٧ ـ ٥٦٨). وعبدالحسين الأميني النجفي «شهداء الفضيلة» (٣١١ ـ ٣١٢).

(٢) عبدالحسين الأميني «شهداء الفضيلة» (٣١٢ ـ ٣١٣).

ويقول جعفر الخياط أنَّ نجيب باشا جرَّد على كربلاء «جيشاً عرمرماً مزوَّداً بأحسن المدافع والعُدد، وحاصرها لمدة خمسة وعشرين يوماً، وضيَّق عليها الحصار حتى رُزِءَ به اليرماز العصاة والأهالي الأبرياء الذين وقعوا بين نارين.

وقد اتصل الآهلون بنجيب باشا خلال هذه المدة طالبين الاستسلام ومقدمين الطاعة والخضوع، لكنَّه لم يلتفت إليهم ولم يقبل خضوعهم، فاتفقت جميع الفئات على مقاومة الباشا والاستبسال بالذبِّ عن البلدة، فسلَّط الباشا التركي نيران مدفعيته على البلدة وسورها، وعلى الأخصِّ من جهة باب النجف حتى أحدثت ثغرة واسعة فيه، وعند ذلك تدفقت من هذه الثلمة جموع المدافعين إلى الخارج والتحمت مع الجيش التركي المهاجم بمعركة حامية الوطيس، ولم تنته المعركة إلا بعد أيام عدَّة حين تغلبت قوات الأتراك النظامية ودخلت البلدة.

فالتجأ قسم من الناس والمقاتلين إلى صحن الإمام العباس، غير أنَّ القوات التركية تَتَبَّعَتْهُم إلى هناك ولم تَتَوَرَّع عن قتل المئات من اللائذين بالمرقد بكل وحشية وقسوة، مع أنَّها أَمَّنَتْهُم، ثمَّ دخل نجيب باشا إلى مكانهم المقدس وهو يمتطي صهوة جواده إمعاناً في التشفِّي والإذلال، ثمَّ أُبِيحَت المدينة إلى الجند والقوات المهاجمة ومن كان يتبعها من العشائر الموالية للحكومة مدة يوم كامل، فنُهِبَت البيوت والمخازن وارتكبت الموبقات بكلِّ وحشية ودناءة»[1].

* حادثة اغتيال الإمام عبدالعزيز:

كان من نتائج غزوة سعود بن عبدالعزيز على كربلاء أن ازداد الخوف والقلق من الهجمات السعودية في مناطق العراق؛ خاصة القريبة من الحدود، وهبطت سمعة سليمان باشا الذي اتضح أنه غير قادر على حماية التواجد العثماني في العراق؛ ناهيك عن إضعاف الدولة السعودية أو القضاء عليها في موطنها.

ولقد شاء الله أن يُتَوَفَّى سليمان باشا بعد حادثة كربلاء بقليل، فتولَّى باشوية بغداد كيخياه السابق عليّ باشا[١] الذي كان قائداً للحملة العراقية ضد الأحساء كما سبق ذِكْره.

المقصود؛ أنَّه في العشر الأواخر من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ/نوفمبر ١٨٠٣م اغتيل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في مسجد الطُّرَيف المعروف في الدرعية[٢]، وهو ساجدٌ أثناء صلاة العصر؛ مضى عليه رجلٌ قيل إنَّه كردي من أهل العمادية بلد الأكراد[٣] اسمه عثمان[٤].

---

(١) انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٣٥). ورسول حادي الكروكلي «دوحة الوزراء» (٢١٧).

(٢) الطريف: الحيُّ الأول في العاصمة الأولى (الدرعية)، ومقرّ الحكام من آل سعود، وبه قصورهم ومساجدهم وحصونهم. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١١٣/٢).

(٣) العمادية: قلعةٌ حصينة في شمالي (الموصل)، عَمرَها عماد الدين زنكي في سنة ٥٣٧هـ/ ١١٣٤م. انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣٤٨/٣). وانظر أيضاً: ما كتبه عنها عبَّاس العزَّاوي في كتابه «عشائر العراق» (١٩١/٢).

(٤) Records of the Hajj, vol,2. P,737. وانظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٨٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٦٤/١).

وقيل إنَّه ملّا أفغاني كان يقيم ببغداد وقُتِلَ أهله في كربلاء[١]. وقيل إنَّه كان فارسياً متطرِّفاً أرسله ملك الفرس ليقتل الإمام عبدالعزيز[٢]. وقيل إنَّه عراقيٌّ من أهل كربلاء[٣].

الحاصل؛ أنَّ هذا المجرم مهما كان أصله وعِرقه، فإنَّه قابل علي باشا حاكم العراق، وأطلعه على ما خطَّط للقيام به، فشجَّعَهُ ذلك الحاكم وحرَّضَهُ[٤] على قتل الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود غدراً[٥].

(١) انظر: المستر ستيفن لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» (٢٧٦).

(٢) Records of the Hajj, vol,2. P,732. P,753.. وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١٠).

(٣) Records of the Hajj, vol,2. P,732.. وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٨).

(٤) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique. وانظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٨٥).

(٥) الاغتيال غدراً من طبائع ولاة وقادة الترك العثمانيين وسلاطينهم، وقد فعلوها من قبل في القرن العاشر الهجري يومَ عَجِزَ السلطان العثماني سليمان القانوني عن إخضاع سلطان المغرب الأقصى السلطان أبي عبدالله محمد الشيخ المهدي، فأرسل له من ينسلّ بين رجالات بلاطه وعساكره ليقطعوا رأسه ويأتوه به، وقد فعلوا، فاحتزّوا رأسه في غفلةٍ عمَّن يحيط به وانسلّوا هاربين إلى الجزائر، ثمَّ حشوا رأس السلطان المغربي تبناً وأرسلوه إلى السلطان العثماني سليمان القانوني. حتَّى قال عن غدر أولئك الترك شاعر المغرب المعاصر لتلك الحادثة:

لا تأمَنَنْ تُرْكِيَاً فيما يقولُ ولو ... مِنَ العِبادةِ حتَّى طار في السُّحُبِ
إنْ جادَ يوماً؛ فَذَاكَ الجُود مِن غَلَطٍ ... وإنْ تَمَرَّدَ؛ عَنْ أمٍّ لَهُ وأبِ. =

وفي ذلك يقول لوريمر: كانت الشكوك فيما يتعلّق باغتيال الإمام عبدالعزيز كلها تحوم حول باشا بغداد بأنَّه المحرِّض على تلك الجريمة[١].

ويقول السياسي الفرنسي جان ريمون[٢]: أنَّ هذا الباشا أقدم على تلك الفِعلَة بعدما يأس من القضاء على الدولة السعودية الأولى، وهو الأمر الذي كانت تلحّ عليه حكومة الدولة العثمانية وترسل الرسائل المتتالية لهذا الباشا ليسرع في توجيه حملة ضدَّ السعوديين.

ويخبرنا صاحب كتاب «لمع الشهاب» بأمر هذا الاغتيال ودور باشا بغداد فيه، إذ يقول: إنَّ «علي باشا لما وَلِيَ وزارة بغداد بعد سليمان باشا، كان دائم الحقد على آل سعود وعلى كل من هو متمسك بدين محمد بن عبدالوهاب[٣]، فمرَّ علي باشا يوماً على جسر بغداد فقال لبعض ندمائه: لو يحصل عندي من يبذل نفسه ويسير إلى الدرعية فيقتل عبدالعزيز غِيلةً لأعطيته الآن ألفاً ذهباً، وإذا بلغني فعله بموجب ما أريد منه قرَّرتُ لعياله وعيال عياله وظائف من الديوان لا تنقطع أصلاً.

= انظر: محمد الصغير الإفراني «نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي» (٩٣ ـ ٩٤).

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٠٧/٣).

(٢) في تقريره المعنون بـ«التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (١٠٣).

(٣) لم يكن ديناً جديداً كما يحاول صاحب «لمع الشهاب» أن يوحي بذلك، بل دعوة إسلاميَّة سُنيَّة على منهج السلف الصالح، وسيأتي نقض مثل تلك الشبهات في الفصل الثامن.

فلمَّا كان الغد، أتى رجلاً بيده رقعة، فوقف مقابل طارمة الباشا[١] على عادة ما يقف أهل الشكوى، فالتفت علي باشا وقال: إئتوني بما في يد الرجل، فأتوه بالرقعة، وإذا مكتوب فيها: من الفقير الحقير علي إلى جناب وليِّ نعمته الوزير المعظَّم علي باشا، أما بعد، فقد سمعتُ أنَّكَ تريد من يكفيك شرَّ عبدالعزيز النجديَّ بقتله، فهذا انا أفعل بحول الله.

فأمر علي باشا بإحضار الرجل لديه، وقال له: أنتَ علي؟ قال: نعم. فقال: أتُوفِي بما قلتَ؟ قال: نعم. فأمر له بألف ذهباً. وقال: هذه توضع بيد من تأمنه من الناس المعروفين في بغداد، فإذا بلغنا صنعك فهي لك تُعطى لعيالك ولهم أيضاً وظيفة جارية تكفيهم من جميع الوجوه مدَّة بقاء الدولة العثمانية.

فسار الرجل إلى بيته وَوَدَّعَ عياله وأخذ بعض المتاع فأحقبه على ظهره، ثمَّ سار مع القوافل برسم الحاج الفقير المضطَّر حتى وصل إلى البصرة ثمَّ منها إلى الكويت، ومن الكويت سار مع ركب أهل الدرعية»[٢].

ويقول ابن بشر: «أقبل من وطنه لهذا القصد محتسباً حتى وصل الدرعية في صورة درويش وادَّعى أنَّه مهاجر، وأظهر التنسُّك بالطاعة،

(١) طارمة الباشا/ الروشن: قال الجواليقي: «الطارمة: ليس بعربي». وقال المقريزي: «الطارمة: بيت من خشب، وهو دخيل». انظر: أبو منصور الجواليقي «المعرَّب من الكلام الأعجمي» (٢٧٢). وتقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٤٥٧/٢). واللفظ لا يزال إلى اليوم من الدارج على الألسنة في بعض قرى العراق. انظر: إبراهيم السامرائي «المجموع اللفيف» (١٢١).

(٢) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٧٨ ـ ١٨٠) باختصار.

فأكرمه عبدالعزيز وأعطاه وكساه وطلب من يعلِّمَه ممَّن كانوا يعلِّمُون الغريب المهاجر إليهم، وكان المجرم القاتل قَصْدَه غير ذلك، فوثب على الإمام عبدالعزيز من الصفِّ الثالث والناس سجود فطعنه في أبهُرِهِ رَحِمَهُ اللهُ أو في خاصرته أسفل البطن بخنجرٍ كان قد أخفاه وأعدَّه لذلك، وهو قد تأهَّب للموت، فاضطَّرَب أهلُ المسجد وماج بعضهم في بعض، ولم يكونوا يدرون ما الأمر، فانهالوا على المجرم فقتلوه»[١].

وكان الشيخ حسين آل الشيخ الضرير[٢] من ضمن من غسَّل الإمام عبدالعزيز بيده، وصلَّى عليه قبل كلّ أحد، وذلك بوصية من عبدالعزيز عند احتضاره، فإنَّه أوصى بهذا[٣].

وقد فرح المؤرّخ العراقي عثمان بن سند البصري عدو الدولة السعودية ودعوتها السلفية، وطار مبتهجاً فقال: «**لا قَطَعَ الله يَدَ من قَتَلَه ولا أشَلَّها**»[٤].

يقول الريكي: «وبعد شهر كامل بلغ الخبر إلى بغداد، وسمع به علي باشا فَسُرَّ غاية السرور، فحقَّق ذلك الخبر، وقد عرف أنَّ قاتله هو الحاج علي البغدادي، فأرسل الباشا حينئذٍ خلف أولاده، وكانوا ثلاثة من الذكور وأربعة من الإناث، فأكرمهم، وأمر بدفع الألف

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٦٤) باختصار وتصرف يسير.

(٢) هو حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر عنه: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٢٧٥) (٢٨١ ـ ٢٨٢).

(٣) انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٢٧٥).

(٤) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٥٦).

الذهب التي عيَّنها أولاً لأبيهم، ثمَّ جرى لهم كلَّ شهر كذا من الدراهم»[١].

وفي السنة التي اغتيل فيها الإمام عبدالعزيز تولَّى الإمام سعود الحكم بعد أبيه، «وأوَّل ما فعله أنَّه أرسل في عام ١٢١٨هـ/١٨٠٣م قوة كبيرة من رجال المردوفة[٢] إلى أنحاء مشهد علي في النجف، ليُظهر لباشا بغداد أنَّه إنْ كان يَظُنّ أنَّه استطاع التخلّص بجريمته من عبدالعزيز، فإنَّ عبدالعزيز ما يزال يعيش في شخص ولده سعود»[٣].

* تولّي سعود بن عبدالعزيز الحكم وانتقامه لوالده:

تولَّى سعود الحكم بعد أبيه وبيعة الناس له، فتتابعت الهجمات الكثيرة والمتتالية المشدَّدَة من قِبَل **الإمام سعود** على العراق انتقاماً لغدر والي العراق التركي العثماني بوالده عبدالعزيز[٤]، ومن ذلك أنَّه توجَّهَ بقواتٍ كبيرة إلى العراق، فغزا البصرة[٥] وهدم قصر الدريهمية

(١) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٨١) باختصار.

(٢) المردوفة: فريق من جيش ابن سعود مكوَّن من أربعة عشر ألف رجل تردفهم سبعة آلاف من الإبل. هكذا فسَّرها جان ريمون في تقريره لحكومته الفرنسية المسمَّى «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (ص٦٩). وقريب منه عند: ابن مانع، فَسَّرها: بالهجن التي تحمل رجلين. انظر: عبدالرحمٰن المانع في كتابه «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (٢٧١).

(٣) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٨٩).

(٤) انظر: علي دخيل الله الحازمي «الدولة السعودية الأولى في غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٤٤).

(٥) انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٥٦).

مشرب أهل الزبير، وقتل من كان هناك[١] دون أن تعلم به عساكر الحكومة العثمانية في العراق.

ذلك أنَّ سعود ـ وهذا من دهائه وسياسته ـ سار من الدرعية واستلحق جميع رعاياه من البادي والحاضر وقصد ناحية الشمال حتى نزل على القرية المعروفة بالتنومة عند القصيم، فعيَّد فيها عيد النحر، ثمَّ أرخص لغزوان عربان الشمال وذكر لهم أنَّه يريد الرجوع والقفول إلى وطنه، وكان قصده بذلك أن يُخبروا أهل البصرة والزبير ومن في جهتهم إذا رجعوا إليهم أنَّه قَفَل، حتى يَبْغتهم من حيث لا يعلمون، وكانت عادته إذا أراد غزو الشمال قَصَدَ جهة الجنوب أو الشرق أو الغرب ثم رجع لما يريد وبالعكس، وإذا كان يريد جهة من تلك الجهات وَرَّى بغيرها، فلمَّا رحل عنه غزوان بوادي الشمال من التنومة، رحل منها وقَصَدَ جهة الدرعية فسار نحو يوم أو يومين، فوصل تلك البوادي أوطانهم وأخبروا من في جهتهم بقفولِهِ[٢].

وهذه حقيقة شهد بها الضابط الفرنسي جان ريمون في تقريره الذي بعثه من بغداد لحكومته الفرنسية، حيث قال: «**كانوا**[٣] **يهاجمون أماكن متعدِّدَة في وقتٍ واحد، وكان هجومهم المفاجئ يشلَ الأذهان**»[٤].

وهو ذات الأمر الذي شهد به بوركهارت حين قال: «**وحين**

---

(١) **انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٩١).**

(٢) **انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٧٩/١ ـ ٢٨١).**

(٣) **يقصد السعوديين.**

(٤) **جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٥٥).**

يُخطِّط سعود لغزوٍ ما، لا يُطْلِع على هدفه أحداً، ويُواعد أمراءَه عند مورد ماءٍ مُعيَّن يختاره دائماً بطريقةٍ تخدع العدو الذي يريد مهاجمته، فإذا نوى أن يكون الغزو باتجاه شمال الدرعية جَمَعَ جيشه عِنْد مَورِد يَبعُد مسافة أيام جنوبها، وحينئذٍ ينطلق فعلاً في اتجَّاهٍ جنوبيّ، لكنه يعود مسرعاً ويَنقَضّ على العدوِّ الذي يُفاجأ عادةً بالهجوم، وهذه الحيلة ضرورية جداً لأنَّ الأخبار تنتشر كالبرق في جزيرة العرب، ولو بَدَت من مكان انطلاقه للهجوم أيَّة إشارة إلى هدف هجومه لكان في إمكان العدوّ أن يمتلك وقتاً يُعِدّ خلاله نفسه للمقاومة أو الهروب، فكانت غزوات سعود تُخطّط بكثيرٍ من الحيطة وبُعد النظر وتُنَفَّذ بمنتهى السرعة لدرجةٍ أنَّها نادراً ما فشلت»[١].

لذلك قال أمين الحلواني: «وكان لسلطان الوهابيين سعود بن عبدالعزيز سياسةٌ عجيبة في تسيير الجيوش وجمعها»[٢].

من هنا لا نعجب حين نرى المؤرّخ عثمان بن بشر يشهد لسياسة الإمام سعود الحربية قائلاً: «أمَّا سيرته ومغازيه فكان إذا أراد أن يغزو جهة الشمال أظهر أنَّه يريد الجنوب أو الغرب، وإذا كان يريد جهة من تلك الجهات وارَى بغيرها وأرسل إلى جميع البوادي حواويش رجال يحوشونهم[٣] من أقطار الجزيرة للغزو معه، فإذا قرب من العدو نحو ثلاثة أيام بعث عيونه أمامه، ثم عدا فلا يلبث حتى يبغتهم وينزل قريباً منهم، فلا يوقد عند جموع المسلمين تلك الليلة ناراً ولا كأنَّهم

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٧٠ ـ ٧١).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥١).

(٣) يحوشونهم: يجمعونهم. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٤/١) في الحاشية.

نزلوا تلك الديار، فإذا صلَّى الصبح ركب بالمسلمين وضجّوا بالتكبير وأغاروا، فتظلم السماء والأرض من إثارة النقع وضجيجهم بالتكبير، فيغيب الذهن في تلك الساعة، ويوقن المسلمون بالنصر فيوقع الله بأسه فيمن قصدته تلك الجموع، فلا يُرفع السيف إلَّا عَمَّن لم يبلغ الحلم أو امرأة أو شيخ كبير»(١).

وفي شهادة للسير بريدجز توكيد لتلك الحقيقة، إذ قال: «زاد سعود كثيراً مما كان يسبِّبه لحكومة بغداد [العثمانية] من الصعوبات والذعر بواسطة هجمات مباغتة كان يوجّهها إلى جهاتٍ مختلفةٍ من مناطقها، وهي هجماتٌ لم يكن الأتراك يستطيعون توقّعها أو يتمكنون من مواجهتها؛ لأنَّ السهولة التي كان الوهابيون يتمكنون بها من جمع قواتهم والسرعة التي كانت تسير بها تلك القوات بعد اجتماعها، أذهلت وأربكت العثمانيين البطيئي الحركة»(٢).

المقصود، أنَّ سعود رجع عادياً إلى البصرة، فلمَّا قَرُب منها وافق كتيبة من المنتفق ورئيسهم فأغار عليهم وهزمهم، ثمَّ تحوَّل سعود إلى الزبير وهجم على الجامع المعروف قرب الزبير فهدم جميع القباب والمشاهد التي خارج سور الزبير كالقبَّة الموجودة على قبر الحسن البصري وقبة طلحة ولم يبقوا لها أثراً.

ثمَّ إنَّ سعوداً أمر جيوشه أن يحشدوا على قصر الدريهمية فحشدوا عليه وهدموه وقتلوا أهله، فلمَّا كان وقت غروب الشمس أمر سعود مناديه ينادي أن يثوِّر كل سعودي بندقيته، فثوَّروها دفعةً واحدة.

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٤٤ ـ ٣٤٧) باختصار.

(٢) السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (٧٤ ـ ٧٥).

يقول ابن بشر: «**قال لي رجلٌ من أهل الزبير: لمَّا ثارت البنادق شبَّت النار في الأرض والجوّ وأظلمت السماء ورجفت الأرض بأهلها وانزعج أهل الزبير انزعاجاً عظيماً**»[١]. ثمَّ قفل سعود راجعاً بجنوده إلى نجد[٢].

وفي السنة نفسها **١٢١٩هـ/١٨٠٥م** كانت السلطات الإيرانية في فارس والتركية في العراق قد ازدادت مخاوفهما من التنامي الواضح في القوة السعودية، وظهر هناك تعاون بينهما ضد الدولة السعودية[٣]، كما أبدت كلٌّ من تركيا وإيران استعدادها لمناصرة سلطان بن أحمد البوسعيدي، وقد كان السلطان العثماني يحضّ والي بغداد العثماني أن يتعاون مع سلطان مسقط ضدّ الدولة السعودية الأولى[٤]، لكنَّ استعداداتهم هذه ظلَّت رخوة تنقصها الشجاعة للإقدام على التنفيذ، فبقي حاكم عمان وحده في مواجهة التقدُّم السعودي[٥].

وفي عام **١٢٢٠هـ/١٨٠٦م** سار سعود بجيوشه من جميع بلدان نجد ونواحيها وبواديها وقَصَدَ جهة الشمال، ونازل بلد المشهد المعروف في العراق، وأمر جنوده أن يتسوَّروا الجدار على أهله، فلمَّا قربوا منه فإذا دونه خندق عريض عميق فلم يقدروا على الوصول إليه، وجرى بينهم مناوشة ورمي من السور والبروج، فتركها سعود وورد

---

(١) **عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧٩ ـ ٢٨١).**

(٢) **انظر: المصدر نفسه.**

(٣) **انظر: عبدالعزيز نوّار «داوود باشا والي بغداد» (٤٤).**

(٤) **انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٥٧).**

(٥) **انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٢/٦٦٦ ـ ٦٦٧).**

على الهندية[١]، ثم اجتاز بحُلَلِ الخزاعل وجرى بينه وبينهم قتال وطراد خيل، ثمَّ سار إلى السماوة وحاصر أهلها ووقع بينهم رمي وقتال، ثمَّ رحل منها وقصد البصرة ونازل أهل الزبير ووقع بينهم وبين أهله مناوشة ورمي. وبعد ذلك عاد إلى الدرعية[٢].

وظلَّت القوات السعودية توالي هجماتها المباغتة في أكثر الأحيان على الأراضي العراقية مُحْرِزَةً قَصَبَ السَّبْق على معارضيها؛ حتى بات سكان بغداد ذاتها يشعرون بالقلق ويستشعرون الخوف، خصوصاً مع اقتراب العمليات العسكرية السعودية من تلك المدينة[٣]، واضطرَّت كثير من القبائل العراقية الموجودة غرب الفرات أن تدفع الزكاة إلى الدولة السعودية. ولم تتوقف الهجمات السعودية إلا حينما انشغلت الدولة السعودية بالحملة العثمانية/التركية التي انطلقت من مصر للقضاء عليها. لكنَّ السعوديين لم يضمّوا أرضاً عراقية إلى دولتهم[٤].



(١) الهندية: تقع أسفل مدينة (المسيَّب)، شمالها (كربلاء) وشرقها (الحلَّة) وجنوبها (النجف) و(الشامية). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٩٠٥/٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٨/١ ـ ٢٨٩). وانظر أيضاً: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢٠ ـ ٣٢٢).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٠٧/٣ ـ ١٦١٠).

(٤) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٦٣/١). وعلي دخيل الله الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه» (١٥٢).

ثانياً: الدولة السعودية الأولى وبلاد الشام

* بعض قبائل بلاد الشام تؤدِّي الزكاة للدولة السعودية الأولى:

من يرصد عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود سيجد أنَّ قبائل البادية الشامية قد أقبلت على اعتناق المبادئ السلفية لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأنَّ تلك القبائل دفعت الزكاة للإمام عبدالعزيز بن محمد.

يقول ابن بشر: «**ظهر عمَّال من حلب الشام قاصدين الدرعية وهم أهل ستِّ نجائب محمَّلات ريالات زكوات بوادي أهل الشام**»[(١)].

ويذكر ابن بشر أن بوادي عنزة أهل الشام[(٢)] كانت تؤدي الزكاة للإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ويقول ابن بشر: «**أخبرني من أثق به قال: أناخ بيوم واحد تحت الطلحة المعروفة عند باب بلد**

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٦٩).

(٢) عنزة: القبيلة المعروفة. والمعنيون هنا هم عنزة بادية الشام. انظر عنهم: محمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٧٧ ـ ٣٩٤). وأحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٣٥٧ ـ ٣٧٥).

سقرا أربع عوامل من عمَّال بوادي الشام، كلّ عاملة معها عشرة آلاف ريال» زكاة للإمام عبدالعزيز[١].

وهذا يدلُّ على أن ولاء تلك القبائل الشامية لأمير الدرعية وليس والي الشام من قِبَلِ السلطان العثماني[٢]، بل إنَّ مؤرِّخاً معاصراً لتلك الفترة ذكر عدد الناس الذين دخلوا تحت حكم آل سعود، فذكر منهم بوادي في الشام وعربها؛ مثل قبيلة عنزة وغيرها هناك[٣].

❋ تحرّش والي الشام بالدولة السعودية الأولى:

من خلال سبر مسير تاريخ الدولة والدعوة في تلك الفترة فإننا نجد أنَّ الشام كانت ضمن الأقاليم التي أرسل إليها الإمام عبدالعزيز بن محمد وابنه الإمام سعود بالرسائل التي تنصحهم وتدعوهم إلى التوحيد وترك ما يناقضه ويضاده من الشرك.

وقد اتَّبع الإمام سعود بن عبدالعزيز في البداية طريق السلم؛ فدعا والي الشام برسالةٍ أرسلها له، وقد أورد هذه الرسالة **الأمير حيدر الشهابي في تاريخه[٤]، وهي ذات الرسائل التي كانت الدولة السعودية الأولى ترسلها إلى سائر الأقاليم والأنحاء، فليس فيها طمعٌ في حكم ولا رغبةٌ في مدِّ نفوذ؛ بل نصيحةٌ بلزوم التوحيد وحفظ جنابه، ولا شيء غير ذلك.**

---

١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٧٤/١).

٢) انظر: عبدالله الحقيل «علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ» مجلة الدارة، ع ٤، سنة ١٤٠٢هـ (ص٧٩ ـ ٨٠)

٣) انظر: حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (٢٧٣).

٤) في كتابه «الغرر الحسان» (٥٤٥/٣ ـ ٥٤٨).

ومع ذلك فإنَّ والي الشام (التركي) لم تُعجِبه نصيحة ابن سعود (العربي أو البدوي)، **وكان واضحاً أنَّ هذا الوالي التركي مُغْضَبٌ من ذهاب حكم الحرمين من يد الأعاجم الأتراك ليصير في ظلٍّ السعوديين.**

فما كان من هذا الوالي إلَّا أنْ تجهَّزَ بجهاز الحرب والعمل على هجوم مثلَّثٍ أركانه باشوية الشام وباشوية العراق وباشوية مصر؛ قاصداً بذلك هدَّ أركان حكم الدولة السعودية الأولى، ثمَّ ربطهم بالتبعية العثمانية، فكان من الطبيعي على الإمام سعود أن يتوجَّه لنقل المعركة إلى أرض الشام قبل أن يداهمه والي الشام لحربه وهو في الحجاز[١].

هذا الأمر تجده مرصوداً في المصادر الشامية التي عاينت حوادث تلك السنين، والتي تخبرنا بأنَّ السعوديين (أو الوهابيين كما تسميهم تلك المصادر) بعد أنْ ضمّوا مكة والمدينة وينبع وشمالها تجهَّزَ عليهم والي الشام بجهاز الحرب؛ **فهذا المؤرخ ميخائيل الدمشقي الذي كان شاهد عيان على تلك الحوادث، قال في أحد تقاريره التي يرسلها لممثل الحكومة البريطانية في دمشق[٢] ما نصّه: «لمَّا كرهت الدولة العثمانية عبدالله باشا العظم وعدم ملاحظته وتدبير الأحكام وعملت على عزله خصوصاً بعدما فشل في استكمال إيصال محمل الحج إلى مكة، جاء مكانه يوسف كنج باشا[٣] الذي كان قد**

---

(١) انظر: عبدالله الحقيل، المقال السابق (ص١١٢)

(٢) انظر: مقدّمة غسان سبانو لكتاب «تاريخ ميخائيل الدمشقي».

(٣) كنج يوسف الدالي باشا. انظر ترجمته وأخباره عند: ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٣٤). وصلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد العثماني» (٩٠).

توجَّه إلى إسطنبول وسعى للتحصّل على الولاية بدمشق وأفهم المسؤولين في إسطنبول عن شطارته ومعاركته بالحروب وأنَّه يمكنه محاربة الوهابي وينتصر عليه، فأرسلوا له منصب باشا دمشق»[١].

ثمَّ يذكر ميخائيل الدمشقي في تلك التقارير قائلاً: «وفي إحدى السنوات حضر الخبر برجوع محمل الحج الشامي إلى المُزَيْريب[٢] مطروداً، وقيل إنَّ شريف مكة غالب بن مساعد [هو الذي] منعهم من الدخول وطردهم بحماقةٍ زائدة وقال لهم: ليش الباشا ما هو معكم. فرجعوا»[٣]. «وبهذه الغضون وصل جملة خيل عرب من الوهابي لقرب الشام ومعهم مكاتيب إلى الأعيان مضمون كلامهم التسليم وأنَّه قادم الشام جديع القبلان[٤] ابن قاسم وابن عم مهنا فاضل شيخ عرب عنزة[٥] بجموعٍ كثيرة»[٦].

والأمير حيدر الشهابي يخبرنا بأخبارٍ قريبة مما ذكره ميخائيل الدمشقي، حيث يقول الأمير الشهابي: إنَّه «في محرم من سنة

---

(١) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٣٦).

(٢) المزيريب: بلدة في سورية، تقع شمال غرب مدينة (درعا). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (١٦٨/٥ ـ ١٦٩).

(٣) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٤٠).

(٤) جديع القبلان الملقب بـ(أخي مودي) (وربَّما: موضي): من رؤساء الحسنة من الفدعان من عنزة. انظر: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٤٣٦).

(٥) آل فاضل من عنزة، وهم رؤساء عنزة سابقاً ويُعرفون بالحسنة من مسلم من الوهب، وموطنهم (بادية حمص) و(تدمر). انظر: محمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٨٠).

(٦) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٤١).

١٢٢٣هـ/١٨٠٨م رجع الحاجّ إلى الشام دون الوصول إلى البيت الحرام لأنَّ الوهابيين منعوه عن الوصول[١]، ثمَّ حضر إلى الشام عبد من عبيد الشيخ مهنَّا الفاضل شيخ عنزة وصحبته كتابات إلى كنج يوسف باشا يخبره أنَّ قادم جديع القبلان باثني عشر ألف مردوف من الوهابيين، وأنَّ العبد فارقه في وادي شمَّر قاصد تدمر[٢] ويحصّن القلعة ثم ينزل على بلاد حمص[٣]، وأنَّ جديع مرسل كتابات إلى العرب الموهبَّة[٤] مثل بني صخر[٥] والفياض[٦] والفدعان[٧] وولد

(١) بالرغم من أنَّ ميخائيل الدمشقي أخبرنا قبيل قليل بأنَّ الشريف غالب هو الذي ردَّ المحمل الشامي!!!.

(٢) تدمر: بلدة في البادية السورية، شمال شرق (دمشق). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢١٢).

(٣) حمص: مدينة في سورية، تقع شمال (دمشق) وجنوب (حماة). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢٥٣).

(٤) هكذا وصفهم بالموهّبة وأحياناً يصفهم بالوهابية.

(٥) بنو صخر: يرجعون إلى طيِّء من قحطان. والمعنيون هنا هم من عربان بادية الشام وأكثرهم آنذاك في فلسطين، وكانوا يقدّمون إبلهم لحملات الحجّ في تلك الفترة. انظر عنهم: أحمد البديري الحلاق في «حوادث دمشق اليومية» (٢٢) (٣١) (٢١٢). ومحمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٨٤) (٣٨٨).

(٦) الفياض: من آل الحيار أبناء مهنا بن عيسى آل فضل، من أمرائهم. انظر أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٩٧).

(٧) الفدعان: من عُبَيْد من عنزة وهم ضنا ماجد وضنا محمد (الوِلْد). وكان الفدعان عمَّال الإمام سعود في جمع زكاة بوادي عنزة في الشام، وتبلغ زكاتهم في سنة من السنين ٤٠ ألف ريال. انظر: محمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٧٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٥٤/١). وعبدالوهاب بن=

عـي[١] ليوافوه في جموعهم، وحضر منه كتابات إلى الضبَّاط . الأغاوات[٢] الذي في الشام وأنَّهم يسلّموا وإلَّا يندموا، ولم يبق حد في الشام من الأغاوات وأصحاب الوجاقات[٣] إلا وحضر له من جميع كتابات، وخافوا الناس من قدوم الوهابيين وأيقنوا العذاب الأليم [هكذا]، ثمَّ انقطعت الأخبار ولم أتَّضِح إلى ذلك الأمر تـ ـ ـ[٤].

وكانت **الوثائق التركية** (العثمانية) تذكر أنَّ «رواية أبناء السبيل ـ ردين من يافا[٥] وغَزَّة تفيد بزحف عثمان المضايفي صهر الشريف

= محمد بن حميدان بن تركي «تاريخ نجد» (١٧٤). وحمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٦١٤).

وِلْد عَلِي: من ضنا مُسْلم من عنزة في سورية، وشيخهم آنذاك دوخي السمير، وهؤلاء الذين يحملون الحجاج من الشام، ولهم صرَّة من الدولة العثمانية كل سنة آنذاك. انظر: Records of the Hajj, vol,2. P,731. ومحمد البسَّام «الدرر المفاخر» (٣٨٣). ومنهم اليوم من هم في (خيبر) و(الجهرا في الكويت) و(وادي الحمض) و(العُلا) وتلك النواحي. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٥٢ ـ ٥٥٣).

٢) الأغاوات: مفردها «آغا». تطلق على صغار الضبَّاط وأحياناً على كبارهم. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٨).

٣) الوجاقات: من فرق العسكر العثماني. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٥٤).

٤) الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان» (٥٣٤/٢)

٥) يافا: ميناءٌ يقع شمال غربي القدس. انظر: يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية» (٧٩٨/٢ ـ ٧٩٩).

غالب إلى بلاد الشام بقواتٍ قدِّرت بخمسين ألفاً من العربان، وأنَّه أرسل خطابات إلى قبائل العربان في حوالي غزَّة وخليل الرحمٰن لاستجلاب قلوبهم، وأخذ يمدّ يده إلى حوالي الشام خصوصاً بعد أن استولى على قلعة المويلح(١) برّاً وبحراً»(٢).

* الأسباب التي دفعت السعوديين إلى التحرك والوصول إلى قلب الشام:

مِمَّا يفسّر قيام السعوديين بتحركاتهم في بلاد الشام ـ تلك التحركات التي ذكرها الشهابي وميخائيل الدمشقي ـ **أنَّه لابدّ وأنْ يكون السعوديون قد علموا بتحركات والي الشام وتجهيزاته لحرب الدولة السعودية، فجاءت تحركات السعوديين ردّاً على تلك التجهيزات** التي وكّدتها وثيقة تركية تخبرنا: بأنَّ والي دمشق يوسف باشا كنج أرسل بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/١٦ أبريل ١٨٠٨م إلى محمد علي باشا والي مصر يقترح عليه اقتراحات بتنسيق الحرب ضدّ آل سعود، وقال له(٣): «**اسْتَلُّوا حُسَامكم البتَّار لتقاتلوا به طائفة الوهابيين الذين قد انحرفوا منذ وقت ليس بقصير عن سبيل الطاعة وسلكوا سبيل العصيان والطغيان واستولوا على الحرمين، وَلِتَحْسُوا بحسامكم رؤوس هؤلاء الطغاة.**

---

(١) المويلح: ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي شمال (ضبة) على بعد ٥٠ كلم منها. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٦٩٠).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٨) مكرَّر، بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٢٢٣هـ/ ١٨ يونيو ١٨٠٨م (٧١/١ ـ ٧٢).

(٣) مع التنبيه على الألفاظ النابية التي ستأتي في تلك الوثيقة، والتي نضطرُّ إلى بقائها لتبيان نظرتهم لأهل الدولة السعودية.

وبما أنَّ مهمَّة مقاتلة أولئك الخوارج والعمل على إجلائهم عن الأرض المقدَّسة المذكورة لمهمة جدّ عظيمة، فإنَّ مساهمتي فيها توحيد الجهود فيما بيننا، وبالاتفاق على ميعاد مناسب مبكّر نضرب فيه العدو ضربتنا في آنٍ واحدٍ، كلٌّ مِنَّا من جانبه بالعتاد والقوة. وإنِّي تعهَّدتُ على نفسي أن أبذل كل ما في إمكاني من جهدٍ واستعداد في سبيل نصرة الدين والدولة العلية، وأن أفي بميثاقي ووعدي هذين وفاءً تامّاً، وألَّا أنكث بهما مطلقاً»[1].

ومن خلال تلك الوثيقة تظهر لنا الأمور جلية في تعليل تلك التحركات السعودية تجاه الشام وواليها، فلابدّ وأن تكون حركة الاتصالات بين والي الشام ووالي مصر قد بلغت بعض أخبارها إلى السعوديين، فكان التحرك السعودي الذي ذكرنا بعض مباديه كان سببه تلك الاتصالات بين والي دمشق ووالي مصر، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنَّ تلك الوثيقة تجعل من تصورنا للحوادث على هيئة منطقية تنسف ما يشيعه أعداء الدولة السعودية الأولى وبعض الباحثين في التاريخ؛ الذين يَدَّعون أنَّ السعوديين هاجموا الشام رغبةً في التوسّع وطمعاً في الغنائم، وهو الأمر الذي نسفته الوثيقة التي أوردنا عليك بعض ما جاء فيها.

هنا ستقع حادثة جِدّ مهمة في تفسير ما يقع بعدها من الحوادث، وستأتيك بالعِلَّةِ التي من أجلها تحرك الإمام سعود بن عبدالعزيز لمهاجمة بلاد الشام فيما بعد، هذا التعليل والتفسير تأتينا به

---

(١) رسالة من كنج يوسف باشا والي دمشق إلى محمد علي والي مصر، بتاريخ ٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ٤ أبريل ١٨٠٨م، دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، رقم (٨) (٥٧/١ ـ ٦٥).

وثيقة تركية، تذكر فيها أنَّ يوسف باشا الصدر الأعظم طلب من محمد علي باشا والي مصر إرسال ألف كيس مساهمةً منه في تجهيز الجيش العثماني الذي سيتحرك تحت قيادته لحرب الدولة السعودية الأولى(١).

عندها تحرَّك الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بقواته تجاه الشام، ولا شكَّ أنَّ تلك الاتصالات والتجهيزات العثمانية ضد السعودية قد بلغته، فتحرَّك ليضربها ضربةً استباقية، **وهو الأمر الذي ذكره المعاصرون لتلك الحوادث ومن عاين الحدث، كلٌّ بحسب مكانه ومكانته، سواء في مصر والشام أو في نجد أو في العراق.**

وفي إحدى الوثائق يرسل **محمد علي باشا والي مصر** برسالةٍ إلى الدولة العثمانية يخبرهم بها عن تقدّم السعوديين إلى وسط بلاد الشام، ولكنَّه أتى بأخبارٍ ليست دقيقة أخبره بها والي دمشق عن أنَّ الجيش السعودي هُزم وأنَّ بعض أفراده وقع أسيراً لدى والي الشام، فيقول محمد علي باشا: «وقد أُحِطنا علماً بالقائمة التي بعث بها هذه المرَّة والي الشام أخونا يوسف باشا [كنج] بيدِ ساعيه، وحصل العلم مِنْ مآلها: أنَّ الخارجي المستجرئ على إهانة رسول الشفاعة ﷺ(٢) قد أغار على تلك الحوالي بحشراته الملعونة(٣)، وأنَّكم واجهتموهم في صحراء المزيريب، وقد أصبح الظفر حليفكم، حتى أخذتم أسرى

---

(١) رسالة من يوسف باشا الصدر الأعظم إلى محمد علي والي مصر، بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٣ يونية ١٨٠٩م، دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، رقم (١٨) (١/١٠٤ ـ ١٠٧).

(٢) سيأتي تفنيد تلك الأكذوبة في الفصل الثامن.

(٣) هكذا كان العثمانيون يصفون السعوديين.

ورؤوساً كثيرة، بالغة في الكثرة»[١].

والمعلومات التي وردت في تلك الوثيقة مجانبة لواقع ما حدث في تلك الواقعة، فهذا المؤرخ **عبدالرحمٰن الجبرتي** ـ المعاصر لتلك الحادثة ـ يؤرِّخ لها قائلاً: «وفي أواخره [أواخر جمادى الثانية ١٢٢٥هـ/١ أغسطس ١٨١٠م] وصلت أخبار من ناحية الشام بأنَّ طائفةً من الوهابيين جرَّدوا جيشاً إلى تلك الجهة، فتوجَّه يوسف باشا إلى المزيريب وحصَّن قلعتها، واستعدَّ إليهم بجيشٍ وحاربوهم وطردوهم، ثمَّ اضطربت الأخبار واختلفت الأقوال»[٢].

وهذ مؤرّخ محمد علي باشا: **المؤرِّخ المصري خليل الرجبي** (ت: **١٢٤٣هـ/١٨٢٨م**)[٣] يذكر في تاريخه **بأنَّ مُلْك ابن سعود «بقيَ حُكْمهُ نافذاً إلى أرض إيلياء**[٤]**، وصار له ما يزيد على الأربعمئة ألف ما بين فارس وراجل، وهابته الملوك، وتملَّكَ الكثير من أرض الشام إلى أرض المزيريب»**[٥].

---

١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٢٨ جمادى الثاني ١٢٢٥هـ/ ٣١ يوليو ١٨١٠م (١/٢٠٠ ـ ٢٠١).

٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٩٣) وانظر: (٤/١٩٩).

٣) خليل بن أحمد الرجبي: المصري الصوفي. مِمَّن أرَّخ لتلك الفترة وعاصرها، ودوَّن كتاباً خصَّصه لمحمد علي باشا وحروبه، وكان مناوئاً للدولة السعودية الأولى ولدعوتها السلفية. انظر ترجمته عند: إسماعيل باشا البغدادي «هدية العارفين» (١/٣٥٦). أيضاً: إسماعيل باشا البغدادي «إيضاح المكنون» (٢/٧٠٨).

٤) إيلياء: هي (ميناء العقبة) المعروف حالياً في (المملكة الأردنية الهاشمية). انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (١/٢٣٣ ـ ٢٣٤) (٣/٣٣٦).

٥) خليل بن أحمد الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٢٧ ـ ١٢٨).

وهذا شاهد عيان من أهل الشام، وهو **الأمير حيدر الشهابي** يذكر وصول أعدادٍ من السعوديين إلى أعماق بلاد الشام، فيقول: «وفي شهر جمادى الثاني ١٢٢٥هـ المصاقب إلى شهر تموز [يوليو ١٨١٠م] حضر جملة من العرب الوهابيين إلى أطراف حوران[(١)]؛ لأجل ضيقة المعاش وعدم الماء في بلادهم بهذه السنة، وفي الحال أطلق يوسف باشا التنبيه على جميع إيالات الشام وجَمَعَ العساكر وخرج من الشام قاصداً المزاريب [المزيريب]، وقد كانت تلك العربان قصدت المزاريب فالتقاهم شملين آغا المتسلم جبل إربد[(٢)] وعجلون[(٣)] وتلك النواحي من قبل يوسف باشا وصار بينهم كاينة[(٤)]، فالتجأ شملين آغا وعسكره إلى قلعة المزاريب، وَلَمَّا بلغ يوسف باشا أنَّ العرب محاصرة عساكره في قلعة المزاريب قوَّصَ المدافع[(٥)] وأشعل المشاعيل وقام ليلاً بالعساكر لنجدة المحاصَرين، فلمَّا سمعت العرب أصوات المدافع ونظروا

---

(١) حوران: تقع جنوب (دمشق)، تضمّ (الجولان) و(جبل الدروز). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٥/٢٠٥).

(٢) إربد: في الأردن، شمال (عمَّان). انظر: عبدالعزيز عوض «الإدارة العثمانية في ولاية سورية» (٦٥).

(٣) عجلون: بلدة غربي الأردن جنوب مدينة (إربد). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٦١).

(٤) الكاينة: تعني الحرب. وتراها في مصادر التاريخ المتقدِّمَة يسمون الحرب بذلك، كما يسمّونها «كون»، فيقولون: كون الصريف وكون المليداء؛ وهم يريدون معركة الصريف ومعركة المليداء.

(٥) قوَّص المدافع: رمى المدافع، أطلق نيرانها. وكلمة «قوَّصَ» دارجة في العامية الشامية.

ـنيران ارتحلوا حالاً وردّوا راجعين نواحي بلادهم.

وقد كان الجميع يظنون أنَّ سعوداً الموهَّب قادم بجميع عساكره ـى تملّك هذه البلدان، وحين وصلت تلك الأخبار إلى سليمان باشا ـسار في الحال بمن عنده من الرجال من مدينة عكا[١] إلى مدينة طبريا[٢]، وأرسل يطلب النجدة من الأمير بشير[٣] حاكم جبل ـدروز[٤] وأن يسرع إليه بالعساكر، وفي الحال أطلق الأمير التنبيه عى جميع بلاده، وجَمَعَ عساكره وأجنده وسار من دير القمر[٥] إلى قرية جزِّين[٦] ثم إلى مرج عيون[٧]، وكان قد تجمع عنده من العساكر حو خمسة عشر ألفاً فسار بهم إلى مدينة طبريا، وعندما نزلها علم أن

---

١) **عكا: مدينة فلسطينية على البحر الأبيض المتوسط. انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٦٣).**

٢) **طبريا: أو (طبرية). مدينة فلسطينية تقع على (بحيرة طبرية). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٤٣).**

٣) **يقصد الأمير بشير بن قاسم الشهابي (ت: ١٢٦٦هـ/ ١٨٥٠م)، وهو من الأمراء الشهابيين في (جبل لبنان). انظر أخباره عند: الأمير حيدر الشهابي «الغرر الحسان» في صفحاتٍ كثيرة من الجزء الثاني والثالث. وانظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٥٧/٢).**

٤) **جبل الدروز: هو نفسه (جبل حوران)، وقد مرَّ التعريف به في هذا الفصل.**

٥) **دير القمر: في لبنان، غرب مدينة (بيت الدين) وجنوب شرق مدينة (بيروت). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢٧٢).**

٦) **جِزِّين: بلدة في (وادي جِزِّين) شرقي لبنان. انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٢٣/٦)**

٧) **مرج عيون: جنوب لبنان، قريبة من (بنت جبيل). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٢٠٧/٥).**

الوهابيين رحلوا عن تلك الديار.

وكان الكبير على العربان والقايد بهم إلى هذه البلدان رجلٌ يقال له عليَّان من آل ضبيب[١]، وكان متقدما عند الأمير سعود الذي هو رأس الموهبين»[٢].

أما **ميخائيل الدمشقي** ـ وهو شاهد عيان من اهل الشام ـ فإنَّه يذكر في إحدى تقاريره للحكومة البريطانية: أنَّه «في ابتداء سنة ١٢٢٥هـ/١٨١٠م شاع الخبر أنَّ سليمان باشا[٣] قام إلى طبريا وطلب الأمير بشير والشيخ جنبلاط[٤] وأظهر لهم المشروع، وتصدر الأمير والشيخ أنهم يُقَدِّمُوا من الجبل عسكر وافر، وابتدأ بجمع العسكر من طبريا، ويوسف باشا بوقته كان في أراضي حوران لطرد الوهابي الذي كان يسطو ويغزي في بعض قرايا[٥] ...»[٦].

---

(١) انظر عن آل ضبيب: عبّاس العزَّاوي «عشائر العراق» (٣١٦/١). وحمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤٥٧). وراجع: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٤٠٣).

(٢) الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان» (٥٥٦/٣).

(٣) سليمان باشا: تولى ولاية (دمشق) بعد يوسف باشا الكنج. انظر: صلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد لعثماني» (٩٠).

(٤) الشيخ جنبلاط: هو بشير (جان بولاد) بن قاسم بن علي بن رباح من (آل جان بولاد) المعروفين اليوم بـ(آل جنبلاط)، من أهل (بعذران) بلبنان. انظر أخباره وترجمته عند: ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٧٣). وميخائيل مشاقة «مشهد العيان» (٢٠٩). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٥٧/٢).

(٥) قرايا: جمع قرية. من العامية الدارجة في سوريا والعراق. انظر: إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف» (١٠٢).

(٦) ميخائيل الدمشقي «تاريخ ميخائيل الدمشقي» (٤٣).

وقد وثَّقَت المصادر الأجنبية تلك التحركات السعودية ناحية الشام في ذلك التاريخ عينه، حيث ذكر **بوركهارت** قائلاً: «وكانت غزوات سعود [بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود] تُخطَّط بكثير من الحيْطَةِ وبُعد النظر، وتُنَفَّذ بمنتهى السرعة لدرجة أنَّها نادراً ما فشلت، وكذلك حينما غزا سهول حوران سنة [١٢٢٥هـ] ١٨١٠م لم تصل أخبار اقترابه منها إلا قبل وصوله إليها بيومين، رغم أنَّه استغرق خمسة وثلاثين يوماً حتى وصل ذلك المكان، ولم يُعلَم أيّ جزء في سوريا كان هدف هجومه، وبذلك فإنَّ جيشه نهب خمساً وثلاثين قرية من حوران قبل أن يُبدي باشا دمشق أيَّة أدلَّة للدفاع»(١).

ويقول **بوركهارت** أيضاً: «في سنة [١٢٢٥هـ] ١٨١٠م **أثار سعود الرعب في قلب سوريا بمهاجمة المناطق المجاورة لدمشق بحوالي ستة آلاف رجل، وكان وصوله إلى هناك غير متوقعاً، ولم يقدر جيش يوسف باشا على إيقاف تقدّمه، وكان في إمكانه أن يستولي على دمشق بسهولة لو علم مقدار الرعب الذي حلَّ بسكانها عند اقترابه منها، إذ بَدَؤُوا يرسلون كل ثرواتهم الثمينة إلى جبال لبنان**»(٢).

هكذا ذكرت المصادر المصرية والشامية وبعض المصادر الأجنبية تَقَدُّم السعوديين إلى بلاد الشام، أمَّا المصادر النجدية فبعضها ذكرت

---

١) **وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ:** Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,756. **وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٧١).**

٢) **وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ:** Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,756. P,757. **وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٢ ـ ١٠٣) باختصار.**

تلك الحادثة عَرَضاً مثل تاريخ الفاخري[١]، بينما ذكرها **ابن بشر** تفصيلاً حين قال: «**خرج سعود في ٣ ربيع الثاني ١٢٢٥هـ** [٥ مايو ١٨١٠م] وقصد نقرة الشام المعروفة، لأنه بلغه الخبر أنَّ بوادي الشام وعربانه من عنزة وبني صخر وغيرهم فيها، فلما وصل تلك الناحية لم يجد أحداً منهم، وإذا قد سبقه النذير إليهم فاجتمعوا على دوخي بن سمير رئيس ولد علي من عنزة[٢]، وهو من وراء **الجبل المعروف بطويل الثلج**[٣] **قرب نابلس**[٤]، **نازلين عين القهوة من جبال حوران، ولما بلغ ابن سمير ومن معه إقبال سعود إليهم انهزم بمن معه من البوادي ونزلوا الغور من حوران، فسار سعود في تلك الناحية، وأقبل فيها وأدبر واجتاز بالقرى التي حول المزيريب، فنهبت الجموع ما وجدوا فيها من المتاع والطعام وأشعلوا فيها النيران، وكان أهلها قد**

---

(١) انظرها في تاريخه «تاريخ الفاخري» (ص: ١٧٠).

(٢) القيادة العليا في الوِلْد علي منذ القديم في أيدي أبناء سمير، وبيت سمير من بيوتات عنزة العريقة في قدمها ومجدها، وقد كان أولهم دوخي بن سمير المتوفي في ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م، وآخرهم رشيد بن عبدالله بن محمد بن دوخي بن سمير المتوفي سنة ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م. انظر: أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام» (٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٣) الجبل المعروف بطويل الثلج: هو نفسه (جبل الشيخ)، وهو نفسه (جبل الحَرَمون الكبير) شمال شرق فلسطين، ينتهي طرفه في جنوب سلسلة جبال لبنان الشرقية، ويُطلقون عليه أحياناً اسم (جبل صهيون). انظر: محمد كرد علي «خطط الشام» (٥/٢٠٥). أيضاً: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٢٢٨).

(٤) نابلس: مدينة في فلسطين شمال (القدس). انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٤٧٧).

هربوا عنها لما سمعوا بمسيره، ثمَّ نزل عين البَجَّة[1] قرب حصن المزيريب وروى منها المسلمون وشربت خيلهم وجيوشهم، ثمَّ أقبل على قصر المزيريب فظهر عليهم خيل فحصل طراد، فانهزمت الخيل إلى القصر واحتصروا فيه، فأراد المسلمون الحشدة على القصر، ولا أحب سعود ذلك مضنَّة بالمسلمين لأجل إحصانه، ثمَّ رحل ونزل بصرى[2] وبات فيها ثمَّ رجع قافلاً إلى وطنه ومعه غنائم كثيرة من الخيل والمتاع والأثاث والطعام، وقتل من أهل الشام عدة قتلى، وحصل في الشام رجفة ورهب عظيم بهذه الغزوة؛ في دمشق وغيرها من بلدانه وجميع بواديه، ومن حين قفل سعود من الشام جاء العزل يوسف باشا الشام»[3].

---

١) عين البَجَّة: ذكرها عَرَضاً بهذا الرسم ابن بشر وابن لعبون في تاريخيهما؛ حين أتوا على أحداث غزوة (المزيريب) في الشام، ولم يُعرِّف بها عبدالرحمٰن آل الشيخ في تعليقه على تاريخ ابن بشر. وبَحَثتُ عنها (طويلاً) ولم أَجدها في كتب الخطط والجغرافيا التي راجَعتها، ثمَّ وَجَدتها من خلال أحد الزملاء الذي أرسل لي خريطة للحكومة السورية مخصَّصَة بشأن توزيع محافظات القطر السوري، وخريطة أخرى للأماكن الأثرية السياحية في سوريا. فوجدتُ (عين البَجَّة) هذه، وهي في الخريطتين المذكورتين باسم (خِربَة البَجَّة) في (محافظة دَرْعَا)، على طريق قرية (جاسم) وقرية (نَوَى)، وهي ما بين قرية (المُزَيْرِيب) وقرية (الحَارَّة) في سوريا. أمَّا لفظة (خِربَة) فتعني بقايا الآثار الموجودة في مكان ما مرَّت عليه عاديات الزمن وبقيت بعض ملامحه. و(الخِربَة): تسمية دارجة في ذلك الإقليم، كتسميتهم موضع آثار (غزالة) بـ(خِربَة غزالة)، وغيرها مِنْ الخِرَب.

٢) بصرى: من أعمال (دمشق) وهي قصبة وكورة (حوران). انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٣٤٨/١).

٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٩/١ ـ ٣١٠).

وبحسب جان ريمون الذي يذكر بأنَّ السعوديين في تلك السنوات كانوا «يتجولون ويسيطرون على الصحراء العربية كلّها، من بغداد إلى جُدَّة ومن حلب ودمشق إلى مسقط»[١].

ومحصِّلَة ما سبق أنَّ السعوديين استطاعوا أن يغزوا الجوف والبتراء والتقدّم ناحية حوران، ولكنَّهم لم يتمكَّنوا من اكتساح سوريًا، فوقفوا عند أبوابها متربصين، ولم يستطع والي الشام أن يحمي حدود بلاده[٢].

ومن الواضح أنَّ الدولة السعودية لم تضمّ إليها شيئاً من أراضي باشوية الشام، لكنَّها مدَّت نوعاً من النفوذ على بعض القبائل التابعة له إدارياً، وقد تمثل ذلك النفوذ في دفع هذه القبائل الزكاة إلى القادة السعوديين. ومن القبائل التي أدَّت زكاتها إلى الإمام السعودي مَنْ كانت تقطن قرب مدينة حلب[٣].

المقصود؛ أنَّ الدولة العثمانية أصيبت بضربةٍ معنوية غير هيِّنَة بعد أن حكم السعوديون الحجاز وأصبحوا قادرين على الوصول بجنودهم إلى بلاد الشام والاقتراب من تركيا نفسها، فحاولت الدولة مراراً عديدة أن تضرب تلك الدولة العربية السلفية الفتيَّة؛ فكانت أنْ وجَّهت لها باشاتها في العراق والشام، فلمَّا عجز باشاتها هناك عن ذلك، أرسلت إلى باشتها في مصر محمد علي باشا[٤] ليضربها من جهته، وهو ما يسبره الفصل التاسع.

---

(١) جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين» (٣٦).

(٢) عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٥).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦١١/٣). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١٦٥/١).

(٤) عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (ص ٥).

الفصل الثامن:

الدعايات العثمانية
ضد الدولة السعودية الأولى.

أوّلاً: أسباب قيام الحملات الدعائية العثمانية ضدَّ السعوديين

انزعجت حكومة إسطنبول من توسع الدولة السعودية ومحاذاتها لحدود ولايات الدولة العثمانية في العراق والشام، وزاد انزعاجها إثر إعلان آل سعود زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ومنع السعوديين المعازف والمناكير والعساكر التي كانت تصاحب محامل الحجِّ العثمانية، كما سبق تبيانه في الفصول السابقة.

وعند استقراء تاريخ تلك الفترة المعنية وما سبقها؛ سنعلم **أنَّ الدولة العثمانية كانت شديدة الحرص على الاحتفاظ بسيادتها على بلاد العرب**، لِمَا للمُدُن المقدّسة الموجودة فيها من أهميةٍ في العالم الإسلامي، **كما حرصت على أن تهيمن هيمنةً شبه كاملة على سواحل البحر الأحمر وبعض سواحل الخليج العربي، وعَمِلَت على أن تكون تلك البحار بِرَكاً آسنة، محرومة من الأنشطة التجارية؛ بحجَّة حماية العثمانيين للأماكن المقدَّسة من الأوروبيين**، فإذا جَدَّ اضطرَابٌ في تلك البحار؛ فإنَّ الترك العثمانيين يعالجونه بالصبر والمطاولة وفرصة الانقسام فيما بين الأوروبيين.

ولكنْ جَدَّ في البرِّ اضطرابٌ آخر من نوعٍ آخر تطلَّبَ أكثر من الصبر والمطاولة، كان ذلك هو الانفجار السعودي الذي لم تستطع

حكومة السلطنة التركية أن تُغمِضَ عينها عنه وعن حركته وآثاره كما كانت تفعل من قَبْلُ إزاءَ حركات القبائل وما جرى على نمطها، فقد **كانت الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية شيئاً جديداً بالنسبة للأتراك العثمانيين لا يمكنهم تركه يجري مجراه**[١].

من هنا قرَّر المؤرخ أمين بن حسن الحلواني (ت: ١٣١٦هـ/١٨٩٨م)، قائلاً: «**إنَّ الدولة العليَّة [العثمانية] ورجالها من عاداتهم أنَّهم لا يغضبون ولا تأخذهم الحميَّة الجنسية إلَّا إذا عَلِموا أنَّه ستُشَكَّل دولةٌ عربية، فحينئذٍ يجتهدون بإخماد شرارتها أوَّل الأمر؛ لِما يعلمونه من عاقبة أمرها**»[٢].

وبشكلٍ أوضح مِمَّا سبق جاء تقرير المؤرّخ الإنجليزي المستر جورج يانج[٣] الذي قال فيه: «إنَّ الأعراب[٤] قد صاروا خطراً يُخشى منه على الإمبراطورية العثمانية ومصر، لأنَّ العودة إلى التمسّك بمبادئ الدين الإسلامي الصحيحة واقتفاء أثر السلف الصالح مِمَّا كان يُبشِّر به محمد بن عبدالوهاب قد أدَّى إلى جمع العشائر في بلاد العرب وَوَحَّدَها تحت زعامة أسرة ابن السعود»[٥].

---

(١) انظر: محمد شفيق غربال «محمد علي الكبير» (١١٣) (١١٥).

(٢) أمين بن حسن الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٠٠).

(٣) المستر جورج يانج: مؤرّخ إنجليزي كان موجوداً في مصر بعد معاهدة الحماية البريطانية على مصر، وقد كتب كتابه المشهور عن تاريخ مصر زمن الخديوي إسماعيل باشا. انظر: مقدّمة كتابه «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل» التي وضعها معرّب الكتاب علي أحمد شكري.

(٤) يقصد السعوديين.

(٥) المستر جورج يانج «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل» (١٠٦).

لقد كانت خطَّة الدولة العثمانية التي رسمتها لنفسها عندما تقوم حركة استقلالية أن تلقي عِبء تدميرها على كاهل الولاة في الأقطار المجاورة[١]، من خلال قاعدتها في باشوية دمشق التي تتجهَّز منها التجريدات الكبيرة أو الصغيرة التي تضطرّ السلطنة من وقتٍ لآخر إلى إرسالها للحجاز لضبطِ أحواله، وأيضاً من خلال قاعدتها في باشوية بغداد التي أوكلت إليها الدولة العثمانية مراقبة ما يجري في نجد والتعامل معه بتجريداتٍ عسكرية[٢]، **ولكنَّ مخاوف الدولة العثمانية ازدادت لمَّا رأت ولاتها في العراق والشام عجزوا عن القضاء على قوة آل سعود**[٣].

وبالرغم من ذاك الفشل في تدمير الدولة السعودية الأولى، فإنَّ الدولة العثمانية ما زالت حريصة على استرجاع هيمنتها على الحرمين الشريفين واسترداد هيبتها في العالم الإسلامي[٤]، ولكن من جهةٍ أخرى غير الشام والعراق؛ فقد اتَّجهت أعين العثمانيين جهة مصر التي كانت وقتها معقد الأمل العثماني في تدمير الدولة السعودية الأولى.

وعليه حاول الأتراك العثمانيون مرَّاتٍ عديدة أن يُوجِّهوا من مصر عِدَّة تعزيزات عسكرية إلى الشريف غالب لعلَّه يستطيع إخراج الحكم السعودي من الحجاز، ولمَّا فشلت تلك المحاولات

---

(١) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (ص٣).

(٢) انظر: محمد شفيق غربال «محمد علي الكبير» (١١٢ ـ ١١٣).

(٣) تناولنا ذلك في الفصلين السابقين.

(٤) انظر: حسين مؤنس «الشرق الإسلامي في العصر الحديث» (١٩٢).

السابقة[١]، انتقلت الدولة العثمانية في حربها ضد الدولة السعودية الأولى إلى أسلوبٍ اعتاد عليه الترك عبر تاريخهم؛ وهو الاغتيال الغادر لخصومهم؛ كما حدث في ١٢١٨هـ/١٨٠٣م يوم غَدَر الترك بالإمام عبدالعزيز بن محمد وأرسلوا من يغتاله وهو ساجدٌ في صلاة العصر[٢].



(١) فصَّلنا هذه الحوادث في آخر الفصل السادس.

(٢) فصَّلنا تلك الحادثة في الفصل السابع من هذا الكتاب.

ثانياً: الحملات الدعائية العثمانية ضدَّ السعوديين

بالرغم من كل تلك المكائد العثمانية وهذه التدبيرات الغادرة؛ فإنَّ العثمانيين أخفقوا في إسقاط الدولة السعودية الأولى، ففكَّر العثمانيون جدياً في سبلٍ جديدة وقوية للخلاص من هذه القوة الفتيَّة الجديدة الواثبة من جزيرة العرب، والتي أصبحت تهدّد سلطان الدولة العثمانية المتداعية القوى، **فعملوا أولاً على نشر الدعاية السيّئة ضدّ السعوديين في الممالك الإسلامية والعثمانية، وأخذوا يذيعون عنهم من غير تحرّجٍ ولا رعيٍ للعواقب أنَّهم وهابيون لا يحبون أهل البيت ولا يحفظون للأولياء حقّاً ولا حرمة، كما اجتهدوا في وصف دعوتهم هذه بالمذهب الخامس الوهابي استفزازاً لشعور الجمهور، وجَدّوا في هذه الدعاية كلّ الجَدِّ واستعملوا في ترويجها من يُوسَمون بالعلم والتقوى من الشيوخ الرسميين، فاختلقوا على السعوديين ما شاؤوا، ونبزوا دعوتهم بما أرادوا، وكانت وسيلتهم في ذلك التشويه أن نشروا الكتابات الكاذبة عنهم، واستغلوا المنابر للقدح فيهم ورميهم بكبيرات الأمور، فنجحوا في هذا نجاحاً بقي أثره عالقاً بالنفوس إلى يوم الناس هذا**[١].

---

(١) انظر: عبدالله القصيمي «الثورة الوهابية» (٤١). وعباس العزَّاوي «ذكرى أبي الثناء الألوسي» (٣٧).

لقد كان من دواعي ذلك: أنَّ الدولة السعودية الأولى واتباعها صاروا همًّاً مؤرِّقاً للعثمانيين، فهامَ رجالات الحكومة العثمانية وأتباعهم ومن يوالونهم من أدعياء العلم غِضاباً يحرّضون رعاياهم على محاربة السعوديين بكلِّ لسانٍ قادرٍ على الإثارة وعلى التبشيع.

وكلّما ازدادت الدولة السعودية تمدّداً واتِّساعاً؛ كلّما ازداد خوف الدولة العثمانية، وازداد تحريضها على بغض السعوديين والحِقدِ عليهم.

ومع البغضاء المكتومة والتحريض، زاد التصميم على إسقاط دولة السعوديين.

وكانت أساليب العثمانيين الدعائية قائمةٌ على الأمور الآتي بيانها:

ـ نبزهم للسعوديين بأنهم أصحاب مذهب خامس وخوارج وهابية:

كان الترك العثمانيون يعتقدون أنَّ دعوة أهل نجد مذهباً جديداً أو مِلَّةً جديدةً؛ ذلك أنَّ الترك رأوا فيها مغايرةً عن جادَّتِهم الصوفية البدعية الخرافية.

لذلك تجد أحد الدبلوماسيين الفرنسيين في بغداد ينقل لك ما يشيعه الترك في باشويتهم العثمانية في العراق من الدعايات السيِّئة ضدَّ السعوديين السلفيين وكيف أنه وصفهم ـ متأثراً بتلك الشائعات ـ بالوهابية وأنهم أصحاب مِلَّةٍ جديدة[1].

(١) انظر: جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» (٢٤).

ومثله الطبيب الفرنسي والجرَّاح الخاص بمحمد علي باشا[١]، وهو كلوت بيك (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)[٢] الذي ردَّدَ ما يسمعه من شائعات راجت في مصر، فقال: «هؤلاء الوهابيون خوارج مبتدعون في الإسلام، وكانت المدينة ومكة قد سقطتا في قبضتهم فنهبوا ما فيه، وكانت القوافل التي تذهب بالحجَّاج لأداء مناسك الحج تخشى

(١) محمد علي باشا: ابن إبراهيم آغا بن علي، مؤسِّس آخر دولة ملكية بمصر. ألباني الأصل، مستعرب، وُلِدَ في (قولة) التابعة اليوم لليونان. احترف تجارة الدخان فأثرى، وكان أُمياً تعلَّم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره، قَدِمَ مصر قائداً لقوةٍ من المتطوِّعة نجدةً لردِّ غزاة الفرنسيين عن مصر، وتتابعت الحوادث حتى تولَّى مصر سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، فقام بالغدر بالمماليك في حادثة مذبحة القلعة الشهيرة، وأرسل حملةً ـ أمرته بتجهيزها الدولة العثمانية ـ لإسقاط الدولة السعودية الأولى، ثمَّ توسَّع ضدَّ الدولة العثمانية في الشام حتى وصل حدود (إسطنبول)، ثم توسَّع في السودان، حتى أصبحت مصر خالصٌ حكمها بالوراثة له ولأولاده وأحفاده، أقام في مصر نهضة لا يجحدها منصف. توفي سنة ١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م. انظر ترجمته وتواريخ حوادثه عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» في صفحات طويلة جدا من المجلدة الثالثة والرابعة. وخليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا». ومحمد فريد بِك «البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية». وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي باشا».

(٢) كلوت بِك: هو الدكتور أنطوان برتولمي كلوت، كان من جملة أطباء فرنسيين استقدمهم محمد علي باشا بقصد تطبيب الجيش سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م. وكان محمد علي باشا يركن إليه ويثق برأيه ويُجيب مطاليبه. وهو الذي أدخل تطعيم الجدري للأطفال والغلمان بمصر ولم يكن متداولاً قبله. غادر مصر في عهد عباس باشا الأول لوحشةٍ وقعت بينهما. انظر ترجمته عند: جورجي زيدان «تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر» (٧/٢ ـ ١٤). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الثاني (الورقة: ١٥٠ ـ ١٥٢).

من أن يسوقها الوهابيون بعصا التنكيل»[١].

ومثله أيضاً يردّد الميرلاي إسماعيل سرهنك (ت: ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)[٢] ما شاع في مصر العثمانية من أكاذيب حول دولة آل سعود ودعوتهم السلفية، فيقول: «استفحل أمر العرب الوهابية بالأقطار الحجازية، واستولوا على الحرمين الشريفين وقطعوا الطريق على الحجَّاج والقوافل، وكانت دعوتهم مناقضة للسنَّة الإسلامية وبدعة مخالفة للآثار المحمَّديَّة»[٣].

وهذا كذب وبهتان؛ فإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب **«قد عُرِفَ واشتُهِرَ واستفاض من تقاريره ومراسلاته ومصنَّفاته المسموعة المقروءة عليه وما ثَبَتَ بخطِّهِ واشتُهِرَ من أمره ودعوته وما عليه الفضلاء من أصحابه وتلامذته؛ أنَّه على ما كان عليه السلف الصالح وأئمَّة الدين أهلُ الفقهِ والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله ونعوت جلاله»**[٤].

---

(١) أ. ب. كلوت بِكْ «لمحة عامَّة إلى مصر» (٦١ ـ ٦٢). وقد فنَّدنا تلك الأكذوبة في الفصل السادس.

(٢) الميرلاي إسماعيل باشا بن سرهنك بن عبدالله الكريدي (نسبةً إلى جزيرة كريت): مؤرّخ من القادة البحريين، أصله من جزيرة (كريت)، جاءت أسرته إلى مصر في عشرينيات القرن التاسع عشر الميلادي عندما أحضر إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا والد إسماعيل سرهنك إلى مصر طفلاً من جزيرة (كريت) أثناء حرب المورة، فمولد إسماعيل بمصر سنة ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م ووفاته فيها أيضاً. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٣١٤/١).

(٣) إسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار عن دول البحار» المجلَّد الأول من الجزء الثاني (ص٤١٥) بتصرّفٍ يسير.

(٤) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ، ضمن «الدرر السنية» (٥١٦/١).

أما أَتْبَاع الدعوة؛ «فعقيدة القوم تحكيم الكتاب والسنَّة والأخذ بأقوال سلف الأمة وأئمتها؛ كالأئمة الأربعة وأمثالهم في باب وجوب إخلاص العبادة لله ومحبَّتِهِ والإنابة إليه وتعظيمه وطاعته، وفي باب معرفته بصفات كماله ونعوت جلاله، فهم على طريقة السلف، وينكرون التعبُّد بالبدع التي لم يشرعها الله ولا رسوله من كلِّ فعلٍ أو قولٍ تركه رسول الله ﷺ وتركه أصحابه مع قيام المقتضى الموجب له لو كان شرعاً.

وينهون عن وسائل الشرك وذرائعه؛ كبناء المساجد على القبور والصلاة عندها وإيقاد السُّرُج عندها والعكوف لديها واتخاذ السَّدَنة لها واتخاذها أعياداً تُزار وتُقصَد في يوم معلوم ووقتٍ مرسوم، فإنَّ هذا فيه من روائح الشرك ووسائله ما لا يَخفى»[١].

فدعوتهم السلفية ليست ملَّة جديدة ولا دين جديد أو مذهب خامس، بل هي دعوة الأنبياء إلى توحيد الله ونبذ الشرك وسائر البدع، باتباع ما أمر الله به في كتابه الكريم والاستنان بهدي نبيه ﷺ[٢].

فهم «حنابلة سنيُّون بأتمِّ معنى الكلمة، وحَسبُكَ أنَّه ليس لهم كتبٌ مذهبية للمذهب الوهَّابي مثلاً، بل كتبهم كتب الحنابلة نفسها»[٣].

---

١) من رسالة للشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (١/٥٠٢ ـ ٥٠٣) باختصار وتصرف يسير.

٢) انظر: تعليقات ابن عقيل الظاهري على كتاب «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» لجان ريمون (ص٢٤) في الهامش.

٣) محمد السعيد الزاهري «الوهابيون سنيُّون حنابلة» مقال له بمجلة «الصراط السويّ» لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية ١٣٥٢هـ/١٦ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥، (ص: ٤).

لذلك قال محمود شكري الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ/١٩٢٤م)[(١)]: «وأهل نجد لم يبتدعوا مذهباً من تلقاء أنفسهم، بل الغالب منهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، والقليل على مذهب أبي حنيفة والشافعي ومالك ـ رحمهم الله ـ في الفروع والأصول، وما نُسِبَ إليهم من الترُّهات هو من تقوّلات أعدائهم أعداء الله ورسولهﷺ»[(٢)].

وقال السيِّد محمد رشيد رضا: «إنَّ هؤلاء النجديين المنبوزين بلقب الوهابية؛ سنيُّون مستمسكون بمذهب السلف في العقائد وبمذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفروع، وأنَّهم أشدّ شعوب المسلمين في هذا العصر اتّباعاً، وأبعدهم عن الابتداع وارتكاب المعاصي»[(٣)].

ثمَّ إنَّ الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب لم يبتدع أو يؤسس مذهباً جديداً، إنمَّا مؤسسه هو خاتم النبيين محمد ﷺ[(٤)]، لذلك بيَّن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى حال من انتصبوا لعداوته ودعوته ورموه بأنَّه يدعو إلى مذهبٍ خامس، فقال: «إنَّا لمَّا أنكرنا عبادة غير الله، بالَغْتُم في عداوة هذا الأمر وإنكاره وزعمتم أنَّه مذهب خامس وأنَّه باطل»[(٥)].

---

(١) محمود شكري بن عبدالله بن شهاب الدين محمود الآلوسي الحسيني، أبو المعالي. من أهل بغداد. مؤرِّخ عالمٌ بالأدب والدين، من الدعاة إلى الإصلاح. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١٧٢/٧ ـ ١٧٣).

(٢) محمود شكري الألوسي «فتح المنَّان» (٢٤١ ـ ٢٤٢).

(٣) محمد رشيد رضا «الوهابيون والحجاز» (٧ ـ ٨).

(٤) انظر: محمد السعيد الزاهري، المقال السابق (ص: ٥).

(٥) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب. تجدها عند: حسين بن غنَّام «تاريخ ابن غنَّام» (٣٩٠/١).

والحق «**أنَّ الذي قام به شيخ الإسلام** [محمد بن عبدالوهاب] **لا يقال له مذهب، وإنَّما يقال له دينٌ ومِلَّة**؛ فإنَّ التوحيد هو دين الله ومِلَّة خليله إبراهيم ودين جميع الأنبياء والمرسلين، وهو الإسلام الذي بعث به محمد ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة سلفاً وخَلَفاً»[١].

من هنا بيَّنَ الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود عقيدتهم التي يدينون بها ودعوتهم التي يدعون إليها، ردّاً على من يثير ذلك اللغط وتلك المغالطة حول الدولة والدعوة، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إنَّنا متَّبعون لا مبتدعون، ونعبد الله وحده لا شريك له ونتبِّع رسوله ﷺ فيما أمر به وينهى عنه، ونُقيم الفرائض ونُجبِرُ مَنْ تَحتَ يَدِنا على العمل بها، وننهى عن الشرك بالله وننهى عن البدع والمُحرَّمات، ونُقيم الحدود، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونأمر بالعدل والوفاء بالعهود والمكاييل والموازين وبرِّ الوالدين وصِلَة الأرحام، هذا صفة ما نحن عليه وما ندعوا الناس إليه»[٢].

وعليه؛ نفهم لماذا استغرب السيد محمد رشيد رضا حين قال: «**إنّي لا أعلم على وجه الأرض مذهباً يُسمَّى وهابيّاً، وإنَّ هؤلاء الذين تنبزونهم بالوهابيين هُم حنابلة، إنَّما الدولة العثمانية لمَّا رأت النهضة التي قام بها الداعي إلى السُنَّة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونَصَرَهُ آل سعود، خَشِيَت أن يَعظُم أمر العرب، فَدَعَت علماء السوء للطعن في الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره آل سعود لإحباط مساعيهم**،

---

١) من جواب للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمٰن على أسئلة من الساحل الشرقي، ضمن «الدرر السنية» (١/٤٤٠).

٢) من رسالة الإمام سعود إلى أهل نجران، ضمن «الدرر السنية» (١/٢٨٥ - ٢٨٦).

فكتبوا وألَّفوا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحقّ والعياذ بالله»(١).

ثمَّ اشتد العلماء الموالون للدولة العثمانية في تكرار نشر الشائعات بأنَّ أهل نجد خوارج يكفّرون المسلمين؛ ومن أولئك العلماء: **محمد بن فيروز** (ت: ١٢١٦هـ/١٨٠١م) الذي كان صريحاً في معاداة آل سعود الذين نصروا دعوة الشيخ، إذ كان ابن فيروز يحارب أتباع دعوتهم السلفية بما يخطّه من الرسائل والقصائد والأجوبة، **وقد بلغ من كيده أَنَّهُ كاتب السلطان العثماني يَستَنجِده ويُحَرِّضه على قتالِ أهل نجد أتباع الدولة السعودية، الذين وصفهم ابن فيروز بالبغاة الخوارج**(٢).

كما بلغ من كيد ابن فيروز وعداوته لآل سعود أنْ سَفَّ إلى درجةٍ أوصلته لتقريض رسالة تلميذه عبدالله بن داوود الزبيري (ت: ١٢٢٥هـ/١٨١٠م) التي سمَّاها **«الصواعق والرعود في الردّ على ابن سعود»**(٣). وابن داوود هذا من أشدّ الجادّين في مجابهة الدعوة السلفية التي ناصرها آل سعود(٤).

أمَّا رجالات الحكومة العثمانية فكانوا على قدر كبير من الوضوح في نبز السعوديين بأنَّهم خوارج؛ ودلالة ذلك: الرسالة التي

---

(١) نقله عنه: عبدالحميد بن باديس في مقال بعنوان «وهابي» في مجلة «الصراط السويّ»، ٤ رجب ١٣٥٢هـ/ ٢٥ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥، (ص٤ ـ ٥).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٩٧٣/٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٥٣/٣).

(٣) انظر: عبدالعزيز العبد اللطيف «دعاوى المناوئين» (٤٤).

(٤) انظر: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (١١٤/٤).

أرسلها والي الشام يوسف باشا كنج إلى والي مصر محمد علي باشا بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/١٦ أبريل ١٨٠٨م يَحُثُّهُ فيها على إجابة أمر السلطان التركي العثماني لقتال السعوديين، حيث جاء فيها: إنَّ السلطان «**أَمَرَكُم أنْ تستلّوا حسامكم البتَّار وتقاتلوا طائفة الوهابيين الذين قد انحرفوا منذ وقتٍ ليس بقصير، فَحُسُّوا رؤوس هؤلاء الطغاة حتى تزول فتنتهم من أرض الحرمين الشريفين وتتطهَّر الأرض من فسادهم ودنسهم**[١]**، وابذلوا جهدكم في مقاتلة أولئك الوهابيين الخوارج ليتطهر الحرمين من شرّهم وفسادهم**»[٢].

ووصف هذا التركي إمامَ الدولة السعودية بألفاظٍ سيِّئَةٍ ونبزه بألقاب لا تليق[٣]، ثمَّ وصفه بأنَّه «**رئيس الخوارج السعود**»[٤]، ومن بعد ذلك رماه بالكفر فقال: «**الكافر الخارجي المذهب**»[٥]!.

---

(١) هكذا كان رجالات الدولة العثمانية يلوكون مثل تلك الألفاظ ويستخدمون هذه الهمزات واللمزات حين يتكلمون عن السعوديين.

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م (١/٥٧ ـ ٥٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م (١/٥٧ ـ ٥٩). ومحفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٧٧)، بتاريخ ٥ ذي القعدة ١٢٢٦هـ/ ٢١ نوفمبر ١٨١١م (١/٣٣٨). ودفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٦)، بتاريخ غرَّة ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٦ مايو ١٨٠٩م (١/٩٧).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية سنيَّة، وحدة الحفظ (١٦)، بتاريخ ربيع الثاني ١٢٢٨هـ/ ٣ أبريل ـ ١ مايو ١٨١٣م (٢/٤٦).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٤).

كما كانت السلطات العثمانية في تركيا تسمّي السعوديين: «**أشقياء الطائفة الوهابية الخوارجية المكروهة**»، وكانت تصفهم بذوي الأجسام الخبيثة، وتدعو باشاتها في الشام ومصر وبغداد أن يدمّروا السعوديين ويقهروهم، وتقول لهم: إنّه ينبغي عليكم «قمع وقطع عروق المفسدين»[١].

وتناشد الدولة العثمانية عساكرها التركية أن تعمل على «تطهير الأرض المباركة من تلويث أجسام الخوارج»[٢] و «طرد الخوارج الذين احتلوا الحرمين المحترمين فدنَّسوها بلوثهم»[٣]. هكذا!.

ثم طلبت إسطنبول من باشاتها أن «ينتزعوا البلاد المقدَّسَة مِن أياديهم المنحوسة»[٤]، داعيةً إلى «تطهير الأراضي المباركة من تلويث أجسام الخوارج»[٥]، هكذا، قاصدةً بذلك السعوديين.

كما كان رجالات الحكومة العثمانية يصفون السعوديين بوصف

(١) نفس وثيقة يوسف باشا السابقة (مكررة) بألفاظ أخرى (٦٧/١).

(٢) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م. ضمن (١٤٦/١) (٢٩٦/١).

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٦)، بتاريخ ١٣ صفر ١٢٢٥هـ/ ٢١ مارس ١٨١٠م (١٦٥/١).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (١٥)، بتاريخ ٢٢ ذي الحجة ١٢٢٣هـ/ ٨ فبراير ١٨٠٩م (٨٩/١).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م (١٤٦/١).

«الخوارج الخونة» و«المناحيس»[١] و«شرذمة الخوارج المنحوسين»[٢] و«الخوارج المنطوين على الخبث»[٣] و«الروافض»[٤] و«الحشرات الوهابية»[٥] و«الحشرات الملعونة»[٦].

على تلك الهيئة كانت الدولة العثمانية ومن يواليها يلوكون تلك الألفاظ الساقطة ضدّ السعوديين، وعلى هذه الصورة يستبين لك أنَّ الترك العثمانيين كانوا بلا مواربة يرون السعوديين خوارج؛ ودليل ذلك أنَّ السلطات العثمانية كانت تتراسل مع محمد علي باشا وتخبره بأنَّ نيَّتها تتَّجِه إلى «إبادة الخوارج[٧] المحرومين من الإيمان»، هكذا. وتسمّيهم بالخوارج اللامذهبية[٨]، و«أصحاب

---

(١) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (١٥)، بتاريخ ٢٢ ذي الحجَّة ١٢٢٣هـ/ ٨ فبراير ١٨٠٩م (١/٨٩).

(٢) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ١٩ ذي الحجَّة ١٢٢٤هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٠م (١/١٢٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (١٠)، بتاريخ ٧ صفر ١٢٢٨هـ/ ٩ فبراير ١٨١٣م (٢/٣٧).

(٤) دار الوثائق القومية، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (٢٨)، بتاريخ ١١ ربيع أوَّل ١٢٢٥هـ/ ١٦ أبريل ١٨١٠م (١/١٧٩).

(٥) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٧٣)، بتاريخ غرَّة رمضان ١٢٢٦هـ/ ١٩ سبتمبر ١٨١١م (١/٣٢١).

(٦) دار الوثائق القومية، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٢٨ جمادى الثاني ١٢٢٥هـ/ ٣١ يونيو ١٨١٠م (١/٢٠٠).

(٧) تقصد السعوديين.

(٨) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (٩٧)، بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٢٢٨هـ/ ١٨ مارس ١٨١٣م (٢/٤٣).

الآراء الملعونة»[١].

أقول: **أمَّا أَنْ يكون السعوديون خوارجاً وبغاةً، فهذا من الجناية والكذب والبهتان**، فهذا إمام الدعوة السلفية **الشيخ محمد بن عبدالوهاب** يقول: «**ونبرأ إلى الله مِمَّا أتت به الخوارج وقالته في أهل الذنوب من المسلمين**»[٢]. وقال رَحِمَهُ اللهُ أيضاً: «**ولا نحكم على أحدٍ من أهل القبلة الذين باينوا لعبَّاد الأوثان والأصنام والقبور بمجرّد ذنبٍ ارتكبوه وعظيم جرمٍ اجترحوه**»[٣].

وهذا الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن آل الشيخ يقول عن أهل الدعوة: «**ولم يكفِّروا أحداً من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه، كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر**»[٤]، «**ويرون الصلاة على كلِّ من مات من أهل القبلة: مؤمنهم وفاجرهم**»[٥].

وكان الإمام سعود عبدالعزيز قد أرسل إلى الوالي العثماني في العراق سليمان باشا ردّاً على تلك الفرية التي شاعت عن السعوديين في العراق، فقال سعود: «**ونحن بحمد الله بريؤون من هٰذين المذهبين: مذهب الخوارج والمعتزلة، ونحن بحمد الله لا نكفِّر أحداً**

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٩)، بتاريخ غرَّة صفر ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (٢٨/٢).

(٢) قولٌ للشيخ محمد بن عبدالوهاب، نقله عنه الشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٢٢/١).

(٣) المصدر السابق (٥٢٢/١).

(٤) من رسالة للشيخ إسحاق بن عبدالرحمٰن، ضمن «الدرر السنيَّة» (٥٣٢/١).

(٥) المصدر السابق (٥٣٥/١).

من أهل القبلة بذنب، وإنَّما نُكفِّر لهم بما نصَّ الله ورسوله ﷺ وأجمع عليه علماء الأمة المحمدية الذين هم لسان صدق في الأمة أنَّه كفر؛ كالشرك في عبادة غير الله من دعاءٍ ونذرٍ وذبحٍ وكبغض الدين وأهله والاستهزاء به، أمَّا الذنوب كالزنا والسرقة وقتل النفس وشرب الخمر والظلم ونحو ذلك فلا نكفِّر من فعله إذا كان مؤمناً بالله ورسوله، إلَّا إنْ فعله مستحلّاً له»[١].

لذلك قال الإمام محمد بن علي الشوكاني: «وبعض الناس يزعم أنَّه[٢] يعتقد اعتقاد الخوارج، وما أظنّ ذلك صحيحاً»[٣].

أمَّا نبز الترك العثمانيين لأهل الدولة السعودية الأولى بنبز «الوهابية»؛ فهذا النبز أُطلِقَ على دعوة السلف الصالح في جزيرة العرب بغير تسميتهم ولا رغبتهم؛ إنَّما ظهر هذا النبز من أجل التضليل وأنَّ دعوتهم بدعة[٤].

فهذا المؤرّخ أمين الحلواني بالرغم من أنَّه لا يميل ناحية الدولة السعودية الأولى ودعوتها السلفية، بل إنَّه ظاهر الميل لدولة الأتراك العثمانية، إلَّا أنَّه قال: «ويُسمَّون بالوهابيين؛ نسبةً إلى محمد بن عبدالوهاب النجدي، وإلَّا ففي الحقيقة فأفعالهم وآثارهم هي أفعال

---

(١) من رسالة الإمام سعود إلى الوالي العثماني في العراق، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٠٧/١ ـ ٣٠٨) بتصرّف يسير.

(٢) يقصد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

(٣) محمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٥٧/١).

(٤) انظر: تعليقات الشيخ ابن عقيل الظاهري على كتاب «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم» لجان ريمون (ص٢٤).

الحنابلة الأقدمين، وهي أفعال أهل الحديث في القرون الوسطى»[١].

ومن يتأنَّى في قراءة تاريخ هذه الحوادث في تلك الفترات سيظهر له يقيناً أنَّ «**اسم الوهابية أو الوهابيين أطلقه خصومهم ومن ساهم في الدفاع عن بقاء البدع في المجتمع الإسلامي، أمَّا أهل نجد الذين تَبِعوا الشيخ محمد بن عبدالوهاب فحنابلةٌ في عباداتهم وفِقهِهِم، وعلى مذهب السلف في عقائدهم وإيمانهم»**[٢].

ومن خلال التأنّي الذي نوَّهتُ عليكَ به؛ سَتَعلَم أنَّ «**الأتراك العثمانيين هم الذين أثاروا هذا النكير وهم الذين نشروا هذه الدعاية الكاذبة ضدّ ابن سعود الذي كان افتكَّ منهم الحرمين الشريفين. نعم؛ الأتراك هم الذين سمّوا حنابلة نجد باسم الوهابية، وهم الذين نشروا عنهم التُّهَم والأكاذيب في العالم الإسلامي واستأجروا الفقهاء في جميع الأقطار ليؤلِّفوا ويكتبوا ويكذبوا على حنابلة نجد»**[٣].

«وكان أشهر هؤلاء الطاعنين مفتي مكة المكرمة الشيخ أحمد زيني دحلان المتوفِّي سنة ١٣٠٤هـ [١٨٨٦م] ألَّفَ رسالةً في ذلك تدور جميع مسائلها على قطبين اثنين: قطب الكذب والافتراء على الشيخ، وقطب الجهل بتخطئته فيما هو مصيبٌ فيه»[٤].

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥١).

(٢) من تعليقات محبّ الدين الخطيب على كتاب «مختصر مطالع السعود» (١٥١) لأمين الحلواني.

(٣) محمد السعيد الزاهري «الوهابيون سنيُّون حنابلة» مقال سبق ذكره (ص٤ ـ ٥).

(٤) من مقدِّمة محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (١٢) لمحمد بشير السهسواني.

ودحلان هذا إلى جانب حقده العقدي؛ هو رجلٌ موتور، فإنَّه يزعُم أنَّ السعوديين السلفيين قتلوا جدَّه [١] ؛ لذلك تراه لا يصف عقيدة السعوديين ودينهم إلا بوصف «الطين»، وأنَّ ابن سعود «أدخل القبائل في طينه»، ويصف الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأنَّه أتى «بالعقيدة الزائغة»[٢].

من هنا نفهم لماذا تملَّك العجب السيد محمد رشيد رضا حين قال: «**كُنَّا نسمع في صِغَرِنا أخبار الوهابية المستمَّدَة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله، فنصدِّقها بالتَّبَعِ لمشايخنا وآبائنا ونُصَدِّق أنَّ الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم وخَضَدَت شوكتهم، وَأَنَا لم أعلَم بحقيقة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر والاطلاع على تاريخ الجبرتي**[٣] وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى[٤]، فعلمتُ منها أنَّهم هم[٥] الذين كانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم[٦]، وأنَّ الدولة العثمانية ما حاربتهم إلا خوفاً من تجديد مُلْكِ العرب وإعادة الخلافة الإسلامية سيرتها الأولى»[٧].

---

(١) انظر: عبدالقادر بن بدران «النفخة على النفحة والمنحة» (٧٧).

(٢) كما سبق بيانه في الفصل السادس. وانظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٢٩٩) (٣٥٥ ـ ٣٥٦) (٣٦٣).

(٣) اسمه «عجائب الآثار في التراجم والأخبار» في أربعة مجلَّدات.

(٤) هو كتاب للشيخ المؤرّخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري السلَّاوي المغربي.

(٥) يقصد السعوديين السلفيين.

(٦) يقصد الأتراك العثمانيين.

(٧) من مقدِّمة محمد رشيد رضا لكتاب «صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان» (١٢ ـ ١٣) لمحمد بشير السهسواني.

ـ ادِّعاء العثمانيين بأنَّ السعوديين منعوا المسلمين من الحجّ:

كان المناوئون للدولة السعودية في بقاعٍ كثيرة ـ بل في أقطارٍ بأكملها ـ قد امتنعوا عن القدوم للحجِّ[1] متخذين ذريعة منعهم من قِبل السعوديين، فكان لتلك الفَرية أصداء واسعة في أرجاء العالم الإسلامي؛ فقد روَّج المؤرّخ المصري الميرلاي إسماعيل سرهنك ما كان يشيعه أعداء الدولة السعودية وقتها، فقال «**استفحل أمر العرب الوهابية بالأقطار الحجازية، واستولوا على الحرمين الشريفين وقطعوا الطريق على الحجَّاج والقوافل**»[2].

حتى أنَّ المؤرّخ العراقي إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري (ت: ١٢٨٦هـ/١٨٦٩م)[3]، على ما فيه من الإنصاف الكثير تجاه السعوديين، إلَّا إنَّه صدَّقَ تلك الأكاذيب التي أطلقها العثمانيون الأتراك ضدهم، فانساق معهم في اتهام السعوديين بأنَّهم خوارج يكفّرون المسلمين ويمنعونهم من الحجّ[4].

والحق أنَّ أصحاب تلك الشائعات كاذبون مفترون، فإنَّ السعوديين لم يمنعوا من ابتغى الحجّ على وجهه الشرعي، **وهو الواقع**

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement), vol,2. P,733.

(٢) إسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار عن دول البحار» المجلَّد الأول من الجزء الثاني (ص٤١٥).

(٣) مؤرّخ من أهل العراق، له ترجمة عند: السيّد سعيد الراوي «تاريخ الأسر العلمية في بغداد» (١٢٢ ـ ١٢٥).

(٤) انظر: إبراهيم فصيح الحيدري «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد» (٢١٧).

الذي شهد به الحجاج المغاربة حين أدلوا بشهادتهم للمؤرِّخ الجبرتي في سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م على أنَّ ما يُرَوَّجُ ضدَّ السعوديين إنَّما هو من قبيل الافتراء الظالم، بل أخبر أولئك المغاربة بأنَّهم حجّوا وقضوا مناسكهم على خير وجه، وأنَّ الناس حجُّوا تلك السنة بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار(١).

وفي رسالة الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى السلطان العثماني في ١٠ محرم ١٢١٨هـ/٣ مايو ١٨٠٣م تبيانٌ ينقض فرية منع السعوديين للحجاج من أداء فريضة الحجّ، وإنَّما المنع جارٍ على ما يصاحب محامل الحجّ التركية من طبول ومزامير(٢).

وهو عين الأمر الذي شهد به الجبرتي بما ينقض هذا الافتراء على السعوديين من أنَّهم منعوا المسلمين من الحجّ، فقد أخبرنا الجبرتي أنَّه في آخر محرم ١٢٢٢هـ/أبريل ١٨٠٩م مَنَعَ ابن سعود ما يصحب محامل الحجّ من الطبل والزمر والأسلحة وكل ما كان مخالفاً للشرع، وأنَّ المصاحبين للمحمل رجعوا من غير حجّ ولم يتركوا مناكيرهم(٣).

وأحد مؤرّخي العراق حزينٌ من منع ابن سعود الطبول والمزامير في موسم الحج، فقال هذا المؤرّخ: أنَّ «الوهابيّ تعاقد مع الحاج عبدالله باشا [العظم] على ألّا يُشْرَب التتن ولا النرجيلة وأن لا يكون

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨٤/٤).

(٢) انظر نصّ الرسالة عند: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٣٨ ـ ٣٩).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٨٣/٤).

معهم محمل ولا طبول ولا زُرنا[١]، وأمثال ذلك من خرافتهم»[٢]. **هكذا يرى ذلك المؤرخ الموالي للترك العثمانيين أنَّ هذا المنع المحافظ على قدسية الحجّ؛ خرافة!.**

الشاهد؛ **أنَّك ستجد في الوثائق التركية ما يؤكّد أنَّ آل سعود لم يمنعوا الحجاج من الحجّ، إنما محامل الحجّ هي التي امتنعت من تلقاء نفسها**، فقد ذكرت تلك الوثائق: «أنَّه حينما وصل حجاج الشام إلى المحلّ المعهود [محلة هدية] لم يستجرئوا على أنْ يتقدّموا بخطوة، وعملوا بمضمون: العودُ أحمد»[٣]. فتلك الوثيقة تؤكّد ما نوّهنا عليه هنا.

بل إنَّ **المؤرّخ المصري الجبرتي** جاء بنقضٍ لتلك الفرية في موضعٍ آخر من تاريخه حين تطرَّق لحوادث سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م[٤]. ومثله نقضها شاهد عيان وهو المستشرق **بوركهارت** الذي **أكَّد بأنَّه التقى برجل من أهل حلب حجَّ طيلة وقت حكم آل سعود لمكَّة آنذاك بدون أيَّة مضايقات**[٥].

والحقُّ أنَّ الحجاج آنذاك يحجّون في ظلّ حكم آل سعود بيسرٍ

---

(١) زُرْنا: كلمة تركية الأصل، تكتب «زُورْنا»، وتعني: مزمار. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٢٨٣).

(٢) ياسين خير الله العُمري «غرائب الأثر» (١٠٧).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ برقم (٣)، بتاريخ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م (من دون تحديد يوم أو شهر)، (٣٨/١).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤١/٤).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٩).

بأمنٍ وأمان[1]، يؤكِّد ذلك المؤرّخ حسن بن جمال الريكي، وهو مؤرِّخ غير موالٍ لآل سعود، بل إنَّه في بعض الأحايين يناوئهم، ومع ذلك شهد لهم بالحقِّ فقال: «كانت البداة[2] الأقوياء يأخذون على الحواج[3] مالاً كبيرا، وكانت هذه الحالة في أرض بني خالد إلى بابي مكة والمدينة، فلمَّا استقرَّ الحكم لآل سعود منعوا جميع العرب[4] التي تحت سلطتهم من أعراب نجد وغيرهم كعرب الحجاز عن التعرّض للحاج، وقالوا لكبار هؤلاء الطوائف تأليفاً لقلوبهم: هذا نحن نجري لكم من بيت المال بعض الذخائر، فلا تقربوا الحجاج بشيء، وأخذوا عليهم عهداً.

فعلى هذا كان الحاجّ المُعَاهَد يمرُّ بجميع جزيرة العرب فلا يعترضه أحد. وكان لهم حكمٌ قاهرٌ لم يجرؤ أحدٌ من البدو أو الحضر أن يسرق شيئاً ولو عقال بعير.

وقد أجروا هذه السياسة على جميع من في مملكتهم؛ بحيث تحمل الأنثى حُليّها وتمضي وحدها مسافة مرحلة أو أكثر أينما شاءت ليلاً أو نهاراً، ولم يتعرّضها أحدٌ قطّ»[5].

---

١) ومن فضل الله لا يزال الحجَّاج إلى يوم الناس هذا يحجُّون بأمنٍ وأمانٍ ومزيد ارتياح إلى بيت الله الحرام في ظلّ حكم أسرة آل سعود، إذ لم يُخدم الحرمان الشريفان بمثل ما خُدِمَ في عهد دولتهم المباركة.

٢) البدو.

٣) الحجاج.

٤) يقصد البدو.

٥) حسن بن جمال الريكي «لمع الشهاب» (١٠٤ ـ ١٠٥) باختصار وتصرف يسير.

وذات الأمر أَكَّدَه أمين الحلواني؛ وهو مؤرّخٌ غير موالٍ لآل سعود، حيث قال: «**ومن محاسن الوهابيين؛ أنَّهم أمَّنوا البلاد التي مَلكوها، وصار كل ما تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمارٍ بلاخَفَرٍ، خصوصاً بين الحرمين الشريفين، فَعُدِمَ الشرُّ في زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحّش إلى الإنسانية**»(١).

وتجد ذات التأكيد عند المؤرّخ النجدي عثمان بن بشر (ت١٢٩٠هـ/١٨٧٣م) حين قال عن آل سعود: «**استبشرت بهم الحرمان الشريفان لمَّا أزالوا عنها الطغيان والبناء على القبور والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان، ونادوا في فجاجها: إنَّ الله يأمر بالعدل والإحسان، وسارت الظعينة إليها من العراق والشام واليمن والبحرين والبصرة وما حولهم وما دونهم لا تخشى أحداً إلا الله الواحد المنَّان. وبَطَلَ في زمانهم جوايز الأعراب على الدروب، فلا يتجاسر أحد من سرَّاقهم وفَسَقَتِهِم فضلاً عن رؤسائهم أن يأخذ عِقالاً فما فوقه من الأثمان، فسمّوها الأعراب سنين الكمام؛ لأنَّهم كُمَّ عليهم عن جميع المظالم الصغار والجسام، فلا يلقى بعضهم بعضاً في المفازات المخوفات إلَّا بالسلام عليكم. والرجل يأكل مع قاتل أبيه وأخيه كالإخوان، وزالت سُنن الجاهلية وزال البغي والعدوان**»(٢).

فيتضّح لَنا مِمَّا سَبَق؛ **أنَّ أهل الدولة السعودية الأولى ممثلة بإمامها الإمام سعود الكبير لم يمنعوا أحداً من الحج كما يزعم أعداؤهم، بل إنَّ آل سعود أمَّنوا الحاج في جميع أراضيهم حتى يؤدي**

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٤٧ ـ ١٤٨) باختصار.

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٧ ـ ٢٨).

نسكه ويقضي تفثه ويخرج من أراضيهم بأمنٍ وأمان، إنّما الذي منعه الإمام سعود هو ما يأتي مع المحمل من مناكير ومفاسد لا تتفق وشرعية الحج وقدسية المكان[١]؛ وعليه فإنَّه بإمكان أيّ مسلم أن يحجّ مادام تاركاً لتلك المناكير والمفاسد.

وبالرغم من كلّ تلك الحقائق؛ فإنَّ أعداء الدولة السعودية الأولى من أهل البدع والمُحْدَثات في الدولة العثمانية لم يكتفوا بمقاطعة الحج وادّعائهم بأنَّ أهل الدعوة السلفية قد منعوهم من ذلك، بل لجؤوا إلى وسائل كانت أنكى في النيل والتشهير بالسعوديين؛ **ومن ذلك قطع جميع المساعدات والهبات والصدقات عن مكة والمدينة**[٢]، ويأتي في مقدمة ذلك: الأموال المخصصة للحرمين من قِبَلِ الدولة العثمانية؛ والتي كانت تَجعل للحرمين مخصصات مالية وأخرى عينية من الغلال، وتبعث بها سنوياً إليه، فتوزَّع على أهلها خصوصاً العلماء وطلبة العلم والفقراء والمجاورين وكثير من الأهالي[٣].

فتسببت تلك المقاطعة الشديدة والحصار الاقتصادي في هياج الرأي العام عند المسلمين وتحويله ضد أهل الدولة السعودية الأولى،

---

١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol.2. P,741.

٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برًّا، رقم وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣هـ/ ١٦ أبريل ١٨٠٨م، (٦١/١). وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٤).

٣) انظر: محمد علي بيومي «مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبَّان العصر العثماني» (١١١ ـ ١١٩) (٣٥٢ ـ ٣٧٥)، رسالة ماجستير (غير منشورة) من كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٩٩٩م. وعلي بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين» (٢١٢/١).

وعن ذلك قال بوركهارت: «بعد أن خضعت مكة والمدينة للوهابيين، كان أبرز إجراء عثماني طبيعي يمكن أن يُتَّخذ: قطع كافة الإمدادات لتلك البلاد؛ وذلك بإغلاق ميناء القصير والسويس[١] أمام شحن أي شيء إليها»[٢].

ونتيجة لذلك ضجّ كثير من أهل الحرمين الذين كانوا لا يتعيَّشون إلا من طريق تلك الموارد، وشهد الجبرتي على ذلك قائلاً: «**لمَّا امتنعت قوافل الحجّ المصري والشاميّ وانقطع عن أهل المدينة ومكَّة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف[٣] والصُّرَر[٤] التي كانوا يتعيشون منها؛ فخرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك، وأتوا مصر والشام ومنهم من ذهب إلى إسلامبول[٥] يتشكَّون من الوهابي، ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها** من إجراء الأرزاق واتصال

---

(١) السويس: مدينة غرب خليج السويس بالبحر الأحمر. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢/١٨٢ ـ ١٨٣).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٥).

(٣) العلائف: مفردها علوفة. يعني: المواد الغذائية اللازمة للحيوان، ثمَّ صارت للإنسان والحيوان، ثمَّ صارت للراتب، وفي الإدارة العثمانية: رواتب العسكريين والمدنيين. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١١٤).

(٤) الصرر: جمع صرَّة؛ وهي أموال كان السلطان العثماني يرسلها إلى العلماء والفقراء والمتصوّفة في الحرمين المكي والمدني. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢٨٩ ـ ٢٩٠).

(٥) إسطنبول.

الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالفَرَّاشة[١] والكَنَّاسة ونحو ذلك»[٢].

وتأتينا الوثائق ناطقةً بأنَّه «وَرَدَ إلى مصر المأمورون لتلك الحوالي [مكة والمدينة] من مستخدمي الدولة العلية [العثمانية] وقضاة الإسلام وشيخ الحرم النبوي وسائر من كان يقيم هناك منفيّاً، وجلا كلّ واحدٍ من المجاورين بالمدينة ومكة» بعد أن قامت الدولة العثمانية بموجب فتوى علمائها بمنع إرسال الصرَّة والجرايات «**ما دام الخارجيّ المرقوم في تلك الحوالي**»[٣].

ولنا أن نتصوَّر ما أحدثه هؤلاء المهاجرون من أصداء واسعة المدى في أوساط المسلمين بسبب رحيلهم وتشكِّيهم من أهل الدولة السعودية الأولى، فَقَد انتشرت مظاهر السخط والنقمة التي سادت بعض بلدان المسلمين لأجل ما أصاب أهل الحرمين الذين لهم مكانة خاصة عندهم، **وإننا لنكاد نلمس آثار هذه المقاطعة الشديدة في تحويل الرأي العام عند المسلمين خصوصاً عند أهل الحرمين ضد أهل الدولة السعودية الأولى؛ حيث ألقوا باللائمة عليهم فيما حلَّ بهم من نكبة ومصيبة، ولجؤوا إلى البلدان الأخرى يقصُّون ما أصابهم وما وقع لهم من نقص المعيشة وتَقَلُّب الزمان، وأخذوا ينالون من**

---

(١) الفرَّاشة/ الفرَّاشون: هم القيّمون على نظافة المسجد النبوي الشريف، وبسط السجاد ومدّه. انظر: جوهان بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» (٢٨٧).

(٢) عبد الرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤١/٤).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٨م (بلا يوم وشهر)، (٣٨/١ ـ ٣٩).

السعوديين ويدعون إلى الخلاص منهم، ليس انتصاراً للدين بقدر ما هو انتصار للنفوس وحظوظها من المعايش والمتاع الزائل.

لقد رأينا حين حكم السعوديون الحرمين الشريفين وقاموا بإزالة مظاهر الشرك والبدع والمنكرات وإبطال المظالم ونشر التوحيد والسنَّة وإحياء العدل؛ أنه قد انتشر الرخاء وساد الأمن وانحلَّت الأسعار وفاضت الأقوات، فكيف لو استمر الحال على ذلك من توطيد الأمن وإقامة العدل ونشر العقيدة الصحيحة وهم في أقدس بقعة يؤمُّها عشرات الآلاف سنوياً، فيرون عدل هؤلاء الفاتحين؟.

حتماً سيكون لذلك أبلغ الأثر في نفوسهم، **ولكنَّ الحال كبُرَ على أهل البدع وأرَّقهم ما آل إليه أمر هذه الدولة ودعوتها السلفية من نصر وتمكين، وخافوا أن تتسع دائرتها وتُحْدِث بين الناس تغييراً، فيهبُّوا ضد سلطانهم التركي الغارق في البدع والمنكرات والظلم، عند ذلك امتنعوا عن الحج تظاهراً بمنع السعوديين لهم، ولجؤوا إلى قطع جميع المساعدات والمخصصات عن بلاد الحرمين، مما تسبَّبَ في نشوء أزمة اقتصادية خانقة دفع أهل الحرمين ثمنها، وأُلْقِيَ بتَبِعَتِها على السعوديين**[1].

ـ إشاعة العثمانيين أنَّ السعوديين يبغضون النبي ﷺ ويهينون مسجده وحُجرَته:

استمرَّ الأتراك العثمانيون ومن تَبِعَهُم في تهييج الرأي العام بِبَثِّ دعاياتهم وتلفيقاتهم ضدَّ السعوديين للنيلِ منهم ومن دعوتهم السلفية؛ كتلك الدعاية التي تقول أنَّهم يبغضون النبيﷺ ويتنقَّصون جنابه

(١) انظر: علي بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية» (٢١٢/١ ـ ٢١٤).

الكريم، فقد أشاعت حكومة الدولة العثمانية كِذبة سخيفة تقول فيها: إنَّ سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود «يدّعي بالتدريج وعلى مضيّ الزمن دعوى النبوَّة»، **وأنَّ السعوديين يقولون: «لا إلٰه إلا الله سعود خليفة الله، بدلاً من لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله»** . وافترت على السعوديين أنَّهم نَقَشوا تلك العبارة ـ المكذوبة عليهم ـ على كسوة الكعبة[1].

وعاونهم في ذلك من يوالون الترك العثمانيين ويتقرّبون إلى حكومتهم؛ فهذا أحد المؤرخين العراقيين الموالين للترك يشيع كذباً بأنَّ الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود «عَزمَ على هدم البيت العتيق ونَهْب مكة وهَدْم الحرم النبوي»[2]. وقال عن الإمام سعود بن عبدالعزيز: بأنَّه ترك علماءه في المدينة النبوية «يرشدون الناس إلى الضلالة»[3]. هكذا!.

وقد بيَّنَ لنا المؤرّخ المصري المنصف الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي أنَّ من يشيعون تلك الأكاذيب على الوهابيين لهم أغراضٌ من تلك الشائعات الكاذبة[4].

ومن تلك الأكاذيب التي أشاعوها: أنَّ الإمام سعود بن

---

(١) دار الوثائق القومية، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٦)، تاريخ ١ ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٦ مايو ١٨٠٩م (٩٨/١).

(٢) ياسين خير الله العُمري «غرائب الأثر» (٥٣).

(٣) المصدر السابق (١٠٧).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٩٩/٤ ـ ١٠٠).

عبدالعزيز بن محمد سرق الحجرة النبوية الشريفة[١].

والحقُّ أنَّ الإمام سعود رأى أخذ تلك الأموال وعدم إبقائها حبيسة الحجرة دونما فائدة تعود على المسلمين، فصرفها بحسب المصلحة، ووزَّعها على الكثير من أهل المدينة النبوية[٢]، وهو الأمر الذي شهد به حسن قلعي[٣] في التحقيق الذي أجرته معه سلطات الحكومة العثمانية، وقد أكَّد قلعي أن الإمام سعود لم يأخذ كلَّ مقتنيات الحجرة النبوية[٤].

وشهد بذلك أيضاً العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م)[٥] الذي قال: «**لم ينهب [سعود] مكَّة، وأمَّا المدينة فأخذ مال الحجرة اسماً له، وحقيقته لغيره... ما**

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement), vol,2. P,733.

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» (٢٧٩).

(٣) كان حاكم المدينة النبوية زمن الأتراك العثمانيين. انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٩٤). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٧٤/٤).

(٤) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٥٣/٣).

(٥) هو أحمد بن حسن بن رشيد بن عفالق القحطاني الأحسائي المدني القاهري الشهير بالحنبلي. وُلِدَ في (الأحساء) سنة ١١٧٧هـ/ ١٧٦٣م. كان قاضي الإمام سعود في (المدينة)، ثمَّ لمَّا وقعت بيد طوسون باشا هرب منها إلى (الدرعية)، ثمَّ لمَّا سقطت (الدرعية) رحَّله إبراهيم باشا إلى (القاهرة) فأكرمه محمد علي باشا وأغدق عليه. انظر: ترجمته عند: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١٢٦/١ ـ ١٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٨٦/٣ ـ ١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٥٧/١ ـ ٤٦٦).

أخذ سعود من الحجرة لم يذهب منه إلى الدرعية إلَّا بستَّة سحاحير... وأمَّا جوهر مجرَّد من الذهب فكيس فيه زمرّد أخضر كف واحدة قدر بيض الحمام... وأرسل الكيس للشريف غالب، وقال له: بِعْهُ على خواجات مكَّة وجُدَّة وخُذ بثمنِهِ رُزّاً وقمحاً وسَمْناً لعسكرِهِ الذي في المدينة، فأخذه الشريف غالب بثمنٍ بَخْس، وأرسل بعض الثمن ـ ما ذكر ـ للعسكر الذي في المدينة»[١].

ولدينا شهادة من شاهد عيان ومؤرِّخ ليس من أتباع آل سعود ولا موالٍ لهم ولا متعاطفٍ معهم؛ وهو: الفرنسي فيلكس مانجان مؤرِّخ محمد علي باشا، الذي قال: إنَّ الإمام عبدالله بن سعود لمّا تصالح مع إبراهيم باشا وسيَّرَهُ إلى مصر حيث والده محمد علي باشا، فمَّا التقاه الإمام عبدالله «كان بين يديه خلال اللقاء صندوق صغير من عاج[٢]، له شكل العلبة التي تُحفظ بها الجواهر، فسأله محمد علي عمَّا يكون في داخلها، فقال عبدالله: إنَّ فيه ما أخذه والده سعود من القبر النبوي. ثمَّ فتح الصندوق، فإذا به ثلاث مخطوطات رائعة من القرآن الكريم رُصِّعَت أغلفتها من الخارج بالياقوت الأحمر[٣]،

---

١) مقال «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر» منشور في «مجلة العرب»، ج٣ ـ ٤، السنة ١٩، رمضان ـ شوال ١٤٠٤هـ/ يونيو ـ يوليو ١٩٨٤م (ص: ١٦٣)، وَرَدَت فيه نصوصٌ من شهادة ابن رشيد الحنبلي (يوم كان الحنبلي مُرحَّلاً إلى القاهرة بعد سقوط الدرعية)، ينتقد في شهادته تلك بعض روايات أتى بها فتح الله الصايغ في رحلته المشهورة بـ«رحلة فتح الله الصايغ».

٢) وعند الجبرتي: «وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

٣) وعند الجبرتي: «وفتحه فوجد به ثلاث مصاحف قرآناً مكلَّلة». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

وثلاثمئة لؤلؤة من أكبر اللآلئ وأنقاها ماءً، وزُمرّدة معلّقة بسلسلةٍ من الذهب[١]. فقال محمد علي: هذا حسن، ولكنّني أعرف أنَّ هناك أشياء أخرى كثيرة غير هذه سُلِبَت من القبر النبوي. فأجاب عبدالله: ذلك صحيح، ولكن لم يحصل والدي [الإمام سعود] إلّا على قسم منها، أمّا الباقي فبيعَ بعضه بالمزاد العلني واقتسم بعضه الآخر أشرافُ مكة المكرمة والأغوات وشيوخ البدو[٢]. فردَّ الباشا: هذا صحيح، الحقّ يقال أنّنا وجدنا كثيراً من هذه النفائس عند الشريف غالب[٣]...»[٤].

بل أكَّدَ بوركهارت ـ وهو شاهد عيان ـ: أنَّ حسن قلعي قبل أن يُسلِّم المدينة للإمام سعود بن عبدالعزيز كان (القَلعي) قد استولى على كلّ الكنوز الموضوعة عند ضريح النبي ﷺ وقسَّم جُزءاً منها على أتباعه، ثمَّ قرَّر التسليم[٥].

وهذا أيضاً أكَّده الفرنسي فيلكس مانجان مؤرِّخ محمد علي

---

(١) وعند الجبرتي: «ونحو ثلاثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبَّة زمرّد كبيرة وبها شريط ذهب». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

(٢) وعند الجبرتي: أنَّ عبدالله قال: «هذا الذي وجدته عند أبي، فإنَّه لم يستأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه، بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة». انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣)

(٣) وجدها محمد علي باشا في (مكّة) يوم قبض على الشريف غالب وكَبَسَ ماله وأملاكه. وسيأتي تبيان ذلك في الفصل التاسع.

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٣).

(٥) وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجّ: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,751.

باشا، حيث قال: أنَّ حسن قلعي «خان الأمانة واستولى على ما بقي من الأشياء الموجودة في المقام، وخَشِيَ الخَصِيّ عنبر الذي أوكل إليه أمر حراسة المسجد النبوي وقبر النبي ﷺ أن يُتَّهم بانتهاك حرمة المسجد، فهرب إلى بلاد الشام، وحاول حسن قلعي أن يلقي على كاهل ذلك الحارس المسكين كلّ تبعات تصرفه المشين»[(١)].

وهو عين ما قرَّره السير هارفرد جونز بريدجز في تقاريره التي يرسلها من المقيمية البريطانية ببغداد إلى حكومته في لندن ليطلعها على أحوال الدولة السعودية الأولى، إذ قال فيها: «توَّجَ سعود مكاسبه في هذا الجزء من الجزيرة العربية خلال عام [١٢١٩هـ] ١٨٠٤م بالاستيلاء على المدينة [النبوية]، التي كان أحد رؤسائها حسن القلعجي Elkalajy قد اغتصب السلطة العليا ومارس حكماً استبدادياً فيها، وقبل استسلام المدينة [لابن سعود] استولى حسن [القلعجي] على الذخائر التابعة لضريح النبي ﷺ وقسَّمها بين أتباعه»[(٢)].

المُراد؛ أنَّ هذه المقتنيات الغالية والقيِّمة الموجودة في الحجرة النبوية لم تكن قبيل الحكم السعودي تسلم من سرقة حكام المدينة الذين عيَّنتهم حكومة الدولة العثمانية، ولم تَسلَم أيضا من أيدي حرَّاس القبر المُعَيَّنين من قِبَلِ الأتراك؛ أولئك الحرَّاس الذين كانوا يسحبون بين أونةٍ وأخرى شيئاً من تلك الكنوز[(٣)].

واقرأ ما شهد به مؤرّخ مصريّ منصف كان معاصراً لوقت

---

(١) **فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١٩).**

(٢) **السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٠٧).**

(٣) **انظر: جوهان بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية» (٢٧٩).**

الحادثة؛ وهو الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي الذي بيَّنَ خطأ من هاجموا ابن سعود لأنَّه أخذ ما في الحجرة النبوية وصرفها على وجهها الشرعيّ، ثمَّ تأمَّل تأكيدات الجبرتي التي تخبرك أنَّ الحُرَّاس والأغوات الذين في المدينة النبوية كانوا يستلبون ويسطون على ما في الحجرة النبوية حتَّى من قبل أن يأتيها ابن سعود.

يقول الجبرتي: «ويذكرون أنَّ الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها وأخذها، فيرون أنَّ أَخْذه لها مِن الكبائر العظام، وهذه الأشياء أرسلها وَوَضَعَها سُخَّاف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم؛ إمَّا حرصاً على الدنيا ـ وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم ـ أو لنوائب الزمان، فتكون مدَّخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فَيُستَعَان بها على الجهاد ودَفْع الأعداء، فَلَمَّا تقادَمَت عليها الأزمنة وتَوالَت عليها السنون والأعوام الكثيرة وهي في الزيادة، ارتَصَدَت معنىً لا حقيقة، فارتسَمَ في الأذهان حُرمَة تناولها وأنَّها صارت مالاً للنبيّ ﷺ فلا يجوز لأحد أخذها ولا إنفاقها، والنبيّ منزَّه عن ذلك، ولم يدَّخر شيئاً من عَرَض الدنيا في حياته، وقد أعطاه الله الشرف الأعلى وهو الدعوة إلى الله تعالى والنبوَّة والكتاب واختار أن يكون نبياً عبداً ولم يَخْتَر أن يكون نبياً ملكا.

ثمَّ إنْ كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقةً على الرسول ﷺ ومحبَّةً فيه فهو فاسد؛ لقول النبي ﷺ: «إنَّ الصدقة لا تنبغي لآل محمَّد»(١). والمال أوجده المولى ﷻ من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة، ومحبَّة الرسول ﷺ بتصديقه واتبَّاع شريعته وسنَّته لا

---

(١) رواه مسلم (١٠٧٢).

بمخالفة أوامره وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين.

وربَّما كان عند الأمراء أو عند خونداتهم [(١)] جوهرٌ نفيسٌ من بقايا المدَّخرات فيرسلونه هديةً إلى الحجرة ولا ينتفعون به في مهماتهم فضلاً عن إعطائه لمستحقِّهِ من المحتاجين، وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع به أحد إلا ما يختلسه العبيد المخصيُّون الذين يقال لهم أغوات الحرم[(٢)]، والفقراء من أولاد الرسول ﷺ[(٣)] وأهل العلم المحتاجون وأبناء السبيل يموتون جوعاً، وهذه الذخائر محجورٌ عليها، وممنوعون منها إلى أن حضر الوهابي واستولى على المدينة

---

(١) **الخوندات: من اشتقاقات اللفظ «خداوند» الفارسي. من ألقاب التشريف، خاصةً لزوجات السلاطين وبناتهم. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٢٣٥). ومصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٧٠).**

وفي (نجد) تُستخدم تلك المفردة بمعنى المرأة المنعَّمة المترفة الجميلة، وفي ذلك يقول الشاعر محسن الهزَّاني في الغزل:

يا خُوَنْدةٍ مِنْ مِهْمَلات الذوايب نحضر لها نَقْدٍ ونشري بغايب
مِنْ حِبَّها راحت علينا غلايب والواش في عقْدٍ من الله مذلول.

انظر: محمد ناصر العبودي «معجم غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الدخيلة» (٢٢٤).

(٢) **أغوات الحرم: هم المخصيون من الرجال العاملين في الأقسام الخاصة بالنساء من القصور السلطانية، ثمَّ إذا كبروا صاروا خَدَماً في الحرم النبوي. انظر: سهيل صابان «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» (١٧).**

(٣) **يقصد الأشراف من سلالة النبي ﷺ.**

وأخذ تلك الذخائر»[١].

ويأتينا الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ بتفنيد علميّ رصين لتلك الأكذوبة، حيث قال: «**أمَّا التجاسر على حجرة النبي ﷺ، فكأنَّه**[٢] **يشير به إلى المال الذي استخرجه الأمير سعود من الحجرة النبوية وصَرَفَهُ في حاجة أهل المدينة ومصالح الحرم، وهو ـ رحمه الله ـ لم يفعل هذا إلا بعد أن أفتاه علماء المدينة من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، فاتَّفقت فتواهم على أنَّه يتعيَّن ويجب على وليِّ الأمر إخراج المال الذي في الحجرة وصرفه في حاجة أهل المدينة وجيران الحرم؛ لأنَّ المعلوم السلطاني قد مُنِعَ في تلك** السنة[٣]، واشتدَّت الحاجة والضرورة إلى استخراج هذا المال وإنفاقه، ولا حاجة لرسول الله ﷺ إلى إبقائه في حجرته وكنزه لديه.

وقد حرَّمَ الله كَنْزَ الذهب والفضّة وأمر بالإنفاق في سبيل الله، لا سيَّما إذا كان المكنوز مستحقاً لفقراء المسلمين وذوي الحاجة منهم، كالذي بأيدي الملوك والسلاطين، فلا شكّ أنَّ استخراجها على هذا الوجه وصرفها في مصارفها الشرعية أحبُّ إلى الله ورسوله من إبقائها واكتنازها، وأيّ فائدة في إبقائها عند رسول الله ﷺ وأهل المدينة في أشدّ الحاجة والضرورة إليها»[٤].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤١/٤ ـ ١٤٣) باختصار.

(٢) الكلام موجّه للصحاف الذي أثار مثل تلك الافتراءات.

(٣) سبق (في هذا الفصل) بيان منع الدولة العثمانية ما كانت ترسله من صرر إلى المجاورين في الحرمين، وكان المنع نكايةً منهم بأهل الدولة السعودية الأولى.

(٤) عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن «الاتحاف في الردّ على الصحّاف» ضمن «الدرر السنية» (٢٨٠/١٢).

ـ تكفير الدولة العثمانية للدولة السعودية الأولى:

جَنَحَ العثمانيون في تعاملهم مع الدولة السعودية الأولى إلى أمرٍ حضير جداً؛ وهو تكفيرهم للسعوديين، وكان أهل مكة ـ قبل أن تُضمّ إلى الدولة السعودية الأولى ـ قد كفّروا إمام الدولة السعودية عبدالعزيز بن محمد بن سعود وابنه سعود ومن قبلهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأطلقوا عليه اسم الكافر[١].

ومن بعدها عَدَّ الأتراك العثمانيون دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوةً إلى دينٍ جديد، فاعتبر الترك أنَّ المقاتلة ضدَّ السعوديين جهاداً في سبيل الله، ومَنْ يُقْتَل في قتاله معهم فهو شهيد[٢]!. فقد دفعت الدولة العثمانية الأموال والدعم لأدعياء العلم في مكَّة ليهاجموا الدولة السعودية وأئمتها ويكفروهم؛ فانبرى أحمد زيني دحلان لذلك وأدَّى دورَه الذي طُلِبَ مِنْه.

بل بلغت الدولة العثمانية مَدًى بعيداً في تشويه سمعة الدولة السعودية وإشاعة تكفيرها؛ حتى صار السفهاء والعوام في الدولة العثمانية يكفّرون ـ بالتبعية ـ أئمَّة الدولة السعودية وأتباعهم؛ فهذه الستُّ الخازندارة ـ إحدى نساء القصر السلطاني العثماني ـ تقول عن إمام الدولة السعودية الأولى عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود بأنه «الخارجيُّ الكافر»[٣].

---

(١) **أوردنا في الفصل السادس تكفير دحلان لأئمة وعلماء وأتباع الدولة السعودية الأولى.**

(٢) **انظر: علي بخيت الزهراني «الانحرافات العقدية والعلمية» (١/٢١٥).**

(٣) **دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٧)، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٢٨هـ/ ٢٦ يوليو ١٨١٣م (٧١/٢).**

وهذا المؤرّخ عبدالرحمٰن الجبرتي؛ يخبرنا أنَّ الدولة العثمانية نشرت في جوامع مصر القاهرة بيانات سلطان الدولة العثمانية لتُعلِن على الملأ مقاتلة الوهابية، حيث يقول الجبرتي: «**أنَّ المفتي أفتاهم بأنهم كفَّار، ويجعلونهم مشركين، وأنَّ من قاتلهم يكون مغازياً ومجاهداً وشهيداً إذا قُتِلَ**»[1].

ومن المفارقات أنَّ الترك الذين يكفّرون الدولة السعودية ويحاربون أهلها بحجة أنَّهم كفَّار؛ كانوا يستبيحون شرائع الإسلام عياناً بياناً، ومن ذلك ما قاله الجبرتي عن العساكر التركية التي تجمَّعت في القاهرة في رمضان ١٢٣٣هـ/يوليو ١٨١٨م وقَصْدُها الخروج إلى محاربة أهل الدرعية، فاستباحت تلك العساكر التركية «الفطر في رمضان بحجَّة السفر، **فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ويمرّون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفَّار المخالفين لدين الإسلام**»[2].

وهذه الوثائق التركية؛ تخبرنا أنَّ قادة الترك العثمانيين كانوا يكفّرون أهل الدولة السعودية الأولى أثناء محاربتهم لهم، فيقولون عن السعوديين: «وظاهرٌ بالتواتر خروج أكثر قبائل العربان بطريق الحجِّ منذ عشرين سنة من طريق أهل السنَّة المستقيم وتبعيتهم لابن سعود المردود، وكونهم أشدّ كفراً من الكافر الخارجي المذهب»[3].

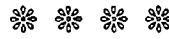
---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٨٢/٤) باختصار.

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٤٩/٤).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معية تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٨٤/٢).

هذا في الوقت الذي كان فيه الشريف غالب يتراسل مع الدولة العثمانية ويشيع عندها تكفير الوهابيين، وهو الأمر الذي شهد به المستشرق جوهان لودفيغ بوركهارت حين قال: «**ولم يترك غالب، الذي كان على صلةٍ دائمةٍ بالباب العالي والذي كان يستقبل قافلة الحجاج سنوياً، أيةَ وسيلةٍ لتحريض الحكومة التركية ضدَّ أعدائه إلا واتخذها، فقد أظهرهم كفَّاراً**»[(١)]، والباب العالي التركي كان مستعداً لتقبّل آراء الشريف غالب[(٢)].



هكذا كانت الشائعات السيئة والدعايات المشينة تنتشر في العالم العربي والإسلامي انتشار النار في الهشيم، وكان لها أثرها السيِّئ في تشويه صورة السعوديين وتنفير الناس من دعوتهم السلفية.

ولكن لمَّا ظهر للعثمانيين أنَّ هذه الشائعات وتلك الدعايات لم تُجدِ نفعاً في القضاء على الدولة السعودية، انتقل العثمانيون إلى الخطوة الكبرى؛ وهي إعلان تركيا العثمانية الحملة العسكرية المنطلقة من مصر ـ **التي كانت تحت الهيمنة العثمانية** ـ لحرب السعوديين وإسقاط دولتهم وتدمير أرضهم، تلك الحرب التي ارتُكِبَت فيها أخسّ الجرائم البشرية.



---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (٨١).

(٢) انظر: المصدر نفسه.

الفصل التاسع:

حملة طوسون ومحمد علي باشا على الدولة السعودية الأولى.

* الدولة العثمانية تطالب محمد علي بشنِّ حملةٍ على السعوديين:

كان محمد علي باشا قد أصبح والياً على مصر من قِبَل الدولة العثمانية في سنة ١٢٢٠هـ/١٨٠٥م، وأضحى بمكانةٍ أكبر شيئاً ما من المماليك المصريين الألفية[1]، خصوصاً بعد أن استطاع محمد علي باشا صدّ حملة الإنجليز عن ثغر الإسكندرية[2].

فرَضيَ الباب العالي عن محمد علي باشا، ومنحه السلطان الهدايا والإنعامات وأمر بإرجاع ابنه إبراهيم[3] إليه ـ وقد كان معتقلاً

---

(١) المماليك الألفية: أتباع وجلبان الأمير المملوكي محمد بيك الألفي المرادي. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٩/٤) (٤٦ ـ ٥٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٧٥/٤ ـ ٨٢) (٨٥) (٨٨ ـ ٩٢) (١٠٩ ـ ١١٠)

(٣) إبراهيم باشا: ابن محمد علي باشا (الألباني)، وقيل إنَّه ليس ابناً لمحمد علي باشا بل إنَّ الأخير تبنَّاه. انظر ترجمته وأخباره عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (١٥/١ ـ ٢٩). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٧٠/١). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة: ١٣٣ ـ ١٣٥).

في القسطنطينية[١] ـ وصار لهذه الإنعامات السلطانية أثرٌ عظيم في توطيد سلطة محمد علي باشا، وفي المقابل لمَّا وَثقَ الباب العالي بمحمد علي باشا أراد أن يستخدمه في إسقاط الدولة السعودية الأولى[٢].

لم يكن محمد علي باشا بشراذم جنوده الأرنؤوطية[٣] والدلاتية[٤] وغيرهم قد قضى بَعْدُ على المماليك المصريين الذين كان ينازعهم حكم مصر، وبالرغم من انشغاله بحربهم فإنَّ حكومة السلطان العثماني أوكلت إليه مهمة القضاء على الدولة السعودية الأولى وتدميرها، تلك المهمة التي فشل فيها والي السلطان في بغداد وواليه في دمشق من قبل[٥].

من هنا قال بوركهارت: «**جميع الأطراف قد علِمَت أنَّه لا**

(١) انظر: جورج. ف. سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٣).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733.. وانظر: عمر الإسكندري وزميله «تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قُبَيل الوقت الحاضر» (١٢٤).

(٣) الأرناؤوط: تعني ذوو الأصل الألباني. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٤).

(٤) الدلاتية/ الدلاة: كلمة تركية؛ تعني: طائفةٌ من الخيَّالة الخفيفة. انظر: عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (٥٠). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٧٦).

(٥) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique.

يمكن أن تُستَعاد الحجاز إلَّا عن طريق مصر»[١].

ومصادر التاريخ تشير إلى أنَّ أول تكليف ورد إلى محمد علي باشا من السلطان العثماني مصطفى الرابع (ت: ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م)[٢] للقيام بهذه المهمة كان في ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م؛ قبل أن يمضي عامان على ولاية محمد علي باشا، وهو ما ذكره الجبرتي حين قال: أنَّه في ٢٣ شوَّال ١٢٢٢هـ/٢٤ ديسمبر ١٨٠٧م **«وصل قابجي**[٣] **ومعه مرسومان يتضمن أحدها: التقرير لمحمد علي باشا على ولاية مصر، وآخر بالتأكيد في التشهيل**[٤] **والسفر لمحاربة الخوارج**[٥] **بالحجاز واستخلاص الحرمين والوصية بالرعيَّة والتجَّار»**[٦].

ثمَّ حصل في أوَّل سنة ١٢٢٣هـ/١٨٠٨م أَنْ تَسلطَنَ على كرسي

---

(١) وردت شهادة بوركهارت في الوثائق البريطانية الخاصة بالحجِّ: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,757. وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٤).

(٢) هو السلطان مصطفى الرابع ابن عبدالحميد الأول ابن أحمد الثالث ابن محمد الرابع. تولَّى السلطنة سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م، وبعد سنة توفِّي. انظر ترجمته عند: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٣/١٥١٧ ـ ١٥١٩).

(٣) القابجي: هو الرسول المخصوص الذي يحمل الرسائل فوق العادية إلى الولايات. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٢٠).

(٤) التشهيل: مِنْ شَهَّلَ، ويُشَهِّل. أي: أسرَعَ في إنجازه. انظر: أحمد مختار عمر «معجم اللغة العربية المعاصرة» (١٢٤٤).

(٥) ستجد في هذا الفصل والفصل الذي يليه كثير من تلك الهمزات واللمزات التي يطلقها الأتراك العثمانيون على السعوديين.

(٦) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٢٣) باختصار.

السلطنة العثمانية السلطان محمود الثاني (ت: ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) [١]، **فوجّه التوجيهات الشديدة لمحمد علي باشا بحرب السعوديين واستئصال دولتهم**[٢].

ولَكِنَّ محمد علي باشا اعتذر للحكومة العثمانية عن ذلك لعدم مقدرته، وهو ما أخبرنا به الجبرتي حين قال: أنَّه في أول محرّم ١٢٢٣هـ/٢٨ فبراير ١٨٠٨م **«كان القابجي حضر بالأوامر بخروج العساكر للبلاد الحجازية وخلاص البلاد من أيدي الوهابية، وفي مراسيمه التي حضر بها التأكيد والحثّ على ذلك، فلم يزل الباشا يخادعه ويَعِدَهُ بإنفاذ الأمر، ويُعَرِّفَهُ أنَّ هذا الأمر لا يتمّ بالعجلة ويحتاج إلى استعدادٍ كبير وإنشاء مراكب في القلزم**[٣] **وغير ذلك من الاستعدادات»**[٤].

لم تيأس حكومة السلطان العثماني، ففي أواخر محرم ١٢٢٤هـ/مارس ١٨٠٩م «وصل مرسومان من الدولة [العثمانية]، في الثاني منها: **الأمر بالسفر والخروج إلى فتح الحرمين وطرد الوهابية عنهما**، وأنَّ يوسف باشا الصدر السابق المعروف

---

(١) هو السلطان محمود خان الثاني ابن عبدالحميد الأول ابن أحمد الثالث ابن محمد ارابع. تولّى الحكم في الفترة (١٢٢٣ ـ ١٢٥٥هـ/ ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩م). انظر ترجمته عند: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (١٥٩/٢ ـ ١٦٠). وعبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (١٥١٧/٣ ـ ١٥١٩).

(٢) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٥).

(٣) القلزم: هو الاسم القديم للبحر الأحمر. انظر: تقيّ الدين المقريزي «المواعظ والاعتبار» (٤٠/١).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٢٩/٤).

بالمعدن[١] تعيَّن بالسفر للحرمين على طريق الشام، وكذلك سليمان باشا والي العراق متعيِّن أيضاً بالسفر من ناحيته على الدرعية» [٢]، **وكلّهم يتعاونون في حصار الدولة السعودية بهجوم مثلَّث**[٣].

وهذا الأمر أكَّدَهُ بوركهارت حين قال: «**لقد اتَّحَدَت كُلّ أقوام الإمبراطورية التركية لإجهاد الوهابيين وطالبت بتنفيذ حملة مشابهة لحملاتنا الصليبية القديمة ضدَّهم**»[٤].

إلَّا أنَّ محمد علي باشا كان يتعلَّل في كلّ مرَّة بتدهور الحال الاقتصادي بمصر ويعتذر باشتغالِهِ بمحاربةِ المماليك، فلمَّا انتصرت تجريدته على المماليك في **الوجْهِ القِبْليّ**[٥] وعادَ إلى القاهرةِ في

---

(١) يوسف باشا: الصدر الأعظم المعروف بيوسف باشا الصدر فشق. أوردنا أخباره في الفصل السابع.

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٤٦/٤ ـ ١٤٧).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر رقم (١) بحر برًّا، رقم وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٢٢٤هـ/ ١٣ يونيو ١٨٠٩م (١٠٦/١).

(٤) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٧).

(٥) الوجه القبلي: في مصر؛ إذ تُقَسَّم مصر إلى (وجه قبلي) و(وجه بحري). فـ (الوجه القبلي) يشتمل على المديريات التالية: (أطفيح) و(الفيُّوم) و(بني سويف) ومعها (بِبَا) و(بني مزار) و(المِنيَا) و(أسيوط) ومعها (جِرجا) و(قِنا) ومعها (إسْنا). أمَّا (الوجه البحري) في مصر؛ فإنَّه يشتمل على المديريات التالية: (القليوبية) و(الشرقية) و(الدقهلية) و(الغربية) و(المنوفية) و(البحِيرة) و(الجيزة). انظر: مقدِّمَة أحمد رامي وأحمد لطفي السيِّد لكتاب «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» الجزء الأول من القسم الثاني (ص٩ ـ ١٠) (ص: ١٢) لمحمد رمزي.

منتصف سنة ١٢٢٥هـ/النصف الثاني من سنة ١٨١٠م، ألفى رسولاً من إسطنبول يحمل إليه رسالةً جديدة تقضي بتكليفِهِ للإسراع في التجريدة ضدّ السعوديين[١].

* محمَّد علي باشا يُجَهِّز للحملة:

لما رأى محمد علي باشا أنَّ كلّ محاولاته لم تُجدِ نفعاً للاعتذار أمام الدولة العثمانية عن القيام بتلك الحملة، وكان يعلم أنَّ عدم إطاعته للأوامر سيكون عقابه إبعاده عن الحكم[٢]، **أخذ من حينها يتراسل مع الشريف غالب سرّاً عن طريق يوسف باشا كنج والي دمشق، وأرسل جواسيس يقفون له على أحوال دولة آل سعود ويتتبعوا أخبار أهلها مما يسهّل له أمور مهاجمتهم ومفاجأتهم** [٣].

ومن جانبٍ آخر أخذ الشريف غالب يكاتب «الباشا ويراسله ويُظهر له النصح والصداقة وخلوص النيَّة، والباشا أيضاً يراسله ويكاتبه، ويرسل له مع السيد سلامة النجاري[٤] والسيد أحمد منلا[٥]

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٩٤/٤ ـ ١٩٥). وأمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢٢٣/٢).

(٢) انظر: عمر الإسكندري وزميله «تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قُبَيل الوقت الحاضر» (١٢٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر رقم (١) بحر برًّا، رقم وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ١٩ ذي الحجَّة ١٢٢٤هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٠م (١٢٠/١ ـ ١٢١).

(٤) سلامة النجاري: تاجرٌ مصريٌ مقرَّب من محمد علي باشا. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٨٨/٤).

(٥) عرَّف به الجبرتي ذاكراً أنَّه ترجمان السيد المحروقي (المحروقي: شهبندر تجَّار =

بمراسلات وجوابات مراراً عديدة، فكانا هما السفيرين بينهما، والشريف في كلِّ كتابة مع كلِّ مرسول يعاهد الباشا ويعاقده ويواعده بنصرِ عساكرِهِ متى ما وصلت، ويداهن الطرفين الذي هو العثماني والوهابي؛ أمَّا الوهابيّ فلخوفه منه وعدم قدرته عليه؛ فيُظهِر له الموافقة والامتثال وأنَّه معه على العهود التي عاهده عليها، ويميل باطناً إلى العثمانيين لكونِهِ على طريقتهم ومذهبهم»[١].

الحاصل؛ أنَّه منذ اللحظة الأولى التي قرَّر فيها محمد علي باشا القيام بحملةٍ على الدولة السعودية الأولى وهو منهمك في إعداد مهمَّاتها برّاً وبحراً، معتمداً على ألفٍ من العمَّال الترك واليونانيين وأوروبيّين آخرين[٢].

ولمَّا كان الباشا على يقين من أنَّ السفر بطريق البرِّ تهلك فيه نفوس كثيرة كما ستهلك فيه بهائم النقل، صمَّمَ على أن يتخذ طريق البحر الأحمر لنقل جنوده إلى ينبع أو جُدَّة[٣]، من هنا رأى الباشا أنَّ في مقدِّمَة الأمور الضرورية أن يكون تحت إمرته عدد كافٍ من السفن لنقل الجنود والمؤن[٤].

= مصر المعروف ذاك الوقت).انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤).

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤) باختصار.

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٧). وعبدالرحمٰن زكي «التاريخ الحربي لعصر محمد علي باشا» (٤٥).

(٣) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢١٢/١٢).

(٤) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. =

ولمَّا لم يكن له في ذلك الوقت عِمارةٌ بحرية بالبحر الأحمر وليس به سفنٌ يمكن استئجارها غير سفائن صغيرة؛ فقد «أنشأ مراكب في بحر القلزم وطلب الأخشاب الصالحة لذلك، فأرسل المُعيَّنين لقطع أشجار التوت والنَّبَق من القطر المصري [في الوجه] القبلي و[الوجه] البحري، وغيرها من الأخشاب المجلوبة من الروم، وجعل على ساحل بولاق(١) ترسخانه(٢) وورشات، وجمعوا الصنَّاع والنجَّارين والنشَّارين فيهيِّؤونها، وتُحمل الأخشاب على الجمال، ويُرَكِّبها الصُنَّاع بالسويس سفينةً ثمَّ يقلفطونها(٣) ويبيِّضونها(٤) ويُلْقونها في البحر، فعملوا أربع سفائن كبار وداوات(٥) لحمل السفن

= P,759. وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٠٩ ـ ١١٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٤ ـ ٤٤٥).

(١) بولاق/ بولاق أبو العلا: تقع على الجانب الشرقي من النيل غربي (القاهرة). انظر: عبدالحميد بِك نافع «ذيل خطط المقريزي» (٣٢ ـ ٣٣).

(٢) ترسخانه: دار الصناعة. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٤٤).

(٣) يقلفطونها: في اللهجة المصرية الدارجة: قلفط فلان العَمَل؛ أي: أتَمَّه في غير إتقان. انظر: عبدالمنعم سيد عبدالعال «معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية» (٤٥٣).

(٤) يبيِّضونها: من اللهجة المصرية الدارجة، يقولون: بيَّضَ فلان الدار؛ أي: طلاها بطلاء الجير، وبيَّضَ فلان النحاس؛ أي: طلاه بالقصدير. انظر: عبدالمنعم سيد عبدالعال «معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية» (١٥١).

(٥) داوات: مفردها «داو»، وهي نوعٌ من المراكب البحرية العربية التي كانت مستعملة في المحيط الهندي وبحار شبه الجزيرة العربية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٧٥).

والبضائع»[١].

وشيَّدَ أيضاً مباني ضخمة لصناعة السفن بالسويس[٢]؛ أنشأ بها خمس عشرة سفينة يستخدمها الجنود لعبور البحر والنزول بميناء ينبع البحر. كما أنشأ سفينةً بطول خمسة وثلاثين ذراعاً صنعها من الأخشاب التي استقدمها من دمياط[٣] ثمَّ أرسلها إلى السويس، وصنع سفينة قريبة من ذلك الطول أنشأها في الإسكندرية، واشترى سفينة من مالطة[٤].

كما عمل ميدان رمَّاحة في الجيزة[٥] لتدريب عساكره[٦]، ثمَّ رتَّب تجهيز أَحَدَ عشر ألف قنبلة من الطوبخانة[٧] العامة. ثمَّ صنعت له

---

١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٦٨/٤).

٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,761.

٣) دمياط: على الشاطئ الشرقي لفرع النيل الشرقي المعروف باسم (فرع دمياط). وهي اليوم محافظة من محافظات مصر. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٨/١١ ـ ١٣٢). ومحمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (٨/١).

٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سَنِيَّة، وحدة الحفظ (بلا)، بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٢٤هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٠م (١١٢/١). ودفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٥٧)، بتاريخ غرَّة محرَّم ١٢٢٦هـ/ ٢٦ يناير ١٨١١م (٢٧٢/١). ودفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٦٦)، بتاريخ ٢٥ ربيع الآخر ١٢٢٦هـ/ ١٩ مايو ١٨١١م (٢٩٤/١).

٥) الجيزة: على الشاطئ الغربي للنيل تجاه (مصر القديمة). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٩/١٠).

٦) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٨٧/٤).

٧) الطوبخانة: لفظٌ مركَّبٌ من التركية والفارسية، معناه: دار المدفعية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣١٠).

تركيا ثمانية عشر ألف قنبلة من معمل براوشته[١]، والقذائف المسمَّاة خُمْبَرَة[٢] وكميات هائلة من دروع جَرخَة[٣] وغيرها من الأسلحة التي أنجزتها مصانع تركيا ومصر[٤].

كما طلب محمد علي باشا من الإنجليز أن يُمِدّوه بسفينة من عندهم ليستخدمها في الحملة ضدَّ السعوديين[٥]، وكانت الحكومة العثمانية تسعى جاهدة في الوساطة بينه وبين الإنجليز في هذا الشأن[٦]. ولم يكن للإنجليز ثمَّة اعتراض على طلب محمد

---

(١) براوشته: مصنع أرسلت منه الدولة العثمانية مدافع تعزيزاً لجيش محمد علي. عن: دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة رقم (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٦)، بتاريخ ١٣ صفر ١٢٢٥هـ/ ٢١ مارس ١٨١٠م (١/١٦٥ ـ ١٦٦).

(٢) خمبرة: هي الكرات التي يجري صبّها من الحديد أو النحاس الأصفر، وتكون فارغة من الداخل لملئها بالمادة المتفجّرة، وإلقائها على الخصم، إمَّا باستخدام المدافع أو بالأيدي. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (٢/٥٥١).

(٣) جرخة: وتسمى جرخ فلك؛ وهو نوع من الدروع المتحركة. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (٢/٤٦٨).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة رقم (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١٠ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م (١/١٤٦).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٣١).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٣)، بتاريخ ١ صفر ١٢٢٥هـ/ ١٧ مارس ١٨١٠م (١/١٤٥ ـ ١٤٨). ومحفظة (١) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٢٤)، بتاريخ ١٣ صفر ١٢٢٥هـ/ ٢١ مارس ١٨١٠م (١/١٥٣ ـ ١٥٥). ودفتر (١) معية تركي، رقم وحدة الحفظ (٢٨)، بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٢٢٥هـ/ ١٦ أبريل ١٨١٠م (١/١٧٨). وانظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٩). وأمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٢٨).

علي باشا إلّا في بعض الأمور التفاوضية على تسعير قيمة أجرة السفينة، أما إمداده والوقوف معه في حملته على السعوديين فلم يكن ثَمَّةَ اعتراض، إذ من المعلوم أنَّ محمد علي باشا كانت علاقته ممتازة بالحكومة الإنجليزية وكان صديقاً لساستهم مقرّباً منهم أكثر من أيَّة دولة أوروبية أخرى، وهذا ما شهد به الكابتن سادلبير George Forester Sadlier[١] مندوب حكومة الهند البريطانية[٢].

ثم اشترى ألف وأربعمئة جمل من عدة أقاليم مصرية جرى كيّها ووسمها[٣]، واشترى مثلها عشرة آلاف من جمال العرب والفلاحين لحمل الأحمال الثقيلة[٤]، كما اشترى من قبرص البغال لأجل الحمولات[٥].

ثم دفع من القاهرة إلى الجيش الكائن في السويس بحمولات

---

١) الكابتن جورج فورستر سادلبير George Forester Sadlier: أرسلته حكومة الهند البريطانية إلى إبراهيم باشا لتقديم التهاني بانتصاره على الدولة السعودية الأولى، ثمَّ لتطلب من الباشا أن يساندها في حربها ضدَّ القواسم حلفاء آل سعود. انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٤٢٥/٣ ـ ١٤٢٧).

٢) انظر: جورج ف. سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

٣) انظر: إلياس الأيوبي «محمد علي سيرته وأعماله وآثاره» (١٢٢).

٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٥).

٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٦٥)، بتاريخ غرَّة ربيع الأول ١٢٢٦هـ/ مارس ١٨١١م (٢٩١/١).

السمن والعسل والأرز والزيت والزيتون ونحوها من سائر المؤن والأزواد، كما أرسل إليهم كسوة من الفراء والجُبَب الخفيفة وكساوي أخرى[١]، ثمَّ وصلته من إسطنبول الأخشاب والحبال التي تحتاجها سفنه، كما كان هناك عشرة آلاف كيس مخصَّصة لتعبئة الشعير والفول المخصَّص لإطعام حيوانات الحملة الضخمة[٢].

* محمد علي باشا يرجع فجأةً من السويس إلى القاهرة:

اضطُرَّ محمد علي باشا إلى الرجوع فوراً من السويس إلى القاهرة؛ لأنَّه عَلِمَ بحركاتٍ من المماليك الألفية وغيرهم ترمي إلى عزله وسعيهم للهيمنة على القاهرة[٣]، فرجع الباشا ليلاً لوحده ولم يصحبه إلا رجلٌ بدوي على هجين ليدلَّه الطريق، وبعد أن وصل القاهرة أَمَرَ عساكره الأرنؤوطية والدلاتية وبعض من تبقى من الانكشارية[٤] بمذبحة المماليك الشهيرة بالقلعة[٥].

ولا بدَّ لنا ـ قبل بيان شناعات عساكر الترك العثمانية

---

(١) الوثيقة السابقة.

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣١ ـ ٣٣).

(٣) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢١٢/١٢ ـ ٢١٣). وإسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (٤١٧/١). ومحمد فريد بِك «البهجة التوفيقية» (٥٢).

(٤) الانكشارية: لفظٌ تركيٌ يعني: العسكر الجديد، وهم في الأصل فرقةٌ من فرق الجيش العثماني كان أفرادها يُختَارون من الشبَّان النصارى الذين ترسلهم المدن النصرانية الخاضعة للأتراك، وأغلبهم أبناء أسرى الحروب. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٢٥).

(٥) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢١٣/١٢).

بالمماليك ـ أن نتعرَّف على طبيعة أولئك العساكر الأرنؤوطية والدلاتية والانكشارية وجرائمهم بالقاهرة، **لأنهم هم نفسهم العساكر الذين ستسوقهم الدولة العثمانية بقيادة محمد علي باشا لحرب السعوديين، وهناك سيرتكبون المجازر الشنيعة والجرائم الفظيعة في حقِّ أهل الدولة السعودية الأولى.**

* بيان حال العساكر العثمانية في مصر.

لمَّا قام الإنجليز بترحيل الفرنسيين الذين كانوا في مصر[١]، اتفق الإنجليز مع الدولة العثمانية أنْ ترجع الأخيرة للهيمنة على مصر، بالرغم من ضعف السلطنة العثمانية وقتها، ولكن هذا ما كانت ترمي إليه بريطانيا وهو أن تُبقي على الدولة العثمانية ببنيانها المتهالك[٢].

وحصل أنْ أرسلت حكومة السلطان العثماني عساكر تملأ بها الفراغ الناجم عن انسحاب الفرنسيين من مصر، **فكانت تلك العساكر خليطاً عجيباً من القوات العثمانية يتكوَّن من الانكشارية**

---

(١) حول تأكيد مسألة أنَّ الإنجليز ـ وليس تركيا العثمانية ـ هم من أخرجوا الفرنسيين من مصر، انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٠٣/٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٢٨). أ. ج. جرانت وهارولد تمبرلي «أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين» (١٥٥/١ ـ ١٥٧).

(٢) وتأكيد ذلك الاتفاق تجده عند: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهَّابي» (١٢٣). والمستر جورج يانج «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل» (٤٣ ـ ٤٤) (٥٤ ـ ٥٧). وإسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (٣٩٨/١ ـ ٣٩٩). ومحمد فريد بِك «البهجة التوفيقية» (٣٣). وجون كيلي «بريطانيا والخليج» (٩٦/١ ـ ٩٨) (١٢٦) (١٣١ ـ ١٣٢) (٤٤٣).

والدلاتية والتركمان والأرناؤوط (الألبان) والسكبان/السجمان[١] والبُشْناق[٢].

ولم يكن يجمع هذا المزيج ضبطٌ أو نظامٌ وإنَّما فقط تناول المرتَّبات من الباشا وانتظار الغنائم والأسلاب أثناء المعارك وبعدها، إذ لم تكن ثمَّة مُثُل وطنية أو قومية عليا تربط بين أشتاتها، فعاثت هذه الأخلاط في مصر فساداً وتعرض المصريون لأبشع صور العَنَت والقهر والإرهاق منهم بحجَّة أنَّهم خلَّصوا المصريين من الكفرة الفرنسيين وعليهم أن يدفعوا الثمن[٣].

وهذا ليس افتراء أو تجنّي على تلك العساكر، بل هذا ما شهد به شهود عيان من مصر؛ منهم المؤرخ الجبرتي الذي وثَّق حالهم في مصر وما ارتكبوه في حقّ أهلها، قبل أن يتحركوا إلى البلاد السعودية، وإليك ما حصل منهم في مصر:

---

(١) السكبان/ السجمان: أصل اللفظ فارسي. وهم عسكرٌ غير منتظم من المرتزقة الموصوفين بالبطالة ولا يتقاضون المرتبات إلَّا في وقت الحرب فقط، أمَّا في أوقات السلم فإنَّهم يهيمون في (الأناضول) يبيعون خدماتهم لمن يطلبها. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات في منتخبات اللغات» (٢٩٧ ـ ٢٩٨). ومحمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٨٩).

(٢) البُشْناق: هم أهل البوسنة اليوم. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٧٩ ـ ٨٠).

(٣) انظر: السيد أحمد مرسي عباس «حقائق جديدة عن حرب الدرعية وهل اشترك فيها الجنود المصريون حقاً؟» (ص٨١) بحثٌ منشور في «مجلَّة الدراة» العدد٣، بتاريخ ١٣٩٧هـ.

١ ـ العساكر العثمانية تلاقش النساء في القاهرة:

شهد عليهم شاهد عيان وهو الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي المصري قائلاً: «**وغالبهم لم يَصُم رمضان، ولم يُعرف لهم دينٌ يتديَّنون به ولا طريقة يمشون عليها، [فَهُم] إباحيةٌ أسهل ما عليهم قتل النفس وأخذ مال الغير وعدم الطاعة لكبرائهم وأمرائهم، وهم أخبث منهم، فقطع الله دابرهم**»[١].

وشهد الجبرتي أنَّ عساكر الترك كانوا «**يلاقشون النساء**[٢] **في مجامع الأسواق** [في القاهرة] **من غير احتشام ولا حياء**»[٣]، وأنَّهم أكثروا من خطفهن في شوارع القاهرة[٤].

٢ ـ تفشِّي اللواط بين العساكر العثمانية، واصطحابهم (الخَوَلات):

شهد الجبرتي على عساكر الترك بخطفهم الصبيان[٥] «**والأولاد، بل ويلوطون في الرجال الاختيارية**[٦] ...»[٧].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٤٢٥).

(٢) يلاقشون النساء: أيْ يعاكسون النساء ويغازلوهُنَّ.

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣/٤٨٥).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٣/٤٨٥).

(٦) اختيارية: من اِخْتِيارْ أو خِتْيَارْ. وهي تعني الرجل الطاعن في السِنّ، وجمعه اِخْتيارية. انظر: جلال الحنفي البغدادي «معجم اللغة العاميَّة البغدادية» (١/٨٧). والكلمة شائعةٌ في مصر وسوريا والعراق.

(٧) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٥١٨). ومثل ذلك الذي ذكره الجبرتي=

وكان أكثر عساكر الترك يطاردون أولاد البلد[١] في شوارع القاهرة لأجل أن يفعلوا معهم تلك الفعلة الشنيعة حتَّى في نهار رمضان، ومن ذلك أَنَّ «**أحد عساكر الترك رأى غلاماً مصرياً من أولاد البلد، فعَلقَ به، وصار يتبعه في الطرقات كلَّ ليلة، إلى أنْ صادفه ليلةً بالقرب من جامع ألماس[٢]، فقبض عليه وأراد الفعل به في الطريق، فخدعه الغلام وأدخله في دربٍ لا يراهم فيه أحد، فحلَّ العسكري التركي سراويله، فهجم عليه الغلام وقطَعَ ذَكَرَهُ بِالْمُوس، فسقط العسكري مغشياً عليه ولم يَمُت**»[٣].

ويقول الجبرتي أيضاً: «تمادت قبائح العسكر بما لا تُحيط به

= كان يحدث من عساكر العثمانيين في ليبيا؛ فهذا المؤرّخ ابن غلبون يذكر: أنَّ أحد قادة الترك في (ساحل الأحامد) في ليبيا قام بجمع سكان ذاك الساحل للعمل ببستانه، «فرأى غلاماً أمرد جميل الصورة، فقبض عليه بمرأى من الناس، وفعل به على أعين الأشهاد الفاحشة العظمى، وكان أبو الغلام من أعيان البلد، فجعل يستغيث ويصيح، فأمر القائد التركي غلمانه فقبضوا على الأب وصرعوه وضربوه بالسياط حتى مات». انظر: أحمد بن غلبون الطرابلسي «التذكار» (ص: ٢٠٠).

(١) أولاد البلد: المصريون من أعيان عرب باديتها الذين استوطنوا بلداتها وقراها ومدنها. انظر على سبيل المثال: إدوارد وليم لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» (٤٠).

(٢) جامع ألماس: أنشأه الأمير سيف الدين ألماس الحاجب الناصري، وكَمُلَ سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م. وهو كائنٌ في (القاهرة)، في (شارع السُّيُوفِيَّة) بـ(الحِلْمِيَّة الجديدة) من جهة (شارع القلعة/ شارع محمد علي سابقاً). انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٢١٦/٤). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٢٥/٤).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٩١/٤) باختصار.

الأوراق والدفاتر، بحيث أنَّه لا يخلو من زعجاتٍ ورجفات في غالب الجهات، إمَّا لأجل امرأة أو أمرد»[١].

وفيما بعد؛ ذكر الطبيب والجراح الخاص بمحمد علي باشا ـ وهو الفرنسي كلوت بيك ـ: أنَّ اللواط اتسع في وقت محمد علي باشا[٢] والي مصر من قِبلِ الدولة العثمانية.

وشهد المؤرّخ الجبرتي المصري: أنَّ طائفة عساكر تركية من الدلاتية وصلت من ناحية الشام ودخلوا مصر، وبصُحْبَتِهِم المخنَّثون المعروفون بـ«**الخَوَلات**» الذين يتكلَّمون بالكلام المؤنَّث ومعهم دفوف وطنابير[٣].

يقول إدوارد وليم لين (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)[٤] وكلوت بيك ـ وهما شهود عيان على تلك الفترات وكانوا متواجدين في مصر آنذاك ـ: **أنَّ الخَوَلات يتزيّون عادة بزيِّ النساء ويحترفون الرقص وَيُسَمُّونَهُم «الراقصون المخنَّثون»**[٥].

---

(١) المصدر السابق (٤٦٩/٣).

(٢) انظر: أ. ب. كلوت بِكْ «لمحة على مصر» (٣٢٧).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٦٦/٤).

(٤) إدوارد وليم لين: مستشرقٌ إنجليزي، يقال إنَّه أسلم وتسمَّى باسم السيِّد منصور زاده. سَكَنَ (القاهرة) مُدَّةً، وكَتَبَ عنها عِدَّة كتب، من أشهرها: كتاب «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» وكتاب «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر». انظر ترجمته عند: حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الثالث (الورقة: ١٦). وخير الدين الزركلي «الأعلام» (٢٨٤/١).

(٥) انظر: إدوارد لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» (٣٩١). و: أ. ب. كلوت بِكْ «لمحة على مصر» (٤٠٢ ـ ٤٠٣).

وقال عنهم أحمد أمين (ت: ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م)[١]: «**الخَوَلات طائفةٌ من الرجال فقدوا رجولتهم وتأنَّثوا في كلامهم وحركاتهم**»[٢].

٣ ـ تعدّي عساكر العثمانيين على بيوت المصريين وأرزاقهم:

يقول الجبرتي: «**تسلَّطوا على الناس بالأذيَّة بأدنى سبب وتعرَّضوا للسكان في منازلهم؛ فتأتي الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها، فإن لاطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنه وتركوه، وإنْ عانَدَ سبُّوهُ وضَرَبوه ولو [كان] عظيماً، وإنْ شكا إلى كبيرهم قوبِلَ بالتَّبكيت**، ويقال له: ألا تُفسِحونَ لإخوانكم المجاهدين[٣] الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفَّار[٤] الذين يسومونكم سوء العذاب ويأخذون أموالكم ويفجرون بنسائكم[٥]

(١) أحمد أمين ابن الشيخ إبراهيم الطبَّاخ. من أهل مصر، مولده ووفاته في (القاهرة). من كبار الكتَّاب، عالمٌ بالأدب غزير الاطلاع على التاريخ. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (١/١٠١).

(٢) أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (١٧٩).

(٣) لم يكونوا مجاهدين، بل سوادهم الأعظم مرتزقة يتكسَّبون بالمقاتلة في الحروب، وهم أخلاط من الأرناؤوط والبوشناق والترك والسكبان والدلاتية والانكشارية، وفيهم من ليس على دين الإسلام، كما مرَّ معك قبيل صفحات، وكما سيأتي بيانه حين هجومهم على أهل الدولة السعودية إبَّان معركة الصفراء.

(٤) مرَّ معنا أنَّ الذي أخرج الفرنسيين من مصر هم الإنجليز، ولم يكن للعثمانيين أيّ دور يُذكَر.

(٥) هذا غير صحيح، والفرنسيون ـ على نصرانيتهم وإلحادهم ـ كانوا أذكى وأعقل من هؤلاء الترك، فإنَّ الفرنسيين حرصوا على عدم تجاوز المحظورات الحسَّاسة مع الشعب المصري بأمرائِهِ المماليك وتجَّارِهِ وصنَّاعِهِ العرب ومزارعيه الفلاحين، بل إنَّ نابليون نفسه لبس عمامة متصوِّفتهم وتزيَّا بزيِّهم=

وينهبون بيوتكم، وهم ضيوفكم أيَّاماً قليلة. فما يَسَع المسكين إلَّا أن يُكَلِّفهُم[(١)] بما قَدر عليه، وإنْ أسعَفَت العناية وانصرفوا عنه بأيٍّ وجه فيأتي إليه خلافهم»[(٢)].

وفي أحد الأيام «**حضرت عساكر كثيرة من الأتراك والأرناؤوط، فأحضروا مشايخ الحارات وأمروهم بإخلاء البيوت لسكناهم، فأزعجوا الكثير من الناس وأخرجوهم من دورهم بالقهر، فحصل للناس غاية الضرر وضاق بهم الحال، وكلّما سكنت منهم طائفة بدار أخربوها وأحرقوا أخشابها وطيقانها وأبوابها وانتقلوا إلى غيرها فيفعلون بها كذلك، ومن تكلَّم أو دافع عن داره وُبِّخَ بالكلام**، وقيل له: عجباً؛ كنتم تُسكِنون الفرنسيس وتُخْلُونَ لهم الدار. وأمثال ذلك من الكلام القبيح الذي لا أصل له»[(٣)].

مِن بعد ذلك «حضر سكان مصر القديمة[(٤)] نساءً ورجالاً إلى جهة الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدلاتية، ويخبرون

= وسار سيرتهم في إحياء الموالد في الشوارع وتقرَّب إلى كبرائهم وسوقتهم. انظر ما ذَكَرَهُ عبدالرحمٰن الجبرتي في «عجائب الآثار» (٣/١٥ وما بعدها).

(١) أي: يعطيهم الكُلَف؛ والتي هي أعطيات الجند ومصروفاتهم. انظر: تقي الدين المقريزي «المواعظ والاعتبار» (١/٢٦١).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٠٧).

(٣) المصدر السابق (٣/٣٦٠).

(٤) مصر القديمة: هي المعروفة سابقاً بـ(الفسطاط)، وتعرف أيضاً بـ(مصر العتيقة)، وهي على الجانب الشرقيِّ من النيل. وهي اليوم أحد أقسام محافظة القاهرة. انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني (١/٤).

أنَّهم أخرجوهم من مساكنهم قهراً عنهم، ولم يتركوهم يأخذوا ثيابهم ومتاعهم، بل ومنعوا النساء أيضاً عندهم، وما خَلُصَ منهم إلَّا من تسلَّق ونطَّ الحيطان»[١].

وفي يوم من أيام جمادى الأولى ١٢١٦هـ/سبتمبر ١٨٠١م «**وقع من طوائف العَسكر [العثماني] عربدة بأسواق [القاهرة] وتخطَّفوا أمتعة الناس ومن باعة المآكل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح، فانزعجت الناس والباعة ورفعوا متاعهم من الحوانيت وأخلوا منها وأغلقوها، وتبيَّن أنَّ السبب في ذلك تأخير علائفهم، وذلك من عاداتهم القبيحة؛ أنَّه إذا تأخرت عنهم علائفهم فعلوا مثل ذلك بالرعيَّة وأثاروا الشرور**»[٢].

وكانت عساكر الأرناؤوط أكثر عساكر الترك عربدة، فقد كانوا «**يخطفون عمائم الناس وخصوصاً بالليل، حتى كان الإنسان إذا مشى يربط عمامته خوفاً عليها، وإذا تمكَّنوا من أحد شلَّحوا ثيابه وأخذوا ما معه من الدراهم، ويترصَّدون لمن يذهب إلى الأسواق فيأخذون ما معهم من الدراهم، ثمَّ يذهبون إلى السوق وينهبون ما يجلبه الفلاحون من ذلك للبيع**، فامتنع الفلاحون عن ذلك إلا في النادر خُفيَة»[٣].

ثمَّ إنَّهم «انتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كلَّ قبيح؛ فتذهب الجماعة منهم إلى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية، ويوهمونهم أنَّهم حضروا إليهم بأوامر: إمَّا برفع الظلم عنهم أو ما

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٥١٨/٣).

(٢) المصدر السابق (٣١٤/٣).

(٣) المصدر نفسه (٤٢٥/٣).

يبتدعونه من الكلام المزوَّر، ويطلبون حقَّ طريقهم[(١)] مبلغاً عظيماً، ويقبضون على مشايخ القرية ويُلزِمونهم بالكُلَف الفاحشة، ويخطفون الأغنام ويهجمون على النساء، وغير ذلك ممَّا لا يحيط به العلم، فطَفِشَت الفلَّاحون وحضر أكثرهم إلى المدينة حتى امتلأت الطرق والأزقَّة منهم»[(٢)].

وأحياناً «**يركب العسكريّ** [العثماني] **حمار المكاري**[(٣)] **قهراً ويخرج به إلى جهة الخلاء فيقتل المكاري ويذهب بالحمار فيبيعه بساحة الحمير، وإذا انفردوا بشخصٍ أو بشخصين خارج المدينة أخذوا دراهمهم أو شلَّحوهم ثيابهم أو قتلوهم بعد ذلك**، وتسلَّطوا على الناس بالسلب والشتم ويجعلونهم كفرة وفرنسيس وغير ذلك، وتمنَّى الناس ـ خصوصاً الفلاحين ـ أيام الفرنساوية»[(٤)].

وفي أثناء تجريدة عسكرية على المماليك المصرية طلبت عساكر الترك من المصريين «الحمَّارة المكارية وأمروهم بإحضار ستمئة حمار وشدَّدوا عليهم في ذلك، فقيل إنَّهم لمَّا جمعوها أعطوهم أثمانها؛ في كلّ حمار خمسة ريال بُعَدَّتِهِ ولِجامِهِ، مع أنَّ فيها ما قيمته خمسون ريالاً خلاف عُدَّته، ثمَّ ما كفاهم ذلك، **بل صاروا يخطفون حمير**

---

(١) حقّ الطريق: ضريبةٌ يجمعها الجاويش من كلّ قرية يمرّ بها، ويسميها: أتاوة حقّ الطريق، أي: مؤونة الطريق. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٣).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٧).

(٣) المكاري: الذي يَكري دواب الجرّ أو الحمل، وجمعه «مكارية». انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٤٠٥).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣١٧ ـ ٣١٨).

الناس من أولاد البلد بالقهر، وكذلك حمير السَقَّائين التي تنقل الماء من الخليج[١] حتى امتنعت السقَّاؤون بالكليَّة في حارتهم.

فخبَّأ جميع الناس حميرهم داخل الدور، فكان يأتي الجماعة من العسكر وينصتون بآذانهم على باب الدار ويتبعون نهيق الحمير، وبعض شياطينهم يقف على الدار ويقول: زِر. ويكررها، فينهق الحمار فيعلمون به ويطلبونه من البيت، فإمَّا أخذوه أو افتداه صاحبه بما أرادوه»[٢].

وحدث أنَّ عساكر الترك العثمانيين وقفوا بأبواب القاهرة في شعبان ١٢١٦هـ/ديسمبر ١٨٠١م «فصاروا يأخذون دراهم من كلّ من وجدوا معه شيئاً، سواء كان داخلاً أو خارجاً بحسب اجتهادهم، وكذلك ما يُجلب من الأرياف»[٣]، حتى أنَّ الناس لما اقترب شهر رمضان لم يخرجوا لالتماس رؤية هلاله[٤] خوفاً من «**تسلُّط العسكر على خطف الناس وسلبهم وقتلهم، حتى امتنعت الناس من المرور في جهات سكنهم إلا أن يكونوا في عزوة ومَنَعَة وقوَّة، ولا تكاد ترى شخصاً يمرّ في الأسواق من بعد المغرب وقبيل العشاء، وإذا اضطرّ الإنسان إلى المرور تلك الأوقات، فلا يمرُّ إلا كالمجازف على نفسه**

---

(١) المقصود هنا (الخليج الناصري) وهو الذي رُدِمَ كلّه في عهد الخديوي إسماعيل، وأصبح اسمه اليوم (شارع بور سعيد). انظر: فتحي الحديدي «التطوّر العمراني لشوارع مدينة القاهرة من البدايات حتى القرن الحادي والعشرين» (٨٣ ـ ١٢٦).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٦٠).

(٣) المصدر السابق (٣/٣٢٥).

(٤) انظر: المصدر نفسه (٣/٣٢٩).

وكأنَّما على رأسه الطير»[١].

أمَّا أهل الإسكندرية فقد نالهم من تعدِّيات العساكر التركية الشيء الكبير، فبعد أن رحل الإنجليز عن ثغر الإسكندرية في إثر مصالحتهم مع محمد علي باشا في شعبان ١٢٢٢هـ/أكتوبر ١٨٠٧م، قامت عساكر الترك التابعة للباشا «فأفحشوا في التعدِّي على الناس [بالإسكندرية] وغَصبِ البيوت من أصحابها، **فتأتي طائفة منهم إلى الدار المسكونة ويدخلونها في غير احتشام ولا إذن، ويهجمون على سكن الحريم بحجَّة أنَّهم يتفرَّجون على أعالي الدار، فتصرخ النساء ويجتمع أهل الخُطَّة ويكلّمونهم فلا يلتفتون إليهم، فيعالجونهم مرَّة بالملاطفة وأخرى بكثرة الجمع ـ إن كان بهم قوة ـ أو بمعونة ذي المقدرة، وإذا انفصلوا فلا يخرجون من الدار إلَّا بمصلحة أو هدية لها قدر**، ويشترطون في ذلك الشيلان الكشميري، فإذا أحضروا مطلوبهم فلا يُعجب كبيرهم ويَطلب خلافه أحمر أو أصفر، وذلك خلاف ما يأخذونه من الدراهم، **فإذا انصرفوا وظنَّ صاحب الدار أنَّهم انحلّوا عنه، فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلافهم، ويقع في ورطة أخرى مثل الأولى أو أخفّ أو أعظم منها.**

وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيّل والملاطفة مع صاحب الدار، فإن قال ليس عندنا محلّ أو قصَّر في مطلوبٍ؛ ابتدؤوه بالقسوة، فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا انفكاك لهم عن المكان، **فيتكاثرون مع رفاقهم العساكر في الدار فتظهر قبائحهم ويقذرون المكان ويحرقون البُسُط والحُصُر بما يتساقط عليها من الجمر من شربهم النارجيلات والتنباك والدخان، ويشربون الشراب ويعربدون**

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٧٧).

ويصرخون ويُصَفِّقُون ويُغَنُّون بلغاتهم المختلفة، فَتَفْقَع رائحة العَرَقِيّ[١] في المنزل، فيضيق صدر الرجل وصدر أهل بيته[٢]، ويُطيِّب خاطرهم على الخروج والنقلة، فيطلبون لأنفسهم مسكناً ولو مشتركاً عند أقاربهم أو معارفهم، وتخرج النساء في غفلة بثيابهم وما يمكنهم حمله ثمَّ يشرعون في إخراج المتاع والأواني والنحاس والفُرُش، فيحجزونه عنهم ويقولون: إذا أخذتم ذلك فعلى أيّ شيءٍ نجلس وفي أيِّ شيء نطبخ وليس معنا فُرُش ولا نحاس، والذي معنا استُهلِكَ منَّا في السفر والجهاد ودفع الكفَّار عنكم وأنتم مستريحون في بيوتكم وعند حريمكم، فيقع النزاع، وينفصل الأمر بينهم وبين صاحب الدار إمَّا بترك الدار بما فيها أو بالمقاسمة والمصالحة بالترجِّي والوسائط ونحو ذلك»[٣].

وفي ١٨ رمضان ١٢٢٢هـ/١٩ نوفمبر ١٨٠٧م حصلت محاربة بين العساكر التركية وصارت مطاردة بينهم خلال بيوت الناس في باب الخرق[٤] بالقاهرة، **«فعبثوا بالدور وأزعجوا أهلها بقبيح أفعالهم، فإنَّهم عندما يدخلون في أول بيت يصعدون إلى الحريم بصورة منكرة**

---

(١) العَرَقي: نوع من الخمر المصنوع من البلح يسمّونه «العَرَق». انظر: أ. ب. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١).

(٢) قال كلوت بيك عن المصرين العرب وعن الترك، وهو شاهد عيان على تلك الفترة، ما نصّه: «ومن النادر جداً أن تجد بين العرب من يتعاطى المسكرات، بخلاف العثمانيين». انظر: أ. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١)

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١١١/٤ ـ ١١٢) باختصار وتصرّف يسير.

(٤) باب الخرق: من أبواب سور مدينة (القاهرة)، وهو في شارع باسمه. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٠٦/٣).

من غير دستور[1] ولا استئذان، ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج، ويَصِرْنَ يَصْرُخْنَ ويَصِحْنَ بأطفالهنَّ ويَهْرُبْنَ إلى الحارات الأخرى بغاية الخوف والرعب والمشقَّة، وطفقت عساكر [الترك] **تنهب الأمتعة والثياب والفُرُش ويكسرون الصناديق ويأخذون ما فيها، ويأكلون ما في القُدُور من الأطعمة في نهار رمضان من غير احتشام»**[2].

* حرب الترك العثمانيين للسعوديين تبدأ بمذبحة المماليك المصريين في القلعة:

وجد محمد علي باشا حيلة يحتال بها للفتك بالمماليك المصرية حتَّى يتفرَّغ لحرب السعوديين، وهي أن يتخلص من المماليك المصريين جملةً واحدة خلال حفلٍ يقيمه لتحرّك جيشه العثماني تجاه الحجاز بقيادة ابنه طوسون باشا (ت: ١٢٣١هـ/١٨١٦م)[3]. ولقد كانت الحكومة العثمانية تؤيّد محمد علي باشا في تخطيطه للفتك

---

(١) دستور: كلمة يستعملها المصريون في عاداتهم من أيام المماليك حتى الآن والساعة، فإذا طلع الرجل السُّلَّم على الحريم قال: دستور، أو: يا ساتر، فتسمع المرأة فتحتجب. ويُستعمل أيضاً عند زيارتهم الأضرحة والمشايخ، فيقولون: دستور يا أسيادنا. وكذلك إذا أرادت المرأة أن تَكُبَّ ماءً تقول: دستور؛ تحذيراً للمارة أو احتراساً من أن يُسكب على الجنّ فَيَتَأَذَّوْنَ ويُضِرُّونَ الفاعل. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (١٧١).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١١٩/٤).

(٣) هو أحمد طوسون، الشهير بطوسون باشا ابن محمد علي باشا. توفّيَ سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م.له ترجمة عند الجبرتي في «عجائب الآثار» (٤١٠/٤ ـ ٤١٢)، وأخباره كثيرة وطويلة في تاريخ الجبرتي في المجلدة الرابعة.

بالمماليك المصرية(١).

ففي ٣ صفر ١٢٢٦هـ/٢٧ فبراير ١٨١١م قلَّد محمد علي باشا ابنه طوسون قائداً عامّاً للركب الموجَّه لحرب السعوديين(٢)، فأخرج الباشا جيشه ناحية باب العَزَب(٣) ونصبوا له معسكراً وخياما، وطلب الباشا من المنجّمين أن يختاروا له وقتاً صالحاً لإلباس ابنه خُلعة السفر، فاختاروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة ٦ صفر ١٢٢٢هـ/٢ مارس ١٨١١م.

فلمَّا كان يوم الخميس ـ قبله بيوم ـ أمَرَ الباشا مناديه ينادي على كلّ أمراء المماليك المصرية في القاهرة أن يأتوا إلى القلعة يوم الجمعة بِأُبَّهَتِهِم وزينتهم ومعهم أتباعهم وأجنادهم وأولادهم ومماليكهم وحرسهم وخواصّهم ليحضروا موكب تسيير الجيش الذاهب لحرب السعوديين.

فلمَّا أصبح يوم الجمعة ٦ صفر/٢ مارس ركب جميع أمراء المماليك المصرية الموجودين في القاهرة وطلعوا إلى القلعة عند الباشا وجلسوا معه وشربوا القهوة وتضاحك معهم، ثمَّ انجرَّ الموكب

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) معيَّة سنيَّة، وحدة الحفظ (٥٢)، بتاريخ ١٩ رمضان ١٢٢٥هـ/ ١٨ أكتوبر ١٨١٠م (٢٢٨/١).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٢٨)، بتاريخ ١١ ربيع أول ١٢٢٥هـ/ ١٦ أبريل ١٨١٠م (١٧٨/١). وانظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢٢٨/٢).

(٣) باب العَزَب: هو البوابة الرئيسية لقلعة المقطَّم. انظر: إدوارد وليم لين «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر» (٨٦).

على الوضع الذي رتَّبوه، وكان الباشا قد بَيَّتَ الغدر بهم.

فلمَّا انجرَّ الموكب وانفصل عند باب العَزَب، أمر الباشا بغلق الباب على المماليك الذين هم في داخل القلعة، وعرَّفَ طائفته الدلاتية بالمراد فالتفتوا ضاربين الرصاص على المماليك الذين انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر ذي الحجر المقطوع في أعلى باب العَزَب إلى الباب الأسفل، وقد أعدَّ الباشا عدة عساكر أوقفهم على علاوي حيطان مضيق النقر(١).

فلمَّا حصل الضرب من التحتانيين أراد أمراء المماليك الرجوع القهقرى فلم يمكنهم ذلك لانتظام الخيول في مضيق النقر، وأَخَذَهُم ضرب البنادق والقرابين(٢) من خلفهم، وعَلِمَ العسكر الواقفون بالأعالي المراد فضربوا أيضاً، فلمَّا رأى المماليك ما حلَّ بهم سقط في أيديهم ووقع منهم أشخاص كثيرة، فنزلوا من الخيول راجعين إلى فوق والرصاص نازل عليهم من كل ناحية، فسقط أكثرهم، وأصيب شاهين بيك(٣) وسقط إلى الأرض فقطعوا رأسه وأسرعوا بها إلى

(١) مضيق النُّقَر: دهليز ضيِّقٌ فيه نُقَر (حُجَرٌ صغيرة ضيقة جداً)، وفيه حجرات رمي السهام ذات عمق كافٍ لشخص واحد فقط. انظر: ك. أ. كريزويل «وصف قلعة الجبل» (٢١) (٤٧ ـ ٤٨).

(٢) القرابين: مفردها «قرابينة»، وهي بندقية من العصر العثماني واسعةُ الفوَّهة يحملها المشاة والفرسان. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٢٢).

(٣) شاهين بيك: هو كبير الأمراء المماليك الألفية من بعد وفاة الأمير محمد بيك الألفي، والألفي هو الذي أوصى له بالإمارة من بعده وأعطاه ختم الإمارة الألفية. وكانت تحت يد شاهين بيك أرياف مصر وباديتها وقبائلها، لم يستطع محمد علي باشا أن يأخذها منه. كانت رسوم الإمارة والهيلمان بادية عليه طيلة =

الباشا ليأخذوا عليها البقشيش[(١)]. أمَّا سليمان بيك البواب[(٢)] فهرب من حلاوة الروح وصعد حائط البرج الكبير فتابعوه بالضرب حتى سقط واحتزُّوا رأسه.

وأسرف العسكر التركي في قتل المماليك المصريين وقطع رؤوسهم وسلب ما عليهم من الثياب ولم يرحموا أحداً، وأظهروا كامن حقدهم وضَبَعوا فيهم وفيمن رافقهم متجمِّلاً من أولاد الناس[(٣)] وأهالي البلد الذين تزيُّوا بزيِّهم لزينة الموكب، وتتبَّعوا المتشتتين والهربانين من المماليك في نواحي القلعة وزواياها، والذين فرّوا منهم

= حياته. انظر أخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٨/٤ ـ ٣٩) (٦٤) (١٠٠) (١٢٠ ـ ١٢٣) (٢١٢).

(١) البقشيش: لفظٌ فارسي «بخشيش»، وتعني العطية أو الهدية للعامل أو الخادم أو النادل فوق أجره. انظر: محمد أحمد دهمان «الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٣٦).

(٢) سليمان بيك البواب: من كبار الأمراء المماليك الألفية. كان ذا ظلم وعسفٍ لمَّا تولَّى (المنوفية). وكان تحت يده أرياف مصر في الوجه القبلي كلِّهٌ. تحارب مع محمد علي باشا مُدَّة ثمَّ صفى ما بينهما فأقرَّه الباشا على الوجه القبلي كلِّه. وسليمان بيك هذا هو الذي سعى بالصلح بين أمراء المماليك الألفية ومحمد علي باشا. انظر أخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٦٨/٤) (٧٣) (١٢٤) (١٦٣) (١٩٩) (٢٠٠) (٢٠٧ ـ ٢٠٨).

(٣) أولاد الناس: هم أبناء السلاطين وأبناء أمراء المماليك الذين وُلِدوا أحراراً مسلمين ونشؤوا داخل حدود السلطنة المملوكية ويحملون أسماء عربية. ولهم تربية وأدب. عُرفَ منهم ابن تغري بردي المؤرخ المملوكي المعروف، وكثير غيره. انظر: تعليقات أيمن فؤاد سيِّد على كتاب «المواعظ والاعتبار» لتقيِّ الدين المقريزي (٢٨٦/٤). ومحمد أحمد دهمان «الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٢٦).

دخلوا البيوت والأماكن، وقبضوا على من أُمسِكَ حيّاً منهم ولم يمت بالرصاص أو متخلفاً عن الموكب، فسلبوا ثيابهم وجمعوهم إلى السجن[١]، ثم أحضروا المشاعلي[٢] لرمي أعناقهم في حوش القلعة واحداً بعد واحد، من ضحوة النهار إلى أن مضى حصَّة من الليل، حتى امتلأ الحوش من القتلى.

وهكذا دخل القلعة في صبيحة ذلك اليوم أربعمئة وسبعون من المماليك وأتباعهم، قُتِلوا جميعاً، ولم ينجُ منهم إلَّا واحداً هو الأمير المملوكي أمين بيك فإنَّه كان في مؤخِّرة الصفوف، فلمَّا رأى الرصاص ينهال على زملائه طَلَبَ النجاة فامتطى جواده وتوجَّه إلى المكان المشرف على الطريق من سور القلعة، ورأى الموت محيطاً به، فلم يجد منجى إلَّا أن يرمي بنفسه من أعلى السور إلى خارج القلعة، وكان الخطر المُحقَّق في تلك المحاولة؛ إذ يعلو السور عن الأرض ستين قدماً، ولكنَّه خاطر بنفسه مُؤْثِراً الموت على القتل، فلَكَزَ جوادَه فقَفَزَ به مُتَرَدِّياً، ولمَّا صار على مَقرُبَةٍ من الأرض قفز هو مُترَجِّلاً وترك الجواد يتلقى الصدمة، فتهشَّم الجواد لفورِهِ فَنَفَقَ مباشرةً ونجا أمين بيك من الموت ومضى يعدو في طريق الصحراء، وما زال يطوي الفدافد متنكِّراً حتى بَلَغ جنوب سورية.

---

(١) هو سجن القلعة، الذي كان يعرف بـ (الجُبِّ). وهذا السجن شهير جداً وسُجِنَ فيه مشاهير، مثل: شيخ الإسلام ابن تيمية. انظر: تقي الدين المقريزي «المواعظ والاعتبار» (٣/٦٥٢).

(٢) المشاعلي: جمعها «مشاعلية»، ويسمّون أيضاً «الضويَّة»، وهم الذين يُطلب منهم صلب أحد المطلوبين أو تسميره من باب النداء عليه. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم اللفاظ التاريخية في العصر الملوكي» (١٣٩).

أمَّا أسفل القاهرة، فإنَّ العساكر الترك في الأسفل عندما تحقَّقوا حصول الواقعة وقَتل أمراء المماليك؛ انبثُّوا كالجراد المُنتشر إلى بيوت الأمراء المماليك المصرية ومن جاورهم طالبين النَّهب والغنيمة، فولجوها بَغتةً ونهبوها نهباً ذريعاً، وهتكوا حرائر حريمهم وسحبوا نساءهم وبناتهم وجواريهم وسلبوا ما عليهن من الحلي والجواهر والثياب، وأظهروا الكامن في نفوسهم.

وأصبح يوم السبت ٧ صفر/٣ مارس والنهب والقتل عَمَّالٌ والقبض شَغَّالٌ على المتوارين والمتخفِّين، فيقبضون على من يقبضون عليه، ويسحبون الواحد والاثنين أو أكثر بينهم، ويأخذون عمائمهم وثيابهم وما في جيوبهم في أثناء الطريق.

وبعض المماليك غيَّر زيَّه خوفاً من عساكر الترك، ومن المماليك من لبس ملابس نساء الفلاحين وخرج ضمنهن، وفرَّ من نجا منهم إلى الشام وبعضهم إلى السودان وليبيا وتونس والحجاز وغيرها.

وأرسل كتخدا بيك أوراقاً إلى كشَّاف النواحي والأقاليم بقتل من وجدوه منهم بالقرى والبلدات، فوردت الرؤوس في ثاني يوم من النواحي، فصار يصل كل يوم العدد من الرؤوس من قبلي وبحري ويضعونها على باب القلعة، ولم يقبلوا شفاعة في أحد أبداً، ويعطون الأمان للبعض، فإذا حضروا قبضوا عليهم وشلَّحوهم ثيابهم وقتلوهم، وصارت رِمَمهم تُحمل على الأخشاب ويرمونهم عند المَغْسَلِ بالرميلة[1]، ثم يرفعونهم ويلقونهم في حفرٍ من الأرض فوق بعضهم

(١) الرميلة: يُعرف اليوم باسم (ميدان صلاح الدين). انظر: إدوارد وليم لين «القاهرة منتصف القرن التاسع عشر» (٨٦).

البعض لا يتميَّز الأمير عن غيره، وسلخوا عِدَّة رؤوس من رؤوس العظماء وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم في تلك الحفر.

ثمَّ أُرسلت عدة من رؤوس المماليك المقطوعة إلى إسطنبول لتراها حكومة السلطان العثماني. فكانت تلك الحادثة من أشنع الحوادث[١].

وبعد ذلك الفتك وتلك انمذبحة أرسل محمد علي باشا إلى الحكومة العثمانية بإسطنبول قائلاً: «بهذا الوجه حصل الخلاص والتخلُّصِ ولله الحمد من غوائلهم ومصروفاتهم»[٢]، وبذلك قضى على العقبات الداخلية التي كان يخشى منها على ولايته، وأخبر السلطان بأنه وجَّه جيشه إلى السويس لمحاربة السعوديين[٣].

لقد نقلتُ تلك الحادثة على طولها ليُعرف مدى انحطاط وبشاعة هذا الجيش العثماني؛ الذي أمر سلطان تركيا على محمد علي باشا أن يجمعه ويستخدمه في حربه للسعوديين.

---

(١) انظر تفاصيل مجزرة المماليك في القلعة عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٠٦ ـ ٢١٤). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ برقم (٦٠) بتاريخ ٩ صفر ١٢٢٦هـ/ ٥ مارس ١٨١١م (١/٢٨١ ـ ٢٨٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤١٨ ـ ٤٢٥). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٠٨ ـ ١١٥).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وحدة الحفظ: دفتر (١) معيَّة تركي، برقم (٦٠) بتاريخ ٩ صفر ١٢٢٦هـ/ ٥ مارس ١٨١١م (١/٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٣) انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٣٠).

* الحملة العثمانية تتحرَّك لحرب السعوديين/ووصف ضخامة جيش الحملة:

بعد أن فرغ محمد علي باشا من الفتك بالمماليك المصرية، حرَّك الموكب الجسيم الذاهب إلى محاربة السعوديين، فسار بضخامته في يوم الأحد السادس من ربيع الأول ١٢٢٦هـ/٣١ مارس ١٨١١م تتقدَّمه طائفة عساكر تصاحبهم مدافع كبار(١) على عربات تجرُّها، وعددٌ مَهول من الخيول(٢)، وأكثر من أَحَد عشر ألف جمل(٣) وقريب من ألف بغل لحمل الجنود غير الفرسان(٤)،

وسار في هذا الموكب الكثيف الرهيب: طوائف مشاة الأرناؤوط والأتراك والسكبان ورجال المدفعية والرماة(٥) وأصحاب الهجن والجنود ذوي الرتب الصغيرة والقوات غير النظامية التي هي أقرب للمشاة(٦) وأغوات الانكشارية ورماة المدفعية

(١) انظر: محمد البسَّام النجدي «الدرر المفاخر في أخبار العرب الأوائل والأواخر» (٥٩).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سنيَّة، وحدة الحفظ (بلا)، بتاريخ غرَّة جمادى الثانية ١٢٢٤هـ/ ١٤ يوليو ١٨٠٩م (١/١١٠).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٥).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣هـ/ ٩ مارس ١٨٠٨م (١/٥٦).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سَنيَّة، وحدة الحفظ (بلا)، بتاريخ غرَّة جمادى الثانية ١٢٢٤هـ/ ١٤ يولية ١٨٠٩م (١/١٠٩).

(٦) انظر: الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (١٦٧).

والبلطجية[(١)].

ولحق بهم جمٌّ غفير من البدو من عرب **الهوَّارة**[(٢)] **من مصر**[(٣)] **وعرب الجوازي**[(٤)] **من بدو ليبيا** الذين جاؤوا من صحرائها وكلّهم خيَّالة[(٥)]، وانْضَمَّ إليهم **بدو مغاربة**[(٦)] وأعداد من **نصارى اليونان**

---

(١) البلطجية: معناها حامل البلطة، وهم فرقة من حرس القصور مهمَّتهم في الأصل مرافقة مواكب نساء القصر وحمايتهن، كانوا يمسكون أَزِمَّةِ دواب العربات ويصحبونها في الطرقات. وفي آخر العصر العثماني انصرف هذا اللقب على الرجال الذين لا عمل لهم، ويعيشون عالةً على حساب النساء. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٨٥).

(٢) عرب الهوارة: من بادية مصر وإحدى قبائلها، وقد سيطروا على (الصعيد) فترة العثمانيين. انظر: أ. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٤١٧). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥). وعبدالحميد صالح حمدان «تاريخ القبائل العربية في مصر» (٦٩) (٧١). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٠)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٣٠هـ/ ٢٧ أغسطس ١٨١٥م (٢/٢٣٦).

(٤) عرب الجوازي: إحدى قبائل ليبيا من (برقة) و(بنغازي) التي هاجرت لمصر بعد المذبحة التي ارتُكِبَت في حقّهم من قِبَل الوالي التركي القرمانلي، انظر: رودولفو ميكاكلي «طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي» (١٨٠ ـ ١٨١). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨). وعبدالحميد صالح حمدان «تاريخ القبائل العربية في مصر» (٧١). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٩ ـ ١٠).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٣). إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٦). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٥). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٠).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٠).

الكاثوليك[١].

ثم تَبِعَهُم عددٌ مهولٌ من أرباب الصنائع والحِرَف ومثلهم من الخبَّازين والفرَّانين والطبَّاخين[٢] يصحبهم جهاز مطابخ كاملة وقناديل ومفروشات وسائر اللوازم، وأكثر من ثلاثة آلاف خيمة وقبة خضراء، وأكثر من عشرين ألفاً من قِرَب مياه الشرب[٣].

يقول الجبرتي: أنَّهم اصطحبوا في الحملة آلاف الأكياس من المآكل المرفَّهة «كالحلاوات والمِلبِّسات[٤] والكعك المصنوع بالعجمية[٥] والسكر المكرَّر والغُرَيِّبات[٦]

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٢٦).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٤٠/٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٦). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢٦).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣هـ/ ٩ مارس ١٨٠٨م (٥٥/١).

(٤) المِلَبِّسات: مفردها «المُلَبَّس» والعامة في مصر تنطقها «مِلَبِّس»، وهي من مأكولاتهم، وتعني: لوزةٌ أو نحوها تُغشى بطبقةٍ يابسةٍ من الحلوى. إبراهيم مصطفى وزملائه «المعجم الوسيط» (٨١٣). أيضاً: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٨١).

(٥) العَجَمِيَّة: حلوى تركية مشهورة في صعيد مصر منذ زمن، وتُسمَّى في مصر «سدِّ الحَنَك»، عبارة عن سمن ودقيق ولبن وسكر. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٧١).

(٦) الغُرَيِّبات: مفردها «غُرَيِّبَة»، من مآكل أهل مصر، وتعني: الكعك المصنوع من الدقيق والسمن السكَّر والكثير من الزبدة. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٤٢) (٢٨١).

والخشكنانكات[١] والمُرَبَّيَات والشَربات[٢]...» وصناديق المسكرات والخمور[٣] وآلات الطرب[٤].

وفي ١٢ رمضان ١٢٢٦هـ/٣٠ سبتمبر ١٨١١م خرج السيد محمد المحروقي (ت: ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م)[٥] ليسافر صحبة الركب، وخرج في موكبٍ جليل لأنَّه هو المشار إليه في رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وأمور العربان ومشايخها[٦]، وأوصى محمد علي باشا ابنه طوسون باشا أمير العسكر بأنْ لا يفعل شيئاً من الأشياء إلا بمشورة المحروقي واطِّلاعه[٧].

---

(١) الخشكنانكات: مفردها الخشكنان/ الخشكار. وتعني: الخبز الجاف، وتُطلق على نوعٍ من المخبوزات يُصنع من الدقيق والسكر واللوز والفستق. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٦٩).

(٢) الشربات: هو الشراب المشهور الذي يقدمه المصريون في المناسبات المفرحة، وهم يصنعونه من الماء مذاباً في السكر مع ماء الورد أو ماء زهر البرتقال. انظر: أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٠٦).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤) (٢٢٢) (٢٢٦).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٤/٤ ـ ٢١٥). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٦).

(٥) السيد محمد ابن السيد المحروقي: شاهبندر تجار القاهرة وابن شاهبندر تجار القاهرة. انظر أخباره عند: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٢) (١٢٠). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٨٨/٣). وحسن قاسم في «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة: ٢٩).

(٦) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٧).

(٧) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤).

* طوسون باشا يحتلّ ينبع ومحيطها.

في ١٨ رمضان ١٢٢٦هـ/٦ أكتوبر ١٨١١م ارتحل طوسون باشا من فوره بطريق البرِّ يقود حملة الفرسان، بينما وصلت عساكره التي سافرت عن طريق البحر إلى مرفأ ينبع البحر، ولمَّا ألقت مراسيها في المرفأ ونزلت إلى داخل مدينة الميناء بدأت رصاصات البنادق تنطلق من القلعة التي يتحصَّن بها الجنود السعوديون، فردَّت عساكر محمد علي باشا بضرب القلعة بالمدفعية الثقيلة والقنابل، ثمَّ ركَّبوا على سورها سلالم وصعدوا عليها فملكوا القلعة[١] وقتلوا من كان بها، وبعض الجنود السعوديين هربوا على خيولهم، **فطفقت عساكر محمد علي باشا تنهب ما في ينبع البحر من الودائع والأموال والأقمشة والبُنّ**[٢].

ثمَّ هجمت عساكر الترك على بيوت الناس بعد أن هرب أهلها قبيل وصول الحملة فنهبتها عساكر الترك[٣]، كما هيمنت تلك العساكر على الوجه[٤] والمويلح[٥][٦].

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٧٣)، رمضان ١٢٢٦هـ/ سبتمبر ١٨١١م (٣٢١/١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢١٩/٤ ـ ٢٢٠).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٧).

(٤) الوجه: تقع شمال (ينبع) وشمال مصب (وادي إضم). انظر عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٧٩٨).

(٥) المويلح: ميناء على ساحل البحر الأحمر الشرقي شمال (ضبة) على بعد ٥٠ كلم منها، يصبّ عليها (وادي صُرّ) من الشرق من (جبل الجَم) و(جبل شار). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٦٩٠).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٧٤)، =

وبحسب فيلكس مانجان ـ وهو من خوّاص محمد علي باشا ـ وبحسب الوثائق البريطانية أيضاً؛ **أنَّ الشريف غالب قد تعهَّد للإمام سعود بالدفاع عن ينبع البحر، لذلك اكتفى السعوديون بوضع حامية صغيرة فيها لا يتجاوز عدد أفرادها ثلاثمئة رجل، ولكنَّ غالباً نكث بوعده وتحوَّل لمناصرة الأتراك ومكَّنهم من الاستيلاء على ينبع**(١).

وفي ٧ شوَّال ١٢٢٦هـ/٢٥ أكتوبر ١٨١١م وصل طوسون باشا بعساكره البرية إلى بندر(٢) المويلح، بعد أن خسر كثيراً من الخيل في تلك الرحلة البرية الشاقة(٣)، **ولكنَّه لم يتعرَّض لأية عوائق من طرف البدو في الطريق، لأنَّه** ـ بحسب تقرير السير هارفرد بريدجز ـ **كان قد سبق توزيع هدايا أو رشاوى على شيوخهم**(٤).

الحاصل أنَّ طوسون باشا اجتمع بعسكره البرّي مع العسكر البحري واحتلّوا بعضاً مِن ينبع البر التي تسمى ينبع النخل(٥)، بعد أن

= رمضان ١٢٢٦هـ سبتمبر ١٨١١م (٣٢٣/١). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٧).

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,761. وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٨).

(٢) بندر: لفظٌ فارسيٌّ بمعنى: ميناء أو مدينة ساحلية، دخل العربية عن طريق اللغة التركية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٨٧).

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٣) (١٢٠).

(٤) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٢٨).

(٥) ينبع البر: وتسمَّى (ينبع النخل)، وادٍ فحل كثير القرى والعيون والسكَّان، يقع غرب (المدينة النبوية). من سكانها قبائل جهينة في الشق الشمالي وقبيلة حرب في الشق الجنوبي. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٨٦٧).

قاومهما القائدان السعوديان **الشريف الشيخ جابر بن جبارة** من أشراف ينبع **والشيخ مسعود بن مضيان** من شيوخ قبيلة حرب، وبعد مطاولة في الحرب اضطّرّ الشيخ ابن جبارة والشيخ ابن مضيان للتراجع والخروج من قرية السويق[(١)] وقرية السويقة[(٢)] اللتان احتُلَّتا من قِبَل قوات طوسون باشا[(٣)].

وتورد الوثائق اعتراف العساكر العثمانية الآتية من مصر بارتكابها **جرائم على طريقة المغول**، فتذكر أنها **جمعت ستمئة رأس مقطوع من جثث السعوديين الذين قتلتهم عساكر الترك لترسلها إلى الباشا في مصر، ولكنَّ الرؤوس تفسَّخت وأنتَنَت ولم تصلح للصلب والترحيل فرموها في العراء**[(٤)]، **فيما أرسلوا مئتين من رؤوس السعوديين المقطوعة في الحرب التي وقعت معهم في بلدة السويق لتُشهَر في ميدان الرميلة بمصر**[(٥)].

---

(١) السويق: تعتبر قاعدة (ينبع النخل)، وتبعد عن (ينبع البحر) ٥١ كلم، وأهلها قبائل جهينة. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨٥٣).

(٢) السويقة: قرية في (ينبع النخل) لقبائل من بني سالم من حرب. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢/٧٥١). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨٥٧).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٠ ـ ٢٢١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢١ ـ ٣٢٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سنيَّة، رقم وحدة الحفظ (٧٧)، ٥ ذي القعدة ١٢٢٦هـ ـ٢١ نوفمبر ١٨١١م (١/٣٤٣).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٧٩)، ١٩ ذي الحجة ١٢٢٦هـ ـ ٤ يناير ١٨١١م (١/٣٥٦).

* طوسون باشا يحتلّ بلدة بدر.

توجَّهَ طوسون باشا بجنوده من ينبع البحر إلى بلدة بدر[١]، **ويذكر فيلكس مانجان أنَّ الشريف غالب هو من نصح طوسون باشا أن يتوجَّه للسيطرة على بدر من بعد ينبع البحر لأنَّه من بعد الهيمنة على بدر سيسهل على الترك طريق السيطرة على المدينة النبوية** [٢] . فجمع طوسون باشا قواته لتضرب بلدة بدر[٣]، فخاضت عساكره معركة استمرت ثلاث ساعات مع أهالي بدر، ومع قوة قصف المدفعية الثقيلة وتساقط نيران القنابل على البلدة تقهقر السعوديون تاركين وراءهم ستين قتيلاً، ولم يلبث طوسون باشا بعد هذا النصر في بدر أن تقدَّم ناحية الجُدَيِّدَة[٤] في وادي الصفراء المعروف[٥]، حيث ستقع الملحمة العظيمة هناك.

---

(١) بَدر: من قرى الحجاز بأسفل (وادي الصفراء)، على بعد ١٥٥ كلم جنوب غربي (المدينة النبوية). وهي اليوم ضمن إمارة (المدينة النبوية)، وسكان (بدر) بنو سالم من حرب. انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢٦٤/١). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٧٧).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٣).

(٣) انظر: آندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩).

(٤) الجُدَيِّدَة: هي عين من عيون (الواسطة) الثلاث في (وادي الصفراء)، كما أنها تعتبر من قرى (بدر)، فيها اليوم إمارة الناحية، وهي تبع لإمارة (المدينة النبوية). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٣٥٧/١). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٣٤٩).

(٥) الصفراء: وادٍ كبير من أكبر أودية الحجاز الغربية، وقد تسميه العامَّة (وادي بدر) لاشتهار بلدة (بدر). وسكَّان الوادي بنو سالم، ومن أكبر فروعهم: الحوازم والأحامدة وصبح والظواهر، ومن قراه (الخيف) و(المسيجيد)=

* معركة الصفراء.

لمَّا سَمِعَ الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود ما حصل لينبع البحر وينبع البر ومحيط تلك البقاع، جيَّش سعود رجالاته ثمَّ أمَرَ على نواحي السعوديين من الحاضرة والبادية من أهل نجد والجنوب والحجاز وتهامة وغيرهم، فسيَّرهم مع ابنه عبدالله[١] الذي نزل بهم الخَيف المعروف من وادي الصفراء[٢]، فاجتمع في الجيش السعودي نحو ثمانية عشر ألف مقاتل وثمانمئة فارس[٣]، وقيل عشرين ألفاً[٤].

= و(الحمراء) و(الواسطة) و(بدر). وأصبحت للوادي اليوم إمارة غَدَت محافظة تجمع كلّ قراه وسكّانه، مقرّها (بدر). و(الصفراء) القرية التي سُمِّيَ بها الوادي تُعرف اليوم باسم (الواسطة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٨٤٧/٢). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٩٩٢ ـ ٩٩٥).

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٨٠)، بتاريخ ٢٧ ذي الحجَّة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢م (٣٦١/١). وانظر: محمد البسَّام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٠).

(٢) الخَيف: قرية في (وادي الصفراء) عند المضيق من الغرب. تبعد ١٠٥ كلم عن (المدينة النبوية) في طريق بدر، وعن (المسيجيد) ٢٥ كلم بينه وبين (بدر). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٨٨ ـ ٥٨٩).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٢/١ ـ ٣٢٣). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٠).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٨).

وفي ١٣ ذي القعدة ١٢٢٦هـ/١٠ يناير ١٨١٢م استعدّ السعوديون لملاقاة عساكر طوسون باشا في الصفراء، وكانت جنود الجيش السعودي ساترة مهاوي جهتي الدرب إلى وادي الصفراء، كما كانت تسيطر على المضائق المؤدية إليه، ويتمركزون في رؤوس الجبال حتَّى أصبحت مواقعهم حصينة تستعصي على المهاجمين الأتراك[١].

فالتقى الجمعان وجهاً لوجه في الممرِّ الضيِّق بين جبلين عظيمين من وادي الصفراء، وفوجئ جيش الترك بهجوم موحَّدٍ منظَّم من قوَّةٍ تشكِّلها قبائل حرب[٢]، **فصبَّ الترك عليهم نيرانَ مدافعهم[٣] فتراجعت قبيلة حرب وبقية الجيش السعودي استدراجاً للجيش العثماني[٤].**

ولكنَّ المناوشات بين الفريقين عادت من جديد وتكرَّر الطراد بين السعوديين والأتراك في ذات اليوم وفي ذات الموضع، فرَجَحَت كِفَّة النصر للسعوديين بعد أن جعل عبدالله بن سعود على الخيل أخاه **فيصل بن سعود**[٥] وحباب بن قحيصان

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٣). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٨٠)، بتاريخ ٢٧ ذي الحجَّة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢م (٣٦١/١).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٢/٤). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦١). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٥٦).

(٥) هو فيصل بن الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، كان له قدم صدق في معارك الدولة السعودية الأولى مع الأتراك العثمانيين. وستأتي أخباره في هذا الفصل والفصل الذي يليه.

المطيري[١].

من بعد ذلك وصل مَدَدٌ من أهل الوشم، ثمَّ جاء **الشيخ عثمان المضايفي** ومعه قبائل كثيرة، ثم جاء **الشيخ مسعود بن مضيَّان** بجنوده[٢]؛ فلمَّا رأى الأتراك ابن مضيّان وعاينوا ضخامة جسمه وهيبته التي عُرِفَ بها قالوا: «**هذا هو الوهابيّ الكبير**». ظنّوه الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٣].

وفي ذلك اليوم؛ كانت بقية عساكر طوسون قد وصلت ونصبت خيامها بالقرب من الجبال وتمكَّنت من أخذ بعض المواقع بدايةً، في الوقت الذي كانت فيه قوات المشاة التركية تتقدَّم في طريقٍ ضيِّقة وتتعرض لوابل من الرصاص السعودي[٤].

وفي اللحظات التي حَمَى فيها وطيس الحرب في الصفراء، **قامت قبيلة حرب بتكتيك حربي أثناء المعركة؛ فأوهمت رجالات**

---

(١) حباب بن قحيصان المطيري: رئيس البرزان من مطير، وواحدٌ من أبطال الحروب في الدولة السعودية الأولى، وجليس الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. قُتِلَ في مناخ (الرضيمة) سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٢٧). وعبدالله البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٨٨).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٣ ـ ٣٢٤). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦١). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٥).

(٣) انظر: محمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٥٦).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٣).

حرب التركَ بأنَّهم فرّوا من وجوههم؛ ليغروهم بملاحقتهم وجَرِّهِم إلى حيث يريد مقاتلي القبيلة، فلاحقهم الترك منخدعين حتى بلغوا حوافَّ قلل الجبال، فنجحت رجالات حرب في تكتيكها الذي تريد، فلمَّا صعدت عساكر طوسون إلى قُلَلِ الجبال هالهم كثرة الجيش السعودي هناك فأدركوا الكمين الذي أوقعهم فيه مقاتلوا قبيلة حرب[1].

ظلَّ القتال في الأعلى قائمٌ يوماً وليلة إلى بعد الظهيرة من يوم ١٣ ذي القعدة ١٢٢٦هـ/١٠ يناير ١٨١٢م، **فلم يشعر الأتراك السفلانيون إلا وعساكرهم الذين في أعالي الجبال هابطون منهزمون مُوَلُّون الأدبار، عندها هربت عساكر الترك التي في الأسفل؛ لقد هربت جميعها خيَّالة ومشاة عند سماعهم أوَّل صوت وقع من عدوِّهم؛ والسبب: أنَّ هجوماً شنَّته بعض فرق الجيش السعودي في الأعلى على عساكر طوسون باشا، فحمي وطيس الحرب بينهما، فثبت الجيش السعودي بأكمله حتى تحقق النصر له وفتك بعددٍ مهولٍ من الأتراك، فانهزمت عساكر طوسون باشا وجدَّت في الفرار**[2].

سرعان ما تبع السعوديون فلول الفرسان التركية المنهزمة[3]،

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٣).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٤). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٢). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٣). وأحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١١٦).

(٣) هذا لا يخالف ما أوردناه في الفصل السابع من أنَّ الجيش السعودي لا يلحق بالمدبر من الجيش المنهزم ولا يفتك به، فالحال في (معركة الصفراء) في ذلك التوقيت أنَّ المعركة لا زالت رحاها دائرة ووطيسها حامٍ، وسيترك=

فقاموا بذكاءٍ يضغطون على مؤخّرة جيش الترك المنهزم، ثمَّ بسرعةٍ تجاوز السعوديون إلى الأمام عند مقدمة جيش الترك على طول جانب الجبل وأمطروا الأتراك بوابلٍ من الرصاص[١].

ثمَّ قاطع السعوديون على مؤخِّرة الجنود الأتراك من الخلف بسرعة الجري الخفيف، وكبسوهم في طول الدرب وأوقعوا بهم، وامتلأ الجوّ وضجَّ المكان بأزيز بنادق السعوديين، وأمْطَرَت رصاصاتهم على رؤوس الترك، فدبَّ الفشل وفَشَت الفوضى وشاع الارتباك في عساكرهم، حتى خُيِّلَ لطوسون باشا أنَّ نوعاً من الخَبَلِ والاختلاط قد استولى على جنوده، فهرعوا هاربين تاركين كلّ جمالهم وجميع مهمَّاتهم وسائر مدافعهم، بل تركوا كل ما كان معهم من ورائهم، وعظُمَت نكبة الترك بعد أن مزَّقهم السعوديون شرَّ مُمَزِّق[٢].

يقول بوركهارت: «أكَّدَ لي أناس حضروا تلك الموقعة أنَّ طوسون صاح بالأتراك المنهزمين والدموع تنهمر من عينيه قائلاً: ألا يقف أحد منكم معي؟»[٣].

= السعوديون الترك المنهزمين ولا يلحقون بهم بعد أن تُحسم المعركة، كما سيأتيك بعيد قليل من التفاصيل.

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٦ ـ ١١٧). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢٧).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733.. وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٨ ـ ٤٤٩). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١١٦).

(٣) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧).

*** مشاهد الرعب في البريكة.**

هربت عساكر الترك العثمانيين لا يلوي أحدٌ منهم على أحد من شديد ما دبَّ بهم من الفوضى ومن شدة ما فشا فيهم من الارتباك ومن عظيم ما تملَّكهم من الفزع، فطلبوا جميعاً الفرار من كل ناحية، وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم في الصفراء، وطفق الترك ينهبون ما تساقط من أمتعة رؤسائهم، فكان القوي منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ويأخذ دابَّته ويركبها، وربما قتله وأخذ دابَّته، وقد ضلَّ أكثرهم الطريق وسط الظلام، وبعضهم ساروا طالبين الوصول إلى السفائن بساحل البريكة[١]، لأنهم أعدّوا هناك عدة مراكب من باب الاحتياط[٢].

وفي البريكة هيمن الخوف على قلوب عساكر طوسون باشا؛ إذ كانوا يعتقدون أنَّ السعوديين في إِثْرِهِم، والحال أنَّه لم يتبعهم أحد؛ لأنَّ السعوديين لا يذهبون خلف المدبر، ولو تبعوهم ما بَقِيَ منهم شخصٌ واحد، فكانوا من عظيم فزعهم يتصايحون على القوارب الصغيرة فتأتي إليهم وهي لا تتسع إلا للقليل، فيتكاثرون ولهم صياح وعويل، ودبَّ التزاحم والتدافع بينهم متصارعين على النزول في تلك

---

(١) البريكة: ميناء (الجار) سابقاً، تبعٌ لإمارة (مكة) اليوم، وتبعد ١١٢ كلم شمال (رابغ) و٦٧ كلم شمال غرب (مستورة)، وهي ميناء صالحٌ جداً لرسوّ السفن الشراعية في البحر الأحمر. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٩٩ ـ ٢٠٠).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧ ـ ١١٨). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٢/٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٦/١). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٣ ـ ٦٤).

القوارب، ومن فرط ما استولى عليهم من الرعب أنَّ كلّ جماعة منهم تصعد القارب تمنع البواقي من إخوانهم من الصعود للقارب، فإن لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص، حتى كانوا من شدَّة هلعهم والفزع الذي تملَّكهم يخوضون في البحر إلى رقابهم، وكأنما العفاريت في إثرهم تريد خطفهم، وكثير من العسكر والخدم لمَّا شاهدوا الازدحام والتدافع على قوارب ميناء البريكة ذهبوا مشاة إلى ينبع البحر، فوقع التشتُّت والتِّيه في الدواب والأحمال والخلائق من الخدم وغيرهم[1].

أمَّا طوسون باشا فإنَّه تقهقر إلى بدر وأشعل النار في معسكره هناك بالكامل؛ لأنَّه لم يجد من وسائل النقل ما يحمل عليه عتاد المعسكر، ثم توجَّه مباشرةً إلى ميناء البريكة، وهناك أبحر مع عددٍ قليل من أتباعه واتَّجه إلى ينبع البحر بعد أن تغيَّب يوماً عن معسكره حتى ظنُّوا فقده، ثمَّ وصل كيخيا طوسون باشا، ومن بعده وصل السيد المحروقي الذي فرَّ أيضاً من السعوديين ولم يوقفه من الهرب إلا ساحل البريكة ثمَّ ميناء ينبع. كما كان من ضمن قادة الترك الهاربين صالح قوج[2] الذي كان من ضمن مرتكبي مجزرة القلعة من

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٢/٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٩). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٥). وآندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٥٩).

(٢) صالح قوج الأرناؤوطي: قائد ألباني من قادة جيش محمد علي باشا ومن قادة حملة طوسون باشا على السعودية. انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٥) (٤٨ ـ ٤٩) (٥٢). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلد الأول (الورقة ٤٨).

قبل[١].

الحاصل؛ غنم السعوديون كلّ ما خلّفه الترك المنهزمين المرعوبين، وأخذوا كلّ معدَّات وذخائر الترك في الصفراء ونواحيها، وغنموا أربعة مدافع ميدان وكلّ إبلهم تقريباً وكثيرٌ من الغنائم الأخرى التي وجدوها في أحزمة الأرناؤوط الذين أغنوا أنفسهم بما سلبوه من المماليك بعد مذبحة القلعة بمصر[٢].

* شهادة الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ على الصفراء.

عندنا شهادة جِدّ مهمة من شاهد عيان، وهو الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ الذي حضر معركة الصفراء، حيث قال عنها: «أمر سعود على ابنه عبدالله أن يسير لقتالهم[٣]، وأمره أن ينزل دون المدينة، فاجتمعت عساكر الحجاز على عثمان بن عبدالرحمٰن المضايفي وأهل بيشة وقحطان وجميع العربان فنزلوا بالجُدَيِّدَة، فاختار عبدالله بن سعود القدوم عليهم والاجتماع بهم، وذلك أنَّ العسكر المصري[٤] [قد احتلَّ] ينبع، فاجتمع المسلمون في بلد [قبائل] حرب،

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧ ـ ١١٨). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٥) (٤٤) (٤٨). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٢/٤). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٥).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٤ ـ ١٣٥).

(٣) لقتال الأتراك/ جيش طوسون باشا.

(٤) سيأتي التنبيه على خطأ الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في قوله: أنَّ هذا الجيش جيشٌ مصريٌ.

وحفروا في مضيق الوادي خندقاً، وعبَّؤوا الجميع، فصار في الخندق من أهل نجد، وصار عثمان ومن معه من أهل الحجاز فوق الخندق، فحين نزل العسكر أرزت خيولهم وعلموا أنَّه لا طريق لها إلا إلى المسلمين، **فأخذوا يضربون بالقبوس**(١)**، فدفع الله شرَّ تلك القبوس الهائلة عن المسلمين؛ إنْ رفعوها مرَّت ولا ضرَّت وإن خفضوها اندفنت في التراب، فهذه عِبرَة؛ وذلك أنَّ أعظم ما معهم من الكيد أبطله الله في الحال.**

ثمَّ ساروا على عثمان [المضايفي] ومن معه في الجبل [الذي في وادي الصفراء]، فتركهم [عثمان] حتى قَربوا منه، فرموهم بما احتسبوهم به وما عدُّوه لهم حين أقبلوا عليهم، **فما أخطأت لهم بندق**(٢)**، فقتلوا من العسكر [التركي] قتلاً ذريعاً.**

وهذه أيضاً من العِبَر؛ لأنَّ العسكر [التركي] الذين جاءهم أكثر

---

(١) القبوس: هي بنادق «القَبَس» و«القبْسُون»: بنادق قديمة، واسمها مأخوذ من قبس النار التي ينبعث شررها من زنادها حين يضرب على غطاء الذَّخير فيثور البارود مكوّناً لهباً يتصل بالذخيرة عن طريق ثقب العين التي يكون فيها الذّخير فتثور البندق، وهو تعبير فصيح. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) البندق: هي البندقية، وتجمع على بنادق. قال إبراهيم بن عبيد بن هويدي:

يا بِنْدِقي يالِلّي بها طمْغَة الرّيشْ مَسْلُوبِة العرقوبْ والبَطِنْ كالدَّاب.

والبندق تُطلق على البندق الحربية المعروفة، من أيّ الأنواع كانت، مثل: بندق اليد والبندقية ذات العجلة وذات الشطف وذات الكبسولة وبندقية رميني الفرنسية وذات الأنبوبة المشخشنة. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٤٦ ـ ٤٧).

منهم بأضعاف ومع كلّ واحد الفرود[1] والمزنّدات[2]، فما أصابوا رجلاً من المسلمين، وصار القتل فيهم، وهذه أيضاً عِبرة عظيمة. هذا كله وأنا أشاهده.

ثمَّ مالوا إلى الجانب الأيمن من الجبال بجميع عسكرهم من الرجال، وأمَّا الخيل فليس لها فيه مجال، فانهزم كل من كان على الجبل من أهل بيشة وقحطان وسائر العربان، فاشتدَّ على المسلمين لمَّا صاروا في أعلى الجبل، فصاروا يرمون المسلمين من فوقهم، فحمى الوطيس آخر ذلك اليوم، ثم من الغد، فاستنصر أهل الإسلام ربهم الناصر لمن ينصره.

فلمَّا قرُبَ الزوال من اليوم الثاني نظرتُ فإذا برجلين قد أتيا فصعدا ذلك الجبل، فما سمعنا لهم بندقاً ثارت، إلَّا أنَّ الله كسر ذلك البيرق ونحن ننظر، **فتتابعت الهزيمة على جميع العسكر [التركي] فولّوا مدبرين، وجنَّبوا الخيل والمطرح وقصدوا طريقهم الذي جاؤوا معه، فتبعهم المسلمون يقتلون ويسلبون، هذا ونحن ننظر إلى تلك الخيول قد حارت وخارت.** وظهر عليهم عسكر من الفرسان من جانب

(١) الفرود: مفردها «فرد»، سلاحٌ ناريٌّ، كان القديم منه ذا حجم مُصَغَّر من البنادق النارية الموجودة آنذاك، مصنوعاً على هيئتها، فكلّ بندق لها فرد يسمَّى باسمها، واستمر على ذلك حتَّى ظهرت الفرود الحديثة اليوم «المسدَّسات»، وقد انتهى استعمال الفرود القديمة مع انتهاء استعمال البنادق القديمة. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١٧٢ ـ ١٧٣).

(٢) المزنَّدات: من الزِنْد والزناد، جمعه زنود؛ وهو قضيب صغير من الحديد معكوف الطرفين إلى وسطه حتَّى يكون على هيئة مثلَّث، ومسقى بالنار. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١١٧ ـ ١١٨) (١٧٨ ـ ١٧٩).

الخندق ومعهم بعض الرجال، فولَّت تلك الجنود [التركية] مدبرة، فتبعتهم خيول المسلمين في أثرهم، وليس معهم زاد ولا مزاد.

فانظر إلى هذا النصر العظيم من الإله الحق رب العباد؛ لأنَّ الله هزم تلك العساكر العظيمة برجلين. فهذه ثلاث عبر، لكن أين من يعتبر؟»[(١)].

* إشكالٌ تاريخي وقع فيه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ أثناء شهادته.

ذكر الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن مفردة «العسكر المصري»، وهذا بلا ريب إشكالٌ تاريخيٌّ وقع فيه الكثيرون؛ إذ لم يكن في جيش طوسون مصرياً محارباً، بل كانوا أخلاطاً من الأرناؤوط والبوشناق والدلاتية والإنكشارية ومن الروم إيلّي[(٢)] والأتراك الخُلَّص والبربر المغاربة المرتزقة، وأيضاً من العربان المرتزقة التي لا تستقرّ في الأراضي المصرية.

حتَّى شاهبندر تجَّار القاهرة السيِّد محمد المحروقي الذي رافق الحملة لم يكن محارباً أصلاً، بل كان أحد مُمَوِّلي الحملة وأحد

---

(١) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/٢٦ - ٢٨).

(٢) الروم إيلّي Rumelieh: لفظٌ تركي معناه: بلاد الروم، أُطلِقَ في العهد العثماني كلغةٍ إدارية للدلالة على الأقاليم العثمانية الواقعة في أوروبا والمشتملة على تراقيا ومقدونيا وبلغاريا والصرب وألبانيا. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢١٤).

أركان المفاوضات السريَّة مع الشريف غالب والعربان، كما سبق تبيانه.

ثمَّ إنَّ الحملة أُرْسِلَتْ بِأَمْرٍ من حكومة الدولة العثمانية التركية بقيادة واليها على مصر محمد علي باشا (الألباني). ولكن جرى في مصادر كثيرة تسميتها بالحملة المصرية (هكذا) باعتبار مجيئها من مصر، وهذا بلا شكّ خطأ ووهم.

فجيش الحملة عثمانيٌّ لحماً وشحماً، وتحريكه وتجهيزه جاء بناءً على أوامر تركية عثمانية خالصة، ولا اعتبار في تسميتها بالمصرية لأجل انطلاقها من أرض مصر، فلم يشارك فيها المصريون سوى عربان رُحَّل مرتزقة مستأجرين أتوا من جهات المغرب، كما بُيِّنَ من قبل.

ثمَّ إنَّنا نعرف أنَّ حملة نابليون بونابرت على بلاد الشام انطلقت عساكرها الفرنسية من مصر، لكنَّ أحداً من المؤرخين لم ينسب تلك الحملة الفرنسية إلى مصر، ولم يُسَمِّ مؤرِّخاً واحداً تلك الحملة باسم المصرية.

ثمَّ إنَّك تجد في كتاب «**عجائب الآثار**» للمؤرِّخ الجبرتي، وكتاب «**عنوان المجد**» للمؤرِّخ ابن بشر تسميتهم لجيش طوسون باشا وجيش أخيه إبراهيم باشا باسم جيش الأروام وجيش الروم والترك والأعاجم وغيرها من التسميات، وتراهم يتجنَّبون وصفها بالمصرية[1].

---

(١) انظر: السيد أحمد مرسي عباس «حقائق جديدة عن حرب الدرعية وهل اشترك فيها الجنود المصريون حقاً؟» (ص٦٨ ـ ٧٥)، بحثٌ منشورٌ في «مجلَّة الدراة» العدد٣، بتاريخ ١٣٩٧هـ.

* شاهد عيان من الترك يصف الجيش السعودي والجيش العثماني.

هاهنا لفتة من شاهد عيان؛ وهو أحد أكابر هذا الجيش التركي ممَّن يدَّعون الصلاح لمَّا رجع لمصر بعد هزيمتهم في الصفراء، شهد على حال الجيش التركي وحال الجيش السعودي وقتها، فقال: «**أين لنا بالنصرِ، وأكثر عساكرنا على غير الملَّة، وفيهم من لا يتديَّن بدين ولا ينتحل مذهباً، وصُحبتنا صناديق المسكرات**[١]**، ولا يُسمع في عَرَضِيِّنا**[٢] **أذان ولا تُقام فريضة ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين.**

والقوم[٣] إذا دخل الوقت أذَّنَ المؤذِّنون، فينتظمون صفوفاً خلف إمامٍ واحد بخشوعٍ وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائم؛ أذَّنَ المؤذِّن وصلَّوا صلاة الخوف، فتتقدَّمَ طائفةٌ للحرب وتتأخَّر الأخرى للصلاة.

وعسكرنا[٤] يتعجَّبون من ذلك؛ لأنَّهم لم يسمعوا به فضلاً عن

---

(١) المسكرات والخمور من لوازم الترك عموماً وعساكرهم على وجه التخصيص، فهذا كلوت بيك، وهو شاهد عيان على تلك الفترة، قال عن الترك وعن العرب ما نصّه: «ومن النادر جداً أن تجد بين العرب المصريين من يتعاطى المسكرات بخلاف العثمانيين». انظر: أ. ب. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١).

(٢) العَرَضي: كلمة تركية تعني المعسكر. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١١٣).

(٣) يقصد السعوديين.

(٤) عساكر طوسون باشا.

رؤيته[١]، [وفي معسكرنا من] المستبيحين للزنا واللواط[٢] والشاربين للخمور والتاركين للصلاة الآكلين للربا القاتلين الأنفس المستحلّين المحرَّمات.

ولمَّا كشفوا عن كثير من قتلى العسكر[٣] وجدوهم غُلْفاً غير مختونين[٤]. . .»[٥].

والعجيب؛ أنَّ هؤلاء الفسقة المعربدين يقولون: جئنا لمحاربة الوهابيين الكفار الخوارج!!![٦].

*** نتيجة معركة الصفراء.**

قيل أنَّ من قُتِلَ في موقعة الصفراء من عساكر طوسون باشا حوالي ثمانية آلاف عسكري، بعضهم ضلّ الطريق في ظلام الليل وهلك نصفهم من التعب والجوع والعطش[٧]، وقيل إنَّ عدد قتلى

(١) لم يسمعوا به لأنَّ السُّنَّة عندهم غائبة والبدعة قائمٌ سوقها في بلدانهم ومجتمعاتهم.

(٢) انتبه: يقول يستبيحون الزنا واللواط: (يعني استباحة لا ممارسة فقط).

(٣) عساكر طوسون باشا.

(٤) يعني على غير الإسلام، أرسلتهم الدولة العثمانية ليحاربوا السعوديين المسلمين.

(٥) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٦).

(٦) المصدر السابق (٤/٢٢٦).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٤).

الترك خمسة آلاف[١]، وقيل أربعة آلاف[٢]، وقيل نحو ثلاثة آلاف[٣]، وقيل حوالي ألف ومئتي رجل[٤]، وقيل ستمئة عسكري تركي[٥].

أما السعوديون فإنَّ محمد علي باشا في رسالته للحكومة العثمانية يبالغ في أعداد قتلى السعوديين، فيقول أنَّ عدد قتلاهم بلغ عشرة آلاف قتيل[٦]، في حين أنَّ المصادر النجدية تذكر أن قتلى السعوديين بلغ نحو ستمئة رجل[٧]، وقيل ثمانمئة[٨]، من أشهرهم (الذين ذكرهم ابن بشر في عنوانه ومحمد البسَّام النجدي في دُرَرِهِ): مقرن بن حسن بن مشاري بن سعود، وبرغش بن بدر بن راشد آل شبيب من شيوخ المنتفق، وسعد بن إبراهيم بن دغيثر، ورئيس قحطان هادي بن قرملة، ومانع بن كِدَم شيخ عبيدة من قحطان، وراشد بن شبعان أخو محمد بن سالم شيخ بني هاجر، ومانع بن وحير العجمي الفارس المشهور[٩]. (وزاد الفاخري في تاريخه وابن بسَّام في تحفته):

(١) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٦٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٦).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٢).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٧).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٩).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٨٠)، بتاريخ ٢٧ ذي الحجَّة ١٢٢٦هـ/ ٤ يناير ١٨١٢م (١/٣٦١).

(٧) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٦).

(٨) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٢).

(٩) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٦). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٤).

تويم بن بصيِّص شيخ الصعران من بريه وابن أخيه غصَّاب، وعبدالرحمٰن بن محمد الحصيِّن الناصري التميمي من رؤساء بلد القراين، ومفرّج بن شرعان، وغيرهم[١].

* طوسون باشا يسير إلى المدينة النبوية.

كَتَبَ طوسون باشا إلى أبيه رسالة يصف فيها موقعة الصفراء، وما تعرضت له تجريدته العسكرية من أضرار وتلف وفقدان الخيول والمقاتلين وندرة الطعام مِمَّا اضطرّهم إلى بيع كثير من الخيول المتبقية لديهم[٢]، وما إن عَلِمَ محمد علي باشا بالأمر حتى بدأ بتجهيز حملة ثانية مدداً لطوسون، فاستدعى قادة الجيش الذين مع ابنه طوسون واستبدل بهم غيرهم[٣]، في حين أرسل محمد علي باشا مبالغ كبيرة من النقود لتوزيعها على مشايخ البدو[٤]، وحمل مع الجيوش المتوجّهة إلى ميناء ينبع خمسمئة قطعة من الشال الكشميري ومعه خمسمئة من ألوان الجوخ[٥] مقصَّبة مطرَّزة يميناً وشمالاً **لجلب**

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٢ ـ ١٧٣). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٦٦).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٠).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٨/٤).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٠). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٠).

(٥) الجوخ: جملة من ثياب الأكابر، كانت في السابق تُلبس في اليوم الممطر، وكانت تَرِدُ إلى مِصر من بلاد المغرب. وكان يلبسها في مصر الأمير والقاضي. ويقال إنَّ أصل الكلمة من التركية: جوقة؛ التي تشير إلى الجوخ. انظر: رنهارت دوزي «المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب» (١١٤ ـ ١١٦).

عربان البدو واستمالتهم[(١)].

أمَّا طوسون باشا الذي كان بانتظار المَدَد فقد قام بتحصين ينبع، ثمَّ أخضع البلدات والقرى المحيطة بها، **واستمال بعض البدو ورؤساءهم بالذهب الذي أغدقه عليهم وبما أهداهم من العباءات المبطَّنة بالفراء والأموال والثياب**، فتابع طوسون طريقه بعد تلك السياسة وضبط احتلال **الصفراء والجُدَيِّدَة** بلا قتال[(٢)].

وعلَّق المؤرّخ الجبرتي على ذلك قائلاً: «**استولى على عقبة الصفراء والجُدَيِّدَة من غير حرب، بل بالمخادعة والمصالحة مع العرب**[(٣)] **وتدبير شريف مكة، ولم يجدوا بها أحداً من الوهابيين**»[(٤)].

وهذا المؤرِّخ السعودي أحمد السباعي يقول: «**أخذت قيادة الجيش المصري** [العثماني التركي] **تصبّ أموالها وهداياها للعربان صبّاً**»[(٥)].

من بعد ذلك؛ بدأت الإمدادات تَتَدَفَّقُ على طوسون باشا قادمة

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٨)، بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣هـ/ ٩ مارس ١٨٠٨م (١/٥٥).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٤٥) (٤٩ ـ ٥٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٩).والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٧).

(٣) يقصد بالعرب: البادية، وهكذا يجري الجبرتي هذا المجرى في تاريخه، حين يطلق كلمة العرب فإنَّه يعني البادية.

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٢٨).

(٥) أحمد السباعي «تاريخ مكة» (٢/٥٧٤) باختصار.

من مصر إلى مرفأ ينبع البحر؛ وكانت امدادات هائلة العُدَدِ والعَدَدِ من الأتراك والمغاربة مرتزقة الحروب(١).

ويذكر الجبرتي: أنَّه كان على رأس تلك الامدادات سلحدار(٢) الباشا محمد علي(٣) **والقائد الأعجمي أحمد بونابرته(٤)، الذي كان من مَهمَّاته توزيع الكساوي والفراوي السمور والشالات الكشميري والمال والذهب بالصناديق التي أحضرها معه من قِبَلِ محمد علي باشا ليتألَّفوا بها من يريدون؛ حتى أنَّ أحمد بونابرته كان يوزّع على من**

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٣٠/٤).

(٢) السلحدار: لفظٌ فارسيٌّ معناه «صانع الأسلحة»، وهو في العصر العثماني بمرتبة قريبة من مرتبة الوزير. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢٥٦).

(٣) سلحداره هو صالح آغا (الذي سيصبح فيما بعد: صالح آغا الكاشف)؛ وهو الذي جعله محمد علي باشا صاري عسكر التجريدة المتجهة لمساندة قواته في الحجاز. وكان طوسون قد بعث صالح آغا هذا ومعه ثلاثمئة خيَّال ليستكشفوا حال الجنود السعوديين في الطرقات المؤدية إلى (المدينة النبوية) قبيل الزحف لاحتلالها. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٢٨/٤). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٧).

(٤) هو أحمد آغا الملقَّب بـ«بونابرته»، يقال إنَّه لشجاعته لقِّبَ بذلك، ويذكر بوركهارت عنه: «أنَّه صاحب سُكْرٍ وشهواتٍ قذرة حَرَمَت عقله من كلّ نشاط وتميّز». وأحمد آغا بونابرته هذا من أعاظم دولة محمد علي باشا، وهو شهير الذكر فيها. جعله محمد علي باشا خازنداراً، وكلَّفه بشنِّ حروب وهجمات على أمراء المماليك الألفية. انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٢). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٢٤/٤ ـ ١٢٥) (١٦٣) (٢٢٦) (٤١٠). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٤٧).

يتألَّفهم غرارة البقسماط[١] وغرارة عَدس[٢].

يقول أحمد زيني دحلان: «**وكان ذلك بعد مكاتبتهم مع شريف مكة مولانا الشريف غالب، فكانوا يكاتبونه ويكاتبهم سرّاً، وكانوا يعملون بتدبير ما يعتمد عليه، فكان ذلك سبب إقبال مشايخ العربان عليهم**»[٣].

الحاصل؛ أتمّ بونابرته وطوسون ضبط الهيمنة على ينبع البر، **ثمَّ** أتمّوا الهيمنة على وادي الصفراء[٤] وبلدانه وقراه، **ثمَّ ساروا إلى المدينة النبوية**[٥]، **لأنَّه بلغهما من الشريف غالب** ـ بحسب تقارير السير هارفرد بريدجز ـ **أنَّه يعدهم بفتح بوابات جُدَّة ومكة أمام طوسون بمجرد استيلاء القوات التركية على المدينة النبوية**[٦].

وبحسب تقارير السير هارفرد بريدجز أيضاً؛ أنَّ قوات طوسون باشا وبونابرته سارت من هذه المواقع إلى المدينة دون أن يتعرَّض لهم أحد أو تحتكّ بهم أيّ قوة في الطريق[٧] فعبرت قواته الطريق

---

(١) البقسماط: ضربٌ من الخُبز اليابس، وهو دخيلٌ تركي، وكأنَّ «بقصم» المعروف لدى العراقيين شيءٌ منه. انظر: إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف» (٨٠).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٧٣ ـ ٢٧٤).

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٢).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٠).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٣).

(٦) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٧).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٣٨).

بأمان[١].

ويذكر أمين الحلواني قائلاً: إنَّ بونابرته «**وصل إلى ذي الحليفة**[٢] **المسمَّاة الآن بأبيار علي**[٣] **وهو متعجّبٌ مِن كوْنِهِ لم يُلاقِ أحداً من الأعداء**»[٤].

وفي منتصف شوَّال ١٢٢٧هـ/أكتوبر ١٨١٢م وصل طوسون باشا إلى أسوار المدينة، فوجد فيها حامية سعودية نحو سبعة آلاف رجل للدفاع عنها بقيادة **إبراهيم بن عفيصان**، وأكثر الحامية السعودية وقتها **من أهل عسير وبيشة والحجاز وأهل الجنوب وأهل نجد**[٥]، **كانت تلك الحامية قوية ومزوَّدة بشكلٍ جيِّدٍ بكلّ الأشياء الضرورية لمواجهة حالات الحصار الطويل**[٦].

أحاط طوسون وبونابرته بالمدينة النبوية وشَدَّدَا حصارها[٧]، وفي

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢١).

(٢) ذو الحليفة: قرية بظاهر (المدينة) على طريق مكَّة، بينها وبين (المدينة) ٩ كلم، تقع في (وادي العقيق) عند سفح (جبل عبر) الغربي. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٩٥).

(٣) أبيار علي: هي (ذو الحليفة) نفسها، تُعرف اليوم بـ(بيار علي) وهو غير علي بن أبي طالب؛ إنَّما هو ملك (دارفور) بالسودان. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٩٥).

(٤) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٧) باختصار.

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٨/١ ـ ٣٢٩).

(٦) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٨).

(٧) انظر: عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٦٦).

ذات الوقت قطع طوسون باشا الطريق ما بين المدينة النبوية وبين الحناكية(١)، لأنَّ الحناكية كانت ضمن مواقع تمركز الجنود السعوديين، فوجَّه طوسون بعض قوات المدفعية والفرسان لمحاربة السعوديين في الحناكية لمنعهم من التقدّم نحو المدينة النبوية، **وفي ذات الوقت كان يَتَمَيَّل البدو إلى صفِّهِ**(٢).

* طوسون باشا يحتلّ المدينة النبوية.

وصل طوسون باشا وبونابرته إلى المدينة النبوية، فنصبوا مدافعهم الكبيرة وبدؤوا بقصفها، فاشتدَّ تبادل النيران بين **ابن عفيصان** وحاميته وبين جيش طوسون وبونابرته. ثمّ انتقل جيش طوسون إلى تركيز القصف ناحية قلعة البلد فهدموا جزءاً منها، **ثم انتقلوا إلى حفر السراديب وثوَّروا فيها البارود، فكادوا للحامية السعودية بكلّ كيد وسدّوا عنهم المياه الداخلة في وسط المدينة وحفروا سرداباً تحت سور قلعة المدينة وملؤوه بالبارود وأشعلوا فيه النار فانهدم السور، فقاتلهم من في داخل السور مِن المرابطين السعوديين قتالاً شديداً**(٣).

---

(١) الحناكية: كالمنسوبة إلى الحناك أو الحنَك. وهي بلدة حجازية عامرة متقدمة نسبياً، تقع على طريق (القصيم) من (المدينة النبوية) على ١٠٠كلم، كانت بئراً لسقي المواشي فقط ثمَّ تحوَّلت إلى بلدة فيها جميع مرافق الدولة. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٠٧ ـ ٥٠٨).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,733. وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٠ ـ ٥١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٩/١).

ثمَّ حصل في التاسع من ذي القعدة/١١ نوفمبر أنَّ بعضاً من أهل المدينة قد راسلهم طوسون باشا، وقيل إنَّهم هم من راسلوه وطلبوا منه أن يَقدم عليهم ليلاً، ودلّوه على عورات الجنود السعوديين، ثمَّ اتفق معهم على أمور يُمَيِّزهم بها عن جيش حامية السعوديين حال اقتحامه للمدينة(١)، فحدث أنَّ بعضاً من أهل المدينة فتحوا للترك باب البلد، فلم يَدرِ المرابطون السعوديون الذين كانوا حينها يؤدّون صلاة الظهر إلا والرمي عليهم من عساكر طوسون داخل البلد، فتدفَّقت أعداد كبيرة من فرق الأرناؤوط إلى المدينة يقودهم إبراهيم آغا وهو في الأصل قائد أسكتلندي نصراني اسمه توماس كيث(٢)، وقد قُتِل من حامية السعوديين أكثر من ألفٍ منهم في

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٠). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٨).

(٢) إبراهيم آغا/ هو نفسه توماس كيث: نصرانيٌّ أسكتلندي من (أدنبرا)، أُخِذَ أسيراً في الحملة الإنجليزية على مصر عند (الإسكندرية) أول حكم محمد علي باشا، وكان ضمن أسرى فرقة الهايلندرز التي كان يعمل فيها مصلحاً للبنادق، ثمَّ (قيل) أنَّه أسلم واشتراه أحمد بونابرته، ثمَّ ضمَّه طوسون باشا إلى خدمه، ثمَّ جعله ضمن جنوده المماليك. وهذا النصراني نَصَّبَهُ الترك حاكماً على (المدينة النبوية). أخباره موجودة في: Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,761. P,762. وعند: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١١٨ ـ ١١٩). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٢ ـ ٦٣).

وكثير من قادة الترك مثل توماس كيث، هم نصارى أصلاً ثم يُظهرون أنَّهم أسلموا (والله أعلم بالخفايا)، ومن تتبَّع تاريخ احتلال الترك للبلاد العربية يجدهم يحرصون على تولية أولئك النصارى قيادة جيوشهم وعساكرهم التي تحتلّ بلاد العرب، مثل: خير الدين بارباروسا وأخوه عرّوج القراصنة الترك المشهورين الذين مهّدوا للاحتلال التركي في تونس والجزائر، فباربروسا =

الشوارع ولجأ الباقون إلى القلعة، وبدأت عملية نهب الأتراك للمدينة النبوية فوراً[١].

يقول فيلكس مانجان: **أنَّ بعضاً من أهالي المدينة لما فتحوا الأبواب لقوات طوسون باشا، «بدا أنَّهم مسرورون من التغيير الذي حصل، واستقبلوا الجنود استقبال المُخلِّصين»**[٢].

وأحد المؤرّخين من أهل المدينة؛ وهو أمين الحلواني يقول:

= وأخوه عرّوج كانا ولدي خزَّاف مسيحي، وقيل يهودي، ويذكر المؤرّخ عبدالحميد بن أبي زيَّان بن شنهو في كتابه «دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر» (ص: ٣٧ ـ ٣٨): أنّ أسماء أسرتهم كلّها أسماء اليهود؛ فيعقوب أبوهم ويوسف جدّهم وإسحاق أخوهم وإلياس أخوهم، وحتَّى بارباروسا كان اسمه الخضر؛ على الخضر الذي التقى بنبي الله موسى، وأمّهما كانت ابنة راهب نصراني، وأختهما تربَّت في كنف أمها على الدين النصراني. ويقول ابن أبي زيَّان أيضاً (ص: ٤٠): إنَّ أكثر جنود بارباروسا وعرّوج كانوا من نصارى البلغار ورومانيا واليونان. والمؤرّخ حمدان خوجة في كتابه «المرآة» (ص: ١١١) يقول: إنَّ من بين عساكر باربارُوسا يهود ويونانيون نصارى.

ولو ذهبت بنظرك إلى ليبيا، لوجدتَ محمد باشا الساقسلي الذي كان قائداً تركياً استولى على البلاد الليبية؛ وكان على دين النصارى، ويقال أنَّه أسلم (رغم أفاعيله التي ارتكبها بمسلمي ليبيا مِمَّا يتنافى مع دين الإسلام)، ويوم جاء بأخوته ليولّيهم المناصب في ليبيا رفضوا الختان على كِبَرِهم بالرغم من أنَّهم يظهرون للناس إسلامهم، وكان لا يولّي من حاشيته متأصّلاً في الإسلام منصباً، وإنَّما يولّي أحداث العهد بالإسلام. انظر: محمد بن غلبون الطرابلسي «التذكار» (١٨١) (١٩٧).

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٢). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٣٩ ـ ١٤٠).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥١).

«ولمَّا دخل الكاشف[(١)] إلى المدينة، تلقَّاه أهلها بالترحيب والإكرام وانضمّوا مع عسكره»[(٢)].

بل إنَّ الحلواني نفسه ـ وهو من أهل المدينة ـ يأتي بخبرٍ أشدّ من الخبر السابق يبين لنا سبب هزيمة السعوديين هناك، حيث قال: «**إنَّ أهل المدينة اتفق رأيهم مع الكاشف** [صالح آغا] على أن يحفروا لُغماً من تحت الأرض، فحفروه من جهة مسجد سيدنا علي، وشرعوا في حفر لغم آخر من جهة أول درب الجنائز، **وقصدهم أن يُشغلوا أفكار الوهابيين ليُضَيِّعوا فَرَاسَتَهم**، ثمَّ حفروا لغماً ثالثاً من حوش النخاولة يتصل إلى السور المجاور للحمَّام واهتموا به في مدَّة قريبة، والوهابيون مستعدون من جهة اللغم الذي في أول درب الجنائز، فما يشعرون في يوم الجُمُعَة إلا واللغم الذي عند باب الحمام قد طار وصار له صوتٌ هائل، وانقلب السور من هناك، وكان جمعٌ من أهل المدينة وعسكر الكاشف مستترين في حوش النخاولة من الليل.

فلمَّا انهدم السور من هناك كبَّرَ أهل المدينة مع عسكر الكاشف وهجموا على داخل البلدة واسْتَحَرَّ القتل بين الطرفين، ولِفَطانة أهل المدينة ما صاروا يهجمون على الوهابية من الشوارع والأزقَّة، بل صاروا يتسلقون عليهم من أعلى البيوت وينقِّبون عليهم السقوف والحيطان، وأوَّل المعركة صارت في ذَرْوان[(٣)] ثمَّ في البيوت التي

---

(١) هو صالح آغا الكاشف، وهو نفسه (صالح آغا السلحدار) سلحدار محمد علي باشا الذي مرَّ ذكره قبل صفحات.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٦٩).

(٣) ذَرْوان: بئرٌ لبني زريق بالمدينة يقال لها (ذَرْوان)، وفي الحديث «سُحِرَ النبي ﷺ بمشاطة رأسه وعدة أسنان من مشطه ثمَّ دُسَّ في بئرٍ لبني زريق يقال لها ذَروان». انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٦٤٠).

حول الحرم، ولا زالوا ينقزون عليهم ويهزمونهم إلى أن حصروهم في القلعة، وقد أنزل الله الخوف والجُبْنَ على الوهابيين في ذلك اليوم[١]، مع شهرتهم بالشجاعة والإقدام»[٢].

* مذبحة الترك بالحامية السعودية.

انحاز المرابطون السعوديون إلى القلعة فاحتصروا فيها، وكانت ضيِّقَة عليهم من كثرتهم، وصار فيها خلقٌ كثير يرتَكِمُ بعضهم على بعض، وأهل المدينة قطعوا عنهم الأقوات، ثمَّ نَصَبَت عساكر طوسون على السعوديين الذين في القلعة القنابر والمدافع، فكانت القُنْبرة إذا وقعت وسط القلعة أهلكت عدداً من الرجال، فكثُر المرضى والجرحى، فطلبوا المصالحة بعد أيامٍ فأنزلهم طوسون منها وأخرجهم من المدينة بأمانٍ منه بعد صمود استمرَّ ثلاثة أسابيع[٣].

ولكن ماذا حدث حين خرجت الحامية السعودية من المدينة بالأمان الذي أعطاهم إياه طوسون باشا؟. يقول بوركهارت: «حين

---

(١) المعلوم أنَّ السعوديين صمدوا في تلك الحادثة صمود الأبطال وصبروا صبر الشجعان ونزلوا تلك الحرب بإقدام، لولا تحرّك مَكَنَة الخيانة في بعض النفوس. ولن يضرّ السعوديين نبز الحلواني لهم بذلك، فإنَّه سيناقض نفسه باعترافه بعد تلك الكلمة مباشرة.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٠ ـ ١٧١) باختصارٍ يسير.

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٢ ـ ١٢٣). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥١). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٥٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٢٩/١). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦١). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧١).

خرج رجال الحامية من القلعة لم يجدوا إلا خمسين بعيراً بدلاً من الثلاثمئة بعير التي وُعِدُوا بها لترحيلهم، ولذلك اضطرُّوا إلى أن يَترُكوا جزءاً كبيراً من أمتعتهم وأن يحملوا على ظهورهم أغلى شيء لديهم، لكن ما إنْ غادروا أطراف المدينة حتى لَحِقَ بهم الجنود الأتراك وجرّدوهم مِمَّا معهم وقَتَلوا كل من استطاعوا أن يصلوا إليه، ولم يتمكَّن من الهروب إلَّا عدد قليل منهم، إضافةً إلى الذين كانوا على ظهور الإبل، وكان أغلبهم من أهل عسير»[١].

ويذكر السير هارفرد بريدجز في تقريره عن تلك الغدرة وهذه الخيانة من قبل الترك في حقِّ الحامية السعودية، فيقول: ما كادت الحامية السعودية تغادر «حدود المدينة حتى سمح أحمد آغا [بونابرته] كأيِّ تركيٍّ حقيقي[٢] لجنوده بتعقّبهم لنهب كل ما استطاعوا اللحاق به منهم وذبحه، ولذلك لم يستطع الهرب والنجاة سوى أولئك الذين يركبون الجمال.

كان أغلب أولئك الهاربين ينتمون إلى عربان عسير الذين أظهروا بعد ذلك وخلال مجريات هذه الحروب مقاومة عظيمة وعنيدة ضدّ محمد علي باشا»[٣].

ومثله أندرو كرايتون الذي قال: «**بعد أن وعدهم أحمد بونابرت بالأمان وبإمدادهم بإبلٍ تحمل أمتعتهم إلى ما يريدون ليعودوا إلى نجد، لكنَّ ذلك الوعد ـ يالَلْخِزي ـ نُكِثَ به، فلم**

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٣) بتصرّفٍ يسير.

(٢) تأمَّل تلك الكلمة، فإنَّها مفتاح لفهم كثير ممَّا سيقع من الحوادث التالية.

(٣) السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤١).

يوفِّر لهم إلا خمسون بعيراً بدلاً من ثلاثمئة، وهو ما اضطر المغادرين إلى ترك الجزء الأكبر من حاجاتهم خلفهم، وما إن تجاوزوا تخوم المدينة حتى لحق بهم الجنود الأتراك وأوقفوهم وقتلوا منهم من استطاعوا قتله»(١).

وبعد أن تمَّت المذبحة التي استأصل فيها الأتراك أغلب حامية القلعة، جمع أحمد بونابرته جماجم السعوديين الذين قُتلوا في المدينة النبوية فكوَّن منها برجاً في الطريق المؤدِّيَة من المدينة لينبع، ووضع حرساً قربه(٢).

ويعلِّق أندرو كرايتون قائلاً: «**على طريقة التتار البربرية جمع أحمد [بونابرته] جماجم الوهابيين الذين قُتلوا في المدينة وكدَّسهم على هيئة برج في الطريق العام إلى ينبع**»(٣).

وعلَّق المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس على تلك الجريمة البشعة فقال: «**كانت هذه الفعلة من أفعال التتار الهمج المتوحشين، فقد جمع أحمد آغا بونابرته جميع رؤوس القتلى**

---

(١) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦١ ـ ٦٢).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٤). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥١).

(٣) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٢). وأثناء تلك الفترة التي حصلت فيها تلك المجزرة على السعوديين في المدينة، كانت جيوش والي بغداد قد فعلت ذات الفعل بالأكراد في العراق، حيث قتلوا من الأكراد الجم الغفير ثمَّ احتزُّوا رؤوسهم وعملوا منها أبراجاً كبيرة. انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٩٤).

الوهابيين الذين قتلوا في المدينة وضواحيها وبنى بها برجاً على قارعة الطريق السلطاني الموصل إلى ينبع»[١].

كذا علّق بوركهارت بعد تلك الحادثة الشنيعة كشاهدٍ على أخلاقيات السعوديين وأخلاقيات جيش طوسون باشا العثماني، فقال: **«كان تصرّف الأتراك الغادر في المدينة إجراء غير حكيم، ذلك أنَّهم كانوا يتحاربون مع عدوٍّ مشهور بتمسّكه الشديد بالنيَّة الطيّبة في تنفيذ وعده بالأمان متى ما وعد به. وقد أثار ذلك التصرّف اشمئزاز كل البدو، كما وَصَمَ ـ مع التصرفات الأخرى المشابهة له ـ اسم الأتراك بالعار في كلّ الحجاز»**[٢].

لقد مات في هذه الواقعة من السعوديين ـ بين القتل والوباء والهلاك في البرِّ بعدما أُخرِجوا من المدينة وقبل أن ينزل عليهم طوسون ـ نحو أربعة آلاف رجل من عسير وأهل بيشة والحجاز وأهل الجنوب وأهل نجد[٣].

وفي جمادى الأولى ١٢٣٠هـ/أبريل ١٨١٥م عيَّن طوسون باشا أحد قادة عساكره حاكماً على المدينة النبوية، وهو **توماس كيث الأسكتلندي**[٤] **النصراني الذي يقال أنَّه أسلم، جعله طوسون باشا يتولى أمر أهل مدينة رسول الله ﷺ.**

(١) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١١٨) بتصرف يسير.

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٢٩).

(٤) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٣).

* ابتهاج إسطنبول بأخبار القبض على الشيخ ابن مضيَّان.

في أثناء حوادث المدينة؛ قَبَضَ جنود طوسون على **الشيخ مسعود بن مضيَّان** من أمراء قبيلة حرب، بالرغم من أنَّ ابن مضيَّان استسلم لهم، إلّا أنهم أخذوه أسيراً، **فنهب الأتراك بيته وذبحوا أبناءه ورجاله ثمَّ قيَّدوه بالسلاسل وأرسلوه إلى ينبع**[١] **ثم رحَّلوه إلى مصر، ومِن مصر أرسلوه إلى إسطنبول.**

وبعث محمد علي باشا رسالة إلى الباب العالي يخطرهم فيها بإرسال ابن مضيان أسيراً من عنده إلى طرفهم، ويقول في تلك الرسالة مُتَشَفِّياً وفَرِحاً بالقبض عليه[٢]: «إنَّ ابن مضيَّان المحروم من الإيمان كبير مشايخ قبيلة حرب وَقَع باليَدِ وأُلْقِيَ القبض عليه وأُوقِفَ عند طوسون أحمد باشا الذي بعثه إلى طرفنا، فبعثتُ به إلى الآستانة العَلِيَّة. وبناءً على أنَّ الشيخ المزبور فضلاً عن خروجه مِن الطاعة مع قبيلته الكثيرة النفوس قد أضلَّ قبائل تلك الأطراف أيضاً، وتَبعَ رئيس الخوارج سعود مظهر الجحود. لقد قُبِضَ على الشيخ المزبور مِن تلابيبه في وقعة المدينة، حينما كانت تتساقط على تراب المذلَّة الرؤوس المنحوسة لهؤلاء الأعداء الذين كانوا ينظرون إلى آستانة الدولة العلية نظر شزر. وقد حرَّرت أنَّه من المناسب إعدام المزبور، حيث أنَّه عند طوسون أحمد باشا في المحبس مسلسلاً بسلسلة حديد ومكبَّلاً بها، وسأبعث به إلى الآستانة العَلِيَّة، وربّي يوفقني لإلقاء

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٣). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٢).

(٢) مع التنبيه على ألفاظ غير لائقة ترد في الرسالة، ولكنَّنا نذكرها من باب أمانة النقل.

القبض على أمثال هؤلاء وعلى رئيسهم الضال سعود أيضاً لإرسالهم إلى الآستانة»[١].

يخبرنا الجبرتي: أنَّ الشيخ ابن مضيَّان لمَّا وصل إلى إسطنبول أسيراً مع مرسول محمد علي باشا عمَّت في السلطنة مظاهر الابتهاج والفرح «واحتفل أهل الدولة [العثمانية] بشأنه احتفالاً زائداً، ونزلوا لملاقاته في المركب في مسافةٍ بعيدة، ودخلوا به إلى إسطنبول في موكبٍ جليل وأبَّهةٍ عظيمة إلى الغاية، وسَعَت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاةً وركبانا، وكان يوم دخوله يوماً مشهودا، **وقتلوا ابن مضيَّان في ذلك اليوم [١٩ ذي الحجة ١٢٢٨هـ/١٣ ديسمبر ١٨١٣م]، وعلَّقوه على باب السراية، وعملوا شَنانِك[٢] ومدافع وأفراحاً وولائم**»[٣].

ويذكر ناظر المدارس الحربية الأميرلاي إسماعيل سرهنك أنَّ **محمد علي باشا بعث بابن مضيَّان إلى القسطنطينية/إسطنبول، فطافوا به في شوارعها ليراه الناس، ثمَّ قتلوه وعلّقوا رأسه أياماً**[٤].

* الابتهاجات في مصر وإسطنبول بسقوط المدينة النبوية.

أرسل طوسون لوالده يبشِّرَهُ بالنصر وأرفق مع حامل بريد البشائر

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيّة سنيَّة، رقم وحدة الحفظ (١٦)، بتاريخ ربيع الثاني ١٢٢٨هـ/ أبريل - مايو ١٨١٣م (٤٦/٢ - ٤٧).

(٢) شنانك: جمع «شنك»، وهي كلمة تركية بمعنى بهيج، وتُطلَق على الاحتفال الذي تُضرب فيه المدافع والنيران الملوَّنة علامةً على البهجة والفرح. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٩٩).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٨٧/٤).

(٤) انظر: إسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (٤١٨/١).

مفاتيح قلعة المدينة النبوية[١]، ومعه مفاتيح الحرم النبوي الشريف **مصحوباً بثلاثة آلاف من آذان القتلى السعوديين**. هذا وقد كان لاحتلال الترك للمدينة النبوية رنَّة فرح في كلِّ أرجاء الدولة العثمانية[٢]، إذ وصلت أخبار سقوط المدينة إلى محمد علي باشا في القاهرة في العاشر من ذي الحجة ١٢٢٧هـ/١٥ ديسمبر ١٨١٢م، فخامر الباشا سرورٌ عظيم، وضربوا في القاهرة مَدَافِعَ وَشِنْكاً بعد مدافع العيد، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان هناك لأخذ البقاشيش، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج قبَّة العزب، وضُرِبَت البنادق من جميع الجهات حتى من أسطح البيوت.

وفي صبح ثالث عيد الأضحى نادى المنادون على الناس بتزيين الأسواق وما فيها من الحوانيت والدور وتعليق القناديل، ويسهرون ثلاث أيام بلياليها، وأخرجوا خِياماً إلى خارج باب النصر[٣] وباب الفتوح[٤]، ثمَّ خرج الباشا من القلعة إلى العادلية[٥] فاصطفَّ الناس

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٦). وعثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٧٧).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٩١)، بتاريخ ١٥ ذي الحجَّة ١٢٢٧هـ/ ٢١ ديسمبر ١٨١٢م (١/٤٤٩ ـ ٤٥١).

(٣) باب النصر: هو أحد أبواب سور مدينة (القاهرة). وهو اليوم في (شارع الجمالية) الذي يُعرف أيضاً باسم (شارع باب النصر). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/١٩٥).

(٤) باب الفتوح: أحد أبواب سور مدينة (القاهرة). وهو اليوم في (شارع باب الفتوح). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/٧٦).

(٥) العادلية: هي القبَّة التي بناها الملك العادل طومان باي فوق تربته التي عُرِفَت بـ(العادلية)، وهي لا تزال باقية إلى يوم الناس هذا داخل مبنى (المنطقة=

على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة، وعملوا شنكاً ودوَّت المدافع من كل ناحية، ثمَّ كُتِبَت البشائر إلى دار السلطنة بإسطنبول وبلاد الشام وبلاد اليونان وغيرها[١].

من بعد ذلك أمر محمد علي باشا بتعمير كلّ القباب التي هُدِمَت في المدينة النبوية زمن حكم الدولة السعودية الأولى، ورمَّم الباشا بعض القباب التي لا زال لبعضها أثر باقٍ، وصرف في سبيل ذلك مئة ألف قرش، وخصَّص للأفندي المشرف على التعمير والترميم راتب شهري مقداره ألف قرش[٢].

* طوسون باشا يستولي على مكّة.

بعد أن وقعت المدينة النبوية تحت الاحتلال التركي؛ أصبحت قوات طوسون باشا تسيطر سيطرةً تامَّةً على المنطقة الشمالية من الحجاز على خطٍ يمتدّ من ينبع إلى المدينة النبوية، حينها أصبح كلّ اهتمام القوات السعودية مُنصَبّاً على ألّا تسقط مكة ومحيطها بيد الترك[٣].

= المركزية العسكرية) تجاه (مستشفى الأمراض النفسية والعصبية) في (العباسية) على يسار الذاهب إلى مدينة (نصر) و(مصر الجديدة). انظر: محمد حمزة الحدَّاد «قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي» (٢٢٠).

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٤٢ ـ ٢٤٣). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٦).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٥٠)، بتاريخ ٣ جمادى الثاني ١٢٣١هـ/ ١ مايو ١٨١٦م (٢/٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣١٨).

في ذات الوقت أرسل محمد علي باشا مَدَداً مكوَّناً من ألف فارس خيَّال وخمسمئة من المشاة للحملة على جُدَّة ومكَّة تحت قيادة صهره مصطفى بِكْ[١].

وكان الشريف غالب لمَّا رأى سقوط المدينة النبوية في يد طوسون باشا جَدَّدَ خضوعه واحترامه للأتراك، وأرسل نوَّاباً من طرفِهِ يدعون طوسون باشا للدخول في جُدَّة ومكَّة تحت كفالة الشريف[٢].

يقول مؤرّخ مكَّة أحمد زيني دحلان: **أنَّ الإمام «سعود جاء إلى الحج هذا العام ولم يطَّلِع على مكاتبات الشريف غالب للعساكر المصرية** [التركية]**، فلمَّا أتمَّ الحجَّ رجع إلى بلاده بسرعة، فكاتب الشريف غالب العساكر الذين في ينبع** [يستحثّهم على القدوم] **فسار بعض العساكر من ينبع إلى جُدَّة من طريق البحر»[٣].**

وهو الأمر الذي أَكَّدَه طوسون باشا في رسالةٍ أرسلها إلى والده في محرم ١٢٢٨هـ/يناير ١٨١٣م يخبره فيها أنَّ الشريف غالب أرسل

(١) مصطفى بِكْ: خال طوسون باشا، هو قائد فرسان الكشافة/ سرجشمة دليلان في جيش طوسون، وهو الذي قاد فرسان عساكر الدلاة التي توجَّهت لاحتلال (مكة) ثمَّ (الطائف). نقلاً عن: دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، تاريخ ١٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ١٨ يناير ١٨١٣م (١٣/٢). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣)، وحدة الحفظ (٥)، تاريخ ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (١٦/٢). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٣).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,762.

(٣) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٣).

أمينه الخاص أحمد تركي إلى رابغ[١] المُحتَلَّة، حيث كان طوسون باشا فيها، وأنَّ أحمد تركي أخبره بدعوة الشريف له ليأتي إلى جُدَّة[٢].

ثمَّ أرسل طوسون باشا رسالة أخرى إلى أبيه محمد علي باشا يخبره بأنَّه سيتحرّك من رابغ إلى جُدَّة، وأنَّه أرسل يطلب من الشريف غالب أن يسهِّل لعساكره التركية النزول في مرفأ جُدَّة، بحيث يستقبل ثلاثمئة نفر أو مئتين وخمسين نفراً في جُدَّة، فأرسل الشريف لطوسون قائلاً: «مرحباً بك، وَلِيَ اتِّحادٌ واتِّفاقٌ على كُلِّ حال مع أخي والي مصر الباشا [محمد علي]، فلا بأس ولا مانع من دخول خمسمئة نفر فيها فضلاً عن دخول مئتين وخمسين نفراً، ومن المعلوم عند الجميع محاربتي مع الوهابية عدَّة سنين ومصالحتي الظاهرية الضرورية. سيدخل ولدي صاري عسكر[٣] [طوسون] باشا في مكَّة المكرَّمة بعون الله تعالى ويُطهّر حوالي الطائف من لوث الخوارج بأسهل طريقة»[٤].

---

(١) رابغ: بلدةٌ حجازية ساحلية بين (جُدَّة) و(ينبع)، على بُعد ١٥٥ كلم من (جُدَّة) شمالاً، و١٩٥ كلم من (ينبع) جنوباً، وهي اليوم قاعدةُ محافظةٍ باسمها تابعة لـ(مكة)، سكَّانها زُبَيد من حرب، وشيوخها آل مبيريك. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٦٥٣ ـ ٦٥٦).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٢٥ محرَّم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (١٦/٢). وانظر: ك. هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة» (٢٧٢/١).

(٣) صاري عسكر: الرئيس العام للجيش وقائد القواد. انظر: الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البرِّي والبحري» (٤١).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٢)، بتاريخ ١٢ محرَّم ١٢٢٨هـ/ ١٥ يناير ١٨١٣م (١٠/٢).

ويقول المؤرّخ عبدالله بن محمد البسام: إنَّ عساكر طوسون باشا «**لمَّا وصلوا جُدَّة أدخلوهم أهلها وقابلوهم بالإكرام**»[١]. وقيل إنَّ طوسون باشا استُقبِلَ في جُدَّة استقبال الظافر، وأنَّ الشريف احتفل بمقدمه[٢].

وهذا ما وكَّدَه طوسون باشا نفسه في الرسالة السابقة حين قال: «يوم ورودنا ونزولنا مرحلة جُدَّة، دخل عبدكم عابدين بِكْ[٣] ومعه مقدار من العساكر من جهة البر، وعند نزولهم في الدار التي أعَدُّوها أُظْهِرَت مِنْ الطرفين أنواع الفرح والسرور بإطلاق المدافع والبنادق من القلعة وأُقيمَت معالم الاغتباط العظيم، وانتهت غائلة جُدَّة بلا حرب ولا جِدال على أسهل حال»[٤].

---

(١) عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٦٧).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥١).

(٣) عابدين بِكْ: هو من المتعاونين مع أخيه حسن آغا في الفتك بأمراء المماليك المصرية في مذبحة القلعة. وعابدين بِكْ أيضاً كان من قادة المَدَد الذي أرسله محمد علي باشا إلى ابنه طوسون. انظر أخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٧٣/٤). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٦٣). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٢)، بتاريخ ١٢ محرم ١٢٢٨هـ/ ١٥ يناير ١٨١٣م (١١/٢). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٦١)، بتاريخ ١٧ صفر ١٢٢٩هـ/ ٧ فبراير ١٨١٤م (١٤١/٢). ومحفظة (١) ذوات، وحدة الحفظ (٥٧)، بتاريخ ٧ شوال ١٢٢٩هـ/ ٢٢ سبتمبر ١٨١٤م (١٩٥/٢).

(٤) الوثيقة السابقة (١١/٢ ـ ١٢). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (١٦/٢). ودفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٨ صفر ١٢٢٨هـ/ ١٠ فبراير ١٨١٣م (٣٨/٢).

ويعلّق المستشرق هورخرونيه على ذلك قائلاً: **هكذا احتُلَّت جُدَّة بسرعةٍ كبيرةٍ دون نزاع**[(١)].

وبعد ثلاثة أيام في ١٥ محرّم ١٢٢٨هـ/١٨ يناير ١٨١٣م **سار طوسون بعساكره التركية المُخلَّطة إلى مكة ودخلها بغير قتال، ونزل قصر القرارة**[(٢)]، يقول ابن بشر: **«وكان الشريف [غالب] هو الذي دعاهم لدخولها ومالأهم»**[(٣)].

ويقول فيلكس مانجان: **«كان الشريف غالب يبذل كلّ ما في وسعه لمساعدة الأتراك وكان أحد العوامل المؤثرة في الاستيلاء على مكة المكرمة، فقد تحوّل جنوده الذين كانوا يأتمرون بأمر الوهابيين خلال وجودهم في منطقة نفوذه إلى أعداء لهم بمجرّد أن شعروا أنَّ باستطاعتهم الاعتماد على القوات العثمانية»**[(٤)].

وصفة الحال كالآتي: اتجهت قوات طوسون باشا عقب دخولها جُدَّة إلى مكة، تسبقها فرقة استكشافية بقيادة مصطفى بِك سرجشمة دليلان[(٥)]، **وتمكَّنَت هذه القوات من الوصول إلى البلد الحرام**

---

(١) انظر: ك. سنوك هورخرونيه «صفحاتٍ من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٧١).

(٢) قصر القَرَارَة: (القرارَة) حيٌّ من أحياء (مكة) في (قرارة) شمال الحرم في (جبل قعيقعان) تفصل (جبل شيبة) شرقاً، كانت تُعرَف بـ(قرارة جبل شيبة). انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٣٦٢).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٢).

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٧).

(٥) سرجشمة دليلان: قائد فرسان الكشافة، وهو الضابط الذي يقود وحدة «الدلي سواري» الدلاتية، ويعاونه ضابط «دلي باش». انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١٨٤ ـ ١٨٥).

بمساعدة الشريف غالب وبعض البدو المؤيدين لها[١]، فدخلت مكة دون حدوث أيِّ قتال مع قوات عبدالله بن سعود التي انسحبت إلى قرية العبيلا قرب الطائف التي اتخذتها معسكراً عامّاً لها، وبعد ثلاثة أيام دخل طوسون باشا[٢].

ولم تكن فرحة الاستيلاء على مكة في مصر والأستانة بأقلَّ من فرحة الاستيلاء على المدينة النبوية، إذ يذكر الجبرتي أنَّ القاهرة زُيِّنَت على إثر وصول نبأ احتلال الترك لمكة بالزينات مدَّة خمسة أيام متتاليات؛ كانت تُضرب فيها المدافع والبنادق والشنانك ضرباً مهولاً متواصلاً من غير فاصل كأنها الرعود من طلوع الشمس إلى قريب الظهر، ثمَّ كتب محمد علي باشا بالبشائر إلى دار السلطنة العثمانية وجميع النواحي[٣].

ثمَّ أرسل محمد علي إلى حكومة السلطان العثماني بمفاتيح البيت الحرام ومفاتيح مدينة جُدَّة[٤]، وكانت مفاتيح مكة وجُدَّة قد

(١) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (١/١٩٥).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ١٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ١٨ يناير ١٨١٣م (١٣/٢). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣)، بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (١٣/٢). ودفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٨ صفر ١٢٢٨هـ/ ١٠ فبراير ١٨١٣م (٣٨/٢ ـ ٣٩).

(٣) الأرشيف العثماني، H.H, 803/37119-M إعلامٌ باستخلاص الحجاز من الوهابيين مِن قِبَل طوسون باشا، وثائق الأرشيف العثماني بدارة الملك عبدالعزيز. وانظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٧٥).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٧)، بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٢٢٨هـ/ ١٨ مارس ١٨١٣م (٤٢/٢). وأمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٤٢).

وصلت إلى إسطنبول موضوعة بأطباقٍ ذهبية تسير بها مواكب احتفالية كبيرة عبر شوارع عاصمة الأتراك[١].

* جرائم الترك في الطائف.

حدث في الطائف في ١٢٢٧هـ/١٨١٢م أَنِ استوحش عثمان المضايفي وخاف على نفسه وحرمه فخرج منها بعياله ونسائه وبعض خيله ومتاعه ولحق بعبدالله ابن الإمام سعود ونزل رنية[٢].

كانت الأمور قد استتبَّت لطوسون في مكة وأعلن أشرافها انضمامهم إلى جانبه، فسيَّرَ قوةً من جيشه تحت قيادة مصطفى بِكْ ومعه الشريف راجح[٣] وابن الشريف غالب إلى قرية العبيلا حيث تعسكر القوات السعودية بقيادة عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وعلى إثر معارك متفرِّقة أخْلَت القوات السعودية العبيلا وانسحبت صوب نجد، فسيطرت قوات مصطفى بِكْ على القرية في ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ/٢٨ يناير ١٨١٣م، فتوجَّهت قوات مصطفى

(١) انظر: ك. سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة» (٢٧٣/١).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٢٥ محرَّم ١٢٢٨هـ/ ٢٨ يناير ١٨١٣م (١٧/٢ ـ ١٨). وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٥). وعبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٧٦/٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣١/١).

(٣) الشريف راجح: هو قريب لغالب غير لصيق القرابة، أعطاه محمد علي باشا إمرة بعض مئات من البدو وحمَّله مسؤولية انضمام آخرين معه في الخدمة. انظر: جيرالد دو غوري «حكّام مكّة» (٢٥١) (٢٧٤ ـ ٢٧٥).

بِكْ إلى الطائف واحتلَّتها، فأسرع طوسون باشا يصحبه الشريف غالب إلى الطائف بعد ورود أنباء سيطرة قواتهم عليها[١].

وبعد اجتياح قوات طوسون للطائف أخذت عساكره تقطع رؤوس جثث القتلى السعوديين، فتجمَّع منها قرابة سبعين رأساً مقطوعة[٢].

ويعلّق المستشرق الهولندي هورخرونيه على تلك الحوادث قائلاً: «**إنَّ الذهب والتصرفات الخيانيَّة كانت الأسلحة الرئيسية التي استعملها الباشا ضدّ الحركة الوهابية وأتباعها**، لقد استسلمت مكة لجيش محمَّد علي دون قتالٍ تقريباً، **أمَّا الطائف فقد تمَّ فتحها بمساعدة من الشريف غالب**»[٣].

لمَّا وصلت أنباء سقوط الطائف إلى محمد علي باشا غمرته فرحة كبيرة، فأمر بضرب المدافع من القلعة وغيرها ثلاثة أيام في كل وقت أذان[٤]، ثمَّ أرسل محمد علي باشا إلى الباب العالي في إسطنبول يبشرهم بأخذه الطائف قائلاً: «وقد فُتِحَت الطائف وسُخِّرَت وتبدَّدت الطائفة الكريهة: طائفة الخوارج وتشتَّت شملهم»[٥].

---

(١) الوثيقة السابقة (٢/١٨ ـ ١٩). ومحفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٩)، بتاريخ غرَّة صفر ١٢٢٨هـ/ ٢ فبراير ١٨١٣م (٢/٢٩ ـ ٣١). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٣). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣١٩ ـ ٣٢٠).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٧)، بتاريخ ١٥ ربيع الأول ١٢٢٨هـ/ ١٨ مارس ١٨١٣م (٢/٤٤).

(٣) ك. هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٧٣).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٧٦).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٩٦)، بتاريخ ٨ صفر ١٢٢٨هـ/ ١٠ فبراير ١٨١٣م (٢/٣٩).

ومع أنَّ مدن الحجاز الخمس (مكَّة والمدينة وجُدَّة والطائف وينبع) أصبحت حينذاك في أيدي الأتراك، فإنَّ قوة السعوديين لم تُحطَّم، **إذ ماتزال تربة وبيشة ورنية وجازان وعسير وما اقترب منها من القرى والبلدات صامدة أمام الزحف التركي تَصُدُّه وتمنعه من التقدّم إليها**(١).

* السعوديون يحرّرون الحناكية ومحيط المدينة النبوية.

في آخر ربيع الآخر ١٢٢٨هـ/أبريل ١٨١٣م سار الإمام سعود بجيشه من جميع النواحي وآفاق نجد الحاضرة والبادية وقصد الحناكية قرب المدينة النبوية، وكان في قصرها عساكر الترك مع عثمان كاشف وفيها بعض الأعراب، فهرب الأعراب ونازل سعود العساكر التي في القصر بالحناكية وهم نحو ثلاثمئة فارس ومقاتل وحاصرهم، وَهَمَّ الجيش السعودي أن يتسوَّر الجدار على عساكر الترك، على أنَّ الترك طلبوا العفو من سعود، وبطبيعة الحال أعطاهم سعود الأمان على دمائهم وأموالهم، **كعادة آل سعود في حروبهم حين يعطون الأمان لمن يطلبه ولا يخفرونه**، وَشَرَطَ عليهم سعود أن يسيروا ناحية العراق العثماني فساروا إليها، وأمَرَ الإمام سعود على محمد بن علي صاحب جبل شمَّر وبعض فرق الجيش السعودي أن يسيروا معهم لتأمينهم حتى يبلغوا مقصدهم(٢)، **وهذه سلوكيات غاية في الشهامة والأخلاق الحربية الرائعة التي تميَّز بها آل سعود وجيشهم وأتباع دولتهم.**

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٢ ـ ٣٣٣).

ثمَّ سار الإمام سعود من الحناكية إلى المدينة النبوية، وفي طريقه ضبط الأعراب الذين بين الحناكية والمدينة، فلمَّا اقترب من جبل أُحُد وإذا خيل الترك وبعض الأعراب معهم قد أقبلت، فتلقَّاهم سعود وجيشه لقاء البواسل، فقُتِلَ من عساكر الترك ومن معهم ثلاثون فارساً، ثمَّ تابع سعود مسيره في ردع الترك وافتكاك ما استولوا عليه من البلدات والقرى؛ فأخذ بلدة الحسا[١]، ومن بعدها استرجع وادي الصفراء وضبطها، ثم ضبط بلد السوارقية[٢]، وحصل للإمام سعود من الغنائم الكثيرة التي قام بتقسيمها على جيشه[٣].

* تربة تحت القصف العثماني.

في شعبان ١٢٢٨هـ/١٨١٣م اجتمعت عساكر الترك من مكة والطائف يقودهم مصطفى بيك ومعهم راجح الشريف ومعه بعض البوادي من الذين تابعوا الترك، فسارت تلك العساكر والجموع وفي معيتها المدافع والقنابر وقصدهم ضرب بلدة تربة واحتلالها[٤].

---

(١) الحَسَا: جزع من (وادي النقيع) بين (بئار الماشي) إلى قرية (الوسطة). ويمرُّ (الحسا) بين (جبل عير) شمالاً و(حمراء الأسد) جنوباً، وبه سُمِّي النعنع الحساوي بالمدينة. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٤٦٥).

(٢) السوارقية: ومن أهل بادية الحجاز من ينطقها (السويرقية). تقع جنوب غربي (مهد الذهب) على ٤٠ كلم. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٨٤٧).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٣).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٧). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٣)، بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٣م (٢/١٣٤).

وكان في تربة، بالإضافة إلى أهلها البقوم، مرابطة من أهل نجد وغيرهم، فحاصرتهم عساكر الترك ثلاثة أيام، **وكاد الترك لأهل تربة بالكيد والضرب المتوالي، ولكنَّ الله أرسل لهم النجدة بمددٍ من أهل بيشة جاؤوا لمعاونة إخوانهم من أهل تربة، فلما اقترب الترك من تربة كَمَنَ لهم أهل بيشة وأهل تربة ومن معهم من أهل نجد، فناوشوا الترك، فخرج كمين السعوديين على المحطة والخيام فانهزمت عساكر الترك وجموعهم، فاستولى أهل تربة وبيشة ومن معهم من أهل نجد على محطتهم وخيلهم وقتلوا منهم قتلى كثيرة، فتقهقر الترك مكسورين**، وقد قُتِل منهم في تلك الموقعة ما بين أربعمئة إلى خمسمئة جندي(١).

* حادثة أسر عثمان المضايفي.

في أثناء حوادث تربة السابقة، كان عثمان المضايفي مع فرسانه يتجوَّل في المنطقة من كلِّ جهة، وقضى على الأتراك المنسحبين، وغالباً ما قَطَعَ خطوط المواصلات مع مكَّة، وكان خلال صيف ١٢٢٧هـ/١٨١٢م يضايق حامية الترك في الطائف، **وقد عَرَضَ الشريف غالب جائزةً تُقَدَّر بخمسة آلاف ريال فرانسي لمن يتمكَّن من القبض على الشيخ عثمان المضايفي**(٢).

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٣ ـ ١٤٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٦٢ ـ ٦٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٤). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٤).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٢٧ ـ ١٢٨). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٣).

كان ذلك أثناء رجوع المضايفي إلى الطائف ومعه مجموعات من قبيلة عدوان[١] وبعض أهل الحجاز الذين ساندوا عثمان في الاستيلاء على ثلاثة قصور في الطائف[٢]، ثم نزل قصر بسل[٣]، فحين علم الشريف غالب بعودة صهره المضايفي للطائف، سار إليه بعساكر كثيرة من الترك وغيرهم، وحصَرَ المضايفي في قصره أياماً وأشعل فيه النيران، فهرب المضايفي من الطائف حتى وصل الحزم[٤]، وأصيبت فرسه ولم تقدر على حمله بعيداً، فسار حينئذٍ على قدميه واختلط بالعسكر فلم يعرفوه، فخرج من بينهم ومشى وتباعد عنهم نحو أربع ساعات وسلك الطريق المؤدية إلى تربة، فوقع فجأةً في يدِ أناس كانوا هناك فأمسكوه[٥] وسلَّموه أسيراً إلى الشريف

(١) قبيلة عدوان: واحدهم عدواني، ومنهم: (الجماهرة)، ومنهم: (الحزاما). وأراضي عدوان أسافل أودية (الطائف) وهي (ليَّة) و(العَرج) و(شِرب) في (العقرب) و(العبيلاء) و(المجنب) و(الباردة) و(الفريدة) و(صُلّبا). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥١٤ ـ ٥١٥).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٤/١).

(٣) بِسْل: وادٍ ذو قرى ومزارع، سكّانه العُصَمَة وغيرهم من عُتَيبَة، في إمارة (الطائف). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية معجم مختصر» (٢٧٨/١). وعاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٢٠٦).

(٤) الحزم: من قرى العبدة من (هذيل) بمنطقة (الهَدَة) في إمارة (الطائف). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٤٣٦/١).

(٥) الذين أمسكوا بالشيخ عثمان المضايفي وسلّموه للشريف غالب قوم من العُصمة من قبيلة عُتَيبَة. وقيل إنَّ سبب قبضهم عليه؛ ثأراً من المضايفي لأنَّه قتل جماعة من قومهم في (الطائف). انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٥/١).

غالب، ثمَّ كبَّل غالب أسيره المضايفي بأغلالٍ من حديد وقام بتسليمه إلى الأتراك(١).

وقد قُتِلَ في تلك الحادثة من قرابة عثمان المضايفي(٢) وأتباعه نحوٌ من خمسين رجل بحسب ابن بشر(٣)، وعند الفاخري والبسَّام أنَّهم سبعون قتيلا(٤). ثمَّ أُرسِلَت إلى محمد علي باشا البشائر بأسر عثمان المضايفي(٥).

وفي ذلك يقول محمد علي باشا في رسالةٍ منه للدولة العثمانية: **«إنَّ عثمان المضايفي حمو حضرة أمير مكة المكرمة، قَبَضَت عليه في الحال عساكر السلطان من تلابيبه واستصحبوه مكبَّلاً بالحديد ومعه آذان بقية المقتولين، وسيرسل المرقوم والآذان المقطوعة»**(٦).

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٥). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٥٧ ـ ٥٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٣).

(٢) قرابة عثمان المضايفي: هم (العَثامِين) ذوي عثمان (المضايفية) من ذوي عبدالرحمٰن من الجماهرة من قبيلة عدوان. قال حمد الجاسر: وهم أهل قرية (العقرب). وقال: هم في قرية (المَجْنَبِ الأسفل) في (أسفل شِرْب). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥١٠ ـ ٥١١) (٥١٥) (٧٧٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٤ ـ ٣٣٦).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٤). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٦٧).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٥).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٢٤)، بتاريخ ١٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٩٩ ـ ١٠١).

ثمَّ أحضر الترك المضايفي إلى جُدَّة واستمرَّ عند الشريف موضوعاً فيما يسمونه التَّرسيم[١]، بعدها أرسلوه إلى القاهرة، وقد وصلها في الخامس عشر من ذي القعدة ١٢٢٨هـ/التاسع من نوفمبر ١٨١٣م[٢] عند موضع الريدانية آخر الليل.

ويصف الجبرتي حال وصول الشيخ المضايفي قائلاً: «انتشر خبر وصوله في القاهرة كلّها، فلمَّا طلعت الشمس **احتفل الأتراك هناك بوصول الأمير المضايفي أسيراً؛ فضُرِبَت المدافع من القلعة إعلاماً وسروراً بوصوله**، وركب السلحدار[٣] في عُدَّةٍ كبيرة، وخرج الترك بالقاهرة لملاقاة الأمير المضايفي، فلمَّا رآه السلحدار نَزَعَ من عُنُقِهِ الحديد وأركبه هجيناً[٤] ودخل به إلى المدينة وأمامه الجاويشية[٥]

---

(١) الترسيم: يعني الحَجْر أو التوقيف أو ما يقابل في عصرنا الإقامة الجبرية، أو المراقبة. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٤٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٦)، بتاريخ ٩ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٣ نوفمبر ١٨١٣م (٢/١٢٠ ـ ١٢١). وعبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٢٨٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٥٣).

(٣) هو صالح بيك السلحدار والذي صار فيما بعد صالح آغا الكاشف، وقد تمّ التنويه عنه سابقاً في هذا الفصل.

(٤) هذا تعامل ينبئ عن حسن تصرف يدلّ على معرفة السلحدار بمقام ومكانة المضايفي، فقد التقى السلحدار بالمضايفي من قبل في عدّة وقعات ومعارك متعددة في أرض الحجاز، فهو عارف بمكانة وشجاعة المضايفي بلا مِريَة، ولذلك أكرم نزله في حدود صلاحياته وقدرته يوم درات الأيام على المضايفي.

(٥) الجاويشية: لفظٌ تركيٌّ معناه: جندي ذو رتبة صغيرة. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (١١٩).

والقوَّاسة الأتراك وبأيديهم العصي المفضَّضة، ثمَّ سار خلفه السلحدار وطوائفه وطلعوا به إلى القلعة وأدخلوه مجلسها، **فاجتمع عنده وجهاء القاهرة وأعيانها، فلمَّا جلسوا عنده حادثوه ساعة، والأمير عثمان المضايفي يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب وأفصح جواب، وفيه سكون وتؤدة في الخطاب وظاهر عليه آثار الإمارة والحشمة والنجابة ومعرفة مواقع الكلام، حتى قال الجماعة لبعضهم البعض: يا أسفاً على مثل هذا، إذا ذهب إلى إسلامبول يقتلونه.**

ولم يزل الأمير المضايفي يتحدَّث معهم حصة، ثمَّ أحضروا الطعام فواكلهم، ثم أخذه الكتخدا إلى منزله، فأقام عنده ثلاثة أيام مكرَّماً، وبعدها أركبوه سفينة انحدروا بها طالبين الديار الرومية [التركية] يوم ٢١ ذي القعدة ١٢٢٨هـ [١٥ نوفمبر ١٨١٣م]»[(١)].

وكان الإمام سعود بن عبدالعزيز ـ قبل أن يعلم بتسفير المضايفي إلى مصر ـ قد أرسل قصَّاداً من عنده إلى طوسون باشا والشريف غالب حين كانا في جُدَّة يسائلهم الإفراج عن الشيخ عثمان المضايفي وأنَّه يفتديه بمئةِ ألف فرانسة، فأخبروه بأن المضايفي قد سافر فعلاً إلى مصر ولم يعد الأمر بأيديهم[(٢)].

ولما وصل عثمان المضايفي إلى إسطنبول طافوا به في المدينة ثمَّ صدر الأمر في الحال بقطع رأس هذا الأمير النبيل فقُتِلَ هناك[(٣)].

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٨٦/٤) بتصرّف.

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٨٦/٤ ـ ٢٨٧).

(٣) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٤). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٢٠ ـ ١٢١). وإسماعيل سرهنك «حقائق الأخبار» (٤١٨/١).

وكان لحادثة أسر المضايفي رنَّة فرحٍ وابتهاج عند الترك وسلطانهم العثماني في إسطنبول، فقد أرسلَ كتخدا الباب العالي بإسطنبول لمحمد علي باشا بخبر تلك الابتهاجات والأفراح التي عمَّت عاصمة السلطنة، وكان الكتخدا فرحاً بخبر إرسال آذان القتلى من السعوديين، وابتهج أكثر بأسر عثمان المضايفي الذي وصفه الكتخدا بـ«**الملعون**» وأنَّه «**من أعظم رؤساء الخوارج**»، وطالب بالتعجّل بأسر بقية قادة الدولة السعودية الذين وصفهم الكتخدا بـ«**الأنفار الخبيثة**»[(١)].

ويعلّق المستشرق الهولندي هورخرونيه على حادثة أسر عثمان المضايفي وقتله في إسطنبول، حيث يقول: «لقد كان الانطباع مأساوياً حين اقتيد زعماء الحركة الإصلاحية [السلفية] أسرى إلى مصر بعد أن أُوهِمُوا أنَّه لن ينالهم سوء هناك. وقد كان ظهورهم في أسواق القاهرة مثار استغراب الطبقة المثقَّفة التي كانت تنظر باحترام إلى الأصل النبيل الذي ينحدر منه هؤلاء. وقد أُرسِلَ هؤلاء إلى إسطنبول التي أمَرَت بوضع نهايةٍ حزينةٍ لمعاناتهم»[(٢)].

* وصول محمد علي باشا إلى الحجاز.

في أواخر ١٢٢٨هـ/١٨١٣م قدم محمد علي باشا إلى الحجاز بعساكر عظيمة، بعد أن عَلِمَ أنَّ جنود جيش ابنه طوسون باشا قد أنهكتها حرارة جوّ الحجاز الشديدة وكثر في صفوفهم المرضى والمتعبون، فكانت الخسائر تنوف عن ثمانية آلاف رجل وخمسة

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (٤٦)، بتاريخ ١٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/١٠٤ ـ ١٠٥).

(٢) ك. سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة» (١/٢٧٣).

وعشرين ألف دابَّة[١].

وكان محمد علي باشا أرسل لحكومة الدولة العثمانية ذاكراً لهم تصميمه على الذهاب إلى الحجاز قائلاً لهم: «فَكَّرتُ وصَمَّمْتُ هذه السنة المباركة على أخذِ الانتقام من أعداءِ الدِّين وتصفية الدرعية بِصَرفِ مبالغ طائلة جداً»[٢].

وقد لحق بمحمد علي باشا سبعةُ آلاف عسكري وسبعة آلاف كيس من الأموال، فكوَّنوا جيشاً من أخلاط الناس، وجمعوا لذلك الجيش أرباب الصنائع مثل الخبازين والفرَّانين والنجَّارين والحدَّادين والبياطرة وغيرهم[٣].

وبعد أن تحرَّك محمد علي باشا إلى الحجاز، وصل إلى القاهرة مددٌ عظيمٌ من عساكر الترك والمغاربة ينوون اللحاق بالباشا إلى الحجاز، يقودهم دبّوس أوغلي[٤] وحسن آغا سرجشمة[٥].

---

(١) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٤٦). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٦٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٥ شوَّال ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٩ ـ ٩٠).

(٣) انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٤٧).

(٤) دبّوس أوغلي: هو كتخدا بيك، كان من قادة العساكر الدلاتية في مصر، كان من ضمن من استخدمهم محمد علي باشا لمحاربة المماليك المصرية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٧) (١١) (١٩٢).

(٥) حسن آغا سرجشمة: من عساكر الأرناؤوط في القاهرة، تقلد إمارة (دمياط) وقت محمد علي باشا. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/١٢٣).=

وإليك وصف المؤرخ الجبرتي لحال تلك العساكر قبل أن تلحق بمحمد علي باشا، حيث قال عنهم: **«نصبوا خيامهم واستمرّوا يخرجون من المدينة ويدخلون غدوّاً وعِشيّاً وهم يأكلون ويشربون جهاراً في نهار رمضان، ويقولون: نحن مسافرون ومجاهدون، ويمرّون بالأسواق ويجلسون على المساطب وبأيديهم الأقصاب والشبكات[1] التي يشربون فيها الدخان من غير احتشام ولا حياء، ويجوزون بحارات الحسينية[2] على القهاوي في الضحوة.**

وأشنع من ذلك أنَّه اجتمع بناحية عرضيِّهم وخيامهم الجمّ الغفير من النساء والخواطي والبغايا ونصبوا لهم خياماً وأخصاصا، وانضمَّ إليهم بيَّاع البوظة[3] والعَرَقيّ والحشَّاشون[4]

= جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٦٣).

(١) الشبكات: مفردها الشبك. وهي شبك الشيشة يوضع فيها الدخان، وقد كان منتشراً في مصر، وكان يحترف كثير من الفقراء حرفة تسليك الشبك، وقد أُطلِق على مُصلِح الشبك اسم «شبكشي». انظر: أ. ب. كلوت «لمحة على مصر» (٥٩٠). وأحمد أمين في كتابه «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (٢٠٤ ـ ٢٠٥) (٢١٣).

(٢) الحسينية: كانت حَيّاً من أحياء (القاهرة القديمة). وتقع في المسافة الممتدة بين (باب الفتوح) و(باب الحسينية) الذي هُدِمَ عند تنظيم (شارع العباسية) أواخر القرن التاسع عشر الميلادي. انظر: عبدالله ابن عبدالظاهر «الروضة البهيَّة الظاهرة في خطط المعزيَّة القاهرة» (١٢٢ ـ ١٢٣). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/٦١ ـ ٦٧).

(٣) البوظة: هي نوع من البيرة/ الجعَّة، تصنع من تخمير الشعير. انظر: كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤١).

(٤) هم الذين يتعاطون الحشيش. انظر: كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٤٣ ـ ٣٤٤).

والغوازي[١] والرقَّاصون وأمثال ذلك، وانحشر معهم الكثير من الفسَّاق وأهل الأهواء والعيَّاق من أولاد البلد، فكانوا جمعاً عظيماً يأكلون الحشيش ويشربون المسكرات ويزنون ويلوطون ويشربون الجوزة ويلعبون القمار جهاراً في نهار رمضان ولياليه»[٢].

المقصود؛ أنَّه بنزول محمد علي باشا إلى ميدان القتال يبدأ دورٌ جديد في تاريخ حروب محمد علي مع الدولة السعودية الأولى، إذ حدثت تغييرات جذرية في خطط القتال، فما كاد محمد علي يصل إلى جُدَّة في ٣٠ شعبان ١٢٢٨هـ/٢٨ أغسطس ١٨١٣م ويقف على حقيقة حال قوات ابنه طوسون والظروف التي أحاطت بها، حتى أخذ يركّز كلّ جهوده على التخطيط الحربي الذي تقتضيه هذه المرحلة من الحرب مع آل سعود[٣]، تلك الخطط التي وصفها محمد علي قائلاً: إنَّها «لاستكمال أسباب استحصال التدابير المؤدية إلى انقطاع عروق

(١) الغوازي: هنَّ أنفسهن «الراقصات». ويسمّي كلوت بيك وأحمد أمين الغوازي: بالراقصات العموميات، وهنَّ اللاتي يرقصن في الطرقات والميادين والصالات على ملأٍ من الجمهور. وقال كلوت بيك: من النادر أن يدعو المسلمون المصريون الغوازي أو العوالم إلى منازلهم. وقال أيضاً: وطبيعة رقصهنّ من مخالفة الآداب والأخلاق بما يمنعني عن التصدّي لإيراد تفاصيله. وفصَّل أحمد أمين تفصيلاً طويلاً عنهنّ وعن ملابسهن الخليعة وإثارتهنّ لشهوات من يتفرّج على رقصهنّ من الرجال. انظر: إدوارد وليم لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم» ٣٨٧). أ. ب. كلوت بيك «لمحة على مصر» (٣٩٦) (٣٩٩ ـ ٤٠١). وأحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية» (١٧٨ ـ ١٧٩).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٣٥/٤ ـ ٣٣٦).

(٣) انظر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣٢٣).

الخوارج من تلك الحوالي بالمرَّة»[١].

*** غدر محمد علي باشا بالشريف غالب.**

لمَّا دخل محمد علي باشا مكة واستقرَّ حاله فيها سنة ١٢٢٨هـ/١٨١٣م سار إليه الشريف غالب ليهنِّئَه، فأكرمه محمد علي باشا وأعظَمَه وأعطاه عطاءً جزيلاً وفعل معه بالظاهر فعلاً جميلاً، وكان قصده غير ذلك، فلمَّا ضبط محمد علي باشا مكة بالعساكر وزاره الشريف غالب على عادته أمسكه محمد علي وقيَّدَه وحبسه في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٢٢٨هـ/١٤ نوفمبر ١٨١٣م، وأحاط بجميع ما يملك من الأموال والأثاث والمتاع والخيل والسلاح والمماليك، وأخذ جميع ما في خزائنه من الذهب والفضَّة وغير ذلك مما يعجز عنه الحصر[٢].

وأخرج عياله من قصر جياد واستولى عليه، وأمسك كبار بنيه وقيَّدهم وحبسهم معه، واستعمل يحيى بن سرور[٣] ابن أخي غالب

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة سنيَّة، وحدة الحفظ (٤٩)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٢٨هـ/ ١ أكتوبر ١٨١٣م (٢/٨٢).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٣١٠) (٣١٤) (٣١٨). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٣). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٨).

(٣) يحيى بن سرور بن مساعد بن سعيد بن سعد بن زيد. شريف حسني من أمراء مكة، ولَّاه محمد علي باشا بعد اعتقال عمّه غالب بن مساعد سنة ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م، فطالت مدَّته إلى سنة ١٢٤٢هـ ١٨٢٧م، وفُصِلَ عنها لقتله الشريف شنبر النعمي، فتوجَّه إلى مصر سنة ١٢٤٣هـ/ ١٨٢٨م فتوفِّيَ فيها. انظر ترجمته عند: خير الدين الزركلي «الأعلام» (٨/١٤٧). وإسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني» (٢٠١ ـ ٢٠٢).

شريفاً على مكة[١]، ونادى بالأمان لأهل البلد وادَّعى أنَّ هذا أمر من السلطان العثماني، والوثائق تثبت أنَّ حكومة السلطان العثماني قد فوَّضَت محمد علي باشا أن يتصرف بما يراه مناسباً مع الشريف غالب[٢].

ثمَّ أرسل محمد علي باشا الشريف غالب وبنيه عبدالله وحسن إلى جُدَّة وأنزلهم في مركبٍ من مراكبه ذاهبة إلى مصر، فوصلها الشريف في ١٧ محرم ١٢٢٩هـ/٩ يناير ١٨١٤م، وضربوا لقدومه عدة طلقات من مدافع القلعة إعلاماً بوصوله وإكراماً له[٣]. ومن مصر أُرسِلَ غالب إلى تركيا بناءً على أمر السلطنة العثمانية، وأن يكون الشريف مقيماً في سلانيك[٤] وأعطي هناك ما ينوبه من المصاريف ورُدَّ عليه شيئاً من أمواله، فأقام في سلانيك حتى مات فيها بالطاعون سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م[٥].

---

(١) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٠/٤) (٣١٤). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٦٢).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٤) بتاريخ ٢٨ جمادى الأول ١٢٢٨هـ/ ٢٩ مايو ١٨١٣م، (٦١/٢ ـ ٦٢).

(٣) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٠/٤ ـ ٣١٣).

(٤) سلانيك: مدينة في تركيا الأوروبية، في (مقدونيا) باليونان، كانت تتبع الدولة العثمانية. انظر: س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية» (٣٠٠ ـ ٣٠١).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٣٧). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٤). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٨/١) (٣٨٢).

ويعلّق الجبرتي على حادثة القبض على الشريف غالب قائلاً: **«قل اللهم مالك الملك؛ هذا الشريف غالب انتُزِعَ مِن مِملَكَتِهِ وخَرَجَ من دولتِهِ وسيادتِهِ وأموالِهِ وذخائره، وانسلَّ من ذلك كلّه كالشعرة من العجين، حتى أنّه لمَّا ركب وخرج من العسكر وهم متوجّهون إلى جُدَّة أخذوا ما في جيوبه، فليَعتبِر من يَعتَبِر»**[١].

وبعد حادثة القبض على الشريف غالب ثمَّ تسفيره لمصر، خرج الشريف يحيى بن سرور من مكَّة بحيلة احتال بها ليهرب من محمد علي باشا، فلمَّا قرُبَ من الخِبَة[٢] هرب إلى ناحية تهامة وعسير خوفاً على نفسه[٣].

ثم حاول محمد علي باشا أن يُنصِّبَ راجح الشريف في مكَّة ليكون باباً للعرب[٤]، فلم يأمنه راجح وهرب منه في بعض من رجالاته وخيله، ونزل على الجيش السعودي عند بلد تربة، **كما هرب من مكة عدداً من زعماء البدو بسبب توجّسهم من محمد علي باشا بعد أن غَدَرَ بالشريف غالب**[٥]، **فبدأت كثير من القبائل في مضايقة**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣١٨/٤).

(٢) الخِبَة: من قرى (أولاد سعدي) في (تهامة زهران) بمنطقة إمارة (الباحة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٥١٢/١). ويحيى بن صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ غامد وزهران» (٨٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٣٨/١ ـ ٣٣٩).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٣)، بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٣م (١٣٤/٢).

(٥) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٣٨).

العساكر التركية في الطائف[١].

* الانتصار السعودي في تربة.

في آخر ١٢٢٨هـ/١٨١٣م سيَّر محمد علي باشا ابنه طوسون باشا بالعساكر العظيمة والجموع الكثيرة إلى جهة الحجاز واليمن، وكان أدنى ما يليهم تربة التي كانت نقطة تجمّع كافَّة الجنود السعودية في الجهة الجنوبية، وكان الإمام سعود قد حصَّنها بالبناء واستنفر أهل الحجاز من أتباعه ليرابطوا فيها بعدما أعدَّ ما يلزمها لو حوصرت من قبل الترك. وقبل أن يصل طوسون باشا إلى تربة اعترضته مجموعات من **قبيلة عتيبة** فحصل بينه وبينهم طراد ومناوشات في جبال تلك الجهات[٢].

فلمَّا أقبل طوسون على تربة نازل أهلها بعساكر عددها أَلْفَا نفس[٣]، وحاصر السعوديين في تربة مدَّة أربعة أيام، ونصب عليهم المدافع والقنابر فرماهم رمياً هائلاً فلم يؤثِّر فيهم شيئاً، فأنزل الله الرعب بطوسون وعساكره ورحل عن تربة بعدما قُتِلَ قتلى كثيرة من عساكره والبوادي التي تبعته[٤].

وما إن بدأ طوسون بالانسحاب حتى خرج عليه السعوديون من تربة وضغطوا على جنوده واستولوا على الممرات التي في طريقهم،

---

(١) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٥).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٢). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٨).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٢٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٣٩ ـ ٣٤٠).

وهاجموا الترك بعنف لدرجة أن الأتراك بدؤوا في نهاية الأمر يهربون تاركين أمتعتهم وخيامهم ومؤنهم ومدافعهم، وخسروا أثناء هذا التراجع أكثر من سبعمئة رجل كما هلك عددٌ آخر منهم بسبب الجوع والعطش، ووصل البقية الباقية منهم إلى الطائف بعد جهدٍ جهيد[١].

* الانتصار السعودي في القنفذة.

ثم دخلت السنة ١٢٢٩هـ/١٨١٤م ومحمد علي صاحب مصر في مكة على الحال المذكورة، ورجع إليه عساكره الذين حاصروا تربة، فدخل بعضهم مكة وبعضهم جعله عند الطائف، ولم يزل محمد علي في مكة وجدة وابنه طوسون في الطائف.

هذا وراجح الشريف ومن تبعه وغصاب العتيبي[٢] ومن معه من أهل الحجاز والجنوب نازلون فيما بينهم وبين تربة يصابرون تلك العساكر التركية ويديرون الرأي فيها، ثمَّ أقبلت عساكر تركية كثيفة من مصر عبر البحر، وبندروا عند القنفذة[٣] وكانت القنفذة إذ ذاك تابعة

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٢). والسير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٥٨).

(٢) هو غصَّاب بن شرعان العتيبي، من قادة الدولة السعودية زمن الإمام سعود، كان موكّلٌ به حفظ تخوم الدولة من جهة العراق سنة ١٢٢٠هـ/ ١٨٠٥م، ثمَّ أصبح مرسلاً من عند الإمام سعود للنواحي الحجازية واليمنية تحت إمرة عبدالوهاب المتحمي. وكانت لغصَّاب قدم صدق في مواقع (تربة) و(القنفذة) و(بسل) وغيرها. وأثناء حصار إبراهيم باشا لـ(الدرعية) سلَّم نفسه للباشا. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢٨٧/١) (٣٠٢) (٣٠٤) (٣٤٠) (٣٦٨) (٤١٣).

(٣) القنفذة: بلدة ذات قرى كثيرة، وهي اليوم تبع إمارة (مكة المشرفة). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١١٨٨/٣).

لإمارة عسير[١]، واستولوا عليها وعلى من فيها.

فتجهَّز لهم **طامي بن شعيب المتحمي** (ت: ١٢٣٠هـ/١٨١٥م)[٢] بجنودٍ من عسير وغيرهم وساروا إليهم في القنفذة.

فالتقى الفريقان ـ فريق طامي بن شعيب ومن معه من جنود عسير وغيرهم وفريق الترك ـ وحصل قتال شديد، **فنصر الله السعوديين وانهزمت عساكر الترك وقُتِلَ منهم مقتلة عظيمة، وأخذ السعوديون من الترك سلاحاً كثيراً واستولوا على مدافعهم وأمتعتهم، وانهزم شريد الترك ومن كان منهم في السفن وهربوا إلى مكة وجُدَّة**[٣].

* وفاة الإمام سعود الكبير.

في خضمّ تلك الحوادث وتلك الوقائع توفّي زعيم الدولة السعودية وقائدها الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود،

---

(١) انظر: السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٦٠). وهاشم النعمي «تاريخ عسير» (١٧١).

(٢) طامي بن شعيب المتحمي: أمير من سادات عسير وشجعانها، ومن قادات الدولة السعودية الأولى، له قدم صدق في مقاومة المحتلّ التركي الذي حاربه إلى آخر رمق، فأُسِرَ بحيلةٍ وسُلِّم للترك وقتل في مصر. انظر أخباره وترجمته: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود» (٢٢٣ ـ ٢٢٦) (٢٦٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٤/١) (٣١٢ ـ ٣١٣) (٣٤٠) (٣٦٢) (٣٦٦ ـ ٣٦٨) (٣٧٠ ـ ٣٧١) (٣٧٣ ـ ٣٧٥). والحسن بن أحمد عاكش «تكملة نفح العود» (٢٩٠ ـ ٢٩٥).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٠/١ ـ ٣٤١). وهاشم النعمي «تاريخ عسير» (١٧١).

وبويع لابنه عبدالله إماماً للسعوديين من بعده[١].

وعن وفاة الإمام سعود يقول بوركهارت: «**فَقَدَ الوهابيون قائداً لا يكلّ ولا يَنِي، لديه كلّ المواهب الضرورية للمنصب العظيم الذي احتلّه**»[٢].

وقال عنه كرايتون: «**لم يفارق النصر قطّ رايته وهو على رأس قواته**»[٣].

وقال عنه فيلكس مانجان: «**لقد كان سعود شجاعاً في المواقف كلها وذا همَّة لا تعرف الكلل، كان بارعاً في بثّ الحماسة في نفوس جنوده، يبتهجون لرؤيته يقودهم من نصر إلى نصر، كان يعشق المجد ويعرف كيف يُجري الأعمال العظيمة**»[٤].

وقال عنه مؤرّخ نجد عثمان بن بشر: «**كان متيقِّظاً بعيد الهمَّة، يسَّر الله له من الهيبة عند الأعداء والحشمة في قلوب الرعايا ما لم يَرَهُ أحد في وقته، وقام في الجهاد وبذل الاجتهاد وفَتَحَ أكثر البلاد**

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

وانظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٢٥/٤). ومحمد علي الشوكاني «البدر الطالع» (٣٦٨/١). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٢/١) (٣٦٤ ـ ٣٦٥). ومطلق بن صالح، مخطوطة: «شذا الندّ» الورقة (٥).

(٢) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٥٣).

(٣) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧١ ـ ٧٢).

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٨٢).

في أيام أبيه وبعد موته، وأُعطِيَ السعادة في مغازيه، ولا أعلم أنَّهُ هُزِمَ له راية، بل نُصِرَ بالرعب الذي ليس له نهاية، وكلّ أيَّامه مواسم ومغازيه مغانم، وقذف الله الرعب في قلوب أعدائه، فإذا سمعوا بمغزاه ومعداه هَرَبَ كلّ منهم وترك أباه وأخاه وماله وما حواه»[١].

ويذكر أحد المؤرخين بأنَّه قد وَجَدَ في كتابٍ أرسله والي بغداد علي باشا[٢] إلى السلطان العثماني هذه الكلمات التي تظهر شدَّة خوف الولاة العثمانيين من شجاعة سعود وفتكه، قال: «**إنَّه كالصقر سريع الاختطاف طويل اليد شديد البأس**»[٣].

* مجزرة الترك في القنفذة.

في جمادى الأول ١٢٢٩هـ/مايو ١٨١٤م بعث محمد علي باشا من جُدَّة عسكراً كثيفاً من البحر بأربعين سفينة محمَّلة بالمؤن ووجهته بندر القنفذة، وَتَبْرا لَهُم مِن البَرِّ العساكر التركية البرية عمادها ألف وخمسمئة جندي من المشاة وجعل قيادتها لحسين آغا وزعيم أوغلو[٤]،

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٤٣/١ ـ ٣٤٤).

(٢) هو علي الكيخيا، وقد مرَّ الحديث عنه في الفصل السابع.

(٣) منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٢١/٣).

(٤) زعيم أوغلو: هو الذي عيَّنه محمد علي باشا حاكماً على (جُدَّة) رغم أنَّه كان متسبِّباً في هزيمة جيش الترك في معركة (القنفذة)، وكان مشهوراً عنه أنَّه يغسل يديه بماء عذب بانتظام رغم أنَّ أتباعه من عساكر الترك لا يجدون ما يكفيهم من مياه الشرب. انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٦ ـ ١٤٧). ودار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٣)، بتاريخ ٢٨ ذي القعدة ١٢٢٨هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٣م (١٣٤/٢).

وتقدَّمت الحملة إلى القنفذة[١].

كان في القنفذة عسكر سعوديّ من أهل عسير نحو خمسمئة مقاتل، فحصرهم الأتراك ورموهم بالمدافع والقنابر، فلم يزالوا محاصرين لهم حتى أخرجوهم بالأمان واستولوا على القنفذة[٢].

على أنَّ أندرو كرايتون يأتينا بوصفٍ دقيقٍ لجريمة الترك بالسعوديين المحاصرين في القنفذة، فيقول: **«لم يكن فيها إلّا حامية صغيرة للدفاع عنها، على أنَّها لم تؤخذ إلَّا بعد دفاعٍ باسل وتضحيةٍ كبيرة، ولأنَّ الأسوار والحصون مبنية من الطين واللبن فإنَّها لانت أمام قذائف المدافع، ومن صغر المكان والتحام الطرفين المتقاتلين أصبح منظر الأشلاء مرعباً غاية الرعب، ولم تُستخدم السيوف والسكاكين وحدها في القتال، بل استخدمت أيضاً الأسنان والأظافر.**

وقُتِلَ أعداد من المحاصرين، أو بالأحرى مُزِّقوا إرَباً في تلك المواجهة الرهيبة، ولم يُترَك حيّاً أيّ إنسان شارك فيها، ولغضب الوحشيّ زعيم أوغلو من صلابة أعدائه [السعوديين] أعلن عن جائزة مقدارها مئتا قرش لكل من يُحضر إليه من جنوده رأس عربيّ أو أُذُنَيه، وانطلق الجنود الأرناؤوط الجشعون بطبيعتهم في كلّ اتجاه لجمع محصولهم الدمويّ، يسحبون ضحاياهم البائسة من مخابئهم»[٣].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٨٠ ـ ٨١).

(٢) انظر: عبدالرحمن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٤٦/٤).

(٣) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٨ ـ ٦٩) باختصار.

* الانتقام السعودي لمجزرة القنفذة.

وقع حدث خلخل الأحوال التي كانت في صالح الأتراك في القنفذة ابتداءً، إذ تحرَّك **الشيخ طامي بن شعيب المتحمي** بجيوشه لنجدة أهل القنفذة ومعه ثمانية آلاف مقاتل وقيل عشرة آلاف مقاتل، فبثَّ ظهور طامي وجماعته رعباً عامّاً بين عساكر الأرناؤوط، فالتقى الجيشان ووقع بينهما قتال عنيف(١).

ابتدأ الهجوم السعودي بتسليط ضرباته على الجنود الأرناؤوط الذين حول آبار الماء القريبة من القنفذة، فهرب الأرناؤوط إلى بلدة القنفذة في الليل ونشروا الرعب في عمومها، وما إن سَمِعَ القائد التركي زعيم أوغلو بخبر وصول السعوديين حتى تملَّكه الذعر فهرع يريد البحر هو ومعظم جنوده، مهرولين إلى السفن الراسية في الميناء دون أية محاولة للمقاومة داخل أسوار القنفذة.

ثمَّ دخل السعوديون البلدة ففتكوا بأعدادٍ من جنود الجيش التركي، وظلَّ في القنفذة جموع من عساكر الترك لم تستطع اللحاق بقوارب البحر ولم يقدروا على السباحة، بل إنَّ كثيراً منهم قُتلوا في البحر قرب السفن بأيدي السعوديين الذين سبحوا وراء الترك فأخذوا يسحبونهم من الماء سحباً فيذبحونهم، ومن لم يَمُتْ من الترك بصوارم السعوديين البتَّارة مات غرقاً في القوارب التي أدركها السعوديين قبل أن تبحر، فما زالوا بالترك حتى أفنوهم عن آخرهم وصبغوا ماء البحر بدمائهم(٢).

---

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٦٩). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦٦/١).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٦٩).

والقائد التركي نفسه ما إن نجا بالصعود إلى إحدى السفن حتى أمر بالإبحار سريعاً، وترك خلفه كلّ أولئك الذين لم يستطيعوا الهروب بالبحر لموتٍ محقَّق حلّ بهم على أيدي السعوديين، أمَّا الذين نجوا في السفن فقد مات أكثرهم جوعاً وعطشاً أثناء الطريق[١].

فنصر الله السعوديين، وهزموا الأتراك وقتلوا منهم رجالاً كثيرة وأخذوا المحطَّة ومن فيها، واستولوا على المئات من خيول الترك وركابهم ومتاعهم وأسلحتهم وأزوادهم وما لا يبلغ العدّ، حتى قيل إنَّ الخيام التي أخذها السعوديون تزيد على الألف خيمة، ذلك أنَّ الترك لما انهزموا انطلقوا مهرولين هاربين لا يلوي أحد منهم على أحد، فتركوا المحطة وجنَّبوها وتوجَّهوا إلى السفن وركبوها ونزلوا عن الخيل وتركوها فغنمها السعوديون مع رحايل الترك وخيامهم[٢].

ولم يحمل الترك معهم إلا الملابس التي كانوا يرتدونها، فكلّ الأمتعة والمخازن الكبيرة وكلّ المدافع أصبحت ملكاً للسعوديين. وقد مات كثير من الجنود والبحَّارة الأتراك في الطريق إلى جُدَّة[٣].

* القتال في أودية زهران.

في شوال **١٢٢٩**هـ/سبتمبر **١٨١٤**م سار طامي بن شعيب ومعه محاربو عسير ورجال ألمع وغيرهم نحو عشرة آلاف مقاتل تعزيزاً

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٦). وفيلكس مانجان «الدولة السعودية الأولى» (٨١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٦٦/١ ـ ٣٦٧).

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٤٦).

للسعوديين عند حصن الشيخ بخروش[١]، وكان الترك قد ساروا من مكة والطائف بعساكر كثيرة نحو عشرين ألفاً من الأتراك والمغاربة، فحاصروا الشيخ بخروش بن علّاس[٢] في أودية زهران، واجتمع عليه طوائف شعلان[٣] ومن معه من قبائله، والشيخ محمد بن دهمان[٤]

---

(١) يقع حصن للشيخ بخروش في (الحَسَن) وهي قرية كبيرة من قرى قبيلة قريش في (سراة زهران) وتسمَّى (قريش الحسن)، تقع شمال (الأطاولة) على مسافة ٤ كلم. انظر: علي صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (٧٥).

(٢) الشيخ بخروش بن علّاس بن مسعود الزهراني: من أمراء قبيلة زهران، وهو بطل من أبطال الدولة السعودية الأولى وأحد قادة جيوشها، حكم في المنطقة الغربية في مواضع غامد وزهران، جنَّن قادة الأتراك وأنهك حملتهم العسكرية بضرباته الموجعة. انظر: علي صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ بلاد غامد وزهران» (٧٥).

(٣) هم الفزع من خثعم. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٦٢٠).

(٤) الشيخ محمد بن دهمان بن خطَّاف الشهري من آل الصعدي في (تنومة) في (بلاد بني شهر)، تولَّى مشيخة القبيلة في حياة والده عام ١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م، كان حازماً حكيماً محنَّكاً، قَدِمَ على (الدرعية) حوالي ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م وطلب العلم على علمائها، واستطاع أن يعمل على نشر الدعوة السلفية في منطقة نفوذه. والشيخ ابن دهمان هذا بطلٌ من أبطال الدولة السعودية الأولى الذين قاوموا جيش الاحتلال التركي، وله من الوقائع المشهورة معهم هو وصديقه بخروش بن علَّاس، وله قصائد بينه وبين الشيخ بخروش تبيّن حوادث معاركهم مع الترك. انظر: علي بن شايخ البكري الشهري «محمد بن دهمان الشهري ودوره في بسط نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى بلاد بني شهر» (١٥) (٨٠ ـ ٨٢). ومحمد البسام النجدي «الدرر المفاخر» (٦٨).

ومن معه من قومه، وابن حابش[١] وغيرهم، وحصلت المواجهة بين الترك وبين تلك الجنود الحجازية والتهامية قرب حصن بخروش فاقتتلوا قتالاً شديدا، فانهزم الترك هزيمة شنيعة، وأصاب الجنود الأرناؤوط شيء من الخَبَل والاختلاط من شدة الفزع فتركوا ذخائرهم وخيامهم ومدافعهم، فغنم السعوديون خيام الترك ومحطَّتهم وزهبتهم وأزوادهم وبغالهم، وقُتِلَ من الترك مقتلةً عظيمة أكثر من ألف رجل، ولم يَسلَم منهم إلا من هرب على الخيل[٢].

* وقعة بسل.

في أول سنة ١٢٣٠هـ/آخر سنة ١٨١٤م جرت الوقعة المشهورة بين فيصل بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وبين الترك في بسل القصر المعروف قرب الطائف، وذلك أنَّ فيصلاً لما سار من نجد إلى الحجاز ونزل تربة واستنفر أهل الحجاز، فقدم عليه طامي بن شعيب المتحمي ومعه رجالات عسير ورجال ألمع وزهران[٣] ورؤساؤهم وأهل غامد[٤] وغيرهم نحو عشرين ألفاً، فلمَّا أقبلوا على

---

(١) من قادة الدولة السعودية الأولى.

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٦٨ ـ ٣٦٩).

(٣) زهران: منهم: بنو يُوس وبنو سُليم وبنو عمر ودوس وبنو عُمَر الأشاعيب. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٣١٧).

(٤) غامد: بلاد واسعة، يَحُدّها من الشرق بلاد سبيع وأكلب (بيشة) ومن الغرب بلاد (زهران) ومن الجنوب بلاد (خثعم) ومن الشمال بلاد (زهران) وبلاد (بالحارث)، ويسكنها ١٨ قبيلة في ٢٤٠ بلدة وقرية، عدا تسع قبائل تنزل في شبه (السراة). انظر: علي صالح السلوك «المعجم الجغرافي للبلاد العربية/ بلاد غامد وزهران» (١٨٣).

تربة انقسموا كتائب واجتمعوا في غزايل[١]، ثم رحلوا إلى بسل حيث العساكر التركية هناك، فنازلهم السعوديون ووقع بينهم في ذلك اليوم قتال وطراد، وقُتِلَ من الترك عدد كبير.

فلمَّا كان اليوم التالي أقبل محمد علي باشا بعساكر كثيرة مددٌ للعساكر التي في بسل، ووقع القتال بين الفئتين، فَثَبَتَ فيصل ومن معه، وحصل انكسار لكمين وقع ضدَّ جهة غامد وزهران واتصل الانكسار على جهة قوم طامي بن شعيب ومن معه من أهل عسير ورجال ألمع، ثم تواصل الانكسار على جموع الجيش السعودي، ولكنَّ الله قدَّر أن يكفيهم شر القتل وكَفَّ أذى الترك عنهم وعن ساقتهم، ولم يُقتل إلا أقلّ القليل نحو المئة، وتفرَّقت جموع السعوديين، فتوجَّه الأمراء فيصل وطامي بن شعيب وفهاد بن سالم بن شكبان ومصلط بن قطنان وغيرهم إلى تربة، وهم يظنون أنَّ جموعهم المنكسرة ستجتمع هناك ولكن لم يحدث ذلك[٢].

لم ييأس السعوديون من هزيمتهم في بسل، فشددت رجالات القبائل السعودية غاراتها صوب الطائف ضدّ الترك ومن ناصرهم، وقطع السعوديون طرق الاتصال بين جُدَّة ومكة، ثمّ حدث أن تسلّطَ هجومٌ سعوديٌّ على مخيّم الترك في بحرة[٣]، فضجَّ الترك فزعاً

---

(١) غزايل: وادٍ في (بلاد بلحارث). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٠٥٣/٢).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٠/١ ـ ٣٧١).

(٣) بحرة: بلدة عامرة بين (مكة) و(جُدَّة) في منتصف المسافة بينهما. وسكّان (بحرة) بنو جابر والمعانية من حرب. انظر: عاتق البلاد «معجم معالم الحجاز» (١٧١ ـ ١٧٢).

وهربوا، فأخذ السعوديون ما في المخيَّم من الأمتعة[١].

كان عابدين بكْ ومعه الأرناؤوط قد احتلَّ عِدَّة مواضع من تهامة ودمَّرَ بطريقة همجية كثير من بلداتها ليمنع غارات السعوديين التي تنطلق منها، ولكنَّه مع كلّ تلك الاحتياطات الوحشية تفاجأ **بالشيخ بخروش بن علّاس الزهراني** على رأس قومه ترافقهم كتيبة قويّة يقودها **الشيخ طامي بن شعيب المتحمي** يتسلّلون قريب الفجر إلى مخيَّم الترك الذي يحتلّ حصن بخروش، **فهجم بخروش وطامي وأصحابهم على الجنود الأتراك** بشكلٍ مفاجئ، **فدبَّ الفزع في المخيّم، وقُتِل من الترك ثمانمئة، وتعقَّب جنود بخروش وجنود طامي فلول الترك على مدار يومين كاملين حتى اضطرُّوهم إلى وادي ليَّة[٢] فتحصَّنوا فيه[٣].**

* ميزان القوة يرجح لصالح محمد علي باشا.

يقول أندرو كرايتون: «لقد بدأت بوادر نجاح الأتراك تَتَّخذ مظهراً أكثر إشراقاً، فقد أُمِدَّ جيشهم بإمداداتٍ مُتعَدِّدة، فأصبح تحت قيادة محمد علي عشرون ألف رجل وُزّعوا في مناطق مختلفة من البلاد؛ ففي مكة ٣٥٠ تحت قيادة إبراهيم آغا ـ توماس كيث الأسكتلندي ـ والشريف يحيى، وما بين ٣٠٠ و٤٠٠ في المدينة بقيادة

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٥٩ ـ ١٦٠).

(٢) وادي لِيَّة: من أودية (الطائف). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٤٩٨/٣).

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٢ ـ ١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٥). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٤ ـ ٧٥).

ديوان أفندي و٣٠٠ كانوا في قلعة جُدَّة، ومثلهم في ينبع، أمَّا الباقون فكانوا إمَّا مع محمد علي نفسه أو مع حسن باشا وأخيه عابدين بِكْ بمثابة طليعة متقدّمة للجيش في جنوب الطائف، وقد وُضِعَ ٤٠٠ جندي من البدو تحت قيادة الشريف راجح، أحد أقارب غالب، الذي كان أحد قادة الوهابيين المشهورين في الحجاز فتمكَّن محمد علي من إقناعه بالانضمام إليه»[١].

كما تعزَّزت قوة الأتراك بثمانمئة فارس من جنود مرتزقة من بدو ليبيا[٢]، وقد قدموا القاهرة وتحرّكوا منها إلى الحجاز، وكانت مهمتهم الاستطلاع والهجوم في جهات متعددة، وكانوا ذوي بسالة وعلم بأساليب الحرب[٣].

* مذبحة تربة.

كان الذي يقود الهجوم على تربة هو محمد علي باشا بنفسه، مصطحباً معه مدفعية حسنة التجهيز مكوَّنة من اثني عشر مدفع ميدان وخمسمئة فأس لقطع نخيل تربة، واصطحب معه أيضاً جموعاً من البنَّائين والنجارين ليعملوا حفراً يعبِّئونها بالألغام المتفجِّرَة[٤].

---

(١) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٢ ـ ٧٣).

(٢) من عرب الجوازي، الذين مرَّ ذكرهم في هذا الفصل حين البحث في بدء تحرّك جيش طوسون باشا من مصر.

(٣) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٧٦).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٥ ـ ١٦٦). وأندرو كرايتون، المصدر السابق (٧٥ ـ ٧٦).

أمَّا السعوديون فلم يهتمّوا بتلك الاستعراضات التركية المغرورة، فقد كتب الشيخ بخروش بن علَّاس الزهراني رسالةً ساخرة إلى محمد علي باشا ينصحه بالعودة إلى مصر ليجهّز جيشاً خيراً من جيشه الذي أحضره إلى الحجاز إذا أراد محاربة أهل تلك البقاع، وقد غضب محمد علي باشا من رسالة بخروش وتملّكه الغيظ منه[١].

المقصود؛ وصل محمد علي باشا إلى كُلاخ[٢] في صفر ١٢٣٠هـ/يناير ١٨١٥م[٣] حيث كان في انتظاره حسن باشا وأحمد بونابرته ودبوس أوغلو والشريف راجح وزعماء آخرون.

في تلك الأثناء كان السعوديون قد أعادوا سيطرتهم على بسل، ولكن كان عدد الفرسان قليلاً ولم يكن معهم مدفعية إطلاقاً، بخلاف جيش الترك المدجَّج بالبنادق والمدفعية والفرسان[٤].

كان السعوديون يسيطرون على سفوح الجبال المحيطة بالموقع، فَدَبَّ الرعب في الأتراك من رماح السعوديين المصوَّبة ناحيتهم، وقد أدرك محمد علي باشا أنَّه لن ينتصر مادام السعوديون يسيطرون على

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٣) بحر برا، وحدة الحفظ (٧٧)، بتاريخ ١٤ جمادى الأولى ١٢٢٩هـ/ ٤ مايو ١٨١٤م (١٧١/٢). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٢).

(٢) كُلاخ: قرية وسط (وادي كلاخ) أعطت اسمها للوادى فَسُمِّيَ بها. و(كلاخ) هو أسفل (وادي بسل)، على بعد ٤٦ كلم، قاعدته بلدة (السدير) للنفعة من بني سعد. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٤٤٧).

(٣) انظر: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (١٣٧).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٦٨ ـ ١٦٩).

سفوح الجبال، فقرَّر أن يخدعهم بجرِّهم إلى السهل، وقد نجح، ولم يستمرّ الاشتباك سوى مدَّة خمس ساعات تمكَّن محمد علي من تحقيق النصر عليهم، **فأمر الباشا أنْ يُعلَن عن جائزة مالية لكل جندي يأتي برأس سعودي، وفي ساعات قليلة كُدِّسَت أمام الباشا خمسة آلاف من تلك الرؤوس، كانت المذبحة هائلة، فإذا الميدان كلّه مفروشاً بجثث السعوديين المقطَّعة رؤوسهم**[١].

وعن تلك المجزرة يقول المعتمد البريطاني في البصرة السير بريدجز: «**بدأت المذبحة في صفوف الوهابيين، ولأنَّه كان قد أُعلِنَ أنَّ سِتَّة ريالات فرانسية ستدفع ثمناً لرأس كلّ وهابي، فيمكننا أن نتصور بسهولة كيف كان الأتراك يقومون بتنفيذ مثل تلك العمليات بكلّ نشاط وحيوية**. لقد قيل: إنَّه خلال ساعات قليلة تمّ طرح خمسة آلاف رأس عند أقدام الباشا بهذا الثمن»[٢].

* صورٌ من بسالة الأبطال السعوديين في تلك المعركة.

كان الشيخ بخروش بن علَّاس الزهراني في تلك المعركة الباسلة قد قتل اثنين من ضبَّاط الباشا بيده، وعندما قُتِلَ حصانه تحته، قاتل على قدميه بين الفرسان الأتراك، حتى وَجَدَ فرصة في جذب فارس تركي من حصانه ثم امتطاه بسرعة، ونجا من بنادق الترك ومدافعهم.

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol.2. P.734. وانظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٢). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٧ ـ ٧٩). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٢). وجيرالد دو غوري «حكَّام مكَّة» (٢٧٤ ـ ٢٧٥)

(٢) السير بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٧٩).

أمَّا ابن شكبان زعيم بيشة فإنّه قاتل ببسالة، ثمَّ لما رأى الترك طوَّقوه، شقَّ مع أصحابه أهل بيشة صفوف المشاة من عساكر الترك.

أمَّا رجالات عسير فقد أقسموا بالطلاق بعدم الفرار وأن يعودوا منتصرين إلى أُسَرِهِم، فحاربوا بِبَسَالةٍ من يريد الشهادة، وبعد المعركة وُجِدوا فوق التلال مربوطة أرجل بعضهم إلى أرجل الآخرين منهم بحبال، وقد ظلّوا يحاربون حتى نفدت ذخائرهم، مُفَضِّلين أن يموتوا إلى آخر رجل منهم، ثمَّ مُزِّقوا إرباً بعد ذلك[١].

يقول أندرو كرايتون عن بسالة السعوديين في تلك المعركة: **«كانت الشجاعة وحدها هي ما لدى الوهابيين لمواجهة المهارة الحربية والخبرة [التركية]، ولم تَخنهم تلك الصفة النبيلة إلى النهاية؛ فحتَّى في أعظم لحظةٍ حرجة بقوا محاربين مدة معتبرة»[٢].**

* العثمانيون يعذبون السعوديين بالخازوق.

كان محمد علي باشا قد أسر ثلاثمئة سعودي، وقد أعطاهم الأمان باسترحام من بعض العرب الذين خدموا الباشا، **ولمَّا وضعت الحرب أوزارها قام محمد علي باشا بقتل الأسرى السعوديين الثلاثمئة كلّهم، فقد خَوْزَقَ الجنود الأتراك كثير من السعوديين الأسرى وهم أحياء أمام بوابات مكّة، وخُوزِقَ بعض السعوديين الأسرى في المحطات التي في الطريق إلى جُدَّة، أما البقية فقد تُرِكَت جثثهم عند**

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٤ ـ ١٧٥). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٠ ـ ٨١).

(٢) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٨ ـ ٧٩).

أسوار البلدة تفترسها الكلاب والنسور[١].

بعد تلك الحوادث خرج فيصل بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود من تربة وتوجَّه إلى رنية وتفرَّق الأمراء في نواحيهم، ثمَّ رحل فيصل من رنية إلى نجد، ونازل الترك بلد تربة واحتلّوها[٢]. وقد أُرسِلَت أخبار انتصار الترك في تربة فوراً إلى القاهرة وإسطنبول[٣].

* سقوط بيشة ورَنْيَة وتبالة.

رَحَلَ محمد علي باشا وعساكره التركية من تربة في الحال وساروا إلى بيشة ونازلوا أكلب[٤] الذين صمدوا مُدَّة، ولكنَّهم لم يستطيعوا صدّ جموع الترك ومدافعهم فاستسلموا بعد المقاومة[٥].

ثم سار محمد علي باشا قاصداً رنية، وكان ابن قطنان شيخهم

---

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٦). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٧٩) (٨١). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٣). وجيرالد دو غوري «حكَّام مكَّة» (٢٧٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٢/١).

(٣) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨١).

(٤) أكلب: واحدهم أكلبي. وبلادهم أسفل (وادي بيشة) و(وادي تبالة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٢٧).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٤٥/٤). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٧). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٢). وجيرالد دو غوري «حكَّام مكَّة» (٢٧٧).

قد أقام حصناً صغيراً فانفتحت أبوابه أمام ضرب الأتراك[١].

بعدها تحرّك الباشا إلى تبالة فنازلهم شعلان أمير الفزع وشمران[٢] في قصره ثالث عشر صفر ١٢٣٠هـ/٢٥ يناير ١٨١٥م، ورموه بالمدافع والقنابر فثلموه، وقُتِلَ شعلان وغالب من كان معه نحو مئة رجل[٣]، وذلك أنَّ شعلان لمَّا هجم الترك على بلدته أُعطيَ الأمان إن سلَّمَ ورحل عن البلدة، وفعل (بحسب بوركهارت) وذهب إلى خيمة حسن باشا، **فتطاول هذا التركي على شعلان، فأخذت شعلان أنفَة العرب فردَّ عليه بشجاعة، فغضب التركي عليه وغَدَرَ بشعلان حين خرج الأخير مع قومه من الخيمة، فأرسل حسن باشا جنوده في إِثْرِهِم، فانقضّوا على شعلان وصحبه بغتةً ومزَّقوهم ببنادقهم ومثَّلوا بجثثهم**[٤].

ثمَّ سار الباشا إلى بقية قرى بيشة، فقاومه فهَّاد ابن شكبان ولكنه انهزم بعد صموده أمام مدافع الترك، فلم يبق للترك منازع في بيشة[٥]، بعد أن قام الترك بقصف البلدات قصفاً متتالياً بقذائف نارية

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٨٨ ـ ٤٨٩).

(٢) شمران: من خثعم، منهم: شمران الشام وشمران تهامة. وبلادهم تقع غرب (بيشة) على طريق (الطائف) في (السراة) منحدرة غرباً إلى (تهامة) جنوب (بلاد غامد) وغرب (شهران) وشمال (خثعم) و(بلقرن). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٣/١).

(٤) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٧٨).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٣/١).

أشعلت البيوت والأسواق المسقَّفة بالخشب والجريد، فتحوَّلت بيشة فوراً إلى كتل من اللهب التي لم يستطع تحمّلها حتى المهاجمين الأتراك[١].

* الأتراك يصلون إلى وادي شَهَرَان (وادي ابن هَشْبَل) والطلحة وغيرها.

بعدها سار محمد علي باشا إلى وادي شهران[٢] فاستطاع بمدافعه وقنابره أن يقضي على كلّ مقاومة صادفته في ذاك الوادي، فسقطت في أيديهم جموع رزحان[٣] ورعاياهم وسقطت بلاد محمد بن

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٢).

(٢) وادي شهران: في إمارة بلاد (عسير). وفي وادي شهران قرى كثيرة منها: قرية (الشعب) و(القبولة) و(الصيحلني) و(الجر الأسفل) و(الجر الأعلى) و(القلت) و(البهيمة) و(الدحض) و(الرهوة) وغيرها. انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير» (٤١). وعلي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٩٢٩/٢). وأخبرني الشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط محافظ (خميس مشيط) سابقاً وعميد أسرة آل مشيط الشيوخ المعروفين: بأنَّ (وادي شَهَرَان) هو اسمه قديماً، ثمَّ عُرِفَ باسم (وادي ابن هَشْبَل) على آل ابن هَشْبَل الشيوخ المعروفين من أهل الوادي.

(٣) هكذا سمَّاه ابن بشر ولم يُعَرِّف به، ولم يوضِّح محقِّق الكتاب آل الشيخ من هو. فَبَحَثْتُ عن «رزحان»؛ فلم أجده فيما توفَّر لدي من مصادر ومراجع. ثمَّ اتصلتُ على نائب القضاة شريف قحطان الشيخ المؤرِّخ سعيد ابن الشيخ محمد القاضي، فأوصلني بالشيخ عبدالعزيز بن سعيد بن مشيط محافظ (خميس مشيط) سابقاً وعميد أسرة آل مشيط الشيوخ المعروفين، قال لي: «رزحان هذا: شهراني من بني بجاد أهل وادي ابن هَشْبَل الذي كان يسمَّى قديماً وادي شَهَرَان».

واكد من شهران وبلاد مشيط صاحب الخميس[١].

ثمَّ سار الباشا محمد علي إلى بلدان طامي بن شعيب المتحمي، ومدافع الباشا تضرب وقنابره تتساقط على تلك البلدان[٢]، وبالرغم من ذلك ثبت لقتال الترك جموع طامي وعسير وألمع وبني الأحمر[٣] وبني الأسمر[٤]، وكلّ هؤلاء رتَّبوا جموعهم وفرقهم وكتائبهم لمقاومة الأتراك في الطلحة[٥] وفي

(١) هو مشيط بن سالم جدّ الأسرة التي تعاقبت منصب مشيخة قبيلة شهران من حقبة قديمة حتى الآن، ويطلق (خميس مشيط) على عدَّة قرى قائمة على عدوتي ملتقى كلّ من (وادي عتوَد) و(وادي بيشة أراشة). انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (٢٨).

(٢) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٢ ـ ٨٣).

(٣) بنو الأحمر: من قبيلة الحَجْرِ، وأحدهم أحمَريّ، وأقسامهم باعتبار منازلهم: بنو الأحمر في (السراة) وبنو الأحمر في (تهامة) وبنو الأحمر البادية. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١٩ ـ ٢٠).

(٤) بنو الأسمر: وينطق الاسم أحياناً بتشديد اللام (بَلَّسْمَر)، وهي إحدى قبائل الحَجْر والنسبة إليها أسْمَريّ. وتقسم القبيلة بحسب منازلها إلى ثلاثة أقسام: بنو الأسمر في (السراة)، وبنو الأسمر في البادية، وبنو الأسمر في (تهامة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٢٢ ـ ٢٣).

(٥) الطَلْحة: قسم من أقسام آل عبيد من آل مشيب في قرية على اسمهم تقع في أعالي (وادي تبالة) بجانب (الرجمة) جنوب مدينة (سبت العلايا) بمسافة ٤ كم. وهناك أيضاً (الطلحة) من قرى بني واهب اسم قريتين أحدهما تقع على جانب (وادي المسيرق) والأخرى على جانب (وادي هرجاب). وهناك (الطلحة) قرية يسكنها من بني مالك عسير وبعض ربيعة ورفيدة تقع ما بين قرية (آل حامد) وقرية (آل الرعيني) في وادي على اسمها يرفد (وادي طبب) وبجانبها قرية صغيرة تسمَّى (سر الطلحة) جنوبيها، وتقع قرية (الطلحة) شرق =

الحصون[١] وفيها حوان[٢] وفي بني مغيد[٣] وفيها طامي[٤].

ثمَّ زحف محمد علي باشا بجموعه التركية على الطلحة، فقاتله حوان العسيري ومن معه وصار على الترك هزيمة، وتبعهم حوان وأهل الطلحة وطاردوا ساقة الترك إلى معسكرهم. ثم رجع الترك واستطاعوا هزيمة حوان عن طريق الخيانة والدسيسة، فانهزم حوان وأهل الطلحة وتزبَّنوا رؤوس الجبال[٥].

ثمَّ سارت جموع الباشا محمد علي إلى قصر طامي بن شعيب ونازلوا مَنْ فيه، وتسلَّطت قذائف مدافعهم على من بالقصر تضربهم ضرباً

= مركز إمارة (طبب). أيضاً: (الطلحة) اسم وادي ينحدر من (ظيران القاعة) و(جبل الظهر) ويسيل (وادي الغول) أحد روافد (وادي يعري). وهناك (الطلحة) من قرى بني مالك من شهران بمنطقة (تمنية) جنوب شرق مركز (الشعف) بمسافة ١٤ كلم، وتشمل (ركبة البر) تقع بجانب (بلقرن). انظر: علي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (١٠٢٧/٢).

(١) الحصون: قرية في (وادي ترج/ تري) من أودية بني شهر في عسير. انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (٤٩ ـ ٥٠).

(٢) حوان العسيري كان ضمن قادة الجيش السعودي مع طامي بن شعيب المتحمي. انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (١٧٥).

(٣) بنو مغيد: من عسير، وأحدهم مُغَيْدي. و(بلاد مُغيد) حول حاضرتهم مدينة (أبها)، يحدّها شرقاً (شهران)، وشمالاً (عَلكم) و(بنو مالك)، وغرباً (ألمع) وجنوباً (قحطان) و(شهران) و(بنو شعبة). انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٧٩٠ ـ ٧٩١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٣/١ ـ ٣٧٤).

(٥) انظر: المصدر السابق (٣٧٤/١).

شديداً حتى أثَّروا بمن تحصَّن فيه، فخرج محمد بن أحمد[1] واستأمن على نفسه وعلى أهل الحصون، وأن يتركوا لهم ما في الحصون من سلاح ومال ومتاع، لكن محمد علي باشا خان ذلك العهد والأمان لما استولى على الحصون، فقام بضربها بمدافعه وهدمها، ثمَّ أرغم محمد بن أحمد على الطاعة، هذا في الوقت الذي كان فيه طامي بن شعيب لازال متمسكاً بالمقاومة في قمَّة تهلَّل[2] الجبل المعروف[3].

* صفة أسر الشيخ بخروش بن علاّس وقتله.

في ظلّ تلك الحوادث؛ كان الشيخ بخروش قد هُزِمَ في بلاده زهران، ولوقوعه بين نارين وقع أسيراً في يد الترك[4]، وأُرسِلَ معتقلاً إلى الباشا، ولم يغتفر الباشا محمد علي قطّ لبخروش رسالته التي أرسلها من تربة وسخر فيها من الباشا.

---

(١) محمد بن أحمد الرفيدي: تولَّى إمارة عسير خلفاً لطامي بن شعيب عام ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م، حارب الترك مُدَّة، ثمَّ قبضوا عليه وأرسلوه إلى مصر حيث توفِّيَ فيها. انظر أخباره عند: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (١٢٣) (١٤٥) (١٥٩ ـ ١٦٣). مع التنبيه أنَّ صاحب «الديباج الخسرواني» اتَّهَم محمد بن أحمد بعض الاتِّهامات التي لا تنبغي لمؤرِّخ.

(٢) جبل تهلّل: أرفع قمَّة في بلاد (عسير) بل في جزيرة العرب. تقع قرية (السودة) في قمَّته الجنوبية. وينحدر من (النامَة) وهي قمَّة (جبل تهلّل) وادٍ يسمّى (وادي تهلّل). انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (١١٩). وعلي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٣٢٢/١).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٤/١).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩١).

وقد حاول بخروش الهرب من معتقله إذ استغلّ غفلة حرَّاسه فقتلهم، ولكنه وقع في قبضة مطارديه الذين قاومهم بخنجره، ثم اقتادوه وقتلوه بوحشية مدروسة ترضي الباشا محمد علي، فقد وُضِعَ الأسير بخروش ويداه مصفَّدتان خلف ظهره في الوسط، وأُمِرَ الجنود أن يقطّعوه بسيوفهم ببطء حتى يموت قطعة قطعة. كان تعذيبه قاسياً ومطوَّلاً، لكنَّه قضى آخر الأمر بدون أن ينطق بشكوى واحدة[١].

وأُرسِلَت جثة الشيخ بخروش إلى القاهرة مقطوع الرأس، ثم أُرسِلَ الرأس إلى إسطنبول، فطافوا برأسه الموضوعة في كيس أسواق المدينة[٢].

* صفة أسر الشيخ طامي بن شعيب المتحمي وقتله.

انصرف محمد علي باشا وعساكره التركية من طريق عقبة تَيَّه[٣] على تهامة قافلاً، وأرسل طلباً في ساقة طامي بن شعيب، فأدركته

(١) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٨٣ ـ ١٨٤). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٤).

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٨٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٢). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٥). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٣٥ ـ ١٣٦).

(٣) تَيَّه: اسم علم لوادي تنحدر مياهه من (عقبة شعار) و(وادي طبب) المنحدر من (جبل تهلل) ويتجه للغرب حتى يلتقي بـ (وادي حلي) غرب مدينة (محايل) بجانب قرية تحمل اسم (تيه الصناع). انظر: هاشم النعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر» (٥٧). وعلي إبراهيم الحربي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ منطقة عسير» (٣٢٧/١).

عساكر الترك وهو متوجِّهاً إلى حصن في تهامة اسمه مسلِّيَة[١]، ثمَّ توجَّه بعدها إلى الحقو[٢]، وواصل السير حتى وصل إلى يحيى بن محسن النعمي (ت: ١٢٦١هـ/١٨٤٥م)[٣] في قرية الدهنا[٤] وشكى عليه ما لاقاه، فأشار عليه النعمي ألَّا يذهب إلى الشريف حمود (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٧م)[٥]، بل عليه أن يتوجَّه إلى الجبال الشرقية ليختفي خبره بالكليَّة.

---

(١) مُسْلِيَة: قرية معروفة في (وادي بيش)، وهي اليوم منطقة ذات قرى فيها إمارة من إمارات منطقة (جازان). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٣/١٣٣٥). ومحمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (٣٨٨).

(٢) الحقو: بلدة معروفة شرقي قرية (بيش) في ميل إلى الجنوب. انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٥٢).

(٣) يحيى بن محسن النّعمي: من علماء (المخلاف السليماني). انظر: تعليق إسماعيل البشري على كتاب «الديباج الخسرواني» (١٣٩) في الحاشية، من تأليف: الحسن بن أحمد عاكش.

(٤) الدهنا: قرية من قرى (وادي بيش) غرب قرية (العالية). انظر: محمد أحمد العقيلي «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ مقاطعة جازان/ المخلاف السليماني» (١٨٤).

(٥) الشريف حمود بن محمد بن أحمد الخيراتي: كان أعطى الولاء للدولة السعودية الأولى، ثمَّ تحوَّل إلى حالٍ معاكسٍ لها مع مجيء حملات محمد علي باشا. انظر أخباره وترجمته عند: عبدالرحمٰن البهكلي «نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود» الذي خصَّصَه البهكلي لفترة حكمه. ومحمد بن علي الشوكاني «البدر الطالع» (١/١٦٣ ـ ١٦٤) (١٨٣). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩١).

إلَّا أنَّ طامي قصد الشريف حمود، ولمَّا اقترب من دياره أرسل إليه حسن بن خالد (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[١] يستقدمه إلى صبيا، **فلما قدمها طامي أمسكه حسن بن خالد وأوثقه بالحديد، ولم يلتفت إلى قول أهل العذل والتفنيد**[٢]، **ثمَّ بعث به إلى محمد علي باشا**[٣] **فسيَّره الباشا إلى مصر وصلب فيها**[٤]، **ثمَّ أُرسِلَت جثته إلى إسطنبول وقُطِعت رأسه عن جسده هناك**[٥].

ويَذكر مؤرِّخ مكة أحمد زيني دحلان **أنَّ القبض على الشيخ طامي بن شعيب كان بتدبيرٍ من الشريف راجح؛ لأنَّ الشريف راجح قد ترك الوقوف مع دولة آل سعود وذهب إلى محمد علي باشا بعد أن وصل الأخير إلى الحجاز، وقد أنعم عليه محمد علي باشا بمالٍ كبير، فلم يزل راجح ينصب الحبائل لطامي حتى قبض عليه**[٦].

وأثناء دخول الشيخ طامي بن شعيب إلى مصر رافقته مظاهر

---

(١) حسن بن خالد الحازمي: كان قائداً ووزيراً للشريف حمود. توفِّيَ سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م. انظر أخباره عند: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (٦٣) (٧٨) (٨٥) (٩٩) (١٠٢) (١٠٨) وغيرها صفحاتٌ طِوال.

(٢) انظر: الحسن بن أحمد عاكش «الديباج الخسرواني» (١٣٧ ـ ١٣٩).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٤٦/٤). وجوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٨٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩١). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٨٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٤/١ ـ ٣٧٥).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٢).

(٦) انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٨ ـ ٣٨٩).

احتفال الترك هناك وابتهاجهم بالقبض عليه وأسره، حيث سيَّرَه الباشا محمد علي من جُدَّة إلى السويس، ثمَّ لمَّا دخل القاهرة سارت أمامه جموع العساكر، وبعدها أدخلوا طامي للقاهرة، وفي ذلك يقول الجبرتي: **«دخلوا بطامي المذكور وهو راكب على هجين وفي رقبته الحديد والجنزير مربوط في عنق الهجين، وصورته رجلٌ شهمٌ عظيم اللحية، وهو لابس عباءة عبداني، ويقرأ [القرآن حفظاً] وهو راكب، وعملوا في ذلك اليوم شنكاً ومدافع»**[١].

* احتلال الخبرا والرس.

عاد محمد علي باشا إلى مصر في ٩ ربيع الأول ١٢٣٠هـ/٢١ مارس ١٨١٥م، في الوقت الذي كان فيه طوسون باشا في المدينة النبوية يجهِّز العساكر إلى نجد[٢]، **فاستطاع بعساكره التي كانت قد هيمنت مرة أخرى على الحناكية أن تسير ومعها العربان الكثيفة التي تعاونت معهم، فاحتلَّ طوسون الخبرا[٣]، ثم احتلَّ بلدة الرس[٤] بعد المقاومة، واستولت أيضاً على ما حول الرس من القصيرات والمزارع**

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٣٤٦).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

(٣) الخبرا: بلدة من البلدان الرئيسية في غرب (القصيم) غربي (الجواء) وإلى الشرق الشمالي من (الرس). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٣/٨٦٣) (٨٦٦ ـ ٨٦٧) (٨٧٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٣).

مثل ضرية[١] ومسكة[٢] والبصيري[٣] ونَجْخُ[٤] وغيرها[٥].

فلمَّا بلغ الإمام عبدالله احتلال طوسون للخبرا والرس ومحيطهما، استنفر عبدالله أهل جبل شمَّر وأهل القصيم وأهل وادي الدواسر وأهل الأحساء وأهل إمارات الساحل الشمالي في إقليم عمان وما بين تلك النواحي، وخرج عبدالله من الدرعية في جمادى الأولى ١٢٣٠هـ/أبريل ١٨١٥م، واجتمع عليه أتباعه ونزل المِذنب[٦]، ثمَّ رحل منها إلى الرويضة[٧] قريباً من الرس[٨]، فخرجت عساكر الترك

---

(١) ضَرِيَّة: إحدى قرى إقليم (القصيم)، وهي بعد (طخفة) قبل (عريق الدسم). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٤١٢/٤) (١٤٢٠).

(٢) مِسْكَه: قرية صغيرة في إقليم (القصيم) تقع إلى الشرق من (ضرية). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢٢٦٢/٦).

(٣) البصيري: من قرى (بريدة) بمنطقة (القصيم) من هِجَر بني عمرو من حرب. وتقع (البصيري) في مجرى وادٍ صغير يسمَّى (وادي البصيري). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٥٨٩/٢). وحمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (٢٨٠/١).

(٤) نَجْخ: مورد ماء يقع في إقليم (القصيم) إلى الشرق من (عريق الدسم) وإلى الشمال من (جبال شعبى). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٢٤٠١/٦).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٦/١).

(٦) المِذنب: بلدة ذات قرى، إمارتها إحدى إمارات منطقة (القصيم). انظر: حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ معجم مختصر» (١٢٩٦/٣).

(٧) الرويضة: نخيل ومزارع تابعة لـ (الرسِّ) تقع إلى الشمال من مدينة (الرسِّ). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد الصيم» (١٠٧٩/٣ ـ ١٠٨٠).

(٨) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣١/١٢).

من الرس وحصل منهم رمي بالمدافع على جيوش عبدالله ولم يتقارب الطرفان في القتال.

أثناء ذلك علم عبدالله أن طوسون تحرَّك من المدينة النبوية إلى ماء يقال له الداث[١] قرب الرس، فتوجَّه عبدالله بجيوشه وأراد أن يبغت طوسون وجيشه ويناجزهم عند الداث، ولكنَّ طوسون كان أسرع في التحوّل من الداث إلى بلدة الرس مباشرة ولم يدركه عبدالله[٢].

كانت الغارات السعودية تَبْغَت عساكر الترك التي تحتل الرس، واستهدفت هجماتها الشبيبية[٣] التي احتلها الترك وعسكروا فيها، لقد كانت غارات شديدة يقوم بها فرسان سعوديون ينطلقون من عنيزة ويغيرون على الترك في الشبيبية والرس ويعودون دون أن تدركهم مدافع طوسون باشا[٤].

---

(١) الداث: وادٍ في (القصيم) يبتدأ سيله من قُرب منطقة (مسكة) جهة (جبل طخفة) وشرقي (شعبى). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٩٤١/٣ ـ ٩٤٣).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٦/١ ـ ٣٧٨).

(٣) الشبيبية: كائنة بين (عنيزة) و(الخبرا) وقت حرب طوسون باشا، واليوم تفصل بينها وبين (الخبرا) قرى (البدايع). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١١٩٥/٣ ـ ١١٩٦).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣١/١٢). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٩٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٧ ـ ١٧٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٧/١).

*** حرب الشوارع في الرسّ.**

دبَّت المقاومة الشعبية في كثير من أهالي الرس، فأخذوا يحاربون الترك في بعض الشوارع والحارات، ولمَّا اشتدّ الطراد والنزال؛ اتخذ أهل الرس من قلعة الشنانة(١) فوق الرس مكاناً يتحصنون به من الترك، فسار إليهم الترك وحاصروهم حصاراً شديداً متعباً، يصحبه رمي المدافع وتساقط القنابل عليهم وتفخيخ أسوار القلعة، ولكن أهل الرس المحتصرين بالقلعة ثبتوا وقاتلوا الترك قتال من يطلب الموت، فقُتِلَ من الترك قتلى كثيرة، فاضطرّت عساكر الترك لفكّ الحصار عن القلعة، بل إنَّ معسكر الترك في الشبيبية اضطرّ لرفع خيامه والرحيل عنها بسبب غارات السعوديين عليه، ورجع الترك لثكناتهم التي كانت في الرسّ المحتلة(٢).

وإدوارد جوان يؤكّد أنَّ طوسون باشا اضطرَّ إلى نقل مخيَّم جيشه إلى مكانٍ آخر في الرسّ أيضا، وأنَّه أرسل بعض فصائل جنده الترك إلى البكيرية(٣) ليحصل منهم على تموين لعساكره، **فاستقبل أهل البكيرية الأتراك الذين أتوهم لابتياع الأقوات استقبالاً يليق بهم، فقد أطلق أهل البكيرية على الأتراك وابلاً من الرصاص ليمنعوهم من دخول البكيرية وليُعلِموهم ألّا تموين للترك عند أهل البكيرية، فأرسل إليهم طوسون باشا مدافعه فدكَّت أسوار البكيرية دكّاً عنيفا، وحاصرها**

(١) الشنانة: تقع على الضفَّة الجنوبية لـ (وادي الرُّمَة) على بعد حوالي ٦ كلم منه. انظر: محمد ناصر العبودي «معج بلاد القصيم» (١٢٨٩/٣).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٧/١ ـ ٣٧٨).

(٣) البكيرية: من مدن (القصيم). تبعد عن (بريدة) ٥٢ كلم. انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٦٢٠/٢ ـ ٦٢١).

أربعة أيام وقتل ٢٠٠ من المحصورين، ثمَّ هدم منازل أهل البلدة لَمَّا عَلِمَ أَنَّهم تعاونوا مع أهل الرسّ على الفتك بالأتراك[١].

* حرب استنزاف عند الحجناوي، وانعقاد الصلح بين عبدالله وطوسون.

رابط عبدالله بجيوشه حول الرس والخبرا مريداً حصار الترك، **فاتخذ ماء الحجناوي[٢] موقعاً تنطلق منه غاراته تجاه الخبرا والرس[٣]، وظلَّ السعوديون في الحجناوي يصابرون الترك مدة شهرين تقع خلالها مقاتلات ومجاولات بينهم من بعيد كحربٍ استنزافية للترك.**

فأرسل طوسون بعض رجالٍ من الأعراب التي تبعته إلى الإمام عبدالله يطلب منه المصالحة، فوقع الصلح وانعقد الاتفاق بين طوسون وعبدالله على وضع الحرب بين الفئتين، وأنَّ الترك يرفعون أيديهم عن نجد وأعمالها، ويكون الحجاز ومحيطه وجنوبه الذي هيمنوا عليه لهم[٤]، وأنَّ السابلة تمشي آمنة بين الفريقين من بلاد الترك والشام

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٥).

(٢) الحجناوي: قريةٌ ومزارعٌ تابعةٌ لمدينة (الرسِّ) تقع إلى الشرق من (الرسِّ) على بُعد ٨ كلم تقريباً. وهي في (وادي العاقلي) إلى الغرب من (البدايع). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٧٨٥/٢).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣١/١٢ ـ ٣٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٥)، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ/ ١١ سبتمبر ١٨١٥م (٢٣٩/٢).

ومصر وجميع ممالكهم إلى نجد والشرق وجميع ممالك عبدالله، وكلٌ منهما يحجّ آمناً، وكتبوا بذلك سجلاً، فرحل الترك من الرس في أوّل شعبان/يوليو ١٨١٥م متوجهين للمدينة، وبعث عبدالله معهم بكتاب الصلح يحمله عبدالله بن محمد بن بَنْيَان(١) صاحب الدرعية والقاضي عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم(٢) ليعرضوه على محمد علي باشا في مصر(٣).

ويخبرنا المؤرّخ المصري الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي عن تلك السفارة السعودية لمصر قائلاً: «حضرت من جماعة الوهابية نحو العشرين نفراً من الأنفار إلى طوسون باشا، ووصل منهم اثنان إلى

(١) عبدالله بن محمد بن بَنْيَان: من قبيلة سبيع. وهو من علماء (الدرعية) في القرن الثالث عشر. انظر ترجمته وأخباره عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦١/٤). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٣٩٢/٤ ـ ٣٩٤).

(٢) عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم بن مشرف: من الوهبة، حفيد الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ابن ابنته. وُلِدَ سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٩م. قال عنه ابن حميد: «باقعة الزمان ولسان ذلك الأوان، عجباً في الحفظ والاستحضار، داهية في مُحاولاتِ الملوك والأمراء» وذكر ابن حميد والبسَّام عنه أنَّه قد تولَّى القضاء في الدرعية زمن الإمام سعود وابنه الإمام عبدالله، ولمكانته اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء، فكفى في مهمته. وبعد أن استولى إبراهيم باشا على (الدرعية) ارتحل المترجَم له إلى (عنيزة)، وتوفي سنة ١٢٤١هـ/ ١٨٢٦م. انظر أخباره وترجمته عند: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٦١/٤). وعبدالله بن حميد «السحب الوابلة» (٦٨٨ ـ ٦٩٤). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٩/٣ ـ ١٦٧٠). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٣١٩/٣ ـ ٣٢٣).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٧ ـ ١٧٨). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٧٦/١ ـ ٣٧٩).

مصر، فكأنَّ الباشا لم يُعجبه هذا الصلح ولم يظهر عليه علامات الرضا بذلك، ولم يُحسن نُزل الواصلين، ولمَّا اجتمعا به وخاطبهما، عاتبهما على المخالفة، وانقضى المجلس وانصرفا إلى المحلّ الذي أمرا بالنزول فيه، ومعهما بعض أتراك ملازمون لصحبتهما مع أتباعهما في الركوب والذهاب والإياب.

فإنَّ الباشا أطلق لهما الإذن إلى أيِّ مَحلٍّ أراداه، فكانا يركبان ويمُرَّان بالشوارع بأتباعهما ومن يصحبهما ويتفرجَّان على البلدة وأهلها، ودخلا الجامع الأزهر في وقتٍ لم يكن به أحد من المتصدّرين للإقراء والتدريس، وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وعن الكتب الفقهية المصنَّفة في مذهبه، فقيل: انقرضوا من أرض مصر بالكليَّة. واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث مثل: الخازن[١] والكشَّاف[٢] والبغوي[٣] والكتب الستة المجمع على صحتها[٤] وغير ذلك.

وقد اجتمعت بهما مرتين، فوجدت فيهما أُنساً وطلاقة لسان واطّلاعاً وتَضَلُّعاً ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق وحسن الأدب في الخطاب والتفقّه في الدين واستحضار الفروع الفقهية واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف،

(١) هو كتاب «تفسير الخازن» لعلاء الدين الخازن.

(٢) هو كتاب «تفسير الكشاف» للزمخشري.

(٣) هو كتاب «تفسير معالم التنزيل» للبغوي.

(٤) هي كتب الصحاح الستة: «صحيح البخاري» و«صحيح مسلم» و«سنن النسائي» و«سنن أبي داوود» و«سنن الترمذي» و«سنن ابن ماجة».

واسم أحدهما عبدالله والآخر عبدالعزيز وهو الأكبر حسّاً ومعنى»[١].

* محمد علي باشا ينقض الصلح - ونقد كلام الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن وابن بشر.

لم يوافق محمد علي على ما تمَّ بين ابنه طوسون والإمام عبدالله بن سعود، وأصرَّ على أن يَقْدِم عليه الإمام عبدالله فيرسله إلى السلطان العثماني، وأن يُحضر معه ما سبق أن أخذه أبوه سعود من نفائس كانت موجودة في الحجرة النبوية الشريفة. ومن الواضح أن الإمام عبدالله أدرك ما يترتب على ذهابه إلى مصر، فرفض ذلك، وأخذ الطرفان يستعدان للحرب من جديد[٢].

ويرى **الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن** أنَّ الصلح انتقض لسبب: أنَّ تقسيم مواقع النفوذ قائم على أنَّ للإمام عبدالله نجد ومحيطها وشرقها وجنوبها، ولمحمد علي باشا الحجاز ومحيطها وجنوبها، فيذكر الشيخ عبدالرحمٰن **أنَّ الإمام عبدالله جرى منه ما أوجب نقض ذلك الصلح**؛ وهو أنَّه بعث برجلٍ من عنده إلى بعض القبائل التي كانت تحت هيمنة محمد علي باشا، وأَصحَبَ هذا الرجل بخطوط مضمونها: أن تكون تلك القبائل في طرفِهِ وأمرِهِ، وأخبرنا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن أنَّ الذين أرسل لهم الإمام عبدالله الخطوط بعثوا إلى محمد علي باشا

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب اثار» (٣٦١/٤) باختصار.

(٢) انظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٩٦). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٤٩٧) (٥٠١). وخليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٥٣). وعبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٢٠٠/١).

يخبروه بها، فَعَلِمَ محمد علي باشا فلم يَرْضَ بذلك، وقال: إنَّهم من جملة من وقع عليهم الصلح ليكونوا تحت نفوذ الباشا. فهذا سبب النقض(١).

وكلام الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ مردودٌ عليه؛ فمحمد علي باشا لم يَكُن مُخلِصاً لهذه الاتفاقية؛ فهذا المؤرِّخ الإنجليزي أندرو كرايتون ـ المعاصر لتلك الحوادث ـ يشهد على عدم إخلاص محمد علي لهذا الاتفاق وأنَّه تعمَّد نقض الصلح بلا مبرِّر، حيث يقول كرايتون: «**لم يكن محمد علي مخلصاً في عرضه للسلم، وقد وجد بسهولةٍ ذرائع لتجديد الحرب، فرسائله إلى** [الإمام] **عبدالله بالقبول كانت مُبهَمة جداً؛ لقد طلب إعادة الكنوز التي أخذها والده** [الإمام سعود الكبير] **من قبر النبي** [ﷺ]**، كما طلب أن تخضع الدرعيَّة لسلطة حاكم المدينة، ورفض أن يؤكِّد الاتفاقية ما لم يَتَخَلَّ الوهابيون له عن منطقة الأحساء.**

وكان الخداع إحدى أعظم صفات محمد علي والملامح الممقوتة في شخصيته، مع أنَّ ابنه [طوسون باشا] **قد أَبرَمَ اتفاقية سلام تُعَدُّ مُلزمة لجانبه كلّه، فإنَّه أظهرها بوجهٍ مختلف في إسطنبول. وأصبح واضحاً جليّاً لعبدالله الآن: إمَّا أنَّ الأمير الشاب طوسون كان قد خَدَعَهُ، أو أنَّ الأب بطلباته المسرفة قد أعطى برهاناً جديداً على احتقاره لجميع الاتفاقيات التي أبرمها**»(٢).

وحتَّى المؤرِّخ الشيخ خليل الرجبي ـ مؤرِّخ محمد علي

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات»، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٣/١٢).

(٢) أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٩٠ ـ ٩١) باختصار.

باشا - يأتي بشهادة تنقض ما ذهب إلى الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ؛ حيث يشهد الرجبي قائلاً: «**حضرة أفندينا محمد علي، في باطن الأمر وحقيقته ما رضيَ بالذي كان**[١] **ولم يركن إليه بفكرته، ومضت شهور وأيام وحضرته ينوي نقض ذلك الإبرام**»[٢].

وهذا المؤرِّخ المصري محمود فهمي المهندس ينقض ما ذهب إليه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن؛ حيث يقول المهندس: «**من المعلوم أنَّ محمد علي باشا ما كان مِصْدَاقاً على ما أجراه ابنه طوسون من عَقْدِ مثل هذا الصلح، ومن ثَمَّ وَجَدَ عِلَّة وحُجَّة في تجديد الحروب ووقوع الكروب في البلاد العربية والعشائر الوهابية، وكَتَبَ إلى عبدالله بن سعود بمكاتيب كانت غايةً من الإشكال والاختلاف في الأحوال والأعمال**»[٣].

أمَّا مؤرِّخ نجد عثمان بن بشر فقد أخبرنا عن **غزوةً تسمَّى محيط ومحرّش جعلها ابن بشر السبب في حدوث نقض الصلح مِن قِبَلِ محمد علي باشا**؛ إذ ذكر ابن بشر بأنَّه رَكِبَ إلى مصر رجالٌ من أهل بعض البلدان النجدية والبوادي وزخرفوا القول لمحمد علي باشا، وتلقَّى الباشا قولهم بالقبول فشمَّر في تجهيز العساكر إلى نجد مع ابنه إبراهيم باشا، وذلك بتقدير العزيز العليم[٤].

---

(١) يقصد الصلح.

(٢) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٥٣).

(٣) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٢/١).

وما قلتُهُ عن كلام الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ ينسحب على ما قاله ابن بشر؛ فمحمد علي باشا لم يَكُن لِيَأْتَمِرَ إلَّا بأمرِ حكومة الدولة العثمانية، وإليك دليل ذلك:

فهذه وثيقة تركية عثمانية تخبرنا: أنَّ الدولة العثمانية رفضت أن يكون ثمَّة صلح بين محمد علي باشا والإمام عبدالله بن سعود، وأرسلت الدولة العثمانية لمحمد علي باشا تدعوه قائلةً: «إنَّ الطائفة المذكورة[١] باعتبارها ولكونها مِن أجلاف العرب التي لم تثبت في كلامها، وتميل أمزجتها إلى الانتقام في أوقات الفرص، فإنَّهم معروفون بعدم الثبات في أقوالهم والتلوّن في أمزجتهم وباجترائهم على الثأر والانتقام عندما تحين الفرص. وعليه فإنَّه لا يمكن صرف النظر عن قهر وتنكيل الطائفة الخارجية، إذا لم تَذُق أدمغة العصاة من طَمَعِهِ. وقد يكون مثل ذلكم العفو والصلح مانعاً وحاجزاً لأخذ الدرعية المنتظر حصولها بهمم فخامتكم»[٢].

وحتَّى محمد بن حميد ـ المعروف بعدائه للدولة السعودية، والمعروف أيضاً بميله الواضح للعثمانيين ـ شهد بأنَّ محمد علي باشا هو الذي لم يُتِمّ عَمَل الصلح بينَهُ وبينَ الإمام عبدالله، وتشدَّد معه في عدم إتمامِهِ وقت رجوع ابنه طوسون؛ بسبب تأكيد السلطان العثماني محمود على محمد علي في قتال السعوديين[٣].

---

(١) تقصد السعوديين.

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٥)، بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠هـ/ ١١ سبتمبر ١٨١٥م (٢/٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٣) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢/٦٩٢).

الحاصل؛ أنَّ محمد علي باشا ـ بعد نَقْضِهِ للصلح ـ أخذ يعمل على تجهيز حملة جديدة ـ بأمر الدولة العثمانية ـ ضد الدولة السعودية، أسند قيادتها إلى ابنه إبراهيم باشا، توجَّهت تلك الحملة من مصر، فوصلت الحجاز في ذي القعدة ١٢٣١هـ/أكتوبر ١٨١٦م.



الفصل العاشر:

حملة إبراهيم باشا على نجد.

* حملة إبراهيم باشا على نجد؛ حملة عثمانية:

حقَّقت الدولة العثمانية هدفها باستعادة سيطرتها على الحرمين الشريفين وانتزاعهما من أيدي السعوديين كما مرَّ معنا سابقاً، ولكنَّ السلطان العثماني محمود الثاني كان يرمي إلى تحقيق هدف آخر أبعد مِمَّا سبق؛ يتمثَّل في القضاء على الدولة السعودية الأولى في جزيرة العرب بشكلٍ نهائي[١]، وفي ذلك يقول أمين الحلواني: «**إنَّ السلطان محمود أمر محمد علي باشا أنْ يستأصل مُلْكَ الوهابيين عن آخره، وأن يُبيدهم ويمحوَ ذكرهم ورَسمهم من الدنيا**»[٢].

ومثله قرَّر البارون الألماني إدوارد نولده Von Baron Eduard Nolde (ت: ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م)[٣]: أن محمد علي باشا والي مصر القوي تلقَّى الأمر من الدولة العثمانية بإخضاع الوهابيين

---

(١) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٣٢/٤).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥)، وكرَّر ذلك الأمر وقرَّره في (ص٢٠٥).

(٣) إدوارد نولده؛ البارون الألماني، أصله من (لتوانيا) ثم انتقل إلى (برلين). رحَّالة يكتب المقالات في الصحف. أنهى حياته منتحراً سنة ١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م. انظر ترجمته في: مقدِّمَة دار النشر الألمانية لكتاب البارون إدوارد نولده «رحلة إلى وسط الجزيرة العربية».

وتحطيمهم وكسر شوكتهم[١].

ومن أهل التراجم[٢] من يرى أنَّ محمد علي باشا لم يتمّ عمل الصلح بينه وبين الإمام عبدالله وتشدَّد معه في عدم إتمامه وقت رجوع ابنه طوسون؛ بسبب تأكيد السلطان العثماني محمود على محمد علي في قتال السعوديين. ومن أهل التراجم أيضاً[٣] من يرى أنَّ السلطان العثماني محمود قد أصدر أمراً صريحاً لمحمد علي باشا بمقاتلة السعوديين وأن محمد علي باشا أرسل ولده إبراهيم إلى نجد تنفيذاً لأمر السلطان.

ويذكر الكابتن سادلير George Forester Sadlier أنَّ إبراهيم باشا أخبره حين التقاه في المدينة النبوية قائلاً: «**إنَّ الحملة الموجَّهة ضدَّ الدرعية كانت نتيجةً لأوامر الباب العالي الموجَّهة لوالده** [محمد علي باشا]، **وأنَّه شخصياً لا يُدرِك أبعادها ولا الأهداف الحقيقية من ورائها، وكانت هذه الأوامر تُلزمه بتدمير الدرعية**»[٤].

وهذا ما تُؤكِّده الرسائل التي كانت ترسلها حكومة السلطان العثماني لمحمد علي باشا، حيث كانت تقول له ـ بألفاظها النابية ـ: «إنَّ حصول المقصود منوط بِهِمَم ذاتِكُم العَلِيَّة وإقدام نجلكم المشار إليه [إبراهيم باشا] بالتوفيقات السبحانية على تسخير الدرعية هذه،

---

(١) انظر: البارون إدوارد نولده «رحلة إلى وسط الجزيرة العربية» (٧٧ ـ ٧٨).

(٢) مثل: محمد بن حميد في كتابه «السحب الوابلة» (٦٩٢/٢).

(٣) مثل: محمد الشوكاني «البدر الطالع» (١٦٠/٢). وعبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٨٣٩/٢).

(٤) جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٤).

وقطع عروق شقاوتهم وقمع أصول مفسدتهم. إنَّ خدماتكم الجليلة هذه ستحرَّر في أوّل صحائف تواريخ الدهر والأزمان، كما أنَّها ستكون باعثة لدى السلطنة السَنيَّة على الامتداح والاستحسان، كما أنَّكم ستجرون اللازم نحو تحسين مصلحة درعية هذه بكسر أنوف نخوة هؤلاء الخوارج وقطع عروق مفسدتهم»[١].

وقد أجاب محمد علي باشا على طلب الحكومة العثمانية، قائلاً: «إن شاء الله أسعى جهدي وروحي في دفع الخارجي المذكور[٢] وإزالة وجوده من غير شبهة»[٣].

وفي رسالةٍ لمحمد علي باشا ردّاً على مكتوبٍ من الحكومة العثمانية بإسطنبول يقول فيها: «فكَّرتُ وصمَّمْتُ على أخذ الانتقام من أعداء الدين[٤]، وتصفية الدرعية بصرفِ مبالغ طائلة جداً»[٥].

وكانت وسيلة محمد علي باشا لتحقيق هذا الهدف حملةٌ عسكرية جديدة أُسنِدَت قيادتها هذه المرة إلى ابنه إبراهيم باشا سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م ليقاتل أهل نجد[٦].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١١ يوليو ١٨١٧م، ضمن «وثائق تاريخ شبه الجزيرة» (٣١٩/٢).

(٢) يقصد الإمام عبدالله.

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (١٥)، بتاريخ ١٢ ربيع الأول ١٢٢٤هـ/ ٦ مايو ١٨٠٩م (٩٦/١).

(٤) يقصد: السعوديين.

(٥) الوثيقة السابقة (٨٩/٢ ـ ٩٠).

(٦) انظر: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٤٢٤/١).

وسيأتيك بعد قليل أمر الدولة العثمانية على ولاتها في العراق ودمشق وصيدا وعلى شريف مكَّة بأن يشاركوا في تكاليف حملة إبراهيم باشا على أهل نجد؛ مِمَّا يعزّز تلك الحقيقة التاريخية التي تخلص إلى: أنَّ تلك الحملة عثمانية خالصة من ألفِها إلى يائِها.

* ترويج الدعاية عن أخبار ضخامة حملة إبراهيم باشا.

عمل محمد علي باشا على ترويج دعاية عن ضخامة حملة ابنه إبراهيم باشا وهي ما تزال في مصر ولم تتحرّك بعد؛ ليهزّ نفسية السعوديين ويرهبهم بأخبار تسليح جيشه الذي لا يقارن بأسلحة السعوديين البدائية[1].

ومن ذلك أنَّ الإمام عبدالله بن سعود أرسل هدايا ومراسلات مع مبعوثين من عِندِهِ[2] إلى محمد علي باشا، وعندما وصلا إلى القاهرة مَثُلا بين يدي محمد علي باشا وسلَّماه الرسائل، فاستقبلهما محمد علي باشا استقبالاً لائقاً، ثمَّ سَمَحَ لهما بالذهاب إلى رشيد[3] حيث طوسون باشا هناك، وأمر محمد علي باشا أحد ضبَّاط بلاطه بمرافقتهما، وأوصاه بأن يَمرّ بهما على كلّ الأماكن التي تعسكر فيها

---

(١) سيأتي بعد قليل بيان الفارق الكبير بين أسلحة السعوديين القديمة وأسلحة الترك العثمانيين.

(٢) قيل أنَّ المَبعوثين هما: محمد بن حسن بن مزروع وعبدالله بن عون؛ بحسب فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٠). أمَّا عثمان بن بشر في تاريخه «عنوان المجد» (٣٨٣/١) فيقول: أنَّ ابن مزروع هذا: هو حسن بن مزروع وليس محمد بن حسن بن مزروع.

(٣) رشيد: بليدة غربي النيل الغربي عند مَصَبِّهِ في البحر شرقي (الإسكندرية). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (١٩٣/١١).

القوات[١]، حتى يَرَيا حجم القوَّة التي أعدَّها محمد علي باشا لحرب أهل نجد.

فمرّ بهم أصحاب الباشا يفرّجوهم على المعسكرات والثكنات ومخازن معدَّات الحرب، فرأوا وفرة المعدّات وكثرة الجنود، ثمَّ لمَّا همّ رسل الإمام عبدالله بالإياب إلى نجد قال لهم محمد علي باشا: **«ها أنتم قد حصَّنتم المدن وحشدتم الجند وتأهَّبتم للقتال، وهو ما أنا موقن به، فأخبروا مولاكم بأنني أحذِّره كلّ الحذر وأدعوه إلى اتخاذ الحيطة لنفسه؛ لأنني سأرسل إليه الأمير إبراهيم الذي سيُنزل به وبحزبه العقاب الصارم، وسيكون حظّ عاصمتكم التلاشي والفناء، وخاتمة سكَّانها أن يُؤتى بهم إلى هنا، إمَّا أسرى وإمَّا قتلى، على أنَّه إذا حاسب عبدالله نفسه وحثَّها على الطاعة، وإلَّا أَخْضَعَتْه جنودي بقوَّة السيف، وإنَّه لجَدِيرٌ به الإسراع بالحضور لِيَصونَ بلاده من الخراب والنفوس البريئة من الهلاك، وإنِّي لمُمْهِله ما يريد من الوقت للتروّي، فلا تضيّعوا هذا الوقت فيما لا يفيد، واعلموا أنَّني طويل الصبر والأناة في الانتقام، ولكن ذلك ليس بدافعٍ له ولا بمانعٍ من أن يكون شديدا»**[٢].

ومن بين الأساليب الدعائية والتخويفية التي اتَّبعها الباشا محمد علي؛ أنَّه أرسل برسالة إلى الإمام عبدالله وأهل الدولة السعودية، يُخَوِّفهم بما أعَدَّه من جيش جرَّار لحربهم واستئصالهم، فقال في تلك الرسالة: **«سيصل إلى قُطرِكم ولدنا العزيز إبراهيم، فيُنزِلَ به الهلاك والخراب، ويَرمي أعناقكم بسيفه، ولا يدع في حاضرتكم حجراً على**

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٠ ـ ١٢١).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٠٧ ـ ٥٠٨) باختصار.

حجر، ويوجّه بكم إلى أعتاب جلالة السلطان»[١].

* النفير العام لمواجهة حملة إبراهيم باشا.

لمَّا أرسل محمد علي باشا رسالته التهديدية إلى الإمام عبدالله ورسالته التهديدية الأخرى لأهل نجد ـ حاضرتها وباديتها ـ، أيقن الإمام عبدالله ألّا مناص من الحرب، ولابدّ من حماية الدين والأرض والأهل والعيال، فعمل على إقامة الحصون والاستحكامات، وتفقَّدَ الأقاليم لهذا الغرض، واستوثق من وفرة الذخائر والمؤن وكفاية الجيوش المحشودة وإخلاص الزعماء والرؤساء وتعيين الفرق المخصَّصة لقطع خطّ الرجعة على العدو أو مهاجمة القوافل التي تموّن حملة إبراهيم باشا في مكان مرورها، ثم بثَّ في أوائل سنة ١٢٣١هـ/١٨١٦م رسله في أنحاء الحجاز يستحثهم الانتصار لإخوانهم في نجد ضدّ الحملة التي سيأتي بها إبراهيم باشا[٢].

ولقد وصف المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس وصفاً بديعاً ذلك النفير الذي قام به أهل نجد من أجل مواجهة الحرب التي سيشنّها إبراهيم باشا ضدَّهم، حيث قال المهندس: «**شرع [أهل نجد] في الاستعدادات الحربية من كلّ جهة، وخزَّنوا الذخائر والمؤن في القلاع والقرى والمدن، والتزم مشايخ العربان وكبار العسكر على تجديد قسمهم وعهودهم، وخطب الأئمة خُطَب الجهاد وحضّوا على**

---

(١) المصدر السابق (٥٠١ ـ ٥٠٢).

(٢) انظر: إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٠٩ ـ ٥١٠). وأندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٩١).

الحرب ومقاومة الأضداد، ولعنوا غشّ الترك وخديعتهم[(١)]، وجمعوا ثلاثين ألفاً من العساكر، وتعيَّن حكّامهم من أهل الحزم والتدبير المتدربين في الحروب والوقائع، وباع الأغنياء أملاكهم وما تحت أيديهم، وصرفوها في المشتروات اللازمة للجيوش، وأجروا كلّ ذلك محبةً في وطنهم مع غاية الحَمِيَّة والحماس، وكشف عبدالله أقاليم مملكته بنفسه، وجاء إليه الأمداد والعساكر من البحرين والحسا، وانضمَّ إليه بعض قبائل من إقليم عمان، وأرسل إليه عرب اليمن ٢٠٠٠ مقاتل مساعدةً له على عدوّه»[(٢)].

* وصف حملة إبراهيم باشا.

جُهِّزت حملة إبراهيم باشا بتموين ضخم ضخامةً مهولةً بالأزواد والمتاع، ودُجِّجَت بأسلحةٍ كثيفةٍ لا حصرَ لهاً، وعُزِّزَت بجنودٍ غزيرةٍ مُخلَّطةٍ يُرى أوَّلها ولا يُرى آخرها:

- ضخامة تموين الحملة.

فقد استغرق تجهيز هذه الحملة مدَّة ستة أشهر[(٣)]، وكان البذل على تموين الحملة وتيسير مسيرها سخيّاً إلى غايةٍ بعيدة، لذلك قال المؤرِّخ عثمان بن سند: «**أمَّا الأموال التي صَرَفَها** [محمد علي باشا]

---

(١) لعنهم لغشّ الأتراك له دواعيه، انظر ما ذكرناه في نهاية الفصل التاسع من خيانة محمد علي باشا لعهده الذي أعطاه للإمام عبدالله بن سعود، وقبله (في الفصل السابع) غدرهم بالإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود يوم اغتالوه خديعةً وخيانة.

(٢) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤١ ـ ١٤٢) باختصار وتصرّف يسير.

(٣) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية» (٩٢).

على العساكر فلا تُحصيها الأقلام ولا الدفاتر»[١].

فقد أصدر محمد علي باشا أوامره لجمع عدد كبير من المراكب بساحل بولاق لنقل المؤونة والذخائر إلى مدينة قنا[٢] ومنها تُنْقَل على ظهور الجمال إلى ثغر القصير ثمَّ إلى ميناء ينبع البحر[٣].

فنُقِلَ خلال ذلك؛ الخبز الجاف والقِرَب والأمتعة والمدافع والذخائر إلى قِنا، ومن قِنا أيضاً دبَّر الوسائل لتصدير الأمتعة والمهمات إلى ميناء القصير، ومن هناك تصعد الأقوات إلى السفن الجاهزة للتحميل، فتُشحن فيها المؤن والمدافع والأمتعة حتى تبحر إلى ينبع، في حين أنَّ عدداً كبيراً من القوافل اتَّجَهَت إلى السويس حاملة معها القمح والطحين ومستلزمات التخييم[٤].

لقد كانت عيون الناظرين في القاهرة لا تقع خلال تلك الأشهر إلَّا على الجِمال مُحمَّلةً بالأثقال من الدقيق والغلال ومهمَّات الجيش قاصدةً السويس، كما كانت الأعين لا ترى إلَّا السفن وهي صاعدة نهر النيل إلى قنا مشحونة بالمدافع والقِرَب والبقسماط والذخائر ذاهبة إلى ميناء القصير لتُحمَل إلى ميناء ينبع[٥].

---

(١) عثمان بن سند البصري «مطالع السعود» (٣٧٧).

(٢) قنا: مدينة كبيرة بالصعيد الأعلى، واقعةٌ شرقي النيل على شاطئ ترعة خارجة منه شمال مدينة (قوص)، وهي رأس مديرية تنسب إليها. نظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٧٧/١٤).

(٣) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٣ ـ ١٢٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٠ ـ ٥١٢).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٠).

إلى جانب ذلك؛ تدفقت على الحملة أكداس من الأكياس من صعيد مصر مُحمّلَة بالدقيق والبقسماط والحنطة المخصَّصة للخبز والفول والشعير[(١)].

ثمَّ صدرت من إسطنبول أوامر حكومة السلطان العثماني بأن يشارك باشا بغداد في تكاليف الحرب، فأمرته أن يرسل إلى إبراهيم باشا وهو في طريقه إلى نجد رجالاً وذخيرةً ومؤناً[(٢)]، فتتابعت القوافل على إبراهيم باشا من جهات البصرة والزبير حاملةً معها الأرز والحنطة والتنباك! وجميع حاجات العسكر[(٣)] والشعير والطحين[(٤)] والشيشة! والغليون[(٥)]! وأموال كثيرة[(٦)].

ويذكر بعض أهل التأريخ أنَّ بعض الرجال من بغداد شاركوا في حملة إبراهيم باشا يوم هجم على الدرعية واحتلَّها ونكَّل بأهلها[(٧)].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٢٩٤). ودفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣١٣)، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٣٤هـ/ ٢٢ يونيو ١٨١٩م (٢/٤٢٨). ودفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣٢٣)، بتاريخ ٦ رمضان ١٢٣٤هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٩م (٢/٤٢٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣).

(٥) انظر: جورج. ف. سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٢٩١).

(٧) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن «المقامات» ضمن «الدرر السنية» (١٢/١٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/٣٤٩).

من بعد ذلك؛ **عُزِّزَت حملة إبراهيم باشا بحاميةِ الترك التي في المدينة النبوية**، فصاحبت عساكر الباشا في سيرها لحرب أهل نجد بقوافل أرسلتها لهم؛ مُحمَّلة بالبارود والقنابل والخبز اليابس و٥٠٠٠ رأس من الغنم وقمحاً وشعيراً وزُبدة[١] وفولاً بأكياسٍ غزيرة[٢]؛ منها ١٥٠٠ إردب من الفول المجروش و٥٨٠ إردب فول صحيح، كما جاءته من المدينة النبوية ٣٠٠٠ أوقية[٣] من البقسماط وأكياس كثيرة من الدقيق و٣٠٠٠ كيس من الأرز الهندي و٢٠٠٠ قِربة ماء للشرب[٤].

ثُمَّ وصلته من **حامية الترك في ينبع البحر** ذخائر كبيرة وتموينات كثيرة؛ منها ١٧٠٠ إردب من الشعير[٥]، كما جاءته من تلك الحامية ما يحتاجه من وسائل النقل، **وأرسل إليه البدو العدد الكافي من الجمال والهجن**[٦].

ثمَّ جاءت تعزيزات أخرى من جهة شريف مكَّة الشريف

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٤٩)، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٨١٧م (٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٣) أوقية: هي الأُقَّة؛ ثقلٌ قدره أربعمئة درهم، أو ثمانية وأربعون ومئتان وألف جرام، وقد بَطُلَ استعمالها في مصر. انظر: إبراهيم مصطفى وزملاه «المعجم الوسيط» (٢٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٢).

(٥) الوثيقة السابقة (٢/٣٥٣).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥).

يحيى بن سرور؛ الذي أرسل الحِنطَة والأرز والبُنّ والسكَّر والشعير، وكانت حكومة الدولة العثمانية قد أرسلت إلى الشريف يحيى خمسين ألفاً من القروش ليؤمِّن تموين حملة إبراهيم باشا على أهل نجد[١].

كما تتابعت العساكر تمشي من مصر إلى قريب نجد في كلّ شهر وأسبوع تأتي بقوافل الطعام والأمتاع مصحوبةً بما ينوب تلك العساكر[٢] من الأزواد، حتى البصل كان يُحمَّل من مصر إلى معسكرات إبراهيم باشا في نجد [٣]، بل حتَّى (الشَّرْبَات) حُمِلَت من مصر إلى عساكره في نجد[٤].

ثم شاركت الباشوية العثمانية في دمشق بتكاليف حرب إبراهيم باشا على أهل نجد؛ إذ أرسلت عشرة آلاف من الجمال اشتراها محمد علي باشا على نفقته[٥]، وكان الوالي العثماني في الشام قد قدَّم المساعدة الضامنة لإيصال عشرة آلاف جمل من الشام حاملاً عليها ذخائر ومهمَّات وأدوات حربية تعزيزاً لعساكر الباشا[٦].

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٦٤)، بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٣١هـ/ ٢١ يولية ١٨١٦م (٢/٢٦٩ ـ ٢٧٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٤٠٧).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٤٣٨).

(٤) انظر: جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٥).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٥٥)، بتاريخ ٢١ ربيع الأول ١٢٣١هـ/ ٢ مارس ١٨١٦م (٢/٢٦١).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٦٠)، بتاريخ ٢٣ جمادى الثاني ١٢٣١هـ/ ٢١ مايو ١٨١٦م (٢/٢٦٥). أيضاً: =

كما شارك بتكاليف تلك الحرب الوالي العثماني في صيدا في جبال لبنان الذي أرسل قرابة ثلاثين ألف جمل تعزيزاً لعساكر الباشا[١].

إضافة لما سبق؛ **جُهِّزت الحملة بصناديق الأموال ما لا يدخل تحت الحصر، وتابع محمد علي إغداق الأموال والذهب لحملة ابنه إبراهيم ليستميل بها العربان**[٢]، وسلك إبراهيم طريقه من مصر إلى ينبع فالمدينة فنجد، **وهو في كل هذه المسافات يتقدَّم على أنَّه صديقٌ للبدو والعربان وسكَّان البلدات**، فقد كان يدفع فوراً ثمن كلّ دلوٍ من الماء الذي كان سكَّان بعض البلدات يقدّمونه لقواته، كما كان يدفع على الفور ثمن كلّ تَمْرة، وكلّ عود حطب يقدمه السكَّان لقواته[٣]، وكان يلقى العربان بالبشاشة وسعة الصدر والسخاء[٤].

- ضخامة عتاد الحملة.

جمع إبراهيم باشا عدداً ضخماً من المدافع وآلات الحرب الجديدة والنيران التي لا قبل للسعوديين بها[٥]؛ إذ كانت أسلحة

= **محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١١٤)، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٣٢هـ/ ٢ يونيو ١٨١٧م (٢/٣١١).**

(١) **دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٦)، بتاريخ ٥ رمضان ١٢٣٢هـ/ ٩ يوليو ١٨١٧م (٢/٣٢٥).**

(٢) **انظر: أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣٨٩).**

(٣) **انظر: وليم جيفورد بالجريف «وسط الجزيرة العربية وشرقها» (٢/٦٤).**

(٤) **انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٨).**

(٥) **انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥٥).**

الترك متطوّرةً إلى حدٍّ بعيد مقارنةً بأسلحة السعوديين، حيث كانت أسلحة الترك سريعةً في إطلاق رصاصات بنادقها ومسدساتها ومقذوفات مدافعها، بينما ظلَّت أسلحة السعوديين على الطراز القديم الذي لا يتوافق مع واقع التسليح الحديث يومذاك؛ إذ كان السعوديون يستخدمون البنادق ذات الفتيلة[١] التي تأخذ وقتاً لإشعالها وإطلاق الرصاصة الواحدة منها، فمسافة ما يفكّ السعوديّ بندقيته من جرابها ويولع الفتيلة يكون قد أصابه خمس رصاصات على الأقل من بندقية واحدة من بنادق الترك، إضافةً إلى أنَّ أفراد الجيش السعودي وقتها كان أكثرهم لا يزال يستخدم الرماح والسيوف على الطراز العتيق[٢].

وكانت المدافع من أهم أدوات تلك المعارك وأسلحة هذه الحرب؛ كانت كلها بأعدادها الهائلة تجرّها الجمال من البحر الأحمر حتَّى نجد[٣].

---

(١) البندقية ذات الفتيلة: صُنِعَت في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، وتُسمَّى في نجد «فتيلاً»، ومنها البندقية المسمَّاة بـ«الشريفة» و«خِبَّة». ومِمَّا قيل فيها من الشعر النبطي، قول ابن الحافظ من أهل (السِّر):

يا بِنْدِقِي يا هَيِنْ تَيْس الجِميلة ... آخذ على كَيْفي من البعد واختار
إلى وَرَّدْ المِشْقاصْ خَشْم الفِتيلَةْ ... إلَى الّدمْ من بين المَعاليقْ عَبَّار.

انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٤٧) (٨٠) (١٦٧ ـ ١٦٨) (١٧٢).

(٢) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٦ ـ ٢٠٧). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٣).

(٣) انظر: جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٨٠).

ومن تلك المدافع؛ قبوز بوار ألفي: وهي مقذوفات المدافع التي حسمت المعركة في شقراء لصالح الترك[١].

ومنها خمسة آلاف مدفع هاون ذو الفتيلة، ويسمى هذا المدفع باسم: مدفع هاون (أبوس)، ومعه سدّاداته من الطوبخانة العامرة[٢]، وقد أُحضرت بمعيَّتِهِ خمسة وعشرين ألف قنبلة مدفع هاون[٣].

وأُرسِلَت من مصر مدافع من طراز كولينير ودروع جرخة، وصحبتها قنابلها ومقذوفاتها والطوبجية التي تقوم بخدمتها[٤]. كما أرسلت مدافع الهويتزر ومدافع مورتر[٥] ومدفعي حصار[٦].

ثمَّ جاءت إلى حملة إبراهيم باشا تعزيزات من بلاد أوروبا

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٢/٣٧٠).

(٢) الطوبخانة العامرة: هي المكان الذي كان يجري صبّ المدافع وحفظها فيه، في الحيّ الذي يحمل اسمها اليوم في تركيا. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (٢/٨٦٤).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٩)، بتاريخ غرّة ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٩ يناير ١٨١٨م (٢/٣٦٣).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٣٩٥).

(٥) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١١٢) (١٢٧). و: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٢).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٠).

ليستخدمها في حربه ضدَّ أهل نجد، إذ أُرسِلَ إليه من هناك مدفع من مدافع الصحراء يسمَّى قنبانية، ومعه أربعة آلاف قذيفة، ووزن كلّ قذيفة سبع آقات(١).

وجاء من باريس مدفع هاون يحرسه أكثر من مئة رجل، وكُتِبَ على مؤخّرة هذا المدفع: «صُبَّ في ترسانة باريس في السنة الثانية من الجمهورية»(٢). ثمَّ كتِبَ تحت هذا الكلام: «حرية، مساواة»(٣).

كما زُوِّدَت الحملة بمدافع قلمبدنة ومدافع الخَمْبَرَة، مع كميات لا حصر لها من مقذوفاتها وقنابلها الثقيلة والخفيفة قادمة من أوروبا(٤).

وزوُّدِت أيضاً بأشكالٍ مشكَّلة من البنادق والمسدسات والأسلحة الأوروبية البيضاء(٥). **ويذكر الكابتن سادلبير أنَّ أغلب البنادق من صناعةٍ فرنسية وألمانية**(٦) **وسويدية**(٧).

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٠ ـ ٣٥١).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٦).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٠٥)، بتاريخ ٧ ذي القعدة ١٢٣٣هـ/ ٨ سبتمبر ١٨١٨م (٢/٣٩١).

(٥) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢١).

(٦) انظر: جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠١).

(٧) انظر: المصدر السابق (١٣٠).

ـ المشاركون في جيش إبراهيم باشا من الأعاجم والعربان المرتزقة.

من المهمّ تبيان تركيبة هذا الجيش الضخم الذي كان خليطاً مخلَّطاً من أعراقٍ أعجمية كثيرة، والتي سترتكب في حق النجديين جرائم إنسانية بشعة يندى لها جبين من بقي فيه ذرَّة من الآدَمِيَّة.

لقد تشكَّل هذا الجيش من الأتراك الخُلَّص الذين أَتَوا من تركيا[(١)]، وبعضهم من الأتراك الذين تبقّوا في مصر من بعد تقاطرهم عليها يوم رحلت الحملة الفرنسية عن مصر[(٢)]، فاستعان بهم محمد علي باشا في حملة ابنه طوسون باشا وحملة ابنه إبراهيم باشا[(٣)].

كما كان في جيش إبراهيم باشا عساكر شركسية[(٤)] وباشبوزوق[(٥)]؛ وهم قوات غير نظامية أقرب ما تكون إلى

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٤٦/٤) (٤٤٩). وجورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٢ ـ ٩٣). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٠ ـ ١٥١).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٨٣/٣) (٢٩٤) (٢٩٩ ـ ٣٠١) (٣٠٧ ـ ٣٠٨) (٣١٤ ـ ٣١٥). وعبدالرحمٰن الرافعي «تاريخ الحركة القومية» (٣٠٧/٢ ـ ٣١٤).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢١).

(٤) الشركس: اسمٌ أطلقه العرب على سكَّان إقليم القوقاز المعروفين باسم: ديغة؛ وهم من البطون التركية. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٢٧٢).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٤٩)، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٨١٧م (٣٣٣/٢).

الميليشيات[١].

وفيهم أيضاً من عساكر الدلاة[٢] والألبان الأرناؤوط[٣]، وأغلبهم فئات تبقَّت من عساكر وميليشات أرسلتهم الدولة العثمانية لمصر بعد رحيل الحملة الفرنسية عنها[٤].

كما كان الأكراد من مكوّنات جيش تلك الحملة[٥]، وقد شكَّلوا فئة الفرسان، وكانوا تحت قيادة الأمير أوزون علي الأُرْفَلِي الكردي[٦] الذي انتَخَبَ منهم خيَّالةً وفرسانا[٧].

---

(١) انظر: الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (١٥٦) (١٦٣) (١٦٧). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٧٦/٤).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١١٧)، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ / ١٢ يونيو ١٨١٧م (٣١٥/٢). وانظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣٥٦/٤) (٤٣٦). والأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (٥٣).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٢). والأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري» (١٦٢).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٢١).

(٥) انظر: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٨٣٩/٢).

(٦) الأمير أوزون: بالتركية بمعنى الطويل، والأورفلي نسبة إلى مدينة (أورفة) التي كانت تسمى (الرها) من أرض (الجزيرة) شمال (حلب)، بين (الموصل) والشام الشمالية، وهي اليوم داخل حدود تركيا. انظر: تعليقات محب الدين الخطيب على كتاب «مختصر مطالع السعود» (ص٢٠٦) لأمين الحلواني.

(٧) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٦). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٢ ـ ٧٣).

وانضَمَّ إلى جيش إبراهيم جماعات من البربر المغاربة والبدو المغاربة بلغ عددهم ٤٠٠ من فرقة الفرسان و١٣٠٠ من فرقة المشاة الذين كانوا يمتازون بالخبرة في استعمال السلاح[(١)]، واشتهروا بكثرة الإفساد والاعتداء على الناس وهم ما يزالون في مصر، وفيهم من طبائع الأوباش يوم كانوا يتجمّعون في القاهرة قبل سفرهم لحرب أهل نجد، ولمَّا وصلوا نجداً اشتهروا بالسرقة[(٢)].

كما شارك في الحملة أجناس من بدو ليبيا[(٣)]، مثل: عرب الجوازي وأولاد علي[(٤)] والبراعصة[(٥)]، وأغلبهم خيّالة[(٦)] محترفون في حرب الصحراء، وكانت قوتهم تتكون من حوالي ألفين من المشاة، وحوالي ألف وخمسمئة من الخيَّالة، وجميعهم من نوعيةٍ مختارة،

---

(١) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١١٢ ـ ١١٤) (١٢٥ ـ ١٢٦) (١٣١).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٦٤/٤) (٣٣٩) (٣٥٣ ـ ٣٥٤) (٣٨٧) (٤٧٣).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٢). ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦١٩/٣).

(٤) أولاد علي: من قبائل العرب في مصر، يقطنون (مديرية الشرقية)، و(مديرية البحيرة)، وهم من ذريَّة عقار. انظر: أ. ب. كلوت «لمحة عن مصر» (٤٢٥). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٨ ـ ١٠)

(٥) البراعصة: من قبائل العرب في (برقة) بليبيا، ومنهم من رحل إلى مصر واستوطن (الفيُّوم) و(الصحراء الغربية) لمصر، وهم من ذرية عقار فرع الحرابي. انظر: الطاهر الزاوي «معجم البلدان الليبية» (٤٥). وعبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر» (٩ ـ ١٠)

(٦) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٧ ـ ٢٠٨).

اختارهم الباشا بنفسه من بين أكثر البوادي وَلَعاً بالحرب[١].

وفي الحملة أيضاً أعدادٌ غفيرة من عرب الهوارة من بدو مصر[٢]، يقول أمين الحلواني: «جاء إبراهيم باشا ومعه عسكر من الأكراد والأرناؤوط وعرب مصر الهوارة ما يدكّ به الجبال»[٣].

وشارك في الحملة أيضاً عساكر كثيفة من العراق[٤] والشام[٥].

إلى جانب ذلك اصطحب إبراهيم باشا في حملته على نجد أرباب الصنائع والحرف[٦] من الحدَّادين والنجَّارين والطبَّاخين[٧]، كما جمع ألفين من الفلاحين جاء بهم من أسيوط[٨]، ووظَّفهم للعمل على خدمة جيشه ومنزله[٩]، وكان يتبع مؤخّرة جيش الحملة أيضاً بضعة

---

(١) جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٩٩). والسير هارفرد بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي» (١٩٧).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٠)، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٣٠هـ ـ ٢٧ أغسطس ١٨١٥م (٢٣٦/٢).

(٣) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥).

(٤) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج القسم التاريخي» (١٦٢٢/٣).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٤/١).

(٦) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٢١/٤).

(٧) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٩١).

(٨) أسيوط: مدينة في الصعيد الأوسط بمصر، غربي النيل. وهي اليوم مديرية/ محافظة. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٥٨/١٢). ومحمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» (القسم الثاني) (٧/٤ ـ ٩).

(٩) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٤).

آلاف من الخدم(١).

ـ الأوروبيون المشاركون في حملة إبراهيم باشا.

أمر محمد علي باشا ببعثة طبية ترافق حملة ابنه إبراهيم باشا، فكانت مكوَّنةً من رئيسها **الطبيب الإيطالي أنطونيو سكوتو Antonio Scoto** وهو الطبيب الخاص لأسرة الباشا محمد علي(٢).

وكان من أفراد البعثة الطبية أيضاً **الجراحان أندريا جنتلي** Andrea Gentili وتوديسكيني Todeschini، والصيدلي سوشيو Socio، وقد عهدَ إلى هذه البعثة الطبية مهمَّة مداوة مرضى الحملة وإسعاف جرحاها(٣).

كما اندمج في سلك جيش إبراهيم باشا كثيرون من الإفرنج (٤)، وقد شهدت الوثائق الفرنسية بأنَّ مَهَرَة المهندسين الفرنسيين هم من أعانوا إبراهيم باشا على تنفيذ خُططه الحربية في حربه على أهل نجد(٥).

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٥١).

(٢) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٨ ـ ١٢٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١١).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٠).

(٥) Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique.

كما رافقه بعض من الضباط الفرنسيين(١)**، ومنهم السيِّد فيسيير** Vaissiere وهو ضابطٌ فرنسي كان يشغل وظيفة ملازم ركاب إبراهيم باشا(٢)، **وكان بمثابة أركان حرب للباشا**(٣)**، ثمَّ اتخذه إبراهيم باشا مستشاراً عسكرياً**، ولكنَّ إبراهيم لم يهتم بنصائحه في بداية الأمر، فخسر إبراهيم أمام بلدة الرسّ خسائر فادحة، ولكنَّ ثقته تزايدت بمستشاره الفرنسي بعد أن خطَّط له وسيلة الاستيلاء على عنيزة، ثم تخطيطه لمعاركه في شقراء وضرما والدرعية(٤).

*** حملة إبراهيم باشا تتحرك من مصر.**

في ١٠ شوَّال ١٢٣١هـ/٣ سبتمبر ١٨١٦م أعطى محمد علي باشا الإشارة من مصر لتلك العساكر الكثيفة لتنطلق إلى نجد مع ابنه إبراهيم باشا(٥).

يقول مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي (ت: ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م) عن مسير هذا الجيش الضخم، ما نصّه: «**فاجتمعوا صفوفاً وصنوفاً واستعدوا مِئِيناً وألوفاً، وكمُلَت ذخائرهم وانتظمت**

---

(١) انظر: أندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين» (٩٢). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١١).

(٣) انظر: عبدلرحيم عبدالرحمٰن «الدولة السعودية الأولى» (٣٤٠).

(٤) كما سيأتي تبيانه في هذا الفصل.

(٥) نظر: جوهان بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين» (١٩٩). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٣).

شعائرهم، وانضافت إليه أجناد العربان[١] وأقبلت لطاعته المشاة والركبان، وهيَّأ الذخائر والمَيِرَة[٢] وحمل منها الحمول الزائدة الكثيرة، وسار بجيشه كالبحر العجاج»[٣].

وكان محمد علي باشا قد أصدر أوامره للفقهاء في الأزهر بقراءة صحيح البخاري بقصد حصول النصر[٤] لابنه إبراهيم في حربه مع السعوديين[٥].

* إبراهيم باشا يصل إلى ميناء ينبع ثمَّ إلى المدينة، ويحتلُّ الصويدرة.

انطلقت السفن الراسية من القصير في غرَّة ذي القعدة ١٢٣١هـ/٢٣ سبتمبر ١٨١٦م[٦]، وبعد ستَّة أيَّام وصل أسطولها إلى

---

(١) يقصد عربان مصر وعربان ليبيا والمغاربة.

(٢) المِيرَة: الطعام يُجمَع للسفر ونحوه. كذا: الطعام يمتاره الإنسان. أيضاً: جلب الطعام للبيع؛ وهم يمتارون لأنفسهم ويميرون غيرهم مَيْراً. انظر: جمال الدين ابن منظور «لسان العرب» مادَّة (مير).

(٣) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٥٧) باختصار.

(٤) شاعت تلك البدعة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين، وكانوا يستدفعون بها ما يدهمهم من الأوبئة واعتداءات الأعداء على ديارهم، وبالرغم من عدم نفعها لهم فإنَّهم يصرّون عليها ويتمسَّكون بها. ومن ذلك استدفاع أهل مصر الأوبئة ذاك الوقت بقراءة البخاري، انظر: الجبرتي «عجائب الآثار» (٢٤٦/٢) (٧/٣).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٣٧/٤). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٨).

(٦) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٢).

ميناء ينبع[١].

نزل إبراهيم باشا مع كبار ضبَّاطه منزل حاكم ينبع وطلب من القرى المجاورة والقبائل أن يقدّموا له وسائل النقل اللازمة للجيش[٢]، **ولمَّا رفض أبناء قبيلة جهينة[٣] وبنو عوف[٤] وغيرهم أن يمدّوه بما أراد، أرسل الباشا إليهم قوةً عسكرية تصادر منهم ألف ناقة وألفين من رؤوس الغنم والماعز، وذلك بعد أن قتل من جهينة مئة وخمسون رجلاً[٥].**

وبعد عشرة أيام من إقامته في ينبع، توجّه إبراهيم باشا إلى المدينة النبوية[٦]، وحين وصل إليها استقبله عساكر حاميتها بطلقات البنادق[٧]، ثمَّ توجَّه مباشرة إلى قبر النبي ﷺ وتوسَّل به ودعاه من

---

(١) انظر: سليم جبرائيل الخوري «آثار الأدهار/ القسم التاريخي» (٧١).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥).

(٣) قبيلة جهينة: واحدهم جُهَنِيٌّ. تنقسم القبيلة إلى جذمين كبيرين: بني مالك وبني موسى، وكلا الجذمين يندرج تحته أفخاذ كثيرة عديدة. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (١١٧ ـ ١٢٢).

(٤) بنو عوف: المقصود هنا بنو عوف الذين يسكنون (وادي القاحة) و(جبل عوف) و(ورِقان) إلى (العقيق) شرقاً، إلى (الحناكية) و(النُّخَيْل)، وفي نجد (الصمعورية). وهم من مسروح من حرب، والنسبة لهم عوفي. منهم: الصواعد والنواصفة. ومن الصواعد: البطنة وعلَّاق. ومن النواصفة: اللهبة واللقامين والسِّهْلِية. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٥٧٨).

(٥) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٥ ـ ١٢٦).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥). وعبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (١٣).

(٧) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥١٦).

دون الله، حيث قال في دعائه: «**أيَّها النبي المطهَّر، أنا إبراهيم بن محمد علي الذي خلَّص المدينتين المقدَّستين، جئت إلى قبرك الشريف أبتغي عونك في الحرب التي سأخوضها**»[(١)].

ثمَّ نقل إبراهيم معسكره من المدينة النبوية إلى قرية الصويدرة[(٢)] واتخذها مستودعاً مؤقَّتاً للمؤن والذخائر، ثمَّ طلب الجمال والمؤن من شيوخ القبائل المحيطة بالصويدرة، إلَّا أن تلك القبائل ولّت ظهرها لإبراهيم باشا ولم تقدّم أيَّة معونةٍ لجيشه[(٣)]، **لأنَّ تلك القبائل وإن كانت أرضهم محتلَّة من قِبَلِ الترك فإنهم لا يزالون على عهدهم لدولة آل سعود، بل إنَّ تلك القبائل أصبحت تعترض طرق إمدادات جيش إبراهيم باشا، وأضحت تتناوش القوافل التي تقصد الباشا بالتموين من ينبع والمدينة النبوية**، عندها وَجَدَ إبراهيم باشا نفسه مضطرَّاً لضرب تلك القبائل حتى لا يسري فعلهم للقبائل الأخرى فتقتدي بهم، فجرَّدَ عليهم إبراهيم ألفي رجل من المشاة والفرسان لمعاقبتهم[(٤)].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٥).

(٢) الصويدرة: تصغير الصادر ضدّ الوارد. وهي بلدة عامرة على (وادي نِجار)، وهي على الطريق من المدينة إلى القصيم على ٥٣ كلم من (المدينة النبوية)، وسكّانها قبيلة حرب، وهي اليوم إمارة تابعة لـ (المدينة النبوية). انظر عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (١٠١١).

(٣) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٨ ـ ١٢٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٢٨). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٢).

وكانت تلك القبائل قد استعدَّت للدفاع عن نفسها؛ فعلى مسيرة يومين من معسكر إبراهيم باشا ظهر أبناء تلك القبائل وقد طَلَوا أجسامهم وعيونهم بزيت مُزِجَ بمسحوق أسود، ووضعوا على جِباههِم **طاساً حديدية**[١]**، وشدّوا رؤوسهم بسيورٍ من الجِلد، وحملوا في نطاقهم ذخيرة الخرطوش**[٢] **والجنبية**[٣] **والسيف الذي يلازمهم، وكان في مقدمة محاربي القبائل فرسان يلبسون الدروع، ويتبع هؤلاء الفرسان أو الخيالة (الركوب)** أي: العساكر الهجَّانة، وكانوا يحدون إبلهم[٤] حثّاً لها على السير، وكانت هذه الدواب كلّما سمعت صوت الحِداء ازدادت نشاطاً وهِمَّةً وتحفَّزَت تحفّزاً قويّاً للسير إلى الأمام، أمّا في المؤخّرة فكان يتألف منها المتراس؛ وهم المشاة المسلّحين

---

(١) الطاس: أو الطاسة، جمعه: طيس وطياس. يقصد بها الطاسة الحربية التي يلبسها المحارب فوق رأسه لتحميه من أثر وقع السيف والرماح. والاسم مأخوذٌ من اسم «الطاسة»: الإناء المقعَّر الذي يُشرَب به لتشابههما في شكلهما، واللفظ فارسي محرَّف عن الأصل: طاس، دخل على العربية، امَّا اسمها العربي الفصيح فإنَّه «خوذة» والجمع خِوَذ. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (١٤٩ ـ ١٥٠). ومصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣٠٢).

(٢) الخرطوش: لفظٌ تركي، ويعني: حشو السلاح الناري. انظر: إبراهيم مصطفى «المعجم الوسيط» (٢٢٨).

(٣) الجنبية: هي ذاتها «الخنجر»، وهي في لهجتنا الدارجة «جنبية»، والجمع «جنابي». سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٦٩) (٢٣٩). وعبدالرحمن المانع «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (٢٥١).

(٤) من الحدو والحداء، وهو سوق الإبل والغناء لها. انظر: جمال الدين أحمد بن منظور «لسان العرب» مادَّة (حدو).

بالطبنجات[1] الكبيرة والدرق[2] بأيديهم[3].

وما إن رأى رجال القبائل جيش إبراهيم باشا مقبلاً عليهم حتى ارتفع حِداءهم، وكان المشاة من جنود القبائل يتلظّون شوقاً للقتال في المقدِّمة فاندفعوا إليها.

وبعد أن أخذوا المواقع الملائمة لهم بين صفوف الفرسان بدؤوا يثبّتون سلاحهم على الأحجار البارزة لإصابة مرماهم بإجادة.

ثُمَّ انسلخت من رجالات القبائل فصيلة للتنقّل يسمّونها فصيلة الغزو، فراحت تناوش عساكر إبراهيم باشا.

فاشتدّ القتال بشكلٍ عنيف، واشتبكت جنود الفريقين على اختلافها، وحمى وطيس الحرب زمناً، ولكنَّ النتيجة كانت تفوّق عساكر إبراهيم باشا على رجالات قبائل الصويدرة ومحيطها، ونجم عن ذلك أن فرَّت جنود القبائل من رَشَاش رصاصات عساكر إبراهيم باشا ومقذوفات مدافعه.

---

(١) طبنجات: مفردها طبنجة. لفظٌ فارسي أصله «تبنجة»، وهو سلاح ناري. أُطلِقَ في العصر العثماني على نوعٍ من البنادق القصيرة تمييزاً لها عن البندقية الطويلة التي كانت تُعرف باسم «تفَنْك». وَرَدَ اسم الطبنجة كذلك في بعض المصادر بلفظ «غدارة». انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٣٠٤).

(٢) الدَّرَقُ: ضربٌ من التِّرَسَة، والواحدة دَرَقَة، سُمِّيَت بذلك لأنَّ المحارب يتدرَّق بها، أي يحتمي بها من ضرب السيوف وطعن الرماح. انظر: جمال الدين أحمد بن منظور «لسان العرب» مادَّة (درق). وسعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٥١) (٩٩).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٢٨ ـ ٥٢٩).

وفي المقابل كانت عساكر الترك تطارد رجالات القبائل، وظلّت تطاردهم نصف ساعة، حتى بلغوا بيوتهم ودورهم، **عندها انهمك الترك لنهب البيوت والدور وأعملوا فيها التخريب وجدّوا في تدميرها أيّاماً، ومن بعدها عاد الترك وهم يقودون قطعان أغنام تلك القبائل، تاركين وراءهم بيوتاً مهدَّمة ودوراً مُدَمَّرة**[١].

* مذابح العثمانيين في الحناكية.

من بعد انتصار إبراهيم باشا في الصويدرة سار أربعمئة فارس من عساكره إلى الحناكية[٢]، وبعد وصولهم إليها في محرم ١٢٣٢هـ/ديسمبر ١٨١٦م شرع إبراهيم بإنشاء الاستحكامات والقلاع فيها[٣]، وقد نصب مدافع صغيرة في كلّ أبراج قلعة الحناكية الصغيرة[٤]، فلمَّا تمَّ لإبراهيم تحصين البلدة لَبِثَ ينتظر الإمدادات التي أخذ والده يبعث بها تباعاً؛ من المدفعية والعساكر التي ستحلّ محلّ الفصائل التي يقتضي التدبير العسكري تركها على حراسة النقط الخلفية احتفاظاً بخطّ الاتصال[٥].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٠ - ٥٣١). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣١ - ٥٣٢). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٢).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩).

(٤) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٩).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٣٢ - ٥٣٣).

لقد اتخذ إبراهيم باشا من الحناكية مركزاً يراقب منه بدو نجد وأهالي قراها القريبة[١]، ومن هناك في الثامن من محرّم **١٢٣٢هـ/٢** ديسمبر **١٨١٦م** استصحب إبراهيم أغاوات دائرته والفرسان المغاربة، وغيرهم من الفرسان بلغ عددهم أربعمئة وخمسين نفراً، وأخذ يُغير من الحناكية على بوادي نجد دون أن تعلم تلك البوادي بمجيئه وسبب هجومه عليها[٢]، **فأغار على الرحَلَة من حَرب[٣] عند أبانان[٤] فأخذهم وقتل منهم في مكان يقال له جبلة[٥] في عالية نجد[٦].**

وفي الوثائق أنَّ إبراهيم باشا أرسل أربعين من فرقة الكشافة ـ كشافة دليلان ـ في جيشه **ليتجسَّسوا على جموعٍ من قبيلة مطير**

---

(١) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٩).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ نوفمبر ١٨١٥م (٢/٢٩٢).

(٣) الرَّحَلَة: والنسبة إليهم رحيليّ. وهم من المطالحة من ميمون من بني سالم من حرب. وهم بين (الروحاء) و(المدينة النبوية) على الطريق. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٢٦٧).

(٤) أبانان: وأهل نجد يسمّونه (أبانات)، وهو موضع في (عالية نجد) قريب من (جبل الستار) قريب من (الحناكية). انظر: عبدالله بن خميس «المجاز بين اليمامة والحجاز» (١٥٣).

(٥) جَبَلَة: هضبة حمراء كبيرة، تتربَّع على ضفَّة (وادي الرشاء) الشمالية، المعروف قديماً باسم (التسرير)، وهي تابعة لإمارة (الدوادمي)، وهي في أراضي قبيلة الروقة من عتيبة. انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (١/٢٨٠ ـ ٢٨٣).

(٦) الوثيقة السابقة (٢/٢٩٢). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٤ ـ ٣٨٥).

وعربان من قبيلة حرب قرب جبلة، وأنَّ الفرسان الترك فوجئوا بمباغتة فرسان قبيلتي مطير وحرب، فدوَّى صوت البنادق وملأ الجوّ، وبلغ صوت أزيز البنادق معسكر إبراهيم باشا فتعجَّل النفير تجاه مطير وحرب، فأعمل الباشا فيهم القتل والذبح، فكان الذي قُتِل من مطير وحرب قرابة الثلاثمئة رجل، ثمَّ سرق جمالهم وعددها سبعمئة جمل، وسرق أيضاً أغنامهم وعددها خمسة آلاف رأس، ونهب كل ما كان مع جموع مطير وحرب من الخيام والمتاع[١].

ثمَّ سيَّر الباشا جنوده للغارة على قبيلة المُحَلَف[٢] قرب جَبَلة أيضاً، ولكن رجالات قبيلة المُحَلَف استطاعوا التخلّص من جيوش الباشا ومدافعه وقنابره، وحاول الباشا أن يتعقَّبهم منذ الفجر حتى الساعة السادسة والنصف ولم يدركهم، فعاد بجنوده إلى الحناكية[٣].

بعدها توجَّه إبراهيم باشا ليغير على قبيلة عتيبة، ولكن رجالات عتيبة استطاعوا الانسحاب من جيش الترك ورحلوا بمواشيهم كلّها، ولم يستطع إبراهيم باشا أن يغنم من عتيبة شيئاً، ثمَّ إنَّه اغتاظ من عتيبة غيظاً شديداً لما أرسل خلفهم عساكره الترك لتلاحق المنسحبين منهم، وكانت عتيبة ـ في طريق انسحابها التكتيكي من وجه إبراهيم ـ تردم كل آبار الماء خلفها، فأصاب عساكر الترك التي تطاردهم العطش الشديد والإنهاك الكبير، فازداد حقد إبراهيم باشا على عتيبة،

---

(١) الوثيقة السابقة (٢/٢٩٢ ـ ٢٩٣).

(٢) المُحَلَف: من الجلاس، من ضنا مسلِم من عَنَزَة. ومنهم: الأشاجعة والعبادلة والسوالمة والبدور. انظر: حمد الجاسر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» (٧١٨).

(٣) الوثيقة السابقة (٢/٢٩٣).

واستطاع أن يدرك جماعة من المتخلفين من عتيبة الذين لم يدركوا إخوانهم الذين انسحبوا قبلهم، فانتقم منهم إبراهيم انتقاماً بشعاً؛ حيث نحرهم نحراً بِقَطع رؤوسهم جميعاً، وقد قطع إبراهيم بسيفه الخاص سبعة عشر رأساً من رؤوس رجالات عتيبة انتقاماً لما فعلوه بعساكره[١].

ولم يكن نصيب عرب **جبل شمَّر** أقلّ من نصيب القبائل الأخرى، فمنذ وصل إبراهيم باشا للحناكية وهو يعدّ لأهل جبل شمر الحرب والكيد لقتلهم، فقد أرسل لهم جيشاً مؤلّفاً من ستمئة من الخيَّالة الأتراك وألف من الخيَّالة البدو وخمسة آلاف من البدو الذين التحقوا به[٢]، **فكانت المذبحة بأهل جبل شمَّر مريعة، فقد قُتِلَ مئتان وجُرِح ثلاثمئة من رجال جبل شمَّر مقابل خمسة من الأتراك وعشرة جرحى منهم فقط**[٣].

* الإمام عبدالله يسير لملاقاة عساكر إبراهيم باشا عند ماويَّة.

بعد تلك الحوادث والاعتداءات واقتراب عساكر إبراهيم من القصيم، أمَرَ الإمام عبدالله بن سعود على بعض النواحي من أهل الوشم وسدير أن يتجهَّزوا بشوكتهم إلى القصيم، فساروا إليها، ثمَّ أمر على شوكة أهل القصيم أن تجتمع بهم، فاجتمع أهل تلك النواحي يقودهم حجيلان بن حمد أمير القصيم، ونزلوا

---

(١) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٦).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢/٢٩٣).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

بالغميس[١]، فأقاموا فيه نحو أربعة أشهر[٢].

ثمَّ تجهَّز الإمام عبدالله بنفسه غازياً من الدرعية واستنفر جميع قوَّاته السعودية من الحاضرة والبادية، وكان خروجه من الدرعية بتاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٢٣٢هـ/٧ إبريل ١٨١٧م قاصداً ناحية الحجاز ونزل قرب الرس، واستلحق الشوكة التي مع حجيلان في القصيم، وسار قاصداً وادي الرِّمَة[٣] حتى نزل العَلَم؛ الماء المعروف[٤]، **وهو يريد الغارة على البوادي الذين تعاونوا مع إبراهيم باشا، فأنذروا عنه ورحلوا إلى الحناكية ونزلوا على الباشا**، فلمَّا علم عبدالله بذلك رجع من العلم وسار إلى نجخ[٥] ونزل به وأقام أياماً، فبلغه أنَّ علي أوزُن

---

(١) الغميس: هو ذات الموضع المسمَّى باسم (غميس بريدة)، وهو مجموعة كثبان رملية متداخلة تقع إلى الجنوب الغربي من مدينة (بريدة)، وتبدأ من الضفَّة الشمالية لـ(وادي الرمة). انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (١٨٢٣/٥).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٥/١). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٣) وادي الرُّمَة: وادٍ معروف في (عالية نجد)، وهو أول حدود نجد، يصبُّ من (الدهناء) وتصبُّ فيه أودية أخرى، وهو أكبر وادٍ في نجد يجيء من الغرب من جهة الحجاز. انظر: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٤٢٣/٢ ـ ٤٢٤). وشارل هوبير «رحلة في الجزيرة العربية الوسطى» (٨١ ـ ٨٢). وسعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٥٢٤/٢).

(٤) العَلَمُ: في (عالية نجد)، جبالٌ سودٌ كبيرةٌ منصلٌ بعضها ببعض، يقع غرب (دمخ) قريباً منه، وشمال (النير)، ويحفُّ به من الغرب (نفود الثمامة) ومن الجنوب (نفود الصّخة). انظر: سعد بن جنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/ عالية نجد» (٩٨١/٣ ـ ٩٨٣).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩).

ومعه عسكر من الترك وبوادي كثيرة ساروا إلى ماويَّة[١] في عالية نجد في ٢٨ جمادى الأولى ١٢٣٢هـ/٢٦ أبريل ١٨١٧م[٢].

وكان إبراهيم باشا قد أرسل فيلقاً كاملاً مِن عنده بقيادة علي أوزُن الأورفلي الكردي[٣] يصاحبه خمسمئة من المشاة المغاربة[٤] وألف من المشاة الآخرين وجماعة من البدو ومدفع ميدان واحد[٥] وثمانية قطع من المدفعية من نوع هوتزر ومورتر ومعهم مئة رجل من رجال المدفعية، **اجتمع هؤلاء كلّهم لضرب السعوديين القادمين من نجد، إضافةً إلى رغبة إبراهيم بضرب قبائل ماويَّة التي كانت تقطع خطوط إمداد التموين الواصلة لجيش إبراهيم باشا، لذلك حمل عليهم علي أوزُن الكردي[٦]، بينما ظلَّ إبراهيم باشا في الحناكية ينتظر وصول الإمدادات من أبيه محمد علي باشا[٧].**

---

(١) ماويَّة: قال ابن بشر: الماء المعروف قرب (الحناكية) بينه وبينها يومين. وقال: إنَّه جبل يسمَّى ماويَّة. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٦/١). وراجع: ياقوت الحموي «معجم البلدان» (٢٠١/٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٥ ـ ١٣٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٥/١ ـ ٣٨٦). ومطلق بن صالح «شذا الندّ» (ورقة ٥).

(٣) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٤) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٦).

(٦) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٦).

في المقابل تجهَّز الإمام عبدالله من خبرا نجخ يوم الأربعاء ١٣ جمادى الآخرة/٢ أبريل وقصد ماويَّة[١]، فلمَّا بلغها صبح الجمعة ١٥ جمادى الآخرة/٤ أبريل؛ فاض عليهم في ماويَّة بغتةً وهم على مائهم، فحمل جيش عبدالله عليهم حتى قربوا محطَّة العسكر التركي، فقابلهم الترك بمدافعهم، وأمر أوزون الكردي عساكره أن تُمطر السعوديين بوابل من الرصاص لا يتوقف[٢]، فتراجعت جنود عبدالله وتتابعت فيهم الهزيمة[٣] ووقع الرعب في قلوبهم من مدفعية الترك، فتبعهم الترك وقتلوا منهم رجالاً وأخذوا سلاحهم[٤] وخيامهم ومدفعين[٥]، وسقط على الأرض من أهل الركايب عَدَدٌ[٦] من جيش عبدالله، ووقع مئتا سعودي أسيراً لدى الترك، ونجم عن ذلك مقتل ثلاثمئة رجل من جنود عبدالله[٧] وقيل مئتا رجل[٨]، أما الترك فلم تزد خسارتهم على

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٥).

(٣) انظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١١ يوليو ١٨١٧م (٢/٣١٧ ـ ٣١٨).

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٢٩).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٦).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٧ ـ ١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٦).

(٨) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٩). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٦).

١٢٠ قتيلاً و١٦٨ جريحاً، كان ذلك بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة ١٢٣٢هـ/٤ أبريل ١٨١٧م[١]**، وهذا أول وهنٍ وقع في جنود الإمام عبدالله**[٢].

وكان من ضمن القتلى السعوديين **العالم والقاضي الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن مشرّف** (ت: **١٢٣٢هـ/١٨١٧م**)[٣] **قاضي مرات**، فقد قُتِلَ في هذه المعركة مدافعاً عن عقيدته وبلده وحُرَمِه، رحمه الله تعالى[٤].

* جرائم الأتراك في ماويَّة.

لمَّا علم إبراهيم باشا بهزيمة السعوديين في ماويَّة غادر الحناكية قاصداً ماويَّة[٥] يصاحبه ٤٠٠ فارس، وجنود من المشاة يمتطون الهجن، ومعه قافلة مؤلَّفة من ٣٠٠٠ جمل تحمل مؤناً، واتخذ لقافلته طلائع تحرسه من جانبيها، فلمَّا وصل ماويَّة استقبل الجنود الترك

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٦).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٦/١).

(٣) هو الشيخ إبراهيم بن حمد بن عبدالوهاب بن عبدالله بن مشرّف المشرفي الوهيبي التميمي. وهو ابن بنت الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر ترجمته عند: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٢٩٤/١ ـ ٢٩٥).

(٤) انظر: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام «علماء نجد» (٢٩٤/١ ـ ٢٩٥).

(٥) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

قائدهم بمظاهر الفرح وحَيّوه بإطلاق الأعيرة النارية من بنادقهم، ثم نزل إبراهيم في خيمة علي أوزُن وكال له المديح على ما حقَّقه من نصر على السعوديين، **ثمَّ جال في المعسكر يتفقَّد عساكره فوقع نظره على الأسرى السعوديين فأمر على الفور بإعدامهم رمياً بالرصاص[١]، رغم أنَّهم أسرى مكبَّلين بالسلاسل، ولم يكتف إبراهيم بقتلهم فقط؛ بل أمر أن تُجزّ رؤوسهم ثم تُقطَّع آذانهم[٢] وترسل إلى والده في القاهرة[٣]، ولم يَستَبْقِ إبراهيم أحداً من الأسرى[٤].**

وهذا شاهد عيان على آثار تلك المذبحة، وهو الكابتن البريطاني جورج سادلير، يقول: «لا تزال هنا [في ماويَّة] هياكل القتلى من الوهابيين منتشرة في الصحراء»[٥].

وقد كانت أخبار مجزرة الترك في السعوديين بماويَّة وصلت إلى القاهرة حيث محمد علي باشا، فَأَمَرَ أن تُضْرَب المدافع إعلاناً بالسرور لتلك الأخبار[٦].

وأرسلت الحكومة العثمانية إلى محمد علي باشا تشكره على

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٨).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢٢)، بتاريخ ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/ ١١ يوليو ١٨١٧م (٢/٣١٨).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٧).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٧). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٤/٨١).

(٥) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٩).

(٦) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٢٩).

فعل ابنه بالسعوديين في ماويَّة، وتثني على تمثيله بجثثهم[(١)].

ثمَّ أكَّدت حكومة السلطان العثماني على محمد علي باشا أن يتابع السير إلى الدرعية ويسقطها، إذ قالت له حكومة السلطان بالنصّ: «ومن البديهي أنَّكم ستبذلون اللازم نحو حسن إنتاج مصلحة درعية هذه بكسر أنوف نخوة هؤلاء الخوارج، وقطع عروق مفسدتهم بتقديم الذخائر والعساكر والمساعدات اللازمة إلى نجلكم المشار إليه [إبراهيم باشا] بمقتضى الإرادة السَنيَّة»[(٢)].

* الأتراك يتحركون إلى الرسِّ.

تحرَّك إبراهيم باشا في منتصف شعبان ١٢٣٢هـ/أوائل يوليو ١٨١٧م من ماويَّة قاصداً الرسّ، تسير معه جموع عساكره الغزيرة بعُدَدِها وعتادها[(٣)]؛ إذ صاحبه في مسيره للرسِّ ٤٠٠٠ من الجنود المشاة، و١٢٠٠ فارس، **ناهيك عن ألوف من البدو الذين انضمّوا إليه**[(٤)].

لقد كانت تلك العساكر ـ وهي في اتجاهها لضرب الرسّ ـ تسير وهي تحت تأثير الدعاية التي روّجها الأتراك وسوّقها محمد علي باشا وابنه إبراهيم بأنَّ حربها هذه حربٌ ضدّ الخوارج[(٥)].

---

(١) الوثيقة السابقة (٣١٨/٢).

(٢) الوثيقة السابقة (٣١٩/٢) باختصار.

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٧/١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٨).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٠٥)، بتاريخ ٢٥ جمادى الثاني ١٢٣٢هـ/ ١٢ مايو ١٨١٧م (٣٠٧/٢).

وكانت الرسائل تتوارد من رجالات حكومة السلطان العثماني تصف الرسّ وقلعتها وأهلها بأوصاف سيّئة[١]؛ ومن ذلك رسالة أرسلها أحد من كان في حكومة السلطان يقول فيها: «**حضرة صاحب الدولة والعناية والعطوفة إبراهيم باشا نجل وليّ النعم، حاصَرَ قلعة الرسّ، وأنَّ هذه القلعة ذات متانة زائدة، كما أنَّ عدد الملاعين**[٢] **الذين فيها كُثُر**». ويسمّي هذا التركي اهل الرسّ: بـ «**الطائفة المكروهة**»[٣] وأنَّهم «**رؤساء الخوارج**»[٤].

وكانت حكومة الدولة العثمانية تُوَجِّه الجوامع والمساجد عندها في تركيا إلى الدعاء لإبراهيم باشا أن ينصره الله على أهل الرسّ، ووزَّعت الحكومة العثمانية العطايا وفرَّقَت الصدقات على التكايا لتستجلب النصر على الرسّ وأهلِهِ، حتَّى أنَّ السلطان العثماني كان يعلن أنَّه يدعو بالنصر لإبراهيم باشا في حربه على أهل الرسّ لأنَّهم في نظره ملاعين ومن الطائفة الخارجية المكروهة[٥].

في أثناء ذلك؛ كان السعوديون قد عيّنوا في طريق حملة إبراهيم

---

(١) إنَّ تلك الأوصاف السيئة تُظهر لك النظرة الحقيقية التي كانت الحكومة العثمانية تنظر بها إلى السعوديين عموماً وإلى أهل الرسّ خصوصاً.

(٢) ستجد الوثائق التركية التي تناولت تلك الحوادث مكتظَّة بتلك الألفاظ القبيحة.

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢)، بتاريخ ٢٣ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٧ ـ ٣٤٨).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٥).

(٥) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢)، بتاريخ ٢٣ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٧ ـ ٣٤٨).

للرسِّ مراكز الحَرَس والتربُّص[١]، فكان على إبراهيم باشا وجيشه الضخم أن يتقدموا نحو الرسّ تقدّماً حذراً؛ خوفاً من هجمات السعوديين التي كانت تبغتهم أثناء مسيرهم هذا، ولأنَّه كلَّما أوغل في المسير أصبح الماء الصالح للشربِ نادر الوجود[٢].

أضحى الأتراك يرون في الأفق البعيد بلدة الشنانة؛ التي كانت بلدة كثيرة الخيرات تكتنفها الخضرة، ولكنَّ الإمام عبدالله أجرى تكتيكاً عسكرياً يقضي بتخريبها كيلا يستفيد منها الأتراك حال احتلالهم لها، كما أنَّ القادرين على حمل السلاح من أهل الشنانة ذهبوا إلى الرسِّ ليعزّزوا القوات السعودية المتواجدة هناك، **أما شيوخ وعجائز الشنانة ونساؤها وأطفالها فقد رحلوا عنها جميعهم وساقوا ماشيتهم ومتاعهم حتى لا يستفيد منها الترك، وقصدوا بلد شقراء حتى لا يقعوا تحت وطأة احتلال الترك**[٣].

* محاولات الاقتحام العثماني لبلد الرَّسِّ.

تحرَّكت عساكر إبراهيم باشا وجنوده الكثيفة الهائلة من بلدة الشنانة ونزلوا الرسَّ في ٢٥ شعبان ١٢٣٢هـ/٩ يوليو ١٨١٧م[٤]،

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٥٤٨).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٠). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٩).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٢)، بتاريخ ٢٣ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ٣ ديسمبر ١٨١٧م (٣٤٧/٢). وانظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

فتأهَّب أهل الرسّ لصدّ هجوم الترك على بلدتهم[١] وفاجؤوا الأتراك بمفرزةٍ من الجنود السعوديين تناوشت معهم، فقتلوا اثنين من الترك وجرحوا خمسة منهم[٢].

وفي اليوم التالي ٢٦ شعبان ١٢٣٢هـ/٧ يوليو ١٨١٧م بدأ الأتراك يطوّقون بلدة الرس ويحكمون محاصرتها أيَّما إحكام؛ بحيث لا يدخل ولا يخرج منها أحد[٣]، ثمَّ نَصَب إبراهيم باشا مدافعه فوراً في الأماكن المناسبة[٤]، عندها بدأت مدافع الترك تضرب سور الرسّ وتسقط قذائفها على البيوت ستَّة أيامٍ متواصلة. ثُمَّ أمر إبراهيم باشا بالهجوم ـ ليلاً ـ على الرسّ، وكانت إشارة هجوم المشاة المتفق عليها هي طلقة مدفع، وما إن أُطلِقَت حتى تحرّكت قوات المشاة صوب سور الرسّ لتهدمه[٥].

*** بسالة أهل الرسّ في صدِّ هجمات العثمانيين.**

وفي يوم من أيام حصار الرسِّ، كانت طلقات نار بنادق الترك تتوالى بلا توقف، وطيلة أربع ساعات[٦] لم تهدأ حِدَّة هجوم الترك

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٤) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٨).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٦) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٣).

على البلدة، ولكنَّ أهل الرسّ بَدَت بسالتهم جَلِيَّةً في حماية الأرض والأهل والعيال[١].

كما كانت نساء الرسّ وراء الأسوار يشعلن سعف النخيل المطليّ بالصمغ لإضاءة الميدان لرجالهم الذي يذودون عنهم[٢]. كما كُنَّ يُحرّضْنَ رجالاتهم على الثبات والاستماتة في الدفاع عن بلدهم[٣]، ومن ذلك القصيدة التي قالتها ـ عن تلك الحوادث ـ شاعرة الرسّ موضي الدهلاوية ابنة شيخ الرسّ وزوجة الشيخ قرناس (ت: ١٢٦٢هـ/١٨٤٦م)[٤]، حيث قالت

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٧).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٤) الشيخ قرناس بن عبدالرحمٰن بن قرناس بن حمد بن علي، من آل محفوظ أحد البطون الكبيرة في قبيلة العجمان. وُلِد الشيخ قرناس في (صبيح) إحدى قرى (القصيم) سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م، ونشأ في (الرسّ). عيَّنه الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود قاضياً على (المدينة النبوية) سنة ١٢٢٢هـ ـ ١٨٠٧م، حتى خرج منها سنة ١٢٢٧هـ/ ١٨١٢م؛ يوم استولى طوسون على (المدينة النبوية). ثمَّ عُيِّنَ قاضياً على (الخبرا) وبعدها رجع إلى (الرسّ). ويوم سفَّر إبراهيم باشا آل سعود وآل الشيخ إلى مصر بعد سقوط (الدرعية) استتر الشيخ قرناس في غارٍ في (جبل أبان الأسود) يُعرف اليوم باسم (غار قرناس)، فكان يظلّ نهاره في الغار، وفي الليل يأوي إلى قرية (النبهانية) غربي (القصيم)، وظلّ كذلك حتى عادت الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود. توفّي الشيخ قرناس في (الرسِّ) سنة ١٢٦٢هـ/ ١٨٤٦م. انظر شيئاً من أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٢٣). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٢٣). وإبراهيم بن ضويَّان «تاريخ ابن ضويَّان» (١٦٨). وتجد تفاصيل ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٤١٥ ـ ٤٢٢).

هِيـه يـا راكـبٍ حـمـرا ظِـهِـيـرَة تِـزْعَـج الـكُـور نـابِـيـة الـسَّـنَـام
سِر وملفاك للعوجا[١] مِسيرَه دِيـرَة الـشـيـخ بَـلِّـغْـه الـسَّـلام
يـا هَـلْ الـرَّسْ يـا نِـعْـمَ الـذِّخِـيـرَة وانْ لِـقَـاكُـم مِـن الـبـاشـا كـلام
اِنْـخَـوْ الله لا تَـنْـخُـون غِـيـرَه واغْـرِفـوا مَـا مِـنَ الـمِـيـتَـه سـلام
فـي يِـديـكـم فَـرَنْـجِـيٍّ ذِخـيـره تَـقْـذِفَه مِـثـل سيـقـان الـنـعـام[٢].

لقد وقف أهل الرس على أسوار بلدتهم وظلّوا أربع ساعات يصدّون المهاجمين[٣] برماحهم وبنادقهم والمدفعين اللذين كانا عندهم، فصدّوا هجوم الترك في كلّ المواقع، مما اضطرّ عساكر المهاجمين إلى التراجع بعد أن تزايدت أعداد قتلى عساكر إبراهيم باشا واكتظَّ معسكره بالجرحى المشرفين على الموت، لقد خسر الأتراك ٨٠٠ رجل ما بين قتيل وجريح في هجومهم هذا، فاتخذ الأتراك قرار توقف الحرب مؤقَّتاً[٤].

كان الإمام عبدالله يعسكر بين عنيزة وبريدة عند الغميس كما ذكرنا من قبل، فأرسل أخاه فيصل بن سعود على رأس حملةٍ

(١) العوجا: نخوة أهل (الدرعية). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٨٦/٢). وقد مرَّ بيانها في الفصل الثاني

(٢) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٨٧/٢). ودلال الحربي «نساء شهيرات من نجد» (١٢٧ ـ ١٢٨). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (١٣٥).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٨).

(٤) الوثيقة السابقة (٣٤٨/٢). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤١ ـ ١٤٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

استطلاعية تجوب محيط الرسّ، وتسعى لفكّ الحصار ومساندة أهلها.

أمّا معسكر إبراهيم باشا فقد جاءته إمدادات قدرها تسعمئة رجل بقيادة البنباشي[١] ياور علي[٢]، وبهذا عوَّض الخسارة التي أنزلها به أهل الرسّ المحاصرين، وما إن وصلت قوات الدعم حتى همَّ إبراهيم باشا بهجمةٍ ثانية على البلدة المحاصرة، **فعند طلوع الفجر توجّهت عساكره إلى السور، ولكنّهم اصطدموا ببسالة أهل البلدة الذين كانت صلابة دفاعهم هذه لا تقلّ عن صلابتها في الهجمة العثمانية الأولى،** وأصيب قائد الهجوم البنباشي ياور علي وكثير من فرسانه بجروحٍ بالغة[٣] وتراجعت عساكر الترك، فخسر الباشا قتلى وجرحى بلغ عددهم خمسمئة نفر فيهم عدد كبير من قادة عساكره الكبار والصغار[٤].

وأمام بسالة أهل البلد وصمودهم؛ لم يَبقَ لدى الأتراك وسيلة يعتمدون عليها سوى الهجوم بكلّ ما يملكون من قوة.

---

(١) البنباشي: أصبحت فيما بعد «بكباشي»، وهي لفظٌ تركي بمعنى: رأس الألف، وهي رتبة عسكرية تعادل رتبة المقدّم. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٨٣ ـ ٨٤).

(٢) ياور علي: من قادة جيش إبراهيم باشا، ومن قبل كان من قادة حملة طوسون باشا التي أرسلها لحرب السعوديين في الحجاز، كان يقود فرق الخيَّالة. انظر: الوثيقة السابقة (٣٤٨/٢). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (٣٥) (١٤٢).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠ ـ ٥٥١).

(٤) الوثيقة السابقة (٣٤٨/٢).

إذاً؛ لقد حاولوا القيام بهجوم ثالث، ولم تكن نتائجه مختلفة في فشله وخيبته عن الهجومين الأوَّلَين[١].

* شهادة المؤرخين على صمود أهل الرس.

هذا مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان يشهد على بسالة أهل الرسّ قائلاً: «**كان أهالي المدينة [الرسّ] يدافعون عن أنفسهم بشجاعة ويقومون ببعض الغارات، ولمَّا لم تكن لديهم الإمكانيات الكافية، فإنَّهم اكتفوا بردّ طلائع المهاجمين والانقضاض على المدافع، كانوا يهاجمون أعداءهم بالبنادق ذوات الفتيلة والرماح. وحينما رأى [الترك] المحاصِرون ما حلّ بهم، فكَّروا بزرع ثلاثة متفجّرات، ولكن المحاصَرون أبطلوا مفعولها**»[٢].

وهذا مؤرّخ نجد عثمان بن بشر يشهد قائلاً عنهم: «**حاصرهم الترك أشدّ الحصار وتابعوا الحرب عليهم في الليل والنهار، وكلّ يوم يسوق الباشا على سورها صناديد الترك بعدما يجعل السور بالقبوس فوق الأرض مهدوماً، فأنزل الله السكينة على أهل البلد والمرابطة، وقاتلوا قتال من يحمي الأهل والعيال، وصبروا صبراً ليس له مثال، فكلما هَدَمَت القبوس السور بالنهار، بناه أهل الرسّ بالليل، وكلَّما حفر الروم[٣] للبارود، حَفَرَ أهل الرس تجاهه حتى يبطلوه، وبعض**

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٣). وجورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٣) باختصار.

(٣) يقصد الترك.

الأحيان يثور عليهم وهم لا يعلمون»[١].

وهذا أحد خواص محمد علي باشا وهو المؤرّخ الفرنسي إدوارد جوان الذي يأتي بشهادات شهود العيان المشاركين في جيش إبراهيم باشا فيقول: وقف أهل الرسّ «**على الأسوار وظلّوا أربع ساعات يصدّون المهاجمين برماحهم وبنادقهم، وكان النساء والشيوخ يحرّضون المدافعين من وراء الأسوار على الثبات والاستماتة ويعاونون الجرحى ويضيئون ميدان القتال بسعف النخل الجاف**»[٢]، وذكر أنَّهم أبدوا من ضروب البسالة ما يقضي بالعجب[٣].

ويشهد المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس قائلاً: «كانت مدينة الرسّ هي أوَّل مدينة استعدَّت لحصول مقاومة شديدة ومدافعة عتيدة وقت تقدّم إبراهيم باشا، وكانت على غايةٍ من الحصانة والاستحكام، وأجهد أهاليها أنفسهم في إظهار شجاعتهم وبسالتهم، وكان النساء في وقت المدافعة يساعدون شجعانهم المدافعين»[٤].

وشهد الناظم صاحب الملحمة في قتال الأتراك لأهل نجد الشيخ أحمد بن علي بن دعيج (ت: ١٢٦٨هـ/١٨٥٢م)[٥] بأنَّ الشيخ

---

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٧/١).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (٥٥٠).

(٤) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٥) هو أحمد بن علي بن أحمد بن سليمان بن دعيج، من قبيلة الكثير من بلد (مرات)، وسمَّى نظمه باسم «الدرّ الثمين في عقيدة الموحدين»، وهو تاريخ لحادثة نكبة نجد على يد إبراهيم باشا. انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٦١/٣). وترجمته كاملة في نفس كتاب البسَّام (٤٩٧/١ ـ ٥٠١).

قرناس كان هو أوّل الثابتين والمشجّعين على مطاولة المعتدين حتى أذعن الباشا للصلح، لذلك قال ابن دعيج:

رجال صدق في اللقاء والباس أعيانهم وشيخهم قرناس[١].

* إبراهيم يضطرّ لعقد صلح مع أهل الرس.

كان كلّ شيءٍ في حصار الرسّ يفسد الجهود التي يبذلها إبراهيم باشا، إذ ما لبث الجوّ أن أصبح عاصفاً وكانت الرياح العاتية تثير عجاجاتٍ كثيفة من الغبار وتقتلع الخيام وتكاد تسلب القدرة على التنفّس، وكان جرحى الترك يموتون في وسط هذه العاصفة متأثّرين بجراحهم وبالأمراض والأوبئة التي انتشرت بين صفوفهم ففتكت بالكثيرين منهم[٢].

كما أنَّ الإمام عبدالله قد نجح في أحد الأوقات من اختراق حصار الترك للرسّ، وذلك أن الإمام بعث أخاه فيصل بن سعود بقوةٍ استطلاعية نجح خلالها في اختراق الحصار وتسلَّل إلى الرس فعزَّزها بالإمداد والتموين، فكان هذا سبباً في صبرهم على حصار الترك مدَّة أطول[٣].

ويذكر الكابتن سادلير: أنَّ بلدة الرسّ تمكنت من الحصول على التموين اللازم مرتين دون أن يَكتَشِف الترك أمرها[٤].

---

(١) أحمد بن علي بن دعيج «تاريخ ابن دعيج» (٢٠٨).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٣ ـ ١٤٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٢).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٢).

(٤) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

وقد استطاع الأمير فيصل بن سعود أنْ يُعَطِّلَ خطوط الإمداد التي تصل معسكر إبراهيم باشا، والتي كانت تسير قوافلها محمَّلة بالمؤن من مكة وجُدَّة وينبع متوجِّهةً إلى معسكره خارج سور الرسّ.

إلى جانب ذلك ما فتِئت غارات السعوديين تهجم بين وقتٍ وآخر على معسكر إبراهيم باشا وتنهك عساكره، فكانت غارات العربان السعوديين تتسلّط عليه ليلاً ويغنمون منه الكثير، ويقتلون ويقطعون أرجل الخيول والجمال فيصاب معسكر إبراهيم بنكباتٍ جمَّة[١].

وكان السعوديون في واحدةٍ من الغارات قد استولوا على ما يقارب مئة من الجمال مع سائقيها وحرسها، على أنَّ إبراهيم باشا تبع المغيرين وطاردهم أربع ساعات، وكان بصحبته ألفاً من رجاله فاستطاع أن يكسرهم وأن يقتل منهم ٣٠٠ سعودي، **ثمَّ أمر بقطع رؤوس الجرحى السعوديين، فجمعها إبراهيم وعساكره وعرضها مرفوعة على النبابيت[٢] وثبّتوها أمام أسوار الرسّ على مرأى من أهل البلد المحاصَرين ليخيفوهم بهذا المنظر[٣] على أمل خضوعهم وتسليمهم**

(١) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٢) لعلَّ النبابيت هنا جمع نَبُّوت؛ وهي البندق الطويلة التي لها إصبع تُفتَح به، ولخانتها صندوق بارز يتَّسع لأربع رصاصات، وهي السلاح المفضَّل في جنوب السعودية وبلدان اليمن. انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٢٤٠). ولربما كانت النبابيت: التي مفردها النَّبُّوت في اللهجة المصرية؛ وهي العصا الطويلة المستوية. انظر: إبراهيم مصطفى «المعجم الوجيز» (٨٩٦).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣).

البلدة، فما كان من أهل الرسّ إلّا أن زادهم هذا المنظر الشنيع نفوراً وحَمَت فيهم رغبة الانتقام من عساكر الترك[١].

ويعلّق إدوارد جوان على فعل إبراهيم باشا البشع بجثث السعوديين، فيقول: «**إنَّما أراد بهذا المنظر الشنيع التأثير في نفوس المحصورين بإلقاء الرَوْع فيها، ولكنَّه بثَّ بهذا الفعل نشاطاً جديداً فيها لطلب الانتقام، فاندفع** [أهل الرسّ] **خارج الأسوار واشتبكوا في معركةٍ سالت الدماء فيها غدراناً**»[٢].

ومن بعد تلك الحوادث؛ أرسل الإمام عبدالله إلى إبراهيم باشا عارضاً عليه التفاوض في مسألة الرسِّ.

ويشهد مانجان أنَّ الإمام عبدالله كان قادراً على تخليص بلاده من أعدائه بقوَّة السلاح، ولكنَّه أراد اللجوء إلى المفاوضات[٣]. ولعلّ مردّ ذلك أنَّ الإمام عبدالله كان يرجو أقرب السبل لإنهاء الحرب بعيداً عن سيل مزيد من دماء شعبه السعودي.

وعليه؛ أرسل الإمام عبدالله اثنين من مستشاريه وهم العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م) وصالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٤]

---

(١) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤).

(٤) صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي، فقيه، قُتِلَ على يد إبراهيم باشا في أحداث (الدرعية) سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). وانظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦١/٣ ـ ١٦٦٢).

إلى مقرّ القيادة العامة للجيش التركي وعَرَضَ السلام على إبراهيم باشا شرط أن يرفع الحصار عن الرسّ، ولكنَّ إبراهيم لم يسمع إلى ما يحمله هذان المبعوثان، وكان جوابه أن أنذر أمير الرسّ بوجوب تسليم البلدة، فقال له الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي: **«هذا ضربٌ من الخيلاء، فأنت تهاجم الرسّ منذ زمنٍ طويل، ولن تستطيع الاستيلاء عليها»**[١].

أمَّا أمير الرسّ فقد أرسل جواباً لإبراهيم باشا فيه التحدي وطلب النزال، فقال له أمير الرسّ: «تعال وخذها».

عند كلمة أمير الرسِّ هذه؛ الْتَهَبَت الحرب مجدَّداً واندلعت نيرانها في كل مكانٍ بين الباشا وأهل الرسِّ[٢]، وخسر الأتراك بلا طائل كثيراً من الرجال والذخيرة[٣].

على أنَّ الحصار طال على أهل الرسّ إلى ١٢ ذي الحجَّة ١٢٣٢هـ/٢٣ أكتوبر ١٨١٧م[٤]، فكانت مدَّة حصارهم ثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً[٥]، وفي ذلك قال الناظم صاحب الملحمة الشيخ أحمد بن علي بن دعيج:

وشبّ نار الحرب فوق الرسِّ ... ثلث السنة يضربهم بالقبسِ[٦].

---

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤ ـ ١٤٥).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٤).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٥).

(٤) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٤).

(٦) أحمد بن دعيج «تاريخ ابن دعيج» (٢٠٨).

وذُكِرَ أنَّ الترك رموا أهل الرسِّ في ليلة واحدة بخمسة آلاف رمية بالمدافع والقنبر والقبس[١]، وقيل إنَّ الترك أمطروا الرسّ في ليلةٍ من الليالي بثلاثين ألف طلقة من مدافع جيش إبراهيم باشا[٢]، فأهلكوا ما خلف القلعة من النخيل وغيرها[٣]. هذا وعبدالله بن سعود وجنوده في عنيزة على الحال، وأرسل أهل الرسّ إليه إمَّا أن يرحل إلى الأتراك ويناجزهم وإمَّا أن يأذن لهم بالمصالحة.

وفي ذات التوقيت أقبلت عساكر وقبوس وأمداد من الترك كثيرة، ونزلوا على إبراهيم باشا ومن معه، فاستعظم أمره وكَثُرَتْ دولته، فوقعت المصالحة بينه وبين أهل الرسّ على دمائهم وأموالهم وسلاحهم وبلادهم، وجميع ما عندهم من المرابطة يخرجون إلى مأمنهم بسلاحهم وبجميع ما معهم، فخرجوا من الرسّ وقصدوا عبدالله في عنيزة[٤].

يقول المؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس: «**لمَّا رأى إبراهيم باشا نفسه أنَّه في موقع صعب والتغلّب على [بلدة الرسّ] تعبٌ ونَصَب، انجبر على رفع الحصار بعد أن قضى في الحصار عليها ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً، أرهق نفسه وأتعب نهاره وأمسه ثمَّ جاء على غير طائل**»[٥].

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٢) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٧/١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٧/١ ـ ٣٨٨). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٥) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٤).

والكابتن البريطاني سادلير يذكر: «أنَّ إبراهيم باشا اضطرَّ في النهاية إلى المفاوضة ووضع شروط الاستسلام، ومع ذلك مُنِعَ جنود الباشا من دخول المدينة [الرسّ]، وكان على الجنود شراء حاجياتهم من أهالي الرسّ بشرط أن تبقى الرسّ محايدة إلى أن يتقرَّر مصير عنيزة»[١].

وهذا قريب مِمَّا أَكَّدَهُ مؤرّخو محمد علي باشا الذين ذكروا أنَّ الطرفان اتفقا على رفع الحصار عن الرسّ وعلى أن يذهب إبراهيم باشا مع جيشه حيث شاء، وعلى ألّا يدخل هو أو أحد من جنوده بلدة الرسّ، وأنَّ الأهالي ليسوا مجبرين على أن يقدّموا أيّ شيء لجيش الترك، وألّا يُطلَب منهم مؤنٌ أو غرامات، **وأنَّ بلدة الرسّ لن تقبل أن تقيم حامية تركية إلّا إذا استطاع إبراهيم باشا الاستيلاء على عنيزة**، وإذا لم يتمكن من ذلك فإنَّ المعارك تبدأ من جديد بين الطرفين[٢].

أمَّا لماذا اشترط أهل الرسّ عدم قبول حامية تركية إلَّا إذا استطاع إبراهيم أن يسقط عنيزة؛ فإنَّ القنصل الفرنسي في القاهرة يخبرنا: بأنَّ العلَّة في ذلك هو ضخامة قلعة عنيزة، فإنَّ القلعة بُنيَت خلال سبعين سنة، وعنيزة إلى جانب ذلك مدينة منيعة لا يُرام قهرها بسبب مناعة حصنها العظيم، ولذلك قال أهل الرسّ لإبراهيم باشا بأنَّهم سيسمحون بإقامة حامية لجيشه في الرسّ متى ما تمّ له الاستيلاء

(١) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٥). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٣).

على عنيزة، لأنَّهم ظنّوا أن عنيزة ستصمد وتقاوم طويلاً[١].

ويخبرنا إبراهيم باشا نفسه عن سبب هذا الشرط الذي اشترطه أهل الرسّ عليه، فيقول عن عنيزة: «البندر المسمَّى عنيزة جسيم في حدِّ ذاته، واتضَّح أنَّ جميع أهالي القصيم لا يخالفون رأي وتدبير هذا البندر، وأنَّ القرى الكائنة في وادي القصيم أيضاً تتبعه في سيره»[٢].

* ذكر القتلى من الجانبين في معركة الرس.

بلغ عدد القتلى الأتراك الذين سقطوا أمام أسوار الرسّ ٣٠٠٠ رجل[٣]، وقيل ٣٤٠٠ رجل[٤]، وقيل إنَّ قتلى الترك كانوا ٦٠٠ قتيل فقط[٥]، وأن جرحاهم بلغوا ١٩٠٠ جريح[٦].

أمَّا قتلى السعوديين في الرسّ فقد بلغ ١٦٠ رجلاً[٧]، وقيل ٧٠

---

(١) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٤/٩١).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م، (٢/٣٤٢ ـ ٣٤٣).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥١). ومحمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٣).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٨). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٦) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦). وسليم جبرائيل الخوري «آثار الأدهار/ القسم التاريخي» (٧١).

فقط[١].

ومِمَّن مات في حصار الرسِّ الشيخ عبدالعزيز بن رشيد آل حصنان (١٢٣٢هـ/١٨١٧م)[٢]، فقد كان هو قاضي بلد الرسّ يوم حاصرها إبراهيم باشا في النصف الثاني من شعبان عام ١٢٣٢هـ/يوليو ١٨١٧م حتى شهر الحج من ذلك العام، ولمَّا عجز إبراهيم باشا عن الاستيلاء على الرسّ بالحرب قطع بعض أشجارهم ونخيلهم، وكان فيما قطع وأتلف بستاناً جميلاً للشيخ عبدالعزيز آل حصنان يقال له الرويضة، وتأثَّر الشيخ من هذا الإجرام فأصيب بمرض من هذه الفاجعة؛ فصارت سبب وفاته في العام المذكور[٣].

* احتلال الخبرا.

لمَّا استقرَّ الصلح بين أهل الرسّ والترك، رحل إبراهيم باشا بعساكره ونزل بلد الخبرا، فلما نزلوها دبّ الرعب في قلوب أهلها من مدافع الترك فتفرَّقت البوادي هرباً من ضربها[٤].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٨/١). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٤).

(٢) هو الشيخ عبدالله بن رشيد بن زامل بن علي بن محمد بن حدجان من آل حصنان من فخذ آل محفوظ من قبيلة العجمان. انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٤٦/٣ ـ ٣٤٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (٣٤٧/٣ ـ ٣٤٨).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٨/١). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧).

ويذكر مؤرّخو محمد علي باشا وخواصه: أنَّ الخبرا تعرَّضت لنيران مدافع الترك على مدى ساعتين فاستسلمت، واستراح فيها الجنود الأتراك أحد عشر يوماً[١].

ثمَّ جاء المَدَد لإبراهيم باشا وهو ما يزال في الخبرا؛ إذ وصلته تعزيزات من بعض شيوخ العربان الذين تواطؤوا معه، فأعطوه الجمال اللازمة للنقل[٢]، كما وصلته إمدادات يقودها رشوان آغا[٣] مؤلّفة من ٣٠٠ رجل من الفرسان[٤].

* احتلال عنيزة.

رحل الباشا من الخبرا إلى عنيزة، وكان في عنيزة الإمام عبدالله قد عيَّد فيها عيد النحر، وكان فيها عسكر لابن سعود يقال لهم المرابطية[٥] جاؤوا من عِدَّة بلدان نجدية، أميرهم محمد بن

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٦ ـ ١٤٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٥).

(٢) وعن ذلك الأمر، انظر: صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل» (٥٠ ـ ٥١) (١١٢ ـ ١١٣) (١١٥) (١٣٥) (١٥٥ ـ ١٥٦) (١٨٨).

(٣) رشوان آغا: من قادة الفرسان في جيش إبراهيم باشا. كان له دورٌ في حصار (الدرعية). دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١١٧)، بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢هـ/ ١٢ يونيو ١٨١٧م (٢/٢١٥). وانظر عنه: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٧) (١٦٣ ـ ١٦٤) (١٧٨).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٥).

(٥) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨).

حسن بن مشاري بن سعود[١]، جعل عندهم عبدالله مؤونة في قصر الصفا[٢] لضروريات الحصار المرتقب وقوعه من إبراهيم باشا، فلمَّا رتَّب عبدالله البلد رحل منها إلى بريدة[٣].

أخذت قوات إبراهيم باشا تقترب من قلعة عنيزة الواقعة على مسافة فرسخ من مدينة عنيزة، وهي قلعة منظَّمة ومشيَّدة بشكل قوي[٤]، **وما إنْ اتَّخذت المدافع مواقعها حتى بدأ الترك يقصفون القلعة بشراسة[٥]، واستمر الترك يضربون عنيزة البلد ضرباً شديداً**

---

(١) محمد بن حسن بن مشاري بن سعود: من أمراء آل سعود المجاهدين البواسل، وصنائعه في المعارك ومقاومة الأتراك تشهد له بذلك. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٨) (٣٩٩ ـ ٤٠٠) (٤١٨). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/٤٢٥).

(٢) قال محمد بن ناصر العبودي: «قصر الصفا، وليس الصفاء، وهي تعني الحجارة الصلدة». وقال أمين الحلواني: «قصرٌ شاهق البناء مُحكَمه، كان مُتَحَصِّناً فيه عسكر ابن سعود، المُعبَّر عنهم بالمرابطية». وقد هدم اهل (عنيزة) هذا القصر في سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٣م، ثمَّ أعاد بناءه خورشيد باشا في أحداث سنة ١٢٥٤هـ/ ١٨٣٨م. انظر: عثمان بشر «عنوان المجد» (٢/٢٧) (١٦٥). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨). ومحمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٤/١٧١٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٥). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٨). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٥).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦).

(٥) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٢٩).

متواصلاً مدَّة ستَّة أيام، فاستسلمت[١] لعدم جدوى صدّ المدافع التركية المخيفة.

ولكنَّ المرابطين في قصر الصفا امتنعوا عن التسليم، فجرَّ عليهم إبراهيم باشا القبوس والقنابر ورماهم رمياً هائلاً، وظلّ الرمي مستمراً لا يتوقف يومين وليلتين[٢]، ثمَّ عمل الباشا زُحافات تَقِيه رصاص أهل القصر، وقرَّب منهم القبوس والقنابر حتى ثلم جدار القصر، ووقعت رصاصة من القنبر داخل القصر فأفسدت مستودعات ذخائر السعوديين المحصورين في القصر، فثار مستودع الذخائر واَلْتَهَبَت نيرانه وتطايَرت شرارته فهدم ما حوله وقتل بعض الرجال المحتصرين، ولم يترك انفجار المستودع بقية من البارود، فلمَّا رأى المرابطة أنَّ عنيزة سقطت وأن سور القصر هُدِمَ عليهم طلبوا المصالحة من الباشا فصالحهم على دمائهم وأموالهم وسلاحهم[٣].

بعدها أمر إبراهيم باشا أن تُقْطَع خمسة آلاف وربَّما ستَّة آلاف نخلة من نخيل عنيزة لينصب مدافعه خلفها، ثمَّ رمَّم قلعة عنيزة وأنشأ سياجاً لمعسكره حصَّنه بإتقان[٤].

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١).

(٢) دار الوثائق القومية، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٣٥٥/٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١). ووإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٥).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٧).

يقول القنصل الفرنسي في القاهرة: إنَّ سقوط عنيزة كان بتخطيط حربي فرنسي قام به الضابط فيسير المستشار الفرنسي الحربي لإبراهيم باشا، فهو الذي نظَّمَ وأدار المعركة، فلم يقاوم المقاتلون في عنيزة من وراء حصنهم أكثر من ستَّة أيام ثمَّ استسلموا، فتعاظمت ثقة إبراهيم باشا بمستشاره الفرنسي بعد هذا النصر، فكان رأيه هو المتَّبع عنده[١].

ولمَّا عَلِمَ عبدالله بسقوط عنيزة رحل من بريدة وقصد شقراء، وبعدها ذهب للدرعية يحصّنها، ثمَّ أذن لأهل النواحي بالرجوع إلى أوطانهم[٢].

وبناءً على الاتفاق المبرم سابقاً مع أهالي الرسّ وإبراهيم باشا؛ وُضِعَت حاميةٌ للترك في الرسِّ، إذ كان مقتضى اتفاق أهل الرسّ وإبراهيم أن يرفع الحصار ويتمّ الصلح بينهم، ولا توضع حاميةٌ للترك إلا إذا أخذ عنيزة واحتلَّها، وقد حصل احتلاله لعنيزة الآن، وعليه وُضِعت للتركِ حامية في الرسّ[٣].

وقد أرسلت حكومة الدولة العثمانية إلى محمد علي باشا تخبره بمدى الابتهاج الذي حصل للدولة جرَّاء وصول أخبار سقوط عنيزة في يد نجله إبراهيم باشا، وأنَّ حكومة الدولة وزَّعت ـ ابتهاجاً وفرحاً ـ

---

(١) انظر: منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٩١/٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١).

(٣) انظر: محمد فريد بِك «البهجة التوفيقية» (٧٤).

العطايا والخلع[١].

* احتلال بريدة والمِذْنَب.

بعدما رتَّب إبراهيم باشا تحصيناته في عنيزة، كان يريد الاستراحة قليلاً من عناء الحرب ثمَّ يواصل طريقه للبلدات والمدن النجدية الأخرى التي لا تزال صامدة، **ولكنَّ أحد زعماء العربان ـ وهو مِن الذين تواطؤوا مع إبراهيم باشا ـ استعجله لينطلق من عنيزة ويتوجَّه إلى بريدة ثمَّ شقراء**، فاستحسن الباشا ذلك[٢]، فزحفت عساكره من فورها على بريدة في غرَّة محرّم ١٢٣٣هـ/١١ نوفمبر ١٨١٧م[٣]، وكان أمير بريدة وقتها حجيلان بن حمد[٤].

وحين وصل إبراهيم باشا إلى بريدة بادر مباشرةً إلى تنظيم جيشه وهاجم بريدة بقصفٍ مدفعي عنيف وأمطرها بوابلٍ من القذائف حتى هدم أسوارها واستولى على إحدى قلاعها التي وُصِفَت بأنها قلعةٌ

(١) دار الوثائق القومية، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٣٥٥/٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٨).

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٦)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٣٤٥/٢). وانظر: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧). وأمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (٢٠٨).

(٤) دار الوثائق القومية، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٢٢)، بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٣هـ/ ٢٥ ديسمبر ١٨١٧م (٣٥٥/٢). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٠/١). وعبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٥ ـ ٢٧٦).

منيعة[١]، ثمَّ أمر بقتل كلّ أفراد الحامية السعودية في بريدة وكان عددهم مئتي رجل[٢]، وقيل إنَّه قتل منهم خمسين نفراً[٣]، ثمَّ احتزَّ الباشا جميع رؤوس رجالات الحامية ورماها بعيداً عن أجسادهم، ثمَّ أمر أن تُهدَّم كل الأبراج والمباني العالية في بريدة[٤].

ومن بعد إسقاط القلعة وأبراجها اقترب إبراهيم باشا من بريدة البلد وضرب عليها حصاراً وأخذ يمطرها بالقنابل مُدَّة يوم وليلة، فجاءه أمير بريدة حجيلان بن حمد وطلب منه الأمان، فأعطى الباشا الأمان لحجيلان وأهل بريدة[٥].

ثمَّ رحل الباشا من بريدة وأخذ معه بعض رؤساء القصيم ومنهم ولد حجيلان بن حمد؛ أخذه إبراهيم معه رهينة[٦].

وكان الباشا يأخذ من كلّ بلد إذا أراد أن يرتحل منها من رؤساء أهلها رجلين أو ثلاثة خوفاً من أن يقع عليه فشلٌ أو هزيمة

(١) الوثيقة السابقة (٢/٣٥٥).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦).

(٣) دار الوثائق القومية، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٦)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٥).

(٤) الوثيقة السابقة (٢/٣٤٥). وانظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٦).

(٥) الوثيقة نفسها (٢/٣٤٦). وانظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٢).

فيحاربه أهل البلدان[١].

ثمَّ إنَّه نزل **بلدة المذنب** فأطاعه أهلها[٢] بعد أن أرسلوا إلى الباشا وفداً يطلب منه الموافقة على استسلامهم[٣].

* إبراهيم باشا يسير إلى الوشم.

سار إبراهيم باشا في تاريخ ١٨ صفر ١٢٣٣هـ/٢٨ ديسمبر ١٨١٧م بعساكره ومدافعه وجماله وبغاله والعربان الذين انضمّوا إليه، **وكان أحد زعماء العربان دائم اللقاء به يحرّضه على استمرار المسير إلى الدرعية واحتلال البلدات والمدن التي في طريقها، لأنَّ هذا الزعيم البدوي كان يرجو أن يُسَنِّمَهُ إبراهيم باشا السيادة على الدرعية حال سقوطها بيد الباشا، وكان هذا المنظور المغري يجعل ذاك الزعيم البدوي يتوقَّد حماسة، وقد استمال هذا الزعيم إلى جانب إبراهيم باشا رجالاً انتزعهم بتأثيره فيهم من معسكر السعوديين[٤].**

كان إبراهيم باشا قد كتب إلى والده يطلب منه إرسال دعم له، وركَّزَ إبراهيم أن يكون الدعم محتوياً على الجنود المغاربة تخصيصاً، وبعد أن مرَّ شهران على احتلال الباشا لبريدة وصلته إمدادات من والده، وكانت مؤلَّفة من ثمانمئة رجل ومدفعي حصار وجمال كثيرة ومؤن وذخائر، فأصبح الجيش بعدها قادراً على المسير إلى الوشم

---

(١) انظر: محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم» (٥٢٢/٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٠/١).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٩).

وبعدها يضرب الدرعية[١].

* احتلال أشيقر.

غادر إبراهيم منطقة القصيم تاركاً وراءه بيوتاً مهدَّمة وقرًى مهجورة، وقصدت عساكره بلدة أشيقر في ١٨ صفر ١٢٣٣هـ/٢٨ ديسمبر ١٨١٧م.

كان جيش إبراهيم باشا الذي سار من القصيم إلى الوشم مؤلَّفاً من أربعة آلاف من الجنود الأتراك والألبان وخمسمئة مغربي يقودهم حسن كاشف[٢]، **وكان في مؤخرة الجيش بضعة آلاف من الخدم يتبعهم عشرة آلاف دابَّة للنقل، مضاف إليهم جموع من بدو الجزيرة الذين مالوا إلى إبراهيم باشا وكانت مهمَّتهم حراسة قوافل تموين الجيش واستطلاع الطريق التي تسلكها عساكره**[٣].

يقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عن هؤلاء: «**هؤلاء الذين في وقت حملة الأعداء على بلاد التوحيد؛ ذهبوا إلى الأعداء ومالئوهم وزيَّنوا لهم الغزو وسهَّلوا لهم الطرق وبيَّنوها، وأجَّروهم دوابَّهُم لحمل معدَّاتهم وذخائرهم، وجلبوا لهم المؤونة... وأعطوهم أسرار المسلمين ودلّوهم على عوراتهم... وصاروا مع العدوّ بكلّ**

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٥٠).

(٢) حسن كاشف: أحد قادة جيش حملة إبراهيم باشا على أهل نجد، وحسن كاشف هذا رجلٌ خبير بحرب الاستطلاع، وكانت فرسان المغاربة تحت قيادته منذ وصولها إلى (ينبع) حتى بلوغها (الدرعية). انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٢٣) (١٥١).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٠).

جهة، حتَّى أنَّهم يقاتلون معه»[١].

ويعلّق فيلكس مانجان على فِعْلَةِ أولئك الفئات قائلاً: «**شأنهم في ذلك شأن زعماء القرى الذين يُفَضِّلون رؤية وطنهم مهزوماً**»[٢].

الحاصل؛ بعد مسير أربعة أيام وصل إبراهيم باشا إلى الوشم، ونزل بلد أشيقر والفرعة[٣]، ثمَّ أقام معسكره الممتلئ بالعساكر والسلاح قريباً منها، فأرسل إليه أهل أشيقر والفرعة يطلبون منه الأمان، فأخذ بلداتهم ونزل فيها[٤].

* صمود أهل شقراء.

وصل إلى الباشا إمدادات من العساكر والقبوس وصار في قوةٍ عظيمة[٥]، فسار بها من أشيقر في ٦ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/١٤ يناير ١٨١٨م[٦]، وقيل في ١١ ربيع الأول/١٩

---

(١) صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل» (٤٣) (٥٠) (١١٣ ـ ١١٤) (٢٢١ ـ ٢٢٢) (٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥١).

(٣) الفَرعَة: وهي (فَرعَة الوشم) المجاورة لبلدة (أشيقر) جنوبها. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٤٩).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٠).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥)، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٢/٣٤٣ ـ ٣٤٤). ومحفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥١).

(٦) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢).

يناير[١] حتى وصل قريباً من شقراء بعساكره المدجَّجة بالسلاح[٢].

سارت تلك العساكر وهي تحت ذات التأثير الدعائي التركي الذي هيمن عليها من قبل في مسيرها للرسّ وما تلاها، **فقد كانوا يعتقدون أنَّ أهل شقراء خوارج طغاة تجب محاربتهم، ويرون أنَّ أهلها خونة**، فهذا إبراهيم باشا قائد عساكر الترك يصف أهل شقراء قائلاً: «**زمرة طغاة الوهابيين، السيِّئي الأفعال من أعوان عبدالله بن سعود**»[٣]، ووصفهم بأنَّهم من «**أشرار الوهابيين**»[٤].

كان إبراهيم يرى من الأهمية القصوى أن يحتلّ شقراء؛ لأنَّها تُعَدُّ من أقوى المواقع في بلاد نجد كلّها[٥]، وهي من القلاع القوية في دولة ابن سعود[٦]، وهي أيضاً موقعٌ حصين تكمن أهميته في أنَّه مفتاح للدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، كما أنها قاعدة إقليم الوشم وخطّ الاتصال بالجهات الغربية التي يمرّ منها الطريق بين الرسّ

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٢/٣٦٨). وانظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٨٩).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٢)، بنفس تاريخ الوثيقة السابقة (٢/٣٦٥ ـ ٣٦٦).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بنفس تاريخ الوثيقة السابقة (٢/٣٦٨).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٥).

(٦) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٤).

والدرعية، ثمَّ إنَّ جبال طويق(١) تحيط بها من جميع الجهات، ولها تجارةٌ رائجة في الماشية والأصواف والسجاجيد مع دمشق وبغداد والبصرة(٢).

المقصود؛ في تلك الأثناء التي سار بها إبراهيم باشا قاصداً ضرب شقراء كان **حمد بن يحيى أمير شقراء وناحية الوشم(٣) أمر على أهل بلد شقراء أن يحفروا خندقاً يحيط ببلدهم، وكانوا قد بدؤوا في حفره وقت حملة طوسون باشا، فلمَّا صارت المصالحة تركوه، ثم لمَّا بلغتهم أخبار مسير إبراهيم باشا وعساكره نحو نجد قاموا بتجديد حفر**

---

(١) طُوَيق: جبل (اليمامة) الأشمّ. يسمَّى جبل (اليمامة)، ويسمَّى جبل (العارض)، ويسمَّى جبل (طويق). يبدأ من رمال (الثويرات) شمال (الزلفي) ويذهب مجنباً حتى يندفن طرفه في (الربع الخالي) جنوباً، أي بما تُقدَّر مسافته بألف كلم، وتسيل منه عشرات الأودية الكبار. وتنفصل من (طويق) سلاسل جبال من الشمال. ويضمّ من سكان المملكة نسبة كبيرة، وفيه وحوله آثار عمران وطلول حضارة ومخلَّفات أمم وصفحات أجيال. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١/١٨ ـ ٢٤) (٢/١١٧).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٥ ـ ١٥٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٥).

(٣) حمد بن يحيى بن غيهب: وآل غيهب فخذٌ كبيرٌ من أفخاذ قبيلة بني زيد. والشيخ حمد بن يحيى هذا هو أمير (شقراء) ذاك الوقت، وكان الإمام سعود جعله على الخراج، وجعله الإمام عبدالله أميراً على سائر (الوشم). وكان ابن يحيى ذا رأيٍ سديد، وهو أوَّل من ساعد وسار لمساندة الإمام تركي بن عبدالله، وكان مبعوث الإمام فيصل بن تركي إلى جهات عمان وإمارات ساحل عمان الشمالي ليحفظ ثغورها. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٢٩٥) (٣٨٩ ـ ٣٩١) (٣٩٣) (٤٢٣)، (٢/٢٥) (٣٦) (٨٥) (١٠١) (١٢٢) (١٥٨). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضرة في نجد» (٦٣٠)

الخندق أشدّ القيام واستعانوا بالنساء والولدان لحمل الماء والطعام حتى جعلوه خندقاً عميقاً واسعاً، وبنوا على شفيره جدارٌ من جهةِ السور، وكانوا قد تحوَّطوا لحصار عساكر الترك لهم فأمَّنوا بلدة شقراء بما تحتاجه من الحنطة والطعام الكثير[١].

* بدء القتال بين أهل شقراء والأتراك.

لمَّا صار الباشا عند حدود شقراء خرج على رأس ثمانمئة فارس ليستطلع أنحاء البلدة، واختار المكان المناسب لإقامة معسكره[٢]، فنزل في أسفل البلدة وشمالها، **فخرج إليه أهل شقراء، فساق الباشا عليهم الأتراك من عساكره، فوقع بينهم قتال شديد في وسط النخيل وخارجها، فقُتِلَ من الأتراك قتلى كثيرة وجُرِحَ منهم جرحى عديدة**[٣].

وفي المساء رجع الباشا إلى مقرِّ قيادته العامة وأمر القادة بأن يكونوا على أهبَّةِ الاستعداد، وبدأ زحف الترك في صباح اليوم التالي، وعند الظهيرة وصل الجيش المؤلَّف من ٤٥٠٠ محارب أمام أسوار شقراء يتبعه ٦٠٠٠ جمل محمَّلة بالمؤن والذخائر[٤].

أخذ الباشا يجول حول محيط شقراء ويقيسها ويعرف موضع

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٨٩/١).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩١/١).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢).

منزله ومنزل عسكره ومدافعه[١]؛ **لأنَّه يعلم أنَّ أهل شقراء محاربون وأهل صدق في الحرب مجرَّبون**، فوضع الباشا قبوسه وقنابره ومدافعه فوق المَرْقَب عند الجبل الشمالي[٢].

أقام إبراهيم باشا معسكره جنوب شقراء وشرقها وأمر قنَّاصته خارج السور بإطلاق نيرانهم على من يستبين لهم من أهل البلد داخل السور، ثمَّ نصب إبراهيم باشا مدفعيته على هضبةٍ أخذت تصبّ قذائفها على شقراء صبًّا عنيفاً، ناهيك عن نيران البنادق الذي لم يتوقَّف[٣]، فكانت المدافع ترمي البلد رمياً هائلاً أرهب ما حوله من القرى والبلدات من أهل سدير ومنيخ والمحمل وغيرهم، حتى سمعه من في العَرَمَه[٤] ومُجَزّل[٥] وما حولها، فلمَّا احتصر أهل شقراء داخل

---

(١) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩١/١). ولعلَّه يقصد بالجبل الشمالي (جبل كميت)، وهو غير (كميت مراة)، انظر: عبدالله بن خميس في كتابه «المجاز بين اليمامة والحجاز» (ص٥٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٤) العَرَمَه: عارضٌ مستطيل من الشمال إلى الجنوب، بما تقارب مسافته ٣٠٠ كلم طولاً، و٣٠ كلم عرضاً في المتوسط، وينحدر جبلها من الناحية الغربية انحداراً شديداً، ويشكّل صفحات قائمة وأنوفاً بارزة، أمَّا من الناحية الشرقية فيأخذ في الانحدار التدريجي حتى يلامس السهول الشرقية بينه وبين (الدهناء). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٤٥/٢).

(٥) مُجَزّل: جبل مشهور في (اليمامة)، وهو جبل منقاد من الشمال إلى الجنوب شأن تكوين جبال الجزيرة، يقبل مِمَّا يلي (رمل السيَّاريَّات) و(ضويحي الزلفي)=

بلدتهم أنْزَلَ إبراهيم باشا قبوسه ومدافعه وقنابره من رأس الجبل وقرَّبها من سور شقراء، وحقَّق على أهل البلد الحرب والرمي المتتابع، حتَّى قيل إنَّه رماها في ليلةٍ بثلاثمئة حمل من الرصاص والبارود.

ويذكر شاهد عيان كان في وسط شقراء: أنَّ رصاص القبوس والمدافع والقنابر والبنادق يتضارب بعضها ببعضٍ في الهواء فوق البلد وفي وسطها[١].

ثمَّ إنَّ إبراهيم باشا هَدَمَ ما يليه من سور شقراء[٢] وقطع نخيلها[٣] إلا قليلا، هذا وأهل البلد ثابتون وفي أكنافها يقاتلون، فقرَّب الباشا القبوس من السور وهَدَمَ ما يليه من الدور والقصور.

فلمَّا همَّ الترك بالحملة على أهل شقراء انثنى عزمهم لأجل الخندق، ولأجل ما أذاقهم أهل البلد من شِدَّة القتال أول نزولهم، فصار الخندق من أسباب ثبات أهلها لأنَّه لا يُرام.

وفي كلّ ليلةٍ كان الباشا ينادي أهل شقراء ويدعوهم للمصالحة وهم يأبون عليه ذلك[٤].

= وما صاقبها، ويذهب مُجنِباً حتى ينتهي بجبل (خزَّة) حذاء (بلبول). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٣٢).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩١).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٢/٣٦٨).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩١ ـ ٣٩٢).

وفي ذلك يقول الناظم لتلك الحوادث الرهيبة، الشيخ أحمد بن علي بن دعيج:

شقرا عليها شبّ نار الحرب ... بالقبس ضرباً مثل رجم الشهب
نهارهم يشبه هبّ عاصف ... وليلهم بالوصف رعد قاصف
ثلاثة أيام عليهم طالت ... وأفزعت قلوبهم وهالت
وفنيت الأسباب والأسوار ... لم يبق إلّا خندقٌ دوَّار
والتفت الأشراك والشباك ... وأيقنوا بالعطب والهلاك
وحوَّمَت عليهم المنيَّة ... نجَّاهم الله بصدق النيَّة[1].

ويذكر مؤرّخو محمد علي باشا ـ وبعضهم كان مرافقاً للحملة ـ أنَّ إبراهيم باشا واصل قصفه لشقراء في ليلة ٨ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/١٦ يناير ١٨١٨م فأحدث القصف المتواصل ثغرةً في أسوار البساتين المحيطة بشقراء والتي تغطِّيها أشجار النخيل، فحملت قوَّات الترك على منازل أهل شقراء الواقعة خارج السور، فاحتدم القتال بين الترك وأهل شقراء، وصدَّ رجالات شقراء هجوم الأتراك، لكنَّ قذائف مدفعية الأتراك وقنابلهم أربكت صفوف المدافعين من اهل البلد وخوَّفتهم تلك الأسلحة الحديثة التي لم يعتادوها من قبل فانسحبوا إلى داخل البلد، فأحكم الأتراك قبضتهم على المنازل والمباني الواقعة خارج سور شقراء[2].

(١) أحمد بن دعيج «تاريخ ابن دعيج» (٢٠٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٢ ـ ١٥٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٢ ـ ٥٦٣).

* الغزاة الترك يقطعون رؤوس وآذان أهل شقراء.

بلغت خسائر الأتراك في هذا الهجوم ٤٢ قتيلاً وأسيرين ومئة جريح، أما خسائر أهل شقراء فكانت ١٦٨ شخصاً[(١)]، وقيل إنَّ عدد من قتل من أهل شقراء يُقَدَّر بعشرين نفساً بين الذكر والأنثى[(٢)].

وبعد مقتلهم على يد الأتراك طلب إبراهيم باشا أن يحضروا له جثث قتلى أهل شقراء، ثم أمر عساكره أن يُقَطِّعوا آذان تلك الجثث ويلقوها أمامه ليراها، ثم طلب إحضار الأسرى من أهل البلد وأمر أن تُقَطَّع رؤوسهم دون تمييز[(٣)].

* شقراء تحت الحصار والقصف المدفعي العنيف.

بعد ذلك الانتصار الأوَّلي لعساكر الترك، بادر الباشا إلى ضرب نطاق حول شقراء[(٤)]، وبدا أنَّ الأمور ستأخذ ذات المنحى الذي أخذته في حصار الترك لبلدة الرس، ولكنَّ توصيات مهندس الحصار الفرنسي فيسيير كانت مجدية بضرب حصار ناجح لا يكلّف خسائر كثيرة للترك، وسيكون في الوقت نفسه حصاراً منهكاً لأهل شقراء، عندها ضرب الترك ـ بناءً على توصيات فيسيير ـ حصاراً محكماً على شقراء.

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣). وإدوار جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣). وإدوار جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٢)، بتاريخ ١٧ ربيع أوَّل ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٢/٣٦٥).

لمَّا انتهت أعمال التحصين بدأت مدفعية الترك تضرب البلدة ضرباً عنيفاً، وفي ذات الوقت كان فرسان المغاربة يشنُّون الغارات على بعض القبائل التي تحاول إنجاد أهل شقراء[١].

*** مفاوضات تسليم شقراء.**

أحدث قصف الأتراك المستمر خراباً عظيماً ببلدة شقراء، وفي مساء ١١ ربيع الأول **١٢٣٣هـ/١٩** يناير **١٨١٨م** أرسل سكَّان البلدة وحاميتها رجلاً منهم للتفاوض مع إبراهيم باشا ليطلب منه التوصل إلى صيغة اتفاق للتسليم، وقد توقَّف القتال بناءً على ذلك لمدَّة ساعتين.

ولمَّا لم يتفِّق الجانبان على شيء؛ فإنَّ القتال استُؤْنِفَ بضراوة أكثر من ذي قبل حتى صُبْح يوم ١٣ ربيع الأول **١٢٣٣هـ/٢١** يناير **١٨١٨م**، وكان ضرب المدفعية التركية على أهل شقراء شديداً، عندها اضطرَّ أهل البلد إلى طلب التسليم، فأوفدوا أحد قادتهم إلى مقرِّ القيادة العامة للأتراك ليفاوض إبراهيم باشا في أمر الصلح[٢]، واتفق الجانبان على بنود الاستسلام، وعند الظهيرة فَتَحَت البلدة أبوابها، وكان أحد بنود اتفاقية الاستسلام ينصُّ على أنَّ رجال الحامية السعودية وعددهم ١٤٠٠ رجل يُسَلِّمون أسلحتهم في يوم ١٤ ربيع الأول/**٢٢** يناير، وعلى أن ينصرفوا في صباح اليوم التالي إلى بلداتهم[٣]، ونصَّت الاتفاقية على أن تُسلَّم المدافع الخمسة التي لدى

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣).

(٢) الوثيقة السابقة (٢/٣٦٥).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠). و«نبذة تاريخية عن نجد» (ص: ٦٥) أملاها: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها: وديع البستاني.

أهل شقراء وجميع الذخائر والأسلحة ومستلزمات التخييم للجيش التركي، ووجد الجيش التركي في شقراء قمحاً وشعيراً وأرزّاً فاشتراها الباشا ودَفَع ثمنها، وقد كَفَت تلك المؤن لتموين الجيش التركي شهراً كاملاً[١].

وقد بلغت خسارة المحصورين من قتلى شقراء في الأيام الستة التي قاوموا فيها قرابة ١٧٠ ومن الجرحى ٢٤٠، منهم ٣٥ امرأة و١٢ طفلاً[٢].

* لقاء الشيخ عبدالعزيز الحصيّن بإبراهيم باشا.

لمَّا مَضَت أيَّامٌ قليلة من مصالحة أهل شقراء؛ وَشَى بهم رجل من أهل نجد عند إبراهيم باشا، **كان هذا الرجل مِمَّن ساعد الباشا وسار معه**، فقال له: إنَّه ارتحل من شقراء عدَّة رجال من أعيانهم وعامَّتهم إلى الدرعية، وأنَّهم يريدون أن ينقضوا العهد بعدما ترتحل عنهم ويقطعوا سبلك. فأفزع ذلك الباشا وأهمَّه، **فدخل شقراء مُغْضَباً بعددٍ كثير من عساكره، وجعل العسكر في المسجد فأوقدوا فيه النيران** - وذلك وقت الشتاء - **ثمَّ دخل الباشا بيت إبراهيم بن سدحان المعروف جنوب المسجد، وأرسل إلى الأمير حمد بن يحيى وهو جريح فجيء به بين رجلين، فتكلَّم الباشا بكلامٍ غليظ، ثمَّ أرسل إلى الشيخ عبدالعزيز الحصيّن الناصري، وكان قدْ كَبُرَ وثقُلَ، فجيء به**

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٣ ـ ١٥٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٣ ـ ٥٦٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٤).

محمولاً فأكرمه الباشا وأعظَمَه، فذكر ما حدث من أهل البلد وأنَّهم فعلوا وفعلوا.

فكلَّمه بعض من حضر: أنَّ ما قال الواشي كذب، وأنَّ فلاناً في بيته وفلاناً قصد البوادي. فأرسل الباشا إلى ورقة الصلح فقرأها وردَّد قراءتها، وقام وقعد وهو يردّد قراءتها، وكان قصده أن يفتك بهم، فقال له الشيخ عبدالعزيز الحصيّن: كل ما تقول صدق، ولكن العفو يا باشا. فقال إبراهيم باشا: عفونا، عفونا إكراماً لمجيئك.

فكفى الله سبحانه شرّه، وخرج من البلد بعساكره، وأمرهم أن يُخلوا بيوتاً للجرحى الذين جرحوا في حرب شقراء ففعلوا، وأدخلهم عندهم، وهدم سور البلد ودفن خندقها، وأقام عليها نحواً من شهر، ثمَّ ارتحل منها، وأخذ عشرة من رؤسائهم، وسار منها إلى **بلد ضرما**، وأتت إليه مكاتبات أهل المحمل وحريملاء وأعطوه الطاعة[(١)].

* الباشا يسير إلى ضرما.

لمَّا علم الإمام عبدالله بمسير الباشا إلى ضرما أمر على رجالات جيشه أن يذهبوا إليها ويدخلوها ليصيروا عوناً لأهلها ضدّ عساكر إبراهيم باشا، فذهب سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[(٢)] ومعه عدَّة رجال من أهل الدرعية وغيرهم.

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٢ ـ ٣٩٣).

(٢) سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود: من أمراء آل سعود الذين كان لهم قدم صدق في مجاهدة المعتدين الأتراك في (ضرما) و(الدرعية). قتله إبراهيم باشا صبراً بعد أن قبض عليه عساكر الترك يوم انسحب بعد سقوط (الطريف) في (الدرعية) ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م وسلَّموه للباشا. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٤) (٣٩٦) (٣٩٨ ـ ٣٩٩) (٤١٨ ـ ٤١٩).

وذهب أيضاً للمرابطة في ضرما متعب بن إبراهيم بن عفيصان (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م) صاحب الخرج[١] وعدَّة رجال معه من أهل الخرج وغيرهم، وذهب أيضاً محمد العميري[٢] وعدَّة رجال معه من أهل ثادق والمحمل[٣]، كما ذهب من أهل العيينة عِدَّة رجال من آل معمَّر[٤].

* مذبحة ضرما.

كان الباشا يريد المسير إلى الدرعية مباشرة من بعد خلاصه من شقراء[٥]، ولكن الباشا تلقَّى تأكيدات بأنَّه لو استولى على ضرما لوجد

---

(١) متعب بن إبراهيم بن سليمان بن عفيصان: من قادة الدولة السعودية الأولى. قتله الأتراك في المجزرة التي ارتكبتها عساكرهم في (الدلم) الكائنة في (الخرج) في حملةٍ غادرة قادها آغا الحوطة جوخدار بيك، وهي المجزرة التي ذُبِحَ فيها أغلب رجالات أسرة آل عفيصان. انظر أخبار متعب بن عفيصان عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٠ ـ ١٨١) (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٤/١ ـ ٣٩٥) (٤٣٧).

(٢) محمد العميري: آل العميري؛ الأصل أنَّهم من سكَّان (حريملاء)، قاله: عبدالله بن خميس في «معجم اليمامة» (٣٢١/١). أمَّا محمد العميري فهو من الذين رابطوا في (ضرما) ثم في (الدرعية) وقت حملة إبراهيم باشا، ثمَّ كان للعميري دور في حوادث جلاجل بعد سقوط الدولة سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م. انظر أخباره عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٤/١) (٣٩٦) (٤٠٥) (٣٠/٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٣/١ ـ ٣٩٤).

(٤) انظر: المصدر السابق (٤١٩/١).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥)، رقم وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م (٣٤٣/٢ ـ ٣٤٤). ومحفظة (٥)، رقم=

فيها مؤناً وفيرة، وأكَّدَ له بعض من سار معه مِمَّن تواطأ معه من أهل الأرض بأنَّ ضرما سوف تستسلم له دون قتال[١].

وعندما وصل إبراهيم باشا إلى الحَيْسِيَّة[٢] كتب إلى أهل ضرما يطلب منهم المؤونة وعلف الخيل، فكان جواب أهل ضرما على طلب الباشا أن أرسلوا إليه بصرَّةٍ فيها بارود وقذائف رصاص، فقال إبراهيم باشا قولته المشهورة: «**أردنا شقراء وأراد الله ضرما**»[٣]، التي ذهبت مثلاً في نجد[٤].

فعطف إبراهيم باشا إلى ضرما ونصب مدافعه عليها[٥]، وجعل

= وحدة الحفظ (٦)، بنفس التاريخ السابق (٣٤٦/٢). ومحفظة (٥)، وحدة الحفظ (١٨)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٩ ديسمبر ١٨١٧م (٣٥١/٢).

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٧). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٢) الحَيْسِيَّة: هو ما يُطلق الآن على (وادي الأحيسي)، وهو ما فوق (العيينة) من (وادي حنيفة) من أعلاه. وأحياناً يطلقون (الحيسية) على ما سال من (وادي حنيفة) مشرّقاً ابتداءً من (ثنية الأحيسي) (سبع الملفات) ويطلقون على ما كان مغرّباً من هذه الثنية اسم (الحسْيَان). .انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٦٤/١) (٣٦٣).

(٣) انظر: «نبذة تاريخية عن نجد» (ص: ٦٦) أملاها: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها: وديع البستاني.

(٤) يقول محمد بن ناصر العبودي في «الأمثال العامية في نجد» (٨٣/١) عن هذا المثل: «أوَّل من قاله إبراهيم باشا إبَّان حروب الدرعية؛ حيث كان منتظراً أن يبطش بأهل شقراء لِمَا بلغَهُ عنهم من إخلاصهم لآل سعود، ولكنَّه لم يفعل، وإنَّما بَطَشَ بأهل ضرما، فقال هذا القول الذي أصبح مثلاً».

(٥) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٩٥/٢).

من موضع أم حُيَيْد[١] نقطة الانطلاق في الإغارة على ضرما[٢] التي عاندته ورفضت الخضوع له[٣].

لمَّا وصل جيش الباشا ضرما في ١٤ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ/٢١ فبراير ١٨١٨م، نزل شرقيّها قرب قصور المزاحميات بينها وبين بلد ضرما[٤]، فَحَطَّتْ عساكر الباشا خيامها وثقلها ثمَّ سارت بالقبوس والمدافع والقنابر ونزلت شمال البلد قرب السور.

عندها؛ ثار الحرب بين الترك وبين أهل ضرما الذين سارعوا بصدِّ هجوم الترك فقتلوا عدداً كبيراً من عساكرهم، ولم يعبؤوا بالباشا الذي طلب منهم المصالحة فأبوا عليه[٥].

من بعد ذلك حَشَدَت عليهم عساكر الترك والمدافع فلم يحصلوا على طائل، ثمَّ حشد الترك عليهم تارةً أخرى فقرَّبوا القبوس من

(١) أم حُيَيْد: تصغير حَيْد، وهي صفراء تقع شمالي (ضرما). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٦٣).

(٢) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٦٣).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٤). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٦ ـ ١٤٧).

(٤) المزاحميات: وأحياناً يقال لها (المزاحمية). يحدّها غرباً رمل (قنيفذة)، ومن الشرق (بطن قَرْقَرَى)، ومن الشمال (قَوِيْد) وجبال (أم خُشَيْم) و(جبل المُشَمْرَخ) وجبال (ربع لمَّاع). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٣٦١).

(٥) انظر: جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠). وفليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٧). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٤). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٧).

السور وحاربوا أهل ضرما حرباً عظيماً هائلاً[١]؛ حيث صوَّب إبراهيم باشا ثمانين من مدافعه على البلدة، وأمر رجال المدفعية أن يرموها بمئات القنابل.

يذكر أحد المؤرّخين أنَّه في ظرف نصف ساعة تَلفَت ضرما، حتى أنَّ كثير من أهلها خرجوا إلى جبل طويق وهلك منهم خلق كثير[٢].

وعندنا شهادة من شاهد عيان وقف على ذلك الحدث المهول، **فذكر أنَّه ومن معه عَدُّوا فيما بين المغرب والعشاء ٥٧٠٠ رمية ما بين قبس ومدفع وقنبرة أطلقها إبراهيم باشا على أهل ضرما[٣].**

على أنَّ إبراهيم باشا لَمَّا رأى صبر أهل ضرما وصدق جلادهم ساق الترك عليهم، وثَبَتَ لهم أهل البلد مرةً أخرى، ثمَّ حَمَلَ عليهم الترك حملةً واحدة **فاستمرّ أهل ضرما في الثبات وجالدوا الترك جلاد صدق وقتلوا من عساكر الباشا نحو ستمئة رجل، وهرب من سَلِمَ منهم إلى باشتهم، ثمَّ بنى أهل البلد ما تهدَّم من السور.**

وعندما تيقَّنَ الباشا من ثبات أهل ضرما في تلك الحرب؛ أمر على بعض القبوس وصرفها إلى جنوب البلد، وكان في تلك الجهة متعب بن عفيصان ومن معه من أهل الخرج الذين جاؤوا ليقفوا مع

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٤/١). ومحمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٤).

(٢) انظر: «نبذة تاريخية عن نجد» (ص: ٦٥ ـ ٦٦)، أملاها: ضاري بن فهيد الرشيد، وكتبها: وديع البستاني.

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٥/١).

إخوانهم في ضرما، وكان الحرب والضرب والرمي تتابع على أهل ضرما من الترك في الموضع الأول، وقتها كان أهل البلد والمرابطة من البلدات النجدية الأخرى قبالتهم عند السور المهدوم في وجه قبوس إبراهيم باشا وقنابره، فلم يفاجئهم إلَّا الصارخ من خلفهم أنَّ الترك خلفكم في أهليكم وأولادكم وأموالكم، فكرّوا لبلدهم راجعين[١].

حدث ذلك يوم وجَّه الباشا أوامره لعساكره بأنَّه يجب عليهم أن يقضوا على أهل ضرما قضاءً مبرماً، وأمرهم ألَّا يبقوا على أحدٍ منهم، فما كان من العسكر إلَّا أنْ نفَّذوا أوامر قائدهم في الحال، فوقعت المجزرة الشنيعة[٢].

حدث ذلك بعد صلاة الصبح ١٧ ربيع الثاني **١٢٣٣هـ/٢٤** فبراير ١٨١٨م؛ **حيث دخل الترك البلدَ من كلّ جهة وأخذوها عنوة وقتلوا أهلها في الأسواق والسكك والبيوت.**

وقد نهب الترك جميع ما احتوت عليه ضرما من الأموال والأمتاع والسلاح واللباس والمواشي والخيل وغير ذلك.

وكان محمَّد العميري المذكور مع رفاقه من رجالات ثادق والمحمل قد خرجوا من ضرما بعدما قُتِلَ بعضهم[٣].

يخبرنا مؤرِّخو محمد علي باشا عن مجزرة الترك التي ارتكبوها

(١) انظر: المصدر السابق (٣٩٥/١).

(٢) انظر: فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٧ ـ ١٥٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٥/١ ـ ٣٩٦).

في ضرما، حيث قالوا: إنَّ هؤلاء الترك ومن معهم من المرتزقة المتلهِّفين للسرقة والسلب والنهب ما كادوا يهزمون آخر الرجال المدافعين عن ضرما حتى دخلت جحافلهم البلدة في ١٧ ربيع الثاني ١٢٣٣هـ/٢٤ فبراير ١٨١٨م، فنفَّذوا إرادة قائدهم بسرعةٍ فائقة، **حيث انقضَّ الأتراك والمرتزقة على أهالي ضرما يطلقون النار عليهم بغزارة، ودخل الترك المنازل وقضوا على أهلها، وأخذ عساكر الترك يرمون أعناق رجالات البلد في الشوارع حتى ارتوت الأرض في المنازل والطرقات بالدماء.**

وقد أنجز الترك مجزرتهم خلال أقلّ من ساعتين، ولم يبق على قيد الحياة إلَّا بضع مئات من النساء والبنات والأطفال.

كانت أولئك النسوة والفتيات والأطفال يرون أمام أعينهم جثث آبائهم وإخوتهم وأزواجهم وأبنائهم يختلط بعضها ببعض، كانت الدماء تجري في الطرقات التي اكتظَّت بجثث القتلى من أهل ضرما، ولم يترك الأتراك والمرتزقة لمن تبقَّى حيّاً من أهل البلد إلَّا أن يتبعوا إلى القبر من كانوا يحبّونهم[١]**. ذلك كان العقاب الذي أوقعه إبراهيم باشا بأهل ضرما الذين أرادوا الوقوف في وجهه.**

وقد قيل إنَّ عدد القتلى في ضرما نحو ألف وثلاثمئة رجل[٢]، وقيل ألف ومئتي رجل[٣].

(١) انظر: فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٨). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٢) انظر: عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٧٦).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١).

فلمَّا انتقم إبراهيم باشا من أهل ضرما وشفى غليله منهم، سمح لنساء ضرما وأطفالها بالبقاء في وسط تلك الخرائب التي أنزلها ببلدتهم بعد انْ نكَّلَ جنوده بأهلها، وجعل أولئك النسوة يبقون أمام جثث آبائهم وإخوتهم وأولادهم وأشلاء أزواجهم المنحورة المتناثرة، ولم تَكَد هذه المذبحة تنتهي حتَّى هبَّت عاصفة مصحوبة بالأمطار والبَرَد والرعد، لتضفي على المشهد في ضرما مزيداً من البؤس والألم؛ لقد غَمَرَت المياه السهل كله[1] في وقتٍ كانت فيه البيوت مهدَّمة والمنازل مخرَّبة.

يقول المؤرخ ابن بشر: «وكانت تلك الليلة سابع عشر ربيع الثاني ١٢٣٣هـ [٢٤ فبراير ١٨١٨م] التي حصل فيها شدَّة هذا الحرب من إرادة الله سبحانه وقدره، لمَّا أراد أن يُمضي أمره صب السماء عليهم بالمطر ومعه بَرَد شديد يجمد منه في الجوّ القطر»[2].

ويخبرنا الكابتن البريطاني سادلير عن مشهدٍ آخر من مشاهد مجزرة الترك بأهل ضرما، فيقول: «**فجأة تغيَّر مزاج الباشا وأمر بقتل الأهالي، وَوُضَعَت جائزة قدرها خمسة جنيهات ألمانية مقابل كلّ زوجٍ من الآذان، وامتلأت أكياس الجنود بالأموال، ولم يكن الباشا على حالٍ أحسن منهم؛ فقد استخدم مسدسه بنفس الأسلوب الذي استخدمه الجنود وكأنَّه جنديّ بخيل**»[3].

---

(١) انظر: فليكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٥٨ ـ ١٥٩). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٦ ـ ٥٦٧).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٥/١).

(٣) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٠).

وفي أثناء تلك الحوادث كان سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود ومعه عدَّة رجال من أهل الدرعية وغيرهم من الذين جاؤوا لنجدة أهل ضرما، قد احتصروا في قصرٍ من قصور البلد، فأرسل إليهم إبراهيم باشا وأعطاهم الأمان على دمائهم[١]، فخرجوا وساروا إلى الدرعية ولم يَنَلْهُم مكروه.

وخرج رجال من أهل البلد وغيرهم على وجوههم في البرية، فما بين ناجٍ ومقتول، حتى بقيت البلد خالية من أهلها.

ثمَّ جمع إبراهيم باشا جميع ما في ضرما من النساء والذرية وأرسلهم إلى الدرعية وهم نحو ثلاثة آلاف نفس[٢]، على أنه سلب من النساء متاعهنَّ[٣].



(١) انظر: المصدر السابق (١٣٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٦/١).

(٣) انظر: سليم جبرائيل الخوري «آثار الأدهار/ القسم التاريخي» (٧١).

* مسير الباشا إلى الدرعية.

لما نهب إبراهيم باشا بلد ضرما وأخلاها من أهلها ارتحل عنها بعساكره الهائلة وأسلحته الكثيفة قاصداً الدرعية[١]، يريد محاصرتها ثمَّ إسقاطها، وكانت هي هدفه الذي سعى إلى تحقيقه منذ انطلق من مصر تنفيذاً لأوامر سلطان الدولة العثمانية.

لقد تحركت تلك الجحافل المهولة من ضرما قاطعةً طريقها عبر الحيسية، ثم دخلت وادي حنيفة من عند بلد العيينة وبلد الجبيلة، ثم تقدَّمَت عبر الوادي حتى نزلت المَلْقَا[٢] في الوادي أعلى الدرعية[٣].

على أنَّ إبراهيم باشا يوم اقترب من حدود الدرعية؛ وجد أنَّ أهل الدرعية قد تأهَّبوا للقائه، كما تفاجأ إبراهيم باشا بأنَّ جموعاً كثيرةً من أهالي نجد قد هرعوا إلى الدرعية ليقفوا مع أهلها. وإليك تبيان ذلك:

* أنصار الدولة السعودية الأولى يهرعون إلى الدرعية.

هرع الأهالي من بلدات نجد إلى الدرعية مسرعين ليقفوا مع أهل الدرعية ويآزروهم في صمودهم ضدّ عساكر إبراهيم باشا[٤].

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٧).

(٢) المَلْقَا: هي ملتقى (وادي حنيفة) من الشمال و(وادي العمارية) من الغرب و(القَرِي) قرى (الملقا) من الشرق. تجتمع هذه الأودية الثلاثة ثم تنحدر مارَّة بقرية (العِلْب) ثمَّ (العَوْدَة) ثمَّ (الدرعية) ثمَّ (عرقه) فـ (الرياض). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٨٩/٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٦/١).

(٤) انظر: المصدر السابق (٣٩٢/١) (٣٩٦ ـ ٣٩٧).

فقد هرع عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة، ومعه أهالي منفوحة وعدد كبير من رجالاتهم[١] للدخول إلى مدينة الدرعية، راغبين في الوقوف مع إخوانهم في وجه عساكر إبراهيم باشا.

كما جاءت أفزاع بلد الحريق[٢] برجالاتهم يقودهم عبدالله الهزاني مسرعين لدخول الدرعية قبل أن يصلها إبراهيم باشا، فكان الهزاني وأهل الحريق في الصفوف الأمامية التي تتلقى الضربات الأولى من عساكر إبراهيم باشا[٣]. وكان في الدرعية قاضي الحريق والحوطة الشيخ رشيد السردي النجدي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٤]؛ الذي ترك الحريق والحوطة وأتى للمرابطة في الدرعية[٥].

وجاء أيضاً أفزاع أهل الوشم[٦] بقيادة محمد بن ابراهيم بن سدحان صاحب شقراء.

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٣٩٨/١) (٤٢٠).

(٢) لم تسقط (الحريق) ومحيطها بعد في يد عساكر الترك، وستسقط بعد سقوط الدرعية.

(٣) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩١). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٤).

(٤) الشيخ رشيد السردي النجدي: فقيه محدّث من علماء (الدرعية)، جعله الإمام سعود قاضياً على (الحوطة) و(الحريق). قُتِلَ سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م على يد عساكر إبراهيم باشا في حوادث (الدرعية). انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (١٩٠/٢ ـ ١٩١).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١) (٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٦) انظر: المصدر السابق (٤١٩/١).

ثمَّ جاءت الأفزاع من أهل المحمل بقيادة محمد العميري. وجاء أيضاً أهل الصفرة[١] في المحمل بقيادة شديِّد اللوح.

كما حضر للدرعية أهل سدير بقيادة عبدالله ابن قاضي سدير أحمد بن راشد العريني[٢]؛ الذي ترك مكانه هناك وأتى للمرابطة في الدرعية.

كما كان في الدرعية الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٣] قاضي ناحية الخرج، ترك الخرج وجاء للمرابطة في الدرعية.

ومثله جاء من الرسِّ الشيخ الفقيه صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٤].

وجاء من بلد عرقة أهلها بعد أن خرجوا من بلدتهم يوم هاجمها

(١) الصُفُرَّة: وادٍ من أودية (المحمل) ينحدر من جُمجمة (اللهزوم) مشملاً يميل إلى الشرق، وينتظم قرى (الصفرات) داخل الجبل ثمَّ يسهل فينبسط شمال منهل (الحِسي) وجنوب منخرق (وادي البير) جنوب (الملتهبة). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٧٣/٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١) (٤٠٥) (٤٢٠). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٧٣/٢).

(٣) الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني. فقيه فاضل، كان قاضياً في (الخرج)، فتركها ورابط في (الدرعية)، فقتلته عساكر إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦١/٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

إبراهيم باشا[١] فاستقرّوا في الدرعية[٢] ورابطوا فيها وتجهَّزوا لمقاومة عساكر الباشا.

كما كان في الدرعية رجالات من بلد جلاجل وبلد شقراء وعدد من أهلها وأعيانها بعد أن أخذ بلدهم إبراهيم باشا[٣] قبل مسيره للدرعية. وانضمَّ إلى هؤلاء من نزح من ضرما من الرجال الذين نجَّاهم الله من مجزرة إبراهيم باشا، فجاؤوا بنسائهم وأطفالهم للدرعية ورابطوا فيها[٤].

من بعد أولئك توالت جموع أهالي البلدات النجدية الأخرى مسرعةً للوقوف مع أهل الدرعية، فكانت الجموع تهرع للدرعية من ثادق والحوطة وحريملاء والعيينة والأفلاج، وجموع من أهل القصيم وغيرهم عددٌ كبير[٥].

وتزامن مع هرع أولئك النجديين إلى الدرعية أن تَدَفَّقَ على العاصمة أعدادٌ من أهل البحرين والحسا، ثمَّ تدفَّقَت بعض قبائل من ساحل الإمارات الشمالي في إقليم عمان، كما أسرع بعض أهل الجنوب للمرابطة في الدرعية[٦].

---

(١) سيأتي بعد قليل تبيان سقوط (عرقه).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٠).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٣٩٢).

(٤) انظر: المصدر نفسه (١/٣٩٦).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٠).

(٦) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٢).

ويذكر مؤرِّخ حكومة الهند البريطانية تشارلز لو Charles Rathbone Low ـ اعتماداً على وثائقه البريطانية التي جمعها ـ أنَّ **خمسة آلاف مقاتل من القواسم جاؤوا لمناصرة أهل الدرعية ضد جيوش إبراهيم باشا في صفر ١٢٣٤هـ/نهاية سنة ١٨١٨م؛ وكان القواسم قد جاؤوا على متن ١٧ سفينة حربية**، لكنَّهم لمَّا وصلوا القطيف؛ بَلَغَهم نبأ اتفاق تسليم الدرعية لعساكر إبراهيم باشا، فعاد القواسم إلى بلادهم[١].

* أمراء آل سعود ومن معهم يبذلون أموالهم ويوزّعون قواتهم في الدرعية.

من قبل أن يتحرك إبراهيم باشا، وحتى وصوله بعساكره للدرعية ومحاصرتها، **كان أفراد آل سعود وعلى رأسهم الإمام عبدالله يبذلون أموالهم في سبيل حماية وطنهم، وكانت أسرة آل سعود تبيع ممتلكاتها في سبيل تدبير مصاريف حرب الدفاع عن الدين والوطن، وقد برهنوا بأفعالهم هذه على الحب الذي يكنّونه لمواطنيهم ومدى تعلّقهم بوطنهم**، وهو الأمر الذي شهد به مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان[٢] والمؤرّخ المصري محمود فهمي المهندس[٣].

ويوم توجَّه إبراهيم باشا بعساكره لحصار الدرعية وَضَرْبِهَا؛ كان الأمراء من آل سعود قد اتخذوا أماكنهم لصدّ عدوان الباشا وعساكره من الترك والألبان وبقية الأعاجم ومن معهم من المرتزقة، فكان

(١) **انظر**: Ch. R. Low, History of The Indian Navy, vol.1, p.349-350.

(٢) **انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١١٩).**

(٣) **انظر: محمود المهندس «البحر الزاخر» (١٤١).**

ترتيب آل سعود لأنفسهم ومن معهم على المواقع الحربية كالتالي:

ـ القيادة العامة للجيش السعودي في الدرعية:

كانت القيادة العامة للإمام عبدالله بن سعود، وعَسْكَرَ معه آل الشيخ ومعهم عددٌ من الرؤساء والأعيان والشجعان بين باب سمحان وباب قلعة البلد المسمَّى باب الظهرة(١)، وبنوا خيامهم فيه، وعندهم مدافع كبار(٢)، وبنوا أيضاً محاجيهم(٣) التي كانت تقابلها محاجي الترك، ولازم الإمام وآل الشيخ ومن معهم محاجيهم بالليل والنهار(٤).

ـ قوات أمراء آل سعود ومن معهم في بطن الوادي من شماله:

من الواضح أنَّ العدد الأكبر من القوات السعودية تركَّزَ في نقاط الدفاع الشمالية والشمالية الغربية، نتيجةً لتوقُّعِ هجوم إبراهيم باشا من جهةِ الشمال، وبالفعل كانت هجمات إبراهيم باشا مركَّزَةً في تلك

---

(١) الظهرة: أحد أحياء (الدرعية)، وهو داخلٌ في سور (سمحان) وسور البلد. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١١٣/٢). وعبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال» (١٩). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣) (٩٥). ويوسف شلحد «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر» منشور في «مجلة العرب»، ج٣ ـ ٤، السنة ١٩، رمضان ـ شوال ١٤٠٤هـ/ يونيو ـ يوليو ١٩٨٤م (ص: ١٥٦).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٦/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٨) (٩٠).

(٣) انظر تعريف المحاجي في تعريف المتاريس الآتي بعيد قليل في هامشة قريبة.

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٦/١).

المناطق[١] كما سنرى لاحقاً.

وعليه؛ كان الأمير فيصل بن سعود ـ أخو الإمام عبدالله ـ ومعه أخوه الأمير إبراهيم وأخوه الأمير فهد ومعهم عدد من رجال الدرعية قد تمركزوا في الصفوف الأمامية شمال الدرعية[٢] في بطن الوادي[٣] تجاه الباشا وعساكره[٤] وقبوسه وقنابره، وكان الأمير فيصل وأخوه إبراهيم وفهد قد وضعوا المتاريس[٥] والمدافع عند سمحة شمال الدرعية[٦].

---

(١) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٦).

(٢) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٨).

(٣) المقصود (وادي حنيفة) الذي يمرّ على (الدرعية) ويجعلها نصفين على يمنته ويسرته، فيسمَّى (بطن الوادي) كما يسمَّى (الباطن). انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٤٦٢/١). وقد مرَّ تعريف (الباطن) في الفصل الخامس.

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٦٨).

(٥) متاريس: من التِّرْس، وجمعه تروس. وهو التّرس الحربي المعروف الذي يحمله المحارب يتقّي به طعن الرماح وضرب السيوف. ويُسمَّى أيضاً: درقة، وهو عربيّ فصيح. وقد قال محمد بن لعبون:

فِي صَحْصِح كنّهْ قِفَا التّرسْ مقلوب   طَرْب بِهْ الجِنّي علَى فِقْدِهْ الذِّيبْ.

انظر: سعد بن جنيدل «معجم التراث والسلاح» (٥٠ ـ ٥١). وعلى أيَّة حال فالمتاريس هي ذاتها المحاجي التي يتكرر ذكرها في تاريخ ابن بشر، وهي بالمصطلح العسكري تسمَّى: الدشمة.

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٧/١).

وكانت قوَّات أهل الحريق يقودهم تركي بن عبدالله الهزَّاني صاحب حريق نعام وغيرهم في تلك الجهة متقدّمين خارج الأسوار في بطن الوادي بين قوَّات فيصل بن سعود وعساكر إبراهيم باشا، أي في المواجهة المباشرة لعساكر الترك من الشمال[١].

ـ قوات أمراء آل سعود ومن معهم شرق الدرعية:

تمركز عند المغيصبي[٢] في شاطئ الشعيب إخوة الإمام عبدالله، وهم: الأمير سعد بن سعود وأخوه الأمير تركي بن سعود وعندهم جمع من أهل الدرعية[٣].

ومن فوق المغيصبي تمركز عبدالله بن مزروع صاحب منفوحة ومعه عدد رجال من أهل منفوحة وغيرهم[٤].

أمَّا الأمير عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود فقد تمركز في جهة ناظرة[٥] عند غَصِيبَة ومعه عدد من أهل الدرعية وأهل

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩١). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٤).

(٢) المغيصبي: شعيب في أعلى (الدرعية) خارج أسوارها من الشمال، على الضفَّة اليمنى لـ (وادي حنيفة)، وهذا الشعيب على يمين (سمحة) مقابلها؛ بينه وبينها الوادي. انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٣/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١).

(٥) ناظرة: يقول ابن خميس في ردِّهِ على تعليقات آل الشيخ على تاريخ ابن بشر=

المحمل وغيرهم[١].

وعلى ذلك الجانب أيضاً عِدَّة أبطال من آل دغيثر وغيرهم داخل السور، وقد تمركز آل دغيثر أكثر ما تمركزوا في شعيب قليقل[٢] داخل السور، حيث تمركز هناك حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه علي ومعهم جمع من أهل الدرعية وغيرهم، وكل رجل من هؤلاء معه عنده مدافع في موضعٍ معروف لا يفارقه إلى باب سمحان، وقد بنوا محاجيهم من الحجارة، وكانت تقابلها محاجي عساكر الترك، ولم يترك آل دغيثر ومن معهم محاجيهم بالليل والنهار[٣].

كما تمركز في تلك الجهات الشرقية من الدرعية الأمير فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فقد عسكرت قواته عند قري عمران عند النخيل المسمى بالرفيعة[٤] ومعه عدد رجال من أهل

= ما نصّه: وما (ناظرة) التي في (الدرعية) يا شيخنا سوى ظهر صغير يقع بين سور (الدرعية) شمالاً وشرقاً، و(غصيبة) جنوباً، و(السلماني) غرباً؛ ظهرٌ لا يؤبَه له، ولا يعرفه جرير، وما به ما يُوجِب المعرفة والشعر والبحث الطويل العريض، ولا من الحبَّة قُبَّة. انظر: ردّ عبدالله بن خميس على عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ في بحثٍ نشره ابن خميس في «مجلة العرب» بعنوان «التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر للشيخ عبدالرحمٰن آل الشيخ» (ص٣٠٣).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٤/١ ـ ٤٠٥).

(٢) شعيب قليقل: داخل أسوار (الدرعية) وهو شعيب منساح من الضفَّة اليمنى لـ (وادي حنيفة)، وهو واقع بين (غصيبة) ومعها (ناظرة) وبين (سمحان). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١) (٤٠٦).

(٤) الرفيعة: داخل أسوار (الدرعية) في الضفَّة اليمنى لـ (وادي حنيفة)، وهي =

الدرعية وأهل سدير رئيسهم عبدالله بن القاضي أحمد بن راشد العريني[١].

ـ قوات أمراء آل سعود في الجهة الغربية من الدرعية:

تمركز الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود في البرج الذي فوق الجبل على شاطئ الوادي عند النخل المعروف بسمحة ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وأهل النواحي من أهل الوشم وغيرهم. كما كان أخوه الأمير عمر بن عبدالعزيز وأخوه الأمير عبدالرحمٰن قد رابطوا على البروج الكبار عنده.

وإلى جانب أولئك كان الأمير عمر بن سعود بن عبدالعزيز ـ أخو الإمام عبدالله ـ، ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وغيرهم على شاطئ شعيب الحريقة[٢]، وإلى جانبه أخوه الأمير حسن بن سعود[٣].

وعسكرت قوات الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود

= كائنة بجانب (قري عمران) على يمين (ظهرة سمحان) شمال (شعيب الشعيبة). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١). وعبدالله البسّام «علماء نجد» (٧٣/٢).

(٢) شعيب الحريقة: على الضفّة الغربية لـ(وادي حنيفة) والشعيب كائنٌ شمال غرب (الدرعية)، وغربي (سمحة) وشمال (شعيب غبيراء). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١) (٤٠١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

وأخوه الأمير زيد فيما يلي شاطئ الحريقة، أمَّا الأمير فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود والأمير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود ففي شعيب غبيراء قبالة عساكر الترك[١]، ومعهم الأمير فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود على شاطئ شعيب غبيراء أيضاً[٢].

كما تمركز في هذا الموضع حسن الهزاني وعِدَّة رجال من أهل الوشم وأهل سدير[٣].

أمَّا فرج الحربي[٤] فكان متمركزاً قبالة عساكر الترك من جهة غرب الدرعية تحت شعيب الحريقة وفوق شعيب غبيراء على شكلٍ ملاصقٍ لأعلاها[٥].

أمَّا الأمير عبدالرحمٰن بن سعود بن عبدالعزيز فكان مرابطاً بين شعيب البليدة وشعيب كتلة[٦] ومعه جمعٌ من أهل الدرعية

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٣/١).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤٠١/١).

(٤) قال عثمان بن بشر: فرج الحربي مملوك الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود. انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٦) شعيب كتلة: شعيب خارج أسوار (الدرعية) وهو على يسار (وادي حنيفة) جنوبي (شعيب البليدة) يقابلها في الضفَّة الأخرى (سمحان). انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٤٣).

وغيرهم[١].

ومن وراء شعيب غبيراء كان الأمير مشاري بن سعود ـ أخو الإمام عبدالله ـ، ومعه جمعٌ من أهل الدرعية وغيرهم في مسجد العيد[٢] عند المنازل الجنوبية[٣] غربي الطريف جنوب شرق شعيب كتلة[٤].

ـ قوات أمراء آل سعود في الجهة الجنوبية من الدرعية:

ورابط من أمراء آل سعود في أسفل الدرعية في بطن الوادي قرب جبل القرين[٥]: الأمير سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود ومعه عدد رجال من أهل النواحي[٦].

وكان الإمام عبدالله قد وضع قوات في المناطق الجنوبية تحسّباً

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٤). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٥).

(٢) مسجد العيد: إن لم تكن النسبة لمصلّى العيد، فإنَّ العيد قري من قريان (اليمامة) الكائن في (الدرعية) ناحية (الطريف). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٨٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٩).

(٤) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٥) القرين: صفحة جبل معترضة في أسفل «الدرعية» من (وادي حنيفة)، فوقها (سور الدرعية) الضخم وأبراجه، ويتكسَّر عنها سيل (وادي حنيفة) فتصرفه غرباً بعد أن كان متَّجِهاً جنوباً. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٨٤).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٣٩٨). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٠ ـ ٩١).

لأيِّ هجوم أو التفاف غير متوقَّع من إبراهيم باشا، لذلك قال ابن بشر: إنَّ المتمركزين في تلك الجهات ليس عليهم حرب بل حفاظ لتلك الناحية، لذلك جعل في تلك الجهة من ليس لهم شدَّة في الحرب والصدور والورود[١].

ـ ذكر بقية الأمراء المرابطين في الدرعية:

ومِمَّن رابط من الأمراء أيضاً: عبدالله بن حسن بن مشاري، وأخوه عبدالرحمٰن، وإبراهيم بن عبدالله بن فرحان، وعبدالله بن ناصر بن مشاري، ومحمد بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه سعود وابنه محمد، والباقين من آل ثنيان[٢] وآل ناصر[٣] وآل هذلول[٤]

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٨/١). وفاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢١٦).

(٢) آل ثنيان: أبناء ثنيان بن إبراهيم بن ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن، من آل سعود، من آل مقرن، من المردة، من وايل. ومنهم عبدالله باشا بن عبدالله بن ثنيان بن إبراهيم، سُمِّيَ باسم والده لأنَّه وُلِدَ بعد وفاته، وقد عاش وتوفِّي في (إسطنبول) ومنحته الدولة التركية لقب باشا. انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٨١/١).

(٣) آل ناصر: هم ذريَّة ناصر بن عبدالله بن مقرن بن مرخان، ويغلب على الظنِّ أنَّ آل ناصر هؤلاء انقرضوا. قاله: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ في تعليقاته على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (٤١٩/١).

(٤) آل هذلول: قال عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: أنَّهم ذرية هذلول بن فيصل أمير الغزو وقت الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود. وقال آل الشيخ: إنَّ هذلول هذا ليس له اليوم عقب، أمَّا آل هذلول الموجودون اليوم فهم ذرية ثنيان بن سعود بن محمد بن مقرن. انظر: تعليقات آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (٤١٩/١).

وغيرهم[١].

وقد قُتِلَ جمٌّ غفير من أولئك الأمراء أثناء الحصار وأثناء هجوم إبراهيم باشا على الدرعية، حتى أنَّ ابن بشر لم يستطع أن يحصيهم، فقال: «**لا يحضرني الآن عَدّهم، وإنَّما ذكرتُ أسماء من قُتِلَ من آل سعود وعددهم ليُعرَف صدقهم في الحروب ومباشرتهم القتال بأنفسهم**»[٢].

* دور علماء نجد في صدّ العدوان التركي على الدرعية:

لمَّا وصل الباشا الدرعية وحاصرها، سلك العلماء النجديون ـ أثناء دفاعهم عن عاصمة بلادهم ـ مسلكين اثنين لا انفكاك بينهما؛ المسلك الأول: أنَّهم نشطوا في بثِّ روح الحماسة بين الأهالي ليستبسلوا في الذَّبِّ عن عاصمتهم وصدّ عدوان الترك الذين استهدفوا دينهم وأرضهم بحملة إبراهيم باشا وعساكره[٣].

أمَّا المسلك الثاني: فإنَّ جمعٌ من العلماء قدَّموا أرواحهم دون دينهم وعقيدتهم وأرضهم، فكانوا ثابتين بصدق في مواطن القتال ضدّ الترك المعتدين، ودافعوا دفاعاً مجيداً دعا بقية الناس والأهالي للاقتداء بدفاعهم وجهادهم ضدّ أعدائهم.

وكان أبرز العلماء دفاعاً عن الدرعية هم العلماء من أسرة آل

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٨/١ ـ ٤١٩).

(٢) المصدر السابق (٤١٨/١ ـ ٤١٩).

(٣) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٧٦/١).

الشيخ؛ ومن أبرزهم الشيخ عبدالله بن الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)، عالم نجد ومفتيها بعد أبيه[١].

كما كان أخوه الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (كان موجوداً سنة ١٢٥١هـ/١٨٣٥م) من المرابطين في الدرعية والمدافعين عنها[٢]. ومثله أخوه الشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م)، رابط في الدرعية أثناء حصار إبراهيم باشا لها[٣].

إلى جانب هؤلاء كان الشيخ علي بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م) الذي رابط في الدرعية[٤]. ومثله أخوه الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٥].

والشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ هو كذلك من الذين احتصروا في الدرعية يوم حاصرها إبراهيم باشا، ورابط فيها ودافع

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٤٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٧٢). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤١٧).

(٣) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٢٨٥ ـ ٢٨٦).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٨ ـ ١٨٩) (٤٣٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٤).

وقاتل إلى آخر ساعة من ساعات إطلاق النار[١]. ومثله ابنه محمد بن عبدالرحمٰن بن حسن[٢].

كما كان ناصر بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب من المرابطين[٣]. ومثله الشيخ علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م تقريباً)[٤].

وكانت الشيخة فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٥] من ذوات العلم المُحَاصَرَات في الدرعية، وصبرت واحتسبت. كما سيُبَيَّن لاحقاً في هذا الفصل.

أمَّا العلماء من غير أسرة آل الشيخ، فكان هناك الشيخ رشيد السردي النجدي (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذين كان قاضياً في بلد الحوطة والحريق، فلمَّا جاءت حملة إبراهيم باشا واستهدفت الدرعية

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٨٠). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٨٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٩).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/١٧٥).

(٥) هي فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وُلِدَت في (الدرعية)، ولمَّا ضيَّق إبراهيم باشا الحصار على (الدرعية) انسلَّت الشيخة فاطمة مع ابن أخيها علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فخرجا إلى إمارات الساحل الشمالي. انظر ترجمتها عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٣٦٤ ـ ٣٦٦) ولم يحدّد البسام سنة وفاتها، بل قال إنَّها من عالمات القرن الثالث عشر.

ترك الشيخ السردي الحوطة والحريق وذهب للمرابطة في الدرعية[١].

ومنهم أيضاً الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذي كان قاضياً في الخرج، فلما وصلت عساكر إبراهيم باشا وحاصرت الدرعية، ترك العريني الخرج وذهب ليقف مع إخوانه في الدرعية ليدافع عن دينه وعاصمة بلاده[٢].

كما كان هناك عددٌ من العلماء رابطوا في الدرعية وقت حصار الترك لها، وقد وقعوا في قبضة إبراهيم باشا؛ فمنهم الشيخ الفقيه صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي من أهل الرسِّ، والشيخ عبدالله بن صقر الحربي (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[٣]، ومثلهم الشيخ عبدالله بن أحمد بن كثير (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)[٤].

ومن العلماء الذين رابطوا في الدرعية الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر آل معمَّر (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)[٥]، كان من أهل

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦١/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٧٩/٥).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٤/٣).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٤/٣).

(٥) عبدالعزيز بن حمد بن ناصر بن عثمان آل معمَّر. وُلِدَ في (الدرعية)، ثمَّ خرج منها يوم سقطت بيد إبراهيم باشا، فرحل ابن معمَّر إلى البحرين وتوفِّيَ فيها. انظر أخباره وترجمته عند: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٦٧/٢). وعبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٢٢٠ -=

الدرعية، ورابط فيها يوم حاصرها إبراهيم باشا ودافع عنها دفاعاً بطولياً.

ومنهم العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م)، كان قاضياً لآل سعود في المدينة النبوية، فلمَّا سقطت المدينة بيد الترك أيَّام حملة طوسون باشا، غادرها الشيخ أحمد إلى الدرعية، فلمَّا وصلت ـ من بعد ذلك ـ قوات إبراهيم باشا للدرعية وحاصرتها، كان الشيخ أحمد مع المحاصرين الصابرين داخل أسوار الدرعية[1].

ومنهم أيضاً الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد الوهيبي (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)[2]. والشيخ فارس بن حمد بن محمد بن رميح (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م)[3]. والشيخ محمد بن عبدالعزيز بن سلطان (من

= ٢٢٥). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٧٢/٣ ـ ١٦٧٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٣٦/٣ ـ ٣٤٥).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٦٠/١) (٤٦٢).

(٢) عبدالله بن أحمد بن محمد بن حمد من المشارفة من الوهبة. رحل إلى (الدرعية) وطلب العلم على علمائها. جعله الإمام عبدالله بن سعود قاضياً في (الدرعية) مع قضاتها. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٩٠/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٥/٤ ـ ٣٧).

(٣) فارس بن حمد بن محمد بن رميح. ولد في (العطَّار) من بلدان (سدير)، وارتحل لطلب العلم في الدرعية، وارتحل عنها يوم دمَّرها إبراهيم باشا. انظر ترجمته عند: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٧٠٦/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٥٨/٥ ـ ٣٥٩).

علماء القرن الثاني عشر)[١]، من أهل البير.

*** دور نساء الدرعية في الدفاع عن عاصمة بلادهن:**

كان للنساء مشاركة فاعلة في الدفاع عن الدرعية بطرائق مختلفة[٢]، لعلَّ أهمها تشجيع المدافعين وبثّ الحماس في نفوسهم وخدمة المقاتلين المرابطين في مواقعهم العسكرية[٣].

وعن دور النساء هذا ذكر مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان ـ بشهادة شهود عيان ـ قائلاً: «كان الحرّ شديداً، وكُنَّا نرى النساء السعوديات وهنَّ يحملن جراراً مملوءة بالماء يقتحمن خطّ النار لإيصال الماء إلى المحاربين»[٤].

وهو قريب مِمَّا ذكره المؤرخ محمود فهمي المهندس حيث قال: «وكان النساء يخترقن صفوف ونيران أعدائهنَّ للمحاصَرين، ويبحثن عن المياه اللازمة لشرب المجروحين»[٥].

---

(١) محمد بن عبدالعزيز بن سلطان آل حمدان، من أهل (البير) من بلدان (المحمل)، انتقل إلى (الدرعية) ودرس على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. عيَّنه الإمام محمد بن سعود قاضياً على بلدان (المحمل) و(الشعيب). انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٧١/٦).

(٢) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

(٣) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (١٨٤).

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٠).

(٥) محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (١٤٦).

وصف ملحمة الدرعية بالتفصيل

ـ الباشا في الملقا:

لمَّا استقرَّ الباشا وعساكره في الملقا ـ في الوادي أعلى الدرعية ـ كما ذكرنا سابقا، وكان بينه وبين الدرعية مسيرة ساعة، ركب بخيله وقَرَّابَته[(١)] ومعه بعض قُبُوسه ليُعاين الموضع الذي يريد نزوله عند البلد[(٢)]، فسارت القَرَّابة والقُبوس مع بطن الوادي وصارت الخيل على جانبه يميناً وشمالاً حتى وصلوا العِلْب[(٣)]؛ نخل فيصل بن سعود المعروف قرب النخيل أعلى الدرعية[(٤)].

فاتخذ من ذلك الموضع مقرّاً لقيادته العسكرية، فنصب خيامه

---

(١) القرَّابة: هم حَمَلَة القرابين، وهي بندقية من العصر العثماني واسعةُ الفوَّهة يحملها المشاة والفرسان. وقد مرَّ التعريف بالقرابين في الفصل التاسع.

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٧/١).

(٣) العِلْب: من قرى (الدرعية) في أعلاها، واقعةٌ على ضِفَّة (وادي حنيفة) تحت السدّ الكبير الذي أقيم هنالك. وهي قريةٌ ذات نخيل وزروع، وتقام بها الجمعة. انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٧٣/٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٧/١). ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢١/٣ ـ ١٦٢٢).

فيه وحفر الخنادق ووضع المتاريس في مَوْضِعٍ مقابل لمتاريس أهل الدرعية، ووضع فيها طَوَابِيَ لمدافعه[(١)].

ثمَّ رتَّب الباشا مواقع جنوده ليستحكم حصاره على أهل الدرعية، **وقد عاونه في رسم خطط الحصار مستشاره الحربي الفرنسي الذي يصحبه وهو فيسيير Vaissiere**[(٢)]، **وهو الذي أشار عليه بحصار القرى الأربع المحيطة بالدرعية وأنْ يحتلَّها الواحدة تلو الأخرى ليسهل عليه حصار الدرعية ثمَّ احتلالها، فاتبَّع إبراهيم باشا رأي مستشاره الفرنسي**[(٣)].

ولمَّا نزل الباشا في العِلْب يوم الثلاثاء ٣ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/١١ مارس ١٨١٨م؛ فرَّق عساكره تجاه جموع أهل الدرعية ومن آزرهم، **عندها بدأ القتال وجالت الخيل بين الفريقين، وشدَّد السعوديون متاريسهم وثبَّتوها أمام تقدّم جيوش الباشا، فاصطكَّت الصفوف واندلعت الحرب بينهم واضطَّرَمَت نارها وطار في السماء شرّها وشرارها، فتخالَلَت بين تلك الجموع القنابر والقبوس والمدافع، وصارت نيران المدافع تصبّ كالمطر فوق تلك الجموع، وتطور الحال واشتدَّ القتال وتصادمت الأبطال، والمحاربة بين الترك وأهل الدرعية سجال**[(٤)]، **وظلّوا على تلك الحال نحو عشر ليال من بعد نزول الباشا**

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٢)، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ٢ أبريل ١٨١٨م (٢/٣٧١ ـ ٣٧٢).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (١٤٧).

(٣) انظر: محمد فريد بِكْ «البهجة التوفيقية» (٧٥).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٢)، بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ٢ أبريل ١٨١٨م (٢/٢٧٢ ـ ٢٧٣).

والحرب بالمدافع والقبوس والقنابر والبنادق لا يزال مشتعلٌ أوارها[١].

ـ اندلاع المواجهات في المغيصبي والحريقة:

لمَّا كان اليوم العاشر ـ ١٣ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/٢١ مارس ١٨١٨م ـ من نزول إبراهيم باشا في العِلْب، **اندلعت المواجهات بين أهل الدرعية وعساكر الترك عند المغيصبي ـ الشعيب المعروف خارج البلد شمال الوادي ـ؛ والسبب أنَّ أهل الدرعية حَمَلوا على الترك الذين حاولوا التسلُّل من جهة شعيب المغيصبي، ووقع بينهم قتال شديد وصدام عنيف قُتِلَ فيه من الفريقين عِدَّة قتلى[٢]. وكانت القوات المتمركزة جهة المغيصبي قوامها قوات أهل منفوحة بقيادة عبدالله بن مزروع، وقوامها أيضاً قوَّات الأمير سعد بن سعود وأخوه الأمير تركي وكلّهم خارج سور البلد[٣].**

ثم أرسل إبراهيم باشا وقت انبلاج الفجر قائده أوزون علي ومعه عساكر وخيل كثيرة ليهجموا على القوات السعودية المتمركزة عند شعيب الحريقة[٤]، فتقابلت الرجال واقتتلت قتالاً نجم عنه عِدَّة قتلى من الفريقين[٥].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩ ـ ٤٠٠).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٠٠).

(٣) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩١).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١/٤٠٠).

كانت القوات السعودية المتمركزة في الحريقة هي قوات الأمير عمر بن سعود بن عبدالعزيز ـ أخو الإمام عبدالله ـ ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وغيرهم، وإلى جانبه أخوه الأمير حسن بن سعود[١]. ومثلهم كانت قوات الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود وأخوه الأمير زيد متمركزةً فيما يلي شاطئ الحريقة[٢] وهم الذين اشتعلت المواجهات بينهم وبين عساكر أوزون علي هناك.

ـ اشتعال الحرب في شعيب غبيراء ـ وإبراهيم باشا يعرض جائزة لمن يأتيه بآذان ورؤوس أهل الدرعية:

جمع إبراهيم باشا خيلاً في الليل وجعلها في وسط شعيب بجانب غبيراء لا تكشفها متاريس أهل الدرعية، فلمَا كان الفجر أرسل الباشا أهل النجدة من قرَّابته مَدَداً لأهل المتارس التي تجاه متارس أهل الدرعية في غبيراء، **فوقع القتال الشديد واندلعت النيران من القبوس والمدافع والقنابر وحمل بعضهم على بعض وتضاربوا من بعيد ومن قريب، فظهرت خيل الترك من الشعيب المذكور من خلف متارس أهل الدرعية في هذا الموضع فانهزم السعوديون وتبعهم الترك من ساقتهم، وَقَتَلَ الترك منهم نحو مئة رجل.**

فكان من القتلى الأمير فهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود والأمير محمد بن حسن بن مشاري بن سعود، كما قُتِل حسن

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١).

الهزَّاني وعِدَّة رجال من أهل الوشم وسدير وغيرهم[١].

وكان «**جنود المشاة الأتراك قد لاحقوا الفارين** [من السعوديين] **حتَّى بساتين المدينة، وأسروا خلقاً كثيراً كان مصيرهم الموت سريعاً، وحملوا إلى قائدهم رؤوس القتلى** [السعوديين] **وآذانهم للحصول على الجائزة المرصودة**»[٢].

وقد كان إبراهيم باشا يدفع من خزينته ٥٠ قرشاً لمن يحمل له رأساً أو أذنين من رؤوس وآذان أهل الدرعية[٣].

ـ انسلال الترك إلى شمال الدرعية من الغيَّاظي إلى سمحة:

في إحدى ليالي شهر جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/مارس ١٨١٨م **هرب من الدرعية عِدَّة رجال من أهل النواحي الذين أتوا للمرابطة مع أهل الدرعية، فذهبوا إلى إبراهيم باشا وأخبروه بعورات أهل الدرعية ومعاديهم**[٤].

فأرسل إبراهيم باشا بعض متارس عساكره وما عنده من الخيَّالة إلى أوزون علي الكردي رئيس العساكر المكلَّفة بالهجوم على الدرعية من جنوب سمحة؛ بحيث ينسلّوا مع قوات رشوان آغا من شعيب

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٠ ـ ٤٠١).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٢).

(٣) انظر: تعليق محمد خير البقاعي على كتاب «تاريخ الدولة السعودية الأولى» لفيلكس مانجان (ص١٦٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠١).

غبيراء إلى ثغرةٍ في السور جهة قصر الغيَّاظي[١].

وقَصْدُ الترك من ذلك؛ أن يهجموا على القوات السعودية المتمركزة في سمحة ـ من شمالها من جهة العِلْب ـ ويشغلوها بهجمات تأتيها من جنوبها، وبناءً عليه أمر إبراهيم عساكره الدلاتية والمغاربة المرتزقة أن يضرموا الحرب ويحقّقوه من جهة شعيب غبيراء على من يليهم من أهل الدرعية في قصر الغَيَّاظي لعلَّ الأفزاع تنحاز إليهم من المتارس التي هي من جنوبهم[٢].

ثمَّ زحف الباشا من صوب العِلْب تجاه سمحة، تصحبه قبوسه وقنابره مع الوادي على البروج الكبار التي كانت على يمنة الوادي ويسرته[٣]، وحقَّق الباشا رمي مدافعه على البرج الذي كان فيه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود وإخوانه الأمير عمر والأمير عبدالرحمٰن، فاشتد قصف الترك للأمير ومن معه في مترسهم، فثلم الترك تلك البروج وهدموا أكثرها، فتراجع عبدالله بن عبدالعزيز من مترسه وتترَّس قريباً منه، ونزل الترك في مترس عبدالله الأول[٤].

---

(١) قصر الغَيَّاظي: نخلٌ لناصر بن سعود بن عبدالعزيز آل سعود في أعلى (الدرعية) على ضِفَّة (وادي حنيفة) الغربية، وقد بَنى فوقه بأعلى الجبل المطلّ عليه قصرٌ يضاف إليه: (قصر الغيَّاظي)، لا يزال طَلَلاً قائماً ويُرى من بعيد. انظر: عبدالله بن خميس في كتابه «معجم اليمامة» (٢٢٧)، ومقالة ابن خميس المنشورة في «مجلة الدارة» عنوانها «الدرعية معالم وأطلال» (١٩).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠١/١).

(٣) عن ذلك البرج الذي في (سمحة)، انظر: جملاء مبارك المرّي «تاريخ مدينة الدرعية سياسياً وحضارياً» (٢٤٠) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠١/١).

ثمَّ حملت عساكر الترك على موضع البروج الكبار خارج السور القريبة من سمحة عند الأمير عمر بن سعود ومعه عدد رجال من أهل الدرعية وأهل النواحي من أهل الوشم وغيرهم[١] **فثبت لهم الأمير عمر ومن معه وجالدوا الترك بالسيوف والبنادق وقاتلوا قتالاً هائلاً صادقاً.**

ثمَّ جرَّ الترك عليهم بالقنابر والقبوس، فلم يَدرِ عمر إلَّا والترك قد جاؤوا من خلفه من جهة مترس عمِّه الأمير عبدالله بن عبدالعزيز، ثمَّ تفاجأ بالترك ـ أيضاً ـ يهجمون عليه من أمامه، فوقع في الكمَّاشة، فانهزم وصحبه[٢].

ـ كماشة الترك على سمحة ـ الملحمة في السلماني:

سار أوزون علي الكردي في تكتيكه الذي ذكرناه سابقاً، فانسلَّ وقت انبلاج الفجر بعساكره من جهة شعيب الحريقة ومع شعيب غبيراء[٣]، فأخذ قصر الغَيَّاظي وكمنوا في نخيله، وبعد انهزام الأمير عمر بن سعود خرجت عساكر الترك بشكلٍ مفاجئ من خلف أهل الدرعية المُتَتَرِّسين في سمحة.

عندها تحرَّك إبراهيم باشا من جهة بروج الأمير عبدالله بن

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٩٩/١) (٤٠١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٨٩) (٩١) (٩٣).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠١/١ ـ ٤٠٢).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢١٣/٢).

عبدالعزيز ـ الذي استطاع الباشا أن يهدّها ويكسر عبدالله بن عبدالعزيز ومن معه ـ، فدخل الباشا من جهة تلك البروج قاصداً معسكر فيصل بن سعود وإخوانه في سمحة، واستحكمت قبضة الكماشة:

١ ـ إبراهيم باشا وعساكره من شمال سمحة.

٢ ـ وأوزون علي الكردي من جنوب سمحة ومعه عساكر الدلاتية والمغاربة المرتزقة.

فانهزم فيصل بن سعود ومن معه من أهل الدرعية في سمحة التي سقطت بيد إبراهيم باشا، واتصلت الهزيمة في متارس السعوديين: في المتارس شمال سمحة والمتارس التي جنوبها، وتركوا أكثر المدافع والأثقال(١).

على أنَّ أهل الدرعية قاوموا الترك مقاومة شديدة لصدّ هجومهم من سمحة بعد سقوطها، وحاولوا عرقلة عساكر إبراهيم باشا بكلّ ما أوتوا من قوة، فَتَيَقَّنَ الترك أنَّهم بعدما احتلوا سمحة لن يستطيعوا التقدم، فاضطرّوا إلى الوقوف عند السلماني(٢)؛ وكان الأمير

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٤٢). بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣هـ/ ٢ أبريل ١٨١٨م (٢/٣٧٢ ـ ٣٧٣) ومحفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (١٨٧)، بنفس التاريخ (٢/٢٧٦ ـ ٢٧٧). وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٢). وفيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١). ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٢).

(٢) السلماني: حصن من حصون الدرعية على الضفَّةِ الشرقية لـ (وادي حنيفة) داخل أسوار (الدرعية) تقابله (مشيرفة) في الضفة الغربية للوادي، وهو بمحاذاة (ناظرة) و(غصيبة) وفوقه من اليمين (قري قصير). انظر: عبدالله بن خميس =

فيصل بن سعود وأخوه سعد ومعهم كثير من الأعيان والشجعان يحاربون الترك عند السلماني محاربةً عنيفة ويجالدونهم جلاد صدق، حتَّى جعلوا الترك يتقهقرون على أعقابهم دون السلماني؛ بعد أن قَتَلَ منهم أهل الدرعية قتلى كثيرة(١).

ثمَّ حاولت عساكر الترك أن تهجم على المتارس الجنوبية لأهل الدرعية؛ ذلك أنَّ كتيبة من معسكر أوزون علي توجهت إلى الجهة الجنوبية للدرعية، فجرت وقعة حصل فيها قتالٌ شديد من العصر إلى العشاء الآخرة، ولم ينَلْ الترك من تلك الجهات(٢).

واعتبر بعض المؤرّخين وقعة سمحة أولى الوقعات التي هزَّت كيان الدرعية(٣)**، لأنَّه نجم عنها شيوع الخوف والبأس في نفوس بعض أهل النواحي الذين جاؤوا للصمود مع أهل الدرعية، فخرج بعضهم وقصدوا بلداتهم بعيداً عن الحرب في الدرعية**(٤).

ـ الباشا ينتقل من العِلْب إلي قري قصير:

بعد سقوط سمحة رحل إبراهيم باشا وعساكره عن منازلهم المتقدّمة من موضع العِلْب ونزل بنفسه وقبوسه وقنابره ومخيَّمه

= «الدرعية معالم وأطلال» (٢٠). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٣٤).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٣/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٠٩/١).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٣٨/٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٦/١).

وحاشيته في الموضع المعروف بقِرَي قصير[١] شمال الدرعية؛ على يمين وادي حنيفة، تزامن ذلك مع تحرّك علي أوزون الأورفلي الكردي مع عساكره وتمركزهم قبالة محاجي أهل الدرعية الجنوبية.

ثمَّ فرَّق الترك عساكرهم على البلد وبنوا محاجيهم قبالة محاجي أهل الدرعية وأحكموها بالحجارة وقرَّبوها منها، وعلى هذا الترتيب كان طبيعياً أن تندلع المواجهات بين أهل الدرعية والترك الذين تقدّموا داخل السور، **فثار بينهم الحرب الهائل الذي لم يُنقَل مثله عن الأواخر والأوائل، وصار كلّ يوم ووقت قتال، واستمرَّ دائماً بالغدوِّ والآصال، وتضارب أهل الدرعية والترك من المحاجي بالبنادق والسيوف والقرابين، وتطايرت القبوس والقنابر في الجوّ كأنها رجوم الشياطين؛ فهذا منها في الأرض ثايرة وهذا تراه في الجوّ طايرة، فصبر أهل الدرعية ونزل عليهم الثبات، وقاتلوا الترك حتى مَلَؤوا فجاج الدرعية من قتلى عسكر الباشا، فمرَّة يحملون على الترك في محاجيهم، ومرَّةً يحمل عليهم إبراهيم باشا وعساكره.**

وفي ظلّ صليل السيوف وأزيز البنادق ودويّ المدافع؛ **ازدادت الحرب الْتِهَاباً في وسط المحاجي وجنوبها وشمالها وفي كثير من جهات البلد، فإذا رأيت في موضعٍ حرباً رأيتَ مثله في الموضع الثاني، ومثله في الآخر، والغَلَبَة فيهاً لأهل الدرعية والدبور يأتي على جهات الترك إلَّا قليلا.**

(١) سمَّى السعوديون هذا الشعيب فيما بعد باسم (قري الروم) نسبةً لنزول الترك فيه واتخاذهم له معسكراً للهجوم على الدرعية. والروم عند اهل نجد تعني: الترك. انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢٤٠).

واستمرّت الحرب في تلك المحاجي قرابة ستة أشهر، ضرب فيها إبراهيم باشا على أهل الدرعية حصاراً شديداً، وصار في تلك المدَّة وقعات عديدة لا يحيط بها العلم ولا يدركها من أرادها بالقلم[١].

ـ تركيا العثمانية ترسل الإمدادات إلى إبراهيم باشا أثناء حصاره الدرعية:

في ظلّ تلك الحوادث، توالت الإمدادات على إبراهيم باشا، إذ جاءته عساكر جديدة من مصر[٢]؛ فكان في كلّ أسبوع وشهر يأتيه منها عسكر وقافلة من الطعام والأمتاع وما ينوب العساكر[٣].

وتدفَّقَت على إبراهيم باشا فرقة من المغاربة ومدافع وأدوات للقتال أرسلها له والده محمد علي باشا[٤]، كما تقاطرت عليه أكداس من الأكياس آتيةٌ من صعيد مصر مُحمّلَة بالدقيق والبقسماط والحنطة المخصَّصة للخبز والفول والشعير[٥] والسمن والبارود

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٦/١ ـ ٤٠٨).

(٢) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢٢/٣).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٧/١).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣١٣)، بتاريخ ٢٨ شعبان ١٢٣٤هـ/ ٢٢ يونيو ١٨١٩م (٤٢٨/٢). ودفتر (٣) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٣٢٣)، بتاريخ ٦ رمضان ١٢٣٤هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٩م (٤٢٩/٢). ومحفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (٨٣)، بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢هـ/ ٢٩ ديسمبر ١٨١٦م (٢٩٤/٢).

والقنابل[١]، حتَّى البصل أتى إليه من مصر[٢].

فأصبح الباشا ـ بعد تلك الإمدادات ـ في قوَّةٍ عظيمة من العساكر والأموال وآلات الحرب وكثرة السلاح وكثرة تتابع القوافل عليه من مصر من الأمتاع والأزواد وغير ذلك من جميع ما ينوب العساكر[٣].

ثمَّ تقاطرت عليه الإمدادات من بغداد[٤] بالرجال والذخيرة والمؤن[٥] وتتابعت القوافل عليه من جهات البصرة والزبير حاملةً معها الأرز والحنطة والتنباك! وجميع حاجات العسكر[٦] والشعير والطحين[٧] والشيشة! والغليون![٨] والرجال[٩].

ثمَّ تدفَّقت عليه قوافل التموين من حامية الترك في المدينة النبوية وعنيزة مُحمَّلة بالبارود والقنابل والخبز اليابس وخمسة آلاف رأس من

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٨).

(٣) انظر: المصدر السابق (١/٤٣٨).

(٤) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٢).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٣٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١١).

(٧) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١).

(٨) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

(٩) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/٣٤٩).

الغنم وقمح وشعيرٍ وزُبدةٍ[١] وأكياسٍ غزيرةٍ من الفول والبقسماط والدقيق والأرزّ الهندي وآلاف من قرب الماء[٢].

فلمَّا كثرت الأمداد على إبراهيم باشا وطال حصاره، حصل الضعف في أهل الدرعية وذلك بتقدير الحيّ القيوم[٣].

ـ الحرب تشتعل عند شعيب البليدة وشعيب قليقل:

بعد أن أحكم إبراهيم باشا حصاره على الدرعية وضَمِنَ القوة من الإمدادات التي وصلته، أرسل أوزون علي ليهجم على الدرعية من جهتها الجنوبية الغربية عند شعيب البليدة[٤]، وكانت القوات السعودية المتمركزة هناك على معسكرين؛ معسكر بقيادة فرج الحربي ومن معه، ومعسكرٌ آخر بقيادة الأمير عبدالرحمٰن بن سعود[٥]، فاندلعت المواجهات العنيفة هناك، واستمرَّت من العصر إلى بعد صلاة العشاء الآخرة، فنجم عن ذلك عدَّة قتلى من أهل الدرعية وحصل في الترك

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٤). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧١ ـ ٥٧٢).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٤) بحر برا، وحدة الحفظ (١٤٩)، بتاريخ ٢٥ ذي القعدة ١٢٣٢هـ/ ٦ أكتوبر ١٨١٧م (٢/٣٣٣ ـ ٣٣٤). ومحفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٢١)، بتاريخ ٣ صفر ١٢٣٣هـ/ ١٣ ديسمبر ١٨١٧م (٢/٣٥٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٠٧).

(٤) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٥).

(٥) انظر: دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٥).

مقتلةٌ كبيرة[١].

وفي اليوم التالي عاود الترك هجومهم على شعيب البليدة فحملوا على متاريس تلك الجهة، **فاستجمع أهل الدرعية قواتهم المتراجعة ورتَّب الرجال في تلك الجهة صفوفهم، فكرُّوا على الترك وحملوا عليهم، فنشب قتال عنيف استمرَّ من بعد وقت الظهر إلى ما بعد وقت العصر، حتَّى استطاع رجال الدرعية أن يُخرجوا الترك من محاجي شعيب البليدة وقتلوا منهم عِدَّة قتلى، وبذلك استقرَّ أهل الدرعية في معسكرهم من جديد في الشعيب المذكور**[٢].

وفي الجهة المقابلة من الوادي دبَّ **القتال في الموضع المعروف بشعيب قليقل حيث كان معسكر حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه علي؛ إذ فوجئوا بهجوم عساكر الترك من جهة شعيب قليقل، فانبروا للترك وتقاتلوا معهم قتالاً عنيفاً صدّوا به هجومهم واضطرُّوهم للتراجع، ولكنَّ الترك ترَّسوا قبالة متاريس أهل الدرعية في تلك الجهة، وقُتِلَ أثناء ذلك عِدَّة قتلى من الفريقين**[٣].

ـ الهجوم التركي الفاشل على غصيبة:

لمَّا حصل هجوم الترك على شعيب قليقل، قام الإمام عبدالله بن سعود ببناء أسوار جديدة وحفر خنادق أخرى تحسّباً لأي هجوم تركي لاحق، **وفي المقابل حَزَمَ إبراهيم باشا أمره بمشورة مهندس الحصار**

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٠٩/١).

(٢) انظر: المصدر السابق (٤٠٩/١ ـ ٤١٠).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٠/١). دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٤).

الفرنسي فيسيير على إقامة متاريس تقابل المعسكر السعودي الذي يطلّ على استحكامات غصيبة، فوضع الباشا مدافعه على قواعد الإطلاق وبدأ يقصف غصيبة قصفاً عنيفاً، فردَّ أهل الدرعية على هذا القصف بأن أطلقوا وابلاً من نيران بنادقهم على عساكر الترك حتى قتلوا منهم عساكر كثيرة، على أنَّ ضرب قنابل المدفعية التركية ركَّزت على غصيبه فأحدثت في جدارها فتحة، ولكنَّ الترك لم يتقدموا إلي غصيبة ولم يقتحموها!.

وقد علَّل مانجان عدم اغتنام الأتراك فرصة اقتحام غصيبة؛ إلى التمرّد الذي حصل في معسكر إبراهيم باشا ورفض بعض القادة لأوامر الباشا[١]، فرأى أهل الدرعية المحاصرون تصرّف إبراهيم باشا بعدم اقتحام غصيبة أنَّه بسبب الوجل الذي اعترى عساكره من بسالة أهل الدرعية وتحصيناتهم التي تزداد مناعةً يوماً بعد يوم، **فصار أهل الدرعية يخرجون كلّ يوم في غارات يتفنّنون خلالها بهجمات خاطفة على معسكر الأتراك**[٢].

ـ الهجوم التركي على عرقة:

كان إبراهيم باشا من قبل حصاره على الدرعية قد استولى على الرياض، فسايره حاكمها وعاونه على الدرعية، كما استولى الباشا أثناء ذلك على منفوحة التي فرّ منها بعض أهاليها إلى الدرعية، وكلّ

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٤ ـ ١٦٥).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٦). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٣). ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/ ١٦٢٢).

تلك البلدات واقعة جنوب الدرعية، ولم يَتَبَقَّ سوى عرقة التي رفضت الخضوع للباشا، فأرسل إبراهيم باشا عساكره الخيَّالة إليها، فقاومهم أهلها وقاتلوا الترك قتالاً شديداً، فقتل الترك من أهلها نحو ثلاثين رجلاً وأشعلوا النيران في البلدة وتركوها.

على إثر ذلك أرسل الإمام عبدالله قوةً من عنده لتساند بلدة عرقة، فذهب مئة رجل من أهل الدرعية إلى البلدة ليصدّوا هجمات الترك عنها، ولمَّا علِمَ الباشا بذلك أرسل عساكر كثيرة من عنده يعاونهم أمير الرياض وبعض أهل منفوحة والخرج، وقصدهم الهجوم مع الترك على عرقة، ولمَّا وصلوا البلدة طَوَّقُوها بحصارٍ مُحكَم، وأخذت مدافعهم تضرب المُحَاصَرِين، فاستسلم من في عرقة وأخرجهم الترك بأمان قطعوه لهم، فرحل رجالات عرقة ومن معهم من المرابطين وتوجّهوا إلى الدرعية[١].

- حريق الجبخانة[٢]:

في أثناء هذه المعارك والحروب اشتعلت النار في زهبة الباشا وما في خزائنه من البارود والرصاص وجميع الجبخان، وكان اشتعالها أمراً هائلاً لا يكاد يوصف، وسُمِعَ صوت انفجار خزائن السلاح وفرقعة القنابل المشتعلة على مسيرة ثلاثة أيام أو أربعة، فأهلكت تلك النيران خيلاً ورجالاً وأحرقت خياماً وأزواداً وأثاثاً، وهربت عساكر

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٧). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١) وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٠).

(٢) جبخانة: لفظٌ تركيٌ. معنها: مستودع السلاح والذخيرة. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١٨٧).

الترك والمرتزقة من المغاربة ومن عاون الترك، فرُّوا فزعين إلى رؤوس الجبال وامتلأت قلوبهم رعباً، وكان هذا أوَّل وهن عظيم على الترك(١).

والمؤرِّخ الجبرتي يحيل أسباب حريق الجبخانة إلى فعلٍ متعمَّدٍ من أهل الدرعية، حيث يقول: «في منتصفه [١٥ رمضان ١٢٣٣هـ/١٩ يوليو ١٨١٨م] وَصَلَ نجَّاب أخبر بأنَّ إبراهيم باشا ركب إلى جهةٍ من نواحي الدرعية لأمرٍ يبتغيه وترك عرضيَّهُ، فاغتنم الوهابية غيابه وكبسوا على العرضيّ على حين غفلة وقتلوا من العساكر عِدَّةً وافرة وأحرقوا الجبخانة»(٢).

وعندنا شاهد عيان رأى حادثة احتراق جبخانة إبراهيم باشا، ووصف فداحة ما وقع وهول ما حدث، حيث يقول: «**في [١٦ شعبان ١٢٣٣هـ] ٢١ يونيو ١٨١٨م كانت هناك اشتباكات بين الأتراك والسعوديين، فلمَّا عاد عساكر الترك إلى معسكرهم ليلتمسوا الراحة من عناء القتال هبَّت رياح جنوبية وحملت معها ـ فيما تحمله ـ جذوة نار مَوْقِد أشعلها أحد الجنود الترك ليطبخ عليها طعامه وألقتها مباشرة على خيمة كبيرة فيها مستودع الذخيرة الحربية، فاشتعل البارود، وكان الانفجار هائلاً.**

لقد كان هناك أكثر من مئتي برميل من البارود ومئتين وثمانين صندوقاً من الطلقات وقذائف وقنابل مشحونة، لقد ذهب كلّ عتاد المدافع أدراج الرياح.

---

(١) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734. **وانظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١١).**

(٢) **عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٤٩).**

اقتلعت قوَّة ذلك الانفجار الشديد الخيام واحترق عدد منها، وظلَّ الناس في الدرعية ومحيطها يسمعون دويّ انفجار القذائف مدَّة عشر دقائق متواصلة لم تنقطع، لقد زُلْزِلَت الأرض زلزالاً عنيفاً، واهتزَّت أرض الدرعية من شدَّته وسمع دَوِيَّهُ الناس من مسافات بعيدة.

لقد كانت شظايا القنابل تتطاير في الهواء، وكان اندفاعها قويّاً، حتَّى أنَّ الشظايا وصلت إلى أكوام الشعير والقمح المخصَّصة لطعام الجيش فاندلعت فيها النيران فأكلتها، وسارع العساكر لإطفاء الحريق، إلَّا أن النيران التهمت نصف تموين المعسكر.

لقد كنَّا نرى جثث الضحايا وقد تفحَّمَت بعد أن أحرقها البارود المشتعل، ووجدنا أشلاء أجساد العساكر متناثرة هنا وهناك، ومن نجا فقد ملأت جسده الجروح والحروق.

لقد أنزلت هذه الكارثة الهلع والرعب في قلوب الأتراك، وتركت إبراهيم باشا في وسط الصحراء على مسافة خمسمئة فرسخ عن مصر وليس معه الآن من الأسلحة إلَّا الرصاصات التي يحملها جنوده في جعبتهم، إلى جانب مئات من القنابل وقذائف داخل المدفعية»[(١)].

ـ غارات أهل الدرعية على معسكرات إبراهيم باشا بعد حريق الجبخانة:

على الرغم من أنَّ **ابن بشر** قال: إنَّ أهل الدرعية بعد حريق

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٦ ـ ١٦٧) باختصار وتصرّف يسير.

الجبخانة قد همُّوا أَنْ يحملوا على الترك في خيامهم ويدهموهم في معسكرهم فلم يفعلوا، وكان أمر الله قدراً مقدوراً(١).

إلَّا أنَّ مؤرّخ محمد علي باشا وهو الفرنسي فيلكس مانجان يذكر غير ذلك، ومانجان يوكّد ما يذكره من حوادث الدرعية بناءً على قربه من محمد علي باشا ومراسلاته مع ابنه إبراهيم باشا، كما يوثّق ما يذكره عن حوادث الدرعية من شهود عيان من عساكر الترك وقادتهم الذين كانوا في قلب تلك المعارك.

حيث ذكر مانجان: **أنَّه خرج من الدرعية حوالي ثمانية أو عشرة من كشَّافة جنود أهل الدرعية، أخذوا يدورون حول معسكر الباشا لتسقُّطِ أخباره بعد حريق الجبخانة، فأعلن قادة معسكر الترك النفير العام، وتسابق الجنود الأتراك ومن معهم من المرتزقة لصدّ تلك الغارة السعودية، واشتبك الجانبان في معركة عنيفة، فلمَّا رأى السعوديون أن الأتراك ما زالت لديهم القدرة على القتال بالرغم من حادثة الجبخانة انسحبوا إلى الدرعية.**

وفي صباح اليوم التالي خرج السعوديون من الدرعية وكان عددهم ١٥٠٠ رجل، فبدأت عساكر الترك تطلق النار عليهم، ولم يكن ذلك ليستمرّ طويلاً؛ لأنَّ الطلقات ستنفد بعد حين.

وفي تلك الأثناء جاء إبراهيم باشا إلى قلب الحدث ووقف على مكانٍ مرتفع نصب فيه ثلاثة مدافع، وأمر عساكر المدفعية أن يرموهم بطلقات متقطّعة، حتَّى إذا اقترب منهم السعوديون كثيراً بادرتهم عساكر المدفعية التركية بإطلاق نارٍ كثيف، وبالفعل؛ فإنَّه حين حدثت

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١).

المواجهة الفورية تلقَّتهم مدافع الترك بمقذوفاتها فحصدت منهم حصداً ذريعاً، فاضطرَّ السعوديون أمام كثافة النيران للانسحاب تاركين وراءهم عددٌ كبير من القتلى والجرحى[(١)].

ـ الإمدادات تصل إبراهيم باشا بعد حريق الجبخانة:

أرسل إبراهيم باشا بعد حادثة حريق الجبخانة رسائل إلى حامياته في شقراء وبريدة وعنيزة ومكة والمدينة النبوية وينبع، يطلب منهم ـ على وجه السرعة ـ إرسال ما يُعوِّض به تلك الخسارة، وبعد خمسة وعشرين يوماً وصل إلى معسكر الباشا فرقةٌ مكوَّنة من **٢٠٠** من العساكر الدلاة جاؤوا من حامية الترك في عنيزة، يتبعهم **٢٠٠** جمل محمَّلة بالبارود والقنابل وقذائف المدفعية.

كما جاءته من المدينة النبوية المؤن ومدفعين وقادة عسكريين و٤٠٠ جندي من المشاة، وبعد عدَّة أيام وصلت فرقة من الفرسان تتبعها قطعان الماشية والمؤن.

كما أنَّ بعض البدو الذين خضعوا للباشا أرسلو إليه آلاف الخراف جلبوها من الغارات التي شنّوها على القبائل التي رفضت الخضوع للباشا[(٢)].

كما أخذ إبراهيم باشا يأخذ من كل بلد أخضعها ما فيها من

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٦٩ ـ ١٧١). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٦) (٥٧٨).

خزانة الجبخان وغيره، ثمَّ تتابع عليه الجبخان والعساكر من مصر[١]، حيث ارتحل إليه من القاهرة عساكر تركية على دفعاتٍ ثلاث برّاً وبحراً يتلو بعضهم بعضاً في شعبان ورمضان ١٢٣٣هـ/يونيو وأغسطس ١٨١٨م.

وكانت تلك العساكر التركية قبيل مسيرها من القاهرة ـ كما يقول الجبرتي ـ تستبيح الفطر في رمضان بحجَّة السفر، فيجلس الكثير من تلك العساكر في أسواق القاهرة «**يأكلون ويشربون ويمرّون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم، وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفَّار المخالفين لدين الإسلام**»[٢].

ثم توالت الرواحل والقوافل تتقاطر على الباشا من البصرة والزبير مع أهل نجد الجالين في العراق، فتابعوا عليه القوافل من الأرز والحنطة والتنباك وجميع حاجات العساكر.

وسارت إليه القوافل أيضاً من جميع نواحي نجد بجميع ما ينوب العساكر، فَثَبتَ في موضعه وتعاظم أمره وتزايد حربه على الدرعية حرباً عظيماً وأهلها ثابتون، والخارج من الدرعية كلّ ليلةٍ أعداداً من أهل النواحي ومن أهلها الذين كان يَعِدهُم إبراهيم باشا بالأمان حال خروجهم منها وتركهم المرابطة فيها[٣].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٤٩/٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١١/١ ـ ٤١٢).

ـ القتال في كتلة والصنع والمغترَّة وقري عمران والرفيعة:

جرى في كتلة الشعيب المعروف قبلة الدرعية التحام عنيف بين الترك وأهل الدرعية، فنجم عن ذلك الالتحام مقتلة عظيمة بين الفريقين[١].

ثم حصلت مواجهات عند الصنع[٢] والمغْتَرَّة[٣]، بعدها جرى التقاتل بين جنود الأمير فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز وبين عساكر الترك الذين هاجموا قري عمران شرقي البلد عند نخل الرفيعة، فوقعت ثلاث معارك هناك[٤].

ثمَّ إنَّ أهل الناحية الشمالية حملوا على قبوس الباشا فوقع عندها قتالٌ شديد، وقَتَلَ أهل الدرعية عِدَّة قتلى من الترك.

ثم إنَّ أهل الدرعية أرادوا أن يَجرّوا المدافع التي غنموها فوجدوها مربوطة بسلاسل من حديد، وكان الترك قد ملؤوها برصاص البنادق والكبريت فثوّروها على اهل الدرعية؛ فقُتِلَ منهم مقتلة ورجعوا عنها، ومِمَّن قُتِلَ في تلك الوقعة: حسن بن إبراهيم بن دغيثر وأخوه

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٢/١). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٩٧).

(٢) الصنع: مجرى للسيل ويَصبّ من جبل. انظر: عبدالرحمٰن المانع «معجم الكلمات الشعبية في نجد» (١٠٧).

(٣) المغترَّة: في أسفل (الدرعية) وهو قريب من موضع (غار بنت الأمير). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٣٠/٢).

(٤) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٢/١).

علي، وقُتِلَ أيضاً عبدالعزيز بن عبدالكريم بن معيقل[(١)] من أهل الوشم[(٢)].

ثمَّ اندلعت المواجهات في الرفيعة، وذلك أنَّ الباشا سار بعسكره من مخيمه ومعه مدفعان، وسار خلفه القرَّابة ومَنْ معهم مِنْ أهل الخرج وصاحب الرياض وبعض أهلها، فأقبل الباشا بكلِّ هؤلاء وحمل على المتارس والمحاجي التي في شعيب الرفيعة فوقع فيهم هزيمة، فظهر عليهم الأمير فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز من الرفيعة ومعه جمعٌ من أهل الدرعية وأهل سدير وغيرهم، فوقع بينهم وبين قرَّابة الترك قتال شديد، فحمل عليهم الباشا بالخيل فقُتِلَ من أهل الدرعية عِدَّة قتلى منهم الأمير فهد بن عبدالله المذكور.

ثمَّ تكاثرت الأفزاع من أهل الدرعية على الباشا وعساكره فانهزمت خيل الباشا وقرَّابته ومن معهم من أهل النواحي الذي تواطؤوا معهم على أهل الدرعية، وقتل منهم قتلى كثيرة، ثمَّ كرَّ الباشا راجعاً عليهم، فثبت له أهل الدرعية واقتتلوا معه ومع عساكره اقتتالاً شديداً هائلاً، وصبر الفريقان وحصل جلاد عظيم من طلوع الشمس إلى وقت الظهيرة، وانقضت الوقعة على قتلى كثيرة من الفريقين[(٣)].

---

(١) عبدالعزيز المعيقل؛ أبوه عبدالكريم المعيقل وكان من مشايخ المؤرّخ ابن بشر، وهو من تلاميذ الشيخ عبدالعزيز الحصيّن. وآل معيقل: هم الذين في (القرائن) قريب (جبل طويق). انظر: حمد الجاسر «جمهرة الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٧٨٥). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٤٢٦/١) (٥٣٦) (٢٧٣/٢).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٢/١ ـ ٤١٣).

(٣) انظر: المصدر السابق (٤١٣/١).

ـ خروج غصَّاب العتيبي من الدرعية:

جرت بعد وقعة الرفيعة وقعات ومقاتلات لا تُحصى، وطال الحصار واستحكم على أهل الدرعية، ونَقَصَ التموين في البلد وغَلَت الأسعار فيها حتَّى بلغ سعر البُرّ صاع بريال. ثمَّ حصل أنَّ أهل النواحي الذين كانوا يرابطون بجانب أهل الدرعية قد مَلّوا الحرب وأنهكهم طول الحصار فخرج منهم أناس كثير، **فلمَّا كان آخر وقت الحصار خرج من الدرعية غصَّاب بن شرعان العتيبي، وكان خروجه منها وقت الهجيرة، وقَصَدَ الباشا.**

وقد أكَّدَ ابن بشر بأنَّ غصَّاباً هذا مِمَّن يُظنّ به الصدق مع آل سعود والصبر معهم، كما ذكر ابن بشر: أنَّ غصَّاب العتيبي كان رئيس الخيّالة في الدرعية، فلمَّا خرج قَوِيَ عزم إبراهيم باشا على الحرب وقرَّب القبوس من البلد، وأصاب أهل الدرعية كآبة ووهن من خروج غصَّاب عنها[١].

من هنا جاءت بعض المراجع المتأخرة جداً[٢] واستنبطت ـ بما فَهِمَتْهُ خطأً من كلام ابن بشر ـ أنَّ غصاب العتيبي خان الإمام عبدالله، **بالرغم من أنَّ ابن بشر أشاد بإخلاص غصَّاب وصدقه مع آل سعود، وفي المقابل فإنَّ ابن بشر لم يُشِرْ إلى كونِ غصَّاب خائناً، ولكنَّه بَيَّنَ أَنَّ في خروج شخص بمكانةِ غصَّاب ضربة معنوية لأهل الدرعية.**

وكانت إحدى الباحثات قد استندت في بحثٍ لها على وثائق تركية وظَهَرَت بنتيجةٍ تفيد: بأنَّ غصَّاباً أراد الخروج من الدرعية كسائر

---

(١) انظر: المصدر نفسه (٤١٣/١ ـ ٤١٤).

(٢) مثل: سنت جون فيلبي في كتابه «تاريخ نجد» (١٥٣).

من خرجوا، فطلب منه الإمام عبدالله أن يتَّجِه إلى الباشا ويعرض عليه الصلح، ولعلَّ إبراهيم باشا احتجز غضَّاب، حتى لا يدعه يرجع إلى الدرعية مريداً بذلك إضعاف معنوياتها[١].

ـ الهجوم التركي الكبير على الدرعية من جميع جهاتها:

لمَّا كان صبيحة السبت ثالث ذي القعدة ١٢٣٣هـ/١٣ سبتمبر ١٨١٨م حَمَلَ الترك على محاجي الدرعية، **وذلك أنَّه لمَّا خَرَجَ من خَرَجَ من أهل الدرعية وغيرهم إلى الباشا، أخبروه بعورات أهل البلد وغرَّاتهم، وأخبروه بالموضع الذي ليس في أهله شِدَّةٌ على الحرب، وبالموضع الذي يتفرَّقون منه بالليل، وبالموضع الذي ليس فيه إلَّا قليل، وبالموضع الذي يدخلون منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون**[٢].

فلمَّا عَلِمَ الباشا بذلك ـ وكانت قد وصلته من مصر إمدادات غزيرة من العساكر ـ؛ أرسل تلك الليلة إلى أسفل الدرعية مدفعاً وعسكراً وأمرهم أن يحقِّقوا الحرب على من فيها، ليشغل بعضهم عن بعض، ثمَّ جمع الخيَّالة والقرَّابة وأرسلهم إلى علي أوزون الكردي في الجهة الجنوبية من الدرعية وكمنوا عنده.

ثمَّ حقَّق الباشا الحرب بالقبوس والقنابر والمدافع والبنادق على أهل الجهة الشمالية، يريد بذلك أن ينحاز أهل الدرعية إلى تلك الجهة لينشغلوا بها عمَّا يجري مِن اقتحامٍ للجهة الجنوبية، فلمَّا كان

---

(١) انظر: فاطمة القحطاني «حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها» (٢٥٩ ـ ٢٦٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٤/١).

وقت طلوع الفجر أرسل علي أوزون عساكره إلى محجى الأمير عبدالرحمٰن بن سعود وهو فوق مشيرفة نخل سعود بن عبدالعزيز[١]، فوجدوه خالياً، ودخلوا معه في وسط النخل المذكور دون أن يلمحهم أحد[٢]، فاستولوا عليه وهو خلف محاجي أهل الدرعية من جهة البلد، فنقبوا جداره الذي على شفير الوادي وتَتَرَّسُوا به، ثمَّ ثار الحرب العظيم من الترك على كلّ من كان في الجهة الجنوبية والشمالية من أهل المحاجي[٣]، وكانت القنابل والقذائف من كلّ الأنواع تخترق الفضاء[٤].

فلمَّا اشتغل بعضهم ببعض واشتعلت نار الحرب؛ لم يَفْجَأ أهل الدرعية إلَّا والترك قد أتوهم من خلفهم من جهة مشيرفة، ثمَّ تفاجؤوا بالترك الآخرين مع وجوههم قادمين إليهم من جِهَةِ الشمال، وصارت رصاصات بنادق الترك تُطلق على أهل الدرعية من كل جهة[٥]، فانهزم اهل الدرعية إلى محاجيهم، وصار التقاتل عنيفاً؛ حتَّى قُتِلَ فيه قتلى كثيرة من الفريقين؛ قُتِلَ فيه الأمير إبراهيم بن سعود بن عبدالعزيز[٦].

---

(١) مشيرفة: المعروف باسم (حصن مشيرفة)، في (البليدة) في (الدرعية)، وهو على الضفَّة الغربية لـ(وادي حنيفة). انظر: عبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال» (٢٠). ودارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للملكة العربية السعودية» (٣٤).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٢).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٤/١ ـ ٤١٥).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الولى» (١٧٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٧٣).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٥/١).

ـ حرب الشوارع في السهل.

بعد تلك الكمَّاشة التركية السابقة، تفرَّق أهل الدرعية في بلدهم ورابط كلّ فريق منهم عند منزلتهم وأرضهم وتترَّسوا عند أسوار أحيائهم ودورهم، وفي تلك الأثناء كان الأمير سعد بن عبدلله بن سعود قد لجأ إلى قصر غصيبة المشهور، فدخله واحتصر فيه[١] ومعه عِدَّة رجال من الأعيان وغيرهم[٢]، فجرَّ الباشا قبوسه وقنابره على المحاصرين في قصر غصيبة وضربه ضرباً عنيفاً وقصفه قصفاً شديداً[٣].

ثمَّ انبثَّت عساكر الترك والمرتزقة كالجراد في جهة السهل من الدرعية، واستولوا على كثير من الدور والبيوت في تلك الجهات[٤]، فاندلعت المواجهات والمصادمات العنيفة بين أهل السهل[٥] وبين الأتراك، هذا وأهل السهل حافظين جهتهم ومنازلهم.

وكان الإمام عبدالله بن سعود ومن معه من الأعيان في منزلهم بين البابين: باب الظهرة وباب سمحان، فلمَّا رأى عبدالله بن سعود

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٣). وجملاء المرِّي «تاريخ مدينة الدرعية سياسياً وحضارياً» (٢٤٧ ـ ٢٤٨) رسالة ماجستير غير منشورة.

(٢) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٢٤).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٥). ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٤).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٣).

(٥) قال ابن بشر: أهل (السهل) من أهل (البجيري) و(الحوطة) و(النقيب) و(مريح). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٥).

ما جرى، انتقل من سمحان وقصد منزله في الطريف وترك مخيَّمه ومدافعه وثقله في موضعه[١].

ـ شاهد عيان على معركة السهل:

لمَّا أقبل الباشا بقبوسه وقنابره ومدافعه ونزل في منزل عبدالله في سمحان ووجَّهَ قبوسه على باب الظهرة ورماها رمياً عظيماً؛ انتشرت عساكره التركية كالفراش المبثوث على أهل السهل واستولوا على البيوت ومزارع النخيل، وكادوا أن يستولوا على كلّ السهل عنوةً. ولكنَّ أهل السهل جالدوهم جلاداً عظيماً، بيدَ أنَّ الضربات التركية كانت وطأتها عنيفة، لكنَّ الله حماهم وكفَّ الترك عنهم فَهَمُّوا بالمصالحة، على أنَّ بعض أهل السهل اعترضوا، وقالوا: إنَّها ليست مصالحةً إلّا على السهل وأهله وينبغي إخراج عساكر الترك من البيوت والنخيل وقتل ما أمكن منهم.

فبرز في تلك الحالة العصيبة الشيخ عبدالله ابن الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فشمَّر وشهر سيفه وانتدب، واجتمع عليه أهل البجيري ونهضوا على الترك من كلّ جانب كأنَّهم الأسود، وقاتلوا قتالاً يشيب من هوله المولود[٢]، وكان الشيخ عبدالله ـ رغم تقدّم سنّه وجلال قدره ـ على رأس المجاهدين المدافعين هناك شاهراً سيفه يقاتل قتال الأبطال المغاوير، ويلهب حماس المدافعين مردّداً كلمته المشهورة: «بطن الأرض على عزّ خير من ظهرها على ذل»[٣].

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٥/١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٦/١).

(٣) عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٦٨). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٧٦/١).

واشتدَّت ـ على إثر هذا الحماس من الشيخ عبدالله ـ المقاومة من المقاتلين الذين كانوا معه ضدَّ عساكر الترك في السهل، فأظلمت الهجيرة كأنَّها الليل البهيم، وصريخ السيوف في الرؤوس كأنَّه صهيل الخيل، فأخرجوا الترك من السهل صاغرين، وقتلوا منهم عِدَّة مِئِين.

حتى قال أحد شهود العيان مِمَّن حضروا تلك الحرب: **والله؛ لو حَلَفتُ بالطلاق أنّي من الموضع الفلاني إلى الموضع الفلاني لم أطأ إلَّا على رَجُلٍ مقتول، لم أحنث**[١].

في ذاك الوقت كانت كثير من مدافع السعوديين تقع غنيمةً في أيدي عساكر إبراهيم باشا، فنفعهم ذلك باتخاذ مواقع جديدة، وبدأت القذائف والقنابل تفتك بالآهلين في السهل وغصيبة، ولمَّا رأى السكان عند أسوار مدينتهم عدواً لا يستطيعون مقاومته، وبدا أنَّ الحرب أنهكتهم، وأحزنهم عويل النساء وبكاء الأطفال[٢]، عندها أرسل أهل السهل إلى الباشا وطلبوا الصلح، فأجابهم إليه بعدما كان آبياً ولانَ لهم بعدما كان قاسياً، فخرج إليه من الأعيان: عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود والشيخ العالم علي ابن الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وجاء محمد بن مشاري بن معمّر يسير بصعوبةٍ شديدة[٣]، فأرادوا منه أن يصالحهم على البلد كلّها، فأبى أن يصالحهم إلَّا على أهل السهل أو يحضر عبدالله بن سعود، فانعقد

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٦/١).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٤).

(٣) كانت القدم اليمنى لمحمد بن مشاري بن معمّر قد بترتها إحدى قذائف الترك. انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٣). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٠).

الصلح بينهم يوم الأربعاء سابع ذي القعدة ١٢٣٣هـ/٨ سبتمبر ١٨١٨م[١].

وبعد صلح أهل السهل، حقَّق الباشا ضرباته على سمحان وثلم جدرانه، فصالح أهل سمحان والمحاصرين في قصر غصيبة[٢].

ـ الباشا يضرب الطريف من جميع جهاتها:

بعد مصالحة الباشا مع أهل السهل وسمحان، انتشرت جنود العساكر التركية في السهل وَوَجَّهت المدافع التركية قذائفها نحو الطريف حيث الإمام عبدالله ومن معه[٣]، **فاندلعت الحرب الهائلة على أهل الطريف من كلِّ جهاته؛ من الشمال والجنوب وجهة المشرق والمغرب، وأحاطت عساكر الترك بالطريف وأمطروه بالقذائف والقنابل ورصاصات البنادق، وتسلَّطت المدافع التي في جبل سمحان بقنابلها على أهل الطريف[٤] تتساقط عليهم بشكلٍ متتابع، فاشتعلت النار في كلّ جهات الطريف، فثلمت قبوس الترك مقاصير آل سعود وخرقتها. واستشرفت نفوس عساكر الترك وطمعت في أخذ الطريف عنوة. ولكنَّ الله سلَّم حين أخرج الإمام عبدالله المدافع التي في قصره وجعلها في مسجد الطريف ورمى بها الترك.**

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٦/١ ـ ٤١٧).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٨/١). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٢٤/٢).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٥). وجورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٢).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨١).

ثمَّ تسلَّل بعض أهل البجيري من جهة السهل إلى الطريف للوقوف مع الإمام عبدالله ومن معه، كما تسلَّل بعض أهل النواحي أيضاً لمساندة من في الطريف من المحاصرين، واستمرَّت المقاومة يومين، ولكنَّ بعض المحاصرين قد ملّوا الحصار والتضييق وسئموا الحرب وويلاتها، فتفرّق كثير منهم عن الإمام عبدالله رغم ما بذله لهم من الدراهم التي كانوا يأخذونها ويهربون(١).



(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٧/١). وعبدالرحمٰن بن حسن «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٤/١٢).

*** الصلح بين الإمام عبدالله وإبراهيم باشا:**

لمَّا رأى الإمام عبدالله ما رآه من هول ضربات الترك على الطريف وَتَفَرُّقِ الكثير مِمَّن معه، دفعه صياح الناس[١] إلى أن يبذل نفسه للأتراك؛ ففدى بروحه النساء والولدان والأموال[٢].

والحقّ أنَّ الإمام عبدالله ـ بالرغم من هول تلك الحوادث ـ لم يشأ أن ينجو بنفسه ويغادر عاصمته، مع ما هو معلوم من قدرته على ذلك حتَّى من قبل وصول الباشا وحصاره للدرعية، فقد عُرِضَ على الإمام أن يبقى بعيداً عن الدرعية لدى قبيلة قحطان[٣].

وهذا ما شهد به الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن حين ذكر أنَّ هناك من أشار على الإمام عبدالله بالرحيل من الدرعية قبل وصول الباشا إليها وأن يذهب إلى عربان قحطان ونحوهم، ولكن قدَّرَ الله غير ذلك؛ يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن: «فلو ساعد القدر لم يظفر به عدوّه، ويكون ظهره على السَّعة، ويذكرون له: أنّك يا عبدالله إذا صرت كذلك صار لك في العسكر [التركي] مكايد، منها قطع سابلة ما بين [جيش إبراهيم] وبين المدينة. وهذا الرأي سديد، ولكن لم يُرِد الله قبوله، لأنَّ الأقدار غالبة، ولو قُدِّر ذلك لكان»[٤].

وعليه «صمَّمَ الإمام عبدالله على البقاء والصمود في الدرعية؛

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٧/١).

(٣) انظر: عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٢٠٥/١).

(٤) عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٤/١٢).

خصوصاً في ساعاتها الحرجة من الحصار، ولعلَّه رأى في هروبه منها عاراً وشناراً تهون دونه أيَّة مصيبة، فانتصرت عوامل الشجاعة في نفس عبدالله على ما كانت تُحَتِّمُهُ الجوانب السياسية الذكيَّة والرأي السليم»[(١)].

الحاصل؛ أنَّ عبدالله أرسل إلى إبراهيم باشا يطلب المصالحة، فأمره الباشا أن يخرج إليه، فخرج إليه وتصالحا[(٢)] على أن يركب عبدالله إلى السلطان فيحسن إليه أو يسيء[(٣)]، وانعقد الصلح على ذلك

---

(١) عبدالله العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية» (٢٠٥/١).

(٢) يقول فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٦)، ومثله إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨١): أنَّ الإمام «عبدالله قَبَّلَ يَد إبراهيم باشا». وقال مثل ذلك: جورج سادلبير في «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٢). وهذا غير صحيح، فلم تذكر المصادر التي كتبت عن حادثة الاستسلام شيئاً مِمَّا أشار إليه مانجان، ثمَّ إنَّ هذا الأمر على غير العادة الجارية لدى الأئمة من حكَّام الدولة السعودية الأولى ولا حتَّى الثانية ولا حتَّى عهد الملك عبدالعزيز وأبنائه. ثمَّ إنَّ بعض المؤرّخين ذكروا ردوداً للإمام عبدالله في مجلسه مع إبراهيم باشا ومجلسه مع أبيه محمد علي باشا تدلّ على كبرياء وصلابة الإمام ورضاه بقضاء الله وقدره. وهذا ما يرويه عبدالرحمٰن الجبرتي في تاريخه، ويرويه أيضاً القنصل الفرنسي في القاهرة. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٦٣/٤). ومنير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية» (١٣٣/٤ ـ ١٣٤). وانظر: تعليقات محمد خير البقاعي على كتاب «تاريخ الدولة السعودية الأولى» لفيلكس مانجان (ص١٠٠ ـ ١٠١)

(٣) هذه رواية ابن بشر في «عنوان المجد» (٤١٧/١). وهناك رواية أخرى لهذا الحدث فيها تفصيلات عند المؤرخ الفرنسي إدوارد جوان (وجوان شاهد عيان ومن خواص محمد علي باشا وابنه إبراهيم باشا)، حيث ذكر جوان: أنَّ إبراهيم باشا قال للإمام عبدالله: «إذا كنتُ لا أستطيع التصرّف في إرادة الوالي=

ودخل منزله على أن يعود للباشا في الغد، ثمَّ أطاعت البلد كلّها لإبراهيم باشا[(١)].

والحقُّ؛ أنَّ الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود «كابد العساكر [التركية، حتَّى] تتابعت عليه الحروب والكروب، وصَبَرَ حتَّى تفرَّق الناس عليه شعوب، وحارب الترك في الحجاز وفي الدرعية، حتى مضى عليه أمر ربُّ البريَّة، وانتَقَضَ نظام الجماعة والائتلاف، بعدما قاتل قتالاً ما قاتله أحد من الأسلاف»[(٢)].

وتشهد الوثائق البريطانية: أنَّ الإمام عبدالله حارب ببطولة شَهِدَ لها إبراهيم باشا نفسه وقدَّمَ له التحية لشجاعته في الحرب. ووصفت الوثائق البريطانية الإمامَ عبدالله بـ: «المحارب الشجاع النبيل»[(٣)].

وأضحى من المعلوم أنَّ إبراهيم باشا ما كان لينتصر على ابن سعود لولا التفوق الكبير للسلاح العثماني على السلاح السعودي.

= [محمد علي باشا] فإنّي لعاجزٌ من باب أولى عنه في إرادة السلطان [العثماني محمود]، ولكنّي أعتقد عن ثقةٍ أنَّهما من كرم النفس وسِعَةَ الصدر بحيث يأبيان التنكيل بعدوٍّ سلَّم نفسه إليهما». ولمَّا كان عبدالله في القاهرة عند محمد علي باشا، أخبره الباشا أنَّه التمس له العفو عند السلطان، لكن لم يشفع لعبدالله عند السلطان التماس محمد علي باشا ولا رجاؤه بالعفو عنه. انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣) (٥٨٦). وعبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٧/١ ـ ٤١٨).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٩/٢).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

وما أحسن ما كتبه أمين الحلواني[١] عن حرب الدرعية تلك، حين قال: «**ولمَّا تحارب ابن سعود مع إبراهيم باشا، وغُلِبَ ابن سعود، فما غُلِبَ من قِلَّةِ عسكرٍ أو من عدم شجاعة عساكره أو من احتياجٍ إلى مالٍ؛ إنَّما غَلَبَهُ إبراهيم باشا بالمدافع والآلات الحربية الجديدة والنيران التي لا قِبَلَ له بها؛ هو وجميع العرب**»[٢].

وهذه حقيقة اعترف بها إبراهيم باشا نفسه منذ بداية الحرب وحتَّى قبل وصوله للدرعية، حيث قال في رسالةٍ وجَّهها لأبيه: «**يتضِّح أنَّ الفتوحات التي حصلت في أيِّ مَحَلّ؛ إنَّمَا حصل أكثرها بالمدافع**»[٣].

وقال إبراهيم باشا معترفاً: **بأنَّه لولا تعويله على المدافع لما كان شكٌّ في هلاك عساكره**[٤].

وستجد تنويهاً على تلك الحقيقة عند المؤرّخ الفرنسي إدوارد جوان ـ وهو من خواص محمد علي باشا، وقيل إنَّه حضر مع حملة إبراهيم باشا على نجد ـ، قال فيه: «**ومما لا شك فيه أنَّ مدفعية**

---

(١) والحقُّ أنَّ الحلواني بالرغم من مَيْلِهِ إلى جهة العثمانيين الأتراك، وغالباً ما يكون معادياً لدولة آل سعود؛ لكنَّه في بعض المواضع من كتابه لا يحيد عن شهادة الحقِّ.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٥٥).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٥)، بتاريخ ٩ محرَّم ١٢٣٣هـ/ ١٩ نوفمبر ١٨١٧م، (٣٤٣/٢).

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٥) بحر برا، وحدة الحفظ (٣٣)، بتاريخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣هـ/ ٢٥ يناير ١٨١٨م (٣٦٨/٢).

إبراهيم باشا كانت أقوى من مدفعية الوهابيين، وأنَّ عساكره كانوا أجود سلاحاً»[١].

المقصود؛ يقول الفرنسي فيلكس مانجان: إنَّه بعد لقاء عبدالله والباشا، كان الأخير يخشى أن يهرب عبدالله من الدرعية في أيِّ فرصة تسنح له[٢].

ولكنَّ المؤرِّخ الفرنسي جوان شهد بالحقّ فقال: «**ولكنَّ الزعيم الوهابي كان رجلاً صادقاً شريفاً؛ إذا وَعَدَ وفَّى**، فإنَّه حضر في الميعاد المضروب، وتلقَّاه إبراهيم بمثل ما تلقَّاه به أمس من البشاشة والإيناس»[٣].

وبعد المصالحة بيومين أمر الباشا على عبدالله بن سعود أن يتجهَّز للمسير إلى مصر، فأوصاه عبدالله خيراً بأسرته ورجاه ألَّا يهدم الدرعية بعد اليوم وألَّا يعاقب الذين حملوا السلاح ضدّ الأتراك، فوافق إبراهيم على ذلك كلّه[٤].

ثمَّ أمر الباشا على رشوان آغا وعلى الدويدار[٥] ومعه ٤٠٠ من

---

(١) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٤٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٧).

(٣) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣).

(٤) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣).

(٥) الدويدار: أو الدَّوادار؛ هو الذي يحمل دواة السلطان أو الأمير. و(الدواداريَّة): وظيفةٌ موضوعها نقل الرسائل والأمور عن السلطان وعرض القصص والبريد وأخذ الخطّ السلطاني على عامَّة المناشير. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم اللفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (٧٧).

العساكر[١] بأن يتجهَّزوا للمسير مع الإمام عبدالله، فرحل معهم عبدالله من الدرعية وليس معه من قومه إلَّا ثلاثة رجال أو أربعة[٢]، فسارت به تلك العساكر وقصدوا مصر[٣].

* صفة دخول الإمام عبدالله إلى مصر ثم إسطنبول:

يقول المؤرِّخ المصري عبدالرحمٰن الجبرتي: أنَّ عبدالله وصل القاهرة يوم ١٧ محرَّم ١٢٣٤هـ/١٦ نوفمبر ١٨١٨م، وقد «دخلها من باب النصر، وصحبته عبدالله بكداش قبطان السويس وهو راكبٌ على هجين وبجانبه المذكور وأمامه طائفة الدلاة، فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما»[٤].

---

(١) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢٥/٣).

(٢) انظر: عثمان بن بشر في كتابه «عنوان المجد» (٤٢١/١). وعند فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (ص١٧٨): أنَّ الذي رافق عبدالله اثنان من رجاله، هما: كاتبه عبدالعزيز بن سلمان وخازنه الذي هو من منطقة (السرّ). أمَّا إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (ص٥٨٤) ومثله لوريمر في «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢٥/٣) فيذكران: أنَّ الذي رافق عبدالله خازنداره وكاتب أسراره وبعض عبيده. بينما يذكر المؤرّخ المصري عبدالرحمٰن الجبرتي في «عجائب الآثار» (٤٦٣/٤): أنَّ عبدالله كان معه خدم لزومه، ولم يذكر عددهم. في حين ذكر عبدالعزيز السلمان كاتب الإمام عبدالله: أنَّ الذي رافق الإمام ١٢ نفراً، وأنَّ محمد علي باشا لم يقبل أن يصطحب معه لإسطنبول هذا العدد، فكلَّف عبدالله أن ينتخب اثنين فقط. انظر الوثيقة التي أتى بها منير العجلاني في كتابه «تاريخ البلاد العربية السعودية» (٢٥٠/٤).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨١ ـ ١٨٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١٧/١) (٣٢١ ـ ٤٢٢).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٦٢/٤).

«فذهبوا به إلى بيت إسماعيل باشا ابن الباشا[١]، فأقام يومه، وذهبوا به في صبحها عند الباشا [محمد علي] بشبرا[٢]، فلمَّا دخل عليه قام له وقابله بالبشاشة وأجلسه بجانبه وحادثه[٣]، وقال له: **ما هذه المطاولة.** فقال: **الحرب سجال.** قال: **وكيف وجدتَ إبراهيم باشا.** قال: **ما قصَّرَ وبذل هِمَّته، ونحن كذلك، حتى كان ما كان من قدرة المولى.** فقال: **إن شاء الله تعالى أترجَّى فيك عند مولانا السلطان.** فقال: **المقدَّر يكون.** ثمَّ ألبسه خُلْعة وانصرف عنه إلى بيت إسماعيل باشا ببولاق»[٤].

ثمَّ ذكر الجبرتي أنَّ الإمام عبدالله كان حاضراً ومعه صندوق فيه بعض ما أخذه أبوه الإمام سعود من الحجرة النبوية، ودار بين الإمام عبدالله ومحمد علي باشا حديث ونقاش حولها[٥].

---

(١) قصر إسماعيل باشا ابن محمد علي باشا أمام المطبعة الكبرى في (بولاق مصر). انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٦٣/٤). وعبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (١٠٦).

(٢) شبرا: قرية بضواحي (القاهرة)، من (مديرية القليوبية) واقعة على الشاطئ الشرقي للنيل. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣١٢/١٢). وقصر محمد علي باشا كائنٌ في (شبرا) يسمَّى قصر شبرا على حافة النيل من الشطّ الغربي. انظر: عبدالحميد بكْ «ذيل خطط المقريزي» (١١٠).

(٣) يقول فيلكس مانجان في كتابه «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٢)، ومثله إدوارد جوان في كتابه «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٤): أنَّ الإمام عبدالله قبَّلَ يد محمد علي باشا. وهذا غير صحيح ولا دليل عليه، وانظر تعليقنا على بطلان مسألة تقبيل الإمام عبدالله ليد إبراهيم باشا التي أوردناها في هامشة سابقة قبيل قليل في هذا الفصل.

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٦٣/٤).

(٥) أوردنا هذا النقاش بين الإمام والباشا في الفصل الثامن.

ثمَّ سافر الإمام عبدالله بن سعود في يوم الأربعاء ١٩ محرَّم ١٢٣٤هـ/١٨ نوفمبر ١٨١٨م إلى جهة الإسكندرية وصحبته جماعة من التتر[(١)] إلى إسطنبول، ومعه خدم[(٢)].

يقول الجبرتي: وفي يوم السابع من جمادى الأولى ١٢٣٤هـ/٤ مارس ١٨١٩م **«وصلت الأخبار عن عبدالله بن سعود أنَّه لمَّا وصل إلى إسلامبول طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون[(٣)]، وقتلوا أتباعه أيضاً في نواحي متفرِّقة، فذهبوا مع الشهداء»**[(٤)]. هكذا وصفهم الجبرتي بالشهداء؛ وهذا من إنصافه وقوله الحق.

ويقول مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي (ت: ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م): أنَّ عبدالله **«لم يمكث بإسلامبول سوى بعض أيام، ثمَّ قُطِعَ عُنَقه مع رفيق له»**[(٥)].

ويقول المؤرّخ إلياس الأيوبي (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)[(٦)]: أنَّ

---

(١) التَّتَر: كلمة تُطلَق على ساعي البريد في الدولة العثمانية؛ لأنَّ التتر كانوا يؤدُّون عمل سُعاة البريد. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم اللفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٠٨).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٣).

(٣) باب همايون: أحد بوابات (قصر طوب قابي) الذي أنشأه السلطان محمد الملقَّب بالفاتح، ويقع على السور السلطاني الذي يفصل بين القصر والمدينة، وهو مقابل (آيا صوفيا). انظر: سهيل صابان «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية» (٥٠).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٧).

(٥) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٦٤).

(٦) إلياس الأيوبي: مؤرِّخٌ فلسطينيٌّ، حاقد على الدولة السعودية الأولى حانقٌ على=

محمد علي باشا سلَّم عبدالله «**إلى نفرٍ من التَّتر أتوا من الأستانة لاستلامه، فعادوا به إليها، وهناك ـ بعد أَنْ داروا به الشوارع ثلاثة أيام ليهزأ به الملأ ويهينوه ـ قَطَعوا رأسَهُ ثمَّ حشوه تبناً، وأبقوه مُعلّقاً على سور الباب العالي مُدَّةً يتفرّج عليه المارّون ويشتمونه**»[(١)].

وَأكَّد ذلك المؤرّخ الفرنسي إدوارد جون حين قال: ظلَّت الناس تتفرَّج على جثَّة الإمام عبدالله وصاحبيه «بعد ان قُطِّعَت رؤوسها ثلاثة أيَّام متتابعة، وشاع بين الناس في الآستانة يومئذٍ أنَّ هذه الرؤوس أُخِذَت وصُحِنَت في هاون الحكومة، وجُعِلَت الجثث الثلاثة ملكاً للشعب [في إسطنبول]، ولسنا نظنّ أنَّ **النُّسوَر والبزاة وَثَبَت عليها، كما وَثَبَ أهل الآستانة بفرحٍ وسرورٍ يَنُمَّان عن طبيعة الوحشية المستقرَّة في نفوسهم**»[(٢)].

ويعلّق فيلكس مانجان[(٣)] على مقتل الإمام عبدالله قائلاً: «**لقد ذهب** [الإمام] **عبدالله ضحيَّة إرضاء حقد الشعب التركي المتعصب، فطافوا به في المدينة ثلاثة أيام، ثمَّ قطعوا رأسه بعدها في ساحة آيا**

= دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. ترجم له: خير الدين الزركلي في كتابه «الأعلام» (٩/٢).

(١) إلياس الأيوبي «محمد علي» (١٢٤ ـ ١٢٦). ولا يُخفي الأيوبي تشفّيه وفرحه بمقتل الإمام عبدالله.

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٧).

(٣) وفيلكس مانجان تعليقه مهم؛ لأنَّه شاهد عيان، وهو من خواص محمد علي باشا.

صوفيا[١] مع رفيقيه التعيسين. لقد قُضِيَ بذلك على قائد أمَّةٍ من الشجعان اعتادت الصبر على الشدائد، إنَّه المأسوف عليه عبدالله بن سعود»[٢].

* ذكر من قُتِلوا أثناء الحرب في الدرعية، ومن قُتِلَ بعد استيلاء إبراهيم باشا على البلد:

في جمادى الآخرة من سنة ١٢٣٣هـ/أبريل ١٨١٨م أثناء الحصار والحرب قُتِلَ الأمير فيصل بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود[٣]، كان قتله في غير قتال، فقد كان يمشي من موضعٍ إلى موضعٍ فأصابته رصاصة من مكان بعيد فمات في يومه ذلك، وكان الموضع الذي رُمِيَ منه لا تبلغه الرميَّة، وقد ذكر شاهد عيان رأى تلك البندقية مع رجلٍ من عساكر الترك، فقال: طولها تسعة أشبار ورصاصها إحدى عشر درهم[٤].

---

(١) آيا صوفيا: هي أكبر وأشهر الكنائس البيزنطية في (إسطنبول)، وتقع في (ميدان سلطان أحمد) الذي كان يُعرَف قديماً باسم Augusteion، شيَّدها قسطنطين الثاني، وعندما أخذ الترك العثمانيين مدينة (القسطنطينية/ إسطنبول) حوّلوا الكنيسة إلى جامع، وهدموا بعض قبابها وأقاموا مكانها منارات. وفي حديقة الجامع مراقد السلاطين والأمراء العثمانيين. انظر: صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني» (١/ ٨٠ ـ ٨٢).

(٢) فيلكس مانجان في «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٤ ـ ١٨٥).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨/٢). وإبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري «عنوان المجد» (٢١٨).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/ ٤١٢). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١/ ٣٤٣).

أما رواية مؤرخي محمد علي باشا فيذكرون أنَّ فيصل بن سعود كان على ثنيَّة من الجبل يستكشف عساكر الباشا، وأثناء ذلك أُطلِقَت عليه رصاصة قتلته(١).

وفي رسالة إبراهيم باشا لأبيه محمد علي يذكر ـ وهو يتشفَّى ـ صفة مقتل فيصل بن سعود، فيقول: «إنَّ الشقيَّ فيصل [بن سعود] قُتِلَ برصاصة أطلقها عليه عبدكم مصطفى آغا قواله لي»(٢).

ومِمَّن قُتِلَ من آل سعود أيضاً: إبراهيم بن سعود بن عبدالعزيز، وأخوه تركي مات في آخر الحصار مريضاً(٣)، أمَّا عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود فقد توفِّي بعد انقضاء الصلح(٤).

وقُتِلَ أيضاً فهد بن عبدالله بن عبدالعزيز، وفهد بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، ومحمد بن حسن بن مشاري بن سعود وأخوه إبراهيم وأخوه عبدالله وأخوه عبدالرحمٰن(٥).

---

(١) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٢). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٧٨).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (١) ذوات، وحدة الحفظ (٩٤)، بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣هـ/ ١٣ يوليو ١٨١٨م (٢/٣٨٩).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٨). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١/٣٤٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٩).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٨).

كما قُتِلَ عبدالله بن إبراهيم بن حسن بن مشاري بن سعود أصابه حرامية في مُدَّة مقام الباشا في الدرعية[(١)].

وكان الأمير سعود بن عبدالله بن محمد بن سعود قد خرج من الطريف فأخذته خيل الترك وأتوا به إلى الباشا فقتله صبراً[(٢)]، ودفع إبراهيم باشا عشرة أكياس من المال للجنديّ الذي أسر سعود بن عبدالله[(٣)].

ومات أيضاً إبراهيم بن عبدالله بن فرحان، وعبدالله بن ناصر بن مشاري، ومحمَّد بن عبدالله بن محمد بن سعود، وسعود بن عبدالله بن محمد بن سعود وابنه محمَّد. وَقُتِلَ من آل ثنيان وآل ناصر وآل هذلول عددٌ كبير.

كما قُتِلَ محمد بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب[(٤)]. ويُرَجَّح أن يكون الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن خميس من قتلى حرب الدرعية[(٥)].

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣ ـ ١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٨ ـ ٤١٩).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٨).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٤ ـ ١٧٥).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٩).

(٥) الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن خميس: إمام قصر الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، ثم صار القاضي الخاص للإمام سعود بن عبدالعزيز. انظر: تعليقات عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» (٢/٤٨٨) من تأليف ابن حميد.

وقُتِلَ من آل معمَّر أهل العيينة ستَّة رجال[١] وقيل خمسة عشر[٢] وقيل سبعة عشر[٣]، منهم ناصر ابن الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمَّر قُتِل أثناء الحصار[٤]. وقُتِلَ أيضاً من آل دغيثر ستة[٥].

وقُتِلَ من سائر نواحي نجد من الرؤساء ومن دونهم خلقٌ كثير؛ فقد قُتِلَ من أهل الوشم قريب من مئة رجل، ومن أهل الحريق والحوطة نحو ثلاثين رجلاً، ومن أهل بلد ثادق والمحمل نحو أربعين رجلاً، ومن أهل بلد عرقة كذلك نحو أربعين رجلاً، ومن بلد منفوحة أكثر من خمسين رجلاً، ومن بلد حريملاء والعيينة والأفلاج وسدير والقصيم وغيرهم عدد كثير[٦].

* أفاعيل إبراهيم باشا المُنْكَرَة بأهل الدرعية:

لمَّا صالح الباشا أهل الدرعية واستولى على البلد، **صارت عساكر الترك تعبث بأسواق الدرعية وتضرب أهلها وتهينهم، فكان الترك يَجمعون بعض رجالات البلد من الأسواق ويُخرجون من كان منهم في الدور والبيوت ثمَّ يهينونهم بأن يحملوا على ظهورهم ما**

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٩).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤).

(٣) انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٠٥).

(٤) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢/١٢٧).

(٥) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٩).

(٦) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤١٩ ـ ٤٢٠).

تحمله الحيوانات، ثم يأمرون أهل البلد بهدم البيوت والدكاكين، ثمَّ يأخذون أخشاب سقوف البيوت والدكاكين ويكسرونها، ويأمرون أهل البلد أن يَرِدُوا على الماء ويحملونه للعساكر، فأهانوا اهل الفضل وأهل العلم ورفعوا الساقط والخسيس(١).

ثمَّ استولى إبراهيم باشا وعساكره على أوقاف المساجد والأراضي والبساتين في الدرعية(٢).

كما استولى على مجموعات كبيرة من المصاحف والكتب الموجودة فيها وأرسلها إلى المدينة النبوية(٣).

ثمَّ لمَّا استقرَّ إبراهيم باشا مُدَّةً في الدرعية كثُرَ عنده القيل والقال من أناسٍ من أهل نجد في أعيان الدرعية وصلحائها وعلمائها، فرموهم عنده بالهتان وتظاهروا عليهم بالإثم والعدوان، فقتل الباشا من أعيان البلد عِدَّة رجال، فمنهم من قُتِلَ صبراً بالقرابين والبنادق، ومنهم من جعلهم على ملفظ القنبر والقبس وصار رصاصة البارود وطاح من الجوّ قِطَعاً.

فمِن هؤلاء الشيخ رشيد السردي النجدي الذي كان قاضياً في بلد الحوطة والحريق، فلمَّا جاءت عساكر إبراهيم باشا وحاصرت الدرعية ترك الشيخ السردي الحوطة والحريق وذهب للمرابطة في الدرعية، فكان من المتحمسين لدولة آل سعود والدعوة السلفية

---

(١) انظر: المصدر السابق (١/٤٢٩).

(٢) انظر: جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٤).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (٧) معيَّة تركي، وحدة الحفظ (٥٨)، بتاريخ ١١ شعبان ١٢٣٦هـ/ ١٤ مايو ١٨٢١م (١٥٧).

والدفاع عنهما، ولمَّا عَلِمَ إبراهيم باشا منه هذه الصلابة في عقيدته ـ عقيدة التوحيد ـ قتله صبراً عام ١٢٣٣هـ/١٨١٨م[١]، **حيث ثوَّر عليه عساكر إبراهيم باشا القرابين والبنادق فمزَّقت جسده**[٢].

ومنهم أيضاً الشيخ علي بن حمد بن راشد العريني (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذي كان قاضياً في الخرج، فلما حوصرت الدرعية، ترك العريني الخرج وذهب ليرابط في الدرعية، **فلما استسلمت البلد صار الشيخ علي العريني يجاهر بعداوة الترك والبراءة منهم، وعَرَفَ ذلك منه إبراهيم باشا، فكان الشيخ علي العريني من جملة المقتولين صبراً**[٣]**، فقد جعله إبراهيم باشا على ملفظ المدفع فثوَّره عليه، وفي ذات الوقت كانت رصاصات البنادق منطلقة نحوه، فتطاير جسده في الجوِّ وطاح أشلاءً متناثرة على الأرض**[٤].

ثمَّ أمر إبراهيم باشا أن يؤتى بالشيخ الفقيه صالح بن رشيد الحربي النجدي الحنبلي من أهل الرسّ، وقد كان مرابطاً في الدرعية وقت الحصار ثمَّ وقع في قبضة إبراهيم باشا، فأمر عساكره أن يضربوا الشيخ بعصيِّهم، **ثمَّ حمله الباشا وجعله على ملفظ القبس والقنبر فثوَّر عليه النار فتناثرت أشلاء جسده على الأرض**[٥].

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٩٠/٢ ـ ١٩١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

(٣) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦١/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٧٩/٥).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

(٥) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٩). ومحمد=

وكذا حصل للشيخ عبدالله بن صقر الحربي (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[١].

ثمَّ جيء بالشيخ عبدالله بن أحمد بن كثير (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م)، الذي كان من ضمن المرابطين في الدرعية وقت الحصار، فأمر الباشا عساكره أنْ تقتله[٢]؛ **وكان قَتْلُهُ بعدما وشى به رجلٌ بغداديٌّ كان سائراً مع جيش إبراهيم لحرب أهل الدرعية، فحرَّضَ هذا البغدادي الباشا فَقَتَل ابن كثير.**

ثمَّ إنَّ هذا البغدادي كرَّر تحريضه ووشايته عند الباشا ليقتل رجالات آل سويلم الذين كانوا في الدرعية[٣]، فقرَّب الباشا قرابينه وبنادقه على عبدالله بن محمد بن عبدالله بن سويلم وحمد بن عيسى بن سويلم فقتلهم في وقتٍ واحد.

ومِمَّن قُتلَ بالقرابين والبنادق محمد بن إبراهيم بن سدحان صاحب بلد شقراء[٤].

= الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦١/٣ - ١٦٦٢).

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٤/٣).

(٢) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٤/٣).

(٣) انظر: عبد الرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٥/١٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١).

أمَّا ما جرى على العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي (ت: ١٢٥٧هـ/١٨٤١م)، الذي كان قاضياً لآل سعود في المدينة النبوية، فإنَّه خرج من المدينة يوم استولى عليها الترك واستقرَّ في الدرعية ورابط بها، ويوم حاصرها إبراهيم باشا كان الشيخ هو صلة المفاوضة في أمر الصلح بين آل سعود وإبراهيم باشا، **وعَرَضَ عليه الباشا أن يردّه إلى المدينة فأبى وقال: لا أفارق أهل الدرعية إلَّا إذا غُلِبوا.** فأغضب الباشا ذلك، ولمَّا أخذ إبراهيم باشا الدرعية أمسكه وقلع أسنانه وعذَّبَه بأنواع العذاب، ثمَّ رحَّله للقاهرة[1].

ومن الأسباب التي جعلت إبراهيم باشا ينكّل بالشيخ أحمد بن حسن بن رشيد، أنَّ الباشا لم ينسَ حنقه وغضبه على الشيخ أحمد بن حسن يوم فاوضه الأخير وقت حصار الرسّ[2]، ورفض إبراهيم المفاوضة وطلب تسليم الرسّ، فقال له الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي: «هذا ضربٌ من الخيلاء، فأنت تهاجم الرسّ منذ زمنٍ طويل ولن تستطيع الاستيلاء عليها». فاغتاظ إبراهيم باشا من كلام ابن رشيد الحنبلي[3] وأسرَّها الباشا في نفسه، فلمَّا تمكن من الدرعية قبض عليه ونكَّلَ به كما بينَّا قبيل قليل.

إلى جانب هؤلاء قام إبراهيم باشا بقتل أبناء الشيخ عبدالله ابن

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢٩/١ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣) (١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٦٠/١) (٤٦٢).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٧٩).

(٣) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤ ـ ١٤٥). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣ ـ ٥٥٤).

الشيخ محمد عبدالوهاب، وهم: الشيخ علي بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م) الذي رابط في الدرعية حتى وقع في قبضة الترك فقتلوه قرب الدرعية[١].

ومثله أخوه الشيخ سليمان بن عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٣٣هـ/١٨١٨م) الذي رابط وصمد في الدرعية عاصمة بلاده، وصبر وقاوم حتى تمَّ تسليم الدرعية بناءً على الأمان الذي أعطاه إبراهيم باشا لأهلها في اتفاقية التسليم، **إلَّا أن رجلاً نجدياً في جيش إبراهيم باشا وشى بالشيخ سليمان وبأفرادٍ معه، فَغَدَر بهم الباشا وقتلهم**. هكذا نَصَّ ابن بشر بأنَّ الواشي من أهل نجد الذين تواطؤوا مع الباشا[٢].

بينما يخبرنا الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ: أنَّ الواشي كان بغدادياً سار مع إبراهيم باشا في حربه لأهل الدرعية، فقال الشيخ عبدالرحمٰن نصّاً: «وغدروا بسليمان بن عبدالله وآل سويلم وابن كثير عبدالله بسبب البغدادي الخبيث، حداه عليهم»[٣].

وإليك الصفة التي قُتِلَ بها الشيخ سليمان؛ **وهي أنَّ الباشا أرسل إليه وتهدَّدَهُ، ثمَّ أمر على آلات اللهو والرباب فجرُّوها عنده إرغاماً له بها، بعدها أمر الباشا أن يذهبوا به إلى المقبرة ومعه عددٌ كبير من**

---

(١) انظر: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/١٨٨ ـ ١٨٩) (٤٣٨). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٦٤). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/٢٤١).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٤).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (١٢/٣٥).

العساكر فأمرهم أن يثوِّروا فيه البنادق والقرابين، فثوَّروها فيه، فتطاير جسده وتقطَّع أشلاءً متناثرة، حتَّى أنَّهم صاروا يجمعون لحمه قِطَعاً حين أرادوا دفنه[١].

ولعلَّ سبب قتل إبراهيم باشا للشيخ سليمان بتلك الطريقة الوحشية؛ أنَّ الشيخ سليمان شُهِدَ له أثناء حوادث الدرعية أنَّه كان مغواراً شجاعاً مِقْداماً لا يهاب الموت، وكان شديداً في قتاله مع الترك أثناء حصارهم للدرعية.

ويُذكر عنه: أنَّه كان فارساً متمرِّناً على ركوب الخيل، ويجيد فنون القتال، يقارع الأعداء بشجاعةٍ نادرةٍ وثباتٍ ورباطة جأش، فقد ذكروا عنه في إحدى وقعات حوادث الدرعية: **أنَّه كان يصول ويجول على فَرَسِهِ في المعركة شاهراً سيفه، فالتقى بأحد خيَّالَة الترك، فلما اقترب منه ضربه الشيخ سليمان بالسيف، فبتره نصفين، فكان نصفٌ على الفرس، ونصف على الأرض.**

فبذلك أرعب سليمان التركَ وأوقع في قلوبهم الذلّ والهلع، فقد كان كلّ من يقابله منهم يفرّ من وجهه، وقد كان سبب في هزيمتهم في تلك المعركة.

فلربَّما كان هذا هو السبب الذي جعل إبراهيم باشا يقتله بتلك الطريقة[٢].

الحاصل؛ لمَّا فعَلَ إبراهيم ما فعله بالشيخ سليمان أراد الباشا أن يغيظ والده الشيخ عبدالله، فقال له: «قتلنا ابنك سليمان». فأجابه

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٤/١).

(٢) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٣٨ ـ ١٣٩).

الشيخ عبدالله بقلب المؤمن الصابر ولسان المجاهد الواثق: «إنْ لمْ تقتله مات». فنالت منه هذه الكلمة الصادقة من هذا العالم الشجاع المؤمن ما لم تنله السهام الحِداد، فأخذ الباشا يردّدها بلسانه ويتأمّلها بعقله.

لذلك كان إبراهيم باشا يردّد وهو في مصر قائلاً: «**العلماء الحقيقيون في صحاري نجد**»، لِمَا رأى من إيمانهم وصدقهم وتمثّلهم بحالات السلف الأوائل[١].

* ذِكْرُ من خرج من الدرعية من أهل العلم:

لمَّا رأى **الشيخ علي بن حسين ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب** (ت: ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م تقريباً) ما رآه من تنكيل إبراهيم باشا بأهل الدرعية وتعذيبه لهم، عزم على الفرار هو **وعمَّته الشيخة فاطمة بنت الشيخ محمَّد بن عبدالوهاب**، فانسلَّ الشيخ وعمّته وخرجا من الدرعية إلى **قطر** ثمَّ إلى **رأس الخيمة**[٢].

ويورد الشيخ البسَّام بعض أقوال الرواة التي تقول: إنَّ **الشيخة فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب** «في ذهابها مع ابن أخيها إلى عمان[٣] مرَّا على بوَّابةٍ خشبية عند ضريح وليٍّ لهم لا يتجاوزه أحد

(١) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٧٦/١ ـ ١٧٧).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣٣/١). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٧٥/٥). (٣٦٤ ـ ٣٦٦).

(٣) يقصد دولة الإمارات اليوم، وكانت تسمَّى «ساحل عمان الشمالي». راجع ما ذكرناه عن تسميات تلك الإمارات في الفصل الثالث.

حتَّى يُقرِّب لصاحب الضريح شيئاً، فطلب منها سادن الضريح ذلك، فقال ابن أخيها: ما نقرِّبْ له إلَّا تْرَاب في وجهه. فقالت عمَّته: لا، ما نقرِّبْ له تْرَاب». ويعلّق البسَّام قائلاً: «وكلٌّ منهما هي وابن أخيها له مقصد شريف»[1].

مع أنَّ المؤرّخ البلداني الشيخ حمد الجاسر ذكر أنَّ تلك الحادثة وقعت والشيخة فاطمة عند قرية الزّيمة[2] في طريقها إلى الحجّ[3].

وقد وَجَدتُ تلك الرواية عند الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم (ت: ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٠م)[4] يرويها عن الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، حيث يقول ابن قاسم: «وسمعت فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز يقول: روى لنا المشايخ عن فاطمة بنت الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ أنَّه أُرِيدَ منها أن تُقرِّبَ لأحد المعبودين في زمانها شيئاً فأَبَت. فقالوا: ولو تراب. قالت: ولا

(١) عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٥/ ٣٦٥).

(٢) الزيمة: في (وادي نخلة اليمانية)، يمرّ بها طريق مكة إلى الطائف المارّ بنخلة اليمانية. سكّانها جلّهم الأشراف القناوية. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٧٧١).

(٣) انظر: حمد الجاسر، بحثٌ بعنوان «المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب» في «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م (ص٢٨٥).

(٤) هو الشيخ محمد، ابن الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم، وقد كانت له جهود علمية في جمع فتاوى ورسائل العلماء. توفي في (الرياض) إثر حادث مروري. انظر ترجمته عند: عبدالملك بن محمد القاسم «العالم العابد الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن قاسم» خصَّصه كلّه في حياته وسيرته ومؤلّفاته.

تراب؛ **التراب خير من الذباب**»[١].

المُراد؛ خَرَجَ من الدرعية أيضاً **الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن ناصر آل معمَّر** (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)؛ الذي فرَّ من تنكيل إبراهيم باشا بأهل الدرعية بعد التسليم، وأرسل ابن معمَّر زوجته وولده وابنتاه عند ابن عمِّه أمير **بلدة سَدُوس** عبدالله بن إبراهيم بن مشاري بن معمر ابن عمّ الشيخ عبدالعزيز، وكان شهماً كريماً، فكفل أولاد الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن معمر وزوجته وجعلهم تحت رعايته وعنايته، أمَّا الشيخ عبدالعزيز فقد واصل هروبه حتى وصل إلى **البحرين** وتوفّي هناك[٢].

وحمد ابن معمَّر هذا؛ هو صاحب القصيدة الشهيرة ذائعة الصيت، المسمَّاة بالقصيدة الطنَّانة التي رثى بها سقوط الدرعية[٣].

ومِمَّن خَرَجَ أيضاً بعد سقوط الدرعية الشيخ عبدالله بن أحمد بن محمد الوهيبي (ت: ١٢٦٣هـ/١٨٤٧م)؛ حيث فرَّ إلى **رأس الخيمة** خوفاً من فتك عساكر إبراهيم بأهل الدرعية، ولم يزل مقيماً بها حتى عام ١٢٣٥هـ/١٨٢٠م حين استولى الإنجليز عليها وعلى سائر الإمارات وصاروا يعيشون في البلاد بالخراب والدمار ويعذّبون

---

(١) محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم «فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ» (١/١٠٨) في الهامش.

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٦٧). وعبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٢٢٠ ـ ٢٢١). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٧٣). وعبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨٩). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٣٤١).

(٣) سنأتي على ذكر القصيدة الطنَّانة في نهاية هذا الفصل.

أعيانهم، فخرج منهم من نجَّاه الله من فِتنهم، وكان معه في مقامه هناك وفي هروبه عدَّة أعيان من المسلمين من بلاد نجد[١].

ومِمَّن فرَّ من تنكيل إبراهيم باشا بأهل الدرعية الشيخ فارس بن حمد بن محمد بن رميح (ت: ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م) الذي كان مرابطاً فيها وقت الحصار، فلمَّا دمَّرت عساكر الباشا الدرعية خرج منها ابن رميح وعاد إلى **العطار**[٢] **بلده الأول**[٣].

ومنهم أيضاً الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن سلطان، من أهل البير ـ من بلدان المِحْمَل ـ، فإنَّه كان هو وأهله وأولاده مرابطين في الدرعية، فلمَّا غزتها قوَّات إبراهيم باشا، عاد بأهله وأولاده إلى بلده **البير**[٤].

كما خرج من الدرعية عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب بن مشرف (ت: ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م تقريباً)[٥]، الذي كان يقيم في الدرعية حتى غزاها إبراهيم باشا ودَمَّرها، فذهب إلى حريملاء ـ في الشعيب ـ حتى غزا الترك الحملة التركية الثانية عام ١٢٣٦هـ/١٨٢١م، فجرى على عبدالعزيز في حريملاء من الحبس والتعذيب والضرب وسرقوا مكتبته،

---

(١) عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٥/٤ ـ ٣٧).

(٢) العطَّار: بلدة من بلدان (سدير)، وهي في أسفل (وادي الفُقَي/ وادي سدير). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (١٦١/٢) (٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٣) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٥٩/٥).

(٤) انظر: المصدر السابق (٧١/٦).

(٥) عبدالعزيز بن سليمان بن عبدالوهاب، ابن أخ الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وُلِدَ في (حريملاء)، ثم انتقل إلى (الدرعية)، وتوفي في (الأحساء). انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣٦٣/٣ ـ ٣٦٥).

وكانت خزانة كتب عظيمة، ثمَّ نهبوا بيته، ثمَّ أشعلوا النار في باقي الكتب وسائر البيت، فحمل أهله ورحل إلى الأحساء وتوفّي فيها[١].

وخرج أيضاً من الدرعية؛ المؤرِّخ الشيخ محمد بن عمر بن محمد بن حسن بن محمد بن فاخر، الوهبي التميمي، وهو من بلدة التويم ـ من بلدان سدير ـ، وكان قد انتقل إلى الدرعية بعد سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٧م، وبقي هناك حتى حاصرها إبراهيم باشا وسقطت في يده سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، فاضطَّره جور الأتراك أن يرحل من الدرعية قبل هدمها، فذهب إلى الأحساء، ثم عاد إلى بلدة حَرْمَة ـ من بلدان سدير ـ بعد أن هدأت الأمور[٢].

* ذِكْرُ الأمراء من آل سعود الذين خرجوا من الدرعية:

ومِمَّن خَرَجَ من الدرعية من آل سعود الأمير تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود[٣]، **خرج بعد تنكيل إبراهيم باشا بأهل البلد، وتخفَّى في غارٍ عُرِف باسم غار تركي**[٤]. **كما خرج معه واختفى أخوه زيد بن**

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٥٥ ـ ٤٥٦). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٣٦٣ ـ ٣٦٤).

(٢) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٥/٢٤٦ ـ ٢٤٨).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٤) غار تركي: في (هضبة عُلَيَّة) وهو غارٌ مجوَّفٌ في مصبٍّ تلعة متعلِّقَة بالريش (ريش عُلَيَّة)، وهو حَزْنٌ ممتدّ فوق قمَّة (عُلَيَّة) من الشمال إلى الجنوب، وما سال منه ينحدر منه شرقاً على (الخَرْجِ). انظر: عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢/٢٢٩ ـ ٢٣٠).

عبدالله بن محمد بن سعود[١].

يقول أمين الحلواني: «**لمَّا أَسَرَ إبراهيم باشا عبدَالله بن سعود ونقله وعائلة الملك إلى مصر**[٢] **سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، انْفَلَتَ من يَدِ إبراهيم باشا تُركي بن عبدالله بن سعود، وبقيَ متنقِّلاً مُستَتِراً من قريةٍ إلى قرية، ومن قبيلةٍ إلى قبيلة، والعساكر المصرية**[٣] **لا زالت منتشرةً في أرضِ نجد**»[٤].

ومِن الذين خرجوا من الدرعية: الأمير عمر بن عبدالعزيز وأبناؤه عبدالله ومحمد وعبدالملك؛ خرجوا منها وقت المصالحة. كما خَرَجَ أيضاً الأمير مشاري بن ناصر وحسن بن محمد بن مشاري؛ خرجوا بعد استيلاء الترك على الدرعية وقيامهم بالتنكيل بأعيان البلد[٥].

يقول المؤرّخ عبدالله بن محمد البسَّام: «**وكان حسن بن مشاري بن سعود ومشاري بن ناصر قد هربا من الدرعية إلى** [إمارات الساحل الشمالي في إقليم] **عمان، وقت المصالحة مع إبراهيم باشا**»[٦].

---

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٢).

(٢) سيأتي ذكر حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ من (الدرعية) إلى مصر، في ملحقٍ خاصٍّ في نهاية هذا الفصل.

(٣) مَرَّ في الفصل التاسع بيان أنَّ تلك العساكر عثمانية وليست مصرية.

(٤) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٦).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٤٥).

(٦) عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق» (٢٨١).

أمَّا سعد ابن الإمام عبدالله بن سعود، فلا يُعلَم مصيره؛ هل قُتِلَ في هذه الحرب؟ أم نُقِلَ مع عشيرته الذين نُقِلوا إلى مصر وماتوا بها ولم يبقَ لهم بقية؟[١] فالله أعلم بما آل إليه مصيره.

*** أفاعيل إبراهيم باشا في الأحساء:**

لمَّا توجَّه إبراهيم باشا إلى محاصرة الدرعية انضمَّ إليه محمد وماجد ابنا عريعر بن دجين، فلمَّا سلَّمَت الدرعية وانتهت الحرب طلب ماجد وأخوه محمد من إبراهيم باشا أن يولّيهما الأحساء، فأجابهم إلى ذلك[٢]، فتوجَّها إليها، وقد خرج منها أميرها فهد بن سليمان بن عفيصان (ت: ١٢٣٤هـ/١٨١٩م)[٣] حينما بلغه استيلاء إبراهيم باشا على الدرعية، خرج ابن عفيصان إلى البحرين خوفاً من بَطشِ عساكر الباشا؛ لِمَا سَمِعَهُ عنها قبل وصولها إلى الأحساء، ثمَّ

(١) انظر تعليق عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على «عنوان المجد» (٤١٥/١) لعثمان بن بشر، في الهامش. وانظر أيضاً: جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٣٣).

(٢) انظر: سلطان الأصقه «إمارة الكويت في ظلِّ التنافس الدولي» (٥٢).

(٣) فهد بن سليمان بن عفيصان: هو الذي أَمَرَهُ الإمام سعود سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م أن يَعبُرَ إلى البحرين ويضبطها ثمَّ جَعَلَه على بيت المال هناك، ثمَّ إنَّه وَقَعَ في أسر آل خليفة بعد استعانتهم بسلطان مسقط والعجم والإنجليز الذين في مسقط، ثمَّ افتكَّه الإمام سعود فيما بعد. ثمَّ كان أميراً نائباً للإمام عبدالله على (الأحساء). وفي سنة ١٢٣٤هـ/ ١٨١٩م قُتِلَ على يد إبراهيم باشا بعد ان أرسل الباشا حملة غادرة على أسرة آل عفيصان في (الدلم) في (الخرج). انظر أخباره عند: محمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٧٠ ـ ١٧١) (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٣٠٨/١ ـ ٣٠٩) (٤٢٣) (٤٣٧).

دخل ماجد ومحمد آل عريعر الأحساء واستوليا عليها، ومن بعدها سار محمد بن عريعر إلى القطيف واستولى عليها[(١)].

وبعد أيام كان إبراهيم باشا وهو لا يزال في الدرعية قد أخذ خيل آل سعود وشوكة الحرب وسطى على كلّ ما عليه اسم أو رسم أو وسم بالبنادق والسيوف التابعة لآل سعود.

ثم بعث إبراهيم باشا ـ في سنة ١٢٣٤هـ/١٨١٩م ـ بقائدٍ من قوَّادِهِ يقال له محمد كاشف ومعه ٢٤٠ رجلاً وفي صحبتهم عبدالله ابن الشيخ عيسى المطلق وأمرهم بأخذ جميع ما في بيت المال وما كان لآل سعود في الأحساء من الخيل والسلاح، فقدِموا وأخذوا أموالاً وقتلوا رجالاً وصادروا ظناين آل سعود وطوارفهم، وقَتَلَ رجال من أئمة مساجد الأحساء من أهل نجد، ومسكوا الشيخ عبدالرحمٰن بن نامي وحبسوه وأخذوا أمواله ثمَّ قتلوه[(٢)]. ثمَّ عثا الكاشف في أرض الأحساء وأفسد وظلم أهلها[(٣)].

فلمَّا رأى آل عريعر أفاعيل عساكر إبراهيم باشا بالأحساء، خافوا على أنفسهم فخرجوا من الأحساء وتوجَّهوا إلى العراق[(٤)]، ثمَّ

---

(١) انظر: محمد آل عبدالقادر «تحفة المستفيد» (٢٥١/١ ـ ٢٥٢). وجمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (٤٠٢/١).

(٢) انظر: عمر الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٣). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٩/١ ـ ٤٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٤/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٢٧٣/٣ ـ ٢٧٤). وتعليقات عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» لابن حميد (٥٢١/٢).

(٣) انظر: عثمان بن سند «مطالع السعود» (٤٤٧).

(٤) انظر: محمد آل عبدالقادر «تحفة المستفيد» (٢٥٢/١). وجمال زكريا قاسم =

هرب من الأحساء رئيس السياسب ومعه رجال من أتباعه ومن أعيان البلد وركبوا البحر فراراً من عساكر إبراهيم باشا.

ولقد بقيت عساكر إبراهيم باشا في الأحساء وعاثوا فيه إلى قريب ارتحال الباشا من الدرعية[(١)]. وفي هذا يشهد سادلير الذي رأى بعينيه ما حلَّ بالأحساء، حيث يقول: «**لقد قضى الكاشف على الكثير من الممتلكات الخاصَّة بالأحساء رغم بُعدها عن نجد وما جرى فيها؛ لقد جمع الكاشف مليوناً ومئتي ألف من القروش من أهالي الأحساء قبل مغادرته، وأصبح شعار الباشا سلب الأهالي وجمع الأموال وترك الدمار الشامل بصورةٍ لا يوجد لها مثيل في تاريخ الجزيرة**»[(٢)].

* أوامر الحكومة العثمانية بتدمير الدرعية وسائر أسوار البلدات النجدية:

لـمَّا دخلت السنة ١٢٣٤هـ ـ آخر ١٨١٨م، وأوَّل ١٨١٩م ـ جاءت الأوامر من محمد علي باشا إلى ابنه إبراهيم باشا أن يُسَفِّر من في الدرعية من آل سعود وآل الشيخ وبعض الأعيان ويأتيه بهم في القاهرة[(٣)].

= «تاريخ الخليج العربي» (١/٤٠٢). وفؤاد سعيد العابد «سياسة بريطانيا في الخليج» (١٢٠).

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٠).

(٢) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٥).

(٣) وسيأتي ـ بالتفصيل ـ ذكر حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ من الدرعية إلى القاهرة في ملحقٍ منفرد آخر هذا الفصل.

كما أمر محمد علي باشا ابنه إبراهيم أَنْ يُدَمِّرَ الدرعية ولا يُبقي فيها قصر ولا دار ولا بناء ولا حجر إلَّا ويهدمه، وأن لا يُبْقِ فيها شجر إلَّا ويقطعه، فبعث إبراهيم باشا عساكر من حاشيته وخَدَمِهِ وفرَّقهم في نواحي نجد وأمرهم بهدم أسوار البلدان وحصونها[١].

فنزلت تلك العساكر على تلك البلدان وهدمت الأسوار والتحصينات والقلاع التي في شقراء وثرمداء ومنفوحة وعنيزة والرياض وسائر قرى ومدن نجد بلا استثناء[٢]. ثمَّ **«صادروا أهلها بخراجهم وعلف خيولهم وعَلِيقها[٣] بالليل والنهار، وجمعوا ما في البلدات النجدية من الحنطة والشعير إلَّا ما قلَّ»[٤].**

ثمَّ لمَّا كان في شعبان ١٢٣٤هـ/يونيو ١٨١٩م قدِمَت الرسل والمكاتبات من محمّد علي باشا على ابنه إبراهيم باشا وهو في الدرعية يأمرهُ بهدمها وتدميرها، فأمر الباشا أهل الدرعية أن يرحلوا عنها، **ثمَّ أمر على العساكر أن يهدموا دورها وقصورها وأن يقطعوا نخيلها وأشجارها ولا يرحموا صغيرها ولا كبيرها، فابتدر العساكر إلى هدمها مسرعين، وكانوا أحياناً يهدمونها وبعض أهاليها فيها مقيمين، فقطعوا الحدائق منها وهدموا الدور والقصور، ونَفَذَ فيها القدر، وأشعلوا في بيوتها النيران وأخرجوا جميع من كان فيها من**

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٩) (٤٣٧).

(٢) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٦).

(٣) العَلِيقُ: طعام الحيوان من تبنٍ وشعير ونحوه. انظر: إبراهيم مصطفى وزملاه «المعجم الوسيط» (٦٢٣).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٢٩).

السكّان فتركوها خالية كَأَنْ لم يَكُنْ بها من قديم ساكن، وتفرّقَ أهلها في النواحي والبلدان(١).

ويأتينا مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي فيلكس مانجان بشهادة على ذلك المشهد المأساوي، فيقول: «جمع إبراهيم باشا زعماء المدن الذين جاؤوا إلى الدرعية حسب أوامره والزمهم بهدم أسوار مدنهم وتحصيناتها خلال مدّة محدَّدة، [ثمَّ] أمر بهدم بيوت [الإمام] عبدالله والمسجد، واضْطَّرَّ السكان إلى هدم الأسوار والحصون التي لم يطلها الهدم خلال الحصار، **وما كاد إبراهيم** [باشا] **يَرْحَل حتَّى أصدر الحاكم أمره إلى الجنود بقطع أشجار النخيل وإتلاف المزروعات كلّها بينما كان السكّان مشغولين بهدم الأسوار، وأجبر الناس على الخروج من المدينة كيلا تقع المنازل على رؤوسهم، وسارع السكان جميعاً يبحثون عن مكان إقامةٍ في الأماكن المجاورة، وخلال عشرين يوماً خَلَت الدرعية من سكّانها؛ فما إنْ تخرج أسرة من منزلها حتَّى يبادر الجنود إلى إحراقه غير عابئين إذا كان البيت المجاور خالياً أم لا، لقد شكّل ذلك منظراً مأساوياً**»(٢).

وتخبرنا وثائق لوريمر التي جمعها لموظفّي حكومته البريطانية: **«أنَّ عقوبة هدم وتدمير الدرعية كانت شاملة، حتَّى لم يُبقِ فيها حجرٌ على حجرٍ، وقُطِّعَت أشجار النخيل حتَّى آخر شجرة»**(٣).

---

(١) انظر: المصدر السابق (٤٣٤/١).

(٢) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩٣ ـ ١٩٤) باختصار وتصرفٍ يسير.

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (١٦٢٦/٣).

وقد وقف الكابتن البريطاني سادلير على ذلك المشهد المأساوي كشاهد عيان رآه بعينيه فوصفه قائلاً: «**لم تَبْقَ من المناطق المذكورة آثار سكنية غير بضعة منازل مهدَّمة ومهجورة، لقد دُمِّرَت القلاع والجدران بواسطة جيوش الباشا، وخُرِّبَت المزارع كلّها، حتَّى أنَّ الباشا قبل مغادرته دمَّر بساتين النخيل كلّها، ولم أجد إنساناً واحداً يُقيم في هذه المنطقة**»(١).

ويذكر شاهد العيان هذا أنَّ أكثر أهل الدرعية بعد سقوط مدينتهم ذهبوا واستقروا في منفوحة لقربها منهم(٢) وأنَّ «**سكَّان المنطقة أصبحوا في حالة يُرثى لها، خاصة بعد أن هُدِّمَت منازلهم وشُرِّدَ رؤساؤهم ولجأ إليهم بعض سكان الدرعية بعد هدمها، بل إنَّ عساكر الترك صادرت محصول العام ولم يتركوا للأهالي قمحاً أو شعيراً**»(٣).

ولقد كان سلب العساكر التركية للغلال الزراعية وقطعهم لأشجار النخيل من أشدّ وانكى ما وقع على أهل البلاد النجدية.

وعلى تلك المأساة يشهد مؤرّخ محمد علي باشا فيلكس مانجان قائلاً: إنَّ «الحرب التي استمرَّت زمناً طويلاً أتَت على قِسمٍ كبيرٍ من الغلَّة الزراعية، وقُطِعَت أشجار النخيل في أماكن متعدِّدة ليتغذَّى الجنود [الأتراك] بِلُبِّها، وبلغ القحط حَدّاً جعل الناس يأكلون الحشائش. لقد بلغ القلق ذروته، ولم يَبقَ من أملٍ يلوح في الأفق»(٤).

---

(١) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٨٦) (٩٤) بتصرّف.

(٢) انظر: المصدر السابق (٨٢) (٩٤).

(٣) المصدر نفسه (٨٣) باختصار.

(٤) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨١).

ولم يكتفِ إبراهيم باشا بتدمير بلدات أهل الحاضرة وسلب ما عندها، بل تسلَّط أيضاً على أهل البادية وسلب ما عندهم من الزاد والماشية وغيرها، وقد شهد بذلك شهود عيان، نَقَلَ عنهم مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي إدوارد جون ما حصل من تلك الحوادث المأساوية، حيث قال: «لطالما خرج [إبراهيم باشا] لغزو العربان، فكان يعود من كلّ غزوةٍ بالغنائم الكثيرة»[١].

ولقد أدَّت ثورات قبائل البادية المتتالية على عساكر الترك إلى إثارة البلبلة في خطط إبراهيم باشا وعرقلت تحرّكاته[٢]، ذلك أن أهل البادية «في كلّ مكان يعتبرون الأتراك دخلاء وينتظرون مغادرتهم في أسرع وقت»[٣].

وهناك حادثة ذكرها ابن بشر؛ كادت تُودِي بحياة إبراهيم باشا وهو في طريق ارتحاله من الدرعية إلى المدينة النبوية؛ حيث وافَقَ الباشا غزواً من قبيلة العجمان، فاحتدم القتال بين جيشه وبين العجمان، ثمَّ هَجَمَ واحدٌ من العجمان على إبراهيم باشا مباشرةً، فَضَرَبَهُ بسيفه ضربةً عظيمةً فَلَقَت السرج إلى نصفين، وجُرِحَ فيها الحصان الذي تحت الباشا جرحاً ليس له نظير، وقطعت تكَّة سروال الباشا، فَسَلِمَ إبراهيم باشا من هذه الضربة بأعجوبة[٤].

ويشهد شاهد عيان قائلاً: ظلَّ «جيش الأتراك مشغولاً في

---

(١) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٢) انظر: جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٤٩).

(٣) جورج سادلبير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٦٨).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٧).

الانتقام من البدو وضربهم، حتَّى حرموهم من المواشي وهدموا وأزالوا تحصينات كل قرى نجد، **لقد أصبح شعار الباشا في هذه الفترة سلب جميع الأهالي وجمع الأموال وترك الدمار الشامل بصورةٍ لا يوجد لها مثيل في تاريخ الجزيرة. لقد كنتُ شاهداً على الدمار الذي أتى به الباشا وجيشه على كلّ أرض الجزيرة»**[١].

حتَّى أنَّ كثيراً من قبائل البادية هربت متوغِّلَةً في الصحراء باتِّجاهِ الخليج العربي مبتعدين عن حوادث الحروب وتنكيل الباشا في الدرعية وبقية بلدات الحاضرة النجدية[٢].

يقول سادلير: **«لقد كان من سوء طالعي أن أتعرّف على إبراهيم باشا وأن أكتشف شخصيته بملاحظاتي الذاتية، وأن أقول: إنَّ عملياته العسكرية الأخيرة تميزَّت بالوحشية وعدم مراعاة لأبسط المبادئ الإنسانية المقدَّسة، مع عمليات نهب لمصلحته الشخصية من أموال ومتاع القبائل التي قامت بمساعدته أو مصادرة أملاك وأموال أولئك الذين اختبؤوا خوفاً منه»**[٣].

* هدم الدرعية وتدميرها جاء بأمر من سلطان الدولة العثمانية:

يأتينا سادلير بشهادةٍ تدلّ على أنَّ كلّ هذا التدمير الذي وقع في الدرعية وما حولها كان بأمر السلطان العثماني، حيث يقول سادلير:

---

(١) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٩٥) باختصار.

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩١).

(٣) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (٢١).

«أثناء لقائي مع إبراهيم باشا قال لي: إنَّ الحملة الموجَّهة ضدَّ الدرعية كانت نتيجة لأوامر الباب العالي الموجَّهة لوالده، وأنَّه هو شخصياً لا يُدرك أبعادها ولا الأهداف الحقيقية من ورائها، وكانت الأوامر تلزمه بتدمير الدرعية فقط، ومتى ما دُمِّرَت فإنَّ عليه الانتظار لأوامر جديدة من والده»[(١)].

وشهد بذلك مؤرّخ محمد علي باشا الفرنسي إدوارد جوان حين قال: «**وَرَدَت من والده** [محمد علي باشا] **نصوص الأوامر السلطانية القاضية بتدمير الدرعية وجعل عالي أسوارها وحصونها سافلها وإحراق بيوتها**»[(٢)].

وهو ما وثَّقه لوريمر حين قال: «**أمَّا التدمير الكامل لمدينة الدرعية فلم يبدأ إلَّا بعد صدور الأوامر به من القسطنطينية**»[(٣)].

* مجزرة الترك بأسرة آل عفيصان في الخرج:

في وقت ارتحال الباشا من الدرعية إلى القصيم، أرسل أحد أغواته الذي في حوطة الجنوب واسمه الآغا جوخدار ومعه عساكر أتراك، ونزل الدِّلَم في الخرج، وقتل آل عفيصان[(٤)] لأنَّهم من قادة

---

(١) جورج سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٤).

(٢) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٣) ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٥ ـ ١٦٢٦).

(٤) آل عفيصان: من أهل (الخرج) من عائذ من عَبيدَة من قحطان، وهي أسرة كريمة مجاهدة مخلصة لوطنها وحكَّامها، برز منها رجال لهم قدم صدق في القيادة والولاية والزعامة، يقول عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: «كانوا =

دولة آل سعود ولأنَّه عُرِفَ عنهم إخلاصهم لحكَّامهم[١]، وقد قُتِلَ من آل عفيصان كلٌّ مِن: فهد بن سليمان بن عفيصان، وأخوه عبدالله بن سليمان[٢]، ومتعب بن إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، واستأصل الآغا جوخدار خزائن آل عفيصان وأموالهم[٣].

* ابتهاج المناوئين بسقوط الدولة السعودية الأولى:

يذكر المؤرّخ المصري عبدالرحمٰن الجبرتي أنَّه في يوم ١٢ ذي الحجَّة ١٢٣٣هـ/١٣ أكتوبر ١٨١٨م «وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان آغا الورداني أمير ينبع بأنَّ إبراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية، فانسرَّ الباشا [محمد علي] لهذا الخبر سروراً عظيماً وانجلى عنه الضجر والقلق وأنعمَ على البشر، وعند ذلك

= من رجال آل سعود الذين يعتمدون عليهم في الإمارات وقيادة الجيوش والسرايا، وآخر من عرفته أنَّه تولَّى من آل عفيصان الإمارات لآل سعود هو سعد بن عفيصان الذي كان غازياً في جيش إمام المسلمين صاحب الجلالة الملك فيصل بن عبدالعزيز سنة ١٣٤٠هـ/ ١٩٢٢م». انظر: تعليقات آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١٥٢/١ ـ ١٥٣). وانظر أيضاً: إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (١٠٤). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة» (٥٥٤). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٩/٢).

(١) انظر: تعليقات آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١٥٢/١ ـ ١٥٣). وعبدالله بن خميس «معجم اليمامة» (٢٩/٢).

(٢) عبدالله بن سليمان بن عفيصان: كان أميراً نائباً للإمام عبدالله على (الخرج). انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢٣/١).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (١١٧)، بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٢٣٤هـ/ ١٣ سبتمبر ١٨١٩م (٤٤٩/٢). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣٧/١ ـ ٤٣٨).

ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية[١]، وانتشر المبشِّرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش»[٢].

ويذكر الجبرتي أنَّه في نفس اليوم المذكور وصلت أخبار انتصار إبراهيم باشا على أهل الدرعية «بمكاتبات من السويس وينبع إلى القاهرة وذلك قبيل العصر، فأكثروا [في القاهرة] من ضرب المدافع من كلّ جهة، واستمرَّ الضرب من العصر إلى المغرب، بحيث ضُرِبَ بالقلعة خاصَّةً ألف مدفع وصادف ذلك شِنْك أيام العيد، وعند ذلك أُمِرَ بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها وبولاق ومصر القديمة والجيزة.

وحضر كُشَّاف النواحي والأقاليم بعساكرهم، وأخرجوا الخيام والصواوين والوطَّاقات[٣] خارج باب النصر وباب الفتوح وذلك يوم الثلاثاء [٢٦ ذي الحجَّة ١٢٣٣هـ/٢٧ أكتوبر ١٨١٨م]، ونوديَ بالزينة، فشَرَع الناس في زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور

---

(١) الأُزبَكِيَّة: غربي (القاهرة)، كانت في الأصل (بركة الأُزبَكِيَّة)، ثمّ رُدِمَت وجُعِلَت جنينة تُعرف اليوم باسم (حديقة الأزبكيَّة)، يحيط بها اليوم (شارع الجمهورية) غرباً، و(شارع نجيب الريحاني) شمالاً غربياً، و(ميدان الأوبرا) و(نفق الأزهر) جنوباً، قريباً من (جامع الكخيا) جنوباً غربياً، و(شارع البوسطة) جنوباً شرقياً وشرقاً أيضاً. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢٤٨/٣ ـ ٢٥١) (٣٦٨). ومحمد الششتاوي «متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني» (١٦٠ ـ ١٦٣).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٥١/٤).

(٣) الوُطَّاقات: مفردها: وطَّاق. لفظٌ تركيٌّ أصله: أوتاق. معناها: الخيمة الكبيرة. انظر: مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية» (٤٤٢).

ووقود القناديل والسهر، وأظهروا الفرح والملاعيب»[(١)].

كما «نودي بزينة المدينة سبعة أيام أوّلها الأربعاء [٢٧ ذي الحجَّة/٢٨ أكتوبر] ونصبت الصواوين خارج باب النصر عند الهمايل[(٢)]، وكذلك صيوان الباشا، وباقي الأمراء والأعيان خرجوا بِأُسَرِهِم لعمل الشِنْك والحرائق، وأخرجوا من المدافع مئة مدفع وعشرة، وتماثيل وقلاعاً وسواقي وسواريخ[(٣)] وصوراً من بارود، وبدؤوا في عمل الشِنْك من يوم الأربعاء، فيضربون بالمدافع مع رمَّاحة الخيَّالة ضرباً متتابعاً، بحيث يتخيل الإنسان أصواتها مع أصوات بنادق الخيَّالة المترامحين رعوداً هائلة.

واستمرَّ هذا الضرب والشِنْك إلى يوم الثلاثاء رابع المحرَّم ١٢٣٤هـ [٣ نوفمبر ١٨١٨م]، وأهل البلد ملازمون للسهر، والزينة على الحوانيت والدور ليلاً ونهاراً في خان الخليلي[(٤)]

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٥١).

(٢) الهمايل: لم أجدها فيما وقفت عليه من مصادر الخطط والآثار. ثمَّ أخبرني الدكتور محمد حسام الدين المتخصص بالخطط والآثار: بأنَّها ناحية التُرَب/ المقابر في (شارع سونة شرارة) المقابلة لـ(باب النصر) شمالاً، يفصل بينه وبينها (شارع البنهاوي).

(٣) يعني صواريخ.

(٤) خان الخليلي: أحد الأسواق الرئيسية في القاهرة، سُمِّيَ تبعاً لمنشئه الأمير سيف الدين جهاركس الخليلي اليلبغاوي (ت: ٧٩١هـ/ ١٣٨٩م). يحدّه من الغرب (شارع المعز لدين الله) في مواجهة جامع الشيخ مطهّر و(الصَّاغة)، ومن الشمال (سكّة البادِستان) و(شارع خان الخليلي)، ومن الجنوب (شارع جوهر القائد)، ومن الشرق امتداد (شارع خان الخليلي) عند (باب الغوري)=

والغورية[١] والجمالية[٢]، وفي بعض أماكن الخانات أقيمت الملاهي والأغاني والرقصات»[٣]. فكانت زينةً لم يسبق لها مثيلٌ صُرِفَ فيها مبالغ وافرة ابتهاجاً بهذا النصر[٤].

أمَّا فرح النصارى والأجانب الموجودون في القاهرة، فيقول الجبرتي: إنَّ معظم الزينة كانت في «مساكن الإفرنج والأرمن، فإنَّهم تفنَّنوا في عمل التصاوير والتماثيل وأشكال السرج وأشكال النجف»[٥].

وفي ٩ محرّم ١٢٣٤هـ/٨ نوفمبر ١٨١٨م «زيَّنَ أهالي بولاق أسواقهم وحوانيتهم وأبواب دورهم ودُقَّت الطبول والمزامير في

= المعروف بـ(باب البادستان). انظر: تعليقات أيمن فؤاد سيّد على كتاب «المواعظ والاعتبار» للمقريزي (٣/٣١٤). وإدوارد وليم لين «القاهرة منتصف القرن التاسع عشر» (١١٤ ـ ١١٦).

(١) الغورية: هو (شارع الغورية) المعروف في (القاهرة). سُمِّيَ نسبةً للسلطان المملوكي قانصوة الغوري (ت: ٩٢٢هـ/ ١٥١٦م). وهذا الشارع يبتدئ من (قراقول الأشرفية) وينتهي إلى (باب شارع الكحكيِّين). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٢/١١٢). وعبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٥٨).

(٢) الجمالية: هي ثمن (الجمالية) وسط (القاهرة) من شرقيها، من أشهر شوارعها (شارع السكريَّة) و(شارع العقادين) و(شارع حارة الروم) و(شارع خشقدم) و(شارع وكالة التفاح) و(شارع النحَّاسين) و(شارع الخرنفش) وغيرها. انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (١٩ ـ ٢١).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٠ ـ ٤٦١) باختصار وتصرف يسير.

(٤) انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» (٢/٢٧٦).

(٥) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦١) باختصار.

السفائن، وطبلخانة[١] الباشا والمدافع الكثيرة تضرب في كلّ وقت من ضحوة النهار وكلّ عصر وعشاء، **واحتفل النصارى والإفرنج في بولاق وأبرز الجميع زينتهم وتماثيلهم**»[٢].

ويذكر مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي: أنَّه يوم وصل الإمام عبدالله للقاهرة «**كان يوماً مشهوداً وعيداً من أكبر الأعياد**»[٣].

وذكر الرجبي أيضاً: أنَّ الدولة العثمانية شكرت محمد علي باشا «ابتهاجاً به، حتَّى صار ملهج لسانها وحلّ من عينها على الحقيقة محلّ إنسانها»[٤].

أمَّا في تركيا فقد أرسل نقيب الأشراف بإسطنبول عبدالوهاب الحسيني تسبيحي زاده برسالةٍ لمحمد علي باشا يشكره فيها: «على تفضّله بإرسال مكاتبة إليه تتضمَّن أخبار النصر على الوهابيين والاستيلاء على الدرعية وإرسال عبدالله بن سعود إلى إسطنبول مقيَّداً بالأغلال، ويدعو له بدوام النصر»[٥].

---

(١) طبلخانة: المراد بها ما نسميه في عصرنا موسيقى الجيش. وهي لفظٌ فارسي. انظر: محمد أحمد دهمان «معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي» (١٠٦).

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٦٢) باختصار.

(٣) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٦٤).

(٤) المصدر السابق (١٦٥).

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٢٠). بتاريخ ١٩ صفر ١٢٣٤هـ/ ١٨ ديسمبر ١٨١٩م (٢/٤٠٤).

وأرسل حفيد قاضي عسكر الأناضول برسالة لمحمد علي باشا يهنِّئه لأجل: «توفيقه في تخليص البلاد المقدَّسة من أيدي الخوارج [هكذا]، وتوفيق إبراهيم باشا في أسر عبدالله رئيسهم والاستيلاء على الدرعية»، ثمَّ دعا له بدوام النصر(١).

ثمَّ تتابعت رسائل التهنئة من رجال الباب العالي(٢) وقاضي عسكر الروملّي(٣).

أما في جهات عمان؛ فإنَّ حاكم مسقط السيِّد سعيد بن سلطان ـ لمَّا سقطت الدرعية سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م على يد إبراهيم باشا ـ فرح سلطان مسقط بهذا الحدث(٤)، وهنَّأ الباشا بانتصاره على آل سعود(٥)، ثم أخذ يستغلّ سقوط الدرعية ليطلب من الإنجليز أن يعاونوه على مدّ نفوذ حكمه إلى جزر البحرين، إلَّا أنَّ الإنجليز لم

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٢١)، بتاريخ ٢٥ صفر ١٢٣٤هـ/ ٢٤ ديسمبر ١٨١٩م (٢/٤٠٥).

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٢٣)، بتاريخ ٢٧ صفر ١٢٣٤هـ/ ٢٦ ديسمبر ١٨١٨م (٢/٤٠٨ ـ ٤٠٩). ومحفظة (٦) بحر برا، رقم المحفظة (٣٣)، بتاريخ ٢٧ ربيع الأول ١٢٣٤هـ/ ٢٤ يناير ١٨١٩م (٢/٤١٢ ـ ٤١٣).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (٢٤)، بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٣٤هـ/ ٢٢ ديسمبر ١٨١٨م (٢/٤١٠ ـ ٤١١).

(٤) انظر: جمال زكريا قاسم «دولة البو سعيد» (١٤٧). وعبدالرحيم عبدالرحمٰن «محمد علي وشبه الجزيرة العربية» (٢٩).

(٥) انظر: جمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (١/٢٧٨).

يلقوا له بالاً بالنسبة لمطالبه بالبحرين[(١)].

على أنَّ الإنجليز وافقوا على طلب سلطان مسقط ليتحالفوا معه ضدَّ قبيلة بني بو علي الموالية لآل سعود[(٢)]، وقبيلة بني بو علي هي التي وصفها لوريمر الإنجليزي بقوله: «**كانوا متعصبين لمبادئ الوهابية، وهم أكثر قبائل عمان تديّناً، وهي القبيلة الوحيدة في سلطنة عمان التي التحمت في معركةٍ بريَّةٍ مع قوّةٍ بريطانية في [٢ صفر ١٢٣٦هـ] ٩ نوفمبر ١٨٢٠م**»[(٣)].

ولقد عاون الإنجليز سلطان مسقط ضدَّ بني بو علي، واستطاعت تلك القبيلة في صفر ١٢٣٦هـ/نوفمبر ١٨٢٠م أن تهزم على أرض قريتها ـ بلد بني بو علي ـ فرقةً من الجنود الهنود الذين يعملون في الجيش البريطاني[(٤)] كانوا قد قاموا بهجوم حربيٍّ على تلك القبيلة، ولكنَّ النتيجة كانت كارثةً رهيبةً على الإنجليز وسلطان مسقط؛ حيث أباد أبناء القبيلة هذه المجموعة من الجنود البريطانيين مع ضبّاطها، ثمَّ بعثرت تلك القبيلة جنود سلطان مسقط فوقعوا بين قتيل وأسير[(٥)].

أمَّا مواقف المؤرخين من أهل البدع الذين عاينوا الحدث وعاصروه؛ فهذا المؤرِّخ عثمان بن سند البصري يقول عن سقوط

---

(١) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣١٦/١). وجمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (٣٧٤/١).

(٢) انظر: سلطان الأصقه «إمارة الكويت في ظلِّ التنافس الدولي» (٦٤).

(٣) انظر: ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم الجغرافي» (٨٧/١) باختصار.

(٤) انظر: المصدر السابق (٨٧/١).

(٥) انظر: المصدر نفسه (٣١٩/١).

الدولة السعودية ـ بالنصِّ ـ: «**هذا ومن مناقب السلطان محمود ومساعيه التي هو بها ما دار المَلَوَان محمود، إزالة رأس المبتدعة ورئيسهم ابن سعود**[١]**، فإنَّ الله تبارك وتعالى جعل له بذلك فخراً، ورفع له به في الملأ الأعلى ذكراً، إذ لولاه لألْقَت بِدعة من ذكرناه في الأرض كلاكلها**»[٢].

ثمَّ أنشد ابن سند أبياتاً أظهر فيها فرحه بسقوط الدولة السعودية الأولى، فقال:

«همامٌ من بني عثمان صَلْتٌ — براحته رسول الحَدِّ صَلْتُ
أزال به ضلالة عارضيٍّ — لتضليل الورى أبداً يَمُتُّ»[٣].

وكان ابن سند قد أرسل رسالةً إلى إبراهيم باشا يحثّهُ فيها أن يصبر على حصار الدرعية ومحاربة أهلها، وكان يرجوه أن يبيدهم ولا يَسْتَبْقِ منهم أحداً، حتَّى الأطفال الصغار.

وهذا نصُّ كلام ابن سند، حيث قال: «**ومن الموافقات الغريبة واللطائف البديعة والعجيبة، ما كتبته إلى الوزير إبراهيم**

---

(١) الحمد لله الذي خيَّب ظنّ الحاقد الحاسد عثمان بن سند، فقد عاد حكم آل سعود في الدولة الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله، ثمَّ عادت اليوم قويَّة الأركان والبنيان على يد مؤسس الدولة السعودية الحديثة الملك عبدالعزيز وأبنائه وأحفاده.

(٢) الحمد لله، خابت ظنون ابن سند، فها هم المسلمون اليوم يرون انتشار تلك الدعوة المباركة (دعوة الإمام المجدّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب) وصار أكثرهم يعلم حقيقتها وحقيقة أعدائها الحقدة الحسدة، كما صاروا يرون الخير العميم على يد دولة آل سعود اليوم من توطين الأمن وخدمة البلاد والعباد.

(٣) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٣٧٣).

[باشا] عندما نَزَلَ على الدرعية لمُقاتلةِ أميرها، في ضمن رسالة أحثُّهُ بها على المصابرة والمجالدة لأرباب تلك البدعة الفاجرة. [فقلت له]: أبشر أيها المُصابر المُجاهد، والفارس الباسل المِغوار المُجالِد لِفرقةٍ من الدين مَرَقَت وطائفةٍ ما افتخرت إلَّا بكونها للإجماع خَرَقَت، [أبشر] بالفتح من الله». ثمَّ يقول: «وفي ضمن الرسالة قصيدة منها قولي:

ولا تُبْقِ مِنهُمُ واحداً تَسْتَطيبه إذا خَبُثَ الآباء لم يَطِبِ الولْد»[١].

أما المؤرِّخ المكيّ القبوري أحمد زيني دحلان؛ فقد كان يشمت بدولة آل سعود وحرب محمد علي باشا ضدَّها وضدّ دعوتها السلفية، حيث يقول دحلان: **«فأتاهم صاحب مصر [محمد علي باشا] بجيوش من العساكر المنصورة فطهَّرَ الأرضَ منه ومن أتباعه، ثمَّ جهَّزَ ابنه إبراهيم باشا فوصل بجيوشه إلى الدرعية سنة ثلاث وثلاثين بعد المئتين والألف فأفنى وأباد من بقي منهم»[٢].**

أمَّا الحكومة البريطانية؛ فإنَّها فرحت بسقوط الدولة السعودية الأولى؛ لأنَّها كانت تخشى أن تتمكَّنَ تلك الدولة من تكوين وحدة سياسيَّة بين الإمارات العربية على الخليج العربي، مِمَّا يُشكِّل خطراً على الوجود البريطاني في الخليج[٣]، ودليل ذلك ما أورده أحد المؤرّخين البريطانيين حين قال: بأنَّ **«الأعمال في الخليج ـ التي كان وراءها الوهابيون ـ تقضّ مضاجع الحكومة البريطانية تماماً كتهديدات**

---

(١) عثمان بن سند «مطالع السعود» (٤٤٩ ـ ٤٥٠).

(٢) أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام» (٣١٣ ـ ٣١٤).

(٣) انظر: سلطان الأصقه «إمارة الكويت في ظلِّ التنافس الدولي» (٦٤ ـ ٦٥).

نابليون»[١].

وكانت بريطانيا قد انتهزت فرصة سقوط الدرعية لتضرب بشدَّة على إمارات القواسم بعد أن فقدوا مساندة الدولة السعودية الأولى[٢].

كما أرسلت الحكومة البريطانية في الهند مندوبها **الكابتن سادليير** ليقدّم التهاني لإبراهيم باشا بمناسبة إسقاطه دولة آل سعود الأولى وعاصمتهم الدرعية[٣]، وفي ذلك يقول الكابتن سادليير: **«أخبرتُ صاحب السعادة [إبراهيم باشا] عن مدى رغبتي في زيارته عندما كان في الدرعية، وذلك لكي أنقل تهاني وتحيَّات ذي الشرف الرفيع الحاكم [الإنجليزي] العام في الهند [البريطانية] بمناسبة انتصار الباشا»**[٤]. ويؤكّد سادليير **أنَّ انتصارات إبراهيم باشا كان لها الأثر الفعَّال في نفوس رجال السلطة البريطانية في الهند**[٥].

أمَّا في جهات فارس؛ فإنَّ شاه الفرس عبَّاس ميرزا أرسل رسالة ملؤها الابتهاج والسرور إلى محمد علي باشا يهنِّئه ويشكره على إسقاط الدرعية وقضائه على دولة آل سعود الأولى، وفي الرسالة نفسها يخبر الشاه بأنه بعث هدية لمحمد علي؛ وهي سيف حديد توارثه ملوك الفرس وتعاقبوا على تَقَلُّدِهِ، وأنَّه خصَّ محمد علي باشا

---

(١) جون كيلي «بريطانيا والخليج» (١٥٦/١).

(٢) انظر: جمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي» (٤٠٣/١).

(٣) دار الوثائق القومية بالقاهرة، محفظة (٦) بحر برا، رقم وحدة الحفظ (١١٥)، بتاريخ ٢١ ذي القعدة ١٢٣٤هـ/ ١٣ سبتمبر ١٨١٩م (٤٤٦/٢).

(٤) جورج سادليير «رحلة إلى الجزيرة العربية» (١٠٢).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٠٢).

بهذا السيف وبخاتمٍ من الفيروزج[١].

أمَّا روسيا؛ فإنَّ وثيقةً تركية تخبرنا أنَّ سفير روسيا في تركيا قد أرسل رسالةً إلى السلطان العثماني يهنِّئه فيها على تغلّبه على السعوديين وإسقاط دولتهم[٢].

* رثاء الدرعية:

حين حلَّت الكارثة بالدرعية سنة ١٢٣٣ ـ ١٢٣٤هـ/١٨١٨ ـ ١٨١٩م، ورأى شهود العيان ما وقع بأهلها من القتل والتنكيل والتعذيب والحرق والتدمير، هيَّجت تلك الحوادث قرائح الشعراء الذي عاينوا الحدث بأعينهم ووقفوا عليه بجثمانهم، فرثوها وبكوها بأبياتٍ تُبكي وتهيّج من يقرأها.

ومن أولئك ـ الذين هيَّجوا الناس بقصائدهم التي ترثي الدرعية ـ الشيخ علي بن حسين ابن الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ت: ١٢٧٥هـ/١٨٥٩م تقريباً)، الذي كان شاهد عيان على ما وقع آنذاك، فقال في قصيدته المسمَّاة **«وقعة الدرعية»** ما يلي:

خليلي عوجا عن طريق العواذل بمهجور ليلى فابكيا في المنازل
لعل انحدار الدمع يُعقب راحة من الوجد أو يشفي عليل البلابل
أرى عبرة غبراء تتبع أختها على إثر أخرى تستهل بوابل
تهيِّج ذكرى الأمور التي جرَت تُشيب النواصي واللحاء الأماثل

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (٤) معيَّة تركي، رقم وحدة الحفظ (١٤). (بدون تاريخ) (٢/٣٩٥ ـ ٣٩٧).

(٢) الأرشيف العثماني في دارة الملك عبدالعزيز: HAT. 0345/19665, N310, R6/104

وتُسقط من بطن الحوامل حملها ... وتذهل أخبار النساء المطافل
فبينا نسوس الناس والأمر أمرُنا ... وتنفذ أحكام لنا في القبائل
وتخفق رايات الجهاد شهيرة ... بشرقٍ وغرب يمنة وشمائل
تبدَّلت النعماء بؤساً فأصبحت ... طغاة عتاة ملجأ للأراذل
وبثَّ عتاة الناس في الأرض بغيهم ... وريِعَت قلوب المؤمنين العواقل
وأقبل قادات الضلالة والردى ... وساداتها في عسكر وجحافل
فخانت لهم نجد لما قد أتوا بها ... ولم يبق للإسلام غير قلائل
فقد خلعوا والله ربقة دينهم ... وجار أمير مع وزير وعامل
فلم يفلحوا والحمدلله وحده ... ولم ينجوا بل شرارهم في تطاول.

ثمَّ وصف ما حلَّ بأهل الدرعية خاصة وأهل نجد عامَّة على أيدي العساكر العثمانيين؛ من الكوارث والمصائب والتشتُّت والغربة عن الوطن، فقال:

وشُتِّتَ حبل الدين وانبَتَّ أصله ... فأضحى مُضاعاً كالبدور الأوافل
وفرَّ عن الأوطان من كان قاطناً ... تراهم فرادى نحو قُطر وساحل
وفُرق شمل كان للدين شاملاً ... وزالت ولاة المسلمين العوادل
وصار شرار الخلق في الأرض بعدهم ... ودارت رحًى للأرذلين الأسافل

ثمَّ وصف ما ارتكبته عساكر العثمانيين في الدرعية من سلب الأموال ونهب المتاع، وتدمير القصور والدور والبيوت، وهدم المساجد والمدارس وهدّ الأسوار، وسرقة الكتب بأنواعها، وحرقهم للمزروعات وقطعهم للنخيل، وتسبّبهم بمجاعة ضربت نجد كلّها، ثمَّ أَسرهم لأهلِ الفضل، وحبسهم لذوي المكانة؛ حيث قال عن ذلك:

فأصبحت الأموال فيهم نهائباً ... وأصبحت الأيتام خُمصَ الحواصل[١]
فكم دمَّروا من مسكن كان آنسا ... وكم خرَّبوا مِن مَرْبع ومعاقل
وكم خرَّبوا من مسجد ومدارس ... يُقام بها ذكر الضحى والأصائل[٢]
وكم قطَّعوا مِن باسقات نواعم ... وكم أغفلوا مِن معقل ومنازل
وكم اهلكوا حرثاً ونسلاً بِبَغْيِهِم ... وكم أَيْتَموا طفلاً بغدرٍ وباطلِ
وكم حرَّقوا مِن كُتْبِ علمٍ وحكمة ... وفقهٍ وتوحيد وشرح مسائل
وكم هدَّموا سوراً وقصراً مشيَّداً ... وحِصناً حصيناً أوهنوا بالمعاول
وكم أسروا مِن حاكمٍ بعد عالم ... وكم زلزلوا مِن محصنات غوافل
وكم قتلوا من عصبة الحق فتية ... هداة تقاة في الدجى كالمشاعل

ثمَّ وصف بكاء النساء وحزنهن على ما حلّ بآبائهن وإخوانهن وأزواجهن وأولادهن من القتل والتعذيب والأسر والحبس والتهجير، فقال في ذلك:

فكم عاتق غراءَ تبكي بشجوها ... وراملة ثكلى وحُبلى وحائل
ينحن بأكباد حرار وعبرة ... ويكظمن غيظاً في الجوانب داخل
يُرَجِّعنَ ألحان التغاني بحرقة ... ويُظهرن صبراً عن شمَّات وعاذل

ثم يَصِفُ لك حادثة ترحيل أهل الدرعية، وتهجيرهم عن بلدهم، وتفريقهم ـ على أيدي العثمانيين ـ وتشتيت شملهم في كلّ بلد، حيث قال في ذلك:

---

(١) خمص الحواصل: أي جائعة البطون.

(٢) الأصائل: جمع أصيل؛ وهو آخر النهار.

فلو شاهدت عيناك يوم رحالهم   عن السكن الأعلى الرفيع المنازل[1]
وفُرِّقَت الأحباب في كلّ قرية   وسار بهم حزب العدو المزائل
يسوقونهم سوقاً عنيفاً بشدَّةٍ   ويزجرون أشياخاً بتلك القوافل
لذابت جفون العين واحترق الحشا   وسالت خدود بالدموع السوائل

ثم يختم قصيدته ببيان أسباب حرب العثمانيين على الدولة السعودية الأولى، فيقول في ذلك:

فقد سامنا الأعداء سوماً مبرحاً   بقتلٍ وأسرٍ مثقل في الحبائل
على غير جُرمٍ غير توحيد ربّنا   وهدم قباب المشركين الأباطل
وأمر بمعروف وإنكار منكر   وفعل صلاة في الجماعة حافل
وأخذ زكاة المال فرضاً مؤكَّداً   يُرَدّ لذي فقرٍ وغُرم وعامل
وصوم وحجّ والجهاد لأنَّه   أمانٌ وعِزٌّ مِن مذلَّة خاذل
إذا ما ملكنا قرية أو قبيلة   أقمنا بها شرع الهداة الكوامل
فنهدم اوثاناً ونبني مساجداً   ونكسر مزماراً وطبلاً لجاهل
ونقطع سرَّاقاً ونَرجم محصناً   ونجلد سكراناً بنصِّ الرسائل
نكفّ ظلوم البدو والحَضر إن غدا   يُغير على حقِّ الضعاف الأرامل
ونتبع آثار النبي وصحبه   مع السلف البرِّ الثقات الكوامل[2].

---

(١) يشير إلى حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ إلى (القاهرة)، كما يشير إلى من ترك الدرعية خشيةَ تنكيل الباشا.

(٢) الشيخ علي بن حسين ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب «منظومة وقعة الدرعية» نشرها سليمان الخراشي في «مجلة الدرعية» العددان ٤٩ ـ ٥٠، بتاريخ ربيع أول ـ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/ مارس ـ يونيو ٢٠١٠م (ص: ٣٦٩ ـ ٣٧٢).

أمَّا القصيدة الشهيرة الذائعة الصيت، المعروفة بـ«**القصيدة الطنَّانة**»، التي نظمها العالم الشيخ حمد بن ناصر بن معمَّر (ت: ١٢٤٤هـ/١٨٢٨م)، والتي بكى فيها أهل الدرعية الذين شرَّدهم العثمانيون وشتَّتوا شملهم وهدموا بلدهم، وكان قد نظمها ابن معمَّر وهو في البحرين بعد أن ترك الدرعية بعد الكارثة، يقول فيها:

إليك إلٰه العرش أشكو تضرّعاً وأدعوك في الضرَّاء ربي لتسمعا

إلى أن قال وهو يصف التقتيل والتنكيل والهدم التدمير والترحيل الذي حلَّ بالدرعية وأهلها على يد العثمانيين:

وكم قتلوا من عصبةِ الحقِّ فِتيَةً هُداة وضاة ساجدين وركَّعا
وكم دمَّروا مِن مربع كان آهلاً فقد تركوا الدار الأنيسة بلقعا
فأصبحت الأموال فيهم نهائباً وأصبحت الأيتام غرثى وجوَّعا
وفرّ عن الأوطان مَن كان قاطناً وفرق إلف كان مجتمعاً معا[1].

وقال الشاعر الشيخ أحمد بن علي بن مشرَّف يرثي الدرعية ويصف ما جرى عليها من تسلّط وبغي عساكر الترك في حملة إبراهيم باشا، حيث قال ابن مشرَّف:

أَلَيْلٌ غشا الدنيا أم الأفق مُسْودُّ أم الفتنة الظلماء قد أقبلت تعدو؟
أم السرج النجدية الزهر اطفئت فأظلمت الآفاق إذ أظلمت نجد؟
نعم كورت شمس الهدى وبدا الردى وضعضع ركن للهدى فهو مُنهَدُّ
لدن بالسمحاء خطب فأوحشت مساكنها وازور عيش بها رغد

(١) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٦٧ ـ ٦٨).

تفرَّق أهلوها وسل على الهدى سيوف على هامات أنصاره تشدو
وفل حسام الدين، بل ثل عرشه لدن غاب من آفاقه الطالع السعد
بأيدي غواة مفسدين لقد عثوا وجاسوا خلال الدار وانتثر العقد
فآهٍ لها من وقعةٍ طار ذكرها وكادت تميد الراسيات وتنهد
وفاضت دموع كالعقيق لِما جرى وكادت لعظم الخطب تنصدع الكبد[1].



(١) أحمد بن مشرَّف «ديوان ابن مشرَّف» (٥١ ـ ٥٢).

ملحق الفصل العاشر

ـ حادثة ترحيل آل سعود وآل الشيخ وبعض الأعيان من الدرعية إلى القاهرة:

بعد أن انقضت تسعة أشهر منذ قدوم الباشا إلى الدرعية وحصارها وصمودها في وجه عساكره، ثمَّ استسلامها أخيراً[١]، أمرَ الباشا بعد تلك المدَّة على أمراء آل سعود وأسرة آل الشيخ أن يرحَلُوا من الدرعية إلى مصر[٢]؛ فَعَلَ ذلك بعد أن جاءته من أبيه محمد علي باشا الأوامر القاضية بتدمير الدرعية **وَحَمَلَ آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية لِيُسَفَّروا إلى القاهرة**[٣]، **وأن يجتاز هو وعساكره البحر الأحمر عائداً إلى الديار المصرية**[٤].

---

(١) تنبيه: مدَّة الحصار ستَّة أشهر، وبقاء إبراهيم باشا وقت الحرب والحصار ومكوثه في (الدرعية) بعد الصلح قريب من تسعة أشهر أو تزيد قليلاً.

(٢) انظر: فيلكس مانجان في «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٧). وإدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥). ومحمد الفاخري «تاريخ الفاخري» (١٨٤). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣٠ ـ ٤٣١).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «المقامات» ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٥/١٢).

(٤) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

وإليكَ تفاصيل تلك الحادثة وتعداد أسماء من رُحِّلُوا فيها بحسب ما أسعفتنا به المصادر، وتفاصيل أحوال المُرَحَّلين حال مكْثهم بمصر، وذِكْر من رَجَع منهم ومن بقي.

ـ المرحلُّون من أسرة آل سعود:

ارتحل من الدرعية آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان البلدة بحريمهم وذراريهم وسار معهم كثير من العساكر إلى مصر، ولم يَبْقَ منهم إلَّا من تَخفَّى أو خرج مثل تركي بن عبدالله وأخوه زيد وغيرهم، كما ذكرناه سابقاً.

ويخبرنا الجبرتي بصفةِ وصول أسرة آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية إلى القاهرة، فيقول: «**وفي يوم الخميس** [١٨ رجب ١٢٣٤هـ/١٣ مايو ١٨١٩م] **حضر بواقي الوهَّابية بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمئة نسمة**»[١].

ومثله ذكر مانجان أنَّ عددهم ٤٠٠ نفر برجالهم ونسائهم وأطفالهم[٢]. وهو ذات العدد الذي ذكره إدوارد جوان[٣]. على أنَّ مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي يذكر: أنَّ المرحلّين من الدرعية كان عددهم ألف نسمة[٤]. بينما ذكر المؤرّخ محمود فهمي

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) انظر: فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٨٨).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٤) انظر: خليل الرجبي «تاريخ الوزير» (ص١٦٣).

المهندس: أنَّ عددهم خمسمئة نفر[١].

والمرجَّح لديَّ ما استقرَّ عليه الجبرتي وفيلكس مانجان وإدوارد جوان؛ لأنَّهم شهود عيان. وعليه؛ فيكون عدد المرحلّين من آل سعود وآل الشيخ وبعض الأعيان قرابة ٤٠٠ نفر.

وهؤلاء كانوا قد حُمِلوا من الدرعية إلى ينبع تحت حراسة عساكر الترك وكانت السفن تنتظرهم هناك لتنقلهم إلى السويس[٢].

كما أخبرنا الجبرتي أنَّ بعض أفراد آخرين من أسرة آل سعود جاؤوا بعد أولئك إلى القاهرة بتاريخ **٢٧** محرَّم **١٢٣٥**هـ/**١٥** نوفمبر **١٨١٩**م[٣].

ثمَّ جاءت دفعة جديدة من أسرة آل سعود رُحِّلوا من نجد إلى القاهرة، وهم الذين قال عنهم الجبرتي: بأنَّه في تاريخ **٣** شوَّال **١٢٣٦**هـ/**٤** يوليو **١٨٢١**م «**حضرت هجَّانة من أراضي نجد وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهابيَّة مقيَّدون على الجمال، وهم عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عمّه**»[٤].

وهؤلاء كانوا قد أُخِذوا من الدرعية مع قسم من المدفعية التركية إلى المدينة النبوية ليرسلوا منها إلى القاهرة[٥].

---

(١) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (ص١٤٧).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٣).

(٤) المصدر السابق (٤/٤٩٥).

(٥) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

وذكر الجبرتي أنَّ العساكر قد أوثقت مشاري بن سعود وأرسلوه إلى مصر فمات في الطريق، أما عمر بن عبدالعزيز ومن معه فأرسلوا لمصر، «وهم الآن مقيمون بمصر بخطَّة الحنفي[1] قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت»[2].

أمَّا المؤرِّخ أمين الحلواني فإنَّه أدرك أسرة آل سعود وآل الشيخ في القاهرة والتقى ببعض أفرادهم هناك، وقد أرَّخَ الحلواني حادثة ترحيل الأسرتين من الدرعية إلى القاهرة، فقال: «**أمَّا باقي أمراء الوهابيين المُعبَّر عنهم بآل المقرن وباقي بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب المعبَّر عنهم ببيت الشيخ فإنَّه[3] نقلهم جميعاً إلى مصر وأسكنهم هناك، ورتَّب لهم معاشات تكفيهم**»[4].

ويقول الحلواني أيضاً: إنَّ محمد علي باشا «**أسْكَنَ عائلة المقرن ـ أيْ بيت المُلك ـ وعائلة عبدالوهاب الديار المصرية، ولم رجعوا إلى بلادهم إلَّا بعد أن عاد الحجاز إلى الدولة العليَّة [العثمانية]**»[5].

ومن خلال مصادر التاريخ المعاصرة للحدث واللاحقة له من كتب النسب والتواريخ؛ نعلمُ **أنَّ إبراهيم باشا رحَّلَ إلى مصر من**

---

(١) خطَّة الحنفي: سيأتي بعد قليل تبيان مكانها.

(٢) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٣) يقصد محمد علي باشا.

(٤) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥ ـ ١٧٦). ونقلها عنه نصّاً: عبدالرزاق البيطار «حلية البشر» (٨٣٩/٢).

(٥) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٤٩ ـ ١٥٠).

كان في الدرعية من آل سعود؛ أبناء الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وهم: سعد بن سعود وأخوه عبدالرحمٰن وعمر وحسن؛ **نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم، وماتوا هناك**. هكذا أورد أسماءهم المؤرِّخ النسَّابة الشيخ حمد الجاسر[(١)].

وزاد مؤرِّخ محمد علي باشا إدوارد جوان اثنين؛ هما: الأمير فهد والأمير خالد أبناء الإمام سعود[(٢)].

يقول المؤرّخ عثمان بن بشر: إنَّ «**سعد وفهد ومشاري وعبدالرحمٰن وعمر وحسن نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم**»[(٣)].

وفي موضعٍ آخر قال ابن بشر: «**وخالد بن سعود** [ابن عبدالعزيز بن محمدِ بن سعود] **كان قد انتقل من الدرعية مع آل سعود حين نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر**»[(٤)].

ويخبرنا المؤرّخ الشيخ إبراهيم بن عيسى: أنَّه «كان لسعود بن عبدالعزيز عِدَّة أولاد غير [الإمام] عبدالله المذكور؛ وهم: فيصل [الذي] قُتِلَ في حرب الدرعية، وناصر وتركي؛ مات قبل أبيهما، وإبراهيم؛ مات في حرب الدرعية، **وسعد وفهد ومشاري وعبدالرحمٰن وعمر وحسن؛ نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر**

(١) انظر: حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٣٤٣/١).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨/٢).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٤٠/٢).

بأولادهم ونسائهم»[١].

أما بالنسبة لمشاري بن سعود فإنَّه كان محمولاً مع إخوته أبناء الإمام سعود وقت ترحيلهم إلى مصر، فهرب من عساكر الترك في الحمراء[٢] واختفى[٣] في ناحية الوشم[٤].

على أنَّ الجبرتي أخبرنا أنَّ مشاري بن سعود كانت العساكر قد أوثقته قبيل شوَّال ١٢٣٦هـ/يوليو ١٨٢١م وأرسلته إلى مصر فمات في الطريق[٥].

بينما تذكر الوثائق البريطانية التي جمعها لوريمر بأنَّ قوات الباشا في الدرعية أسرت أربعة من أشقَّاء الإمام عبدالله، وأرسلوا إلى القاهرة حيث سُجِنُوا فيها، وسبَّب فرار أخ خامس ـ لعلَّه مشاري ـ قلقاً عظيماً للقوات الغازية[٦].

---

(١) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩). ومثله: عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٢). وقبلهم قال مثل ذلك المؤرِّخ العراقي إبراهيم فصيح صبغة الله الحيدري في كتابه «عنوان المجد» (٢١٨).

(٢) الحمراء: قرية في (وادي الصفراء)، كانت تقوم على عينٍ فاندثرت العين، وباندثارها اندثرت القرية وتخرَّبت مبانيها، وتبعد عن (المدينة النبوية) ١٢١ كلم جنوباً، وعن (الصفراء) ٧ كلم شمالاً شرقياً. انظر: عاتق البلادي «معجم معالم الحجاز» (٥٠١).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٤٥) وتعليق الشيخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على هذا الخبر.

(٥) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥).

(٦) انظر: ج. ج. لوريمر «دليل الخليج/ القسم التاريخي» (٣/١٦٢٥).

ومن المُرَحَّلين أيضاً مشاري بن عبدالرحمٰن بن مشاري بن سعود؛ فإنَّه ظلَّ في القاهرة ولم يعد للرياض إلَّا في سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م، وقد عاد في نفس الوقت الذي عاد فيه الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ، وكان ذلك لمَّا أصبح خال مشاري ـ الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود ـ هو سيِّد نجد وقتها[١].

أمَّا عبدالله بن محمد بن سعود ـ والد الإمام تركي ـ فقد كان له أولادٌ كبار مات أكثرهم في مصر بعد ترحيلهم لها[٢]. وفي ذلك يقول المؤرِّخ إبراهيم بن عيسى: «**وكان لعبدالله بن محمد بن سعود أولاد غير تركي، نقلهم إبراهيم باشا [إلى القاهرة] وماتوا هناك**»[٣].

ويقول المؤرِّخ عبدالله بن محمد البسَّام (ت: ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م): «**وباقي أولاد عبدالله بن محمد بن سعود نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر وماتوا هناك**»[٤].

وإلى جانب أولئك الأمراء؛ **فإنَّ إبراهيم باشا رحَّلَ فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، حيث حمله من الدرعية إلى مصر، ولم يرجع من مصر إلى نجد إلَّا بعد أن تملَّك أبوه الحكم وأعاد الدولة السعودية الثانية**، فرجع فيصل بن تركي من مصر قاصداً

(١) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١/٢).

(٢) حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٣٤٤/١).

(٣) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩).

(٤) عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٢).

نجد[١]، وكانت المدَّة التي قضاها الأمير فيصل بن تركي في القاهرة نحو تسع سنوات[٢].

ـ المرحلُّون من أسرة آل الشيخ:

أمَّا أسرة آل الشيخ فقد رُحِّل جُلُّهم إلى مصر، ولم يبقَ منهم إلَّا من خَرَجَ وانسلَّ من الدرعية، كما ذكرناه سابقاً، **كما بقي منهم بعض النساء والصغار الذين تخلَّفوا ولم يُحملوا إلى القاهرة.**

وكان من جملة أسرة آل الشيخ المرحَّلين إلى مصر: **الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب**، وبقي في القاهرة حتَّى توفِّي هناك سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م[٣].

كما جلى معه إلى مصر حرمه وابنه **الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب**[٤]، **وقد ظلَّ الشيخ عبدالرحمٰن في مصر حتَّى صار شيخاً لرواق الحنابلة في الأزهر**[٥]، **ولم يزل هناك**

---

(١) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٦). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرة في نجد» (١/٣٤٤).

(٢) حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي»، المجلد الثاني (الورقة: ١٢٦).

(٣) عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرها» (٦٨). وعبدالرحمٰن بن قاسم في ترجمته للشيخ عبدالله، ضمن «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨٠).

(٤) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرها» (٧٥). وانظر تعليقه على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١).

(٥) رواق الحنابلة في الأزهر: أنشأه عثمان كتخدا مُنْشِئ زاوية العميان، جدَّده الأمير راتب سنة ١٢١٧هـ/ ١٨٠٢م. وهذا الرواق خارج الأزهر، يُتَوَصَّل إليه=

حتى اخترمته المَنِيَّة سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م(١).

يقول المؤرِّخ عثمان بن بشر: «أما عبدالرحمٰن فإنَّه جَلَى مع ... إلى مصر في أوّل طلبه العلم وهو قريب البلوغ قبل أن يتمّ له الطلب. وذُكِرَ لنا أنَّه اليوم في رواق الحنابلة يُدرِّس في الجامع الأزهر وأنَّ ... معرفة ودراية عظيمة»(٢).

وقال عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام: أنَّ عُمر الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله أربعة عشر عاماً لمَّا رُحِّلَ من الدرعية ... القاهرة(٣).

وعلى هذين القولين علَّق عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ قائلاً «ليس صحيحاً ما ذكره ابن بشر والبسام بأنَّ الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب لمَّا رُحِّلَ إلى مصر كان صغيراً أو قريب البلوغ أو في سنِّ الرابعة عشر عاماً، بل إنَّ الشيخ عبدالرحمٰن ابن الشيخ عبدالله قبل ذهابه إلى مصر كان متزوِّجاً وَوُلِدَ له بنت اسمها منيرة تخلَّفَت مع والدتها في نجد، ولمَّا كبُرَت تزوَّجت الشيخ عبدالملك ابن الشيخ حسين ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الذي تولَّى القضاء في بلد حوطة بني تميم في عهد الإمام فيصل بن تركي... ولمَّا رَجعَ أخوها الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن

= من (باب الجوهرية). انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٥٠ وسعاد ماهر «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون» (٢١٩/١).

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٢) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨٩/١).

(٣) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (٣/ ١١٤).

محمد بن عبدالوهاب إلى نجد سنة ١٢٧٢هـ [١٨٥٦م]، زار أخته منيرة في حوطة بني تميم، وذلك بعد مجيئه من مصر بسنة أوسنتين في حدود سنة ١٢٧٤هـ [١٨٥٨م]»(١).

الحاصل؛ قال المؤرّخ أمين الحلواني: «**واعلم أنَّه بقي لعائلة الوهابيين بقيةٌ في مصر ظلُّوا فيها برغبتهم لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر؛ مثل الشيخ عبدالرحمٰن** [بن عبدالله] **بن محمد بن عبدالوهاب النجدي، وقد أدركته في الجامع الأزهر يُدَرِّس مذهب الحنابلة، وكان شيخ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣هـ [١٨٥٧م]، وتوفِّيَ في عام ١٢٧٤هـ [١٨٥٨م]، وكان عالماً فقيهاً ذا سمْتٍ حسنٍ يظهر عليه التقوى والصلاح**»(٢).

وقد أنجب الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله المذكور بمصر ثلاثة أولاد منهم: أحمد الأجزجي(٣) وعبدالله كاتب قلعة الوجه(٤)، ومحمَّد(٥).

---

(١) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٧٧ ـ ١٧٩) باختصار.

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩ ـ ١٨٠) باختصار. ونقل ذلك عن الحلواني: عبدالرزاق البيطار في كتابه «حلية البشر» (٨٣٩/٢) نقله البيطار بشكلٍ يكاد يكون حرفياً؛ بشكلٍ يجعلك تحسب انَّ البيطار هو الذي أدرك آل الشيخ في القاهرة، والواقع أنَّ من أدركهم وشاهدهم والتقى بهم في (القاهرة) هو الحلواني وليس البيطار.

(٣) الأجزجي: لفظٌ تركي، وتعني: صيدلاني. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (١١).

(٤) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩ ـ ١٨٠).

(٥) انظر: تعليقات عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» (١٨٩/١) لابن بشر.

ومحمد هذا هو الذي رجع إلى نجد سنة ١٢٧٢هـ/١٨٥٦م[١].

قال المؤرّخ النسَّابة عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: أمّا «أحمد الأجزجي؛ فأنجب ابناً اسمه عبدالرحمٰن حقّي وابنةً اسمها لطيفة حقّي.

وعبدالرحمٰن حقّي هذا أنجب ابناً اسمه محمَّد وابنةً اسمها حنيفة[٢]. وعبدالرحمٰن حقّي هذا كان رئيس إسعاف العيَّاط[٣] بمصر زمن الملك فؤاد وزمن الملك فاروق وزمن الجمهورية، وتوفّيَ بمصر في ٢٢ محرَّم ١٣٧٨هـ [٨ أغسطس ١٩٥٨م]، ورَثَتْهُ جريدة الأهرام المصرية، وخلّف ابناً اسمه أحمد حقّي (مهندس).

أمَّا عبدالله بن عبدالرحمٰن[٤] أخو أحمد الأجزجي؛ أي الصيدلي، فخلّف أبناءً بمصر لا أعرف أسماءهم.

أمَّا محمَّد بن عبدالرحمٰن أخو أحمد الأجزجي وأخو عبدالله، فخرج مِنْ مِصر إلى الرياض سنة ١٢٨٨هـ [١٨٧١م][٥] واستقرَّ بها

---

(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٧٩).

(٢) سيأتي بعد قليل خبر عن وصولها الرياض وقت الملك عبدالعزيز.

(٣) العيَّاط: قرية سُمِّيَت على الشيخ أحمد العيَّاط أحد أوليائهم في مصر. وهي اليوم في (مركز العيَّاط) التابع لـ(محافظة الجيزة). وإسعاف العيَّاط هو الكائن في مستشفى العيَّاط اليوم شرقي السكَّة الحديد. انظر: محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية» القسم الثاني/ الجزء الثالث (ص: ٥٠).

(٤) الذي كان كاتباً في (قلعة الوجه).

(٥) مرَّ معنا قبل قليل أنَّه محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله آل الشيخ رجع إلى نجد سنة ١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م، بناءً على روايات المسنّين من آل الشيخ التي جمعها عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ في كتابه «التراجم المختارة» (١٧٧ ـ ١٧٩).

حتَّى توفِّي، وأنجب بها ابنين هما: عبدالحميد وعبداللطيف؛ فأمَّا عبدالحميد فتوفِّيَ عام ١٣٣٧هـ [١٩١٩م] وخلَّف ابناً اسمه صالح موجود اليوم[١]، وأمَّا عبداللطيف بن محمَّد فهو الذي قبل عشر سنوات كان قاضياً للأفلاج، واليوم[٢] يصلِّي بالناس الفروض الخمسة في جامع الرياض نيابةً عن الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز»[٣].

المقصود؛ أنَّه رُحِّلَ من الدرعية غير أفراد آل الشيخ الذين ذكرناهم قبل قليل، حيث سُفِّرَ ـ كذلك ـ من الدرعية **الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ[٤]، وصحبته حرمه وابنه الشيخ عبداللطيف[٥]، وكان عمر الشيخ عبداللطيف ذاك اليوم لا يزيد على ثمان سنوات[٦].**

وقد مكث الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في مصر ثمان سنوات ثمَّ رجع إلى (الرياض) بعدما تولَّى الإمام تركي بن عبدالله الحكم بسنة واحدة، أي في سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م[٧]، أمَّا ابنه الشيخ

---

(١) موجودٌ في وقت تعليق الشيخ المؤرّخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف على كتاب «عنوان المجد».

(٢) في الوقت الذي علَّق فيه آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد».

(٣) من تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٨٩).

(٤) انظر: تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١).

(٥) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٦) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١). وعبدالرحمٰن بن قاسم «الدرر السنيَّة» (١٦/٤١٤).

(٧) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/٤٣١) وانظر كلام ابن بشر في الصفحة (٢/٤١ ـ ٤٢).

عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن فقد مكث في مصر واحداً وثلاثين عاماً[١]، وما رجع إلى الرياض إلَّا في سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م وقت ولاية الإمام فيصل بن تركي[٢].

كما كان من المرحَّلين إلى مصر: الشيخ علي ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومعه حرمه وابنته سارة. وقد توفِّيَ الشيخ علي في القاهرة[٣] سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م[٤].

وقد كان للشيخ علي ولدٌ اسمه محمَّد، كان صغيراً وقتها ولم يُرحَّل مع أبيه لمصر، فبقي في نجد، وتوفِّيَ في الرياض فيما بعد، وذريَّته يُعرفون اليوم على انفرادهم باسم آل محمد نسبةً إليه[٥].

ومِمَّن رُحِّلُ أيضاً إلى القاهرة؛ الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومعه حرمه وابنته طَرْفَة[٦].

والشيخ إبراهيم ليس له عَقِب إلَّا بناتٍ تخلَّفْنَ بعده في نجد ولم يُنقَلْنَ معه إلى مصر، إلَّا ابنته طَرْفَة فقد ذهبت معه إلى مصر[٧]. وكانت وفاة الشيخ إبراهيم في القاهرة.

---

(١) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٣١/١) وتعليق آل الشيخ على هامش تلك الصفحة، وانظر كلام ابن بشر في الصفحة (٤٢/٢ ـ ٤٣).

(٣) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٨١).

(٥) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١٩٠/١) (٤٣١).

(٦) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٧) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٨٠).

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم (ت: ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)[١]: «**الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب لم أقف له على وفاة، ولكنَّه موجود سنة ١٢٥١هـ [١٨٣٥م] في مصر وتوفِّيَ فيها**»[٢].

ـ ترحيل الشيخ ابن رشيد الحنبلي:

ومِمَّن رَحَّلَهم إبراهيم باشا من الدرعية إلى القاهرة: العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي؛ الذي كان قاضياً لآل سعود في المدينة قبيل وصول الأتراك، وقد بيَّنا في هذا الفصل أنَّه خرج من المدينة النبوية قاصداً الدرعية بعد احتلال الترك للحجاز، **وقد سَفَّرَهُ إبراهيم باشا بعد أن نَدِمَ على تعذيبه لهذا العالم الجليل لَمَّا نكَّل به واقتلع أسنانه في الدرعية بعد التسليم.**

وكان الباشا قد غضب على الشيخ ابن رشيد بسبب حادثتين سبق أنْ فصَّلناها، أمَّا الحادثة الأولى: فهي يوم أرسل الإمام عبدالله مستشاره الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي ومعه صالح بن رشيد الحربي، فعرضا على إبراهيم باشا السلام والهدنة شرط أن يرفع الحصار عن الرسّ، ولكنَّ إبراهيم لم يسمع إلى ما يحمله هذان المبعوثان، وكان

---

(١) هو الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم من آل عاصم من آل عاصم إحدى بطون آل روق من قبيلة قحطان. وُلِدَ في (البير) من قرى (المِحمَل) سنة ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م، وتوفِّيَ معتزلاً في مزرعة له تسمَّى (المغيدر) قرب (أبي الكباش) في (وادي العمَّارية) شمال غرب (الدرعية). انظر ترجمته عند: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (٣/٢٠٢ ـ ٢٠٨).

(٢) انظر: تراجم عبدالرحمٰن بن قاسم التي أفردها في آخر كتابه «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨١ ـ ٣٨٢).

جوابه أَنْ أَنْذِر أمير الرسّ بوجوب تسليم البلدة، فقال له الشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي: «**هذا ضربٌ من الخيلاء، فأنت تهاجم الرس منذ زمنٍ طويل، ولن تستطيع الاستيلاء عليها**». فاغتاظ إبراهيم بن... من كلام ابن رشيد الحنبلي[1].

والحادثة الثانية: يوم رفض الأخير عرض الباشا عليه بأن يبقى قاضياً في المدينة النبوية تحت ظلّ حكم محمد علي باشا، فرفض الشيخ وقال لإبراهيم: **لا أفارق أهل الدرعية إلَّا إذا غُلِبوا**. فأغضب الباشا ذلك، ولمَّا أخذ إبراهيم باشا الدرعية أمسكه وقلع أسنانه وعذبه بأنواع العذاب. ثمَّ إنَّ الباشا إبراهيم نَدِمَ على تعذيبه ورحَّله للقاهرة[2].

وفيما حصل من النكبات للشيخ أحمد بن حسن بن رشيد في الدرعية على يد إبراهيم باشا ردٌّ وإبطالٌ لافْتراء ابن حُمَيْد في «سُحُبِه الوابِلَة»: حين اتَّهَمَ الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد بأنَّه ما كان في الدرعية إلَّا مصانعةً لآل سعود ومداهنةً لآل الشيخ[3].

المقصود؛ يقال: إنَّ محمد علي باشا هو الذي أرسل لابنه إبراهيم باشا يطلب منه إرسال الشيخ ابن رشيد ليأتيه في القاهرة؛

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٤٤ ـ ١٤٥). وانظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٥٣ ـ ٥٥٤).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٩). أيضاً: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤٢١/١). ومحمد بن حميد «السحب الوابلة» (١ ٢٩ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٦٢/٣) (١٦٨٧). وعبدالله البسام «علماء نجد» (٤٦٠/١) (٤٦٢).

(٣) انظر: صالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٨٧/٣). وتعليقات عبدالرحمن العثيمين على كتاب «السحب الوابلة» لابن حميد (١٢٧/١).

لكونِهِ منسوباً من مجاوري المدينة، ولأنَّ محمد علي باشا ـ كما يقول ابن حميد ـ **لم يستحسن تعذيب ابنه إبراهيم للشيخ ابن رشيد.**

ثمَّ إنَّ الشيخ وصل القاهرة، فأكرمه محمد علي باشا[١] ورتَّبَ له رواتب جزيلة وأعطاه جَوَارِيَ حِساناً، وجمع بينه وبين علماء مصر فتناظروا، فَثَبَتَ ثباتاً عظيماً وَعَزَّ في عَيْنِ الباشا، فجعله شيخ المذهب الحنبلي ـ وهو عبارةٌ عن المفتي ـ، وأمَرَهُ أن يُقرِئَ بعضَ أولادِهِ ومماليكِهِ في القلعةِ وفي بيتِهِ، ويُدَرِّسَ في الأزهر ويَحضرَ عِندَهُ جَمْعٌ، وانفرد بمذهب الإمام أحمد فصار يُرحَلُ إليه للأخذ عنه، ويُرسَلُ إليه من الأماكن للفتاوى ولطلب الإجازة، **وبقي في القاهرة حتَّى توفِّي فيها وقد ناهز الثمانين أو جاوزها سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م**[٢].

* مسكن آل سعود وآل الشيخ في القاهرة:

عملتُ مدَّةً في البحث على تحديد المكان الذي أقام به آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية في القاهرة يوم رُحِّلوا إليها، وقد توصلْتُ بعد بحثٍ طويل من التعرف ـ بشكلٍ دقيق إن شاء الله ـ على الأحياء والحارات والدور والقصور التي أقاموا بها هناك، ثم

---

(١) مسألة إكرام محمد علي باشا للمسفَّرين من (الدرعية) إلى (القاهرة) لا جدال فيها، وهي موثَّقة، وسيأتي مزيد بيانٍ لها. يبقى التساؤل: لماذا أكرمهم محمد علي باشا؟، وهل كان ذلك لأهدافٍ يرمي إليها؟، أو أنَّه حقّاً عرف قدرهم وأنزلهم منزلتهم بعد ذهاب ملكهم!. وسيأتي البحث في هذا.

(٢) محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٢٩ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤٦٠ ـ ٤٦١). وانظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٩).

حاولت أن أوضّح مواقعها في القاهرة بعد التغييرات التي حدثت في البنيان والعمران في يومنا هذا.

فأقول: أخبرنا الجبرتي بموضعهم على التعميم، ذاكراً: أنَّ أسرتي آل سعود وآل الشيخ الذين وصلوا القاهرة يوم الخميس ١٨ رجب ١٢٣٤هـ/١٣ مايو ١٨١٩م وكان عددهم أربعمئة نفر من الرجال والحريم والأولاد[١]، وقد أنزلهم الباشا ـ محمَّد علي ـ في القِشْلَةِ[٢] التي بالأُزبكيَّة.

أمَّا ابن عبدالله بن سعود فإنَّ الباشا محمد علي أنزله هو وخواصّه بدارٍ عند جامع مسكة[٣].

ثمَّ إنَّ الباشا أسكن بتاريخ ٢٧ محرَّم ١٢٣٥هـ/١٥ نوفمبر ١٨١٩م جماعةً منهم بدارٍ في حارة عابدين[٤].

ومِنْ بعد أولئك وصلَ عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عَمّه في تاريخ ٣ شوَّال ١٢٣٦هـ/٤ يوليو ١٨٢١م، فأسكنهم محمّد علي باشا

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) القِشْلَةُ: والجمع قِشْلات. لفظٌ محرَّف عن أصله التركي «قِشْلاق»، وتعني: شتوي، ومشتى، أي: المأوى الشتوي ومسكن الشتاء. انظر: محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات» (٤٢٠) (٤٤٦ ـ ٤٤٧).

(٣) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠). سيأتي التعريف بـ(جامع مِسْكَةْ).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٣). سيأتي التعريف بـ(حارة عابدين).

بخِطَّة الحنفي، قريباً من جماعتهم الذين سبقوهم(١).

هكذا حدَّد الجبرتي سكنى آل سعود وآل الشيخ في القاهرة بشكلٍ مجمل، وإليك نتيجة البحث عن تحديد أماكن سكناهم على وجه التعيين، وتحديد موضعه في القاهرة اليوم، **وقبل تعيين أماكن سكناهم أبدأ البحث ببيان حالة عيشهم ومكانتهم في مجتمع القاهرة وقتها، وحالة الأحياء والحارات والقصور والدُّور التي خصَّصها محمد علي باشا لآل سعود وآل الشيخ ومن معهم:**

* آل سعود وآل الشيخ ضمن الطبقة الراقية في مجتمع القاهرة:

تخبرنا المصادر **أنَّ محمّد علي باشا هو الذي أمر ابنه إبراهيم باشا أن يرسل مَنْ في الدرعية مِن آل سعود وآل الشيخ ليأتوه في القاهرة**، وأنَّ محمد علي باشا طلب ذلك بعد أن جاءه خبر مقتل الإمام عبدالله في إسطنبول؛ بعد أن رفض السلطان العثماني شفاعة محمد علي باشا ألَّا يقتل عبدالله بن سعود؛ خصوصاً أنَّ الإمام عبدالله سلَّمَ نفسه ولم يُقْبَض عليه مأسوراً، وبالرغم من ذلك أُهِينَ الإمام عبدالله ومن معه في إسطنبول وطافوا بهم في شوارعها ثمَّ قتلوهم(٢).

ويذكر الجبرتي: أنَّ محمد علي باشا أكرم آل سعود وآل الشيخ

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٩٥). سيأتي التعريف بـ(خِطَّة الحنفي).

(٢) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣) (٥٨٦). وعبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

لَمَّا نزلوا عنده في القاهرة[١].

وربما كانت هذه سياسةً من محمد علي باشا، أو ربما كـ ـ ـ غضب بعد أن رفض السلطان شفاعته في الإمام عبدالله، وربما يكـ ـ لغير ذلك من الأسباب، خصوصاً وأنَّ سياسة محمد علي ـ بعد تـ الحوادث ـ قد تبدَّلت لتصير ضدّ الدولة العثمانية الكارهة لدولة ـ سعود ودعوتهم السلفية، حيث حارب محمد علي باشا الدولة العثمـ وأخذ منها بلاد الشام ثمَّ استقلَّ بحكم مصر له ولذريته[٢].

ولربَّما ـ والله أعلم بالنيَّات وما استكن في الصدور ـ **أنَّ محمـ علي باشا قد نَدِمَ وكان صادقاً في إكرامهم**، وسيأتي لاحقاً توثيق مـ المؤرّخ الفرنسي إدوارد جوان والمؤرّخ المصري عبدالحميد البطريق مـ يُلمِح إلى أنَّ هذا هو السبب في طلب محمد علي باشا ترحيل مـ رُحِّل إليه من أهل الدرعية.

أقول: نعلم أنَّ محمد علي باشا أكرمهم حين أخبرنا الجبرتي بأنَّ الباشا قد أنزلهم في أرقى أحياء القاهرة؛ على بركة الأزبكية. وأنَّه أنزلهم في القشلة هناك، ومعلومٌ أنَّ القشلة كانت قصوراً ودور يقضي بها الأمراء والباشوات فصل الشتاء هناك للتَّريُّض والاستجمام[٣]، ومعلومٌ أيضاً أن سائر الدور والقصور على بركة

---

(١) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) حول حرب محمد علي في بلاد الشام واستقلاله عن العثمانيين، انظر: عبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (٢١٧ ـ ٢٢١) (٢٥١ ـ ٢٥٤) (٢٩٠ ـ ٣٢٠). وعبدالرحمٰن زكي «التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير» (٢٤٣ ـ ٢٩٠)

(٣) انظر: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٤٩ ـ ١٥٠) (١٥٤) (١٦٢ ـ ١٦٩).

الأزبكية هي منازل أرقى طبقات مجتمع القاهرة من الأمراء والباشوات وعلماء الدولة وسادات البكرية[١].

كما أنَّ آل سعود وآل الشيخ الذين نزلوا عند جامع مِسْكَة وحارة عابدين وخِطَّة الحنفي؛ هم كذلك أسكنهم الباشا في الدور والقصور التي في تلك النواحي من القاهرة.

وتلك المواضع كانت ذاك الوقت من أرقى أحياء القاهرة؛ حيث ينزلها الأمراء والباشوات ويسكنها أبناء وأحفاد محمد علي باشا[٢].

ومعلومٌ أنَّ مصر كانت في ذاك الوقت من أغنى ولايات الدولة العثمانية، وفيها من الخيرات والأرزاق ما لا يقع تحت الحصر[٣]، وعلى أرضها من القصور والدور التي شَادَها أمراء وأغنياء الدول التي تعاقبت حكوماتها على سُدَّة الحكم في مصر، وهذه القصور كثيرة وعديدة، وهي فخمة فخامةً بيِّنَة، بحيث أنَّ القاهرة على وجه التخصيص قد تميَّزت بها إلى يوم الناس هذا[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٦٢ ـ ١٦٩).

(٢) لا زالت الأحياء التي تقع فيها تلك القصور والدور الفخمة من أرقى أحياء القاهرة منذ ذاك الوقت وحتى يوم الناس هذا، وما زالت تحتفظ بأبَّهتها رغم ما استجدَّ حديثاً من الضواحي الراقية خارج محيط القاهرة.

(٣) انظر ما يرصده الجبرتي في تاريخه لمنتجات محاصيل الزراعة الواسعة في مصر التي لا تكاد تدخل في الحصر. والجبرتي يرصد ذلك بدقَّةٍ لأنَّه يعمل بوظيفة «ملتزم» لدى الدولة، فهو خبير ثقة فيما يقول.

(٤) انظر على سبيل المثال: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» الجزء الأول.

وعليه؛ فإنَّ مسألة إسكان أولئك الأمراء والأعيان من أهل الدرعية في تلك القصور والدور الفخمة الكثيرة والعديدة لم تكن مشكلة بالنسبة لسيِّد مصر وحاكمها المطلق.

ثمَّ إنَّ محمد علي باشا لمَّا نقل آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، رأى أن يجتمع بهم في يومٍ مخصوصٍ كلَّ أسبوع؛ «فكان يجتمع بآل الشيخ، وهم: الشيخ عبدالله والشيخ علي والشيخ إبراهيم أبناء الإمام المجدِّد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأيضاً الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب؛ وذلك للبحث معهم بما كانوا عليه من الاعتقاد في العبادة وعقيدة التوحيد وما يدينون به ويدعون الناس إليه وما ينهونهم عنه، وقد صار بينهم جلسات ونقاش واستطراد وتقصّي في البحث، وقد بيَّنوا له ما هم عليه من عقيدة التوحيد، كما دحضوا أمامه الافتراءات التي كان الأعداء يرمونهم بها.

فلمَّا عرف محمد علي باشا ما هم عليه وما يدينون به، صدَّقَهُم وآمن بأقوالهم وما يعتقدونه، وقال: إنَّكم مظلومون، وإنَّ عقيدتكم تلك هي الدين الحقّ.

عند ذلك قدَّموا له النصيحة، وطلبوا منه إزالة القباب التي على القبور، وطمس جميع الشرك الموجود في مصر. فردَّ عليهم أنَّه لا يمكن ذلك ولا يستطيع إزالته»[١].

المقصود؛ **يخبرنا المؤرّخون أنَّ آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية الذين طلب الباشا مجيئهم إلى القاهرة، قد أكرم الباشا نُزلَهم وأجزل لهم الأعطيات والمخصَّصات.** وفي ذلك يخبرنا المؤرخ

---

(١) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧١ ـ ٧٣) باختصار.

الفرنسي إدوارد جوان ـ الذي كان من خواص محمد علي باشا ـ قائلاً: **إنَّ محمّد علي باشا وابنه إبراهيم باشا لم يكونا راضِيَيْن عن قتل السلطان للإمام عبدالله، خصوصاً وأنَّ عبدالله قد سلَّم نفسه ولم يُؤسَر، وعدّوا ذلك غدراً وخيانة من السلطان**[١].

ويذكر المؤرّخ المصري عبدالحميد البطريق ـ وهو يعتمد على الفرنسي جوان ـ قائلاً: «**إنِّي أعتقد تماماً؛ أنَّه لم يَكُن يدور بخلد إبراهيم أو بخلد أبيه أن يلقى عبدالله ذلك المصير الأليم الذي لاقاه في الأستانة، فقد قال إبراهيم مخلصاً: ولو أنِّي لا أملك التحكّم في إرادة الوالي والسلطان، إلَّا أنِّي أعتقد أنَّهما من كرم النفس وسِعَةَ الصدر بحيث يأبيان التنكيل بعدوٍّ سلَّم نفسه**»[٢].

ولمَّا كان الإمام عبدالله في القاهرة عند محمد علي باشا، أخبره الباشا أنَّه التمس له العفو عند السلطان، لكن لم يشفع لعبدالله عند السلطان التماس محمد علي باشا ولا رجاؤه بالعفو عنه[٣]. **وألمح البطريق أنَّ طلب الباشا محمد علي في إحضار أسرة آل سعود وآل الشيخ من الدرعية إلى القاهرة ربما يكون لندمه وغضبه على رفض السلطان التماس الباشا في العفو عن عبدالله**[٤].

مِن بعد ذلك يخبرنا الجبرتي ـ وهو شاهد عيان ـ أَنَّ محمد

---

(١) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٨٣) (٥٨٦).

(٢) عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

(٣) Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2. P,734.

(٤) انظر: عبدالحميد البطريق «إبراهيم باشا في بلاد العرب» (٢٠).

علي باشا أسكن آل سعود وآل الشيخ ومن معهم في دورهم وقصورهم «**من غير حرجٍ عليهم**»[١].

أقول: أُسْكِنوا دُورهم وقُصورهم في القاهرة بـ«**غير حرجٍ عليهم**»، هذا على الرغم من أنَّ **الشيخ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ** ذكر في كتابه «**مشاهير علماء نجد وغيرهم**»: أنَّ الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ظلَّ في القاهرة «**محدود الإقامة**» حتَّى توفَّاه الله سنة **١٢٤٢هـ/١٨٢٦م**[٢]. بمعنى أنَّه كان قيد الإقامة الجبرية.

وهذا ما لا دليل عليه من التاريخ؛ فهذا الجبرتي، وهو شاهد عيان رآهم بعينه في القاهرة ودرَّس بعضهم[٣]؛ قد أكَّدَ أمراً مغايراً لِمَا قاله آل الشيخ؛ إذ قال الجبرتي ـ نَصَّاً ـ عن آل سعود وآل الشيخ وأعيان الدرعية الذين جاؤوا القاهرة: أنَّهم «**طَفِقوا يذهبون ويجيئون ويتردّدون على المشايخ وغيرهم**»[٤].

وقال أيضاً ـ نَصَّاً ـ: أنَّ آل سعود وآل الشيخ وأعيان الدرعية الذين في القاهرة كانوا «**يمشون في الأسواق ويشترون البضائع والاحتياجات**»[٥].

---

(١) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٢) عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» (٦٨).

(٣) انظر: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٦٦).

(٤) عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٥) المصدر السابق (٤/٤٧٠).

ونبَّه الجبرتي: أنَّهم يقومون بكلِّ ذلك ـ في القاهرة ـ **«من غير حرجٍ عليهم»**(١).

كما أنَّ الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب كان حرّاً في التدريس ونشر العلم من محلِّ إقامته في القاهرة؛ فإنَّه درَّس أبناءه وبعض أفراد من آل سعود هناك وبعض أفراد من المصريين، ولم يَذكر أحدٌ أنَّه مُنِعَ من ذلك(٢).

كما كان الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب يلتقي بمحمد علي باشا كلّ أسبوع ـ كما ذكرنا قبل قليل ـ **فكان محلّ تقدير ومكانة عند الباشا**(٣).

أقول: **إنَّ هذا الحال لا يتيسَّر لأسير أو محبوس أو من هو في الترسيم وقيد الإقامة الجبرية، إنَّما يتيسَّر لِمَن لا حَرَجَ عليه في الحِلِّ والتنقّل كيفما شاء.**

من هنا؛ ترى أنَّ الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ كان أثناء إقامته في مصر قد وجد حُرِيَّةً في التزوّد بالعلم واقتناء الكتب التي كانت موفورة وفرةً بَيِّنَةٍ في القاهرة، وكان أيضاً حُرّاً في مجالسة العلماء والأخذ عن علماء الأزهر(٤)، والمؤرّخ الجبرتي هو أحد أشياخ عبدالرحمٰن بن حسن في القاهرة، وجالسه الأخير وأخذ عنه

١) المصدر نفسه.

٢) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧٠ ـ ٧١).

٣) انظر: المصدر السابق (٧١ ـ ٧٣).

٤) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١٨٤/١ ـ ١٨٥).

مسلسلات طويلة وروايات عديدة[١]، مِمَّا يدلّك على طول الملازمة ومُدَّة الوقت في طلب العلم على يدي الجبرتي.

وكانت الناس تأتي إلى منزل الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في القاهرة، فيناقشهم ويناقشونه في بعض الأمور، لذلك لم يواجه الشيخ عبدالرحمٰن صعوبةً ولا منعاً في خروجه من مصر حين أراد ـ برغبته هو ـ الخروج منها إلى الرياض سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م[٢]، لمَّا تولَّى الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود زمام الأمور وتسنَّم الحكم على نجد، فراسل تركي من راسله في مصر ليعودوا إليه ويعاونوه. وكان من جملة من راسلهم الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن[٣]، **فرجع ـ برغبته ـ إلى الرياض بعد أن قضى في مصر ثمان سنوات، ولم يمنعه أحد من الرجوع، بل رجع والسلطة في مصر تعلم ذلك.**

وقد كان عبدالرحمٰن بن حسن وهو في مصر كثير الحنين لبلاده التي فارقها؛ ومن الدلائل على حنينه وشوقه لنجد؛ قصيدته التي

---

(١) التقى الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ بالمؤرّخ الشيخ عبدالرحمٰن الجبرتي، وحدَّثه الأخير بالحديث المسلسل بالأوليَّة بشروطه، وأجازه الجبرتي بجميع مرويات مرتضى الحسيني. والشيخ عبدالرحمٰن يَعُدّ الجبرتي من جملة أشياخه في مصر. انظر: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (٦٦).

(٢) انظر: مقدِّمَة عبدالله بن محمد المطوَّع في تحقيقِهِ لكتاب «المقامات لعبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ (ص١٩). وحول موضوع كثرة تنقُّل الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن في مصر لطلب العلم، انظر على سبيل المثال: إبراهيم بن عيسى «عقد الدرر» (ص٦٦ ـ ٦٩)؛ مِمَّا يدلّك على أنَّه لا قيود على تنقله هو ومن كان معه في (القاهرة) ولم يكن منهم من كان قيد الإقامة الجبرية.

(٣) تعليقات عبدالرحمٰن العثيمين على «السحب الوابلة» (٢/٤٨٦).

تجاوب فيها مع قصيدة ابن معمَّر الشهيرة بـ (الطنانة)[١]، وهذا من طبائع البشر الاعتيادية، **فبسبب مراسلة تركي وبسبب الحنين؛ رجع عبدالرحمٰن بن حسن.**

كما أنَّ خروج عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ من مصر وقدومه إلى الرياض؛ كان في الوقت الذي لا يزال فيه الشيخ عبدالله ابن الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب على قيد الحياة، ولم يخرج الأخير مِن مصر، بل توفِّيَ فيها في السنة التالية لخروج عبدالرحمٰن بن حسن.

وعبارة الجبرتي التي أوردناها قبل قليل واضحة في يُسر حالهم في مصر، وواضحة أيضاً في بيان أنَّ لا حَرَجَ عليهم في أفعالهم وتصرفاتهم هناك.

كما أنَّ الشيخ عبداللطيف ابن الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ لم يرجع من مصر إلَّا في سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٧م[٢]، فقد مكث في مصر واحداً وثلاثين عاماً[٣]، وما رجع إلى الرياض إلَّا في السنة المذكورة وقت ولاية الإمام فيصل بن تركي[٤]، وقد ظلَّ في مصر حرّاً في تنقلاته لطلب العلم، فتفقَّه وصارت له حلقة تدريس هناك[٥]، **ولم**

---

(١) انظر: عبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/١٨٢ ـ ١٨٤).

(٢) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٤٣).

(٣) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١/٤٣١) (٢/٤٢ ـ ٤٣) بتعليقات آل الشيخ على تلك المواضع.

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٤٢ ـ ٤٣).

يذكر أحد أنَّه كان تحت الترسيم أو قيد الإقامة الجبرية في القاهرة، ولمَّا رجع لم يُمنع من الرجوع مِن قِبَل سلطة باشا مصر وقتها.

نعم هناك رواية للشيخ عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام يرويها عن وجيه جُدَّة محمَّد نصيف، خلاصتها: أنَّ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن خرج من مصر إلى مكَّة وخشي أن يعرف شريف مكَّة بأمره فيعيده إلى مصر، ولكنَّ الشريف طمأنه وأرسله إلى نجد[١].

ولكنَّ سياقات تاريخ الترحيل وإغداق محمد علي باشا على المرحَّلين وكريم العيش الذي يعيشونه في القصور والدور والفدادين والأطيان والأبعديات التي يمتلكونها في مصر مقارنةً بشظف العيش في نجد وعدم استقرار الأمن فيه وقتها. أضف إلى ذلك أنَّ الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن قضى جُلَّ عمره في مصر، دارساً ومدّرساً حرّاً في تنقلاته بين أشياخه وتلاميذه[٢].

أقول: **كل ذلك يُعارِض ما نقله البسَّام عن نصيف، خاصة إذا علمنا أنَّ أيَّ أحدٍ من العائدين إلى نجد من مصر لم يذكر أنَّه مُنِعَ من العودة أو أقيم جبراً هناك،** وعودة عبدالرحمٰن بن حسن برغبته تؤكِّد ذلك، ومثله عودة فيصل بن تركي برغبته، ومثلهما مشاري ابن أخت الإمام تركي الذي رجع برغبته أيضاً، ومثلهم عودة محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب سنة

---

(١) انظر: عبدالله البسام «علماء نجد» (١/ ٢٠٤).

(٢) انظر على سبيل المثال: أبو الفيض عبدالستار الهندي «فيض الملك الوهاب المتعالي» (١٠٣٨)، الذي عدَّدَ أسماء أشياخ وطلاب الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن في مصر. وفيها دلالة على الحريَّة في تنقُّل الشيخ عبداللطيف في مصر، وفيها أيضاً دلالة على كريم العيش الذي كان يعيشه الشيخ في القاهرة.

١٢٧٢هـ/١٨٥٦م[١].

أمَّا الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب الذي رُحِّلَ إلى القاهرة مع أبيه وأسرته، **فلم يذكر أحد من أهل التواريخ أنَّه كان محدود الإقامة أو وُضِعَ تحت الإقامة الجبرية، بل بقي بالقاهرة برغبته ولم يرغب في العودة إلى نجد**؛ لأنَّه ـ كما يقول المؤرّخ الحلواني الذي لَقِيَهُ بالقاهرة ـ كان من جملة آل الشيخ وآل سعود ومن معهم من الذين بقوا في القاهرة، التي «**ظلُّوا فيها برغبتهم؛ لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر**»[٢].

ومن الدلائل على أنَّ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وغيره من المرحَّلين كانوا أحراراً ويُعاملون معاملة الطبقة العالية في مجتمع القاهرة؛ أنَّ السلطة في مصر قد سنَّمت الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله منصب شيخ رواق الحنابلة بالأزهر، وهو ما شهد به المؤرِّخ عثمان بن بشر حين قال: «أما عبدالرحمٰن فإنَّه جَلَى مع أبيه إلى مصر في أوّل طلبه العلم وهو قريب البلوغ قبل أن يتمّ له الطلب، وذُكِرَ لنا أنَّه اليوم في رواق الحنابلة يُدرِّس في الجامع الأزهر وأنَّ له معرفة ودراية عظيمة»[٣].

وشهد به من بعده المؤرّخ أمين الحلواني حين قال: «**أمَّا الشيخ عبدالرحمٰن المذكور، فقد أدركته في الجامع الأزهر يُدَرِّس مذهب**

(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٧٩).

(٢) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩).

(٣) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٨٩/١).

الحنابلة، وكان شيخ رواق الحنابلة سنة ١٢٧٣هـ [١٨٥٧م]»[١]، «وتخرَّجَ على يديه كثير من الطلبة والعلماء الأفاضل»[٢].

وكان الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب هو واجهة آل سعود وآل الشيخ الموجودين في القاهرة لدى خديوي مصر؛ الخديوي عباس، حيث كان الشيخ يرعى شؤونهم ويدير أمورهم هناك[٣]؛ فقد أُوكِلَ إلى الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله أن يكون رئيساً ومسؤولاً لآل سعود وآل الشيخ مِن قِبَلِ الخديوي، فكان للشيخ عبدالرحمٰن الإشراف التام عليهم والمسؤول عنهم والمتفقِّد لأحوالهم، وكانوا ـ آل سعود وآل الشيخ ـ يرجعون إليه في مطالبهم وما يحتاجون إليه من أمورهم[٤].

كما كان للشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله الجاه والمنزلة الرفيعة والممتازة عند الخديوي عباس حاكم مصر، فكان الخديوي يُقَدِّره ويحترمه ولا يَرُدّ له ـ في الغالب ـ مطلباً[٥].

وهناك دلائل أخرى تدلُّنا على أنَّ إقامتهم بمصر لم تكن جبرية وأنَّهم ظلّوا مكرَّمين معزَّزين هناك؛ مثلما حصل من محمد علي باشا حين أرسل لابنه إبراهيم باشا أن يجعل الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي من جملة المرحَّلين من الدرعية للقاهرة، فلمَّا وصل

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٨٠).

(٢) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧٦).

(٣) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٧٦ ـ ٧٧).

(٤) انظر: المصدر السابق (١٩٤).

(٥) انظر: المصدر نفسه (١٩٤).

الشيخ إلى القاهرة؛ أكرمه محمد علي باشا ورتَّبَ له رواتب جزيلة وأعطاه جَوَارِيَ حِساناً، وجعله شيخ المذهب الحنبلي ـ وهو عبارةٌ عن المفتي ـ، وأمَرَهُ أن يُقرِئَ بعضَ أولادِهِ ومماليكِهِ في القلعةِ وفي بيتِهِ، وكان ابن رشيد يُدَرِّسَ في الأزهر ويَحضرَ عِندَهُ جَمْعٌ، وانفرد بمذهب الإمام أحمد فصار يُرحَلُ إليه للأخذ عنه، ويُرسَلُ إليه من الأماكن للفتاوى ولطلب الإجازة، ثمَّ توفِّي في القاهرة وقد ناهز الثمانين أو جاوزها سنة ١٢٥٧هـ/١٨٤١م[١]، ولم يرجع أو يُمنَع من الرجوع لو رغب في ذلك.

فجملة المرحَّلين كانوا محل التكريم من قِبَلِ سيِّد مصر محمد علي باشا وأبنائه من بعده[٢]، وهذا ما أرَّخ له الجبرتي حين وصول المرحَّلين من الدرعية، لمَّا ذكر: إنَّ باشا مصر أسكنهم في الأماكن الراقية في (القشلة) مشتى الباشوات والأمراء بالأزبكية، وفي الدور والقصور التي في عابدين وعند جامع مِسْكَةْ وعند خِطَّة الحنفي، ثمَّ ذكر أنَّهم تمتَّعوا بحرية الحركة في مصر كيفما شاؤوا من غير حرجٍ عليهم[٣].

---

(١) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (٢٩/١ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (١٦٨٧/٣). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (٤٦٠/١ ـ ٤٦١). ويوسف شلحد «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر»، «مجلة العرب»، ج٣ ـ ٤، السنة ١٩، رمضان ـ شوال ١٤٠٤هـ/ يونيو ـ يوليو ١٩٨٤م (ص: ١٥٢ ـ ١٥٣).

(٢) ينبغي أنْ يُتنَبَّه إلى أنَّ محمد علي باشا وقتها قد استقلَّ عن الدولة العثمانية وسلطانها الكاره لدولة آل سعود ودعوتهم السلفية، بل صار محمد علي باشا محارباً للدولة العثمانية وسلطانها في بلاد الشام، وأصبح مستقلاً بمصر وحكمها الذي صار له ولأولاد وذريَّته من بعده.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٧٠/٤).

أقول: وهذا لا يتيسَّر إلَّا لمن وُسِّعَ عليه في المسكن والمعاش، وهذا ما صنعه الباشا مع آل سعود وآل الشيخ في القاهرة وسعيه في تسيير المرتَّبات الشهرية لهم وإنزالهم منزل الطبقة الراقية هناك.

وهذا الأمر أكَّده أحد خواص محمد علي باشا؛ وهو المؤرِّخ الفرنسي فيلكس مانجان حين قال: إنَّ آل سعود وآل الشيخ لمَّا وصلوا القاهرة «**شملهم محمد علي بكرمه، فقرَّر لهم جميعاً مخصَّصات شهرية**»[1]. وقال مثل ذلك المؤرِّخ المصري محمود فهمي المهندس[2].

أقول: ما صنع محمد علي باشا مع آل سعود ذلك الصنيع بتكريمهم في المعاش والمسكن؛ إلَّا لأنَّ محمد علي باشا يعلم أنَّ آل سعود هم ذريَّة بيت الحكم الذي امتدّ نفوذه على سائر جزيرة العرب إلا ما ندر، والآن ـ وقت ترحيلهم للقاهرة ـ قد ذهبت دولتهم ـ الدولة السعودية الأولى ـ، **لذلك أنزل سلالة الأئمة والأمراء وأعيان تلك الديار المنزلة التي يستحقّونها.**

وإليك شيءٌ من التعليل لتكريم محمد علي باشا لأولئك المرحَّلين:

أكَّدَ المؤرخ الفرنسي إدوارد جوان ـ وهو من خواص محمد علي باشا ـ السبب في تكريم محمد علي باشا للمرحلين من الدرعية، حيث قال جوان: «**وقد وصلوا**[3] **إلى القاهرة، فقرَّر لهم محمد علي باشا المرتَّبات لمعاشهم بسخاءٍ عظيم؛ ليهوِّنَ عليهم ذلَّ السقوط من**

(١) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩٣).

(٢) انظر: محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر» (ص١٤٧).

(٣) يقصد المرحَّلين من أسرة آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية.

عرش الإمارة ويُعَوِّضَ عليهم بعض ما خسروه من أموالهم»[١].

وأكَّد ذات الأمر مؤرّخ محمد علي باشا فيلكس مانجان الفرنسي حين قال: «**قرَّر**[٢] **لهم مخصَّصات شهرية تهوّن عليهم الأسى الذي تسبِّبه لهم ذكريات الماضي العظيم»**[٣].

كما أكَّدَ مسألة التكريم أيضاً مؤرّخ محمد علي باشا الشيخ خليل الرجبي، الذي قال: «**فساروا**[٤] **حتَّى دخلوا مصر أجمعين، منضَمِّين ومجتمعين، وكان يوماً مشهوداً وعيداً من أكبر الأعياد معدوداً، فَفَرَّقهم فرقتين وأسكنوهم بمصر في جهتين**[٥]**، ورتَّبَ لهم صاحب السعادة ما يكفيهم من رَفدِهِ وإحسانه أَمْناً يوافيهم»**[٦].

وهو ما شهد به المؤرّخ أمين الحلواني ـ الذي كان قد أدرك أسرة آل سعود وآل الشيخ في القاهرة والتقى ببعض أفرادهم هناك ـ حيث قال: «**أمَّا باقي أمراء الوهابيين المُعبَّر عنهم بآل المقرن وباقي بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب المعبَّر عنهم ببيت الشيخ فإنَّه**[٧] **نقلهم جميعاً إلى مصر وأسكنهم هناك، ورتَّب لهم معاشات**

---

(١) إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥ ـ ٥٩٦).

(٢) يقصد محمد علي باشا.

(٣) فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى» (١٩٣).

(٤) يقصد المرحَّلين من أسرة آل سعود وآل الشيخ وبعض أعيان الدرعية.

(٥) جهة (بركة الأوزبكية) وجهة (جامع السِّتّ مِسْكَةْ) مع (خطَّة الحنفي) و(حارة عابدين) وكلّها أماكن النخبة العالية والطبقة الراقية في (القاهرة).

(٦) خليل الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا» (١٦٣ ـ ١٦٤).

(٧) يقصد محمد علي باشا.

تكفيهم»[١].

أقول: **وقد ظلَّ منهم بقية في مصر برغبتهم ولم يرجعوا لأنَّ أملاكهم كثرت هناك وارتبطوا بوظائفهم في تلك الديار، وأولادهم نشؤوا في ذاك القُطر**، وهذا الأمر شهد به وَوَكَّدَهُ المؤرّخ الحلواني - الذي أدركهم في القاهرة - حيث قال: «**واعلم أنَّه بقي لعائلة الوهابيين بقيةٌ في مصر، ظلُّوا فيها برغبتهم؛ لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر؛ مثل الشيخ عبدالرحمٰن** [بن عبدالله] **بن محمد بن عبدالوهاب النجدي، وله أولاد منهم: أحمد الأجزجي وعبدالله كاتب قلعة الوجه»**[٢].

* تحديد القُصور التي سكنها آل سعود وآل الشيخ على بركة الأُزْبَكِيَّة:

بحثتُ طويلاً عن موضع سكنى آل سعود وآل الشيخ بين القصور الكثيرة للأمراء والباشوات التي كانت تطلُّ على بركة الأُزْبَكِيَّة ذاك الوقت، وشُغِفت بتعيينها؛ فقمتُ بزيارة بركة الأزبكية - التي هي اليوم حديقة الأزبكية بعد أن رُدِمَت البركة -، كما قمتُ بجرد كتب خطط القاهرة، فما تيسَّر لي وقتها تعيين موضع سكنى آل سعود وآل الشيخ على بركة الأُزْبَكِيَّة.

ولكن - وبفضل الله - وقع بين يَدَيَّ كتاب قديم للمستشرق الإنجليزي إدوارد وليم لين (ت: ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م)، وعنوان الكتاب **«القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر»** ، **فوجدتُ وأنا أراجع ما**

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٥ - ١٧٦).

(٢) المصدر السابق (١٧٩ - ١٨٠).

قاله عن بركة الأُزبكيَّة، فإذا به يُحدّد ـ ما عاينه بجثمانه وشاهده بعينيه ـ سكنى آل سعود وآل الشيخ على بركة الأُزبكيَّة.

ولم أجد ـ بحسب علمي ـ من حدّد موضعهم وسكناهم على بركة الأُزبكيَّة بمثل ذلك التحديد سوى هذا المستشرق الإنجليزي.

يخبرنا إدوارد وليم لين ـ حين تحدّث عن بركة الأزبكية وما يحيط بها من قصور ودور وجوامع ـ قائلاً: «**وبداخل باب الألفي مباشرةً إلى اليمين، مبنى كبير غير مرتفع، كان يشغله الوهابيين**»[(١)]. انتهى كلام إدوارد لين.

أقول: **من خلال التحديد الدقيق الذي أتى به إدوارد وليم لين؛ نجد أنَّ آل سعود وآل الشيخ سكنوا في القصور المطلَّة مباشرةً على بركة الأزبكية.**

وبتحديد إدوارد وليم لين عرفتُ أنَّ قصورهم كانت على اليمين مباشرةً من باب **الألفي**؛ وهو الذي كان جنوب **قصر الألفي**[(٢)]

---

(١) إدوارد وليم لين «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر» (١٣٨).

(٢) قصر الألفي: كان من القصور العظيمة على الشاطئ الغربي لـ(بركة الأُزْبَكِيَّة) وكان له شأنٌ كبير في القرن ١٢هـ/ ١٨م، ولمَّا أتَت الحملة الفرنسية، سكنه نابليون بونابرت وجعله مقرّاً لقيادته، ثمَّ اتخذه القائد الفرنسي كليبر سكناً له، ولمَّا قُتِلَ كليبر سكنه من بعده القائد الفرنسي مينو. فلمَّا أحضر الإنجليز العثمانية وأعادوا حكمهم لمصر وتولّى فيما بعد محمد علي باشا على مصر رغب في سكنى هذا المكان، فأعاد بنائه على هيئة أخرى وأتقنه ثمّ سكنه مدَّة حتَّى أهداه لابنته زينب هانم، فعُرِفَت بسراي زينب هانم وكذا بسراي الأزبكية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (١٥/٣). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٦٢/٣ ـ ٣٦٣). وعبدالحميد نافع بِكْ «ذيل خطط =

مباشرةً، وهو القصر الذي كان يُسمَّى باسم سراي الأزبكية، وهي السراي التي كانت واقعةً بشكلٍ مباشرٍ على بركة الأزبكية.

وقد هُدِمَ القصر، وموضعه اليوم في (**حديقة الأزبكية**)، يطلّ مباشرةً على (**شارع محمد بِك الألفي**)؛ وهذا الشارع أوَّله من الغرب يتقاطع مع (**شارع الجمهورية**)[(١)] ونهايته من الشرق يتقاطع مع (**شارع عماد الدين**)[(٢)].

ومسكن آل سعود وآل الشيخ تحديداً: في الشمال الغربي من البركة، وهو على التمام يمين المكان المسمَّى **باب الألفي**[(٣)]؛ **وهو يفتح على شارع بولاق**؛ الذي سمِّيَ فيما بعد باسم: **شارع فؤاد الأول**[(٤)]، **ثمَّ هو اليوم يسمَّى: شارع ٢٦ يوليو.**

= المقريزي» (١٢٠). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: ٨٦).

(١) شارع الجمهورية: كان اسمه في السابق (الشارع السلطاني)، ثم صار (شارع إبراهيم باشا)، حتَّى استقرَّ على اسم (شارع الجمهورية). انظر: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» (١/١٥٠). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل» (٣٠٦).

(٢) وفي الضفَّة الجنوبية لـ(شارع الألفي) تجد (مسرح عبدالمنعم مدبولي) و(سينما ديانا)، وعلى ناصيته الشمالية الغربية (محطة بنزين التعاون) وهي مشهورة اليوم. انظر على سبيل المثال: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٨).

(٣) عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (١٢٠).

(٤) شارع فؤاد هو الذي قال فيه الشاعر عبدالله اللويحان ـ شاعر الملك سعود ـ أبياته المشهورة، التي منها:

إنْ مِتْ؛ في شارع فؤاد ادفنوني   ياطا على قبري بناتٍ مزايين.

وسراي **الأزبكية** ـ الذي كان اسمها **سراي الألفي** ثمَّ **سراي زينب هانم** ـ هي في الشمال من الشارع المذكور[١]. وهي تحديداً عند تقاطع **شارع ٢٦ يوليو** مع **شارع الجمهورية** الملاصق لحديقة الأزبكيَّة، فالحديقة في الضفَّة الشرقية لشارع الجمهورية[٢].

وبالتحديد الذي عيَّنه المستشرق إدوارد وليم لين نعلم أنَّ ما كان يمين باب الألفي هي ثلاثة قصور، وجامع واحد قريب، وجامعٌ ثانٍ على مسافة قصيرة منه.

وعليه؛ **فإن القصور التي على يمين باب الألفي والتي سكنها آل سعود وآل الشيخ هي: قصر محمد آغا، وقصر عثمان آغا الخازندار، وقصر مراد بيك، وبجانبهم جامع الحلبي**[٣]، **وبمسافة قريبة ليست بالبعيدة: جامع الكيخيا**[٤]. **وكلّها تقع على الضفَّة الغربية لبركة الأزبكية.**

---

(١) انظر: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» (١/١٤٥ ـ ١٤٦). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل» (١٠٧).

(٢) انظر: تعليقات أحمد سالم على كتاب «مصر منتصف القرن التاسع عشر» لإدوارد وليم لين (ص٤٢).

(٣) ذهبت تلك القصور وهذا الجامع وما عادت موجودة اليوم، ومكانها اليوم تقاطع (شارع الجمهورية) مع (شارع ٢٦ يوليو).

(٤) (جامع الكيخيا) لا يزال موجوداً حتى الآن، وهو كائنٌ اليوم عند تقاطع (شارع الجمهورية) و(شارع قصر النيل) من وِسْطِ البَلد. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٩٢). وحسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية» (١/٣٢٣ ـ ٣٢٦). ومحمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٦) (٣٨٠).

وكانت مدرسة الألسن[١] تقع شمال قصور آل سعود وآل الشيخ بجوار سراي زينب هانم[٢]، ثمَّ أبطل محمد علي باشا تلك المدرسة وجعلها في سنة ١٢٦٥هـ/١٨٤٩م لوكاندة للإنجليز سُمِّيَت لوكاندة شبرد[٣] التي كان اسمها اللوكاندة الخديوية[٤]، التي كانت من أشهر وأهم فنادق الشرق قاطبة، وظلَّت باقية إلى أن أحرقته الغوغاء في حادثة حريق القاهرة سنة ١٣٧١هـ/١٩٥٢م[٥] وبقي

---

(١) مدرسة الألسن: أنشئت سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م، ومقرها في (بيت الدفتردار) بجوار (سراي الأزبكية/ قصر الألفي) على الضِفَّةِ الغربية لـ(بركة الأزبكية)، وكانت تُعرف بمدرسة الترجمة، وأُلحِقَ بها مدرسة تجهيزية، وتولَّى نظارتها رفاعة بِكْ الطهطاوي. انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٩١). وعبدالرحمٰن الرافعي «عصر محمد علي» (٤٠٣). وأحمد عزَّت عبدالكريم «تاريخ التعليم في مصر» (١/٢٣٣ ـ ٢٣٥). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: ٨٦).

(٢) انظر: عبدالمنصف سالم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر» (١/١٤٩ ـ ١٥٠). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل» (١٤٤).

(٣) نسبةً إلى المستر صمويل شبرد الألماني الأصل والإنجليزي الموطن، الذي كان أحد جيران قصور آل سعود وآل الشيخ على (بركة الأزبكية). وعن لوكاندة شبرد وتاريخها انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٦٣). وحسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: ٨٦). وانظر ملاحق الصور في نهاية الكتاب الذي بين يديك.

(٤) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٢٥١). ومحمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٥٣). وانظر صورة اللوكاندة الخديوية/ لوكاندة شبرد في الملاحق آخر هذه الدراسة التي بين يديك، وستعلم أنَّ الحيّ الذي سكنه آل سعود وآل الشيخ كان حيًّا غاية في الرقي.

(٥) انظر: حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي» المجلّد الثاني (الورقة: =

مكانها فضاءً[١]، ومكانها الآن عند تقاطع شارع الألفي مع شارع الجمهورية الملاصق لحديقة الأُزبَكِيَّة[٢].

وبجانب قصور آل سعود وآل الشيخ من جهة جنوب بركة الأزبكية تقع دور الأمراء وقصور الباشوات التي ذهب أكثرها، ويقوم مكانها اليوم **ميدان الأوبرا[٣] الذي يقف عليه تمثال إبراهيم باشا، وبجانبه جراج الاوبرا[٤]، وبجانبه كوبري الأزهر، وبجانبه ميدان العتبة.**

وفي الضفَّة المقابلة لقصور آل سعود وآل الشيخ ـ أعني الضِفَّة الشرقية لبركة الأزبكية/حديقة الأزبكية[٥] ـ كان ثمَّت قصور لبعض الأمراء والباشاوات، هُدمت بعض أجزائها، ويقوم مكانها الآن **تياترو الأوبرا/التياترو الخديوي[٦] ـ الذي أصبح اسمه اليوم: المسرح**

= ٨٦). وتعليقات أحمد سالم على كتاب إدوارد وليم لين «مصر منتصف القرن التاسع عشر» (١٣٧).

(١) انظر: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٥٣).

(٢) انظر تعليقات خالد عزب ومحمد السيِّد حمدي على كتاب عبدالحميد نافع بِكْ «ذيل خطط المقريزي» (٩١).

(٣) ميدان الأوبرا يقوم اليوم على المكان الذي كان فيه قصر علي بِكْ الكبير. انظر: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٧).

(٤) جراج الأوبرا هو الذي حلَّ محل دار الأوبرا القديمة. انظر: محمد الششتاوي «متنزهات القاهرة» (١٦٣).

(٥) وهي التي يحاذيها الآن من الشرق (شارع البوسطة).

(٦) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٢٥١).

القومي[١] ـ وبجانبه جراح العتبة، وبجانبه مسرح القاهرة للعرائس.

هذا ما تيسَّر بحثه حول تحديد وتعيين موضع سكنى آل سعود وآل الشيخ وأعيان الدرعية الذين نزلوا في تلك القصور الفخمة والدور الراقية التي على بركة الأزبكية.

* آل سعود الذين سكنوا عند جامع مِسْكَةْ وحارة عابدين وخطَّة الحنفي:

أخبرنا الجبرتي أنَّ ابن عبدالله بن سعود وخوَاصّه قد أسْكَنَهم محمد علي باشا في دارٍ عند **جامع مِسْكَةْ** من غير حرجٍ عليهم[٢]. واكتفى الجبرتي بذلك.

أقول: **جامِع مِسْكَةْ** هو عَيْنُهُ جامع السِّتّ مِسْكَةْ، أو **جامع السِّتّ حَدَقْ مِسْكَةْ[٣]، الكائن في القاهرة في حيِّ السيِّدَة زينب اليوم، ويعتبر أيضاً ضمن ثمن عابدين[٤].**

ويحيط بجامع الستّ مِسْكة حارة مِسْكة غرباً[٥]، ومن حارة

---

(١) انظر: محمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣٦١ ـ ٣٦٢).

(٢) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٠).

(٣) حَدَق مِسْكَةْ: هي الدَّادَة حَدَق المعروفة باسم سِتّ مِسْكَةْ القَهْرَمانَة الناصرية، جارية الملك الناصر محمد بن قلاوون ودَدَاته التي ربَّته وحضنته. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٣/٣٨٦ ـ ٣٨٧) (٤/٢٥٥) (٣٢١). وشهاب الدين أحمد ابن حجر العسقلاني «الدرر الكامنة» (٢/٧).

(٤) انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٢٨ ـ ٢٩).

(٥) انظر: المصدر السابق (٧١).

مِسْكة تنفذ على حارة الرافعي ـ التي تحيط بالجامع من جهته الشمالية ـ، ومن جهته الشمالية الشرقية زقاق قرقماز[١]، ومن جهته الشرقية تقع حارة درب الحجر[٢] في شارع درب الحجر الذي اسمه اليوم شارع أبو طبل[٣].

وكانت مساكن آل سعود في تلك المنطقة الراقية من هذا الحارة (حارة درب الحجر) وذاك الشارع (شارع درب الحجر/شارع أبو طبل اليوم)[٤].

أما جنوب الجامع فتقع سِكَّة سوق مِسْكَةْ[٥] الملاصقة له، ولن تستطيع النفوذ إليه ـ من قبل وحتى هذا اليوم ـ إلَّا إذا اتخذت شارع

---

(١) نسبةً لمدرسة الشيخ قرقماز، والتي تحولت فيما بعد إلى جامعٍ يعرف اليوم باسم جامع جنبلاط. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقيَّة» (٣/٣٢٦ ـ ٣٢٧).

(٢) حارة درب الحجر: هي حارة من يسار (شارع درب الحجر/ شارع إسماعيل باشا أبو طبل). وفي الحارة خمس زقاقات مسدودة: حارات سد، وبها (زاوية الطوخي) الذي تعمل عنده حضرة كلّ أسبوع ومولد كل عام. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٦).

(٣) شارع درب الحجر: اسمه اليوم (شارع إسماعيل باشا أبو جبل، وتسميه العامَّة: أبو طبل). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٦).

(٤) كما رجَّحه لي عالم الخطط والآثار في القاهرة الدكتور محمد حسام الدين في مهاتفة تليفونية معه.

(٥) سكَّة سوق مِسْكَةْ: في (السيِّدة زينب)، والسكَّة جنوب جامع الستِّ مِسْكَةْ، مُمْتَدَّة من (حارة مِسْكَةْ) التي هي غربي الجامع إلى جنوبه لتتصل بالسكَّة المذكورة. انظر: عبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٢٦).

مجلس الشعب[١] ونفذتَ من درب السرجة ـ غرب جامع مسكة ـ فتنفذ بعدها إلى سكَّة سوق مسكة الملاصقة للجامع من الجنوب، أو تنفذ من شارع مجلس الشعب على شارع سوق السباعين الذي كان يسمَّى شارع سويقة السباعين[٢] فتنفذ منه على حارة مِسْكَةْ الملاصقة للجامع من الشرق.

وجميع محيط الستّ مِسْكَة ـ في الوقت الذي أتى فيه آل سعود وآل الشيخ إلى القاهرة ـ كان مسكناً للأمراء والأعيان، وأنشؤوا فيه الحمَّامات والأسواق وغير ذلك من مظاهر الأبَّهَة[٣].

ومسكن ابن عبدالله بن سعود وخواصّه الذي ذكره الجبرتي أقرب ما يكون في القصور والدور الكبيرة التي في شارع درب الحجر الذي يُعرف اليوم بشارع إسماعيل أبو طبل شمال وشمال شرق جامع الستّ مِسْكَةْ.

وأشهر هذه الدور والقصور التي عند جامع مسكة هي: بيت

---

(١) شارع مجلس الشعب: كان اسمه (شارع خليل طينة) ثمَّ تبدَّل إلى (شارع الأمَّة) وهو اليوم يُعرف باسم (شارع مجلس الشعب). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٦ ـ ٣٣٨). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (١٨٢).

(٢) سويقة السباعين: شارع يبتدئ من آخر (شارع درب الحجر/ شارع إسماعيل أبو طبل)، وينتهي لـ(شارع الناصرية)، وبه من جهة اليسار عطفة موصلة لـ(سوق مِسْكَةْ) وهي (حارة مِسْكَةْ) ودربٌ آخر موصل للسوق اسمه (درب السرجة). وفي هذا الشارع جامع سنقر المعروف بالجامع الأخضر، وفيه زاوية الشيخ محمد الجبَّاص، وضريح مشهور يعرف بالأربعين. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٣) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٦).

مرعشلي باشا، وبيت ورثة خورشيد باشا، ودار السِّتّ الوسطانية، وفي الشارع نفسه من الدور الكبيرة مثل: سراي الأمير راغب باشا، ودار الأمير عثمان باشا، ودار ورثة صالح باشا صبح، ودار الأمير إسماعيل باشا أبي جبل حقّي، ودار كريمة أحمد باشا ابن جنتمكان إبراهيم باشا الكبير، ومنزل حافظ بيك، ودار خورشيد باشا السناري، وبيت جاهين بيك. وكل تلك القصور والدور بجنائن، ويوجد غيرها من الدور الصغيرة(١).

وأقرب ما يكون سكنهم عِند ـ أو في ـ سراي الأمير راغب باشا؛ التي أصبحت اليوم مقرّاً لمعهد البرموني الأزهري(٢).

أمَّا أعيان الدرعية الذين جاؤوا في **٢٧** محرَّم **١٢٣٥هـ/١٥** نوفمبر **١٨١٩م**، فقد أسكنوا في **حارة عابدين(٣) تجاه قنطرة الذي كفر(٤)، وهي حارة كبيرة، وجزءٌ من شارع عابدين** ـ الذي أصبح اسمه اليوم **شارع مصطفى عبدالرازق(٥)** ـ، **يبتدئ شرقاً من شارع الخليج المصري** ـ الذي أصبح اسمه اليوم **شارع بور سعيد** ـ ويسير مُغَرِّباً حتى يتقاطع مع **درب الملاحفية**، ثمَّ ينعطف شمالاً ليسير في شارع عابدين القديم ـ الذي يُعرف باسم **شارع غيط**

---

(١) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٦ ـ ٣٢٧) (٣٣٧ ـ ٣٣٨).

(٢) رجَّح لي ذلك الدكتور محمد حسام الدين في مهاتفة تليفونية معه، إذ بيَّنَ أنَّ هذه الدار التي تنزل فيها ضيوف الباشا، فلعلّه أخلاها للسعوديين.

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤/٤٧٣).

(٤) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٠).

(٥) انظر: محمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٢١١).

العدَّة[١] **-**، حتى يقف في النقطة الشمالية عند شارع التميمي[٢] - **الذي صار موضعه اليوم قسم شرطة عابدين**[٣] **- بجوار سراي عابدين** اليوم من جهتها الشمالية الشرقية.

وفي هذا الشارع من القصور والدور المشهورة مثل: بيت رشوان بيك[٤]، وتقابله سراي الأمير راغب باشا[٥] وبجواره بيت الأمير حيدر باشا[٦]، وبيت شربتلي باشا، وبيت خورشيد باشا.

وعند ميدان عابدين الذي كان بركة[٧] توجد سراي شريف باشا الكبير وبيت الأمير ثابت باشا وعددٌ وافرٌ من المنازل والدور الصغيرة

---

(١) **شارع غيط العدَّة: يقع اليوم بين (ميدان باب الخلق) و(شارع عابدين، الذي يُعرف اليوم بشارع مصطفى عبدالرازق).**

(٢) **علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٣).**

(٣) **محمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣١٣).**

(٤) **عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٣٠٣).**

(٥) **سراي الأمير راغب باشا هذه غير التي في (درب الحجر/ شارع أبو طبل)، أمَّا التي في (حارة عابدين)، كانت في الأصل دار علي آغا كتخدا الجاوشية. انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٣/٢٨١). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٢٧).**

(٦) **أصبح فيما بعد سراي فاطمة هانم بنت إسماعيل باشا، وموقعها اليوم عند مدخل (شارع البراموني) من جهة (باب باريس) إلى الجنوب من سراي عابدين من جهة مستشفى الجمهورية. انظر: أمين سامي باشا «تقويم النيل» المجلد ٣ ج٣ (ص١٠٦٩). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣٨٩).**

(٧) **كان ميدان عابدين بركةً تسمَّى (بركة الشقاف) ثمَّ رُدِمَت وأصبحت الميدان المعروف اليوم. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٢).**

والعُطف والحارات والبساتين الواسعة[١].

وقد سَكَنَ هذا الجزء أعيان الدرعية المرحَّلين إلى ذلك الشارع المعروف ذاك الوقت، والذي كان ـ قبل بناء سراي عابدين ـ واحداً من ضواحي القاهرة التي يقطنها الأمراء والباشوات والطبقة الراقية.

وأعيان الدرعية الذين سكنوا قصور عابدين هم قريب من ابن عبدالله بن سعود وخواصّه الذين عند جامع مِسْكَة، فليس بينهم إلَّا حارة التمساح[٢] قبل التطور العمراني الحديث.

فيستطيع القاطنون من أعيان الدرعية الذين في (شارع أبو طبل) أن ينفذوا من (حارة التمساح) التي في أول شارعهم من الغرب، ليصلوا إلى من في (حارة عابدين) حيث سكنى إخوانهم اهل الدرعية المرحَّلين إلى تلك الحارة.

أمَّا أهل الدرعية الذين وصلوا القاهرة مرحَّلين من نجد بتاريخ ٣ شوَّال ١٢٣٦هـ/٤ يوليو ١٨٢١م، فهم الأمير عمر بن عبدالعزيز آل سعود وأولاده وأبناء عمّه، **وقد أنزلهم الباشا بخِطَّة الحنفي قريباً من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت.** هكذا قال الجبرتي واكتفى بذلك[٣].

---

(١) علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٢٣/٣ ـ ٣٢٤). ومحمد حسام الدين «مدينة القاهرة» (٣١٥ ـ ٣١٦).

(٢) حارة التمساح: في (السيِّدَة زينب) عند (شارع إسماعيل أبو طبل/ شارع درب الحجر سابقاً)، ذكرها علي باشا مبارك باسم (حارة التمساح) وقال إنَّها حارة كبيرة يُتوصَّل منها إلى (حارة عابدين). انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٢٦/٣).

(٣) انظر: عبدالرحمٰن الجبرتي «عجائب الآثار» (٤٩٤/٤ ـ ٤٩٥).

أقول: **خِطَّة الحنفي** التي ذكرها الجبرتي؛ هي الكائنة عِندَ **جامع الأستاذ الحنفي** الكائن في حارة الحنفي[١]، وليس بين الأمير عمر بن عبدالعزيز آل سعود ـ الموجود في الحنفي ـ وإخوانه الذين عند جامع مِسْكَة سوى شارع واحد، وهو شارع خليل طينة (اسمه اليوم شارع مجلس الشعب).

وقد أُسكِنَ الأمير عمر ومن معه من آل سعود في القصور التي في الحنفي، وهي لا بدّ أن تكون إحدى القصور التي في **حارات درب الهياتم** المحيط بالحنفي فقط[٢]، مثل: حارة السلطان الحنفي، وحارة الشوربجي، وعطفة عمر الركني (وتسميه العامة عمر الركن)[٣]، وحارة المبيّضة، أو في حارة فقوسة الملاصقة لجامع الحنفي، أو في عطفة البقلي.

---

(١) حارة الحنفي: تنفذ شرقاً من (شارع الحنفي) النافذ جنوباً من (شارع خليل طينة/ الذي اسمه اليوم: شارع مجلس الشعب). وهذا الجامع أنشأه الأستاذ شمس الدين أبو محمود الحنفي، الشهير بالسلطان الحنفي (ت: ٨٤٧هـ ـ ١٤٤٣م)، بناه بجوار داره سنة ٨١٧هـ/ ١٤١٤م، وفيه ضريحه داخل الجامع تعلوه قبَّة مرتفعة وعليه مقصورة من الخشب المرصّع بالصدف والعاج، يُعمل له مقرأة كلّ أسبوع ومولد كلّ عام. انظر: تقي الدين المقريزي «الخطط والآثار» (٣٢٨/٤). ويوسف بن تغري بردي «النجوم الزاهرة» (٥٠٠/١٥). وعلي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٣٨/٣).

(٢) درب الهياتم: دربٌ كبيرٌ في السيِّدَة زينب، بداخله الجامع المعروف بجامع الهياتم، أنشأه الأمير يوسف جُربَجي حمليان هياتم. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٣٧/٣). وعبدالحميد بِكْ نافع «ذيل خطط المقريزي» (٢٦) (٧٠).

(٣) نسبةٌ لضريح الشيخ عمر الركني الكائن على يسار الداخل لجامع الحنفي. انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣٣٨/٣).

إذ في حارات وعطفات هذا الدرب قصور وسرايات كثيرة، مثل: دار الأمير سليم باشا أباظة، ودار الأمير إبراهيم باشا جركس[١]، ودار أحمد باشا الطوبجي، ودار مراد بِكْ، ودار الأمير مصطفى بِكْ فرحات، ودار الأمير رستم بِكْ، ودار الأمير أمين باشا الزمرلي، وسراي الهياتم. وكل تلك القصور والدور بجنائن، ويوجد غيرها من الدور الصغيرة[٢].



* مَنْ بَقِيَ من المرحَّلين في القاهرة وَمَنْ رَجَعَ منهم إلى نجد:

١ ـ الذين بقوا في مصر:

بقي في مصر من آل سعود: **أبناء الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود**، وهم: سعد بن سعود وأخوه عبدالرحمٰن وعمر وحسن وفهد وخالد؛ **نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر بأولادهم ونسائهم، وماتوا كلّهم هناك**[٣].

أمَّا عبدالله بن محمد بن سعود فقد كان له أولادٌ كبار مات

(١) هي ذاتها دار الأمير يوسف جربجي حمليان هياتم، صاحب جامع الهياتم. علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٨).

(٢) انظر: علي باشا مبارك «الخطط التوفيقية» (٣/٣٣٨).

(٣) انظر: إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر» (٥٩٥). وعثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/١٨) (١٤٠). وإبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩). وعبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٢). وحمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (١/٣٤٣).

أكثرهم في مصر بعد ترحيلهم لها[١]. وفي ذلك يقول المؤرّخ إبراهيم بن عيسى: «**وكان لعبدالله بن محمد بن سعود أولاد غير تركي، نقلهم إبراهيم باشا [إلى القاهرة] وماتوا هناك**»[٢].

ويقول المؤرّخ عبدالله بن محمد البسَّام: «**وباقي أولاد عبدالله بن محمد بن سعود نقلهم إبراهيم باشا إلى مصر وماتوا هناك**»[٣].

وأسرة آل سعود لم يَبْقَ منهم أحد في مصر؛ لموت أغلبهم هناك، ولانقطاع نسلهم هناك، ولرجوع أغلبهم إلى نجد. وفي ذلك يقول الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ: «**لم يَبقَ في مِصرَ من أسرة آل سعود ـ فيما نعلم ـ أحد**»[٤].

أمَّا أسرة آل الشيخ؛ فإنَّ الذي بقي منهم في مصر هم: الشيخ عبدالله ابن الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، فإنَّه لم يرجع إلى نجد، بل ظلَّ في مصر حتَّى توفِّيَ فيها سنة ١٢٤٢هـ/١٨٢٧م[٥].

وبقي في مصر من آل الشيخ أيضاً: الشيخ علي ابن الشيخ

---

(١) حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد» (٣٤٤/١).

(٢) إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث» (٣٩).

(٣) عبدالله بن محمد البسَّام «تحفة المشتاق» (٣٢).

(٤) مِن تعقيبات الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ على كتاب «الدعوة الوهابية» (٧١) لعبدالكريم الخطيب.

(٥) انظر: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ «مشاهير علماء نجد وغيرها» (٦٨). وعبدالرحمٰن بن قاسم في ترجمته للشيخ عبدالله، ضمن «الدرر السنيَّة» (٣٨٠/١٦).

محمد بن عبدالوهاب، بقي في مصر ولم يرجع إلى نجد، حتَّى توفِّيَ في القاهرة[١] سنة ١٢٤٥هـ/١٨٢٩م[٢].

أمَّا محمد ولده ـ ولد الشيخ علي بن محمد بن عبدالوهاب ـ فإنَّه لم يخرج من نجد أصلاً؛ لأنَّه كان صغيراً وقتها ولم يُرحَّل مع أبيه لمصر، فبقي في نجد، وتوفِّيَ في الرياض فيما بعد، وذريَّته يُعرفون اليوم على انفرادهم باسم آل محمد نسبةً إليه[٣].

ومِمَّن بقي من آل الشيخ في مصر ولم يرجع: الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب[٤]، **والشيخ إبراهيم ليس له عَقِب إلَّا بناتٍ تخلَّفْنَ بعده في نجد ولم يُنقَلْنَ معه إلى مصر، إلَّا ابنته طَرْفَة فقد ذهبت معه إلى مصر**[٥]. **وكانت وفاة الشيخ إبراهيم في القاهرة.**

يقول الشيخ عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم: «**الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب لم أقف له على وفاة، ولكنَّه موجود سنة ١٢٥١هـ [١٨٣٥م] في مصر وتوفِّيَ فيها**»[٦].

ومن آل الشيخ الذين بقوا في مصر ولم يرجعوا: الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، بقي في مصر ولم

(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٢) انظر: المصدر السابق (١٨١).

(٣) انظر: تعليق آل الشيخ على «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٩٠) (٤٣١).

(٤) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٦٣).

(٥) انظر: المصدر السابق (١٨٠).

(٦) انظر: تراجم عبدالرحمٰن بن قاسم التي أفردها في آخر كتابه «الدرر السنيَّة» (١٦/٣٨١ ـ ٣٨٢).

يرجع؛ لأنَّه ـ كما يقول **المؤرّخ الحلواني** الذي لَقِيَهُ بالقاهرة ـ كان من جملة آل الشيخ ومن معهم من الذين بقوا في القاهرة، التي «**ظلُّوا فيها برغبتهم؛ لأنَّه صار لهم أولادٌ وأملاكٌ في مصر**»(١).

ويقول عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ: «**كان للشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب أسباب عِدَّة في عدم خروجه وبقائه في مصر**، منها:

١ ـ انشغاله بالعلم والتعليم والتدريس وإلقاء المواعظ والمحاضرات في الجامع الأزهر الكبير.

٢ ـ قيامه بعمل الدعوة إلى الله ونشر العقيدة السلفية في مصر.

٣ ـ إشرافه ورعايته على [شؤون] أسرتي آل الشيخ وآل سعود هناك، وكان هو الواجهة أمام الخديوي حاكم مصر.

٤ ـ تَأَهُّلَهُ وتزَوُّجَهُ هناك، وقد رُزِقَ بأولادٍ وذُرِيَّة.

٥ ـ وقد تملَّك وتحصَّلَ على ثروةٍ وضِيَاعٍ في مصر.

كلُّ هذه الأسباب ـ وغيرها ـ جعلت الشيخ عبدالرحمٰن لا يُفكِّر في الخروج [من مصر] **والقدوم إلى نجد**»(٢).

وكان الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب قد تزوَّج في مصر بأرملة الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وكان من ضمن نصيبها من التركة سيفٌ للإمام

---

(١) أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩).

(٢) عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٥).

عبدالله يسمَّى **سيف أبو المفاتيح**، وقد حمله الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب إلى الإمام فيصل بن تركي يوم رَحَلَ محمد بن عبدالرحمٰن من مصر قاصداً نجد[١].

المقصود؛ أنَّه بقي في مصر ـ أيضاً ـ أبناء الشيخ عبدالرحمٰن، مثل: ابنه **أحمد الملقَّب بالأجزجي/الصيدلي**[٢]، وابنه **عبدالمجيد**، وأخ غير شقيق لهم هو **عبدالله**[٣] **الذي عمل كاتباً في قلعة الوجه**[٤]، **وابنتين هما: لطيفة وخديجة**[٥].

قال المؤرِّخ النسَّابة عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: أمَّا «أحمد الأجزجي فأنجب ابناً اسمه **عبدالرحمٰن حقِّي** وابنةً اسمها **لطيفة حقِّي**.

وعبدالرحمٰن حقِّي هذا أنجب ابناً اسمه **محمَّد** وابنةً اسمها **حنيفة**.

وعبدالرحمٰن حقِّي هذا كان رئيس إسعاف العيَّاط بمصر زمن الملك فؤاد وزمن الملك فاروق وزمن الجمهورية، وتوفِّيَ بمصر في ٢٢ محرَّم ١٣٧٨هـ [٨ أغسطس ١٩٥٨م]، ورَثَتْهُ جريدة الأهرام

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢١٤).

(٢) انظر: تعليقات عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» (١٨٩/١) لابن بشر.

(٣) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٦).

(٤) انظر: أمين الحلواني «مختصر مطالع السعود» (١٧٩ ـ ١٨٠).

(٥) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٦ ـ ١٩٧).

المصرية، وخلَّف ابناً اسمه أحمد حقِّي؛ مهندس»[(١)].

قال عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ: إنَّ أحمد حقِّي (المهندس) ابن محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب عَمِلَ «مهندس عَمَل» في السعودية في مطار جُدَّة مدَّةً من الزمن، وقد رجع إلى مصر وتوفِّيَ هناك، وخلَّفَ ابناً اسمه آدم وابنة اسمها حوَّاء[(٢)].

أمَّا حنيفة بنت عبدالرحمٰن حقِّي ابن أحمد الأجزجي ابن الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، فقد ذكر بعض الفضلاء من أحفاد الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب: **أنَّ السيدة حنيفة بنت عبدالرحمٰن حقِّي سُمِّيَت حنيفة على اسم وادي حنيفة، وأنَّها لمَّا زارت الرياض عَرَضَ عليها الملك عبدالعزيز الجنسية**[(٣)].

أمَّا عبدالله بن عبدالرحمٰن[(٤)] أخو أحمد الأجزجي؛ أي الصيدلي، فخلَّف أبناءً بمصر[(٥)].

ومِمَّن بقي بمصر ـ أيضاً ـ ورفض الرجوع إلى نجد: أحمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، فإنَّ

---

(١) من تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٨٩).

(٢) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (١٩٦).

(٣) أخبرني بذلك فضيلة الشيخ المؤرِّخ الدكتور عبدالله بن سعد بن محمد أبا حسين؛ أنَّ بعض الفضلاء من أحفاد الشيخ محمد المذكور في الأعلى رواها له.

(٤) الذي كان كاتباً في (قلعة الوجه).

(٥) من تعليق آل الشيخ على كتاب «عنوان المجد» لابن بشر (١/١٨٩).

أباه حين أراد الرجوع إلى نجد سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨هـ، أَبَى ابنه أحمد بن عبداللطيف الخروج مع أبيه، وبقي بمصر، ولما لاقاه عمّه إسحاق بن عبدالرحمٰن بن حسن وحاول معه أن يأتي إلى نجد، إلَّا أنَّه رفض، وتوفِّيَ بمصر ولا يُعرَف له ذريَّةٌ بها[١].

كما بقي في مصر العالم الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي، الذي كان قاضياً لآل سعود في المدينة قبيل وصول الأتراك، وهو من المرحَّلين الذين بقوا في مصر ولم يرجعوا إلى نجد، **وكان تسفيره من نجد إلى القاهرة بناءً على أمرٍ شخصيٍّ من محمد علي باشا**[٢]**، كما ذكرناه سابقاً.**

٢ ـ الذين رجعوا إلى نجد:

رجع منهم فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود؛ حيث خرج من مصر سنة ١٢٤٣هـ/١٨٢٨م وَقَدِمَ على أبيه تركي بن عبدالله في الرياض[٣].

يقول المؤرِّخ عثمان بن بشر: «**أقبَلَ الإمام فيصل بن تركي مِن مِصرَ هارباً، وقَدِمَ على أبيه في الرياض، واستبشر الإمام والمسلمون بقدومِهِ،** وصارت هذه السنة [١٢٤٣هـ/١٨٢٨م] كلّها ميمونة وبشائر السعادة معها مقرونة»[٤].

---

(١) انظر: أحمد العوين «علماء آل الشيخ» (٨٨).

(٢) انظر: محمد بن حميد «السحب الوابلة» (١/٢٩ ـ ٣٠). وصالح آل عثيمين «تسهيل السابلة» (٣/١٦٨٧). وعبدالله البسَّام «علماء نجد» (١/٤٦٠ ـ ٤٦١).

(٣) انظر: عبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٣٠١).

(٤) عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٢/٦٣).

ثمَّ إنَّ عساكر محمد علي باشا في نجد قبضت على الإمام فيصل بن تركي في سنة ١٢٥٣هـ/١٨٣٧م ورحَّلته إلى مصر[١] بعد حوادث طويلة ليس هذا مكان بحثها. ثمَّ في سنة ١٢٥٨هـ/١٨٤٢م خرج مِن مصر إلى نجد واستقرَّ بها حاكماً وإماماً[٢].

ومِمَّن رجع أيضاً: **مشاري بن عبدالرحمٰن بن مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن، قَدِمَ مِنْ مِصر سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٦م إلى بلد الرياض، فأكرمه خاله تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود[٣] ـ الذي كان أوَّل حكَّام الدولة السعودية الثانية ـ، فجعله تركي أميراً في بلد منفوحة[٤].**

وفي نفس السنة ـ ١٢٤١هـ/١٨٢٦م ـ **أقبل العالم الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب مِنْ مصر قادماً على الإمام تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، والإمام تركي هو الذي أرسل للشيخ عبدالرحمٰن بالرسائل ليأتيه في نجد،** فلمَّا جاءه اكرمه الإمام تركي غاية الإكرام، واغتبط به أهل نجد[٥].

---

(١) انظر: المصدر السابق (١٥١/٢).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٢٠٥/٢ ـ ٢٠٨).

(٣) يقول عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ: «إنَّ الإمام تركي هو خال مشاري وابن عمِّهِ». انظر تعليقات آل الشيخ على «عنوان المجد» (٩٧/٢) لعثمان بن بشر.

(٤) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١/٢). وعبدالله البسام «تحفة المشتاق» (٢٩٣ ـ ٢٩٤).

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٤١/٢ ـ ٤٢).

وفي سنة ١٢٦٤هـ/١٨٤٨م جاء إلى نجد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن قادماً من مصر(١). وقد تخلَّف ابنه عن المجيء إلى نجد وفضَّل البقاء في مصر(٢).

وفي سنة ١٢٤٨هـ/١٨٣٢م جاء رجلٌ مِن مصر وادَّعى أنَّه خالد بن سعود، وقَدِمَ بريدة وتزوَّجَ فيها، وأمر الإمام تركي البلدان بإكرامِهِ والقيام بما ينوبه من بيت المال، فلمَّا أقبل على الرياض تلقَّاه الإمام تركي وأكرَمَه، فلمَّا قَدِمَ الرياض عَرَفَهُ أناسٌ يعرفون خالد في مصر وأنَّ هذا الرجل غيره، وأنَّه دَعِيٌّ تسمَّى عليه، فهرب الدعيُّ من الرياض إلى مصر، وقيل إنَّ محمد علي باشا قتله(٣).

وفي سنة ١٢٥٢هـ/١٨٣٦م رجع خالد بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود(٤)، رَجَعَ بمعيَّة عساكر أرسلها محمد علي باشا لمحاربة الإمام فيصل بن تركي(٥). ولمَّا وقعت الحوادث ذهب إلى مكة عند الشريف محمد بن عون(٦).

أمَّا عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فقد خرج من مصر إلى نجد في وقت الفتنة بين سعود بن فيصل بن تركي، وبين أخيه عبدالله بن فيصل، وحضر مع أهل

---

(١) انظر: المصدر السابق (٤٣/٢).

(٢) انظر: أحمد العوين «علماء آل الشيخ» (٨٨).

(٣) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (٩٠/٢).

(٤) هذا هو خالد بن سعود الحقيقي، وليس الدعيُّ الذي ذكرناه قبل قليل.

(٥) انظر: عثمان بن بشر «عنوان المجد» (١٤٠/٢).

(٦) انظر: المصدر السابق (٢٤٠/٢).

الرياض وقعة أمّ العصافير، ولم يَطب له المقام بسبب الفتن التي كانت في نجد، فذهب إلى المدينة النبوية وتوفِّيَ فيها(١).

كما خرج من مصر الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن سنة ١٢٧٤هـ/١٨٥٨م بعد وفاة والده الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب؛ خرج محمد راكباً البحر حتَّى وصل جُدَّة، ومنها إلى مكَّة ونزل عند الشريف عون فأكرمه، وبعد ذلك توجَّهَ إلى الرياض ونزل عند الشيخ عبدالرحمٰن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، فأكرمه غاية الإكرام واستبشر بقدومه.

وكان عُمر محمد بن عبدالرحمٰن يوم قدومه إلى نجد حوالي ثمانية عشر سنة، في عهد الإمام فيصل بن تركي، ولمَّا قَدِمَ على الإمام فيصل بن تركي فرح به الأخير واستبشر بقدومه، ثمَّ أمر له بما يلزم من السكن والمصروف، وقد أهدى الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن إلى الإمام فيصل سيفاً يُسمَّى سيف أبو المفاتيح؛ وهو من سيوف الإمام عبدالله بن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود كان عند أرملة الإمام التي تزوجها من بعده الشيخ عبدالرحمٰن بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب يوم رُحِّلوا إلى مصر(٢).

هؤلاء هم الذين أسعفتنا بذكرهم المصادر؛ مِمَّن بقي من المُرَحَّلين ومِمَّن رجع منهم بعد حادثة الترحيل، والله أعلم.



(١) انظر: عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة» (٢٠٠).

(٢) انظر: المصدر نفسه (٢١١ ـ ٢١٤).

الخاتمة

تَمَّ ـ بحمدٍ من الله وفضله ـ الكتاب بعد تطواف أتى على عشرة فصول وملحق. وللباحث في تلك الخاتمة محاولة لتسليط الأضواء على ما أثبته الكتاب من حقائق معتمدة على التوثيق:

أثْبَتَ الفصل الأول من هذ الكتاب: الحال البائس الذي كانت عليه نجد قبل قيام الدولة السعودية وظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونوَّهَ ـ هذا الفصل أيضاً ـ على عظيم النِّعمَة التي أنعم الله بها على جزيرة العرب بقيام هذه الدولة وظهور هذه الدعوة. كما أثبتَ هذا الفصل أنَّ نجداً لم تكن تابعة ـ بأيِّ حالٍ من الأحوال ـ للدولة العثمانية أو غيرها من الدول، من قبل نشوء الدولة السعودية أو أثناء قيامها حتَّى سقوطها سنة ١٢٣٣هـ/١٨١٨م، وقد تَمَّ توثيق ذلك هناك.

ثمَّ جاء الفصل الثاني مثبتاً لحالة نجد الدينية التي كانت تعجُّ بالشرك ومظاهره قبل قيام دولة آل سعود الأولى وانتصارهم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد وثَّقتُ ذلك من مصادر أوَّليَّة.

وجاء الفصل الثالث موثِّقاً لانتشار الشرك والانحراف العقدي في جزيرة العرب ومحيطها قبل قيام الدولة وظهور الدعوة، وهو حالٌ مزري جداً.

بعد ذلك جاء الفصل الرابع مُتَتَبِّعاً دعوة الشيخ منذ نشأتها في حريملاء ثمَّ العيينة، وصولاً إلى الدرعية التي انتصر حكَّامها آل سعود للشيخ ودعوته رغم ما أحاط بهم من مخاطر جمَّة. ثم وثَّق هذا الفصل حادثة ميثاق الدرعية، وناقش مسائل تاريخية مهمة أحاطت به.

ثم جاء الفصل الخامس ليوثِّق قيام المعارضة ضدّ الدولة السعودية الأولى ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ورصد هذا الفصل الشبهات التي أذاعتها المعارضة في نجد وغيرها، ثمَّ نوقشت كلّ تلك الشبهات المرصودة. وخلال هذا الفصل تمَّ تتبّع اتسَّاع رقعة الدولة السعودية الأولى في نجد والأحساء، والحروب التي شُنَّت عليهم من جهاتٍ عِدَّة. وقد ختم الفصل صفحاته بحادثة وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وجاء الفصل السادس ليرصد اتساع الدولة السعودية الأولى في جزيرة العرب، ثمَّ ناقش الفصل الشبهات والأكاذيب التي شاعت ضدّ الدولة وأتباعها في أماكن شتَّى.

ثم أتى الفصل السابع ليوثّق الحملات التي شنَّتها الدولة العثمانية خلال باشويتها في بغداد ضدَّ الدولة السعودية الأولى، وهناك تمَّ توثيق ما يلي: أنَّ الوالي العثماني في العراق هو من بدأ العداوة والتحرّش بالسعوديين، وأنَّ ما حدث من حروب بين السعوديين وأتباع الباشا التركي في العراق إنَّما هو ردّ فعلٍ من السعوديين على تلك الاعتداءات. وفي ذات الفصل تمَّت مناقشة حادثة اغتيال الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وقد تمَّ توثيق أنَّ الباشا التركي في العراق كان وراء ذلك الاغتيال الغادر. ثمَّ نوقشت مسألة حرب السعوديين في كربلاء، وقد حاولت في ذلك الفصل بيان الحق فيها

وبيان ما أحيط بها من أكاذيب وافتراءات، وقد أطَلتُ النَّفَسَ في بحثها ومناقشتها لأهميتها.

ثمَّ خُتِم الفصل السابع بوصول النفوذ السعودي إلى أماكن كثيرة في بلاد الشام.

أمَّا الفصل الثامن فإنَّه خُصِّصَ لمناقشة الدعايات المشينة التي أشاعتها الدولة العثمانية على السعوديين، وقد ناقشتُ في هذا الفصل كلّ شبهة وَرَدَت فيه ونَقَضْتُها بتوثيقات من وثائق العثمانيين أنفسهم ومن كتابات من يوالونهم، ثم عزَّزتُ ذلك النقض بأقوال العلماء والكتَّاب والمستشرقين والسياسيين الأجانب المنصفين الذين دحضوا أكاذيب العثمانيين ضدَّ السعوديين ونقضوها نقضاً.

ثم وثَّقتُ في الفصل التاسع حملة طوسون باشا ضدَّ السعوديين، وفيه ناقشت فساد الجيش الذي ساقه محمد علي باشا بمصاحبة ابنه طوسون إلى الحجاز، وفيه رصدت مخازي هذا الجيش في حقّ المصريين قبل أن تتحرّك عساكره إلى الحجاز. ثمَّ بعد ذلك رصدت ضخامة تلك الحملة وعدَّدتُ فِرقها وأجنادها وعتادها وغيره.

ثمَّ وثَّقتُ جرائم جيش طوسون في حقّ أهل الحجاز: في بدر والمدينة، ثمّ وثَّقت جرائمهم في الطائف وتربة والقنفذة وغيرها.

وختمتُ هذا الفصل بالصلح الذي جرى بين الإمام عبدالله وطوسون باشا، وبيَّنتُ فيه خطأ من اتَّهمَ الإمام عبدالله أنَّه نقض الصلح، فوثَّقتُ أنَّ النقض إنَّما حصل من محمد علي باشا.

ثم جاء الفصل الأخير (الفصل العاشر)، وهو مخصوص بحملة إبراهيم باشا ضدَّ الدولة السعودية الأولى، وقد استقصى هذا الفصل

حقيقة أنَّ حملة إبراهيم باشا كانت عثمانية خالصة بأمرٍ من السلطان العثماني الذي عزَّز تلك الحملة لإسقاط الدولة السعودية الأولى وتدميرها. ثمَّ رصدت ضخامة تلك الحملة التي كانت مدَجَّجة بأحدث الأسلحة وأقواها، ووثَّقتُ أنَّ أكثر تلك الأسلحة جاء من تركيا وأوروبا. كما تمَّ توثيق أنَّ تلك الحملة صاحَبَها مهندسو حصار فرنسيون وأطباء وخبراء عسكريون من فرنسا وغيرها.

من بعد ذلك تمَّ رصد بسالة السعوديين في صدِّ عدوان إبراهيم باشا وعساكره، وكانت تلك البسالة واضحة منذ بداية تلك الحرب حتَّى نهايتها، لولا أنَّ المدافع وأمور أخرى كانت السبب في سقوط الدولة.

كما تمَّ ـ في الفصل نفسه ـ توثيق جرائم إبراهيم باشا وعساكره في حقّ البادية والحاضرة من أهل الصويدرة والحناكية وماوية وبريدة وشقراء وضرما والدرعية والأحساء وغيرها. وهي جرائم بشعة تمثَّلت بقطع الرؤوس والآذان والتمثيل بالجثث وتمزيق الأجساد وحرق البيوت وإتلاف الزروع وغير ذلك كثير.

ثم جعلت للفصل ملحقاً منفرداً بذاته؛ تناولت فيه حادثة ترحيل إبراهيم باشا لبعض أفراد أسرة آل سعود وآل الشيخ وتسفيرهم من الدرعية إلى مصر، وقد تابعتُ الترحيل منذ تحرّكه من الدرعية حتَّى وصوله إلى القاهرة، وعدَّدتُ أسماء المرحَّلين، وحدَّدتُ أماكن إقامتهم في مصر، ورصدتُ من مات منهم في مصر ومن رجع منهم إلى نجد بعد مدَّة طويلة.

وخلاصة ما وصل إليه الكتاب: أنَّ قيام هذه الدولة وانتصارها لتلك الدعوة المباركة نعمةٌ أنعم الله بها على جزيرة العرب، بل على

المسلمين عموماً، فقد انتهى ما كان يعانيه أبناء جزيرة العرب من فوضى ضاربة وأمن منعدم وفُرْقَة شائعة وشرك منتشر وانحراف عقدي ذائع، حيث تبدَّل ذلك ـ بقيام هذه الدولة وتلك الدعوة ـ إلى نظامٍ رَغبَ بِهِ كُلّ من يعرف قيمته، وَأَمْنٍ شَهِدَ بِهِ القريب والبعيد والصديقُ والعدو، وأصبح الناس إخواناً يُلْقون على بعضهم السلام بعد أن كانوا ـ من قبل ـ يتحاربون ويتقاتلون، وانتشر دين الله في الحاضرة والبادية، وتعلَّم الناس التوحيد وما يضادّه من الشرك، وعرفوا الخير وتجنّبوا الشرّ في دينهم ومعتقدهم.

وصار الناس ـ في ظل تلك الدولة المباركة ـ يَحُجُّونَ ويَرجِعونَ إلى أوطانهم لا يخشون أحداً من البوادي لا بحربٍ ولا نهب أو سلب، وانتهى ما كان يؤخذ من الحجَّاج وغيرهم من الإخَاوَات [الإتاوات] وما شابهها؛ فالراكب في ظلّ هذه الدولة يَخرُجُ وَحده من اليمن وتهامة الحجاز والبصرة والبحرين وعُمان ونُقرَة الشام لا يحمل سلاحاً، بل سلاحه عصاه، لا يخشى كيد عدوّ، ولا يريده أحدٌ بسوء.

وهذه الدولة **لم تَعْتَدِ على أحد، بل كانت تردّ اعتداء من أرادها أو أراد أتباعها بسوء، فيكتب الله لها النصر والتمكين والتوسّع والقوَّة**، وهذا ما وثَّقه الكتاب في الفصل الخامس والسادس على وجه التخصيص.

وكذلك؛ **فإنَّ أئمة وحكَّام هذه الدولة لم يعرفوا الغدر أو الخيانة حتَّى مع ألدّ أعدائهم، بل كانوا يتعاملون بالصدق وتحرّي الوفاء بالعهد والعمل بالمواثيق**، وهو ما شهد لهم به أعداؤهم، وهو ما قرَّره الفصل السابع والتاسع والعاشر.

وإنَّ سقوط هذه الدولة لم يأتِ مِن ضعف في مقاومة المعتدين، أو قلَّة رجالٍ يستبسلون في الدفاع عن وطنهم، بل جاء نتيجة تفوّق سلاح العدو على سلاح أبناء الوطن، وأمور أخرى تمَّت مناقشتها في الفصل العاشر.

وَبَعْدُ، أيها القارئ: فهذه حقائق تاريخية لا ينكرها أحد؛ وما عليك إلا مراجعة تلك الوثائق والمصادر التي أوردتها لك في كلّ صفحة من صفحات هذا الكتاب لتتأكد من صدق ما أوردناه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلَّم وبارك على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

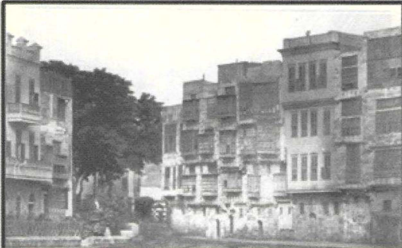
كتبه:
د. سلطان نافع الأصقه آل حثلين
رئيس مركز الفرقدين للدراسات والاستشارات



ملحق الصور

١ ـ القصور الفاخرة التي كانت تطلّ على بركة الأزبكية ذاك الوقت (فترة البحث)، وكانت قصور آل سعود وآل الشيخ من ضمنها.

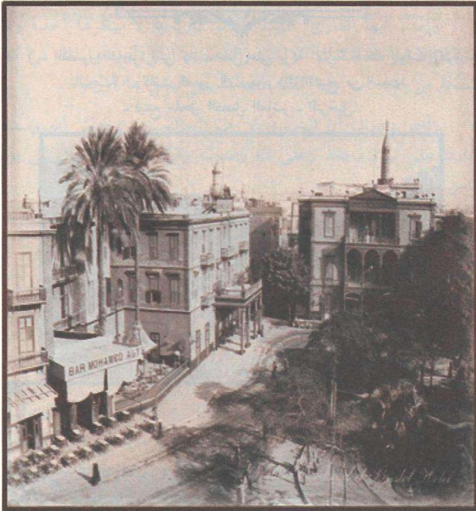
ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).





٢ ـ صورة اللوكاندة الخديوية وبجانبها فندق بريستول على بركة الأزبكية؛ والقصر الأوسط وما على يساره (يسار الصورة) وما خلفهما؛ هي التي أرجِّح كونها قصور آل سعود وآل الشيخ التي على بركة الأززبكية.

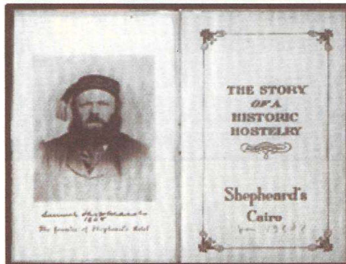
ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).



٣ ـ صمويل شبرد، الذي كان يسكن بجوار قصور آل سعود وآل الشيخ على بركة الأزبكية، والذي حوَّل مدرسة الألسن إلى فندق باسمه: فندق شبرد، بجانب قصور آل سعود وآل الشيخ هناك.

ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).





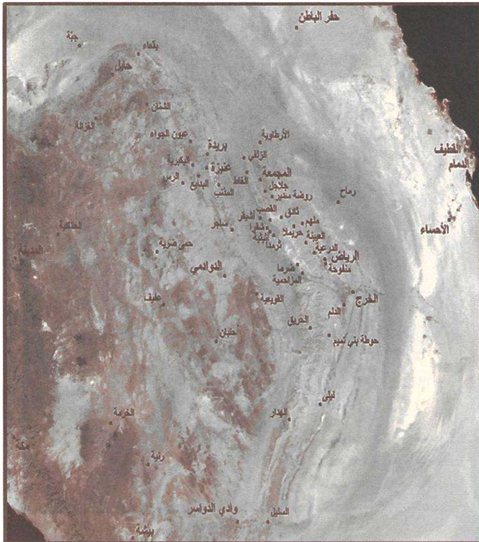
٤ ـ صورة قديمة لدرب الهياتم في خطَّة الحنفي، المطلّ على السيِّدَة زينب؛ وهو الدرب الذي كان فيه قصور الأمير عمر بن عبدالعزيز آل سعود وأولاده وأبناء عمّه.

٥ ـ (يتبع ملحق الفصل العاشر ـ الترحيل).



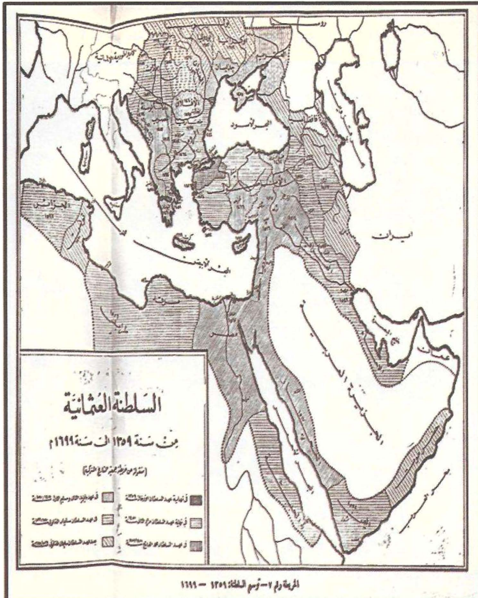
ملحق الخرائط

١ ـ خريطة تبيِّن أقاليم منطقة نجد. (يتبع الفصل الأول).



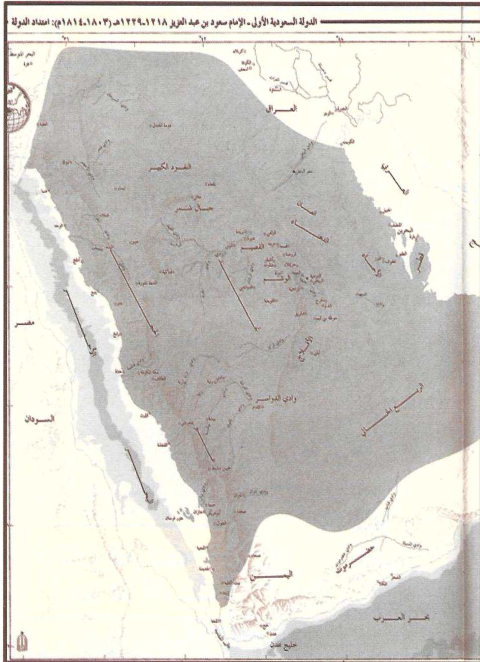
٢ ـ خريطة تبيِّن أنَّ نجد لا تدخل ضمن مناطق النفوذ العثماني. خريطة أوردتها «جمعية التاريخ التركي»، وهي موجودة في متحف «طوب قابي»، وقد أوردها ساطع الحصري في ملاحق كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية».

(يتبع الفصل الأول).

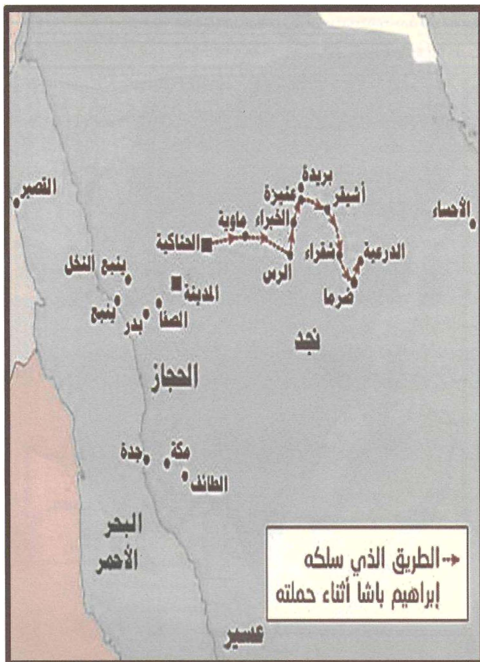


الخريطة رقم ٧ — توسع السلطنة ١٣٥٩ — ١٦٩٩

٣ ـ خريطة تبيِّن أقصى اتِّساع وصلت إليه الدولة السعودية الأولى. منقول عن: أطلس دارة الملك عبدالعزيز.



٤ ـ خريطة تبين الطريق الذي سلكه إبراهيم باشا في حملته على نجد. (يتبع الفصل العاشر).





الوثائق (الإنجليزية والفرنسية والعثمانية)

غير المنشورة:

١ ـ الوثائق الموجودة في المجلّد الثاني من:

Records of the Hajj, (The Hajj and the Wahhabi movement) vol,2, The early Caliphal, Mamluk and Ottoman periods (630-1814), A Documentary History of the Pilgrimage to Mecca. Archive Editions, an imprint of Archive International Group, 1993.

٢ ـ Records of Saudi Arabia; L/PS/10/389. الوثائق البريطانية في دارة الملك عبدالعزيز.

3. Delegation Francaise De Damas- Section Politique, S-L./661 De La Mediterranee Au Golfe Persique.

٤ ـ الأرشيف العثماني في دارة الملك عبدالعزيز، H.H, 803/37119-M إعلامٌ باستخلاص الحجاز من الوهابيين مِن قِبَل طوسون باشا.

٥ ـ الأرشيف العثماني في دارة الملك عبدالعزيز: HAT. 0345/19665, N310, R6/104 تهنئة واردة من سفير روسيا للسلطان العثماني بمناسبة تغلّبه على الوهابيين.

المخطوطات:

٦ ـ حسن قاسم «مخطوط: تكملة تاريخ الجبرتي»، نسخة بخطّ المؤلّف كتبها سنة ١٩٤٥م بالقاهرة.

٧ ـ مطلق بن صالح «مخطوطة: شذا الند في تاريخ نجد».

الوثائق المنشورة:

٨ ـ «التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبو ظبي وبين المملكة العربية السعودية، عرض حكومة المملكة العربية السعودية»، المجلد الأول، الأساس، ١١ ذي الحجّة ١٣٧٤هـ/٣١ يوليو ١٩٥٥م.

٩ ـ «الوهابية بتقارير القنصلية الفرنسية في بغداد»، جمع وترجمة وإعداد إبراهيم ناجي، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

١٠ ـ «دليل الخليج»، القسم التاريخي والجغرافي، جمع: ج. ج. لوريمر، ترجمة: قسم الترجمة في مكتب أمير قطر، تُرجم أواخر الستينيات أوائل السبعينيات الميلادية.

١١ ـ «وثائق تاريخ شبه الجزيرة العربية في العصر الحديث»، جمع ونشر: عبدالرحيم عبدالرحمٰن عبدالرحيم، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠١م.

12 - Charles Rathbone Low, History of The Indian Navy 1613-1863, London; Richard Bentley and Son, New Burlingtn Street, 1877.

المصادر الأجنبية:

13- Col. S. B. Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf.

14- D. G. Hogarth, Arabia, Oxford, At the Clarendon press, 1922.

15- Dictionnaire Francais- Arabe, Librairie du Liban Publishers.

المصادر والمراجع العربية والمُعَرَّبة:

١٦ ـ أ. ج. جرانت وهارولد تمبرلي «أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين»،

ترجمة: بهاء فهمي، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

١٧ - أ.ب. كلوت بيك «لمحة عامة إلى مصر»، ترجمة: محمد مسعود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١١م.

١٨ - الأب لويس شيخو اليسوعي «تاريخ الآداب العربية ١٨٠٠ ـ ١٩٢٥م»، منشورات دار المشرق، بيروت، ط٣، ١٩٩١م.

١٩ - إبراهيم أحمد المقحفي «معجم البلدان والقبائل اليمنية»، دار الكلمة، صنعاء، ط (بلا)، ٢٠٠٢م.

٢٠ - إبراهيم السامرَّائي «المجموع اللفيف؛ معجم في المواد اللغوية التاريخية والحضارية»، دار عمَّار، عمَّان ـ الأردن، ط١، ١٩٨٧م.

٢١ - إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن «تذكرة أولي النهى والعرفان بأيام الله الواحد الديَّان وذكر حوادث الزمان»، مكتبة الرشد، الرياض، ط ١، ١٤٢٨هـ.

٢٢ - إبراهيم بن علي زين العابدين الحفظي «رسالة في تاريخ عسير/نُشِرَت باسم: تاريخ عسير رؤية تاريخية خلال خمسة قرون»، تحقيق: محمد بن مسلط البشري، د. ن. (بلا)، ط٥، ١٤١٣هـ.

٢٣ - إبراهيم بن عيسى «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم وبناء بعض البلدان من ٧٠٠هـ إلى ١٣٤٠هـ»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٤ - إبراهيم بن عيسى «عَقْدُ الدُّرَرِ فيما وقع في نجد من الحوادث في آخر القرن الثالث عشر وأول الرابع عشر»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٥ - إبراهيم بن عيسى وعبدالله بن محمد البسَّام «مجموع في التاريخ النجدي»، ضمن «خزانة التواريخ النجدية»، لعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٢٦ - إبراهيم بن محمد بن ضويَّان «تاريخ ابن ضويَّان»، تحقيق: إبراهيم بن راشد الصقير، د. ن (بلا)، ط. ت (بلا).

٢٧ - إبراهيم فصيح بن صبغة الله الحيدري «عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٨ - إبراهيم مصطفى وأحمد الزيَّات وحامد عبدالقادر ومحمد النجَّار «**المعجم الوسيط**»، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٦٠م.

٢٩ - ابن حجر العسقلاني «**الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**»، دار الجيل، بيروت.

٣٠ - ابن حجر العسقلاني «**إنباء الغمر بأبناء العمر**»، تحقيق: حسن حبشي، لجنة إحياء التراث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في الجمهورية العربية المتحدة، القاهرة، ط (بلا) ١٩٦٩م.

٣١ - ابن سعيد الأندلسي «**نشوة الطرب**»، تحقيق: نصرت عبدالرحمٰن، مكتبة الأقصى، عمَّان ـ الأردن، ط (بلا)، ١٩٨٢م.

٣٢ - أبو عبدالرحمٰن ابن عقيل الظاهري «**تباريح التباريح، سيرة ذاتية ومذكَّرات وهجِّيري ذات**»، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٣ - أبو عبدالرحمٰن ابن عقيل الظاهري «**شيءٌ من التباريح، سيرة ذاتية وهموم ثقافية**»، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٣٧هـ.

٣٤ - أحمد (أبو العباس) بن علي القلقشندي «**قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان**»، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢م.

٣٥ - أبو القاسم بن حوقل النصيبي «**صورة الأرض**»، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط (بلا)، ١٩٩٢م.

٣٦ - أبو بكر شطا الدمياطي الشافعي «**نفحة الرحمٰن في بعض مناقب سيِّدنا ومولانا وشيخنا المرحوم السيد أحمد ابن المرحوم السيد زيني دحلان**»، مكتبة ابن حرجو الجاوي، ط١، ٢٠١٦م.

٣٧ - أبو داوود (الحافظ) سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني «**سنن أبي داوود**»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد كامل قرَّه بلِّلي، دار الرسالة العالمية، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٨ - أبو طالب بن محمد خان «**رحلة أبو طالب خان إلى العراق وأوروبا**»، ترجمة: مصطفى جواد، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٣٩ ـ أبو منصور الجواليقي؛ موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر «**المعرَّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**»، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الكتب، مصر، ط٢، ١٩٦٩م.

٤٠ ـ أحمد (تقي الدين) بن عبدالحليم ابن تيمية «**اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم**»، تحقيق: خالد العَلَمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٤١ ـ أحمد (تقي الدين) بن عبدالحليم ابن تيمية «**مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية**»، جمع: عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم.

٤٢ ـ أحمد (تقي الدين) بن عبدالحليم ابن تيمية «**منهاج السنَّة النبوية**»، تحقيق: محمد رشاد سالم، د. ن. (بلا)، ط١، ١٩٨٦م.

٤٣ ـ أحمد (تقي الدين) بن علي المقريزي «**المواعظ والاعتبار في الخطط والآثار**»، تحقيق: أيمن فؤاد سيِّد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ط٢، ٢٠١٣م.

٤٤ ـ أحمد (تقي الدين) بن علي المقريزي «**درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**»، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٤٥ ـ أحمد (جمال الدين) بن علي الحسني المعروف بابن عنبة «**عمدة الطالب في أنساب أبي طالب**»، المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٩٦١م.

٤٦ ـ أحمد (شمس الدين) بن محمد بن أبي بكر بن خلِّكان «**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**»، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٤٧ ـ أحمد ابن الحمصي «**حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران**»، تحقيق: عبدالعزيز فيَّاض حرفوش، دار النفائس، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٨ ـ أحمد ابن القاضي المكناسي «**جذوة الاقتباس في ذكر من حلَّ من الأعلام في مدينة فاس**»، دار المنصور للطباعة، الرباط، ط (بلا)، ١٩٧٣م.

٤٩ ـ أحمد آل فايع «**دور آل متحمي في مدّ نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها**»، د. ن. (بلا)، ط١، ٢٠٠٦م.

٥٠ ـ أحمد البديري الحلاق «حوادث دمشق اليومية ١١٥٤ ـ ١١٧٥هـ ١٧٤١ ـ ١٧٦٢م»، تحقيق: أحمد عزَّت عبدالكريم، مطبوعات الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، القاهرة، ط١، ١٩٥٩م.

٥١ ـ أحمد السباعي «تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٥٢ ـ أحمد أمين «قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية»، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

٥٣ ـ أحمد بن أحمد بن عبداللطيف الشرجي الزبيدي «طبقات الخواص أهل الصدق والإخلاص»، الدار اليمنية، ط١، ١٩٨٦م.

٥٤ ـ أحمد بن الخيَّاط الموصلي «ترجمة الأولياء في الموصل الحدباء»، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الجمهورية، الموصل، ط (بلا)، ١٩٦٦م.

٥٥ ـ أحمد بن حجر آل أبو طامي «الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٥٦ ـ أحمد بن خالد الناصري السلاوي «الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى»، دار الكتاب، الدار البيضاء، ط (بلا)، ١٩٩٧م.

٥٧ ـ أحمد بن زنبل الرمَّال «واقعة السلطان الغوري مع السلطان سليم»، تحقيق: عبدالعزيز جمال الدين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٤م.

٥٨ ـ أحمد بن عبدالرحمٰن العوين «علماء آل الشيخ».

٥٩ ـ أحمد بن علي بن دعيج «تاريخ ابن دعيج» منظومة لوصف حوادث حرب إبراهيم باشا على نجد، ضمن «خزانة التواريخ النجدية» لعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٦٠ ـ أحمد بن فضل الله العُمري «مسالك الأبصار في ممالك الأمصار»، تحقيق: دوروتيا كرافولسكي، المركز الإسلامي للبحوث، بيروت، ط (بلا)، ١٩٨٥م.

٦١ - أحمد بن محمد الحضراوي المكّيّ الهاشمي «نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر»، تحقيق: محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، ط (بلا)، ١٩٩٦م.

٦٢ - أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي «الفواكه العديدة في المسائل المفيدة»، شركة الطباعة العربية السعودية، ط٥، ١٩٨٧م.

٦٣ - أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي «تاريخ الشيخ أحمد المنقور»، تحقيق: عبدالعزيز الخويطر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٦٤ - أحمد بن محمد المنقور التميمي النجدي «جامع المناسك الثلاثة الحنبلية»، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٣٩٨هـ.

٦٥ - أحمد بن مشرَّف «ديوان ابن مشرَّف»، مكتبة الفلاح، الأحساء - السعودية، ط٤، ت (بلا).

٦٦ - أحمد زيني دحلان «خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام من زمن سيدنا النبي ﷺ إلى وقتنا هذا بالتمام»، مطبوعات أرض الحرمين، بلد النشر (بلا)، ط (بلا)، ت (بلا).

٦٧ - أحمد عزَّت عبدالكريم «تاريخ التعليم في مصر عصر محمد علي»، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١١م.

٦٨ - أحمد علي بن أسد الله الكاظمي «آل سعود»، دار الشبل، الرياض، ط٢، ١٩٩٤م.

٦٩ - أحمد مختار عمر «معجم اللغة العربية المعاصرة»، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٧٠ - أحمد وصفي زكريا «عشائر الشام»، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٣م.

٧١ - إدوارد جوان «مصر في القرن التاسع عشر؛ سيرة جامعة لحوادث ساكني الجنان محمد علي باشا وإبراهيم باشا والمغفور له سليمان باشا الفرنسي من الوجوه الحربية والسياسية والقصصية»، تعريب: محمد مسعود، د. ن. (بلا)، القاهرة، ط١، ١٩٢١م.

٧٢ ـ إدوارد وليم لين «القاهرة في منتصف القرن التاسع عشر»، ترجمة: أحمد سالم سالم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠١٧م.

٧٣ ـ إدوارد وليم لين «عادات المصريين المحدثين وتقاليدهم»، ترجمة: سهير دسوم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٩م.

٧٤ ـ إسماعيل (الميرلاي) سرهنك ناظر المدارس الحربية «حقائق الأخبار عن دول البحار»، تحقيق: عبدالوهاب بكر، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٩م.

٧٥ ـ إسماعيل باشا البغدادي «هدية العارفين عن أسماء المؤلفين والمصنفين»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٧٦ ـ إسماعيل باشا البغدادي «إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون»، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٧٧ ـ إسماعيل بن عمر ابن كثير «البداية والنهاية»، تحقيق: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار عالم الكتب، الرياض، ط٢، ٢٠٠٣م.

٧٨ ـ إسماعيل حقي جارشلي «أشراف مكة المكرمة وأمرائها في العهد العثماني»، ترجمه عن التركية: خليل علي مراد، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٧٩ ـ إلياس الأيوبي «محمد علي؛ سيرته وأعماله وآثاره»، مكتبة الآداب، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٢م.

٨٠ ـ الأمير حيدر بن أحمد الشهابي «الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان/المعروف بـ: لبنان في عهد الأمراء الشهابيين»، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط (بلا)، ١٩٣٣م.

٨١ ـ الأمير عمر طوسون «الجيش المصري البري والبحري»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٨٢ ـ أمين الحلواني «مختصر مطالع السُّعُود بطيب أخبار الوالي داوود»، بتعليقات: محبّ الدين الخطيب، اعتني بنشره: سليمان الخراشي، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٩م.

٨٣ ـ أمين الريحاني «تاريخ نجد الحديث»، دار الجيل، بيروت، ط. ت. (بلا).

٨٤ ـ أمين سامي باشا «تقويم النيل»، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٣٨م.

٨٥ ـ أمين سعيد «تاريخ الدولة السعودية»، دار الكاتب العربي، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٨٦ ـ آندرو كرايتون «تاريخ الوهابيين»، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٣٤هـ.

٨٧ ـ أوليا جلبي «سياحتنامه مصر»، ترجمة: محمد علي عوني، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٦م.

٨٨ ـ أيوب صبري باشا «مرآة جزيرة العرب»، ترجمة: أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٨٩ ـ البارون إدوارد نولده «رحلة إلى وسط الجزيرة العربية ١٣٠٩هـ/١٨٩٢م»، ترجمة: عماد الدين غانم، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠١٥م.

٩٠ ـ بكر عبدالله أبو زيد «طبقات النسَّابين»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م.

٩١ ـ التليلي العجيلي «صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٣١هـ.

٩٢ ـ توفيق الطويل «التصوف في مصر إبَّان العصر العثماني»، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، ط. ت. (بلا).

٩٣ ـ جار الله بن فهد الهاشمي المكي «الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان المشتهر بسليمان القانوني»، تحقيق: محمد سلامة العطوي، دار أروقة، عمَّان ـ الأردن، ط١، ٢٠١٨م.

٩٤ ـ جاكلين بيرين «اكتشاف جزيرة العرب؛ خمسة قرون من المغامرة والعلم»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٩٥ ـ جان جاك بيريبي «الخليج العربي»، ترجمة: نجدة هاجر وسعيد الغز، المكتب التجاري، بيروت، ط١، ١٩٥٩م.

٩٦ ـ جان ريمون «التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم»، ترجمة: خير الدين البقاعي، وتعليقات أبو عبدالرحمٰن بن عقيل الظاهري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٤هـ.

٩٧ ـ جبر بن سيَّار «نبذة في أنساب أهل نجد»، تحقيق: راشد بن عساكر، شفق للنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٩٨ ـ جعفر الخيَّاط «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة»، وزارة الإعلام العراقية، ط١، ١٩٧١م.

٩٩ ـ جلال الحنفي البغدادي «معجم اللغة العاميَّة البغدادية»، مطبعة أسعد، بغداد، ط (بلا)، ١٩٦٦م.

١٠٠ ـ جلال الدين السيوطي «تاريخ الخلفاء»، دار الفكر، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

١٠١ ـ جمال زكريا قاسم «تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر»، دار الفكر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.

١٠٢ ـ جمال زكريا قاسم «دولة البو سعيد في عمان وشرق أفريقيا»، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ط (بلا)، ٢٠٠٠م.

١٠٣ ـ جورج. ف. سادلير «رحلة إلى الجزيرة العربية»، ترجمة: عيسى أمين، وزارة الإعلام، مملكة البحرين، ط١، ٢٠٠٥م.

١٠٤ ـ جورجي زيدان «تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر». دار مكتبة الحياة، بيروت، ط٢، ت (بلا).

١٠٥ ـ جون ب. كيلي «بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠م»، ترجمة: محمد أمين عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، ط (بلا) ت (بلا).

١٠٦ ـ جوهان لودفيغ بوركهارت «رحلات إلى شبه الجزيرة العربية»، ترجمة: هتاف عبدالله، دار الانتشار العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٠٧ ـ جوهان لودفيغ بوركهارت «مواد لتاريخ الوهابيين»، ترجمة: عبدالله الصالح العثيمين، دار ومكان النشر (بلا)، ٢٠٠٣م.

١٠٨ ـ جيرالد دي غوري «حكام مكة»، ترجمة: محمد شهاب، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠م.

١٠٩ ـ جيمس بيلي فريزر «رحلة فريزر إلى بغداد سنة ١٨٣٤م»، ترجمة: جعفر الخياط، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

١١٠ ـ حافظ وهبة «جزيرة العرب في القرن العشرين»، د. ن (بلا)، ط٣، ١٩٥٦م.

١١١ ـ الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني «صفة جزيرة العرب»، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٩٩٠م.

١١٢ ـ الحسن بن أحمد عاكش الضَمَدي «الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني/المسمَّى: الذهب المسبوك فيمن ظهر في المخلاف السليماني من الملوك»، تحقيق: إسماعيل البشري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٤هـ.

١١٣ ـ حسن بن جمال بن أحمد الرِّيكي «لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب»، تحقيق: عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط ١، ١٤٢٦هـ.

١١٤ ـ الحسن بن عبدالله الأصفهاني «بلاد العرب»، تحقيق: حمد الجاسر وصالح العلي، دار اليمامة، الرياض، ط (بلا)، ت (بلا).

١١٥ ـ حسن عبدالوهاب «تاريخ المساجد الأثرية التي صلَّى فيها فريضة الجمعة حضرة صاحب الجلالة الملك الصالح فاروق الأول»، دار الكتب المصرية، ط (بلا)، ١٩٤٦م.

١١٦ ـ حسن علي الإبراهيم «الكويت دراسة سياسية»، مؤسسة دار العلوم، الكويت، ط٢، ١٩٨٠م.

١١٧ ـ حسين بن أبي بكر بن غنَّام «تاريخ بن غنَّام» المسمَّى في جزئه الأول «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام» وجزئه الثاني المسمَّى «الغزوات البيانية والفتوحات الربانية»، اعتنى به: سليمان الخراشي، دار الثلوثية، الرياض، ط١، ٢٠١٠م.

١١٨ ـ حسين بن عبدالرحمٰن الأهدل اليمني «كشف الغطاء عن حقائق التوحيد وعقائد الموحدين وذكر الأئمة الأشعريين ومن خالفهم من المبتدعين وبيان حال ابن عربي وأتباعه المارقين»، د.ن. (بلا)، ط. ت (بلا).

١١٩ - الحسين بن محمد الورثيلاني «نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار/الرحلة الورثيلانية»، مطبعة بيير بونتانا الشرقية، الجزائر، ط (بلا)، ١٩٠٨م.

١٢٠ - حسين بن مهدي النعمي «معارج الألباب في مناهج الحق والصواب»، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطابع الرياض، ط٢، ١٩٧٣م.

١٢١ - حسين خلف الشيخ خزعل «تاريخ الكويت السياسي»، مكتبة الهلال، بيروت، ط (بلا)، ١٩٦٢م.

١٢٢) حسين مجيب المصري «معجم الدولة العثمانية»، الدار الثقافية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤م.

١٢٣ - حسين مؤنس «الشرق الإسلامي في العصر الحديث»، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط (بلا)، ١٤١٣هـ.

١٢٤ - حمد (أبو سليمان) بن محمد الخطابي البستي «معالم السنن»، طبعه وصحَّحه: محمد راغب الطبَّاخ في مطبعته العلمية بحلب، ط١، ١٩٣٤م.

١٢٥ - حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/المنطقة الشرقية»، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٧٩م.

١٢٦ - حمد الجاسر «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/معجم مختصر»، دار اليمامة، الرياض، ط (بلا)، ت (بلا).

١٢٧ - حمد الجاسر «جمهرة أنساب الأسر المتحضِّرَة في نجد»، دار اليمامة، الرياض، ط٣، ٢٠٠١م.

١٢٨ - حمد الجاسر «مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٢هـ.

١٢٩ - حمد الجاسر في «معجم قبائل المملكة العربية السعودية»، النادي الأدبي في الرياض، ط١، ١٩٨١م.

١٣٠ - حمد السعيدان «الموسوعة الكويتية المختصرة»، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، ط١، ١٩٧٠م.

١٣١) حمد بن لعبون «تاريخ ابن لعبون»، ضمن «خزانة التواريخ النجدية»، جمع: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام.

١٣٢ ـ حمد بن لعبون «تاريخ حمد بن محمد بن لعبون الوائلي النجدي الحنبلي/الأنساب»، مكتبة المعارف، الطائف، ط٢، ١٤٠٨هـ.

١٣٣ ـ حمدان بن عثمان خوجة «المرآة»، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط (بلا)، ٢٠٠٦م.

١٣٤ ـ حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت «الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين»، تحقيق: عبدالمنعم عامر ومحمد مرسي عبدالله، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ط٥، ٢٠٠١م.

١٣٥ ـ خالد محمد الفرج «الخبر والعيان في تاريخ نجد»، تحقيق عبد الرحمٰن الشقير، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

١٣٦ ـ خليل بن أحمد الرجبي «تاريخ الوزير محمد علي باشا»، تحقيق: دانيال كريسليوس، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

١٣٧ ـ خير الدين الزركلي «الأعلام؛ قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين»، دار العلم للملايين، بيروت، ط ١٤، ١٩٩٩م.

١٣٨ ـ دارة الملك عبدالعزيز «الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٣٩ ـ دلال بنت مخلد الحربي «نساء شهيرات من نجد»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٩هـ.

١٤٠ ـ دومنغو باديا/علي باي العباسي «رحلة إسباني في الجزيرة العربية»، ترجمة: صالح السنيدي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٩هـ.

١٤١ ـ راشد الفرحان «مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والدول العربية»، مطبعة المدني، القاهرة، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

١٤٢ ـ الرحالة الإنجليزي جاكسون «مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٧٩٧م»، ترجمة: خالد فاروق عمر، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤٣ ـ رسول الكركوكلي «دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء»، ترجمه عن التركية: موسى كاظم نورس، مكتبة النهضة، بغداد، ط (بلا)، ت (بلا).

١٤٤ ـ رود لفوميكاكي «طرابلس الغرب تحت حكم أسرة القرمانلي»، ترجمة: طه فوزي، دار الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا، ط (بلا)، ت (بلا).

١٤٥ - ريتشارد بايلي وايندر «المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي»، راجع الترجمة وعلّق عليها: فهد السماري، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٣٤هـ.

١٤٦ - رينهارت دوزي المستشرق الهولندي «المعجم المفصَّل بأسماء الملابس عند العرب»، ترجمة: أكرم فاضل، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

١٤٧ - س. موستراس «المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية»، ترجمة: عصام محمد الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

١٤٨ - ساطع الحصري «البلاد العربية والدولة العثمانية»، معهد البحوث العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٧م

١٤٩ - سعاد ماهر محمد «مساجد مصر وأولياؤها الصالحون»، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

١٥٠ - سعد بن عبدالله الجنيدل «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية عالية نجد»، دار النشر (بلا)، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.

١٥١ - سعد بن عبدالله الجنيدل «معجم التراث والسلاح»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٧هـ.

١٥٢ - سلطان فالح الأصقه «إمارة الكويت في ظلِّ التنافس الدولي في عهد الشيخ مبارك الصباح»، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ٢٠١٤م.

١٥٣ - سليم جبرائيل الخوري وسليم ميخائيل شحادة «آثار الأدهار القسم التاريخي»، المطبعة السورية، ط١، ١٨٧٧م.

١٥٤ - سليمان بن سحمان «الأسنة الحِداد في ردّ شبهات علوي الحداد»، مطابع الرياض، ط٢، ١٣٧٦هـ.

١٥٥ - سليمان بن سحمان «الضياء الشارق في ردِّ شبهات الماذق المارق»، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط. ت. (بلا).

١٥٦ - سليمان بن سحمان «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية»، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٤٢هـ.

١٥٧ ـ سليمان بن سحمان «تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب والمين»، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٤٣هـ.

١٥٨ ـ سليمان بن سحمان «كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأفهام»، أضواء السلف، الرياض، ط١، ٢٠٠٥م.

١٥٩ ـ سليمان بن سحمان «منهاج أهل الحق والاتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع»، تحقيق: عبدالسلام بن برجس العبدالكريم، مكتبة الفرقان، عجمان ـ الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٤١٧هـ.

١٦٠ ـ سليمان بن صالح الخراشي وخالد بن أحمد الزهراني «دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حقائق علمية وشهادات منصفة»، دار سلف، السعودية، ط (بلا)، ١٤٣٩هـ.

١٦١ ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «التوضيح عن توحيد الخلَّاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٩٨٤م.

١٦٢ ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٦، ١٩٨٥م.

١٦٣ ـ سنت جون فيلبي «تاريخ نجد ودعوة محمد بن عبدالوهاب السلفية»، ترجمة: عمر الديراوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٦٤ ـ سهيل صابان «المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية»، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢١هـ.

١٦٥ ـ سهيل صابان «مداخل بعض أعلام الجزيرة العربية في الأرشيف العثماني»، مكتبة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٥هـ.

١٦٦ ـ السيِّد رجب حرَّاز «الدولة العثمانية وشبه جزيرة العرب»، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٧٠م.

١٦٧ ـ السير هارفرد جونز بريدجز «موجز لتاريخ الوهابي»، ترجمة: عويضة بن متيريك الجهني، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٦٨ ـ سيف مرزوق الشملان «من تاريخ الكويت» ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٦م.

١٦٩ ـ شارل هوبير «رحلة في الجزيرة العربية الوسطى ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢م، الحماد، شمَّر، القصيم، الحجاز»، ترجمة: أيسار سعادة، دار كتب، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

١٧٠ ـ الشرفي بن محمد الإسحافي «رحلة الوزير الإسحافي الحجازية»، تحقيق: محمد الأندلسي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، المملكة المغربية، ط١، ٢٠١٧م.

١٧١ ـ شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان»، تحقيق: علي حسن عبدالحميد، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

١٧٢ ـ شمس الدين ابن قيِّم الجوزية «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح»، تحقيق: زائد النشيري، دار عالم الفوائد، السعودية.

١٧٣ ـ شمس الدين محمد بن عبدالرحمٰن السخاوي «الضوء اللامع لأهل القرن التاسع»، دار الجيل، بيروت، ط. ت. (بلا).

١٧٤ ـ صالح بن فوزان الفوزان «إتحاف الأفاضل بشرح رسالة الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك» وهي من تأليف الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ٢٠١٢م.

١٧٥ ـ صالح بن فوزان الفوزان «فتح الولي الحميد في شرح كتاب الدرّ النضيد» وهي للإمام الشوكاني، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.

١٧٦ ـ صالح بن عبدالعزيز آل عثيمين «تسهيل السابلة لمريد معرفة الحنابلة»، تحقيق: بكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠١٨م.

١٧٧ ـ صالح سعداوي «مصطلحات التاريخ العثماني؛ معجم موسوعي مصوَّر»، دار الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ٢٠١٦م.

١٧٨ ـ صالح عبدالله العبود «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي»، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط٣، ١٩٩٦م.

١٧٩ ـ صلاح الدين المنجد «ولاة دمشق في العهد العثماني»، د. ن (بلا)، دمشق، ط (بلا)، ١٩٤٩م.

١٨٠ ـ صلاح العقاد «التيارات السياسية في الخليج العربي»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٧٤م.

١٨١ - ضاري بن فهيد الرشيد «نبذة تاريخية عن نجد» أملاها المؤلف، وكتبها: وديع البستاني، تحقيق: عبدالله العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

١٨٢ - الطاهر أحمد الزاوي «معجم البلدان الليبية»، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠١٨م.

١٨٣ - عاتق بن غيث البلادي «معجم معالم الحجاز»، دار مكة، مكة المكرمة، ط٢، ٢٠١٠م.

١٨٤ - عاتق بن غيث البلادي «معالم مكة التاريخ والأثرية»، دار مكة، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٨٣م.

١٨٥ - عائض بن خزام الروقي «حروب محمد علي في الشام وأثرها في شبه الجزيرة العربية ١٢٤٧/١٢٥٥هـ، ١٨٣١/١٨٣٩م»، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط (بلا)، ١٤١٤ هـ.

١٨٦ - عباس العزاوي «تاريخ العراق بين احتلالين»، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ط (بلا)، ١٩٥٥م.

١٨٧ - عبَّاس العزَّاوي «تاريخ العقيدة الإسلامية في العراق لِما بعد العهود العباسيَّة»، اعتنى به: عمر أحمد آل عباس، دار التوحيد، الرياض، ط١، ٢٠١١م.

١٨٨ - عباس العزَّاوي «ذكرى أبي الثناء الألوسي، عصره ومجتمعه وحياته العلمية والأدبية والتاريخية والسياسية ومؤلفاته»، شركة التجارة والطباعة، بغداد، ١٩٥٨م.

١٨٩ - عباس العزَّاوي «عشائر العراق»، مطبعة بغداد، بغداد، ط (بلا)، ١٩٣٧م.

١٩٠ - العباس بن إبراهيم السملالي «الإعلام بمن حلَّ مُرَّاكِشْ وأَغْمات من الأعلام»، المطبعة الملكية، الرباط، ط٢، ١٩٩٨م.

١٩١ - عبد العزيز البداح «حركة التصوف في الخليج العربي»، د. ن (بلا)، ط (بلا)، ١٤٣٦هـ.

١٩٢ - عبد الوهاب أحمد عبد الرحمٰن «الخليج العربي والمحرمات البريطانية الثلاث»، مركز زايد للتراث والتاريخ، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٤م.

١٩٣ ـ عبدالأول بن حمَّاد الأنصاري «**المجموع في ترجمة العلامة المحدِّث الشيخ حمَّاد بن محمَّد الأنصاري رحمه الله تعالى، سيرته وأقواله ورحلاته**»، الناشر: المؤلِّف، المدينة النبوية، ط١، ٢٠٠٢م.

١٩٤ ـ عبدالحسين الأميني النجفي «**شهداء الفضيلة**»، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

١٩٥ ـ عبدالحسين الكليدار آل طعمة سادن الروضة الحسينية «**بغية النبلاء في تاريخ كربلاء**»، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط (بلا)، ١٩٦٦م.

١٩٦ ـ عبدالحميد البطريق «**إبراهيم باشا في بلاد العرب**»، ضمن كتاب «**ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا ١٨٤٨ ـ ١٩٤٨م**»، مجموعة أبحاث ودراسات نشرتها الجمعية الملكية للدراسات التاريخية بمناسبة انقضاء مئة عام على وفاته، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٠م.

١٩٧ ـ عبدالحميد بِكْ نافع «**ذيل خطط المقريزي**»، تحقيق: خالد عزب ومحمد السيد حمدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

١٩٨ ـ عبدالحميد بن أبي زيَّان بن شنهو «**دخول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر**»، المجلس الشعبي، الجزائر، ط (بلا)، ت (بلا).

١٩٩ ـ عبدالحميد صالح حمدان «**تاريخ القبائل العربية في مصر**»، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٠٠ ـ عبدالحيّ بن أحمد بن محمد العكري الشهير بابن العماد الحنبلي «**شذرات الذهب في أخبار من ذهب**»، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط٢/٢٠١٦م.

٢٠١ ـ عبدالحيّ بن فخر الدين الحسيني «**الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، المسمَّى: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**»، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٢٠٢ ـ عبدالرحمٰن الأنصاري «**تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من الأنساب**»، تحقيق: محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ط١، ١٩٧٠م.

٢٠٣ ـ عبدالرحمٰن الرافعي **«تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم في مصر»**، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٧م.

٢٠٤ ـ عبدالرحمٰن الرافعي **«عصر محمد علي»**، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ١٩٨٩م.

٢٠٥ ـ عبدالرحمٰن العريني **«الإمام محمد بن سعود»**، الأمانة العامَّة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٢٠٦ ـ عبدالرحمٰن الكواكبي **«أم القرى»** ضمن **«المجموعة الكاملة لأعمال الكواكبي»**، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.

٢٠٧ ـ عبدالرحمٰن بن أحمد البهكلي **«نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود»** ومعه **«تكملة نفح العود»** للحسن بن أحمد عاكش، تحقيق: محمد أحمد العقيلي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٩٨٢م.

٢٠٨ ـ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ **«المقامات»** ضمن **«الدرر السنية»** الجزء الثاني عشر، د. ن (بلا)، ط٨، ٢٠١٢م.

٢٠٩ ـ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ **«المقامات»**، تحقيق: عبدالله بن محمد المطوَّع، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ٢٠٠٥م.

٢١٠ ـ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ **«فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»**، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٢١١ ـ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ **«قرَّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، حاشية على كتاب التوحيد»** بتعليقات الشيخ صالح الفوزان، الإمام الذهبي، الرياض، ط١، ٢٠١٨م.

٢١٢ ـ عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ **«كشف ما ألقاه إبليس من البَهْرَجِ والتَّلْبيس على قلب داوود بن جرجيس»**، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٢١٣ ـ عبدالرحمٰن بن حسن الجبرتي **«عجائب الآثار في التراجم والأخبار»**، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمٰن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٣م.

٢١٤ ـ عبدالرحمٰن بن خلدون «**العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**»، تحقيق: إبراهيم شبوح وإحسان عباس، الدار العربية للكتاب، تونس، ٢٠٠٦م.

٢١٥ ـ عبدالرحمٰن بن عبدالعزيز المانع «**معجم الكلمات الشعبية في نجد/منطقة الوشم**»، د. ن (بلا)، ط١، ١٤١٨هـ.

٢١٦ ـ عبدالرحمٰن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ «**مشاهير علماء نجد وغيرهم**»، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٢١٧ ـ عبدالرحمٰن بن قاسم بن محمد العاصمي «**الدرر السنية**»، د. ن (بلا)، ط٨، ٢٠١٢م.

٢١٨ ـ عبدالرحمٰن بن محمد بن زيدان السجلماسي «**إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**»، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٢١٩ ـ عبدالرحمٰن زكي «**التاريخ الحربي لعصر محمد علي الكبير**»، الجمعية الملكية للدراسات التاريخية، دار المعارف، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٠م.

٢٢٠ ـ عبدالرحيم عبدالرحمٰن عبدالرحيم «**الدولة السعودية الأولى**»، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط٦، ١٩٩٩م.

٢٢١ ـ عبدالرحيم عبدالرحمٰن عبدالرحيم «**محمد علي وشبه الجزيرة العربية**»، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٦م.

٢٢٢ ـ عبدالرزاق الكاشاني «**معجم اصطلاحات الصوفية**»، تحقيق: عبدالعال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٢٢٣ ـ عبدالرزاق بن حسن بن إبراهيم البيطار الدمشقي «**حِلْيَة البشر في تاريخ القرن الثالث عشر**»، تحقيق: محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٢٢٤ ـ عبدالستار (أبو الفيض) بن عبدالوهاب البكري الصديقي الهندي المكّي الحنفي «**فيض الملك الوهاب المتعالي بأنباء أوائل القرن الثالث عشر والتوالي**»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط٢، ٢٠٠٩م.

٢٢٥ ـ عبدالعزيز الرشيد «**تاريخ الكويت**»، بحواشي ابن المصنف: يعقوب عبد العزيز الرشيد، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط. ت (بلا).

٢٢٦ ـ عبدالعزيز الشناوي «الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها»، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٢م.

٢٢٧ ـ عبدالعزيز القاضي «العنيزية»، ضمن «خزانة التواريخ النجدية»، جمع: عبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٢٢٨ ـ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تعقيباته على كتاب «الدعوة الوهابية» لعبدالكريم الخطيب، دار الشروق، عمَّان ـ الأردن.

٢٢٩ ـ عبدالعزيز سليمان نوَّار «داوود باشا والي بغداد»، وزارة الثقافة ببغداد، ط (بلا)، ٢٠١٣م.

٢٣٠ ـ عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم «أمراء وغزاة، قصة الحدود والسيادة الإقليمية في الخليج العربي دراسة وثائقية»، دار الساقي، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٢٣١ ـ عبدالعزيز محمد العبد اللطيف «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، عرض ونقض»، دار طيبة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٨٩م.

٢٣٢ ـ عبدالعزيز محمد عوض «الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ ـ ١٩١٤م»، دار المعارف، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٦٩م.

٢٣٣ ـ عبدالعظيم عبدالسلام الفرجاني «قبائل العرب في مصر»، دار غريب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٧م.

٢٣٤ ـ عبدالغني بن إسماعيل النابلسي «الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٨٦م.

٢٣٥ ـ عبدالفتاح أبو علية «محاضرات في تاريخ الدولة السعودية الأولى»، دار المريخ، الرياض، ط (بلا)، ٢٠٠٢م.

٢٣٦ ـ عبدالقادر بن بدران «النفخة على النفحة والمنحة»، اعتنى بها: خالد الزهراني، دار سلف، الرياض، ط١، ٢٠١٨م.

٢٣٧ ـ عبدالقادر بن بدران «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال»، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٢٣٨ ـ عبدالقادر بن شيخ بن عبدالله العيدروس الهندي «النور السافر عن أخبار القرن العاشر»، تحقيق أحمد حالو ومحمود الأرناؤوط وأكرم البوشي، دار صادر، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢٣٩ ـ عبدالكريم بن عبدالله المنيف الوهبي «بنو خالد وعلاقتهم بنجد»، دار ثقيف، الرياض، ط١، ١٩٨٩م.

٢٤٠ ـ عبدالكريم محمود غرايبة «مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ ـ ١٩١٨م العراق والجزيرة العربية»، مطبعة جامعة دمشق، ط (بلا)، ١٩٦٠م.

٢٤١ ـ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «مصباح الظلام في الردِّ على من كذب على الشيخ الإمام ونَسَبَهُ إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام»، تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالله الزير آل حمد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ٢٠١٣م.

٢٤٢ ـ عبداللطيف بن عبدالرحمٰن بن حسن آل الشيخ «منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داوود بن جرجيس»، دار الهداية، الرياض، ط٢، ١٩٨٧م.

٢٤٣ ـ عبدالله (عفيف الدين) بن عبدالملك المرجاني «بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة النبي المختار»، تحقيق: محمد عبدالوهاب فضل، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٤٤ ـ عبدالله الصالح العثيمين «الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره»، دار العلوم، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٣م.

٢٤٥ ـ عبدالله الصالح العثيمين «العلاقات بين الدولة السعودية الأولى والكويت»، دار النشر (بلا)، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.

٢٤٦ ـ عبدالله الصالح العثيمين «تاريخ المملكة العربية السعودية»، الجزء الأول، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٤٧ ـ عبدالله العسكر «تاريخ اليمامة في صدر الإسلام محاولةٌ للفهم»، دار جداول، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٢٤٨ ـ عبدالله القصيمي «الثورة الوهابية»، دار الانتشار العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.

٢٤٩ ـ عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي اليمني المكي «مرآة الجنان وعِبرَة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٢٥٠ ـ عبدالله بن حسن باشا بن فضل باشا أمير ظفار العلوي الحسيني الحجازي «صدق الخبر في خوارج القرن الثاني عشر»، مطبعة كومين، اللاذقية ـ سورية، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٥١ ـ عبدالله بن خميس «المجاز بين اليمامة والحجاز»، دار اليمامة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٧٠م.

٢٥٢ ـ عبدالله بن خميس «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/معجم اليمامة»، د. ن (بلا)، ط١، ١٩٧٨م.

٢٥٣ ـ عبدالله بن خميس «راشد الخلاوي؛ حياته، شعره، حِكَمه، فلسفته، نوادره، حسابه الفلكي»، دار الخضرمة، الرياض، ط٦، ٢٠٠٢م.

٢٥٤ ـ عبدالله بن سعد بن محمد أبا حسين «تعدد الخلفاء في الزمن الواحد دراسة تاريخية عقدية»، دار قرطبة، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٢٥٥ ـ عبدالله بن سعود آل محمود «تحذير أهل الإيمان عمَّا تضمَّنته رسالة ابن فيروز من البهتان»، عني بها: سليمان الخراشي، دار الخزانة، الكويت، ط١، ٢٠١٧م.

٢٥٦ ـ عبدالله بن صالح المطوع «الجواهر واللآلي في تاريخ عُمان الشمالي» تحقيق: فالح حنظل، مطبوعات جمعة الماجد، دبي، ط١، ١٩٩٤م.

٢٥٧ ـ عبدالله بن صالح المطوَّع «عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان»، تحقيق: محمد بن سليمان الخضيري، د. ن (بلا)، ط (بلا)، ٢٠١٠م.

٢٥٨ ـ عبدالله بن عبدالرحمن البسَّام «علماء نجد خلال ثمانية قرون»، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢٥٩ ـ عبدالله بن عبدالظاهر المصري «الروضة البهيَّة الظاهرة في خطط المُعِزِّيَّة القاهرة»، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط١، ١٩٩٦م.

٢٦٠ ـ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ «التراجم المختارة للإمام عبدالله وأبنائه وبعض أحفاده»، دار القاسم، الرياض، ط (بلا)، ٢٠٠٧م.

٢٦١ ـ عبدالله بن محمد أبو داهش «أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الفكر والأدب بجنوبي الجزيرة العربية»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٢٦٢ ـ عبدالله بن محمد البسام «تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق»، تحقيق: إبراهيم الخالدي، شركة المختلف، الكويت، ط ١، ٢٠٠٠م.

٢٦٣ ـ عبدالله بن محمد العياشي «الرحلة العياشية»، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي، ط١، ٢٠٠٦م.

٢٦٤ ـ عبدالله بن محمد الغازي المكي «إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمَّى بإتمام الكلام»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٩م.

٢٦٥ ـ عبدالله بن محمد الغازي المكي «نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم أفاضل أهل مكة من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، المكتبة الأسدية، مكة المكرمة، ط١، ٢٠١٤م.

٢٦٦ ـ عبدالملك بن حسين العصامي المكي «سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٢٦٧ ـ عبدالملك بن محمد بن عبدالرحمٰن القاسم «العالم العابد الشيخ محمد بن عبدالرحمٰن بن قاسم». د. ن (بلا)، ت (بلا).

٢٦٨ ـ عبدالمنصف سالم نجم «قصور الأمراء والباشوات في مدينة القاهرة في القرن التاسع عشر»، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٦٩ ـ عبدالمنعم سيد عبدالعال «معجم الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية»، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

٢٧٠ ـ عبدالواحد محمد راغب دلال «البيان في تاريخ جازان وعسير ونجران»، د. ن. (بلا)، ط١، ١٩٩٥م.

٢٧١ ـ عبدالوهاب الشعراني «الطبقات الكبرى»، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٧٢ ـ عبدالوهاب الشعراني «لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدُّث بنعمة الله على الإطلاق/المعروف بالمنن الكبرى»، دار التقوى، دمشق، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٧٣ ـ عبدالوهاب بن عبدالرحمٰن البريهي السكسكي اليمني «طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريهي»، تحقيق: عبدالله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩٤م.

٢٧٤ ـ عبدالوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي «**تاريخ نجد**»، ضمن «**خزانة التواريخ النجدية**» لعبدالله بن عبدالرحمٰن البسَّام.

٢٧٥ ـ عثمان بن بشر «**عنوان المجد في تاريخ نجد**»، تحقيق وتعليق: عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، الجزء الأول ١٤٠٢هـ/الجزء الثاني ١٤٠٣هـ.

٢٧٦ ـ عثمان بن سند «**سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد**»، مطبعة البيان، بومبي (الهند)، ط (بلا)، ١٣١٥هـ.

٢٧٧ ـ عثمان بن سند «**مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داوود**»، تحقيق: عماد عبدالسلام رؤوف، الدار العبية للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٢٧٨ ـ علماء نجد الأعلام «**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية؛ فتاوى ورسائل علماء نجد الأعلام**»، مطبعة المنار، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٢٨م.

٢٧٩ ـ علوي بن أحمد بن حسن بن علوي الحدَّاد «**مصباح الأنام وجلاء الظلام في ردِّ شُبَه البدعي النجديّ التي أضلَّ بها العوام**»، المطبعة العامرة الشرقية، بلد النشر (بلا)، ط (بلا)، ١٣٢٥هـ.

٢٨٠ ـ علي (الشريف) بن محمد بن علي السيد الزين أبي الحسن الحسيني الجرجاني الحنفي «**التعريفات؛ معجم يشرح الألفاظ المُصطَلَح عليها بين الفقهاء والمتكلمين والنحاة والصَّرَفِيِّين والمفسرين وغيرهم**»، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٣٨م.

٢٨١ ـ علي (عزّ الدين) بن محمد الشهير بابن الأثير «**الكامل في التاريخ**»، دار صادر، بيروت، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٨٢ ـ علي (نور الدين) بن أحمد بن عمر السخاوي الحنفي «**تحفة الأحباب وبغية الطلاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات**»، مطبعة العلوم والآداب، القاهرة، ط١، ١٩٣٧م.

٢٨٣ ـ علي إبراهيم الحربي «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/منطقة عسير**»، نادي أبها الأدبي، أبها، ط (بلا)، ١٤١٧هـ.

٢٨٤ ـ علي الوردي «**لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث**»، دار الورَّاق، بيروت، ط٣، ٢٠٠٧م.

٢٨٥ ـ علي باشا مبارك «**الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة**»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٨م.

٢٨٦ ـ علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي «**جمهرة أنساب العرب**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (بلا)، ١٩٩٨م.

٢٨٧ ـ علي بن بخيت الزهراني «**الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين وآثارهما على حياة الأمة**»، دار طيبة، مكة المكرمة، ط٢، ١٩٩٨م.

٢٨٨ ـ علي بن تاج الدين السنجاري «**منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم**»، الجزء الرابع، تحقيق: ماجدة فيصل زكريا، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٩٩٨م.

٢٨٩ ـ علي بن شايخ البكري الشهري «**محمد بن دهمان الشهري ودوره في بسط نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى بلاد بني شهر**»، مطابع أضواء المنتدى، السعودية، ط١، ٢٠١٢م.

٢٩٠ ـ علي بن لالي بالي المعروف بِمِنق «**العقد المنظوم في ذكر أفاضل الروم**»، ملحقٌ بكتاب «**الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية**» لعصام الدين أحمد طشكبري زاده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٢٩١ ـ علي صالح السلوك الزهراني «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية/بلاد غامد وزهران**»، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٩٨١م.

٢٩٢ ـ عمر الإسكندري وسليم حسن «**تاريخ مصر من الفتح العثماني إلى قُبَيل الوقت الحاضر**»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

٢٩٣ ـ عمر بن مظفر الشهير بابن الورديَ «**تاريخ ابن الوردي**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٢٩٤ ـ عويضة بن متيريك الجهني «**نجد قبل الوهابية، الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية إبان القرون الثلاثة التي سبقت الحركة الوهابية**»، ترجمة: إحسان زكي، جسور للترجمة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.

٢٩٥ ـ فاطمة القحطاني «**حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها**»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ٢٠١٠م.

٢٩٦ ـ فتحي حافظ الحديدي «التطوّر العمراني لشوارع مدينة القاهرة من البدايات حتى القرن الحادي والعشرين»، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط١، ٢٠١٤م.

٢٩٧ ـ فؤاد سعيد العابد «سياسة بريطانيا في الخليج خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر»، ذات السلاسل، الكويت، ط (بلا)، ١٩٨١م.

٢٩٨ ـ فيلكس مانجان «تاريخ الدولة السعودية الأولى»، ترجمة: خير الدين البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٤هـ.

٢٩٩ ـ فيليب حَتّي «تاريخ العرب»، دار الكشاف، بيروت، ط (بلا)، ١٩٤٩م.

٣٠٠ ـ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام»، المكتبة التجارية، مكة المكرمة، ط (بلا)، ١٩٩٦م.

٣٠١ ـ قطب الدين محمد بن أحمد النهروالي «البرق اليماني في الفتح العثماني/أو غزوات الجراكسة والأتراك في جنوب الجزيرة»، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٦٧م.

٣٠٢ ـ ك. أ. كريزويل «وصف قلعة الجبل»، ترجمة: جمال محمد محرز، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٧٤م.

٣٠٣ ـ كامل البالي الحلبي الغزّي «نهر الذهب في تاريخ حلب»، دار القلم العربي، حلب، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٠٤ ـ كريستيان سنوك هورخرونيه «صفحات من تاريخ مكة المكرمة»، ترجمة: علي عودة الشيوخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٠٥ ـ لطف الله بن أحمد جَحَّاف «درر نحور الحور العِين بسيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين»، تحقيق: إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٠٦ ـ لوثورب ستودارد «حاضر العالم الإسلامي»، بتعليقات الأمير شكيب أرسلان، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٣٩١هـ.

٣٠٧ ـ لويس ألكسندر دو كرانسييه «تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى ١٨٠٩م»، ترجمة: محمد خير الدين البقاعي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٦هـ.

٣٠٨ ـ محمد (تقي الدين) بن أحمد الحسني الفاسي المكي «**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**»، تحقيق: فؤاد سيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

٣٠٩ ـ محمد (تقي الدين) بن أحمد الحسني الفاسي المكي «**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**»، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٨م.

٣١٠ ـ محمد (جمال الدين) بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري «**لسان العرب**»، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣١١ ـ محمد (شمس الدين) بن أحمد بن عثمان الذهبي «**العبر في خبر من غَبَر**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

٣١٢ ـ محمد (شمس الدين) بن أحمد بن عثمان الذهبي «**سير أعلام النبلاء**»، تحقيق: بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٣١٣ ـ محمد (شمس الدين) بن أحمد بن عثمان الذهبي «**ميزان الاعتدال في نقد الرجال**»، تحقيق: علي البجاوي، دار المعرفة، بيروت، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

٣١٤ ـ محمد (نجم الدين) بن محمد الغزّي «**الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

٣١٥ ـ محمد أحمد العقيلي «**المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية ـ مقاطعة جازان/المخلاف السليماني**»، دار اليمامة، الرياض، ط٢، ١٩٧٩م

٣١٦ ـ محمد أحمد العقيلي «**تاريخ المخلاف السليماني**»، مطابع الوليد، السعودية، ط٢، ١٩٨٩م.

٣١٧ ـ محمد أحمد دهمان «**معجم المصطلحات التاريخية في العصر المملوكي**»، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

٣١٨ ـ محمد أديب غالب «**من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي**»، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٩٧٥م.

٣١٩ ـ محمد آل عبد القادر الأحسائي «**تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد**»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٩هـ.

٣٢٠ ـ محمد الأمين (السيِّد) «**الحصون المنيعة في ردّ ما أورده صاحب المنار في حقّ الشيعة**»، دار الزهراء، بيروت، ط (بلا)، ت. ن. (بلا).

٣٢١ ـ محمد البسَّام التميمي النجدي «**الدرر المفاخر في أخبار العرب الأوائل والأواخر**»، تحقيق: سعود غانم الجمران العجمي، د. ن. (بلا)، الكويت، ط١، ١٩٨١م.

٣٢٢ ـ محمد الخضر الجكني الشنقيطي «**مشتهى الخارف الجاني في ردّ زلقات التجاني الجاني**»، دار البشير، عمَّان ـ الأردن، ط٢، ١٩٩٣م.

٣٢٣ ـ محمد السنوسي «**الرحلة الحجازية**»، تحقيق: علي الشنوفي، الشركة التونسية، تونس، ط (بلا)، ١٣٩٦هـ.

٣٢٤ ـ محمد الشتاوي «**متنزهات القاهرة في العصرين المملوكي والعثماني**»، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م.

٣٢٥ ـ محمد الصغير الإفراني «**نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**»، تحقيق: عبداللطيف الشادلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٨م.

٣٢٦ ـ **محمد أمان بن علي الجامي** «**مجموع رسائل الجامي في العقيدة والسنَّة**»، دار المنهاج، القاهرة، ط١، ٢٠١٣م.

٣٢٧ ـ محمد أمين بن فضل الله المُحبّي الحنفي «**خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

٣٢٨ ـ محمد بشير السهسواني الهندي «**صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان**»، د. ن (بلا)، ط٥، ١٩٧٥م.

٣٢٩ ـ محمد بن إبراهيم بن زين العابدين الحفظي «**نفحات من عسير**»، د. ن (بلا)، ط (بلا)، ١٩٧٤م.

٣٣٠ ـ محمد بن أبي بكر الشلِّي «**السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر**»، تحقيق: إبراهيم المقحفي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط ١، ١٤٢٥هـ

٣٣١ ـ محمد بن أبي بكر الشلِّي «**عقد الجواهر والدرر في أخبار القرن الحادي عشر**»، تحقيق: عبدالرحمن سليمان المزيني وراشد سعد القحطاني، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١، ٢٠١٤م.

٣٣٢ ـ محمد بن أحمد المالكي المكي المعروف بالصبَّاغ «تحصيل المرام في أخبار البيت الحرام والمشاعر العظام ومكة والحرم وولاتها الفخام»، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٣٣ ـ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٤م.

٣٣٤ ـ محمد بن أحمد بن عبدالقادر الحفظي «اللجام المكين والزمام المتين»، تحقيق: عبدالله محمد أبو داهش، د. ن. (بلا)، ط١، ١٩٨٥م.

٣٣٥ ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، مكتبة الإمام الوادعي، صعدة ـ اليمن، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٣٦ ـ محمد بن إسماعيل الصنعاني «ديوان الأمير الصنعاني»، مطبعة المدني، القاهرة، ط (بلا)، ت (بلا).

٣٣٧ ـ محمد الصغير الإفراني «صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر»، تحقيق: عبدالمجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٣٨ ـ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي «الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي»، دار المعارف، الرباط، ط (بلا)، ١٣٤٠هـ.

٣٣٩ ـ محمد بن حمد بن عبَّاد العوسجي «تاريخ بن عبَّاد»، تحقيق: عبدالله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٤٠ ـ محمد بن خليل بن غلبون الطرابلسي «التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار»، عني به وعلَّق عليه: الطاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ططا، ٢٠٠٤م.

٣٤١ ـ محمد بن ربيعة «تاريخ ابن ربيعة»، تحقيق: عبدالله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٤٢ ـ محمد بن سالم البيحاني «أشعة الأنوار على مرويات الأخبار»، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٤٣ ـ محمد بن سليمان الخضيري «**الدولة السعودية الأولى والدولة العثمانية؛ دور الأحساء والعراق في استراتيجية الدولتين**»، دار الصولتية، الرياض، ط (بلا)، ١٤٢٠هـ.

٣٤٤ ـ محمد بن عبدالرحمٰن بن عفالق الحنبلي الأحسائي «**تهكّم المقلدين في مدَّعي تجديد الدين**»، منشورة على الشبكة العنكبوتية بلا بيانات نشر أو طبع.

٣٤٥ ـ **محمد بن عبدالرحمٰن بن محمد بن قاسم العاصمي «فتاوى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ مفتي المملكة ورئيس القضاة والشؤون الإسلامية»**، مطبعة الحكومة بمكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ.

٣٤٦ ـ محمد بن عبدالسلام الناصري «**الرحلة الناصرية الكبرى**»، تحقيق: المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف الإسلامية، بالمملكة المغربية، ط١، ٢٠١٣م.

٣٤٧ ـ محمد بن عبدالله ابن بطُّوطة «**تحفة النُّظَّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**»، دار إحياء العلوم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

٣٤٨ ـ محمد بن عبدالله بن حميد النجدي ثمَّ المكي «**السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**»، تحقيق: عبدالرحمٰن العثيمين وبكر أبو زيد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٣٤٩ ـ محمد بن عبدالله بن يوسف «**تاريخ ابن يوسف**»، تحقيق: عويضة بن متيريك الجهني، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٥٠ ـ محمد بن عبدالوهاب «**مسائل الجاهلية**»، مع شرحها للشيخ صالح بن فوزان الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ٢٠٠١م.

٣٥١ ـ **محمد بن عثمان الشاوي «القول الأسدُّ في الردِّ على الخصم الألدّ»**، عني بنشره: سليمان الخراشي، دار التدمرية، الرياض، ط١، ٢٠٠٤م.

٣٥٢ ـ محمد بن علي الشوكاني «**البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

٣٥٣ ـ محمد بن علي الشوكاني «**الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد**»، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٥٤ ـ محمد بن علي الشوكاني «الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني»، تحقيق: محمد صبحي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط (بلا)، ت (بلا).

٣٥٥ ـ محمد بن علي الشوكاني «شرح الصدور بتحريم رفع القبور»، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط١، ٢٠١١م.

٣٥٦ ـ محمد بن علي بن أحمد بن طولون؛ الجزء الأول المسمَّى «مفاكهة الخلان في حوادث الزمان»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م. والجزء الثاني المسمَّى «تاريخ الشام في مطلع العهد العثماني»، تحقيق أحمد أيبش، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث، ط١، ٢٠١٠م.

٣٥٧ ـ محمد بن عمر الطيب با فقيه «تاريخ الشَّحَرْ وأخبار القرن العاشر»، تحقيق: عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٥٨ ـ محمد بن عمر الفاخري «تاريخ الفاخري»، تحقيق: عبدالله الشبل، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٣٥٩ ـ محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي «سنن الترمذي وهو الجامع الكبير»، دار التأصيل، القاهرة، ط٢، ٢٠١٦م.

٣٦٠ ـ محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية»، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.

٣٦١ ـ محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني اليمني الصنعاني «نيل الوطر من تراجم اليمن في القرن الثالث عشر»، د. ن (بلا)، ط. ت (بلا).

٣٦٢ ـ محمد بن ناصر العبودي «الأمثال العامية في نجد»، دار الثلوثية، الرياض، ط٢، ٢٠١٠م.

٣٦٣ ـ محمد بن ناصر العبودي «معجم بلاد القصيم»، دار الثلوثية، الرياض، ط٣، ٢٠١٦م..

٣٦٤ ـ محمد بن ناصر العبودي «معجم غرائب الألفاظ النجدية ذوات الأصول الدخيلة»، دار الثلوثية، الرياض، ط١، ٢٠١٦م.

٣٦٥ ـ محمد بن يوسف بن يعقوب الجَنَدي السكسكي الكِندي «السلوك في طبقات العلماء والملوك»، تحقيق: محمد علي الأكوع، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط٢، ١٩٩٥م.

٣٦٦ ـ محمد حامد الفقي «أثر الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمران في جزيرة العرب وغيرها»، د. ن. (بلا)، ط (بلا)، ١٣٥٤هـ.

٣٦٧ ـ محمد حسام الدين إسماعيل «مدينة القاهرة من ولاية محمد علي إلى إسماعيل ١٨٠٥ ـ ١٨٧٩م»، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م.

٣٦٨ ـ محمد حمزة الحدَّاد «قرافة القاهرة من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر المملوكي»، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠٦م.

٣٦٩ ـ محمد خليل المرادي «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر»، تحقيق: أكرم حسن العلبي، دار صادر، بيروت، ط٣، ٢٠١٢م.

٣٧٠ ـ محمد رشيد رضا «الوهابيون والحجاز»، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٤٤هـ.

٣٧١ ـ محمد رمزي «القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٤م.

٣٧٢ ـ محمد سعيد الراوي البغدادي «تاريخ الأسر العلمية في بغداد»، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٧م.

٣٧٣ ـ محمد شفيق غربال «محمد علي الكبير»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠١٠م.

٣٧٤ ـ محمد شكري نعمة «دليل الأستانة»، مطبعة جرجي غرزوزي، الإسكندرية، ط (بلا)، ١٩٠٩م.

٣٧٥ ـ محمد صبري «مصر في أفريقيا الشرقية/هرر وزيلع وبربرة»، مطبعة مصر ومكتبتها، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٣٩م.

٣٧٦ ـ محمد عبدالجواد القاياتي «نفحة البشام في رحلة الشام»، دار الرائد العربي، بيروت، ط (بلا)، ١٩٨١م.

٣٧٧ ـ محمد عبدالرؤوف المناوي «الكواكب الدريَّة في تراجم السادة الصوفية»، تحقيق: محمد أديب الجادر، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٣٧٨ ـ محمد علي الأنسي «الدراري اللامعات في منتخبات اللغات، يحتوي على الكلمات التركية والفارسية والإفرنجية المتداولة في اللغة العثمانية»، د. ن (بلا)، ط. ت (بلا).

٣٧٩ ـ محمد عمر رفيع «في ربوع عسير ذكريات وتاريخ»، دار العهد الجديد للطباعة، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٤م.

٣٨٠ ـ محمد فريد بِك «البهجة التوفيقية في تاريخ مؤسس العائلة الخديوية»، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.

٣٨١ ـ محمد كرد علي «المذكرات»، مطبعة الترقي، دمشق، ط (بلا)، ١٩٤٨م.

٣٨٢ ـ محمد كرد علي «خطط الشام»، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٣٨٣ ـ محمد ناصر الدين الألباني «صحيح الجامع الصغير وزيادته»، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٩٨٨م.

٣٨٤ ـ محمد هادي البكري العجيلي «الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين»، تحقيق: عبدالله محمد أبو داهش، د. ن. (بلا)، ط. ت. (بلا).

٣٨٥ ـ محمود شكري الآلوسي «المسك الأذفر»، مطبعة الآداب، بغداد، ط (بلا)، ١٩٣٠م.

٣٨٦ ـ محمود شكري الآلوسي «تاريخ نجد»، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط (بلا) ت. ن. (بلا).

٣٨٧ ـ محمود شكري الألوسي «فتح المنَّان تَتِمَّة منهاج التأسيس ردُّ صلح الإخوان»، عني به: عمر أحمد آل عباس، دار التوحيد للنشر، الرياض، ط١، ٢٠٠٩م.

٣٨٨ ـ محمود فهمي المهندس «البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر»، تحقيق: لطيفة محمد سالم، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط (بلا)، ١٤٢٨هـ.

٣٨٩ ـ محمود محمد شاكر «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا»، طبعت في صدر كتاب «المتنبي»، دار المدني، جدة، ط (بلا)، ١٤٠٧هـ.

٣٩٠ ـ مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي «نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين»، تحقيق: عبدالله محمد الكندري، دار النوادر، ط١، ٢٠١٢م.

٣٩١ ـ المستر جورج يانج «تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل»، تعريب: على أحمد شكري، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٦م.

٣٩٢ ـ المستر ستيفن هيمسلي لونكريك «أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث»، ترجمة: جعفر الخياط، دار الرافدين، بيروت، ط٥، ٢٠٠٤م.

٣٩٣ ـ المستشرق زامباور «معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي»، ترجمة: زكي محمد حسن بك وزملائه، دار الرائد العربي، بيروت، ط (بلا)، ١٤٠٠هـ.

٣٩٤ ـ مسعود الندوي «محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه»، ترجمة: عبدالعليم البستوي، وزارة الشؤون والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط (بلا)، ١٤٢٠هـ.

٣٩٥ ـ أحمد مصطفى أبو حاكمة «تاريخ الكويت الحديث»، ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.

٣٩٦ ـ مصطفى الخطيب «معجم المصطلحات والألقاب التاريخية»، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣٩٧ ـ مقبل الذكير «مطالع السعود في تاريخ نجد وآل سعود»، ضمن «خزانة التواريخ النجدية» لعبدالله بن عبدالرحمٰن البسام.

٣٩٨ ـ الملا علي بن سلطان القاري «الرد على القائلين بوحدة الوجود»، تحقيق: علي رضا، دار المأمون، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.

٣٩٩ ـ منير العجلاني «تاريخ البلاد العربية السعودية»، د. ن (بلا)، ط٢، ١٩٩٣م.

٤٠٠ ـ موسى (شرف الدين) بن أحمد بن موسى بن سالم أبو النجا الحجَّاوي المقدسي «الإقناع لطالب الانتفاع»، تحقيق: عبدالله عبدالمحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات بدار هجر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ط (بلا)، ١٩٩٩م.

٤٠١ ـ مؤلف مجهول «كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب»، تحقيق: عبدالله العثيمين، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٩٨٣م.

٤٠٢ ـ مي عبدالعزيز العيسى «الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى»، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط (بلا)، ١٤١٧هـ.

٤٠٣ ـ ميخائيل جرجس مشاقة الطبيب «مشهد العيان بحوادث سورية ولبنان»، دار مكتبة بيبليون، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.

٤٠٤ ـ ميخائيل الدمشقي «تاريخ حوادث الشام ولبنان أو تاريخ ميخائيل الدمشقي»، تحقيق: غسان سبانو، دار قتيبة، دمشق، ط٢، ١٩٨٢م.

٤٠٥ ـ ناصر خسرو علوي «سفرنامة»، ترجمة: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٢، ١٩٩٣م.

٤٠٦ ـ نزار أباظة ومحمد المالح «إتمام الأعلام»، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٢٤هـ

٤٠٧ ـ نور الدين السالمي «تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان»، مكتبة السالمي، عُمَان، ط. ت (بلا).

٤٠٨ ـ هـ. آرمسترونج «الذئب الأغبر مصطفى كمال»، دار الهلال، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٥٢م.

٤٠٩ ـ هارولد ر. ب. ديكسون «الكويت وجاراتها»، دار الحكمة، لندن، ط٢، ٢٠١٧م.

٤١٠ ـ هاشم بن سعيد النّعمي «تاريخ عسير في الماضي والحاضر»، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مئة عام على تأسيس المملكة، الرياض، ١٩٩٩م.

٤١١ ـ وليم جيفورد بالجريف «وسط الجزيرة العربية وشرقها»، ترجمة: صبري محمد حسن، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط (بلا)، ٢٠٠١م.

٤١٢ ـ ياسين بن خير الله العُمري الموصلي «غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر»، تعليق: يوسف عزّ الدين السيد، دار الوراق، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٤١٣ ـ ياسين بن خير الله العُمري الموصلي «منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء»، تحقيق: سعيد الديوه جي، مطبعة الهدف، الموصل، ط (بلا)، ١٩٥٥م.

٤١٤ ـ ياقوت الحموي «معجم البلدان»، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧هـ

٤١٥ ـ يعقوب سركيس «مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار وخطط بغداد»، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ط (بلا)، ١٩٤٨م.

٤١٦ ـ يلماز أزتونا «تاريخ الدولة العثمانية»، ترجمة عدنان سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ط (بلا)، ١٩٨٨م.

٤١٧ ـ يوسف (جمال الدين أبي المحاسن» بن تغري بردي الأتابكي «حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور»، تحقيق: محمد كمال الدين، عالم الكتب، ١٩٩٠م.

٤١٨ ـ يوسف (جمال الدين أبي المحاسن) بن تغري بردي الأتابكي «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م.

٤١٩ ـ يوسف الملواني الشهير بابن الوكيل «تحفة الأحباب بمن ولي مصر من الملوك والنوَّاب»، تحقيق: عبدالرحيم عبدالرحمٰن، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ط (بلا)، ١٩٩٨م.

٤٢٠ ـ يوسف عز الدين «داوود باشا ونهاية المماليك في العراق»، منشورات دار البصري، بغداد، ط (بلا)، ١٩٦٧م.

الدوريات والمجلات العلمية:

٤٢١ ـ الأمير شكيب أرسلان «عدوٌّ عاقلٌ لكنَّه شديد الخطر: سنوك هورغرونجه»، «مجلة الفتح» المصرية، العدد ٢٤٣، السنة الخامسة، ٢٩ شوَّال ١٣٤٩ه.

٤٢٢ ـ بسمة عبداللطيف «العثمانية الجديدة في ضوء التطورات الإقليمية الراهنة»، مجلة شؤون تركية، العدد١، صيف ٢٠١٥م.

٤٢٣ ـ تقرير بعنوان «مسجد عكاش شاهدٌ على تاريخ جُدَّة» عن صحيفة الشرق الأوسط (السعودية) بتاريخ: ٢١ ذو القعدة ١٤٣٤هـ/٢٦ سبتمبر ٢٠١٣م.

٤٢٤ ـ جمال زكريا قاسم «موقف الكويت من التوسّع السعودي في نجد وسواحل الأحساء»، «المجلة التاريخية المصرية» المجلد ١٠، السنة ١٩٧٠م.

٤٢٥ ـ حمد الجاسر «المرأة في حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م.

٤٢٦ ـ خبر وفاة الشيخ عبدالقادر بن بدران، وَرَدَ في «مجلة الفتح» المصرية، العدد ٦٧، السنة الثانية، ٢٥ ربيع الآخر ١٣٤٦هـ.

٤٢٧ ـ سعد صادق محمد «رجلٌ عظيم»، «مجلة الهدي النبوي»، المجلد ٢٣، العدد: ٩، شهر رمضان ١٣٧٨هـ

٤٢٨ ـ سلطان فالح الأصقه «**الخليج العربي في السياسة البريطانية بين نظرية القشرة الواقية للهند والبحيرة المغلقة**»، نُشِرَ في سلسلة مداولات اللقاء السنوي السادس عشر لجمعية التاريخ والآثار بمجلس التعاون لدول الخليج العربية. ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ/ ٢٤ أبريل ٢٠١٥م.

٤٢٩ ـ سليمان الدخيل «**سوق الشيوخ**»، «**مجلة لغة العرب**» ج١، السنة ٢: محرم ١٣٣١هـ/كانون أول ١٩١٢م.

٤٣٠ ـ سليمان بن صالح آل دخيّل «**تحفة الألبا في تاريخ الأحساء**» ضمن «**مجلة العرب**» ج٥ ـ ٦، السنة ١٠، ذو القعدة والحجَّة ١٣٩٥هـ/نوفمبر وديسمبر ١٩٧٥م.

٤٣١ ـ السيد أحمد مرسي عباس «**حقائق جديدة عن حرب الدرعية وهل اشترك فيها الجنود المصريون حقاً؟**»، «**مجلَّة الدراة**» العدد٣، ١٣٩٧هـ.

٤٣٢ ـ **الشيخ علي بن حسين ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب** «**منظومة وقعة الدرعية**» نشرها سليمان الخراشي في «**مجلة الدرعية**» العددان ٤٩ ـ ٥٠، بتاريخ ربيع أول ـ جمادى الآخرة ١٤٣١هـ/مارس ـ يونيو ٢٠١٠م.

٤٣٣ ـ **عبدالحكيم العواد** «**أماكن يُتَبَرَّك بها في الدرعية قبل ظهور الدعوة السلفية**»، صحيفة الجزيرة السعودية، العدد ١٢٥٨٢، الأحد ٢١ صفر ١٤٢٨ه/١١ مارس ٢٠٠٧م.

٤٣٤ ـ عبدالحميد بن باديس، مقال بعنوان «**وهابي**»، «**مجلة الصراط السويّ**»، ٤ رجب ١٣٥٢ه/٢٥ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥.

٤٣٥ ـ عبدالرحمٰن الوكيل وآخرون، عدد مخصّص بمناسبة وفاة الشيخ محمد حامد الفقي، نُشِرَ في «**مجلة الهدي النبوي**»، المجلد ٢٣، العدد: ٧ ـ ٨، رجب وشعبان ١٣٧٨هـ.

٤٣٦ ـ عبدالعزيز الرشيد «**الافتراء على أهل نجد**»، جريدة «**التوحيد**» لعبدالعزيز الرشيد، تصدر في جاوة ـ أندونيسيا، ٥ ذي القعدة ١٣٥١هـ/١ مارس ١٩٣٣م.

٤٣٧ ـ عبداللطيف الحميدان «**إمارة العصفوريين ودورها السياسي في تاريخ شرق الجزيرة**»، «**مجلة العرب**» ج١، السنة٢، رجب وشعبان ١٤٠٠هـ/مايو ويونيو ١٩٨٠م.

٤٣٨ ـ عبدالله الحقيل «علاقة نجد بالشام من ١١٥٧هـ إلى ١٢٢٥هـ»، «مجلة الدارة»، العدد ٤، سنة ١٤٠٢هـ.

٤٣٩ ـ عبدالله الشبل «من تاريخ اليمامة: الدولة الأخيضرية»، «مجلة كليَّة اللغة العربية والعلوم الاجتماعية/جامعة الإمام محمد بن سعود» العدد: ٦، السنة: ١٩٧٦م.

٤٤٠ ـ عبدالله الصالح العثيمين «نجد منذ القرن العاشر حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، «مجلة الدارة»، العدد١، سنة٢.

٤٤١ ـ عبدالله بن خميس «الدرعية معالم وأطلال»، «مجلة الدارة»، العدد١، ربيع أول ١٣٩٥هـ/مارس ١٩٧٥م.

٤٤٢ ـ عبدالله بن خميس؛ ردّه على عبدالرحمٰن بن عبداللطيف آل الشيخ في بحث نشره ابن خميس بعنوان «التحقيق والتعليق على تاريخ ابن بشر للشيخ عبدالرحمٰن آل الشيخ»، «مجلة العرب» ج٣ ـ ٤، السنة الخامسة، رمضان وشوال ١٤٠٠هـ يوليو وأغسطس ١٩٨٠م.

٤٤٣ ـ عبدالله بن محمد أبو داهش «الشيخ محمد بن أحمد الحفظي من أعلام الدعوة الإصلاحية السلفية»، «مجلة العرب»، ج١ ـ ٢، رجب/شعبان ١٤٠٧هـ ـ مارس/أبريل ١٩٨٧م.

٤٤٤ ـ فهد الدامغ «التاريخ السياسي لبلاد اليمامة منذ سقوط دولة الأخيضريين حتَّى قيام الدرعية»، «مجلة الدرعية»، المجلد ٨، العدد ٣٢، يناير ٢٠٠٦م.

٤٤٥ ـ كاتب مجهول «حوليات تاريخية مختصرة حول قيام الدولة السعودية الأولى ١١٥٧ ـ ١٢٣٣هـ في بعض بلدان عسير/بلاد السروات»، حولية مخطوطة نشرها: عبدالله بن محمد أبو داهش في «حوليات سوق حباشة» العدد ١٦، السنة ١٦، ٢٠١٠م.

٤٤٦ ـ محمد (كمال الدين) الغزّي رسالة «الورد الإنسي والوارد القدسي في ترجمة العارف بالله عبدالغني النابلسي» منشورة في «مجلة التراث العربي» سنة ١٩٨٣م.

٤٤٧ ـ محمد السعيد الزاهري «الوهابيون سنيُّون حنابلة»، «مجلة الصراط السويّ»، بتاريخ ٢٦ جمادى الثانية ١٣٥٢ه/١٦ أكتوبر ١٩٣٣م، العدد ٥.

٤٤٨ ـ محمد بن سعد الشويعر «مخطوط عقود الجمان في أيام آل سعود في عمان» «مجلة الدارة»، العدد الثاني، السنة ١١، محرَّم ١٤٠٦هـ/سبتمبر ١٩٨٥م.

٤٤٩ ـ مقال «قصر الأخيضر ورأي العلامة الآلوسي فيه» منشور في «مجلة لغة العرب»، ج٢: شعبان ١٣٣٠هـ/آب ١٩١٢م.

٤٥٠ ـ يوسف شلحد «رحلة إلى الدرعية في الربع الأول من القرن الثالث عشر» منشور في «مجلة العرب»، ج٣ ـ ٤، السنة ١٩، رمضان ـ شوال ١٤٠٤هـ/يونيو ـ يوليو ١٩٨٤م، فيها انتقادات الشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي على «رحلة فتح الله الصايغ»؛ نقل يوسف شلحد انتقادات الحنبلي من مخطوط برقم ٢٢٩٩ محفوظ في المكتبة الوطنية بباريس.

الرسائل العلمية غير المنشورة:

٤٥١ ـ جملاء مبارك المرّي «تاريخ مدينة الدرعية سياسياً وحضارياً»، رسالة ماجستير/الإدارة العامَّة لكليات البنات بالمنطقة الشرقية/كلية الآداب للبنات/الدمَّام، ٢٠٠٧م.

٤٥٢ ـ سامية محمد أسعد بشاوري «إمارة الشريف غالب بن مساعد في مكة ١٢٠٢ ـ ١٢٢٨هـ/١٧٨٧ ـ ١٨١٣م» رسالة ماجستير/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الملك سعود، ١٩٨٤م.

٤٥٣ ـ عبدالرحمٰن بن علي العريني «الحياة الاجتماعية عند حضر نجد منذ القرن العاشر الهجري إلى قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب»، رسالة دكتوراه/كلية العلوم الاجتماعية/قسم التاريخ/جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٩٨٩م.

٤٥٤ ـ عبدالرحمٰن عبدالعزيز الحصين «إبراهيم بن عفيصان القائد والأمير والداعية في الدولة السعودية الأولى» رسالة ماجستير/كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/قسم الدراسات العالية التاريخية والحضارية/جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، ١٩٨٩م.

٤٥٥ ـ عبير بنت أحمد القرني «الحياة العلمية في مدينة ضَمَد وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها خلال القرن ١٣هـ ـ ١٩م)، رسالة ماجستير/كلية الشريعة والدراسات الإسلامية/قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية/جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة، ٢٠٠٩م.

٤٥٦ ـ علي دخيل الله الحازمي «الدولة السعودية الأولى في بلاد غرب الخليج العربي وجنوبه»، رسالة ماجستير/قسم التاريخ والحضارة/كلية العلوم الاجتماعية/جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٤هـ.

٤٥٧ ـ محمد علي بيومي «مخصصات الحرمين الشريفين في مصر إبَّان العصر العثماني»، رسالة ماجستير/كلية اللغة العربية/جامعة الأزهر، ١٩٩٩م.



فهرس المواضيع

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان | رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

العنوان	رقم الصفحة

